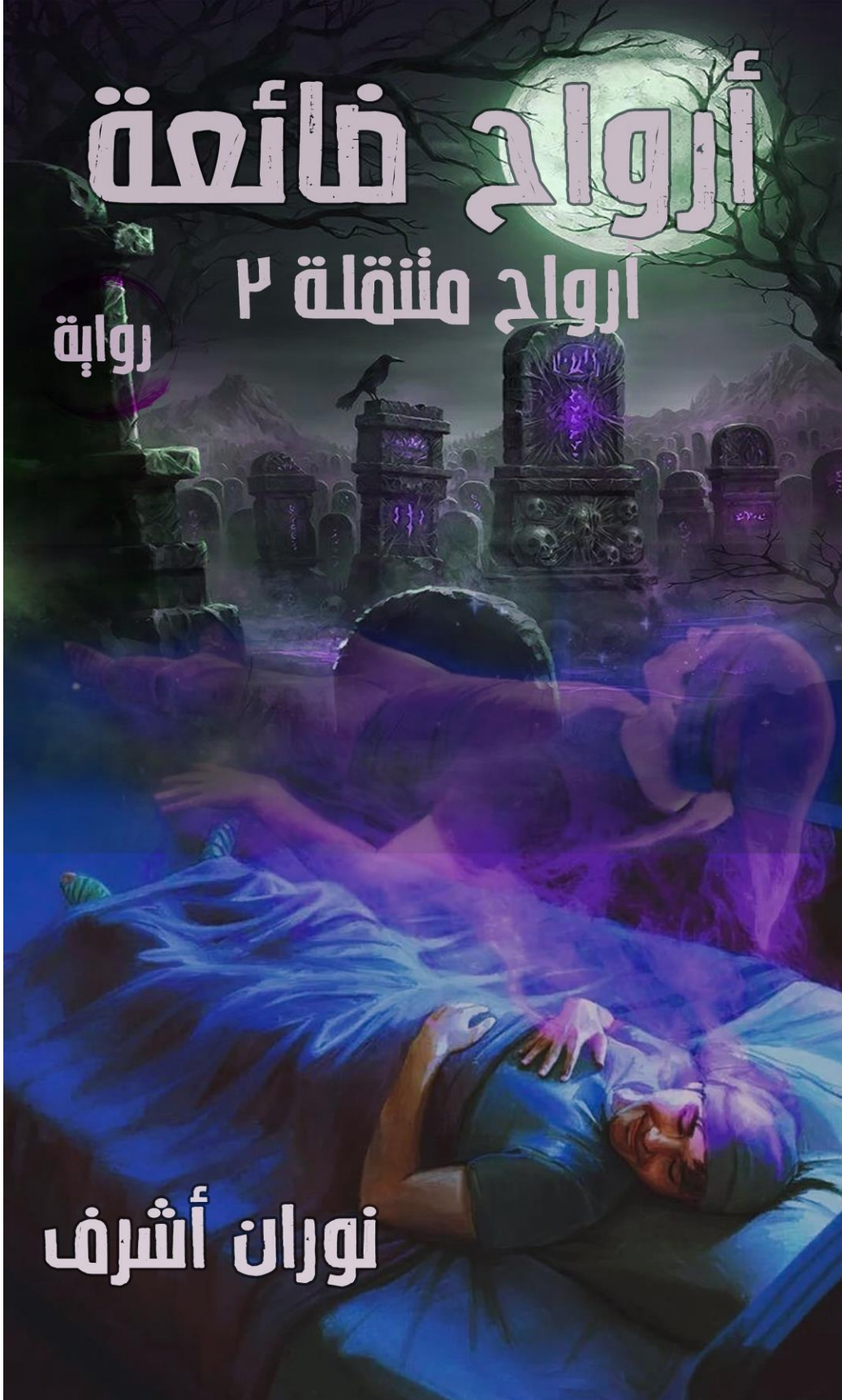


أرواح ضائعة

أرواح منقولة ٢

رواية

نوران أشرف



مقدمة

ظلام دامس يغمر الأجواء، أصوات طيور الليل تجتمع سويًا في تلك الليلة لتخلق سيمفونية تبعث الرعب في النفوس، وبأحد الأحياء الفقيرة داخل الإسكندرية، نجد بناية لم يكتمل بناءها بسبب شدة الفقر، حتى أن الجردان كانت تقطن مع سكان هذه البناية وتتخذ من تلك التشققات بيوتًا لها...

أجواء مهيبية تُحيط بتلك البناية مع هذه الإضاءة الخافتة المُنبعثة من القمر والتي بدورها أضافت رهبة على المكان فوق رهبته، فكأنك إذا خطوت قرب تلك المنطقة فلن تخرج سالمًا أبدًا، فأما يقتلك أحد المجرمين أو ينهبك أحد اللصوص...

أما داخل البناية، فكان الوضع يختلف تمام الاختلاف، فلا يزال يوجد العديد من التشققات التي سمحت للحشرات بالتوغل داخل المنزل والعبث به، وكان يوجد بعض الأمتعة المترامية في الأركان منها بعض الأدوات البالية، فهناك ببور مهتريء يلتف حوله بعض الرجال لإعداد الشاي، وهناك سُفراطس على إحدى الأركان وهو عبارة عن أواني معدنية يتم وضع الطعام بداخلها، وغالبًا ما تُستخدم لتقديم الطعام عند زيارة أحدهم بالزنازة...

أما بمُنتصف البناية، فكان صوت الصياح يتغلغل آذان الجميع ويطغي على سكون تلك المنطقة، فكان هذا الرجل الذي يبدو بالعقد الخمسين من عُمره يتمسك بتلابيب أحد الرجال الذي يبدو عليه بأواخر العشرين، وعلى الرغم من ذلك لم يستطع الإفلات من قبضته بسبب نحالة جسده وملابسه البالية وعينيه الداكنة المتؤسلة:

-والله يا معلم أنا عملت إلكي قولتلي عليه

زادت هذه الكلمات من غضب الرجل المُمسك به والذي يُدعى بشفيق، فكان يهزه بحدة هادرًا بنفاد صبرٍ من ذاك الذي دائماً ما ينعته بالفشل والحماقة:

-أعمل فيك إيه ... نفسي أعرف أنا مشغلك معايا ليه ... بقى أنا أبعثك
تسرق راجل كُبارا من غير ما يكون في حراسة في القصر بتاعه ... وفي
الآخر ترجلي بمستيقة وكراميلًا... !!

هتف بأخر كلماته وهو ينتشل تلك الحلوة التي من المفترض أن يسرق
الأموال بدلاً منها، وما زاده غضبًا هو رد القابع بين قبضته والذي كان
مُقتنعًا بعدم ارتكابه لتلك الحماقة، حيث كان يهتف بثقة لا يعلم من أين
اكتسبها:

-يا معلم ما إنت قولتلي متخليش حد ياخذ باله إنك سرقت ... عشان كدة
مقربتش ناحية الخزنة إللي مليانة فلوس عشان محدش ياخذ باله إني
سرقت منها

تفاقت شُعلة الغضب بداخل شفيق مما جعله يصفعه بغلٍ ويقول بنفاد صبرٍ
من ذاك الأحمق:

-كان قصدي متسيبش بصمات يا أخي هتكرهني في الشغلانة
وهتخليني أتوب

بقي يصفعه ويمسكه من تلايبه بهزاتٍ عنيفة وهو يواصل الحديث بغضب:

-يعني أبعثك تسرق حضانة ... ترجلي بشوية لعب ... أبعثك تسرق عربية
تقولي مبعرفش أسوق ... أبعثك تسرق في الشارع تروح تستأذن إللي
بتسرقه ... يعني أوديك فين ... أوديك فين بغاوة أهلك دي...

بقي يهتف بصوتٍ غاضبٍ ولا يزال يصفع هذا القابع بين قبضتيه يُحاول
الابتعاد عن صفعته بشتى الطُرق، وما كادت تلك الصفعات والهتافات
تستمر حتى تدخل رجل آخر يبدو عليه الرزانة، فهو أحد أمهر هؤلاء
اللصوص وأذكاهم، حاول التدخل حتى يهدأ شفيق ولا يُفتك بمن يقبض على
تلابيبه...

-خلاص يا معلم امسحها فيا...-

ابتعد شفيق عن الفتى الذي يُدعى جابر وهو من كان قابعًا بين قبضتيه، التفت
الرجل الآخر نحو جابر كي يُخبره بأمرٍ:

-إمشي إنت يا جابر على بال ما أهديه

أوما جابر رأسه إيجابًا ليتحرك بعيدًا كي يترك المنزل قبل أن يُفتك به شفيق،
فدائمًا ما يتعارك معه لأنه الأحق من بين جميع اللصوص، فهو بحياته لم
يسرق ولو شيئًا قيمًا واحدًا ولا يعلم حتى لم ترعرع بين أولئك اللصوص،
أفاق على هذه الدنيا بينهم ولم ينل حتى حظه من التعليم كالجميع، فقط يقات
على طعامٍ يأخذه من المارة مع تلك الأموال التي يجنيها من التسوُّل فيما سبق
قبل أن يمتن السرقه والتي يفشل بها دائمًا...

هامت قدماه بين الشوارع المُتشققة في شرودٍ رغبة في الإبتعاد قليلًا عن تلك
البناية على أمل أن يعود مجددًا ويخلد إلى النوم قبل أن يتقابل مع شفيق الذي
بالطبع سينهره مجددًا، لكن هيامه لم يكد يستمر لبضع ثوانٍ حتى باغته أحد
الرجال الغلاظ والذي أشار عليه من بعيد هادرًا بلكنة أمره:

-دا جابر !!... إمسكوه بسرعة

خفقت نبضات قلبه مع تلك الكلمات التي هزّت كيانه، فلا يكفي أنه الآن
مُشرد حتى يأتي أولئك الرجال الذين يُطارونه عازمين على قتله بسبب ما

ارتكبه من حماقة أدت لوقوعه بالخطر، لكنه لم يفكر في ما مضى ووجد قدميه تُهرولان بسرّعة البرق قبل أن يطوله أحد الرجال...

هرول بسرّعة على طريقٍ ضيقٍ ووراءه مجموعة من الرجال يحاولون الإمساك به لكن سرّعته تفوقهم، فعلى الرغم من حماقته، إلى أنه يمتاز بسرّعة ركضه بسبب تلك المطاردات التي دائماً ما يتعرض لها...

ركض حتى اصطدم بإحدى الفتيات التي يبدو وكأنها أتت مع زوجها وربما أضلّ طريقهما ويبحثا عن منفذٍ من تلك المنطقة قبل أن يُداهمهما أحد اللصوص، لكنه رماها بنظرة متأسفة قبل أن يتخطاهما بسرّعة ليواصل الهرولة حتى قفز فوق أحد الصناديق الخشبية ورفع يده ليقفز مجدداً حتى أمسكت يديه إحدى النوافذ الخاصة ببنائة متهالكة، رفع جسده لأعلى حتى صعد على الطابق الأول من شُرْفة هذه البناية، وجد الرجال يقفزون على هذا الصندوق ويصعدون ووراءه لكنه صعد على سور الشُرْفة ليقفز من خلالها على شُرْفة البناية المجاورة بانسيابية، بقي يركض فوق الشُرْفة حتى صعد السور مجدداً ليقفز من خلاله ويضحي على الأرض كي يواصل الهرولة بعيداً عنهم...

لم يتوقف الرجال عن اللحاق به وقفزوا من شُرْفة المنزل ليهرولوا ووراءه ويجدوه لا يزال يركض بسرّعة اتجاه أحد الزُقاق المليئة بالأسواق الشعبية المُغلقة بسبب تأخر الوقت، فكانت هناك عربة من البطاطا التي تم تغطيتها ووضعها بأحد الأركان..

ركض جابر اتجاهها ووراءه الرجال حتى هرول نحو هذه العربة وأوقعها على الأرض لتتساقط حُبيبات البطاطا أمامهم وتُعيق حركتهم خاصة وأن الزقاق ضيقٌ وتلك العربة أعاقت الطريق تماماً...

حاول أحد الرجال إزاحة تلك العربية لكنهم وجدوه قد اختفى تمامًا عن أنظارهم، فكأنه تبخر في أقل من ثانية، وهذا ما أكد لهم أنهم فشلوا بإحضاره وتلقيه الدرس مجددًا...

لا يزال يواصل الركض حتى تأكد من ابتعاده عنهم ليتوقف بمُنْتَصَف الطريق يحاول التقاط أنفاسه وهو مُنْحِن الجذع وحُبيبات العرق تتقاطر من جبينه، رفع جذعه مجددًا وواصل السير بلهيته وأطرافه المرتجفة من شدة الخوف، فهو يعلم جيدًا أنهم لن يتوقفوا عن اللحاق به قبل أن يقتلوه وينتقموا منه، فما فعله كان جثيمًا بالنسبة لهم على الرغم من أنها كانت مجرد حادثة غير مقصودة بالمرّة...

توقفت أقدامه عند البناية التي يقطنها مجددًا تزامنًا مع توقف لهيئته وخمول جسده، فتلك المطاردة استنفرت بعضًا من طاقته...

قفز قفزة عالية ساعدته على الإمساك بنافاذة حُجرته حتى يدلف البناية، فكانت النافذة متوسطة الحجم تتسع لجسده النحيل ورشاقته التي تُساعده دائمًا..

ما إن وطأت أقدامه داخل الحُجرة حتى اتجه نحو فراشه العتيق مرتميًا على ظهره يرمق بعينه هذا السقف المُتشقق والإضاءة البرتقالية الخافتة التي تتعامد على عينيه البنية...

تنهد تنهيدة عميقة جعلته يُفكر بحسرة بحياته الشاقة التي لن يستطيع مواصلتها، فهو بالضبط كالخردة البالية، لن يهتم أحد لأجله، فحتى وإن لقي حتفه، ربما سيتم دفنه بمدافن الصدقة ولن يأتي لزيارته أحد، وربما حتى يموت مقتولًا على أيدي أولئك الرُعاء..

أغمض عينيه كي يكبت دموعه المتحجرة ويحاول الخلود إلى النوم قبل أن تُفتك به تلك الأفكار وتجعله يُزهِق روحه، فحتى وإن كانت حياته مُعرضة

للخطر، يجب عليه ضرب نفسه بالسُّيَاط حتى يواصل تلك الحياة التي يمقتها،
فلا أحد يرغب بهذا الفقر وهذا العمل وهذه المطاردات والتهديدات الدائمة،
لا أحد يرغب بحياة مثل حياته...

اعتدل على فراشه استعدادًا للنوم ونسيان هذا اليوم الشاق، فهو لا يعلم أن
تلك آخر ليلة قبل أن يستيقظ غدًا ك... فتاة!!!

الفصل الأول (عد تنازلي)

تنب أمام المرأة المتهالكة عاجزة عن تفسير ما أمامها، فكأنها أمام وهمٍ يخلقها عقلها ويقنعها به، وما الوهم إلا حقائق يقنع بها الانسان نفسه بأنها مجرد أكاذيب لا صلة لها بالواقع، لكنه يسقط من أعلى ارتفاع ما إن تُداهمه تلك الأوهام وتجعله يفقد صوابه، فلو كان صدقها منذ البداية لما أوصله عقله إلى تلك المرحلة.

اختفت ألوان وجهها وهي تُحدق بذاك الوجه الغريب ويدها تتحرك على خصلات شعرها التي أضحت قصيرة للغاية، تحسست بعدها وجهها وبشرتها الخشنة المائلة للسُمرة وتلك الندبة التي تتكون على رقبتها، بل وهذه الملابس البالية التي تدل على الفقر، فهي الآن داخل جسد رجلٍ غريب، وعلى الأغلب ينحدر مستواه الاجتماعي إلى القاع وربما أسفله.

بقيت ضربات قلبها تتصاعد في خوفٍ وداخلها يسب حظها وانتقالها الدائم إلى أجساد الرجال، فلو كانت روحها تتبدل بالعديد من الأجساد، لم لا تتبدل مع الفتيات؟ ولم تتبدل بالأساس رغماً عنها؟

كادت على وشك الانهيار حتى اكتشفت أنها تستطيع التحكم بقدرتها ويُمكنها العودة إلى جسدها مجدداً؛ لهذا السبب أغلقت عينيها وسرقت نفساً عميقاً تغلغل قفصها الصدري ثم أخرجته لتواصل التركيز على تلك الطاقة وتضغط على عقلها بقوة كي تجعل روحها تستجيب لتعليماتها.

أطلقت الهواء من جوفها مجدداً مع هالة من خيبة الأمل بدأت تجتاحها لعدم مقدرتها على العودة، فعلى الأغلب أن صاحب هذا الجسد هو من بدأ التبديل وهو الذي يجب أن يستعيد جسده مجدداً، تتسأل حقاً إذا كان صاحب هذا الجسد سيستطيع التحكم بتلك الطاقة أم أنه لا يعلم عنها شيئاً، لكنها متيقنة أنها في جميع الأحوال ستعود إلى جسدها مع مرور أربعة وعشرين ساعة، هذا ما يجعلها تتحلى ببعض العزيمة لتواصل اليوم بذاك الجسد على أن تعود مجدداً إلى حياتها الطبيعية.

هكذا انتهت قراراتها لتتحرك بعيداً عن المرحاض وتبدأ السير داخل تلك البناية التي يبدو أنها ليست صالحة للعيش بداخلها، فلا يوجد سوى أثاثٍ بالٍ غير متناسق مترامٍ

في الأطراف مع العديد من الأدوات القديمة والعشوائية مما جعلها تجول ببصرها في كل مكان كي تستكشفه وكأنها تكتشف أحد المتاحف.

-جابر ... تعالى كل معانا عيش وملح

اخترق أذنها هذا الصوت من مجموعة من الرجال المتجمعين في حلقة بأحد الأطراف وأمامهم طاولة خشبية صغيرة ومستديرة وُضع عليها مجموعة من الصحون المعدنية التي احتوت على أكلاتٍ شعبية مُتعارف عليها، فكان أول صحنٍ يحتوي على الباذنجان المقلي والآخر يحتوي على أقراص الطعمية الصغيرة والآخر يحتوي على بطاطا مقلية وآخر صحنٍ يحتوي على الفول، والخُبز مؤزَع بينهم على الطاولة فوق إحدى الجرائد.

بقي الصوت يُنادي والنظرات تصوّب نحوها مما جعلها تشعر بالتيه، فهي لا تزال جاهلة باسم صاحب هذا الجسد وماهية حياته، لكنها بعد فترة انتبهت إلى كونهم ينادونها بذلك الاسم مما أكد لها أن اسمها الآن هو " جابر".

تحركت بخطواتٍ هادئة صوّب الرجال حتي جلست بجوارهم متربعة على قدميها تلتقط الخُبز وتبدأ بتقطيعه وتناول بعض اللقيمات ببطء، لا تعلم لمّ الطعام مذاقه غريبٌ عليها، فرائحة الزيت الملوّث تكاد تخترق أنفها رغم أنه لا يؤثر كثيرًا على المذاق، فقط يجعلها تظن أنها تتناول طعامًا ملووثًا ويبدو أن الجميع هنا مُعنادٌ عليه مما يعني أن هذا الجسد يتناول من هذا الطعام يوميًا.

-تعمل إيه في عملية إنهارة؟

أتاها هذا السؤال من أحد الرجال مما جعلها تلتفت نحوه وتسأل بوجوم:

-عملية إيه؟

شقت الابتسامة ثغر الرجل بعد أن ظنّ أن صديقه يمزح معه، فهو لا يعلم أنها بالفعل لا تفهم مقصده، فهي لا تزال تعتقد أن اسمها داليا وأنها خبيرة علاقاتٍ زوجية، ليست هذا الرجل الذي لا تعلم من هو حتى.

-عملية عم جورج إلي المعلم عطهاك بدل عملية المنتزه إلي بوظتها

لا يزال التيه يلوح على وجهها وهي تسأل بصوتٍ مرتجفٍ بعض الشيء:

-وأنا ... هعمل إيه في العملية دي ؟

ازدادت قهقهات الرجل الساخرة بعد أن تأكد أن صديقه يمزح معهم، فكيف لا يعلم ما الذي سيفعله بعد سويعاتٍ قليلة ؟

أحاطه بذراعيه ليُجيبه بسُخرية:

-هتروح تركبله نجف

قهقه بعد حديثه المازح كما قهقه البقية على مزحته التي صدقتها هي وعاودت تناول الطعام إلى أن باغتها الرجل بالإجابة الحقيقية:

-هيكون هتعمل إيه يعني هتسرقه طبعًا

ما إن أدلى تلك الجملة حتى بدأت بالسُعال وكادت تبصق ما بفيها من طعامٍ من شدة الصدمة، أهذا الجسد سارق!!

استمرت تسعل لفترة حتى ضرب الرجل على ظهرها إلى أن استعادت أنفاسها تزامناً مع كلمات نفس الرجل:

-مالك ياه ... السرقة خضتِك ولا إيه ... مهياش أول مرة يعني

زادت كلماته من صدمتها ووُدت لو تذهب الآن إلى الشرطة حتى تُبلغ عن جميعهم، لكنها إذا فعلت هذا ربما ستبقى حبيسة هذا الجسد لفترة وجيزة من الممكن أن تتكرر طالما صاحب الجسد لا يستطيع التحكم بالطاقة ولن يرغب بالطبع بتقضية ما تبقى من عُمره بالسجن.

استعادت أنفاسها وحاولت الصمود حتى لا يشك أحدهم بأمرها، فكانت لا تزال تجلس مكانها بعوالم شاردة لا تعلم ماذا تفعل، فإذا جارتهم وواصلت اليوم بهذا الجسد ستُجبر على السرقة وترتكب جُرمًا هي لا تُريد ارتكابه، لهذا السبب وثبت عن الأرض تحاول الهرب منهم والعودة إلى تلك الحُجرة المقيبة حتى انتهاء اليوم.

لكن يبدو أن الرياح تأتي بما لا تشتهيهِ السفن، ففور قيامها وجدت قبالتها رجلًا يبدو بالعقد الخمسين وعلى وجهه علامات القساوة خاصة تلك النظرات المُشتعلة المصوّبة نحوها مباشرة حتى كادت تقتلها، وعصاه الخشبية التي كان يتكئ عليها زادت شعورها بالرغبة، فكأنها الآن تقف أمام مجرمٍ من الدرجة الأولى.

-الواد ده بيعمل إيه هنا؟

قالها شفيق وهو يُشير على داليا التي تلبست جسد جابر ولا تعلم لم يُشير عليها ويبدو أنه يحمل الضغينة اتجاه هذا الجسد.

كلماته المهيبة ولكنته الحادة جعلتها تُتهته بالحديث وتزداد رهبة حتى بدأت معدتها تتوّعك وأطرافها تفقد الشعور بهم، بقيت على هذه التهته حتى تدخل أحد الرجال والذي كان يتحدث معها مُسبقًا والمدعو ببلال لكنهم يُنادونه بابلو بسبب تشبهه بهذا المُجرم المشهور والمدعو بابلو اسكوبار.

-داا ... كان جاي يفطر وهينزل يقلب رزقه ... مش كدة يا جابر؟

قالها بابلو لشفيق ثم وجه نظراته نحو داليا التي ازدادت تيّها لكنها أومأت رأسها في النهاية حتى تهرب من نظرات شفيق الحادة:

-أه أه ... أنا فعلاً كنت ... همشي دلوقتي

قالتها بكذبٍ واضح جعلها تُغير من خططها وتُرغم على ترك المنزل بهذا التوقيت، لكن هذا سيضحى أفضل، على الأقل ستبتعد عن ذلك المنزل المُهتريء وتطوف في الشوارع تؤدي بعض الأعمال التي يؤديها المشردين حتى تحصل على قوت يومها.

عظيم ... أصبحت الآن داخل جسد لص ومشردة أيضاً، يال هذه الحياة!!

تحركت صوب الباب كي تفتحه بهدوء وتترك البناية لتقف أمام الباب تستنشق بعضاً من الهواء مع أشعة الشمس التي لفتت وجهها، كان الجو حاراً اليوم والشمس ساطعة لذلك أول ما قررته هو أن تبحث عن مكان تستظل به من أشعة الشمس قبل أن تحرقها.

لكن الحياة تصفها مجدداً وتضع عقباتها أمامها، فما إن خطت خطوة حتى أحسّت بأقدام تهرول نحوها وتقف أمامها مباشرة.

أحسّت بظلٍ يُغطي جسدها ويبدو أنه يخص رجلاً فارح الطول عريض المنكبين؛ إزدردت ريقها برُعبٍ قبل أن ترفع رأسها ببطءٍ وتواجه وجه هذا الرجل بابتسامته الماكرة وسلاحه المصوب على رأسها مباشرة والذي اجتمع مع كلماته المنتصرة والمهددة بالنسبة لها:

-وأخيراً وقعت تحت إيدي يا جابر...

أنبوبٌ زجاجيٌّ يحتوي على إحدى المواد الكيميائية التي تحمل لوناً يميل إلى الأزرق، عيناه الخضراء مُنصبتان على هذا المحلول لتظهر سُترته البيضاء العملية كما هذه الجدران التي تُحيط بتلك الحُجرة، فهو يعمل على أحد المُركبات التي من شأنها أن تصنع دواءً يُعالج الأمراض التناسلية، على أمل أن يعثر فيما بعدٍ على حلٍ لمُشكلة تشوّهاته الجسدية.

وضع الأنبوب فوق الحامل المعدني ليلتفت نحو عدسة المجهر ويبدأ بتحليل مادة أخرى ثم يدوّن بعض الملاحظات التي ستفيده في أبحاثه.

كان بجواره العديد من العلماء داخل هذا المعمل الكبير الذي انتقل إليه منذ أن أغلق معمل والده وتم ضمه ضمن ممتلكات الدولة، لم تكن نظرات العلماء مصوّبة في

الكيمياويات التي أمامهم، حيث كانت أفواههم تتغامز عليه مع نظراتهم المُحتقرة المصوّبة نحوه.

-هي دي الدكتورة الجديدة؟

قالها أحد العلماء بصوتٍ خافتٍ لكنه وصل إلى مسامع مخيمر الذي يعلم أنه يتحدث عنه، وما أكد حدسه هو إجابة زميله التي حملت قدرًا من السخرية والاحتقار:

-قصدك الدكتور ... بس هو استغفر الله العظيم يارب عامل نفسه حُرمة

قُطِب العالم الآخر حاجبيه بازدراء قال معه:

-استغفر الله العظيم .. أهي الناس دي هي إلهي هتقوم القيامة ... " لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء"

أكد العالم الآخر على حديثه وهو يواصل النظر إلى مخيمر قاصدًا توجيه كلماته صوّبه مما جعل نيران الغضب تتفاقم بداخل مخيمر، فهؤلاء الحمقى لا يعلمون أنه خُلِق هكذا، وليس هذا ذنبه بأن يختلط جنسه الذكوري مع الجنس الآخر، وبسبب تشوّهاته، يعتقد الجميع أنه يتشبه بالنساء.

لم يعد يتحمل المزيد من أحاديثهما التي تؤلمه وتُذكره بكونه عالية على المُجتمع؛ لهذا السبب ابتعد على المجهر ليثب داخل الحُجرة حتى يخلع سُترته البيضاء ويرمي هذين العاملين بنظراتٍ مقتضبة قبل أن يترك المعمل بأكمله.

تتحرك أقدامه على الطريق بحثًا عن سيارته التي اصطف بها بعيدًا لعدم وجود أماكن قريبة من المعمل، ترك خُصلات شعره الناعمة تنسدل وراءه بعد أن أرجع بعض الخُصلات المُتمردة للوراء، كان يرتدي سُترة صيفية حمراء اللون أسفلها بنطال من الجينز الذي أبرز نحالة جسده وتلك التعرجات التي يُحاول مداراتها قدر الإمكان عن طريق ارتدائه لملابس واسعة..

كان يسير بهدوءٍ حتى أخترق أذنيه صوت رجلٍ يهتف من وراء ظهره بعد أن أطلق صافرة من جوفه:

-ما تيجي يا حلوة أغنيك غنوة

بقي الرجل يسير وراءه مما زاده شعورًا بالغضب، فعلى الأغلب هذا الأحمق قد ظنه فتاة كما يظن العديد من الأشخاص؛ هذا ما جعله يتوقف عن السير ويلتفت وراءه رامقًا هذا الرجل بنظراتٍ ثاقبة أبرزت ملامحه الرجولية والتي جعلت الرجل يُصاب بالصدمة.

جحظت عينا الرجل وإزدرد ريقه بحرج ثم رفع يده بأسف لاعتنا نفسه على هذا الموقف، فعلى الأخرى يقول بقرارة نفسه : ما الذي فعلته أيها الأبله ؟

ما هي إلا لحظات حتى هرول الرجل بعيدًا راميًا إياه بنظراتٍ مذعورة جعلت مخيمر يُقهقه قهقهة بسيطة ساخرة من معالم الرجل التي تغيرت فجأة، التفت بعدها ليواصل السير ويدها توضعان داخل جيبه وكأنه سيتجاهل ما حدث ويواصل حياته ككل مرة.

تلك اللحظة التي تنتهي بها من آخر يومٍ من الدراسة بحياتك لها شعورٌ خاص، فلا مزيد من الالتزامات والمسئوليات حتى تقتحم الحياة العملية بكل مشكلاتها وعوائقها، فيكفي المشكلات التي تغتاب المرء قبل أن يستقر بوظيفة تناسبه وتناسب مجاله الدراسي.

لكنها الآن وبعد أن انتهت من آخر عامٍ بجامعتها، أضحت الآن في حالة من الاسترخاء تجعلها تنام أغلب الوقت وكأنها تعوّض تلك الليالي التي سهرت بهم حتى تنتهي من هذا العام الدراسي، تستلقي بجسدها على الأريكة بالبهو ويدها تحملان هاتفها الذي يعرض إحدى الصُور الخاصة باليرعات، فهذه الحشرة المُضيئة هي حشرتها المُفضلة والتي تقوم بدراستها أغلب الوقت هي وبقية الحشرات.

فقد تخرجت من كلية العلوم قسم الأحياء لثقرر بعدها أن تُجري دراستها على العديد من أنواع الحشرات وتستكشف ما تحمله من أمراض وما أهميتها بهذا العالم، فبالطبع لم يتم خلقها من أجل أن تدعسها الأقدام ويقتلها البشر.

-قومي يا شمس حضري معايا الغدا وسيبي الزفت إلي في إيديك ده

ما إن استمعت إلى نداء والدتها الذي أخرجها من استرخاءها حتى تنهدت بتذمرٍ وجوفها بمتليء بالهواء الذي أطلقتته متفؤهة:

-يا ماما مش قادرة ... بطني وجعاني أوي

كانت تتحجج حتى تتركها والدتها تواصل اللهو والتمتع بالراحة، لكن والدتها باغتتها بحديثٍ صارمٍ برر سبب شعورها بالتؤعك:

-ما طبعا لازم بطنك توجعك ... ما هو من الزفت إلي ماسكاه طول اليوم

اعتدلت شمس بجلستها وهي تعترض حديث والدتها بدفاع:

-وايه علاقة الموبيل بطني إلي وجعاني ؟

أعادت والدتها تعليماتها الصارمة وأصرت على أن تترك موضعها وتأتي لمساعدتها بإعداد الطعام هادرة بتلك الكلمات التي تقولها دائماً وأنها ليست الخادمة التي أتى بها والدهم حتى تخدمهم، تلك الكلمات التي علمت بعدها شمس أنها لن تستطيع مجادلتها فقررت أن تثب وتساعد والدتها حتى...

لم تكذ تخطو خطوة واحدة حتى أحسّت بحبلٍ يتشابك بقدمها ودلوٍ من المياه ينسكب عليها من الأعلى مما جعلها تطلق شهقة مدوية وتفتح فاهها من هول المفاجأة، التصقت خُصلات شعرها المجددة برأسها كما تبللت ثيابها بأكملها، وما زادها غضباً هو صوت قهقهات شقيقها المنبعثة من وراءها وسبابته المشاركة نحوها بشماتة...

أطبقت على شفتيها بغضبٍ جِراء ما حدث وما هي إلا بضعة ثوانٍ حتى حاولت الانقضاض على شهاب هادرة بغضب:

- أقسم بالله لاخذ حقي

وهكذا انتهى الحال في ذلك المنزل بين مطارداتٍ بينهما ووالدتهما التي تصيح بكليهما مع شهاب الذي لم تتوقف مقابله حتى كاد المنزل يتدمر من هذا الهرج والمرج الذي اعتاد المنزل وقاطنيه عليه.

بريقٌ خافتٍ اخترق بوق بوق عينيه العسلية التي انعكس عليها أشعة الشمس، أحس بهوائٍ باردٍ يلفح وجهه ويُشعره وكأنه بفصل الشتاء على الرغم من القيظ الشديد الذي غمر هذه الأيام، حاول الاعتدال على فراشه ليجد جسده مُغطى بغطاءٍ أبيضٍ وصوت خافت ينبعث من حوله يُشبه صوت المروحية لكنه يختلف، فهو صوت المُكيف الذي لم يره ولم يُجربه ولو لمرة واحدة..

نزع الغطاء عن جسده بعوالم حائرة تتحسس تلك الحُجرة الغريبة التي يجد نفسه داخلها، فهي ليست حُجرة فاحشة الثراء، لكنها حُجرة بسيطة تتكون من خزانة عريضة قبالتها فراشٌ كبيرٌ يتسع لفردين وكان يستلقي هو على أحد جوانبه مما أوهمه أن هناك من كان مُستلقي جواره.

آدار رأسه في عدة اتجاهاتٍ نازحًا تلك الأفكار التي تُخبره بأنه لا يزال داخل أحد أحلامه، فلا يوجد سببٌ منطقي يُفسر وجوده بحُجرة كهذه سوى أنه مخطوفٍ من إحدى العصابات، لكن ما هذه العصابة الرائعة، تضعه داخل حُجرة نظيفة مُكيفة أفضل بكثيرٍ من تلك الحُجرة التي يقطن بها.

وثب عن الفراش والغرابة بداخله تزداد أكثر فأكثر، فهو يشعر بشيءٍ غريبٍ ولا يستطيع تحديد سبب شعوره بتلك الغرابة.

توقفت أنامله فجأة أمام مرآة الخزانة المقابلة له مباشرة والتي سنحت له الفرصة برؤية هذا الجسد الذي تلبسه، فما إن رأى صورته حتى سقط فكه في صدمة وبدأت يده تُمسدان على تلك الخُصلات البنية المموجة التي تصل إلى الرقبة، تحركت يده من على خُصلات شعره وبدأت تُمسد على منامته الوردية المُريحة التي تحمل أحد أشكال الرسوم المتحركة.

توقف عقله عن التفكير وبدأ يقتنع تمامًا أنه داخل حُلْمٍ من أحلامه، ربما هو حُلْمٍ أقرب إلى الواقع، إقترب خطوة نحو المرأة مع فاهه الذي يُغمغم بصدمة:

-أنا اتحوّلت !!... استغفر الله العظيم، إيه إلهي بقوله ده...

تحسس وجهه مُجددًا ولا تزال عينيه جاحظة مُحدقة بتلك المرأة ووجهه يفتعل حركاتٍ حمقاء حتى يُصدق أن هذا وجهه...

-داليا ... يلا اصحي يا داليا عشان_

كان يُنادي إسلام بتلك الكلمات وهو يتحرك صوّب الحُجرة حتى توقف عن الحديث ما إن وثب أمام الباب يُطالع زوجته بغرابة وهي تفتعل تلك الحركات الحمقاء أمام المرأة.

-بتعملي إيه ؟

انتفض جابر إثر كلماته التي سرقت ألوان وجهه؛ اعتدل في وقفته وهو يُجيب من يقف بجواره بتهتهة:

-...لا ولا حاجة .. أنا بشوف حاجة كدة

تجاهل إسلام حديثه وأردف بصرامة وهو يترك الحُجرة:

-طب يلا عشان هنروح البحر كمان شوية

ترك إسلام الحُجرة تزامناً مع جابر الذي أوماً رأسه بهدوءٍ وهو لا يزال يشعر بالتيه، فهو الآن كالغريب الذي وطأت أقدامه دولة غريبة لا يفقه حتى كيفية التعامل داخلها، وكأنه لا يزال طفلاً يتعلم المشي.

استجمع قواه العقلية بعد فترة وتنهى تنهيدة طويلة تبعها ببث نفسه بعض الثقة على أمل مواصلة اليوم بصورة طبيعية، فلا أحد بالطبع سيصدق أنه كان رجلاً، فهو لا يعرفهم حتى، سلم أمره وأوهم نفسه أنه بذاك الجسد حتى يحميه خالقه من الأهوال التي يُقابلها بحياته، مما يعني أن عليه التأقلم على تلك الحياة الجديدة التي يبدو للوهلة الأولى أنها هادئة...

ترك الحُجرة وبدأ يتحرك بالزُدهة حتى توقف عند المطبخ ذا الصيحة الأمريكية التي تجعله مُندمج مع البهو، وجد إسلام قبالة يجلس أمام الطاولة ويمسك بين يديه شطيرة يتناولها بنهم، كاد يتجاهله لكن إسلام ناداه:

-تعالى افطري قبل ما ننزل-

لم يعترض جابر على حديثه حتى لا يُثير الشبهات ولأنه يتضور جوعاً؛ تحرك صوب المطبخ مُلبياً نداء إسلام ليفتح بعدها البراد باحثاً عن طعامٍ يقوم بإعداده على الفطور، ولأنه لا يفقه شيئاً عن الطهي فكان يبحث عن أبسط وأسهل المأكولات تحضيراً، وما كاد يُخرج الخبز حتى باغته إسلام بقوله:

-عملتِك ساندوتشات معايا هتلاقيهم في الميكروويف-

انتبه جابر لحديثه مما جعله يفتح فمه ببلاهة لكونه يجهل معنى هذه الكلمة التي قالها إسلام:

-ها ... قولت فين؟-

اعتقد إسلام أنها لم تسمع كلماته فأشار بأصابعه نحو جهاز التسخين الكهربائي وهو يُعيد كلماته:

-في الميكروويف بقول-

تحركت حدقتا جابر صوب هذا الجهاز مُربع الشكل الذي يُشير عليه إسلام، هذا ما أكد له أن الشطائر داخل هذا الجهاز الذي لا يفقه حتى كيف يفتحه، فكانت يداه ترتجفان وهي تتحسسان الجهاز بحثًا عن الطريقة التي يفتحه بها، كانت عيناه تُحدقان خلف الجهاز حتى أردف إسلام ببعض السخرية:

-مش عارفة تفتحيه ولا إيه؟

كان إسلام يعلم أن داليا دائمًا ما تتعارك مع هذا الجهاز حتى تقوم بفتحه، فهي لا تزال جديدة على هذا المنزل وتلك الأجهزة الغربية، لكن جابر لم يكن يعلم بتلك المعلومة وذن أن أمره سينكشف حالما يُخبر إسلام أنه لا يستطيع فتحه؛ لهذا السبب طغى الارتباك عليه وهو يقول:

-إيه... لأ أنا عارف... قصدي عارفة بس...

توقف عن الحديث بحثًا عن حُجة ليقولها حتى ابتعد عن الجهاز متفؤهاً:

-في حاجة وَقِعْت فَبدور عليها

رمقه إسلام بغرابة ونظراتٍ متشككة خاصة بعد أن لاحظ تلك اللهجة التي يتحدث بها، فكان يُعلق بتساؤل:

-وَقِعْت !! ... إنتِ لحقتي تلقطي اللهجة

أدرك جابر من حديثه أنها ليسا من تلك البلدة؛ هذا ما جعله يُنتهته بالحديث أكثر ووجهه قد تحوّل إلى اللون الأصفر من شدة الارتباك، إزدرد ريقه وهو يحاول رسم ابتسامة على وجهه قال معها:

-عادي يعني ... أعملك شاي؟

حاول تغيير الحديث بذاك السؤال أمام إسلام ونظراته التي تزداد غرابة، فهذه ليست زوجته التي يعرفها، هناك ما هو غريب بتصرفاتها، خاصة معالم الارتباك التي تغتابها مع كل سؤال وكل كلمة يقولها.

بقي إسلام في حالة من الصمت والترقب أمام جابر الذي تلبس جسد زوجته وبدأ بإعداد الشاي على الطريقة القديمة التقليدية، فكان يستخدم البراد الطبيعي بدلاً من الإلكتروني وهو يعلم جيداً أن داليا أكسل من أن تُعد الشاي بتلك الطريقة.

إنتهى من غلي المياه وبدأ سكب الشاي في أكواب زجاجية أمام إسلام الذي يُراقب ما تفعله زوجته ببعض الشك، وجده يضع ملعقتين من السكر داخل أحد الأكواب ويُحرك الملعقة الصغيرة حتى تذوب حبيبات السكر، مدّ إسلام يده بطريقة مفاجئة ليلتقط قرح الشاي ظاناً أن هذا هو كوبه، فزوجته التي يعلمها لا تضع السكر على شايبها، لكن جابر تصرف بتلقائية ووضع ملعقتين من السكر مجدداً داخل قرح الشاي الآخر مما جعل إسلام يسأل بحيرة:

-إنت من إمتى بتشربي الشاي بسُكر؟

توقفت يد جابر عن الحركة ليدرك أنه ارتكب خطأً آخرًا، فهذا الجسد الذي يتلبسه لا يُشبهه بأي من الصفات، مما سيجعل بقاءه داخله دون أن ينكشف يكاد يكون مستحيلًا، ومع هذه الحقيقة حاول الصمود مجددًا والتهته بالحديث أثناء قوله:

-لأ مش بحط سُكر ليا ... ده .. ده ليك إنت

رماها إسلام بنظراتٍ متشككة قال معها وهو يُشير على شايبه:

-أنا الشاي بتاعي أهو ... صباح الفل

خرجت كلماته بصورة مرحة أربكته وجعلت حبيبات العرق تتصبب من جبينه حتى رسم بسمة على شفثيه قال معها:

-أه صحيح ... شكلي نسيت

التفت بعدها بسُرعة حتى لا يُلاحظ إسلام نظرات الكذب على وجهه، لكن إسلام لاحظ يده على تُمسد على عنقه من الخلف وصوت أنفاسه اللاهثة يصل بخفوت إلى مسامعه، مما يعني أن جسد زوجته الآن ساخنٌ كاللهب والحرارة تنبثق منه مما يجعل حُببيات العرق تترصب على جبهتها.

ترك إسلام مقعده عازماً على التأكد من تلك الشكوك التي بدأت تقتحم عقله، يجب أن يعلم إن كانت هذه زوجته أم لا، فقد أخبرتهم ريتا من قبل أن هناك المزيد من المُتتقلين مثلهما، فربما هذا أحد المتتقلين الذي تلبس زوجته العزيزة ويخشى إظهار نفسه خشية من نعته بالجنون، فربما بقية المتتقلين لا يعلمون بتلك الموهبة التي لديهم أو التي أصبحت لديهم.

إقترب من جسد زوجته من الورا لِيُحاوطها من خصرها ويستند بذقنه على كتفها مما جعل جابر الذي تلبس جسدها يشعر بالقشعريرة تسري بأحراشه، حاول كذلك كبح أنفاسه اللاهثة ومحاولة الصمود حتى لا ينكشف أمره، فكان مستكيناً لا يتحرك مكانه يستمع إلى حديث إسلام الأشبه بفحيح الثعلب بالنسبة له على الرغم من أن الحقيقة أنه كان يتحدث بصوتٍ رخيم هاديء:

-فاكرة يا داليا عيد جوازنا إلي عملناه السنة إلي فاتت ؟ ... عملناه في الشقة دي

لم يكن يعلم جابر أن إسلام يستدرجه بتلك الأحاديث الكاذبة وظن لوهلة أنها حقيقة، فهو لا يعلم أن إسلام ماهرٌ بالكذب ولا يستطيع أي شخصٍ التفارقة بين حديثه الحقيقي والكاذب، فلامح الهدوء تُرسم على وجهه في كلتا الحالتين مما جعل جابر يُصدقه ويرسم ابتسامة زائفة على وجهه وهو يقول مُدعيًا الاستذكار:

-أه طبعاً فاكرة .. هو ده يوم يتنسا

تجهم وجه إسلام بعد حديثه الذي أكد له أنها ليست زوجته، ومع ذلك أراد التأكد أكثر فسأل مجدداً:

-طب فاكرة بقى أنا قولتلك إيه في اليوم ده

مثلّ الهيام بحديثه حتى يقتنع جابر أكثر ويعتقد أنهما كانا يتشاركان لحظات رومانسية كزوجين بالعام الماضي، لا يعلم حتى أن زواجهما لم يمر عليه سوى ثلاثة أشهر فقط.

زادت حرارة جسده تزامناً مع ارتبائه الذي إزداد أكثر مما جعله يُبعد ذراع إسلام المطوّق لخصره حتى يبتعد عنه متحججاً بأية حجة تساعد على الهرب:

-أيوة فاكرة بس ممكن أروح أعمل حاجة الأول؟

قالها بدلالٍ زائفٍ لاحظته إسلام فوراً ولاحظ كذلك أنه يتهرب من الإجابة، فما إن ابتعد جابر عنه حتى رماه بنظراتٍ ثاقبة كمنظرات الصقر وداخله يقين بأن التي أمامه لم تكن دالياً، بل هو متيقنٌ كذلك أن هناك رجلٌ تلبسها، فحركاته وطريقة مشيته وهيئته المشعثة أثبتت له ذلك، فقد كان مكانه بأحد الأيام، لكنه لن يسمح بذاك الجسد أن يستوطن زوجته طويلاً، يجب أن يعلم أين هي الآن...

هناك عدة أنواع من الفرار، فرار من الواجبات، فرار من الحياة الإجتماعية، فرار من المنشآت التعليمية و... فرار من مجرمون لا تعلم لم يتبعونك!!

تهرول بأقدامها بين الطُرقات الضيقة ووجهها يحمل تقاسيم الرهبة والهلع، فخفقات قلبها تكاد تضحى مسموعة من شدة إرتفاعها.

ينتشر الضجيج من حولها كلما إقتربت أكثر نحو الأسواق الشعبية وهؤلاء المجرمون لا زالوا وراءها لا يستطيعون اللحاق بها بسبب سرعة ركضها، وهي كذلك لا تعلم كيف يركض ذاك الجسد بهذه السرعة الفائقة، فهي في حياتها الحقيقية لا تقدر على صعود بناية مكونة من أربع طوابق وتستخدم المصعد حتى لا تشعر بالإرهاق، أما بتلك الحياة، فهي تهرول منذ نصف ساعة ولم تتخامل سرعتها حتى الآن.

قطع طريقها مجموعة من النساء يتجولن بين الأسواق لكنها دفعتهن بحدة جعلت صوت صرخاتهن يتعالى أكثر حتى عم الهرج والمرج في الأرجاء، تكاثر الرجال

وراءها وطفقوا يطلقون طلقاتٍ عابرة من أسلحتهم جعلت الجميع يختبيء كي لا تُصيبهم تلك الطلقات.

لم تتوقف عن الركض وقلبيها يكاد يقف من هُوّل الموقف، وجدت أمامها بناية غير مكتملة البناء فقررت الصعود لأعلى كي تحتمي بداخلها وتختفي عن أنظارهم، لكن حظها العثّر جعل الرجال يشاهدونها وهي تصعد البناية ويقوموا باتباعها.

كادت تصعد بالمصطبين حتى تبتعد عنهم إلى أن وجدت نفسها بالطابق الثاني، توقفت بضع ثوانٍ تنظر للرجال بنظرة عابرة ثم تنظر أمامها وتكتشف أنها إذا واصلت الصعود إلى سطح البناية فستجدهم وراءها يكيلون لها الأهوال؛ لهذا السبب قررت أن تتوقف عن الصعود وتحاول الهرب قبل أن تطولها تلك الرصاصات الطائشة.

تحركت بسرعة نحو أحد الشقوق غير مُكتملة البناء لتقف داخل بهوها تحديداً عند النافذة، وجهت بصرها لأسفل لترى المسافة بين هذا الطابق والأرضية التي لم تكن بهذا الطول، خاصة وهي ترى أسفلها مباشرة عربة كبيرة تحتوي على مجموعة هائلة من الرمال مما ستمنعها من تلاحم جسدها بالأرض وإصابتها بالكسور، أو بمعنى أدق، إصابة هذا الجسد النحيل الذي تتلبسه بالكسور.

حسناً، لا يوجد وقت للتفكير الآن، عليها القفز بسرعة خاصة بعد أن رآها أحد الرجال وأمر البقية بأن يتبعوه داخل هذا المنزل.

تصاعدت نبضاتها في تلك اللحظة وكانت تخشى القفز من هذا الإرتفاع، فهو لم يكن مرتفعاً، لكنه أيضاً لم يكن منخفضاً، فربما المسافة تُقدر بمترين أو أكثر بقليل، لكنها إن لم تقفز، فعلى الأغلب ستلقى حتفها وتترك المجال لروح أخرى أن تتلبس جسدها الحقيقي للأبد!!

سرقت نفساً عميقاً ثم أطلقتته لتقاوم خوفها وارتجافة جسدها وتصعد بقدمها فوق النافذة ثم...

غمامة كثيفة من الرمال لطخت السماء فور اختراق هذا الجسد الثقيل كُثبانه، تشعر بأعضاء جسدها تتحطم وهي تستلقي على بطنها فوق الرمال التي بدأت تدثرها.

رفعت جسدها قليلاً وهي تتأوه بألمٍ وتقول:

-أه ياني أه ... قال وأنا إلي عاملة فيها السقا وبنط بقلب جامد

بقيت تتأوه بألمٍ وهي تشعر أن أضلع صدرها تكاد تتهشم من شدة إرتطامها بتلك الرمال الكثيفة التي لا تعلم كيف كانت تُشبه الأرض الصلبة وهي ترتطم بها، ما إن رفعت جسدها عن الرمال حتى بدأت بالسعال بعد أن اخترقت ذرات الرمال جوفها كما اخترقت جسدها بالكامل، فهي الآن تُشبه كتلة متحركة من الرمال.

استطاعت القفز من تلك العربة لثَنُفُض ثيابها وتواصل سيرها بعيداً عن هذه العصابة، بل بعيداً عن تلك المنطقة الغريبة قبل أن تلقى حتفها، لكن يبدو أن الحياة ستُفاجئها ككل مرة، فما إن رفعت وجهها عن الأرض حتى شهقت بُرْعِبٍ لثُحْتَقِن أنفاسها وتتوسع حدقتيها.

وجدت قُوْهَةَ السلاح مصوِّبة نحو رأسها مباشرة وتلك الابتسامة الماكرة المنتقمة والتي أضحت غاضبة تُرْتَسِم على ذاك الرجل الغليظ المائل أمامها؛ تراجعت بضع خطواتٍ للوراء كي تحاول الهرب مجدداً، لكن هذه المرة هي هالكة لا مُحَالَة، فما إن التفتت حولها حتى وجدت المزيد من الرجال يُحاوِطونها ويُشْهرون أسلحتهم على رأسها حتى رفعت يدها باستسلامٍ لقدرها وداخلها يتمنى لو تصرخ وتنفجر بالبكاء كالطفل الرضيع، فربما هذه هي آخر لحظة بحياتها... !!

خُصَلات شعرها البُرْتقالية تنسدل على كتفيها وهذه اليد الرقيقة تحاوطها وتداعب خصلاتها بحنان، فكانت الابتسامة تترزين على ثغره وهو يُحْمَلق بعينيها الزرقاء متأملاً ابتسامتها الساحرة بعشقي فيفيض بداخله ويزداد يوماً عن يوم، فلطالما كانت أمنية حياته أن يتزوج من فتاة يُحبها كي يُدللها يومياً على الرغم من أن والده كان أرنأ يُعامل والدته معاملة جافة وكثيراً ما يخونها، ولأنه كان يمقت والده، لذلك قرر

أن يضحى مُخلصًا عاشقًا لأي امرأة ستقتحم حياته وتُزهر أفنان حياته بورودٍ وردية
خلاقة.

ضمها نحوه وهما يجلسان على الأريكة وكانت يديها تُمسدان على معدتها المُنتفخة
تنتظر بلهفة هذا الطفل كي يأتي ويتوّج علاقتهما، فكان مُعترٍ يردف بابتسامة مُتغزلة
على ثغره وكلماتٍ متسألة:

-تعرفي إيه الفرق بينك وبين انت ؟

لم تكن تعلم الإجابة لكنها تعلم أنه يُغازلها لذلك اتسعت ابتسامتها وهي تسأل بدلال:

-إيه ؟

-النت 4G و انتِ me4

لم تكذ تُظهر ابتسامتها الحرجة حتى ظهر إسلام من العدم وانقض عليه كالاسد، فهو
لا يطيق تغزلاته ولا عشقه المبالغ به والذي يُصيبه بالتقيؤ؛ فكان يمسكه من تلايبه
هادرًا بتهديد:

**-قسمًا بالله فلترتاية تانية وأكون راميك من البلكونة ... ما هي مش ناقصة مُحن
على الصبح**

تذمر مُعترٍ وهو يحاول إبعاد قبضة إسلام عنه متفوّهاً:

-يا أخي بقي كل شوية تقطع لحظاتنا الرومانسية

هتف إسلام بوجهه بنبرة قاطعة:

-بلا رومانسية بلا مهلبية مش عايز اسمع فليرتات ومُحن تاني

ترك تلايبه ليبتعد بضع إنشات كي يسأل بجدية:

-لؤي فين ؟

عدلُ مُعتز من هُنداب نفسه ولا زالت عوالم التذمر تلوح على وجهه أثناء إجابته:

-هتلاقيه في البكونة

أوما إسلام وكاد يتجه نحو الشُرفة لكنه أرفد بأمر:

-خليك هنا إنت وكوكي عشان عايزكم في حوار

قطب مُعتز حاجبيه بحيرة وهو يسأل:

-حوار إيه ؟

اختصر إسلام الإجابة بقوله:

-هتعرف بعدين

هدر بتلك الكلمات ليتجه صوب الشُرفة، فما إن اختفى عن ناظريهما حتى عادت ابتسامة مُعتز المُتغزلة تزامناً مع التفاته مجدداً نحو كوكي التي كانت تبتسم ابتسامة خجولة بسبب حديثه الهائم:

-كنا بنقول إيه...-

سُرقت نفساً عميقاً تغلغل صدرها ليُصيبها بشذراتٍ من الراحة والسلام، فرائحة البحر وهذا الهواء النقي المُجتمع مع تلك النسومات يجعلها تؤد الاستلقاء على الفراش وإغلاق عينيها، مُنذ فترة طويلة وهي لم تحظى بتلك الراحة، خاصة بالفترة الأخيرة التي كثرت بها الأحداث المجنونة والعديد من الكوارث، فيكفي زفافها الذي انتهى بكارثة جحيمية.

ارتشفت رشفة من شايها ثم عاودت تأمل السماء برفقة لؤي الذي يقف قبالتها ومعه كوبٌ من الشاي يسنده على سور الشُرْفة ليرتشف منه عدة رشفات وهو يتأمل معها البحر والأجواء الهادئة الشاعيرية التي لا يحظى بها سوى نادراً، فكان يستمع إلى حديثها الذي كان:

-يااه ... بقالي كثير أوي محستش بالراحة ... مع إني زمان كُنت شايفة إن حياتي مملة ... بس دلوقتي .. بقول يارنتي أرجع للحياة المملة دي وماشوفش إللي شوفناه الفترة الأخيرة

ارتشفت رشفة أخرى من شايها ثم واصلت الحديث بأمل:

-ياريت نفضل في الهدوء ده وميكونش في مشاكل تاني

لم تكذ تنهي حديثها حتى اندفع إسلام نحوهما هاتقاً:

-تعالو بسرعة عشان في مُصيبة

تبادلت النظرات ما بين قمر ولؤي حتى أَرَدَفَ لؤي بحسرة:

-شكل الراحة مش مكتوبالنا

ترك كوب الشاي على سور الشُرْفة ليجذبه إسلام كي يأتي معه لاجتماع طارئٍ عليهما القيام به، فما إن ترك لؤي الشُرْفة حتى تبعته قمر وداخلها هالة من القلق على تلك المشكلة التي يتحدث عنها إسلام، فيبدو أن الراحة لن تأتيهم أبداً، بل أن الراحة لا تعرف طريقاً لحياتهم من الأساس...

تجمعوا كالحلقة حول بعضهم داخل بهو المنزل القابع بالأسكندرية، فهناك أمر طارئٍ عليه أن يُخبرهم إياه وإلا تعرضت حياة زوجته للخطر، فهو مُتَيْقِنٌ من تلك الشكوك و عليه أن يفصح بهم وإلا تعقدت الأمور أكثر...

-في إيه يا إسلام ... عايزنا في إيه ؟

سأله لؤي بقلقٍ ليتعجب من التفات إسلام حول نفسه وكأنه يتأكد أن لا أحد يسمع، أو بالمعنى الأدق، مُخترق جسد زوجته...

-ركزو معايا عشان إللي هقوله مهم جدًا

قالها بصوتٍ خافتٍ زاد من رهبتهم وقلقهم مما هو قادم، فكان يتحدث إسلام بصوتٍ يكاد يصل إلى الهمس وهو يقول:

-إللي هناك دي مش داليا

ما إن أدلى تلك الجملة حتى تبادلت نظراتهم بحيرة وعدم تصديق، فكيف يقول أنها ليست داليا وهي أمامهم تتحرك بجسدها وهيبتها المعتادة، قطع معتر هذه الحيرة بسؤاله:

-إزاي يعني لا مواخدة ... أو مل إللي جوا دي تبقى مين ؟ ... قرينها

هتف آخر كلماته بصوتٍ مرتفع جعل إسلام ينهره وهو يقول بهمسٍ حتى لا يصل مسامعه إلى ذاك الدخيل:

-إسكت يا حيوان ... أنا قصدي إن إللي جوا دي ... جسم داليا ... بس إللي جوا جسم داليا ... مش داليا

إزدادت حيرتهم أكثر وطفقوا يتبادلون النظراتِ بتيهٍ أبرز حيرتهم من حديثه الذي لا يستطيع ذهنهم استيعابه، فحتى الفاقد لعقله لن يُصدق مثل هذا الهراء...

-إسلام ممكن please تفهمنا ؟

طلبت منه كوكي برجاءٍ ليتقدم هو بجذعه ويبدأ التفسير بجدية وصوتٍ هامس:

-بُصو ... إلهي هناك دي ... لا يُمكن تبقى داليا ... أنا كلمتها عن عيد جوازنا السنة
إلهي فانت ومكنتش فاكرة

تدخلت قمر لتبرر لها ببلاهة:

-طب ما يمكن مش فاكرة فعلاً ... ما كلنا بننسى

نهرها إسلام بصوتٍ خافت:

-بننسى إيه ... إحنا السنة إلهي فانت مكناش متجوزين أصلاً

ضربت قمر جبهتها بتذكرٍ قالت معه:

-أه صحيح .. دا إنتو متجوزين من ثلاث شهور

تقدمت كوكي بجذعها قليلاً وكانت ترغب بالتقدم أكثر لولا بطنها المنتفخة من جنينها
القابع داخل أحراشها، كانت تُقطب حاجبيها وتسال بجديّة:

-طب والعمل ؟

قطع لؤي إجابة إسلام بإجابة صارمة:

-إحنا نتكلم مع إلهي جوا جسم داليا ده ... ونفهم منه هو مين، وداليا فين...

استحسنوا اقتراحه ووثبوا من مقاعدهم فيما عدا كوكي التي بقيت جالسة تتابعهم من
بعيد، تحركوا كعُصبة واحدة نحو من اخترق جسد داليا وطفقوا يطوفونه بطريقة
أرعبته وجعلت أوصاله ترتجف...

-فف... في إيه يا جماعة ؟ ... إنتوو... بتبصولي كدة ليه ؟

هتف بها من اخترق جسد داليا أمام نظراتهم المترقبة والتي قطعها إسلام بابتسامة
مرعبة أردف معه:

-ما تيجي يا حبيبي تقدي معانا...

تردد من اخترق جسد زوجته للحظات لا يُريد الإقتراب نحوهم لشعوره ببعض
الخطر، فتلك النظرات وحدها تُصيبه بالقشعريرة...

أحاطه إسلام بذراعه لتزداد رهبته خاصة مع كلمات إسلام التي تبدو ودودة رغم ما
تكنيه من مُكر...

-تعالى بس متخافيش...

أجلسه إسلام على الأريكة ليقف هو قبالتة بنظراتٍ حاقدة وجواره مُعترز يرمقه بغرابة
يليه لؤي الذي كانت نظراته متوعدة وهو يقترب بجذعه نحو من اخترق جسد داليا
متفوّهاً بنبرة خافتة مُهددة:

-هو سؤال واحد .. ومش هكرره ... إنت مين ؟

تصعب من اخترق جسدها عرقاً وأخذ يُبادل نظراته بينهم ولسانه لا يستطيع الحديث،
فهو لا يعلم ما الذي أتى به داخل هذا الجسد، ولا يعلم ما يُمكن أن يحدث له بينهم،
وحتى لا يعلم كيف يُخبرهم الحقيقة..

-أ.. أنا..أنا .. أنا داليا

قالها بارتباكٍ واضح أكد شكوكهم خاصة لؤي الذي تفاقم غضبه وجعله يمسك من
اخترق جسدها من تلايبه ويهتف بوجهه:

-ولا ... إحنا عارفين إنك مش هي ... فيا تتكلم وتقول الحقيقة ياما هعملها معاك

تدخل إسلام كي يدفع لؤي بعيداً عن جسد زوجته بحدة:

-بس يا لؤي ... دا جسم مراتي بردو ... خليني أنا هتصرف معاه

استجاب لؤي لحديثه وابتعد عن جسد داليا كي يقترب إسلام نحوه ويمسك جسد زوجته متفوهاً بحدة:

-اسمع يلا ... قول الحقيقة دلوقتي ... إنت ...فين ؟

فتح من اخترق جسدها فمه ببلاهة وعدم فهمٍ لهذا السؤال، بعدها آجاب بما توصل إليه عقله:

-هاا .. أنا أهو

شدد إسلام من قبضته وهو يدفعه للأمام والوراء ويهتف:

-مش قصدي إنت ... قصدي جسمك فين ؟ ... وإنت مين ؟

تؤسل له وهو يُحاول التملص من قبضة إسلام بقوله:

-خلاص هقولكم أنا مين بس سبني

ابتعد عنه إسلام وبقي يُطالعه هو وبقيتهم بترقبٍ شديد.

-أنا اسمي جابر الحرامي ... وصحيت لقيت نفسي هنا

هتف جميعهم بنفسٍ واحد:

-حرامي!!

عدّل جابر من هندام نفسه وهو يهتف بفخر وابتسامة تُزين ثغره:

-أيوه .. أصل أنا حرامي

لاحت عوالم البلاهة على وجوههم من ذاك الأحمق الذي يعترف على نفسه بهذه البساطة، فهو لا يعلم أن القابع أمامه هو ضابط ومن الممكن أن يُلقي القبض عليه بعد هذا الإعتراف الأحمق....

تقدم نحوه إسلام ليهوي بيده على كتفه متفوّهاً:

-ماشي يا عم الصريح ... ممكن بقى ترجع لجسمك وتجبنا داليا ؟

بقي يُبادل نظراته بينهم بتيه لا يعلم كيف يفعل هذا، فكان يهتف بحيرة وهلع من نظراتهم الثاقبة:

-أا..أعمل إيه ؟ .. أنا جيت هنا بالغلط والله ... ومش عارف جيت إزاي

هدأ إسلام من روعه وهو يُربت على كتفه متفوّهاً بنفاد صبرٍ من توّسلاته وبعض الجدية حتى يعلم ما عليه فعله:

-خلاص ... ركز معايا كويس

اعتدل جابر ليُمعن التحديق بإسلام الذي كان يقص عليه طريقة العودة إلى جسده بيديه اللتان تُمثلان الشرح جيّداً، فكان يُغلق عينيه ويقول:

-غمض عينك ... وخذ نفس عميق ... وركز كويس على الطاقة إيلي جواك ...
عشان دي لو اتحكمت فيها هتعرف ترجع

نفذ جابر تعليماته وأغمض عينيه ليسرق نفساً عميقاً يحاول معه تنفيذ ما يقوله إسلام، سادت حالة من الصمت لوهلة وهم يتبعونه بنظراتهم لعله سيختفي وتعود داليا إلى جسدها ... لكن ما حدث هو...

فتح جابر عينيه ليسأل ببلاهة:

-هو يعني إيه طاقة ؟

ضرب إسلام جبهته من حماقة هذا الذي اخترق جسد زوجته، فيبدو أن إعادة الأمور كما كانت ستضحى أصعب مما يتخيله، خاصة وهم متيقنون أن التبديل أتى من ناحية هذا الأحمق.

-الواد ده شكله أغبي من معتز-

قالها لؤي بسخرية جعلت معتز يتذمر ويتشاجر معه لفترة قصيرة قطعها إسلام بحدة وتساؤل:

-بس إنت وهو ... إحنا لازم نفكر هنرجع داليا إزاي؟

تدخلت قمر بالحديث لتُدلي اقتراحها:

-هو إنتو مش قولتو إن التبديل بيقد أربعة وعشرين ساعة بس؟

أوماو رؤوسهم إيجاباً فواصلت ادلاء اقتراحها بثقة:

-يبقى خلاص ... إحنا نستنى الأربعة وعشرين ساعة .. وأكد داليا هترجع

استحسنوا هذه الفكرة وقرروا الإنتظار لعل داليا ستعود وحدها، لكن جابر قطع حديثهم بتفجيرهم لتلك الفنبلة ببعض التردد:

-لأ ... ما هي كدة مش هترجع

انتبه الجميع لحديثه وبوادر القلق بدأت تلجم وجوههم..

-يعني إيه مش هترجع؟

هتف إسلام بذاك السؤال ببعض الحدة ليزرد جابر ريقه قبل أن يُفسر الحقيقة بارتباك:

-أصل أنا عليا تار ... والمعلم جعبري حالف ليموتني انهاردة ... ف..لو داليا جوة
جسمي ... يبقى هما هيقتلونها خلال كام ساعة..

الفصل الثاني (قرار إجباري)

لا ندرك أهمية الشيء إلا في اللحظة التي نشعر بها اننا سنفقدده، ففي تلك اللحظات يتقاذف في ذهننا الذكريات واللحظات الحميمية التي جمعتنا مع ذاك الشخص، فكأن عقلاً يتلذذ بتعذيبنا، فهو في الاوقات الأخرى يجعلنا نتذكر أسوأ ذكريات جمعتنا به حتى يزداد شعور المقت بداخلنا، وفي هذه الأوقات يجعلنا نتذكر تلك الذكريات السعيدة حتى نتحسر على عدم وجوده، فكم هذا العقل بارع في تعكير حياتنا.

كلماته كالسهم المارقة التي تُقذف عليهم بضراوة، فكيف يُخبرهم بهذه البساطة ان زوجته وصديقتهم ستلقى حتفها ولن يعرف اي شخص بهذا، يقسم إسلام انه سينقض على ذاك الجابر ويُبرحه ضرباً لتسببه بتلك الكارثة، فبالطبع هو الذي قام بالتبديل، لأنه لو كانت داليا لما عادت إلى جسدها بكل بساطة.

وجد يدها تنقضان على جابر ليمسكه من ياقته هادراً بغضب:
-انت بتقول ايه !! ... وربنا لو داليا حصلها حاجة لكون مخلص عليك

جذبه لؤي بعيداً عن جابر الذي كانت نظراته خائفة من توجههم إسلام وانقضاضه عليه بتلك الطريقة، فعلى الرغم من أن العلاقة بين إسلام وداليا لم تكن بهذه الحالمية والرومانسية، إلي أنه يخاف عليها ويكاد يفقد صوابه كلما اوهمه عقله بأنها ستلقى حتفها خلال دقائق، أو ربما ثوان!!

تقدم لؤي نحو جابر بنظراته الثاقبة التي سأل معها وكأنه يحقق مع أحد المجرمين:
-مين اللي عايزين يقتلوك؟

محم جابر برهبة وهو يعدل من هنداب نفسه مجيباً ببعض التردد:
-المعلم جعبري ... رجالته تقريباً بتراقبني في كل مكان وحالفين ليمسكوني، ودول لو مسكوني هيخلصو عليا

إزدادت قمر هلعاً وهي تقول:
-إحنا لازم نعرف داليا فين

ايدوا حديثها رغبة بمعرفة اين توجد داليا الآن قبل ان تتأذى، فكان إسلام اول من
بادر بالسؤال بنظراته الحانقة المصوبة اتجاه جابر وهو داخل جسد زوجته:
-عنوان بيتك إيه؟

أجاب جابر بسرعة وصدق:
-انا ساكن في جمع الفحّام

قطب معتر حاجبيه ظانًا من انه يعلم تلك المنطقة الشعبية التي يتحدث عنها جابر،
فهو أكثر من يعلم بالأماكن نظرًا لكونه سائقًا لفترة طويلة بحياته ربما امتدت لتلك
اللحظة.

-هو مش ده المكان اللي انت وداليا توهتو فيه امبارح؟

وجه حديثه نحو إسلام مما جعله يتذكر ما حدث ويتذكر انه اتصل بصديقه معتر
وظفق يصف له المكان حتى سأل عنه معتر وعلم بتلك المنطقة الشعبية الفقيرة القابعة
بأحد احياء الاسكندرية، لكن إسلام تذكر شيئًا آخرًا فقال:
-ايوة ... دا كمان كان في حرامي بيجري بسرعة وناس بتجري وراه

هذا ما قاله بناءً على ما استنتجه هو وزوجته بالأمس، لكن جابر تدخل بالحديث
بابتسامة فخورة وكأنه حاز على إحدى الجوائز:
-لأ ده مكنش حرامي... ده كان انا

كاد يرد عليه إسلام ويسأله عن سبب شعوره بالفخر من كونه لصًا، فهو حتى لا يعلم
أنه لصٌ فاشلٌ لا يسرق سوى الأشياء الساذجة عديمة الفائدة.

قطع لؤي هذا الحديث الذي كان على وشك أن يعتلي الزمام ليقدم بين إسلام وجابر
هادرًا بصراحة:

-لازم نتحرك عندها بسرعة

وهكذا انتهى الحوار بينهم وهم يتركون المنزل عازمين على إعادة تلك الروح
الضائعة إلى جسدها مجددًا.

تتغنج بمشيتها وهي تسير على هذا الطريق وحدها ومعها حقيبة تضع بداخلها مستلزماتها، فهي فتاة تبدو برعيان شبابها بل وتبدو وكأنها عادت للتو من دروسها، فلا يبدو عليها أنها ارتادت الجامعة بعد.

إقتربت هذا الفتاة من إحدى البنايات خاصة الطابق الأرضي الذي تقطنه بداخل هذه المنطقة البسيطة التي تحمل مزيجًا من العشوائية والأناقة، فلا هي منطقة فقيرة ولا منطقة مترفه، فتحت الفتاة باب المنزل كي تخترقه متجاهلة تلك النظرات الشهوانية التي تكاد تلتهمها وتلتهم سروالها الجينز الضيق وسترتها التي تصل إلى خصرها وإذا قامت برفع يدها فسوف ترتفع معها كاشفة عم ترتديه أسفل هذه السترة.

كانت عينيه السوداء وابتسامته الماكرة تُرسم على ثغره وهو يُحدق بتلك الصُور التي يلتقطها لتلك الفتاة البريئة، فهي لا تعلم أنها فريسة لأولئك الرُعاء الذين يتلذذون بجسد الفتيات المراهقات دون مراعاة لأي مبادئ أخلاقية أو دينية، فقط يُشبعون شهواتهم على حساب فتيات بريئة قد تتدمر حياتها بسببهم.

أنته مكالمة هاتفية قطعت لحظته الشهوانية واستبدلتها بأخرى جادة وضع معها الهاتف على أذنه مردفًا:

-ألو..

أجابته رجلٌ يبدو بالخمسين من عُمره وتقاسيم وجهه لم تكن تخلو من المُكر خاصة وهذا الغليون الذي يحمله بين اصابعه ويستنشق منه نفحاتٍ من الهواء ثم يُطلقها لتطوف غماماتٍ بيضاء تحمل دخانًا ملوثًا تُلطخ به أرجاء المكتب، والذي بالأصل داخل مشفى عريقة وكان هو صاحبها يجلس على مقعد الإدارة مرتديًا هذا الثوب الأبيض الذي يتفاخر به أمام الجميع رغم مُكره ودهاءه، فكيف يضحي طلال أهم عضوًا في منظمة فاسدة طبييًا شريفًا؟

-تعالى المُستشفى ضروري ... عندي عملية ومحتاج حد يمस्क الإدارة...

أغلق بعدها المكالمة ليتفحص هاتفه لفترة جعلت ابتسامته تزداد مكرًا وشرًا لما سيفعله بالأيام القادمة، فهو لن يتوقف عن إضمار الفساد حتى يقتنص الأموال والسلطة.

بعد مرور ساعة من الزمن وجد الباب يُفتح على مصراعية ليتوغل منه أحد الأطباء والذي كان يُراقب تلك الفتاة، فهو كذلك طبييًا مكرًا يتشارك مقعد الإدارة مع طلال الذي يعتبره ذراعه الأيمن، فما إن جلس على المقعد حتى قال طلال:

- عملت إلي قوتك عليه ؟

أوما رأسه إيجابًا ثم قال:

- أيوة ... والبضاعة هتتباع بكرة

نمت ابتسامه ماكرة مُنتصرة على ثغره ليثب بعدها عن المُقعد مُدليًا آخر كلماته قبل أن يترك المكتب:

- متنساش تخلص من الرجالة إلي ساعدونا ... مش عايزين شوشرة

ألقي تلك الكلمات أمام شريكه الذي أوما إيجابًا وداخله كمًا من الخِطط الماكرة والشهوانية سيُنفذها عاجلاً أم آجلاً، فهو يُعادل طلال مُكرًا ودهاءً...

تنهمر القليل من الدموع على وجنتها، أو وجنة هذا الجسد المقيت الذي تتلبسه، فهي الآن تجلس على الأرض ويدها مُكبلتان بالأحبال مع قلبها الذي لم تتوقف ضرباته حتى كادت تهوي فاقدة لوعيها، كانت تُفكر وقتها بأولئك المساجين الذين ينتظرون حُكم الإعدام، حيث يجلسون بحُجرة كتلك ينتظرون الجلاد كي يأمرهم بالوثوب فوق المقعد وإزهاق أرواحهم بالإجبار، لكن الفرق أنها ليست مُجرمة، هي حتى لا تعلم ما الذي فعلته، فلطالما كانت البريئة التي لا ترغب بأذية أي أحد، حتى أنها تمقت والدها

لأنه يأذي الجميع بحديثه، ولا تُريد أن تُصبح مثله، ما تُريده فقط هو الفرار من هنا
قبل أن تخسر روحها للأبد.

طالعت تلك النظرات الحادة المصوّبة نحوها من أحد الرجال الذين يحملون أسلحتهم
ويحرسونها، كان صوتها مُتلجلجًا خائفًا وهي تسأله رغبة بإضمار نيران خوفها
ببعض المعلومات التي ربما تُهديء القليل من روعها:

-لـ... لو سمحت ... هـ.. هو إنتو هتعملو فيا إيه ؟

طالعتها الرجل بنظرات حارقة ثم تجاهل سؤالها ولم يُعقب وكأنها لم تتحدث من
الأساس، هذا ما زادها إصرارًا وهي تتوَّسل مجددًا:

-وربنا أنا معملتش حاجة ..ممكن بس تخليني أعمل مكالمة سريعة ... مكالمة
واحدة بس ومش هطلب حاجة تاني

زفر الحارس الهواء من فمه بنفاد صبرٍ ليجيبها فيما بعد بصوتٍ صارم:

-إخرس يلا ... ومش عايز اسمع حس

توَّسلت له مجددًا وكادت الدموع تُذرف مع كلماتها:

-طب قولي هتعملو فيا إيه عشان أنا قلبي مقبوض

أجابها الرجل بنفس لكنته الغاضبة الصارمة:

-لما المعلم جعبري بييجي هتعرف.... ومظنش هتلق عشان لما بييجي هنخلصو
عليك علطول

أخذت تلعن حظها في تلك اللحظة وبعد كلماته التي زادت رعبها وجعلت أطرافها
ترتجف ومعدتها تتوَّعك، ناهيك عن دموعها التي عاودت الانهمار مع حُبيبات العرك
المُترصبة على جبهتها، فهي الآن تشعر وكأنها ميتة لا مُحالة.

أرجعت رأسها للوراء وبدأت بالغمغمة بقرارة نفسها لعل خالقها يُخلصها من تلك المحنة ويُعيدها مجددًا إلى جسدها، حاولت الضغط على عينيها ومحاولة التواصل مع تلك الطاقة اللعينة التي وضعتها بهذا المأزق، فمحاولاتها للعودة دائمًا ما تبوء بالفشل وكأن القدر يكتب عليها الهلاك دون أن تعلم والدتها وربما رفاقها، بقيت أنفاسها تتسارع ودموعها تنهمر ودعاءها يزداد حتى...

هرولت أقدام بالقرب منها حتى اخترقت تلك الحُجرة كي يهتف صاحبها بصراحة غطت لهفته:

-جهزه يا وافي بسرعة ... المعلم جعبري جه-

وها هم يعودوا مجددًا إلى تلك المنطقة الفقيرة التي بدأت من عندها المصائب، فلولا ضياعهما في تلك المنطقة لما رآهما جابر بالصدفة وحدث تواصل بصري بينه وبين داليا أمكنه من الانتقال إلى جسدها، غلطة بسيطة دمرت حياتهم وربما عرّضت حياة زوجته للخطر، كان قلبه ينقبض كلما توقع ولو للحظة أن يُصيبها مكروهاً، بل وبسبب هذا الأخرق.

توقفا أمام الباب ليُباشِر جابر الذي تلبس جسد داليا وجعلها تطرق بضع طرقاتٍ على الباب حتى تم فتحه بواسطة بابلو الذي يُعتبر زعيم اللصوص.

قُطِب حاجبيه بحيرة وهو يرمق كلاً من إسلام ولؤي وتلك الفتاة التي هي بالأصل جابر بعد أن اخترق جسد داليا، يبدو من هيئتهم أنهم من طبقة اجتماعية أعلى من طبقتهم، فملابسهم نظيفة لا تدل أبداً على ترعرعهم بمكانٍ فقيرٍ كهذا، هذا ما جعله يسأل باغتياب:

-أفندم ... مين حضراتكم؟

آجابه إسلام ببعض الاندفاع:

-إحنا عايزين داليا .. أقصد جابر-

تفحصهم بنظراتٍ ثاقبة أردفت معها:

-تعرفو جابر منين ... شكلكم مش من هنا

تدخل لؤي ليحاول التبرير رغم أن فضوله يلتهمه لاقتحام هذه البناية والقبض على من يقطنها، فعمله كضابط يجعله يستشعر روائح المجون والجرائم أينما ذهب، لكنه حاول الصمود حتى يعثر على داليا أولاً وحتى لا تتعد الأمور أكثر، فكان يهتف مبرراً:

-عادي يعني ... معرفة قديمة

نمت بسمة ساخرة على ثغر بابلو وهو يقول:

-جديدة ... من إمتى والولا جابر بيعرف ناس نضيفة

انفلت زمام الثبات من على وجه جابر مما جعله يهتف بتهكمٍ وبعض الغضب من هذه السخرية:

-ليه يعني ... مش قد المقام؟

كانت نبرته مندفعة كادت تُوَقِّعهم في مأزق، كما أن جابر كاد يقترب من بابلو كي يهتف بوجهه وربما يتفاخر بكونه يحمل باقة من العلاقات الاجتماعية متغافلاً عن حقيقة أن ذاك الجسد ليس جسده.

-اسكت يا غبي هتفضحنا

غمغم إسلام بتلك الكلمات بصوتٍ هامسٍ في أذن جابر وهو يُؤْبِخه، أما عن بابلو، فكان يرمقها بنظراتٍ مُتفحصة لهيئتها وسبب وجودها مع هذين الرجلين، بل

والأغرب، ما علاقتها بجابر الذي يظن الجميع أنه لا يخرج عن تلك المنطقة ولا يُصادق سوى الفقراء والمجرمين.

-ممكن بعد إندك تندهلنا جابر؟

قالها لؤي ببعض الصرامة والأدب مما أعاد بابلو من شروده وهو يُجيب:

-جابر مش هنا ... تلاقيه بيسترزق على أي تلتوار " رصيف"

لم يكد ينهي الحديث حتى استمعوا إلى أصوات أقدامٍ تهول نحوهم حتى ظهر من بينهم طفل صغير بملابسٍ مُهترئة وعلى وجهه تتكاثر حُبيبات العرق وكأنه كان في سباق، توقف عن الركض ليلتقط أنفاسه ثم يقول من بين لهاته:

-يا معلم بابلو..

رمقه بابلو باهتمامٍ وحيرة من مجيء الصبي وركضه وكأنه يُريد أن يُدلي خبرًا بالغ الأهمية:

-في إيه يا قاحون؟

حاول الصبي الصغير التقاط أنفاسه كي يواصل الحديث:

-المعلم جعبري ورجالته عكشو جابر وشكلهم هيخلصو عليه

تبادلت نظرات الصدمة بينهم حاصة جابر الذي شعر وكأن حياته سُتفارقه، بل هي بالفعل كذلك، لكن الفرق أنه عالق في هذا الجسد وربما سيبقى داخله مدى الحياة إذا لم يصلوا إلى حلٍ لتلك المُعضلة.

-إحنا لازم ننقذها بسرعة

قالها إسلام بضربات تخفق من الهلع ولم يكن يفهم بابلو لما يتحدث عن صديقه بصيغة الفتاة، لكنه لم يكثرث للأمر وتحرك من أمامهم هادراً بكلماتٍ صارمة:

-يبقى أكيد راحو المخزن ... أنا هروح أتفاهم مع المعلم جعبري ... هتيجو معايا؟

إندفع إسلام أمامه هادراً بثقة وخوفٍ على زوجته المسكينة:

-أبوة طبعاً رايعيين

وهكذا إنتهى الأمر وهم يتبعون بابلو إلى تلك البقعة التي احتجرت داليا بداخلها تنتظر الموت وتنتظر كذلك طوق النجاة، ولا تعلم ما الذي سيأتيها أولاً...

وقع أقدامه على سفحات الأرض يُصدر صوتاً مهيباً يُصيبها بالرعب، نظراته الحاقدة الشيطانية تكاد تتغلغل صدرها وهي جالسة على الأرض تتابعه بقلبٍ يضرب من الهلع وأنفاسٍ تتهدج كلما إقترب نحوها خطوة، تقسم أنها كادت تصرخ من البكاء في تلك اللحظة، بل حتى دموعها بدأت بالانحدار وهي تحاول تحريك جسدها حتى تتملص من هذه القيود.

وقفت أقدامه قبالتها مباشرة ليرسم ابتسامة متشفية على ثغره أظهرت أسنانه الصفراء ولمعة المكر بعينيه، هتف بغلٍ دفين ولكنة مُهددة أخرج معها السلاح من جعبته:

-أخيراً وقعت تحت إيدي يا جابر ... متعرفش كنت مستني اللحظة دي قد إيه

ابتلعت غصتها برعب وخرج صوتها متوسلاً وهي تقول:

-أبوس إيديك فُكني ... وربنا أنا أسفة ومش هعمل كدة تاني ... بس أبوس إيديك سبني ... ولا أقولك ... سبني انهاردة بس وبكرة إعمل فيا إللي إنت عايزه

وجدته يُقهقه بسخرية على حديثها المتوَّسل وكأنه يتلذذ برؤيتها تترجاه حتى يرحمها، لكنها لا تعلم أن جعبري لا يرحم أبداً، ويُعاقب كلاً من يمقته ويدحضه أشدِّ عقاب، رفع فوهة سلاحه لتتقابل مباشرة مع عيني داليا التي تلبست جسد جابر وازدادت ضربات قلبها طائفة بأن تلك اللحظة هي لحظتها الأخيرة، كانت تغلق عينيها بقوة جعدت معها وجهها وشفتيها لم تتوقفان عن الدعاء لعل ربها ينجدها باللحظة الأخيرة.

حرُّك إصبعه على الزناد وبدأ يضغط عليه ببطء جعل عذابها يزداد أكثر وقلبها يقرع الطبول بضراوة، لكن فجأة...

-يا معلم في رجالة عاوزينك برة

أوقفه هذا الصوت مما كاد يفعله ليخفض يده وابتعد عنها ليؤججه نظراته المستفهمة نحو أحد رجاله بعد أن أخبره أن هناك من يرغب بزيارته والحديث معه، تأفف بتذمرٍ على هذا الحديث بينما كانت داليا لا تزال تغلق عينيها تستعد للموت أو تعتقد أنها ماتت بالفعل.

ما هي إلا لحظات حتى فتحت عينيها ببطء تتحسس المكان حولها وأنفاسها تتصاعد ثم تهبط براحة بعد أن تأكدت من عدم وجوده بالحُجرة، أخذت تحمد ربها وتُطيل الدعاء حتى لا يأتي مجدداً ويُنفذ ما إنتوي فعله منذ قليل، وربما تلك المرة يُنفذه بالفعل..!!

وثب أمام المخزن ليلقى أمامه رجلان غريبان بينهما امرأة وثلاثتهم يرتدون ثياباً نظيفة لا تُناسب تلك المنطقة، كان بينهم رجلٌ ثالث يعرفه جعبري جيداً ولا يضمُر له أية عداوة، بل حتى لا يتحدث معه من الأساس، لكنه يعلم جيداً أن بابلو أكبر لصوص تلك المنطقة وأكثرهم مُكرماً وشهرة.

تحرك بابلو ليثب قبالة جعبري مباشرة هادراً بلكنة حادة صارمة:

-إبعد عن جابر يا جعبري .. وإلا هتفتح على نفسك باب جهنم وأنا إللي هكون
السبب

رسم بسمة متهكمة على ثغره وهو يدفع بابلو بعيداً متفوّهاً بعناد:

-مش هسيبه ... وحلّ عن سمايا بدل ما تحصله

زادت تلك الكلمات من غضب بابلو فدفعه دفعة مقابلة لدفعته ليردف بعدها بصوتٍ مُحتد:

-طب لو راجل وريني

كاد العراك ينشب بينهما لولا تدخل إسلام الذي حاول فض الجِدال متفوّهاً:

**-صلو على النبي يا رجالة ... إحنا مش عايزين خناق، إحنا عايزين نشوف جابر
ونمشي ... وصدقني ما نهوِّب ناحيتك تاني**

تنهد جعبري بعمقٍ أخذ يفكر بعدها في طلبهم، فما الضيّر من رؤيته لبضع دقائق ثم يعود وينتقم منه فيما بعد.

التفت نحو أحد رجاله ليُخبره بصرامة:

-إدخل هاته من جوة

أوما حارسه وافي إيجاباً ليدخل بعدها المخزن ويعود ومعه جابر مُكبلاً بأيدي المزيد من الحُراس، ما إن وثبت داليا قبالتهم حتى اخترق جسدها عبير الأمل وهي تنادي باشتياقٍ حمل العديد من لمحات الاستتجاد:

-إسلام ... إسلام الحقني

خفق قلبه من حديثها المستنجد ووجد لسانه يقول تلقائياً:

-متقلقيش يا داليا أنا هساعدك

تبادلت النظرات الحائرة بينهم بسبب هذا الأبله الذي يُنادي جابر باسم فتاة !! قطع
جعبري هذه النظرات بسؤاله:

-داليا مين ؟

تداخل جابر بالحديث إنقادًا للموقف:

-إيه ... أنا .. هو بينادي عليا

إقتربت داليا أكثر نحوهم لنتقابل عينيها بعيني جابر وكأن الطاقة بدأت تعمل في تلك
اللحظة، فسُرَّعَ ان ما انتفضت أجسادهما سويًا ليُطلق كل منهما شهقة عالية أصابت
الجميع بالحيرة، فيما عدا إسلام ولؤي اللذان أحسا بالسعادة والانتصار.

أفاقت من انتفاضها على مكانٍ آخرٍ وجسدٍ آخرٍ عادت إليه بعد فترة غيابٍ قصيرة
كانت بالنسبة لها دهورًا، فما إن عادت حتى أحاطت جسدها بكتا ذراعيها وكأنها
تُكاعم صديقة لم ترها منذ فترة طويلة، أعادت يدها مكانها مجددًا لتتقض على إسلام
الوائب جوارها وتعانقه بسعادة كادت معها تطير من الفرح، فهي قد نجدت للتو من
التهلكة ولا تُصدق أن خالقها أنقذها باللحظة الأخيرة.

كان إسلام يُشاركها هذه السعادة حتى قال باطمئنان:

-الحمد لله مفيش حاجة حصلتك ... يلا بقى نرجع بسرعة قبل ما حاجة تانية
تحصل

لم تُبدي أي من العلامات على وجهها الذي التفت تلقائيًا صوب جابر الذي أضحى
الآن مكبلاً بين أيديهم الغليظة يستقبل مصيره بنظراتٍ خائفة وقلبٍ مُضطرب، لا
تعلم لمَ أشفقت عليه في تلك اللحظة، فهي تعتقد أنها سببًا بالسماح لهم بالقبض عليه،
خاصة وهي تُدرك جيدًا شعوره الآن وما الذي سيلاقه من أهوال، جميع هذه
الأسباب جعلتها تعترض إسلام باستماتة:

-لا مش هينفع .. لازم ننقذه الأول

عارضها إسلام ببعض الحدة:

-ننقذ مين ... الناس دي مش سهلة وممكن يقتلونا

أصرت على قرارها أكثر بقولها:

-وأنا مش همشي من هنا إلا لما جابر يجي معانا

تدخل لؤي بهذا النقاش ليؤيد حديث داليا الذي كان صائبًا:

-عندها حق ... أنا مستحيل أشوف حد في خطر ومنقذ هوش

توجه بعدها ببصره نحو جعبري ليتقدم نحوه هادراً بصرامة:

-إفضل قول لرجالتك يسيبو جابر ... وإلا متلومش نفسك بعد كدة

كانت نبرته تهديدية لم تُحرك به قيد أنملة، فكان يأمر رجاله ببرودٍ أن يأخذوا جابر مجدداً إلى المخزن ثم يُعاود الالتفات نحو لؤي ليُجيبه بلكنته المُستخفة:

-هتعمل إيه ؟ ... فكرك يعني هتهدد بالبوقين دول

تدخلت داليا بالحديث وعيناها مقطبتان بغضبٍ من ذاك الحقير الذي لا تطيقه، فتؤسلاتها له لا تزال عالقة بذهنها وترغب بالانتقام منه على خوفها ورهبتها تلك الدقائق السابقة:

-إحنا إلهي هنعمل ومش هنسيبك تقتله

حرّك بصره ونظراته المُستخفة نحو داليا ليهتف بوجهها:

-وتطلي مين إنتِ كمان ... شكلك مش غريب عليا

كان يشعر أنه رآها سابقًا أو أنها تُشبه شخصًا كان يعلمه فيما سبق، استنتج إسلام هذا فورًا وألصقه بوالد داليا الذي ترعرع طفلة حياته بالأسكندرية قبل أن ينتقل للعمل ومواصلة حياته بالقاهرة، فهو كذلك يعلم أن والدها كان مشهورًا بين سكانه ولديه العديد من العلاقات، لا يعلم إن كانت علاقاتًا طيبة أم لا، لكنه فقط يعتقد أن هذا الأرعن ربما يعرفه.

وثب قبالة زوجته هادراً بفخرٍ ولكنة بدت مُهددة:

-ما لازم طبعًا تعرفها ... دا أبوها كانت سيرته مسمعة في أسكندرية كلها

انقبض قلبها على ذكر والدها وظنّت أن القادم لن يضحى هينًا، أرادت أن يتوقف إسلام عن الحديث لكن يبدو أن لا حياة لمن تنادي، فما إن التقطت أذنيه تلك الكلمات حتى سأل مستفسرًا:

-يطلع مين بقى أبوها ده ؟

سأله جعبري باستخفافٍ فأجاب إسلام بنفس لكنته الفخورة الصارمة:

-محمود رُستم

اتسعت حدقتا جعبري في ذهول مع ذكر هذا الاسم الذي جعله يسأل كي يتأكد أكثر من شكوكه:

-محمود رُستم !! ... إنتِ بنت محمود رُستم ؟

أشار على داليا مع سؤاله وكانت هي في وادٍ آخر ترتعد من الخوف وتكاد تلطم على وجنتها مما قد يحدث، أما عن إسلام، فكان يظن أن هذا سيساعد موقفهم لهذا السبب واصل التأكيد على حديثه بفخر:

-أيوة بنته...

كاد يواصل الحديث لكن داليا حاولت إيقافه بترج:

-اسكت يا إسلام الله يخليك

همس إسلام بأذنها مطمئناً:

-دا شكله يعرف أبوكي

لظمت داليا على وجنتها وهي تردف بدُعاء:

-دي هتبقى مُصيبة لو كان يعرفه.... إنت متعرفش أبوية

قطعهم جعبري بابتسامته المتهكمة وكلماته المؤججة صُوب حدقتيهما مباشرة:

-طالما بنت محمود رُستم ... يبقى لازم نكرموها...

رفع من صوته وهو يهتف برجاله:

-يا رجاله ... خدوها واحبسوها مع جابر

تصاعدت ضربات قلبها مجدداً وهي ترمق الرجال يحاوطنها ويدفعنها بعيداً عن إسلام ولؤي اللذان حاولا التدخل دون جدوى، فكادت تنفلت زمام الأمور خاصة من لؤي الذي أوشك على الانقراض عليهم لولا تهديده بأحد الأعيرة النارية وقيام أحد الرجال بدفعه دفعة قوية على صدره جعلته يكاد يرتطم بالأرض.

حاولت التحرر من قبضتهم والصراخ باستنجاٍ لكن دون جدوى، فكان رجاله ينقسمون مجموعتين، مجموعة تُكبل كلاً من لؤي وإسلام ومجموعة تأخذها إلى مصيرها المحتوم داخل المخزن، وهذا بسبب والدها الذي لا تعلم ماذا فعل، ولم يُريد هذا الرجل الانتقام منه عن طريقها، لكنها متأكدة أن والدها أهانه وربما شوّه طفولته، ولهذا السبب بدأت بالدعاء على والدها رغم أنها تحاول برّه طوال حياتها، حياتها التي ربما ستنتهي قريباً!!

-قسماً عظماً لو مسبتهمش لآكون مبلغ عنك-

قالها لؤي بصوتٍ حادٍ مُهددٍ حاول معه إخفاء حقيقة كونه ضابطاً، فهو لاء لا يعرفون قانوناً، وربما يُفتكوا به ما إن يُخبرهم تلك المعلومة، لم يُعيره جعبري أي انتباهٍ وهو يقول بثقة:

-ولا تقدر تعمل حاجة ... المنطقة دي مبيدخلهاش حكومة ... عشان لو دخلو مش هيعرفو يخرجو

تدخل بابلو بالحديث بنظراتٍ حادةٍ حاول معها الوصول إلى حلٍ لتلك المُعضلة:

-تاخذ كام يا جعبري وتسيب جابر والبت إالي معاه ؟

علق إسلام ببعض الترجي الذي امتزج مع نبرته الغاضبة:

-إحنا هنديك إالي إنت عايزه ... بس متخلصش عليهم

رمقهم جعبري ببرودٍ تامٍ أخرج معه لفافة تبغه من جعبته ليضعها داخل جوفه ويُشعلها كي يستنشق سُمها ويُخرجه على هيئة أدخنة تُلحح وجوهم وتخرق صدورهم، هتف بعدها وهو يتقدم نحوهم بنظراتٍ واثقة صارمة:

-قدامكم اختيارين ... الأول ... هاخذ على كل راس فيهم أرنب

احتقنت وجوهم وبدأت النظرات تتبادل بينهم في زعر، فهم يعلمون ماهية حديثه، ويعلمون هذا المبلغ الطائل الذي يطلبه والذي لا يمتلكون حتى ربعه، فمن أين يأتوا بمليونى جنيه!!

بعد فترة من الصمت سأل لؤي بحدة:

-والثاني ؟

عاد جعبري خطواتٍ للوراء هادراً طلبه بنفس لكانته الواثقة المُحملة ببعض الغل:

-تجيبو محمود رُستم يعتذرلي هنا قدام المنطقة كلها

إقترب نحوهما مجدداً هادراً آخر كلماته بتهديد:

-يا تعملو ده ... يا تعملو ده ... وإلا مش هتشوفو وش السنيورة تاني

تدخل بابلو ليسأله:

-طب وجابر ؟

وجه جعبري نظراته نحو بابلو هادراً بعد أن نفث القليل من دخان لفافته:

-هكرمكم وهخلي الاتنين دفعة واحدة ... بس شرط تنفذو إلي قولته

إبتعد عنهم ليُشير بعدها لرجاله أمراً إياهم:

-يلا يا رجالة ... إبعدهم عن هنا

نفذ رجاله الطلب وألقوا بهم بعيداً عن تلك المنطقة بأكملها عازمين على إيجاد حلاً لتلك المعضلة التي تضخمت أكثر من اللازم وجعلتهم يدورون حول أنفسهم في متاهاتٍ حتى وجدوا طريقة تُنجدهم بعيداً عن والد داليا سليلب اللسان والذي إذا استشاروه ستتعدد الأمور أكثر...

هدير الليل ورياحه العاتية تُحرك هذه الكُثبان الرملية حتى يتكوّن الضباب وتعمم الرؤية، وفي هذا العُتمة القابضة للأنفاس يقف مجموعة من الرجال بالقرب من سيارتين سوداويتين من الأتراك الحديث يقابلهما سيارة رمادية ليست حديثة الصيحة لكنها لاتزال أوتوماتيكية تكفي للسفر حول العاصمة.

حقيبة سوداء جلدية أمسكتها يد غليظة ترتدي خاتمٌ ذهبي عليه حجرٌ أسودٌ كقلب صاحبه، أظهرت يدها الخشنة السمينة أنه بالعقد الخمسين من عُمره وسمانته أظهرت ترفه وحبّه للمال والإمتلاك، وربما متاجرة الممنوعات أيضًا..

التقطت يدٌ أخرى هذه الحقيبة الجلدية ليظهر بعدها رجلٌ متوسّط القامة متناسق الجسد يميل إلى النحالة، لكنّ قسمات وجهه أعربت عن كونه مآكرًا خاصة عينيه الخضراء الحادة كالقنوط والتي بدت جذابة متناسقة مع بشرته الحنطية وثيابه الأنيقة المكونة من سترة صيفية رمادية أسفلها بنطالٌ من الجينز الأسود.

فتح الحقيبة الجلدية ليتفقد الأموال بداخلها ويتأكد من كونها أموالًا أصلية، بل ويحصيها بعينيه كي يتأكد أنها تُقدر بالألوف، انتظره الرجل ذو الخاتم لفترة حتى يحصل على البضاعة وتتم الصفقة كما المُتفق.

يقف رجلانٍ عريضي المنكبين طوال القامة خلف سيدهم لا ينطقان ببنت شفة ويُتابعان ما يحدث من بعيدٍ كأنهما أتيا فقط لحراسة صاحبهم، أما عن الرجل المائل أمامهم والذي يُدعي ميگو ، فبعد أن تفقد الأموال وأنزل الحقيبة إلى أسفل بالأقرب منه حتى التقطت يده الأخرى حقيبة سوداء صلبة مصنوعة من الجلد وتأخذ شكل المربع المائل للمستطيل، فهي تلك الحقيبة التي يتم ملئها بالمستندات المُهمّة، لكن في حالتهم تلك، كانت مملوئة بكل ما هو مُذهب للعقل ومُحرم على النفس.

مدُّ ميگو تلك الحقيبة أمام الزعيم الذي التقطها بنظرات ثاقبة وقد لاحظ خطوات ميگو التي كانت ترتد للوراء تباغًا.

رسم ميگو بسمة مآكرة على ثغره وهو يقول:

-بالسلامة بقي-

لم يكد ينهي حديثه حتى فتح الزعيم المدعو بإدريس الحقيبة السوداء والتي انفجرت بوجهه وأطلقت أدخنة بيضاء جعلت الضباب ينتشر في الأرجاء ويزيد من تشوُّش الرؤية، وهذا ما أراه ميگو بالضبط، أن يحصل على المال، والبضاعة أيضًا!!

انتهم سعالهم وعدم رؤيتهم ليتحرك بسرعة ومعه حقيبة المال التي استقل بها سيارته وطفق يعدو بسرعة قبل أن ينتبه له الرجال، فما إن تأكد من ابتعاده عنهم حتى أخرج جواله من جعبته ووضعها على أذنه متفوهًا:

-أنا عايز أقدم بلاغ... في تجار حشيش...

شارفت الساعة على التاسعة مساءً وهم داخل منزلهم بعد أن تدمرت إجازتهم بسبب تلك المعضلة، فيبدو أنهم لن يحظوا بأي إجازة بحياتهم.

يدور إسلام حول نفسه بأفكاره المشتتة وقلقه الذي يتفاقم مع مرور الوقت، فكون زوجته تقبع الآن بين حفنة من المجرمين يجعله فاقداً لصوابه وداخله نيران من الغضب والخوف، كانت تجلس قمر على الأريكة وجوارها كوكي تحاول النقاش معهم بعد أن استمعوا إلى ما حدث من لؤي وإسلام اللذان أخبراهما الحكاية مراتٍ عدة، فكان يهتف إسلام بصوتٍ مضطرب:

-دول عايزين اتنين أرنب ... دا أنا لو بعت شقتي مش هنجيبهم

علقت كوكي على حديثه ببلاهة:

-هو إنتو قلقانين كدة ليه ... It s just two rabbits ... يعني ممكن نجيبهم من أي pet shop

كانت تتحدث ببساطة جاهلة عن حقيقة الأمر، لكن قمر تدخلت حتى تُفسر لها:

-لأ هما مش قصدهم الأرانب إلي بناكلها على الملوخية ... أرنب دي معناها مليون جنيه ... يعني هما عايزين اتنين مليون جنيه

سقط فك كوكي ما ان استقبلت هذه الصدمة وأدركت المأزق الذي وقعوا به، فعلى الرغم من ثراءها إلى أنها لا تعلم كيف تطلب من والدها مثل هذا المبلغ، ولا تعلم حتى لم يعاندهم القدر ويضعهم أمام المشكلات التي لا يوجد لها أية حلول.

-طب ما نروح نتكلم مع الحَج محمود ... أكيد هيجي عشان خاطر بنته

قالها لؤي مُفترحًا ليقهقه إسلام قهقه ساخرة قصيرة أُردف بعدها:

**-هو من ناحية هيجي ... فهو هيجي، بس مش عشان خاطر بنته هيجي
بيوُظ الدنيا أكثر وممكن يخلي كبورية ده يقتلهم**

صح معتر حديثه بقوله:

-قصدك جعبري

-يعم مش مهم كلها قشريات

قالها ساخرًا من اسمه واستحقرًا لهذا الحقير الذي دُمّر إجازتهم، وبعد مرور فترة من الصمت والتفكير المطوّل والجميع يجلس في مقاعدٍ حتى إسلام الذي تعب من التحرك في كل مكان وقرر الجلوس والتهدئة من روعه، تشدقت قمر متسائلة وقلبها ينهشها من القلق:

-طب هنعمل إيه في المصيبة دي ؟

لم يأتيها الرد وبقي الجميع يُفكر في الإجابة حتى وثب إسلام ليقف قبالتهم هادرًا بثقة ونظراتٍ صارمة:

-أنا عندي فكرة...

لا تدع وحش الانتظار يُسيطر على دواخلك، فإن كانت أمامك فرصة لاسترداد حقوقك، فانتهزها حتى ولو لم توتي ثمارها.

خطوات واثقة تطيء أركان هذه المنطقة حتى ظهر ظلين لرجلين عزمًا على مواجهة الصعاب حتى ولو كانت أجسادهما أصغر من تلك المواجهة.

يرتدي إسلام قميصًا أبيضًا تعمد فتحه حتى تظهر ملابسه الداخلية البيضاء وبنطاله الجينز الفاتح المهتريء، يرفع رأسه بشموخ ويلوي شفثيه في حركة متهكمة مقلدًا أحد المشاهير الذين يظهرون على التلفاز خاصة بالمناطق الشعبية، كان يعتقد أنه يُشبه المجرمون بتلك الهيئة وتلك العصا التي يحملها بإحدى يديه، لكن الحقيقة أن مظهره كان أبلهًا مبالغًا به.

يقف مُعترز بجواره بعد أن سايره بتلك الخُطة التي من شأنها إرهاب هذا المدعو بجعبري حتى يخشاهما ويسمح لهما بأخذ داليا وجابر من بين قبضته، تحرك إسلام حتى وقف قبالة جعبري مباشرة ليلوِّح بالعصا في الهواء هادرًا بصوتٍ مرتفع وصل إلى مسامع اللصوص الذين يتجولون بهذه المنطقة الأقل من الشعبية.

-جرا إيه يا حارة مفيهاش راجل-

قالها وهو يلوِّح بالعصا لكن مُعترز أوقفه ليهمس بأذنه منبهًا:

-إسلام ... على فكرة دي مش حارة-

أسكنه إسلام بحدة:

-شش .. اسكت متقطعنيش-

حمم بعدها ليوصل الحديث تزامنًا مع إقتراب جعبري نحوهما راميًا إياهما بنظراتٍ مُستخفة أردف معها:

-نعم ... إيه إلهي جابكم؟-

واصل إسلام الحديث بتلك اللكنة المتهكمة وشفتيه الملتوية على أحد الجوانب مقلداً
طريقة المجرمين بحديثه:

-من الآخر كدة يا زميلي .. إحنا عايزين إلكي يخلصنا ... ولو فاكرك إنك هتتحدانا...

أكمل معترز جملته على نفس النمط:

-بكرة تيجي وتترجانا

واصل إسلام بنفس تلك اللكنة:

-ولو فاكرك إنك قدها

أكمل معترز جملته مرة أخرى:

-هقولك ده عندها

آشار إسلام على نفسه بالعصا متفوّهاً بفخرٍ امتزج مع تلك النبيرة التي ظنّها إجرامية:

-عشان أنا إسلام أبو قرقاص ... يعني إلكي يُعضني يتداس

تبع معترز حديثه بصوتٍ حادٍ مندفع:

-وأنا معترز اللوم ... يعني إلكي يقع تحت الإيدي مش هيقوم

إقترب بعدها نحو أذن إسلام ليسأله بهمسٍ وتشكك:

-بقولك إيه يا إس ... أنا حاسس إننا بنحبي فرح شعبي

أجابه إسلام بهمسٍ ونفس نبرته الإجرامية الزائفة التي علقت به:

-اسمع الكلام ... الحوار ده بشوفه في الأفلام

علق مُعترِ على حديثه باستنتاج:

-إنت لسانك علق ولا إيه

تجاهل إسلام استنتاجه ليوصل تلك المسرحية التي يظن أنها ستؤتي ثمارها، فكان يُلَوِّح مجدداً بالعصا التي هي بالأصل العصا الخاصة بالمسحاة، لكنه يوهم الجميع أنها عصا خطيرة سيضرب بها من يقترب نحوه.

-ولو قرّبت ناحيتنا...

أكمل مُعترِ حديثه على نفس النمط والاندفاع:

-مش هتقلت من قبضتنا

-ولو عايزنها قلبان

-بالتوم والبتجان

هكذا أكمل مُعترِ ببلاهة أخرجت إسلام من طُور الاندماج لينهره بهمسٍ:

-توم وبتجان إيه إحنا في مطبخ الشربيني ؟

برر معترِ بصوتٍ هامسٍ:

-حاستها لايقة على القافية

ضربه إسلام على كتفه لينهره على إفساده لتلك المسرحية المُبتزلة:

-طب اسكت متفضحناش

محمد إسلام ليُنهي الحديث بنظراتٍ متوَّعة:

-يا تدينا إلهي يخلصنا

-يا نجيبك تحت رجلينا

هكذا أكمل معترز ليوصل إسلام حديثه:

-آمين ولا تقول على نفسك يا رحمن يا رحيم ؟

صمت بعد تلك الجملة ليُراقب تعبيرات جعبري الذي من المُفترض أن تخشع حصونه وتتبدد صرامته بعد تلك الكلمات المُهددة، أو التي ظنوها مُهددة، لكن ما صدر من جعبري كان عكس ما توقعوه تمامًا، حيث كان يُتابعهما باستخفافٍ وكأنه يُشاهد أحد الأفلام الكوميديّة المليئة بالدُعابات.

صدى صوت قهقهته أرجاء المكان مما جعل فرائسهما ترتعد خاصة وهو يقترب نحوهما بخطواتٍ مهيبّة واثقة مع نظراته المُستعلة المُستخفة، وثب قبالتها مباشرة ببسمته الساخرة وأصابه التي أشارت على رجاله الذين إقتربوا فورًا نحوهما وأشهروا أسلحتهم أمام إسلام ومُعترز خاصة عند وجهيهما.

إبتلع إسلام رمقه بذعرٍ وبدأت ضربات قلبه تتصاعد ظنًا بأن تلك اللحظة هي لحظته الأخيرة، لم تختلف حالة مُعترز عنه بخلاف أنه يُبادل حدقتيه بإسلام الذي ألقعه بأن تلك الطريقة سثُر هبهم وستجعلهم يخضعون لتعليماتهم، لا يعلم لم يُنفذ تعليمات إسلام دائمًا على الرغم من أنها تُوقعهم بالمصائب في كل مرة.

تقاطرت حبيبات العرق من جبهتهما وطفقا يتراجعان خطواتٍ للوراء تزامنًا مع حديث جعبري:

-مش أنا إلهي هقول على نفسي يا رحمن يا رحيم

تهدجت أنفاسهما وارتعدت فرائسهما حتى همس مُعترز بأذن إسلام مذعورًا:

-هنعمل إيه يا إس؟

آجابه إسلام ببعض الارتباك الذي حافظ معه على حكمته:

-في مثل بيقولك ... الجبن لغة العُظماء

قُطب مُعتر حاجبيه وهو يستفسر بهمس:

-هو مش الجبن ده بيتاكل

آجابه إسلام بصوتِ هامسٍ يحمل ارتعابه:

-لا ده إحنا إلهي هنتاكل

لم يسمعه مُعتر جيداً فسأله:

-إيه؟

تراجع إسلام خطوتين للوراء وهو يهتف بصوتٍ عالٍ:

-إجري يلا...

سرعان ما هرّول بسرعة هو ومُعتزوراه قبل أن يلحقهم أولئك الرجال الذين لم يتحركوا قيد أنملة، حيث كان جعبري يُتابعهما بنظراتٍ مُستخفة وابتسامة خبيثة أكدت على طُغيانه ومُكره الذي لن يتوقف قبل أن يُنفذوا طلباته...

تنهيدة حارقة خرجت من جوفه لتجعله مستسلمًا لقدره وتلك الحالة التي أضحي عليها، داخله العديد من التناقضات ما بين الاطمئنان بأنه لن يلقي حتفه الآن، وبين

الخوف من أنه قد يلقي حتفه فيما بعد، فرهبة الانتظار لا تُعادل رهبة الموت،
الانتظار بمثابة الموت البطيء.

التفت بحدقتيه حيث تجلس داليا على بُعد بضعة أمتارٍ عنه وكلاهما مقيدان بالأغلال،
وعلى عكس المعتاد، كانت تجلس في حالة من الصمت والهدوء وكأنها مُعتادة على
تلك الكوارث، فهي بالفعل مُعتادة عليها منذ معرفتها بتلك الفُفرة التي لديها والتي
أوقعتها في العديد من الكوارث وستظل تُوَقِّعها إلى ما لا نهاية.

أحس بشذراتٍ من الندم تدفعه للاعتذار منها، فهو من تسبب بوقوعها مع ذاك المدعو
بجعبري، وهذا لأنها فقط أرادت أن تتنقذ حياته.

وقعت تلك الجُملة على مسامعه كنغمة موسيقية أطربته، إنقاذ حياته !! ... منذ متى
وأحدهم يهتم بحياته حتى يُخاطر من أجله؟ فلطالما كان كالخردة البالية، يُلبي الأوامر
فقط دون أن ينبس ببنت شفة، بل وحتى يفشل بتلبية الأوامر ولا يتلقى سوى التوبيخ
والإهانات، لا أحد يُعامله بالحُسنى سوى بابلو الذي يعلم جيداً أنه سيتركه إذا تتطلب
مصلحته ذلك، فلا أحد يثق بالمجرمين واللصوص أمثالهم، وأمثاله أيضاً.

-أنا ... آسف-

قطع وصلة الصمت بتلك الجُملة التي جعلتها تنتبه لحديثه دون أن تُبدي أي من
العلامات، فقط علامات الهدوء والرضا هي التي ارتسمت على وجهها بعد أن سئمت
من البكاء على الأطلال.

-لا عادي ... أبوية هو السبب مش إنت-

قالتها ببعض الانكسار وشعورها وكأنها تدفع ثمن أخطاء والدها الجامة، فهي من
الأساس ليست على علاقة وطيدة به، تتحدث معه فقط بسطحية ودائماً ما تنتهي
بِعراكٍ يجعل دموعها تتهمر، وهذا لأنه لا يكثرث لمشاعر من حوله ويُهين الجميع
بكلماته الفظة التي يعتقد أنها عادية.

مرّت بُرْهة أخرى من الصمت قطعها داليا هذه المرة رغبة في الحديث ونسيان تلك الغُمة، وجهت بصرها نحوه كي تسأله ببعض الوُد:

- هو إنت مين ؟

أرادت بتلك الكلمات أن تتعرف عليه أكثر نظرًا لشعورها بالتية من تلك الدقائق القليلة التي قضتهم بجسده، والحقيقة أنها أرادت تكذيب حقيقة كونه لصًا حتى لا يضحى دفاعها عنه دفاعًا عن مُجرمًا يجب أن يُعاقب، تنهد جابر قبل أن يُجيبها بصدق:

-أنا جابر الحرامي ... بس ده مُجرد اسم

قطبت حاجبيها بحيرة من ذاك الاسم فسألته:

-يعني عيلتك اسمها الحرامي ؟

قهقه قهقهة بسيطة ساخرة على حديثها ثم أردف ببعض الألم الدفين:

-لأ ... أنا معرفش عيلتي ... ده المعلم شفيق هو إلهي سماني

عأقت على حديثه ببلاهة وعدم تصديق:

-إحلف ... بتاع سبونج بوب!!

لم يكن يعرف عمّ تتحدث لذلك سأل بحاجبين مُقطبين:

-مين سبونج بوب ده ؟

تداركت داليا حماقتها بقولها:

-لا فكك ... كمل كمل ... قولتلي بقى عندك كام سنة ؟

كانت ترغب في التعرف عليه أكثر لكنها وجدته يُجيبها بسرعة وبعض الثقة دون أن يُفكر بسؤالها حتى:

-عشرين-

أومأت داليا بتفهمٍ سرعان ما تبدل للحيرة بعد أن انتبعت إلى كونها تعلم كم يمتلك من الأعوام، فبالطبع هو في عُمرها هي وإسلام، لهذا السبب سألته باستنكار:

-ثانية واحدة ... عشرين إزاي؟ ... إنت المفروض تكون قدي أنا وإسلام يبقى
ثمانية وعشرين سنة

اتسعت حدقتيه بذهول وهو يقول:

-أيوه !! ... إنت عارفة أنا عندي كام سنة؟

رمقته بحاجبين يزداد بهما الغرابة وهي تسأله:

-هو إنت متعرفش؟

نفى برأسه وهو يُجيبها بصدق:

-لا محدش قالي...

-أومل إيه عشرين دي؟

سألته باستفسارٍ فأجابها:

-أنا معرفش غير من واحد لعشرين... عرفتكم من بابلو

لا تعلم لم نغصها قلبها لأجله، فعلى الأحرى هو لم ينل حظه من التعليم مثلها، وطريقة حديثه وجهله أصابنها بوغزة في فؤادها وشعرت بالظلم الذي يُحيط بحياته،

بُهِت وجهها وهي تُشير بحدقتها على تلك الندبة التي تعتلّي أسفل رقبتها والتي
استشعرتها وهي داخل جسده:

-وايه الجرح ده؟

سألته بفضول لتجده يُجيبها بمرحٍ حمل انكسارًا فاض من عينيه:

-أه... ده من المعلم شفيق ... أصلي معرفتش اسرق زي ما هو عايز... فعورني
بالبالطة عشان اسمع كلامه

أشاحت ببصرها عنه كي لا يستشعر نظرات الشفقة المُتدفقة من عينها وهي تعلم
تمام العلم أن نظرات الشفقة تُشعر من أمامها بالمهانة وتزيده ضيقًا، فمن يحمل ألمًا لا
يرغب بمن يُذكره بهذا الألم ويزيد من جرحه.

-شفيق ده صعب أوي ... أنا مش عارفة إزاي مستحملينه

وجه بصره للأمام وهو يُجيبها بقلة حيلة:

-قدرنا بقى ... أنا وعيت على الدنيا ملقتش غيره، وتقريبًا لقاني جنب صفيحة
الزبالة فأخذني رباني

مرّت برهة من الصمت أرادت بهم تطيب خاطرهم رغم نظرات الألم المتقاطرة من
عينيه والتي دائمًا ما تُذكره بحياته البائسة، قطعت وصلة الصمت ونفحات الضيق
بتغييرها لهذا الموضوع حتى تُرضي فضولها للمرة الثالثة:

-هو الراجل إللي حابسنا ده عايز منك إيه؟

كانت تسأل عن جعبري بصوتٍ محتقرٍ يحمل الغل من هذا الرجل، أما عن جابر
فكان يُجيبها بصدقٍ وبساطة:

-بينتقم لميني

ما إن أدلى تلك الكلمات حتى اتسعت حدقتيها مجدداً وهي تهتف بغير تصديق:

-بتاعت ميكي !! وانت عملتها إيه دي كمان ؟

تدارك جابر استنتاجها الأبله وأجابها بوجهٍ مُنكسٍ لأسفلٍ وطفرات الخزي والندم تحوم حوله:

-اتسببت في موتها ... بس وربنا كان غصب عني

انتبهت حواسها لحديثه بأهمية ما إن ذكر أمامها عبارة الموت، فهذا يعني أن ما حدث ليس هيناً بالمرّة، لدرجة أن يحاول جعبري قتله بأية طريقة، اعتدلت بجلستها وهي تسأله بجديّة:

-اتسببت في موتها ازاي ؟

تنحج جابر قبل أن يعتدل بجلسته ويبدأ بقصّ ما حدث متذكراً تفاصيل هذا اليوم الذي دُمّر حياته....

تتحرك قدماه على طريقٍ وعرٍ داخل طيات هذه المنطقة الفقيرة، خطواته هائلة وعيناه تُحدقان حوله يُفكر في حياته وفي طريقة يجلب من خلالها الأموال، أو بمعنى أدق يعثر على طريقة تُمكنه من السرقة وتنفيذ تعليمات شفيق الذي يُلقنه كما يُلقن بقية اللصوص وكأنها الطريقة الوحيدة لجني الأموال، فلا يوجد أمامهم طريقة أخرى تُغنيهم عن هذا الفقر وتُصمت معدتهم التي لا تتوقف عن إصدار أصوات الجوع.

كان يتحرك بشروءٍ حتى لمح نوعٌ من الطيور وهو طائر البط، فكانت بطة بيضاء اللون تتعنج بمشيتها أمام بناية متهاكّة كما بقية بنايات هذه المنطقة، ظنّ جابر أنها ضالة وآراد إعادتها إلى صاحبها الذي رُبما يقطن تلك البناية؛ أحنى جذعه لأسفل لينتشل تلك البطة عن الأرض ويُحاول هدهدتها حتى تستكين بين ذراعيه ثم يُعيدها من حيث أتت.

لكن الرياح أنت بما لا تشتهي السفن، فما إن حمل البطة عن الأرض حتى رآه أحد الرجال وأشار عليه هادراً بصوتٍ مُرتفع:

-إمسكو الحرامي ده..-

ظن الجميع أنه يسرق تلك البطة وسيهرب بها مما جعل الخوف يترصب داخل جابر وجسده بدأ بالارتجاف، فإن أمسكوا به سيتكالب عليه الجميع ويُبرحوه ضرباً عقاباً له على تلك السرقة التي لم يرتكبها، فعلى الرغم من أن جميع تلك المنطقة لصوص، إلى أن مبدأهم الأول هو عدم السرقة من أبناء المنطقة، السرقة فقط خارج المنطقة.

لم يشعر بقدميه اللتان جعلتاه يهرول بسُرعة ولا تزال تلك البطة قابعة بين ذراعيه لا يعلم لم لم يُلقي به على الأرض، فكأن يديه تشبكتا ولم يعد قادراً على تحريكهما، كما كانت تلك البطة في حالة من السكون لا تحاول الهرب حتى لا تسقط وتتهشم عظامها الهشة.

واصل الركض بين الطُرقات الوعرة إلى أن استطاع الهرب منهم ووصل إلى البناية التي يقطنها ولا تزال تلك البطة بين يديه، ما إن دلف البناية حتى وضعها على الأرض ليلتقط أنفاسه جِراء تلك المطاردة ويحاول تجفيف قطرات عرقه قبل أن تتساقط على عينيه.

حدثت تلك الواقعة في إحدى الليالي في وقتٍ متأخرٍ من النوم، وكانت تلك المطاردة سبباً بتهشيم عظامه وشعوره بالإرهاق، كما أنه إذا حاول التبرير لهم الآن فلن يُصدقه أحد وسيُلبسونه تلك التهمة الكاذبة.

ما إن وضع البطة على أرضية البناية حتى تحرك صُوب حُجرته رغبة في الاستلقاء والنوم، على أمل أن يُعيد تلك البطة إلى موطنها صباح الغد، لكنه لا يعلم أنه لن يستطع إعادتها أبداً، فما إن أشرقت الشمس واستيقظ من نومه حتى اكتشف أن أصدقائه قاموا بذبحها ليسترزقوا منها ويتناولها على الغداء، فهم لا يعلمون أنها أنت هنا بالخطأ.

-بطة !! ... يعني هو بينتقم منك عشان بطّة!!-

هتفت داليا بتلك الكلمات الغاضبة ذات النبرة المرتفعة ما إن أنهى سرد سبب الانتقام الذي اتضح أنه أبلهًا، وعلى ذكر البط، وجدها تهتف بتحسرٍ على حظها التعيس:

-هو البط ده ورايا ورايا

قالتها بناءً على بطة زوجة ضُرغام التي سببت لهم العديد من المشاكل فيما سبق، فيبدو أن البط لن يتركهم وشأنهم أبدًا.

لم يكن يفهم جابر ما ترمي إليه وحاول التبرير بقوله:

-أصل ميني دي ليها معزة عند المعلم جعبري ده غير أنه بيحب البط ومستحيل يخلي حد يمد إيدِه على البط بتاعه

ضربت رأسها بالحائط الذي تستند عليه وهي ترمق السماء ولا تزال تهتف بحسرة:

-أخرتها هموت بسبب بطاية ... يارب هو أنا عملت إيه في دنيتي عشان يحصل فيا كدة..

بقيت تندب حظها وتستجدي الدُعاء بجوار جابر الذي لم يكن ينتبه لحديثها وكانت عيناه تزيغان في كل إنشٍ بهذا المخزن حتى لمح إحدى النوافذ التي تطل على الخارج، أعاد حدقته نحو داليا وحاول مناداتها بجدية كي تتوقف عن الندب وتنصت إلى حديثه:

-أنا عرفت إزاي نهربو من هنا....

أوشكت ساعة الصفر على المجيء وهو لا يزال يدور حول نفسه يحاول اعتصار عقله حتى يُساعده من تلك المحنة، كان الجميع يجلس قبالته بعد ان استمعوا إلى محاولة معتر وإسلام الفاشلة والتي جعلت قمر تسخر منهما بقولها:

- عملتو فيها محمد رمضان ... وفي الآخر طلعتو يونس شلبي ... والله كنت حاسة
إن الطريقة دي مش هتجيب نتيجة

حاول معتز الرد على سُخريتها بدفاع عن نفسه:

- على الأقل حاولنا

تدخل لؤي بالحديث هادرًا بحدّة:

- إحنا لو ملقناش حل أنا هبعت قوات خاصة يقبضو عليهم ... يعني إيه مفيش
حكومة تدخل المنطقة دي .. من إمتى هنخاف من شوية مجرمين ؟

حاولت قمر تهدئته قبل أن يسقط في التهلكة بسبب غضبه:

- إفرض كلامهم طلع صح و عملوكم حاجة ... إنت عارف إن الناس دي مش
سهلة، ثانيًا إنت بتخدم في القاهرة مش هنا

بدأ الجدل بينهم في محاولاتٍ عدة لإيجاد الحل لتلك المُعضلة، أما عن إسلام، فلا
يزال يتجوّل أمامهم داخل البهو حتى توقف مرة واحدة ليوقف جدالهم بنبرة صارمة
حملت قلة حيلته:

- إحنا للأسف مفيش قدامنا غير حل واحد... !!

الفصل الثالث (طلق !!)

إحذر من أن تضحي سببًا في تحويل الطائر الجريح إلى وحشٍ كاسر...

ظلام دامس طغى أركان هذه الحُجرة القابضة للأرواح، فلا يوجد هنا سوى شياطين الإنس من شتى البُقاع، لا يوجد سوى تلك الصُور الغامضة المُرعبة التي تحف الجُدران السوداء وتلك الطاولة التي تنتصفها.

وجوه جامدة لا تحمل أيًا من المعاني اجتمعت أمام تلك الطاولة استعدادًا لمناقشاتهم الدائمة والتي لا تُخلف وراءها سوى الفساد والدمار، فكيف لنفسٍ بشرية مُحملة بالضغينة أن تضحي سببًا بإصلاح العالم؟

صوت حذاه الأسود يخترق أذانهم وهو يطق بأقدامه داخل هذه الحُجرة كي يقود هذا الإجتماع، فدائمًا ما يتأخر عليهم ويتركهم ينتظرونه أكثر من ساعة أمام تلك الطاولة، ولا يتأخر بسبب مشاغل الحياة، بل هو يعتمد التأخير رغبة في جعل الجميع ينتظره بدلًا من أن ينتظر هو المتأخرون.

أزاح أحد المقاعد المتراسة للطاولة كي يجلس عليها ويتقدم بجذعه بنظراته المقتضبة المماثلة لنظراتهم، فكان إيزاك أول من بدأ الإجتماع بقوله المُتدمر باللغة الأجنبية:

-يُمكنني ترأس تلك الإجتماعات طالما أن مشاغلك تمنعك من المجيء في معادك

كانت الغيرة بادية على صوته بسبب رغبته الشديدة بتولي عرش القيادة، لولا هذا الذي حظى على النسبة الأكبر من التصويات لما كان بداله يجلس على هذا المقعد ويتبختر أمامهم.

رد عليه طلال ببروده المُعتاد:

-يُمكنك أن تنشغل بتنظيف المكتب إذا اغتابك الملل مجددًا

صك إيزاك على أسنانه بحدة كاد يهب معها ويهتف بوجه كُتلة الثلج هذه، لولا يد فيرناندو التي أطبقت على رسغه حتى يبقى على مقعدة ولا يُدمر الإجتماع بجداله؛ عاد إيزاك موضعه يكبح جماح غضبه أمام طلال الذي بدأ الحديث بقوله:

-كما تعلمون أن ضُرغام قبل وفاته كان يتحدث عن أولئك الذين تنتقل أرواحهم

أرخی ستيفن ظهره وهو يُجيب ببرود:

-نعم ... لكنه لم يستطع حتى هزم أولئك الحمقى

كانت السُخرية تُلُطخ كلماته مما جعل طلال يهتف بثقة:

-هذا لأنه سلك طريقًا خاطئًا ... نحن لا يجب أن نضحى مثل المتقلون

سأله جيفري باستفسار:

-وما الذي يجب علينا إذا ؟

ترك طلال مقعده ليثب قبالتهم هادرًا بخطته بمُكر:

-يجب أن نجعلهم في صفنا ... نمحي عقولهم... نخضعهم لنا كي يُلبوا رغباتنا
ونجعلهم يتجسسون بأرواحهم على الجماعات الكُبرى من اجلنا

قطب فيرناندو حاجبيه وهو يهتف باستنتاج:

-هل تقصد ... نغسل أدمغتهم!؟

رسم طلال بسمه خبيثة على ثغره وهو يؤكد حديثه:

-بالضبط ... هذا ما سنفعله...

بدأت بوادر الشروق التي تدل على يومٍ جديدٍ وشمسٍ جديدة تسطع في الأرجاء مُخلفة وراءها العديد من الألوان البديعة وتلك النسيمات الرقيقة التي تصحّب بداية النهار، وعلى الرغم من الهدوء الذي يُحيط العالم في هذا التوقيت، إلى أنه لم يصل إليهم حتى الآن، فالنوم لم يزورهم منذ البارحة حتى قرروا العودة إلى القاهرة على أمل التحدث مع والداليا وإقناعه بالاعتذار، رغم أن إسلام واثقاً أنه لا يعتذر لكنه على أمل أن يتخلّى عن مبادئه من أجل حياة ابنته الوحيدة.

طرق إسلام باب المنزل وكان معه لؤي ومُعترز لعلهما سيساعدانه في تلك المهمة، بقي إسلام يطرق على الباب العديد من الطرقات التي تثائب فيما بينهم لعدم حصوله على القدر الكافي من النوم، فكيف يأتيه النوم وزوجته في حُظر!!

وأخيراً تم فتح الباب بواسطة محمود الذي تعجب من زيارتهم في هذا الوقت الباكر من اليوم، فالساعة على وشك أن تدق السادسة صباحاً، كانت آثار النوم بادية على وجهه وعيناه التي غشاها النُعاس لكنه يفركهما بأصابعه حتى يستطيع رؤيتهم.

صافحهم صفاحاً باهتاً حمل نُعاسه وحيرته ثم أدخلهم المنزل وأوصد الباب جيداً ليُدلف ورائهم البهو حيث وجدهم يجلسون بجوار بعضهم يتبادلون النظرات في حيرة وتساؤلٍ عن كيفية بدئهم للحديث، فكيف يُخبرونه أن ابنته الوحيدة تم احتجازها في الأسكندرية بين عصابة خطيرة.

بعد بُرهة من الصمت والتحديق فيما بينهم تتحنح لؤي قبل أن يبدأ الحديث بهدوءٍ وأدب:

-أستاذ محمود إحنااا...-

وجه نظرة عابرة نحوهم أخبرتهم أنه لن يستطع المواصلة فرفع عنه إسلام الحرج بإدلاءه للمعلومات مباشرة تناسبت تماماً مع طبيعته الفظة:

-داليا اتخطفت ... وإللي خطفها مش عايز يسبها غير لما تروح تعتذرله

أضاف مُعترز على حديثه مُفسراً بعض النقاط:

-هو تقريباً عارفك كويس ... وعايز ينتقم منك بسبب حاجة إحنا مش عارفنا

تدخل إسلام ليوصل ببعض الاندفاع:

-وإحنا مش هنقدر نسيب داليا معاهم ... دول ممكن يعملولها حاجة ... عشان كدة لازم تيجي معانا اسكندرية

كانت نبرته صارمة أدت إلى تضخم رأس محمود وشعوره بالنتية من كم هذه المعلومات التي تتلى على مسامعه مرة واحدة، فكان يُقطب حاجبيه ويُبادل حدقتيه بينهم حتى أُردف بتساؤل:

-دا مين دا إللي عارفني؟ وعارفني مينين؟

أجابه لؤي بهدوء:

-لسة مش عارفين ... بس هو اسمه جعبري

إزدادت حيرة محمود وهو يعود بظهره للوراء هاتقاً:

-إيه الاسم الغريب ده ... أول مرة اسمع عنه

تقدم إسلام بجذعه محاولاً استخلاص المعلومات من محمود لعله يتذكر:

-حاول تفتكر كدة يا عمي ... مفيش حد كنت بتضايقه زمان في اسكندرية وهو عايز ينتقم منك

أجابه محمود بصدق:

-مش مجمع الصراحة أصلهم كثير أوي ... بس أكيد قصدكم حد كنت أعرفه أيام المدرسة ... أصل أنا سيببت إسكندرية أول ما دخلت الجامعة

تدخل لؤي بالحديث مستخدمًا طبيعته التحقيقية في محاولة لاستخلاص المعلومات:

-طب ممكن تَوْرينا صوّر للدفعة إللي كانت مع حضرتك أيام المدرسة

أوما محمود رأسه ولا تزال الغرابة تنطلي على وجهه لكنه في النهاية وثب عن المقعد ليدلف حُجرتَه ويستمر بداخلها بعضًا من الوقت إلى أن خرج ومعه ألبومًا ضخماً من الصوّر يحمل فيه ذكرياته وطفولته التي قضاها بالأسكندرية، جلس مجددًا على مقعده ليمد نحوهم ألبوم الصوّر الذي انتشله إسلام فورًا وبدأ يعبث به هو وكل من لؤي ومُعترز اللذان ساعدها على البحث.

حدق بإمعان بتلك الصوّر التي حملت العديد من الطلبة بمُختلف الأعمار، كان البحث أصعب مما يتخيل خاصة وهم لم ينالوا القدر الكافي من النوم وكانت أعينهم بالكاد تُحدق بتلك الصوّر.

توقفوا عند صوّر المرحلة الثانوية ليلفت نظرهم صوّر محمود بزيه المدرسي وتلك النظرة المتنمرة مع الضحكة الساخرة التي دائماً ما يراها على وجهه، لكن ما لفت نظرهم أيضاً في تلك الصورة، هو ذلك الفتى صاحب الشفاء الوردية المُكنزة والتي ربما وضع عليها أحمر شفاه، كما أنه كان يضع إحدى رباطات الشعر على خُصلات شعره وكانت يده تُحاول انتزاع تلك الرابطة وكأن أحدهم قام بوضعها كما وضع له أحمر الشفاه هذا.

اتسعت حدقتا إسلام في ذهولٍ ما إن أمعن التحديق بهذا الفتى ولمح نظراته المُقتضبة التي يعرفها جيداً، فتلك النظرات المُحتقرة رآها منذ فترة قريبة، بل وتلك الأعين الواسعة الحادة لا تنفك تذهب عن باله أبداً، انتهت شكوكه بإصبعه الذي أشار به على ذلك الفتى هادراً:

-ده ... هو ده جعبري أنا متأكد إن هو

انتشل مُعترِ الصورة من بين يديه ليُحدق بها ويؤكد على حديث إسلام، بينما أمسك
لؤي بتلك الصورة ليُريها لمحمود ويسأله:

-إنت تعرف الولد ده؟.... هو ده جعبري إلي خطف داليا

ما إن أمسك محمود بالصورة وحدق بهذا الفتى حتى زارته كتلة من الذكريات جعلته
يُفهقه بحرارة وعدم تصديق لما يقوله أولئك الحمقى:

-جعبري... !!

قالها ثم واصل الضحك أمام نظراتهم الحائرة التي تحاول الاستفسار عن سبب
ضحكاته، لكنهم اكتفوا بالصمت حالما انتهى محمود من قهقهته وأحال وجهه للون
الحمر مع معدته التي آلمته من كثرة الضحك، بقيت النظرات الحائرة تُطالعه حتى
قال:

-قصدكم ريهام؟

قطب إسلام حاجبيه بحيرة سأل معها:

-ريهام مين؟ ... هو اسمه الحقيقي ريهام؟

واصل محمود قهقهته ثم قال:

**-أيوة ... أصل أمه كانت فكراه بنت، راحت مسمياه ريهام ... ده كان منطشة الفصل
في المعمورة... هو بقى زعيم عصابة!!... ياه على الزمن**

أنهى حديثه باستنكارٍ ثم واصل سُخريته وهو يقول:

-دا إحنا كُنا بنقوله يا ريري

كانوا يتابعونه بصمتٍ وعدم تصديقٍ لحقيقة هذا المُجرم، لكنه ما إن أدلى هذه الجملة حتى هتف ثلاثتهم بنفسٍ واحد:

-ريري!!

التفت إسلام نحو مُعترز ليهمس بأذنه:

-لو كانت داليا هنا كانت هتقولك ثلاث مرات يا سيد

بينما كانت الصدمة لا تزال على وجه لؤي الذي أدرك للتو أن الثنمر والسخرية على الآخرين يُمكنهما أن يخلقا وحشًا كاسرًا لا يعرف الرحمة كجعبري، تكوّنت شحنة من الغضب داخله وهو يُوقف سخريتهم ليهتف بصرامة:

-خلينا في المهم ... دلوقتي لازم تيجي معانا تعتذر للي اسمه جعبري ده ... عشان لو معملتش كدة ممكن بنتك تتأذي

كان حديثه جادًا جعل ابتسامته الساخرة تتلاشى ويبادل حدقتيه فيما بينهم ليلمح نظرات الخوف على ما يُمكن أن يحدث لداليا، وعلى الرغم من أن هذا الخوف لم ينتقل إليه إلى أنه هتف باستخفافٍ لا يُصدق أن من كان يتنمر عليه فيما سبق يُمكنه أن يقتل ويترأس عصابة خطيرة، لهذا السبب أدلى قراره بجدية:

-أنا موافق أسافر معاكم ... بصراحة عايز أشوف ريهام لما كبر

أنهى حديثه بلهفة قابلوها بنظراتٍ مُقتضبة جعلته يُعدل من نبرته إلى الخوف الزائف وهو يقول:

-وأكيد يعني عشان أطمئن على بنتي ... أنا معنديش غيرها ... استتو ما البس

وثب عن المقعد ليدلف حُجرتَه ويبدل ثيابه تاركًا إياهم جالسين في البهو، فما إن اختفى عن أنظارهم حتى أرفد إسلام بثقة امتزجت مع قلقه:

-أقطع دراعي من هنا لو مكانتش مجيته معانا عشان يتريق على جعبري مش
عشان داليا

أضاف مُعترز على حديثه بصدق:

-دا إحنا جينا نقوله يعتذر عشان اتنمر على جعبري خلانا نتنمر عليه معاه

أوقف لؤي هذا النقاش بقوله:

-خلينا نحاول معاه تاني ... أكيد هيتنازل عشان خاطر بنته

أنفاسٌ عليّة تخترق شذقيها ثم تخرج على هيئةٍ هواءٍ يحمل معه علامات الراحة
والسكينة، تثب بجسدها الممشوق أمام المرأة تتفقد خُصلات شعرها الداكنة الكثيفة كما
عينها السوداء الواسعة، كانت ملامحها مُبهمة، لا يعلم المرء إن كانت سعيدة أم
حزينة، فالغموض يُحيط بها ويجعلها كتابًا مُغلقًا أمام الجميع، ربما لهذا السبب يراها
الجميع كفتاةٍ غريبة الأطوار، أو ربما أنت من العالم السفلي وداخلها يقبع أحد الجان،
فنظراتها المخيفة وهدوئها الغريب أو همهم بتلك الأوهام، رغم أنها فتاة مثل أي فتاة
في عُمرها..

عدلت من هنداب نفسها وسترتها الواسعة التي اجتمعت مع سروالها الرياضي
المُريح، فهي ترتدي من الثياب ما ترتاح بداخله لا تلك التي تُبهر الأنظار، فنظرات
الجميع هي آخر ما يههما بتلك الحياة.

تركت حُجرتها الفسيحة والأنيقة لتنسل درجات السلم داخل هذا القصر فاحش الثراء
الذي تقطن بداخله، فهذه الفتاة المدعوة بريتا، هي من أكبر العائلات وأكثرهم ثراءً،
إلى أنها حتى هذه اللحظة لا تعترف بهذا الثراء وتحيا حياة بسيطة زاهدة لأنها تؤمن
بالطاقة وتطوف إلى عوالم أخرى باستخدام عقلها.

أوقفتها والدتها إيفلين ذات الخُصلات الذهبية التي على الأحرى قامت بتغيير لونهم الحقيقي، فهي سيدة من كبار السيدات تهتم برشاقتها وأناقته دائماً، ولا تُعجبها تصرفات ابنتها وثيابها المُهترئة من وجه نظرها، لهذا السبب ما إن رأت ريتا أمامها بتلك الملابس الرياضية البسيطة حتى هدرت بانتقاد:

-إيه إيلي إنتِ لابساه ده؟ ... بدمتِك فيه بنت تلبس كدة

توقفت ريتا عن السير ترمق ثيابها التي لا تعلم لِمَ لا تروق لوالدتها، فهي حتى ملابس مُحترمة وليست ممزقة أو مهترئة:

-ماله لبسي؟ .. ما هو كويس أهو

لا زالت والدتها تنتقدها بكلماتها اللاذعة:

-فين ده إيلي كويس؟ ... هو أنا مش لسة جيبالك لبس جديد ... إشمعنا مسكالي في الهدوم المعفنة دي

احتدت ريتا من انتقادات والدتها فرفعت من صوتها قليلاً وهي تهتف بتذمر:

-اللبس إيلي إنتِ جايباهولي ملزق ومش مُريح..

قطعت إيفلين حديثها باعتراضٍ وصرامة:

-على الأقل أحسن من الهلاهيل إيلي إنتِ لبساها ... ولعلمك بقي مفيش خروج باللبس ده، أخرك تقدي بيه في البيت

كبتت سُحنة الغضب بداخلها وهي تقترب نحو والدتها كي تسألها باستنكار:

-يعني إيه مفيش خروج ... أنا لازم أروح السنتر دلوقتي

أصرتُ إيفلين على حديثها مستغلة سُلطة أنها والدتها ولن تسمح لها بتشويه صورتهم أمام الجميع، خاصة وهي تعترض على وظيفتها ودائمًا ما ترميها بكلماتٍ لاذعة حتى تترك تلك الوظيفة عديمة الفائدة وتتجه للعمل في شركات والدها.

-يعني كلامي هو إيلي هيمشي يا ريتا ... ومن بكرة تجهزي نفسك عشان تروحي شركة أبوكي ومفيش سنتر تاني... يلا اتفضلي على أوضتك

أشارت على السلم مع آخر كلماتها حتى تُنفذ ريتا تعليماتها وتتصاع لرغبتهم بجعلها تبدأ العمل في وظيفة مملة لا تتوافق مع ميولها ورغباتها، فيكفي أنهم أدخلوها كلية التجارة بالإجبار رغم أنها أرادت كلية الفنون الجميلة، وبعد أن تركت الجامعة قررت أن تنفرد بوظيفتها التي تُحبها والتي تفصلها عن هذا العالم، ووالداها حتى الآن لا يفهما ماهية وظيفتها التي تُساعد العديد من الأشخاص على مواجهة مشكلاتهم وزرع بزرة الهدوء والسلام بداخلهم، ويبدو انهم لن يفهموا أهمية هذه الوظيفة أبدًا.

أخذت نفسًا عميقًا ثم أطلقتها ولا تزال صامدة مكانها أمام والدتها التي لم تتوقف عن إلقاء انتقاداتها وأوامرها التي تُلقينهم يوميًا، ودائمًا ما ينتهي الجِدال بنفس الطريقة، ينتهي بنظرات ريتا الثاقبة الحادة التي صوّبتها على أعين والدتها وبدأت تستخدم الطاقة وقدراتها الذهنية حتى....

أحست والدتها بالدوار فجأة وبأن كتلة من الحديد تضرب رأسها بضراوة، ما هي إلا لحظات قليلة حتى اختفى هذا الدوار وداهمتها دوامة من العاطفة الجياشة جعلتها تهتف بحنانٍ بالغ:

-إيه يا حبيبي إيلي موقفك كدة ؟

رسمت ريتا بسمة خبيثة على ثغرها بعد نجاحها في التحكم بطاقة والدتها كما تفعل دائمًا، فقدراتها التي استمدتها بالممارسة جعلتها تتحكم بعواطف الآخرين وتهمهم بأفكارٍ ومشاعر تختلف تمامًا عن طبيعتهم، وبالطبع لا أحد يصل لتلك القدرة سوى بالتلقين والممارسة.

-كنت رايحة الشغل يا ماما ... عايزة حاجة ؟

قالتها بوْدِ زائفٍ آجابت عليه والدتها التي لا زالت مُغيبية تحت تحكّماتها:

-لا يا حبيبتي تروحي وتيجي بالسلامة

لُوّحت لها ريتا وتركت المنزل على أمل أن تعود والدتها كسابق عهدها حالما تبتعد، ربما ستغضب قليلاً من عصيانها للأوامر، لكنها لن تعرف أبداً أن ابنتها تتلاعب بمشاعر الجميع وذكرياتهم.

استقلت سيارتها الفارهة وبدأت بتدويرها والعدو بها قدماً، فهي قد تأخرت على معادها ولا تُحب أن تتأخر على حالاتها أكثر من ذلك، تحركت بسيارتها بضع خطواتٍ حتى...

داهمت سيارتها أخرى لا تعلم من أين أتت لكنها قطعت طريقها وكادت تصطدم بها لتُحدث حادثة كبيرة لولا وقوفها بالسيارة في الوقت المناسب، ارتعدت فرائسها من الخوف لوهلة مع جسدها الذي ارتد فجأة لكنها تحلّت بالصمود وبقيت داخل سيارتها التي اصطدمت بالسيارة الأخرى اصطداماً بسيطة جعلت صاحب السيارة يتوقف بها ويترجل منها بنيرانٍ من اللهب تفيض من عينيه.

وجدته يضرب على سيارتها بهمجية تبعت كلماته الحادة:

-إنتِ يا ست إنتِ ... لو مش قد السوافة بتسوقي ليه ؟ ... مش قولنا تقعدو في البيوت ومتقرو فناش ؟

كبتت شُعلة الغضب بداخلها وحاولت المحافظة على هدوءها المعتاد وهي تترجل من سيارتها وتُغلق الباب لتتنب أمام الرجل هاتفة ببرودٍ يحمل غلّها الدفين، ربطت ذراعها وهي تُجيبه:

-نعم ... حضرتك عايز حاجة ؟

إزداد الرجل غضباً من برودها الذي جعله يواصل الصياح بوجهها ويقول:

-أنا عايز حقي ... عايز تمن إلي اتكسر

ردت عليه بنفس برودها ودفاعها عن ذاتها:

-إنت إلي كسرت عليا مش أنا ... يعني إنت إلي غلطان وأنا مش هدفع تمن
غلطتك

تحوّل وجه الرجل إلى اللون الأحمر وهو يقول:

-مش عايزة تدفعي ... إنت حرة، بس أنا هبلغ البوليس وأخليهم يسحبو الرخصة
منك

هنا وقد فقدت آخر ذرة من صبرها وبدأ شهيقها وزفيرها يعلو في كُتمان إلى أن قالت
:

-تبلغ عني !! ... ماشي .. أنا هؤريك

غمغت بتلك الكلمات في قرارة نفسها أمام الرجل الذي لم يتوقف عن سبها وسبّ
النساء جميعهن مدعيًا بأنهن لا يصلحن للقيادة ويجب أن يبقين في المنزل يتولن أمور
التنظيف والطهي، تلك الكلمات العنصرية جعلتها تزداد غضبًا وتزداد تحديقًا في
عينيه حتى....

توقف الرجل عن الحديث وبدأت أنفاسه تنهدج حتى وضع يديه على رقبته بسبب
شعور الاختناق الذي داهمه فجأة، فهو الآن يشعر وكأنه على مشارف الموت بعد أن
أوهمته هي بموته.

تعالى صوت شهقاته لتتراخي أطرافه فيستند بظهره على سيارته بأطرافٍ ترتجف
وعرقٍ يتصبب من جبينه، رماها بنظراتٍ متؤسلة لعلها تتجده لكنه تفاجأ من نظراتها
الباردة التي أكدت له أنها سببًا فيما يحدث معه، وجدها تتقدم نحوه بهدوءٍ هادئة
بصوتها البارد:

-مين بقى إلی قولتلی عایزة تبلغ عنها؟

كانت تنظر إلى أظافرها بتعنتٍ وهي تتحدث معه وهو لا يزال في حالة من الاختناق يحاول التوسل لها كي تُساعده قبل أن يلقى حتفه، تحشرج صوته وهو يسأل:

-إن.. إنتِ ... ع... عملتِي إِيه؟

أنهى حديثه بثقلٍ فوجدها لا تزال تتحدث ببرودها ونبرتها المُهددة:

-أنا دلوقتي هرجعك على طبيعتك...

أحنت جذعها لتتلاقى عينيها مع عينيه الخائفة وجسده الذي ارتخى على الأرض، زادت من نبرتها المُهددة وهي تقول:

-لما ترجع ... تختفي من قُدامي ... ولو فكرت تبلغ عني، إبقى إفتكر إلی إنتِ حاسس بيه ده كويس

أبعدت جذعها عنه لتسبل بعينيها قليلاً تحاول الاسترخاء بعقلها وإبعاد طاقتها والأعيبها عنه، فكان لا يزال في حالة الاختناق والشعور بأن روحه يتم انتزاعها من جسده، لكنه في أقل من لحظة وجد أنفاسه تعود إليه رويداً وجسده يتحرر من تلك الانقباضة مما جعله يثب عن الأرض بفرائس ترتعد من الرُعب وكأن تلك الفتاة يتلبسها أحد العفاريت.

فتح سيارته بأطرافٍ ترتعش ليستقلها وينطلق بها بسرعة بعيداً عن نظراتها المرعبة التي تُذكره بهذا الإحساس الذي لن ينساه أبداً، فكيف ينسى إحساس الموت الذي يُجربه لأول مرة.

عادت إلى سيارتها كي تستقلها بهدوء وتواصل سيرها مع تلك الابتسامة الساخرة على ثغرها، ساخرة من هذا العالم الذي يصر على إغضابها وجعلها تستخدم قُدراتها حتى تثبت للجميع أنها ليست فتاةً ضعيفة تسمح للجميع بالتحكم بتصرفاتها...

تتبختر على عرشها برداءٍ مُرصع بأنواع من الألباظ واللؤلؤ، ترفع رأسها بشموخ أمام شعبها الجليل الذي يحني جذعه احترامًا وتقديرًا لها، فلطالما تمننت هذه السلطنة وهذا المجد الذي يعتمرها في تلك اللحظة، وثبتت عن مقعدها لتتنسل درجات السلم ببطءٍ وخيلاءٍ لم يُنقصا من رونقها وتحضرها، تحركت بحذائها اللامع على السجادة الحمراء التي تفترش هذا الممر الطويل، لا تزال حركاتها شامخة تتبهنس بتلك السلطنة أمام الرجال المصطفين جوارها ينكسون رؤوسهم لأسفل احترامًا وتقديرًا لها.

لكن لسوء حظها، كان هناك إنثناءً في أحد أماكن السجادة، ذاك الانثناء جعل حذائها يتعركل ثم....

-داليا ... داليا أنا خلاص فتحت الشباك

شهقة مدوية خرجت من جوفها أيقظتها من هذا الحلم الرائع الذي انتهى بنهاية مأساوية، فحتى حظها السيء لا يترك أحلامها.

فتحت عينيها على واقع مريرٍ وتلك الحجرة المقيتة التي لم تتركها، فقد ظننت للتو أنها ملكة تتبختر على عرشها، لكن الحقيقة أنها فتاة تعيسة تم اختطافها واحتجازها لسبب لا تعلمه حتى، فبدلاً من جلوسها على عرشٍ مُريح، تجلس على أرضٍ صلبة في بقعة مُقززة.

فركت عينيها لثُمحي آثار النُعاس وتتنبه لجابر المائل جوارها بعد أن استطاع فك قيدهما واتجاهه نحو هذه النافذة الصغيرة كي يفتحها، وأثناء محاولاته المستميتة كانت هي تُغط في نومٍ عميقٍ كما لو أنها تنام على فراشها، فدائمًا ما تغفو في اللحظات التي لا يجب أن تغفو بها.

حاولت الاعتدال بجلستها كي تسأله باستفسار:

-متأكد إننا هنعرف نهرب ؟

أوما رأسه بثقة ثم قال:

-أيوه ... بس بسرعة قبل ما حد يبجي

استجابت لتعليماته وحاولت الوثوب عن الأرض وهي تتلفت حولها كي تتأكد أن لا أحد يراها، سبقها جابر ليقف أمام النافذة مباشرة ثم يقف على أحد الصناديق الخشبية ليمد يده نحوها حتى يُساعدها على صعود هذا الصندوق والهرب من النافذة أولاً.

استندت على يده وهي تصعد فوق الصندوق الذي كان مُرتفعًا بالنسبة لها، رفعت قدمها فوق حافة النافذة وما كادت تُخرج جسدها حتى....

دوى صوت طلقاتٍ ناريةٍ اخترقت أذنيهما وجعلت الرعب يتدفق في أفئدتها، تبادلت نظرتهما في هلعٍ أدركا بعده أن هناك دمارًا يحدث بالخارج....

توقفت سيارتهم أمام البقعة المرادة ليترجل منها كلاً من إسلام ولؤي، ومعتز ومحمود الذي يستمع إلى أوامرهم وترجيهم له بأن يعتذر ويتخلى عن مبادئه الحمقاء لفترة قصيرة.

توقفت أقدامهم أمام جعبري ورجاله اللذين كانوا ينتظرون مجيئهم على أحرٍ من جمر، فهو قد اتفق معهم على ذلك المعاد وإلا سيتخلص من داليا وجابر، فذكرياته السوداء وماضيه المليء بالتنمر والسخرية يتمثل أمامه الآن ويجعله يرغب بالتفتيك بكلٍ من تسبب بتشوُّهٍ لحياته وتحوُّيله لذاك المُجرم الذي هو عليه الآن، فلا يولد المُجرم من العدم، هناك العديد من العوامل التي تُساعد على زرع بذرة الإجرام بداخله، أهمها ما يحدث بالطفولة.

رسم بسمة منتصرة حاقدة على وجهه وهو يرمق محمود أمامه يقف بين مُعتز وإسلام، بادر لؤي بالحديث متفوّهاً:

-أهو عملناك إلهي إنت عايزه ... فين داليا وجابر؟

تقدم جعبري خطوة نحوهم ليرمق محمود بنظراتٍ مُحترقة قال معها:

-لسة ناقص الإعتذار

تدخل مُعترز ليهتف بثقةٍ حملت بعض التردد:

-هو هيعتذر ... مش كدة يا عم محمود ؟

وجه بصره نحو محمود أملاً أن يؤكد على حديثه ويبدأ الإعتذار كما اتفق معهم، لكنه وجد محمود يرسم بسمة على ثغره وهو يتقدم نحو جعبري محاولاً التحدث معه بؤد:

-أه طبعاَ إيه يا ريري .. لسة متضايق من إللي كنا بنعمله وإحنا عيال ؟ ... يا أخي كنا لسة متفطمناش

أطبق جعبري على شفثيه ما إن تذكر هذا اللقب الذي يمقته، فهو قد غير اسمه بسبب هذه السخرية التي تعرض لها في صغره.

-متقوليش يا ريري

قالها جعبري بحدة فحاول محمود هدهدته بمحاوطة بذراعه وكأنه يُحاول عناقه رغم تذمر جعبري:

-ماشى يا عم ولا تزعل ... بس إيه شغل العصابات والجوده والله وكبرت وبقيت زعيم عصابة

كان حديثه ودوداً مرحاً جعل أفواههم تُفغر بغرابة، فهذا ليس محمود الذي يعرفونه، هذا ليس سليلط اللسان الذي لا يهتم بمشاعر الآخرين، حتى ولو كانت حياة ابنته تدفعه لما يفعل، هو لن يتحدث بتلك الطريقة الودودة أبداً، وهذا ما أقلقهم للغاية.

رسم جعبري بسمة فخورة على ثغره ليرفع رأسه بعدها بشموخ أرسل إليه أن الضعيف الذي كان الجميع يسخر منه أضحى الآن صلباً يهابه الجميع، فهو يتعمد آذية

الآخرين حتى ولو كان السبب ساذجًا، وهذا فقط لأنه يفرض سلطته ويعشق إرهاب الجميع بسبب ماضيه المأساوي والذي تسبب به محمود وبقية الطلاب، لكن أكثرهم محمود، فهو من كان يدفع الجميع للسخرية منه.

**-حقك على راسي ... أنا آسف على إلمي كُنت بعمله زمان وعشان تتأكد إني
بعذرلك ... هاتلي راسك ابوسها**

لم يتحرك جعبري قيد أنملة وبقي يستقبل عناق محمود وداخله لا يزال يحمل له الضغينة والرغبة في الانتقام، هو فقط يتركه يعتذر له أمام الجميع وداخله خُطة ماکرة سيجعل رجاله يقومون بتنفيذها حالما يبتعد محمود عنه، لكنه لا يعلم أن محمود لن يبتعد بتلك البساطة.

تحرك كائنٌ صغير داخل جعبة محمود حتى وضع يده داخله ليُخرج جردًا صغيرًا كان يُدثره داخل جيبه ويحرص على تلقيه نفحة من الهواء في طريقه من القاهرة إلى الأسكندرية، وعندما كان يُحيط جعبري بذراعيه أخرج هذا الجرد في الخفاء ورفع نحو عنق جعبري ليُلقيه داخل ملبسه دون أن يشعر.

أحس بشيءٍ يتحرك داخل ملبسه يُصيبه بالقشعريرة، يشعر وكأن هناك ما يقرضه في ظهره ويجعله يرغب بالصراخ، وبحركة تلقائية وضع يده بهلع وراء ظهره ليتحسس هذا الكائن الصغيرة الذي يتحرك بحرية داخل ملبسه ويجعله يتلوى بذعرٍ كمحاولة لإخراج هذا الكائن من ثيابه.

انطلقت أصوات الصُراخ من جوفه وبدأ جسده يتلوى في كل مكان مما جعل رجاله يتأهبون بأسلحتهم خوفًا مما حدث لزعيمهم، أما محمود فكان يُتابع ما يحدث بابتسامة شامتة وقهقهاتٍ ساخرة على الحركات المجنونة التي يفعلها جعبري حتى يترك هذا الجرد ظهره.

شهق الجميع في صدمة وكان يُغمغم إسلام بقرارة نفسه راغبًا بالطمع على وجنتيه من الكارثة التي ستحدث فيما بعد، بل تحدث الآن.

-اقتلوه ... اقتلوهم كلهم

صرخ جعبري بتلك الكلمات وهو لا يزال يتلوّى ويُشير على محمود ثم على رجاله الذين تحوّلت وجوههم إلى الشدة وأخرجوا أسلحتهم استعداداً لإطلاق النار، أحنى محمود جذعه لأسفل تفادياً لهذه الرصاصة الطائشة التي كانت على وشك إصابته في مقتلٍ، أخرج لؤي سلاحه المُتدثر داخل سرواله ليدافع به عنهم تزامناً مع مدُّ مُعترز لذراعه كي يجذب محمود بعيداً عن تلك الطلقات الطائشة.

لم تتوقف الكارثة هنا، فسرعان ما أنت سيارة رباعية الدفع داخلها العديد من الرجال والأسلحة بقيادة بابلو الذي أتى لإنقاذ رفيقه والانتقام من جعبري رغبة في تؤولي الزعامة بدلاً عنه.

ترجل مجموعة من الرجال من تلك السيارة الرباعية لينقضوا على جعبري ورجاله الذين بدؤوا إطلاق النيران لتبادل الأعيرة بين الطرفين ومن بينهم إسلام ومُعترز ومحمود يحاولون الهرب، ولؤي الذي يطلق رصاصاتٍ من سلاحه ليدافع عنهم وهم يهرولون بعيداً عن هذا العِراك.

التحم الطرفين وبدأت النيران تتبادل والجُثث تتراعى وتتكاثر من كلا الطرفين، اقتحم رجال بابلو المخزن وطفقوا يسرقون البضاعة الخاصة بجعبري الذي كان لا يزال يتلوّى حتى تلقى لكمة مليئة بالغل مصوّبة من بابلو الذي كان يضمّر له العداوة.

-الضربة دي عشان متفتكرش إنك هتعمل زعيم علينا-

هرب الجرد أخيراً من ملابس جعبري الذي تسطح أرضاً إثر الضربة يتحسس ظهره المليء بالجروح التي تركها الجرد بأسنانه وحوافره السامة، حتى أنه لم يشعر بهذا الجرح على شفته السفلية من شدة الألم الذي يشعر به في ظهره بسبب هذا الأرعن محمود، ولأن بابلو أصغر سناً وأكثر رشاقة وصلابة، كان يُمثل الطرف الأقوة بتلك المعركة، لكنه مع ذلك تخطى جعبري الذي يتلوّى في ألم وواصل السير داخل المخزن عازماً على سرقة البضاعة وإنقاذ صديقه.

كانت حدقتنا إسلام مصوّبة على المخزن حيث تقبع زوجته وهذا الذي يُدعى جابر، لاحظ طيف داليا يخرج من النافذ ويقفز على الأرض بسرعة استشعر معها رهبتها من تلك الطلقات العابرة، هرول بسرعة نحوها حتى وثب أسفل النافذة هادراً بهلع:

-يلا بسرعة اتحركو...-

قفز جابر برشاقة من النافذة ليوجه بصره نحو إسلام متسائلاً:

-مين إللي بيضرب نار؟-

أجابه إسلام وهو يجذب داليا نحوه حتى تحتمي به من تلك الطلقات أثناء إجابته
لسؤال جابر بذعر:

-معرفة... في عربية كبيرة جات ولقينا ناس بتهجم على جعبري

أثناء حديثهم اغتابهم صياحٌ مُرتفع أتى من أحد رجال جعبري وتبع إشارته المصوّبة
نحوهم:

-امسكوهم

سُرعان ما انتبهوا إلى تلك الإشارات فقبض إسلام على يد داليا ليجذبها وراءه بعيداً
عن أولئك الرجال الذين شرعوا بتتبعهم والركض ورائهم، بقيوا يركضون بأقصى ما
لديهم حتى سبقهم جابر بسبب سرعته في الركض وبقي إسلام يركض بسرعة هو
وداليا التي تحاول اللحاق بهم بكل ما أوتيت من سرعة.

اقتحموا الزقاق الضيق وطفقوا يُهرولون بين الأسواق الشعبية وورائهم اثنين من
الرجال يركضون ورائهم ولا يُعيرون انتباهاً للمارة الذين يصرخون ويقعون على
الأرض إثر دفعات هؤلاء الرجال الهمجيون.

قفز جابر قفزة عالية ساعدته على الصعود فوق أحد الصناديق ليخفض ذراعه
ويمسك بيد إسلام ليساعده على تسلق الصندوق كي يُساعد داليا هي الأخرى على
التسلق، كان الصندوق يستند على سورٍ متوسط الإرتفاع فرفع جابر قدمه وأمسك
بيديه حافة السور ليقفز من الجهة الأخرى بمهارة جعلتهما يُتابعانه بريبة.

بأدر إسلام بالقفز هو الآخر رغم خوفه ثم حاولت داليا تقليد هم رغم ترددها وشعورها بأنها ستسقط وتتهشم عظامها، لكنها ما إن رأت طيف الرجال يقتربون نحوها حتى شرعت تقفز بسرعة دون أن تكثر لتلك الأفكار، ففي النهاية تهشم عظامها أفضل من الموت برصاصة في رأسها.

واصلوا الركض بين الطرقات الضيقة ولا زال الرجال يتبعونهم حتى كادت أنفاسهم تنقطع من كثرة الركض.

تكاثر الرجال ورائهم حتى انسد الطريق ووجدوا جدارًا شاهقًا يمنعهم من المواصلة، فالخطأ الذي ارتكبه هو أنهم إفتحموا رُقًا ضيقًا خاليًا من السُكّان وربما هو فاصلٌ بين بنائيتين مهترئتين.

تلقت جابر حوله ولم يجد أمامه سوى الرجوع لبضعة خطواتٍ والاحتماء داخل أحد المباني ووراءه كلاً من إسلام وداليا التي تُجاهد لتواصل الركض بمساعدة من إسلام الذي يدفعها ويقبض على يدها جيداً.

صعدوا الدرجات المتعرجة غير مُكتملة البناء ولا حتى مستوية، فمن يصعد عليها يفقد توازنه ويشعر وكأنه سيسقط أرضاً، لكنهم مع ذلك جاهدوا ليصعدوا درجات السلم وورائهم أولئك الرجال لا يزالوا يتبعونهم وتلقت داليا برأسها نحوهم في ذعرٍ وقطراتٍ من العرق لا تُفارق وجهها منذ بدأت هذه المطاردة.

انتهت الطوابق وأضحوا الآن يقفون على سطح البناية وأمامهم يركض جابر بذات السرعة التي بدأ بها الركض، بينما كانت داليا تحني جذعها ووجهها تحوّل إلى اللون الأحمر كما إسلام بالضبط، تشعر وكأن أنفاسها تُسرق منها وقلبها ينبض وربما يتحطم من كثرة الهرولة، تلتقط أنفاسها بصعوبة وتتحدث بين لهيئها وقطرات عرقها المتساقطة على الأرض:

-خلاص ... خلاص مش قادرة حاسة إني هموت-

خرجت تلك الكلمات من جوفها أمام جابر الذي يتابعها واثبًا مكانه يلهث أقل مما يلهثان وقطرات العرق تنساب على وجهه، كان صامتًا أمامهما، لكن هذا الصمت

انتهى بسرعة حالما استمعوا إلى خطواتٍ تهرؤل على السلم تسببت بانقباضة في قلوبهم وجعلتهم يتناسون إرهابهم ويحاولون الركض مجدداً رغم تحطم عظامهم وأرجلهم.

وجدوا جابر يهرول أمامهما كالعادة ويقف على حافة السطح ليقفز قفزة عالية جعلته يهبط بقدميه على البناية المجاورة، رفع رأسه بعدها ليقابلها ويقابل نظراتهما المذهولة من تلك القفزة وداخلهما يدعي لأنفسهما بالرحمة لعدم مقدرتهما على فعل ذلك.

-يا يا جدعان نُطو...-

هتف جابر بتلك الكلمات وهو يُشير بيديه عليهما؛ تبادلت النظرات بين إسلام وداليا، حتى دفع إسلام جسد داليا مُشجعاً إياها على تلك المخاطرة:

-نُطي يا داليا وأنا هحصك-

أبعدت داليا ذراعه عنها هادرة بتذمر:

-ومتنطش إنت ليه؟-

تحجج إسلام بقوله:

-عشان أنا راجل ... والمفروض ladies first-

اعترضت داليا حديثه بصوتٍ يحمل القليل من الغضب:

**-واشمعنا في دي بقى تقولي ladies first؟ ... ما في البيت بتدخل الحمام قبليا
ومش بتقولي ladies first-**

كاد يتجادل معها لولا صوت جابر الذي حاول تحذيرهما:

-يا جماعة بسرعة قبل ما ييجو-

ازدادت أصوات الهرولة ورائهما وإزداد معها زعرهما وهما يرمقان تلك المسافة الشاهقة التي تجعل خفقات قلوبهما تزداد مما جعل أجسادهما ترتجف رُعبًا وذعرًا، قبض إسلام على يدها متفوّهاً:

-طب يلا ... هنط سوا

كاد يتقدم بجذعه استعدادًا للقفز بينما تراجعت داليا للوراء وداخلها يُخبرها أنها بتلك القفزة ستلقى حتفها رغم أن المسافة بين البنائيتين تكاد تكون مُنعدمة.

-لا لا لا ... أنااا ... صحتي على قدي والله ومش هستحمل النطة دي

استمع جابر إلى حديثها المذعور فحاول طمئنتهما بقوله:

-منا نطيت أهو ومحصليش حاجة ... وبعدين مش إنتو قولتو إننا قد بعض

واصلت اعتراضها وذعرها يزداد أكثر مع كلماتها:

-أيوة إحنا قد بعض بس أنا عندي الغضروف والنطة دي ممكن تقعدني إللي باقي من عُمرِي

شدد إسلام قبضته على يدها وهو يحاول طمئنيتها بسُخرية:

-متقلقيش يا حبيبتِي ... لو قعدتِي العُمر كله مش هغيظِك ومش هخلي أبوكي يتتمر عليكي بس يلا قبل ما نموت إحنا الاتنين

أنهى حديثه بذعرٍ جعل قلبها يزداد خفقانًا وعيناها ترمقان تلك المسافة تحاول حجب ارتجافة جسدها وطمئنة نفسها بأنها ستجد بذاتها وتهرب من تلك المحنة، فهي ليست محنتها الأولى ولا مطاردتها الأولى حتى، أغلقت عينيها وبدأت الدعاء بقرارة نفسها وتحاول تنظيم أنفاسها لكن فجأة....

انفتح الباب ليتوغل منه أولئك الرجال بأسلحتهم المصوّبة نحوهما، في تلك الحظة اختفت المماثلة واختفى ذعرها من القفز كي ينتقل إلى ذعرها من أولئك الرجال مما جعل إسلام يجذب ذراعها عنوة ويقفز معها على البناية الأخرى حتى أطلقت هي صرخة مدوية أنهتها بسقوطهما على الأرض إثر هذا الاصطدام.

التحمت رُكبتها بأرضية البناية الأخرى وشعرت بألمٍ طفيفٍ يعتمر كاحلها بسبب سقوطها بطريقة خاطئة، وما كادت تتأوه بألمٍ حتى جذبها إسلام بسرعة وبدأ يركض بجوارها على سطح هذه البناية بحثًا عن الباب الذي سيقلهم إلى أسفل.

عثروا على الباب أخيرًا وكان بابًا عتيقًا من الخشب المطلي بأحد الألوان العشوائية ذات اللون الأخضر، وما لفت انتباه جابر هو هذا المفتاح المرتكز على الباب من الخارج، وضع جابر يده على المفتاح وحاول انتزاعه عن الباب بكل ما أوتي من قوة حتى وجده يخرج ويرتكز بين أصابعه، فتح بعدها الباب عازمًا على وضعه من الداخل لكنه ينصدم من حقيقة أن المقبض من الداخل تم تحطيمه، أي أن الباب لا يُغلق سوى من الخارج فقط.

هرول إسلام داخل البناية أولاً وتبعته داليا بسرعة، بينما بقي جابر أمامهما على السطح يُخبرهما:

-انزلو تحت أنا هعرف أهرب من هنا-

لم ينتظر اجابتهما وأغلق الباب فورًا ليؤصده جيدًا ثم يضع المفتاح بجعبته، التفت وراءه ليجد قبالته مجموعة من الرجال يوجهون فوهة أسلحتهم على رأسه مباشرة مما جعله يرفع يده باستسلام....

على جهة أخرى من تلك المطاردة التي لم تنتهي بعد، كان لؤي يقف أمام مُعتر ومحمود داخل أحد المخازن الخاصة بجعبري يحاولون تفادي هذه الطلقات بينما يحاول لؤي مهاتفة الشرطة دون جدوي، فلا تأتي الشرطة هنا خوفًا من أولئك اللصوص، ولا يُفكرون حتى بالقضاء عليهم، يقسم أنه إذا كان يخدم بتلك المنطقة لما أنهى الجميع هنا، لكنه مع الأسف لا يستطيع التدخل بما يفعله زملاءه.

تحركوا بخطواتٍ وثيدة داخل المخزن بين هذه الطلقات حتى كانوا على وشك الخلاص والهرب، وبما أن الرياح تأتي بما لا تشتهيهِ السفن، ظهر أحد الرجال أمامهم يرفع سلاحه لأعلى يكاد يهوي به على رأس لؤي من الخلف لولا مُعترز الذي هتف وهو ينقض على هذا الرجل:

-خُلي بالك يا لؤي-

قبض مُعترز على ذراع الرجل بينما تدخل لؤي وركله في معدته ركلة جعلته يتقوّص من الألم، ثم ركله مجدداً على فكه ركلة جعلته يترنح ويفقد وعيه والدماء تسيل من فمه، تحرك بعدها لؤي صوّب محمود الذي وجده يُشير على ذاك الرجل بشماتة جعلته يُقهقه بسخرية ويقول:

-شوف الواد فاكِر نفسه فان دام وهو في الآخر مدام-

بقي يُقهقه بسخرية جعلت الدماء تتدفق بعروق لؤي الذي جذبهُ فوراً محاولاً كبت شُعلة الغضب من تصرفاته التي وضعتهم في هذا المأزق من البداية، وما كادوا يتحركون خطوة حتى تكاثرت طلقات النيران ورائهم مما جعلهم يُسرعون الخطى للخارج ويحنون جذعهم تفادياً لتلك الرصاصات.

لمح لؤي أحد الرجال يحاول إطلاق الرصاص عليهم مما أجبره على تصويب سلاحه صوّب هذا الرجل وتسديد طلقة أصابت صدره وأودته سريعاً، جذب بعدها محمود ومُعترز الذي تبعهم نحو السيارة حتى استقلها بسرعة، فتح محمود الباب المجاور واستقل السيارة هو الآخر بجوار مُعترز، أما عن لؤي فكان يُغلق السيارة ورائهم كي يُخبرهما بصرامة:

-إطلع إنت يا مُعترز ... أنا هروح أشوف هُما فين-

أوما مُعترز رأسه وأدار السيارة حتى ينطلق بها دون اعتراضٍ على الرغم من الخوف الذي غمره مما يُمكن أن يحدث للؤي، فما إن انطلقت السيارة حتى ارتسمت عوالم الصرامة على وجه لؤي ليتحرك بعدها عدة خطواتٍ قطعها صوت العصا التي

هُوت على رأسه من الخلف جعلته يسقط مغشياً عليه، ظهر جعبري من وراءه بأعينٍ تحمل الغل ويدي تحمل العصا ونظراتٍ حادة جعلته يقول:

-أنا هوريكم إزاي تلعبو مع جعبري....

أمامه التهلكة ووراءه حافة سطح البناية المكونة من خمسة طوابق، فكأنه بالضبط بين النار والاسد، فأما ينقض عليه الاسد ويُفتك به، وأما يسقط من تلك البناية وتتهشم عظامه، ومع ذلك حاول الصمود كما يفعل دائماً، فهو يواصل حياته لتلك اللحظة بسبب صموده، ولا يعلم لم يصمد في حياةٍ لا تُرحب به وتتلذذ بتعذيبه؟

ترجع بضع خطواتٍ للوراء أمام أسلحة الرجال ونظراتهم الحادة، فهم يريدونه أن يخضع لهم ويُعيدونه مقيداً داخل المخزن، لكنه يتراجع ببطء ويتقدمون هم نحوه ليُشد أحدهم ضغطه على الزناد استعداداً لإطلاق النيران ولكي يشعر بالرهبة ويتوقف عن الجراك.

وبالفعل توقف جابر حالما وجد نفسه مُلتصقاً بحافة السور وأمامه الرجال يتقدمون نحوه أكثر حتى....

قفز بأقصى ما لديه على حافة السور ثم يقفز منها مباشرة أمام أنظارهم المُتعبة، هل قفز من البناية؟ هل أزحق روحه بيده؟ كل تلك الأسئلة تعلقت بأذهانهم وجعلتهم يخفضون أسلحتهم لأسفل كي يقتربوا من حافة السور ويوجهوا أنظارهم لأسفل بحثاً عن جُنته، فلا أحد يقفز من تلك البناية ويبقى على قيد الحياة.

تلفتت حدقاتهم في كل مكانٍ بحثاً عن جابر لكن الغريب أنه لم يكن له أثر، فكأنه اختفى أو انشقت الأرض وقامت بابتلاعه، تراجع قائدهم للوراء وقرر البحث عنه أسفل البناية، لكنهم للأسف وجدوا الباب مؤصداً، ولم يلحظوا جابر الذي يثب على حافة أحد النوافذ المفتوحة يتابع طيفهم من بعيدٍ ليتأكد من رحيلهم، فما إن تأكد من ابتعادهم حتى أحنى جذعه لأسفل ليتعلق بحافة النافذة غير مُكتملة البناء حتى يهبط بجسده على الطابق الرابع ثم الثالث حتى آخر طابقٍ بالبناية، وهذا لأنهم يقفون أمام السلم من الممكن أن يروه.

فغرت فاهها وهي تقف أسفل البناية تتابع جسد جابر الذي ينتقل من نافذة إلى أخرى وكأنه من القردة، فما إن وصل إلى آخر طابق حتى قفز برشاقة إلى أسفل ليثب قبالتها ويلقى نظراتهما المذهولة، لم تمنع نفسها من سؤاله بفضولٍ وبلاهة:

- هو إنت كنت نينجا ؟

ابتسم بفخرٍ وهو يُجيبها:

-لأ ... أصل دي مش أول مرة حد يجري ورايا

سخرت من شعوره بالفخر على أمرٍ كهذا مما جعلها تقول:

-ومالك بتقولها بفخر كدة ولا كأن الشهرة هي إلی بتجري وراك

ما كاد يُجيبها حتى وجدوا سيارة مُعترز تقترب نحوهم وبداخلها محمود يفتح نافذته ليلوِّح بيده نحو داليا التي ما إن رآته حتى تحوّلت عوالم وجهها إلى الحيرة وبعض الاقتضاب، أما عن مُعترز، فكان يهتف بأمرٍ:

-اركبو بسرعة

استجابوا لحديثه واستقلوا السيارة في المقاعد الخلفية لينطلقوا بسرعة بعيداً عن هذا الدمار الذي حدث في تلك المنطقة وقبل أن يلحقهم أولئك الرجال مجدداً، حدق إسلام بكل شبرٍ بالسيارة حتى لاحظ اختفاء لؤي مما دفعه لسؤال:

-لؤي فين ؟

آجابه مُعترز وهو ينهمك بالقيادة:

-راح يدوّر عليكم ... لازم نعرف هو فين عشان نمشي من هنا

تحركوا بضعة أمتارٍ بالسيارة حتى اقتربوا من ذاك المخزن الذي بدأت عنده جميع الكوارث، أوقفت داليا السيارة بإشارتها الصارمة:

-وقف هنا ... أنا هدور عليه

استجاب مُعترٍ لحديثها وأوقف السيارة بأحد الأماكن القريبة من المخزن، سرقت داليا نفساً عميقاً قبل أن تسترخي بظهرها للوراء وتُغلق عينيها لتُسافر بجسدها بعيداً أمام نظرات جابر المذهولة التي تابعت جسدها الذي أضى ساكنًا كالموتى، أما عن روحها، فكانت تتجول وسط الطلقات النارية التي تخترق جسدها ولا تُصيبها لأنها سراباً، لا يراها أحد ولا يشعر بها أحد.

تخطت هذه الجُثث المترامية محاولة أن تمنع عينيها من رؤيتهم وتمنع شعورها بالتقيؤ رغم أنها لن تتقيأ وهي بروحها، حاولت التماسك وهي تتجول داخل المخزن لتتصلب أهدابها فوراً أمام هذا المنظر الذي يتمثل أمامها...

فتح عينيه بوهنٍ ولا تزال تلك الطبول تضرب رأسه كما لو كان هناك حجرة ترتج داخل جمجمته، تأوه من الألم إثر تلك الضربة التي خلفت وراءها بعض الدماء المُلتصقة على خُصلات شعره، كانت الرؤية مشوشة لفترة لكنها اتضحت بعدها ليري جعبري يتمثل أمامه بنظراتٍ مكفهرة وهذا السلاح الذي يحمله بين يديه.

وجده يتقدم نحوه لينحني بجذعه ليُقابل جسد لؤي المسجي على الأرض بهذه الحبال التي تلتف حول يديه المكبلة خلف ظهره، ركع جعبري على رُكبتيه مُوجهاً سلاحه أمام لؤي مع كلماته الحادة:

-إنت وصحابك هتدفعوا تمن إلي عملتوه ... وأولكم محمود

لم يتحمل لؤي الصمود ووجد قدمه ترتفع لتركل جعبري بمعدته في محاولة منه للهرب؛ إرتد جسد جعبري للوراء إثر هذه الركلة التي زادت من غضبه وجعلته يثب عن الأرض ويُسدد ركلة قوية أصابت صدر لؤي وجعلته يشعر بأضلعه تتفكك، تدفقت الدماء بعروقه وهو يضع قدمه على صدر لؤي ضاغطاً عليه بكل ما أوتي من

قوة وغل أمام لؤي الذي يكبت ألمه بنظراتٍ حادة مُقتضبة، رفع جعبري السلاح أمام رأس لؤي مباشرة ليهتف بأخر كلماته:

-شكلك هتدفع التمن بدري

وضع إصبعه على الزناد وبدأ بالضغط عليه أمام نظرات لؤي الصارمة وتأوهاتة المكتومة أمام قدره المحتوم...

عادت إلى جسدها بشهقة حادة تبعثها بحديثٍ مذعور:

-لؤي في خطر ... إحنا لازم ننقذه بسرعة

توغل الذعر بينهم حتى قرر إسلام قطع هذا الذعر بقرارٍ صارمٍ جعله يفتح باب السيارة ويترجل منها هادرًا بأمر:

-خليكي هنا يا داليا ... إحنا هنروح ننقذه ... تعالى يا عمو محمود

أومات داليا إيجابًا وبقيت داخل السيارة بينما فتح إسلام الباب الخاص بمحمود مُرغمًا إياه على اتباعهم لأنه سبب هذه الكارثة من البداية، فهو من تسبب بتكوّن شخصية مُختلة مجرمة كجعبري وعليه أن يدفع ثمن أخطائه.

هرول إسلام وجابر، ومحمود ومعتز بين الطُرقات الضيقة وفقًا للطريق الذي وصفته داليا، كانوا يهرولون بحذرٍ تجنبًا لتلك الطلقات الطائشة حتى وصلوا أخيرًا إلى المخزن حيث يرقد لؤي على الأرض وفوقه قدم جعبري التي طبعت أثرها على سُترته، وكذلك السلاح المصوّب مباشرة على رأس لؤي استعدادًا لإطلاق النار وإزهاق روحه لولا صراخ أربعتهم في صوتٍ واحد:

-لأ...

هرول إسلام نحوه بسرعة كي يهتف برجاء وصوت لهيئته يغمز كلماته:

-أبوس إيدك يا جعبري سيبه ... إحنا هنعمك إلی إنت عایزه ... ولو علی عمو
محمود فأنا هخليه يبوس راسك ويحب علی يدك كمان

أبعد جعبري قدمه عن صدر لؤي الذي بدأ بالسعال كمحاولة لاستعادة أنفاسه، التفت
جعبري نحو إسلام وبقيتهم ليرمقهم بنظراتٍ مُحترقة انقلبت إلى السُخرية
والاستخفاف مع كلماته:

-وانت فاكِر يعني إني عایزه يعتذر..

قهقه بسُخرية بعد حديثه ليتقدم بعدها صوب محمود ويرميه بنظراتٍ مقتضبة غاضبة
جعلت محمود ينكمش على نفسه لأول مرة خاصة وهو يرمق السلاح المصوب على
معدته حتى التصق به.

-أنا عایزه يدفع التمن ... يدوق الذل والإهانة إلی دوقهالي ودمرلي بيهم حياتي ...
أنا كرهت التعليم بسببك، كرهت حياتي بسببك ... عارف يعني إيه طفل صغير يكره
نفسه وحياته بسبب حيوان زيك ... عارف يعني إيه أكون عایز أنتحر وأنا في
ثانوي عشان كلکم شایفني تمثال مش بيحس عمالین تضربو وتهینو فيه زي ما
إنتو عایزين

إزدرد محمود ريقه بهلع مع كلماته التي اخترقت صميم قلبه وجعلته يشعر بالذنب،
فلأول مرة يلقي نتيجة أفعاله التي دمّرت حياة شخصٍ كانت حياته هادئة مسالمة فيما
سبق، وجد لسانه يردف بصدقٍ هذه المرة وصوتٍ خافتٍ يحمل الكثير من لمحات
الخوف:

-أنا ... أنا آسف_

قطعه جعبري بصوتٍ مرتفعٍ غاضب:

-آسف علی إيه ... أعمل إيه أنا بكلمة آسف ... هترجعلي مستقبلي ؟ ... هترجعلي
حلمي إلی ضاع ؟ أنا كنت عایز أبقى مُهندس، بس بسببك وبسبب إلی زيک

بقيت مجرم ... خلتوني أكره المدرسة والتعليم لغاية ما خرجت منها خلتوني
أكره الناس كلها بسببكم... ودلوقتي جاي تقولي آسف!!

انفطرت قلوبهم لأجله خاصة وهم يرمقون تلك الدموع المتحجرة على وجنتيه، ومع
تأزم الموقف حاول إسلام استلطافه ومواساته بقوله:

-يا جعبري صدقتي إللي بتعمله ده مش هيوجب حقك ... إنت المفروض تثبتلهم إنك
أحسن منهم_

قطعه جعبري مجددًا ليصرخ بوجوههم بما يفيض بداخله طيلة هذه السنوات:

-وليه المفروض أبقي أحسن منهم ؟ ... مفيش حد يستاهل أبقي كويس عشانه

استجمع أنفاسه المتلاحقة وحاول الهدوء والثبات كي يرفع سلاحه مجددًا أمام رأس
محمود مباشرة استعدادًا لقتله والتخلص منه، فهو قد دُمّر طفولته ودُمّر حياته ويجب
أن يتذوق من شره ونتيجة أخطائه، كان محمود ساكنًا أمامه يشعر بأقدامه الرخوة
كالهلام وقلبه الذي يكاد يتوقف من رهبة الموقف، فهو بالعقد الخمسين ولا يتحمل هذه
المشادات، لا يتحمل التوقف أمام خطاه الذي يقسم على تلقينه الدرس، ترتجف
أطرافه وتتهدج حصونه حتى أغلق عينيه استعدادًا لموته.

تابعه البقية في رهبة لكن جعبري هددتهم بعدم التحرك لأنه في جميع الأحوال سيُفتك
به، وربما سيضغط على الزناد بسرعة إذا قرر أحدهم التدخل وإنقاذه، استخدم غله
الدفين وماضيه الأسود ليضغط على الزناد حتى...

دوى صوت العصا على رأس جعبري من الخلف جعلته يترنح ثم يسقط على الأرض
مغشيًا عليه، التفت الجميع نحو صاحب العصا ليجدوا بابلو واثبًا وراءه يلقي العصا
على الأرض ويأمرهم بصرامة:

-إخفو من هنا قبل ما يصحى

أومأوا رؤوسهم إيجاباً ليمد إسلام يده نحو لؤي كي يساعده على الوثوب وإحلال قيوده ثم تركوا المخزن تباعاً، تقدم جابر نحو بابلو قبل أن يترك المخزن لعله يتشكره على إنقاذه لحياته ومساعدته دائماً، فكان يُربت على كتفه متفوّهاً بامتنان:

-تُشكر يا صاحبي-

بادله بابلو بتربيته أخرى قال معها:

-العفو ... يلا إمشي من هنا ... وياريت تختفي من اسكندرية خالص ... إنت عارف رجالة جعبري وحباييه كتير وهينتقموله، وأنا عارف إنك مش قده

أوما جابر رأسه بهدوء ثم رسم بسمة هادئة على ثغره كانت بمثابة الوداع الأخير بينهما قبل أن يرحل جابر ويتبعهم صوب السيارة، استقل معتر مقعد القيادة وجواره محمود وبقيتهم بالمقاعد الخلفية حتى إنطلق معتر بأقصى ما لديه بعيداً عن هذا الدمار والعودة إلى حياتهم الهادئة التي لا تدوم لفترة طويلة....

ربما لم تنتهي كوارثهم ومُشكلاتهم، إلا أن الراحة التي يشعرون بها الآن تكفي لجعلهم يتغافلون عما لاقوه طوال اليوم، فيكفي أنهم عادوا بسلامٍ إلى مضاجعهم حتى ولو تدمرت إجازتهم، فسلامهم وأمانهم أهم من أي إجازة يقضونها ويمرحون بها.

تهدلت أكتافهم وهم يطئون المنزل بأقدامٍ متورمة وأوجهٍ شاحبة صفراء من كثرة الركض وقلة النوم ناهيك عن أعصابهم التي أتلفت من شدة الرهبة والخوف، كل تلك المشاعر تجعلهم الآن يرغبون في نومة أبدية لا صحوة من بعدها.

ترنح جسدها وهي تتوغل المنزل حتى التقطتها كوكي التي تنتظر مجيئها على أحر من الجمر، فما إن دلفت داليا حتى جذبتها كوكي بسرعة كي تسألها بذعر:

-داليا "are you okay?... هل أنت بخير؟" أنا كنت قلقانة عليك أوي

آجابتها داليا بإجهاادٍ وصوتٍ حمل بعض السُخرية مما لاقته هذا اليوم:

-اسكُتي يا كوكي ... دا أنا جريت جري عُمرِي ما جريته في حياتي قبل كدة

تدخلت قمر بالحديث حتى تسألها بفضول:

-عملتي إيه ؟ إحكي لي

وهكذا بدأ الحديث بينهن عن تلك المغامرة الشاقة التي أرهقتهن رغم أنها تأخذ الأمور ببساطة وتحدث عنها كما لو كانت تتحدث عن أحد الأفلام، فهي قد بالغت قليلاً وأظهرت نفسها أمامهن بمظهر الفتاة الخارقة التي فتكت بالأعداء رغم أن الحقيقة أنها لم تتوقف عن البكاء والنواح....

على جهة أخرى كان يمسك مُعترز بكيسٍ مليءٍ بالثلج كي يُعطيه للوِي حتى يُضمد جرح رأسه، فقد بدأ الصُداع ينهشه مجدداً ناهيك عن دماؤه التي جفت على خُصلات شعره.

-إنت كويس ؟

سأله مُعترز بقلبي فأوماً لوِي رأسه وهو يضع قطعة الثلج على رأسه من الورااء لعل الوجع يهدأ قليلاً.

كان إسلام بالأقرب منهما يتحدث مع جابر الذي يقف على عتبة الباب استعداداً للرحيل إلى وجهة غير معلومة، فقط يُريد الهرب بعيداً حتى لا يطوله رجال جعبري مرة أخرى، أوقف إسلام حركته كي يسأل باستفسار:

-على فين ؟

ارتبك جابر قبل الإجابة لجهله بما سيقول، فقد كانت حدقتيه تزيغان في كل مكانٍ بحثاً عم سيقوله، إلى أنه في نهاية أُردف بما بداخله:

-أي حنة ... المهم أبعد عن هنا ... هشوف لو معايا فلوس أسافر بيها اي بلد تانية

أشفق إسلام على حاله خاصة بعد أن علم بكونه وحيداً لا يمتلك لأية أصدقاءٍ أو حتى عائلة، لهذا السبب عرض عليه بؤد:

-ما تخليك هنا وتسافر معانا ... أنا عندي ليك شقة محندقة ممكن تسكن فيها

لم تزل عوالم الإبهام عن وجهه وهو يطالع إسلام ولا يعلم ماذا يقول، فهو لا يُصدق هذا العرض ولا يعلم إن كان هذا عرضاً حقيقياً أم أنها عزيمة ليست إلا، فليس من الطبيعي أن يأتمنوا لصاً مثله ويسمحوا له بالسفر والمكوث معهم، لهذا السبب اعترض ذاك العرض بقوله:

-كلك ذوق ... بس أنا مش هقدر_

قطع إسلام حديثه بنبرة صارمة ويدي تربت على كتفه حتى يستشعر جابر حديثه بالحديث:

-لا إنت هتيجي معانا ... فيالا جهز نفسك عشان هننزل القاهرة إنهاردة

وجهٌ بعدها الحديث نحو تجمعهم بالبهو رغبة بجعلهم يُنفذون أو امره حتى يتخلصوا من تلك الرحلة المشؤومة، فكان يردف بصوتٍ مُرتفع:

-يلا يا جماعة ... يلا نقوم نؤضب الشنط ... شكل ملناش نصيب في السفرية دي

أيدوا رأيهم دون مقاطعة ليتحركوا من أماكنهم وعوالم التذمر تطغي على وجوههم، فكان من المفترض أن تنتهي تلك الرحلة بهدوءٍ وسلامٍ بعد أن يبتاعوا العديد من الأغراض ويسبحوا بالمياه الزرقاء أمام الشمس الساطعة والرمال الذهبية، ليس الهرب من عصابة خطيرة احتجزت بعضهم وهددت البقية!!

وثبت داليا عن المقعد لتلمح والدها الواثب في أحد الأماكن يحمل عوالم الشرود على وجهه ولا يتوقف عن التفكير في جعبري الذي بطريقة ما جعله يشعر بالشفقة على ما

حدث معه، لاحظت داليا شعوره بالضيق وهذا ما جعلها تشعر بالسعادة، فهذه أول مرة ترى فيها والدها يشعر بالذنب لما يفعله مع الآخرين.

إقتربت نحوه لثحاذه بصوتٍ هاديءٍ حمل بعض النصيحة:

-أتمنى تكون اتعلمت إن كلامنا بيأثر على الناس

رسم بسمه هادئة على ثغره ما إن وجدها قبالة في صحة جيدة رغم أنها تعرضت للإختطاف وكانت على وشك التعرض للاغتفال، أحاطها بذراعه وهو يُجيبها بصدقٍ وراحة بال:

**-إتعلمت ... وإتعلمت كمان إنك غالية عندي ... دا أنا سببت القاهرة مخصوص
عشان خاطرك**

قطبت حاجبها بعدم تصديقٍ لحديثه الذي جعلها تسأل بشك:

-بجد ؟ ... يعني إنت خوفت عليا ؟

أكد محمود على حديثه بصدقٍ نابع من فؤاده واختلط بصوته الحنون الذي جعلها تُرفرف بسعادة:

-أيوة طبعاً خايف عليكي ... دا إنت بنتي ... دا أنا أعمل أي حاجة عشانك

تحرك معها بضع خطواتٍ أنصت معها لحديثها المُتشكك:

-يعني مش هتتنمر على حد تاني ؟

اتسعت بسمته وهو يؤكد حديثها بحنانٍ وبعض الندم الطفيف:

-أيوة يا ستي مش هتتمر على حد تاني

بإدلته ببسمة واسعة ورفعت ذراعها لتحاوطه هي الأخرى بغير تصديق لهذا التغيير الذي طرأ عليه فجأة، فهي لا تُصدق أن والدها الذي سخر منها في طفولتها يمتلك بداخله هذا القدر من الحنان، ظنّت لوهلة أنه سيتغيّر ويتوقف عن السُخرية من الآخرين، لكن تلك الظنون سقطت مرة واحدة عندما وجدته يقول بمرح:

-تعالى بقى ما أقولك جوزك أبو طويلة ده عمل إيه....

هناك من يُفضل الليل الهاديء المُعبأ بالسكون وأصوات الحشرات الليلية، وهناك مجموعة أخرى، لا تستيقظ سوى في المساء، بل وتقوم بالرقص والغناء وارتكاب المعاصي في مكانٍ يجتمع فيه كل أنواع المجون، فالجميع هنا يتجرع كووس الخمر والمُسكرات وبعضهم يستنشق أنواعًا من الممنوعات تُذهب العقل وتجعله يُسافر إلى عوالم أخرى، والبعض يتغزل بفتيات ترتدي ثيابًا تكشف أكثر ما تستر، بل ويتميلون أمام الزبائن بدلالٍ أرخص من شأنهن ومن أجسادهن التي أوصانا ربنا بحمياتها.

انتشرت التصفيقات والصارفات الحارة على تلك الأغنية الشعبية التي تتغلغل في كل ركنٍ بالمكان، فكان بعض الرجال يقفون على خشبة المسرح يُلقون أموالهم على تلك الراقصة التي تتمايل بجسدها المليء بالتعرجات أمام الرجال ولعابهم الذي يسيل بنشوة، وخلف تلك الراقصة كان يوجد العديد من العازفين وأحد المطربين يُغني بصوته العذب تلك الأغنية الشعبية.

ومن بين العازفين كان يصدح صوته الذي تبع يداه التي تفرع على الدربوجة بمهارة، فكأنه مُتمرسٌ بتلك المهنة ويُمارسها منذ قديم الأذل، أطلق العديد من الصافرات التشجيعية لتلك الراقصة التي تتغنج أعلى المسرح، بقي حماسه يشتعل حتى انتهى العرض أخيرًا وانتهت فقرة الراقصة التي يأتي الزبائن من أجلها.

ترك ميحو دربوجته على مقعدٍ حديدي ليتحرك وراء الراقصة التي تذهب بدورها إلى حُجرة تبديل الأوعية، كان يهتف من خلفها بنثناء:

-الله ينور يا فنانة ... الناس كانت شوية وهتطلع قلوب من عينيها

ابتسمت الراقصة التي تُدعى تيتي ما إن دلفت الحُجرة وجلست أمام المرأة كي تبدأ
بإزاحة مكياجها، فكانت تبتسم بتكبرٍ قالت معه:

-ما طبعًا لازم يطلعو قلوب ... و إنت فاكرنى أي راقصة ولا إيه ؟

صفق ميجو بكتا يديه وهو لا يزال يقرع الطبول لها بحديثه:

-أيوة يا تيتي يا جامد

تجاهلته تيتي وبقيت تزيح مكياجها حتى ظهرت تجاعيد وجهها، مرّت بُرهة من
الصمت قطعها ميجو بقوله الذي تحوّل إلى الجدية:

-بقولك إيه ياما معكيش ألف جنيه سلف ؟

ما إن ذكرها بأنها والدته حتى شعرت بالغضب يتدفق بأوردتها مما جعلها تستدير
نحوه كي تشهق شهقة رقيقة قبل أن تنهره:

-أما في عينك ... مش قولتلك يا واد متقوليش الكلمة دي تاني

اعتذر ميجو ببسمته المعتادة التي قال معها:

-ماشى يا تيتي ... معكيش بقى ألف جنيه سلف ؟

آعدت رأسها نحو المرأة وهي تجيبه أثناء نزاعها لما تبقى من مكياجها:

-هتلاقي عندك في الشنطة ... بس هاتلي معاك من الصنف إالى إنت بتضربه، وإلا
ملكش عندي فلوس تاني

أنهت حديثها بتهديدٍ استقبله بصدورٍ رحب وهو يفتح حقيبتها وينتشل حفنة من النقود ثم يُغلقها مُجددًا، أوماً برأسه وهو يوافق على شرطها بقول:

-من عنيا ... هطير أنا بقى

بصق تلك الكلمات قبل أن يترك حُجرة تبديل الأوعية ويضع الأموال داخل جعبته، بقي يتجوّل قليلاً داخل الملهى الليلي حتى توقف أمام طاولة مستديرة تجلس عليها فتاةٌ تبدو بمُقتبل العشرين من عُمرها، ترتدي فستانًا كحليًا قصيرًا يبرق لمعانه في الليل، ينسدل شعرها المُسترسل الداكن على كتفيها والذي امتزج مع أحمر شفاهها القاني كما البودرة البيضاء التي تُغطي بها وجهها حتى تظهر حسناء أمام الزبائن، كانت تُدخن من لفافة تبغها في شرودٍ قطعه ميجو الذي أزاح أحد المقاعد كي يجلس بجوارها بابتسامته المُتغزلة:

-بقى ينفع القمر ده يقعد لوحدته ؟

قالها بعينين تحملان النشوة التي جعلتها تبتسم وتعض شفثيها بخجل، لكنها أخفت خجلها ورغبتها بالتدلل له بقناع الجمود والتعنت، وجدته يضع يده داخل جعبته ليُخرج لفافتين سميكتين من التبغ ويمد إحداها نحوها متفوّهاً:

-طب خُدي دي بدل إلي معاكي

نفثت الأدخنة من جوفها ما إن لاحظت يده الممدودة بهذه اللفافة، أطفأت سيجارتها قبل أن تنتشل منه تلك اللفافة متسآلة:

-ده إيه ده ؟

إقترب برأسه وهو يُجيبها بأيدي تتحرك في السماء مُفسرة ما يقول:

-ده صنف أنا بمسيه ... طيري بينا يا دنيا

أخرج قداحته ليُشعل لها لفافتها ثم يُشعل لفافته المشابهة لخاصتها، أردفت قبل أن تأخذ نفسًا من تلك اللفافة وكان حديثها يحمل مزيجًا من الشك والدلال:

-وعلى كدة بقي أنا هطير؟

إقترب أكثر نحوها ليُحيطها بذراعه ويبدأ التمسيد على كتفها العاري دون أن تعترض لأنها مُعتادة على التقليل من شأنها أمام الآخرين، وخاصة هو، فأمنية حياتها أن تتزوجه وتقطن معه في منزلٍ واحدٍ رغم أنه يراها مجرد ساقطة بخيثة الثمن، وهي من أوصلت نفسها لتلك المرحلة دون أن تعرف، فمن يبيع جسده للآخرين يجعل صورته تهتز أمامهم وأمام ذاته.

-كفاية إنك طائرة في قلبي

قالها بنشوة وصوتٍ مُتغزلٍ جعلها تُقهقه قهقهة رقيقة ثم تستنشق من لفافتها كما يفعل هو أيضًا، كان سيواصل هدهدتها حتى تتطور الأوضاع لكن مكالمة هاتفية قطعت لحظتهما وجعلته يستأذن أمام قهقهتها الرقيقة:

-ثواني وجاي

تحرك بضع خطواتٍ حتى وقف بالردهة حيث الهدوء والقليل من الأصوات، أخرج الهاتف ليُغير عوالم وجهه إلى الجدية متفوهًا:

-ألو...

أنته الإجابة من أحد معارفه على الجهة الأخرى والذي كان يقول بتحذير:

-إلحق يا ميجو ... المعلم إدريس هرب من السجن وقالب الدنيا عليك

تلاشت عوالم الهدوء عن وجه ميجو وحلت الصدمة محلها، لأن هذا الخبر يعني أنه هالكٌ لا محالة....

عادوا إلى موطنهم أخيرًا بعد هذا العناء، فلأول مرة يشتاقون العودة إلى بيوتهم والنوم على مضاجعهم، لكنهم قبل أن يصلوا إلى تلك المرحلة، قرروا الإجتماع لأمرٍ بالغ الأهمية داخل المنزل الخاص بداليا وإسلام، ففي تلك الأيام السابقة حدثت العديد من التغيرات، فوالدة داليا قررت أن تترك منزلها وتقطن بمنزلٍ بنفس البناية التي تقطن بها ابنتها حتى لا تبتعد عنها، كما أن عائلة قمر على وشك الانتقال هي الأخرى بعد أن انتهى عقد الإيجار الخاص بمنزلهم.

دعونا نترك تلك التفاصيل وننغمس مع هذا الإجتماع الذي يترأسه إسلام وداليا الوائبة جواره حول الطاولة التي تنتصف البهو، أسندت باطن كفها على الطاولة وهي تقول
بجدية:

**-طبعا كلنا عارفين إن في فرد جديد دخل علينا ... والفرد ده ميعرفش حد هنا
غيرنا، عشان كدة لازم نساعده**

كانت تتحدث عن جابر الذي أتى معهم في تلك البلدة الغريبة بالنسبة له، لعله يبدأ حياة جديدة وينتهي من ماضيه المأساوي، ولأنه وحيدٌ لا يمتلك أصدقاءً ولا أقاربًا، لهذا السبب قرروا أن يتكاتفوا سويًا ليُعاونوه ويُساعدوه بما لديهم من مُدخرات، أكمل إسلام حديثها بنفس الجدية التي أدلى معها بعضًا من أوامره:

**-أنا فتحته الشقة إالي في الأرضي، وهقول لابويا مياخدش منه الإيجار لغاية ما
وضعه يستقر**

أكملت داليا حديثه على نفس النمط:

**-وعشان يستقر لازم يبقى عنده مصدر دخل ... وطبعا محدش هيقبل يشغله وهو
أمي وكمان معندهوش خبرة**

أنهى إسلام الحديث مُدليًا آخر القرارات:

-فاحنا قررنا ناجر الميني ماركت إالي تحت البيت ونجيب حد يساعده ويعلمه
الشغل... فعايزين بقى نلم من بعضنا عشان نسدد تمن الإيجار

أمعنوا التحديق به لفترة يحاولون ربط الأحاديث ببعضها، فقد أخبرهم إسلام قبل
الإجتماع أن يجلبوا معهم ما يستطيعوا التخلي عنه من أموال حتى يُساعدوا صديقهم
الجديد، وعلى الرغم من الشكوك التي انتابتهم في البداية حول مساعدة هذا الدخيل
الذي ربما يُشكل خطرًا على حياتهم إلى أنهم في النهاية وبعد أن أدركوا سذاجة جابر
وأنه من المُستحيل أن يأذيتهم، قرروا مساعدته حالما تتأكد ظنونهم ويثبت لهم أنه
يستحق هذه المساعدة، ففي جميع الأحوال سيتم إنفاق هذه الأموال على المتجر ولن
يتسلمها جابر مباشرة.

قطع صمتهم صوت الهاتف الخاص بداليا والذي أخذ يصدح بصورة تكرارية وتقوم
داليا بإغلاقه وعلى وجهها علامات الحيرة من ذاك المُتصل.

أخرجت كوكي حفنة من النقود لتضعهم على الطاولة مع كلماتها الهادئة الناعمة
كصوتها:

-أنا قولت لبابي يديني 15 ألف ... أتمنى إنهم يكفو

تقدمت قمر بعدها لتضع على الطاولة مبلغًا من الأموال أقل من الذي وضعت كوكي:

-دول خمستلاف كنت محوُشاهم

أدثر مُعنز يده داخل جيبه ثم أخرج رُزمة من الأموال ليضعها على الطاولة متفؤها:

-ودول سبعنتلاف...

تبعه لؤي وهو يُخرج حفنة من الأموال من جعبته ويضعها بهدوءٍ على الطاولة أثناء
قوله:

-عشر تلاف ... أظن دول يكفو

تنهد إسلام قبل أن يستدير نحو الخزانة الخاصة بالأنتيكات والتي أخفى داخل أحد أدراجها بعضًا من النقود، أخرج هذه الأموال ليضعها على الطاولة متفوّهاً:

-ودول 11 ألف مني أنا وداليا ... إحنا كدة تقريبًا جمعنا المبلغ المطلوب زائد كام ألف زيادة عشان إلي هنجيبه يساعد جابر...

جمع الأموال من فوق الطاولة ليضعهم داخل حقيبة جلدية بنية اللون كانت أسفل الطاولة لكنها الآن فوقها وأمامهم بعد أن ملئها بالأموال، أغلق الحقيبة وهو يدلي كلماته الأخيرة بصراحة:

-أنا والشباب هننزل نشوف المحل ونيجي

حمل الحقيبة بعدها ليُشير على لؤي ومُعترز كي يتبعانه ويتركا المنزل بينما كانت داليا تمسك هاتفها بعد أن قررت الإجابة على هذه المكالمات التي لم تتوقف منذ عادت القاهرة وبدأت إجتماعاتهم، من الممكن حتى أنها بدأت وهي داخل السيارة في طريق العودة لكنها تقضي هذه الفترة في النوم ولا تنصت أبدًا لهاتفها، وضعت الهاتف على أذنها وهي تقول:

-أبوة يا خالتو...

شهقت في صدمة تلاشت معها عوالم وجهها لتقول:

-ليه ؟ ... لأنا كويسة والله ... طيب طيب أنا جاية حالاً

أغلقت المكالمة أمام نظرات صديقاتها القلقة والتي قطعنها كوكي بسؤال:

- what s wrong dalia ? -

أجابت داليا بعوالم دعرٍ لا تزال على وجهها:

-ماما معرفش إزاي عرفت إن أنا كنت مخطوفة وضغطها وطي وأغمى عليها ...
أنا بجد مش عارفة مين إلهي قالها

تحول وجهها إلى اللون الأصفر وبدأت تزدرد ريقها وهي تحاول التحجج أمام
صديقتها قبل أن تكتشف الحقيقة:

-ع.. عادي يعني يا داليا؟... يمكن قَلقتِ عشان إنتِ مش بتردي ومتصلتيش بيها

أجابتها داليا وهي تبحث عن حذائها حتى ترتديه قبل أن تترك المنزل:

-بس خالتو قالتلي إن في حد قالها

بترت كلماتها عند تلك النقطة لترفع بعدها وجهها وتطالع صديقتها قمر التي لاحظت
أنها تتجنب النظر إلى عينيها كما لو كانت اقترفت أحد المصائب، أو أنها من أفشت
سرُّها أمام والدتها شديدة الحساسية ورقيقة المشاعر، سُرعان ما انقلبت تقاسيم وجهها
إلى الشك والغضب أثناء سؤالها:

-قمر ... هي ماما كلمتك وأنا مخطوفة ؟

تصعب العرق على جبينها وارتجف لسانها أثناء قولها:

-إيه ... م.. مش فاكرة

اشتمت رائحة الكذب التي تفوح من قمر كرائحة المياة العكرة التي تنتشر في بعض
المناطق بصورة مفاجئة، تقدمت خطوتين نحو صديقتها لترمقها بنظراتٍ مُشتعلة
وأعين مُتسعة أظهرت سرايينها، رفعت من نبرة صوتها وهي تسأل:

-قمر ... ماما لما اتصلت بيكي إنتِ قولتلها إيه ؟

آرادت أن تتهرب من الإجابة لكن نظرات داليا ووقوفها أمامها مباشرة منعها من التحرك قبل أن تعترف، ولأن قمر لا تستطيع إخفاء الحقيقة وجدت نفسها تحاول التبرير لنفسها بكلماتٍ مُترددة:

-ق... قولتها الحقيقة

قبضت داليا على كتف قمر تزامناً مع غضبها الذي ازدادت وطأته وآرادت أن تُفتك بصديقتها في تلك اللحظة:

-قولتها إن أنا اتخطفت!!

هتفت بتلك الكلمات فحاولت قمر التبرير لنفسها بطريقة جعلتها تبدو وكأنها لم تقترف شيئاً كبيراً:

-اعمل إيه يعني يا داليا ما هي إلهي سألتني عنك _

قطعت داليا حديثها بصياح:

-ما كُنتِ قولتها إني نائمة ولا في مشوار تقوليلها إني مخطوفة وفي ناس عايزة تموتني !!... إنتِ متعرفيش إن ماما ممكن تروح فيها ؟

بررت قمر لنفسها مجدداً:

-ما إنتِ عارفة يا داليا إن أنا مش بعرف أكذب

حركتها داليا بغضبٍ وهي لا تزال تقبض على ذراعها وتهتف بوجهها لتسببها بتلك الكارثة:

-على الأقل كُنتِ خبيتي ... فالحة بس تقوليلنا أنا بخلي الناس تكشف أسرارها وإنتِ ماشية تقولي أسرارنا للرايح وإلهي جاي!!

تتهدت كي تستجمع شتات نفسها وتتوقف عن الصُراخ في صديقتها، أغلقت عينيها حتى تتحلّى ببعض الهدوء ثم تسألها بعدها:

-ويا ترى بقى قولتلها كمان إني دخلت جوة جسم حرامي ؟ ... ولا اكتفيتي بموضوع إني مخطوفة

زاغت ببصرها في جميع الاتجاهات حتى قررت الإجابة بصدقٍ وصوتٍ خافت:

-هو أنا قولتلها بس تقريباً إفتكرتني بهرتل

سقط فك داليا وكانت على وشك الصياح بقمر مجدداً لولا تلك الشهقة التي خرجت من قمر لتتبعها بحُجة تساعد على الهرب:

-يخرابي ... دا أنا نسيت اللوبيا على النار

قطبت داليا حاجبيها بذهولٍ سألت معه بصوتٍ مُنخفضٍ حائر:

-لوبيا إيه إحنا لسة جايين من اسكندرية ؟

استغلت قمر حيرتها وتخلصت من قبضتها كي تُهرول بالدرج نحو منزلها، أدركت داليا هذه الحُجة التي تختلقها قمر فعاودت ملامح الغضب والتؤعد تزورها مما جعلها تُهرول وراء قمر كما القط والفأر، فكانت تُطلق السُّباب على صديقتها وتركض وراءها تاركة كوكي تجلس بأريحية تشاهدهما وثَّقَّهه كما لو كانت تُشاهد عرضاً مسرحياً....

دقت الساعة الواحدة بعد مُنتصف الليل ولازالوا بهذا اليوم الشاق الحافل بالأحداث، لكنهما الآن يجلسان على مضجعيهما استعداداً للنوم، فكان إسلام يقف أمام المرأة يُعدل من خُصلات شعره وملابسه كما يفعل دائماً، فهو على عكس الجميع، يعشق مشاهدة نفسه أمام المرأة وتمشيظ خُصلات شعره الذي يعشقه قبل النوم.

كانت داليا تجلس على الفراش تضم ركبتيها على صدغها وعينيها تُحدقان أمامها في شروءٍ أبرز تلك الهالات السوداء التي بدأت تتكوّن أسفل عينيها من قلة النوم، فهي على الأحرى لم تتم نومة هنيئة ليومين كاملين، إرتمى إسلام جوارها على الفراش يُزيح الغطاء كي يندثر بجسده استعدادًا للاستلقاء، لاحظ حالتها الشاردة وجلسها كما الصنم على هذه الوضعية، لهذا السبب أخبرها بهدوءٍ حمل بعض المرح:

-يلا ننام ... اليوم كان صعب أوي إنهاردة

بدأ بالاستلقاء أمامها وهي لا تزال في تلك الوضعية حتى أردفت بصوتٍ خافتٍ حمل بعض الخوف:

-مش عايزة أنام...

قطب حاجبيه بحيرة من حديثها الذي جعله يعتدل على فراشه كي يستفسر:

-داليا إنتِ تقريبًا منمتيش بقالكِ يومين ... لازم تنامي

آدارت وجهها نحوه كي تهتف بنبرة مُرتفعة:

-لأ مش هنام ... مش عايزة أصحى ألاقى نفسي في مكان تاني، مش عايزة إللي حصل إنهاردة يتكرر يمكن إنهاردة عرفت أخرج منها بس بعد كدة ممكن أموت بجد

انهمرت الدموع من عينيها بعد حديثها الذي ذكرّها بحياتها المُعرضة للخطر، وما حدث بذاك اليوم والذي تسبب بتدهور حالتها حتى وصلت لتلك الحالة، أدثرت رأسها بين رُكبتها وهي تتشقق بين دموعها:

-أنا كُنت هموت ... كنت هموت ومحدث هيعرف إني مُت

كفكت بعض دموعها وهي ترفع وجهها قبالة إسلام الذي يُطالعها بقلة حيلة، فهو لا يعرف ماذا يقول، حديثها صائب لدرجة تجعله يخشى النوم هو الآخر، يخشى أن يجد

نفسه في جسد مُجرمٍ على وشك تنفيذ حُكم الإعدام عليه، يخشى أن تنتهي حياته دون أن يعلم أصدقاءه وأقاربه بذلك، لم يكن يوجد أمامه سوى الإقتراب من جسد داليا وإحاطتها بذراعه محاولاً التهدئة من روعها بقوله:

-إحنا مجبورين نستحمل ... عشان إحنا اتخلقنا كدة_

قطعت حديثه بصوتٍ مُرتفعٍ يعترض ما يقول:

-بس إحنا لازم نتثبت ... مينفعش نفضل عايشين كدة طول عُمرنا

لاحت بُرهة من الصمت بينهما جعلته يبتعد بأنظاره عنها وكلماتها تخترق عقله وتُصيبه بالعديد من التناقضات، فهو موافقٌ على حديثها لكنه لا يعرف الطريقة، يخشى أن ما حدث بالماضي يتكرر مجدداً ويكونا الضحية.

-إفرضي حصل زي إللي حصل لبطة إفرضي حاولنا نتثبت معرفناش نرجع لجسمنا تاني

ذُكرها بما حدث بطريقة قاسية جعلت الاستسلام يغمرها واليأس يُعذبها، أعادت بصرها أمامها لتُفكر بحديثه بُرهة من الوقت قبل أن تقول ببعض العزيمة:

-ن..نجرب تاني ... نشوف أي طريقة تانية ونتثبت بيها ... يا إسلام والله مش هقدر استحمل إن حياتي تفضل متهددة كدة

أنهت حديثها بنظرة مُترجية مصوّبة نحوه كي يلحظ دموعها المتلألئة وخوفها البادي على أطرافها ودواخلها، لم يجد أمامه سوى التربيت على ظهرها بحنانٍ لأول مرة تراه عليه، فطالما كان فظاً يأخذ الأمور بسُخرية واستهزاء، إلى أنه الآن يشعر ببعض الخوف من حديثها، يشعر أيضاً بأن حياته مُهددة مثلها، لهذا السبب يُفكر بجدية في هذا التثبيت.

-ماشى يا داليا ... هكلم مخيمر عن الموضوع ده وهو أكيد هيساعدنا

أومات داليا في صمتٍ ليست متأكدة من صدق حديثه لكنها ستترك للأيام فرصة كي تثبت لها، بعد برهة من الصمت وجدته يُغير الحديث بمرحٍ وتعاليه المعتاد:

-وبعدين يا ستي لو صحيتي لقيتي نفسك في مكان تاني هجيبك بردو ... إنت
فاكراني إيه ... دا أنا كشفت جابر من أول خمس دقائق

أنهى الحديث بفخرٍ من ذاته جعلها تبتسم ابتسامة خافتة فردت معها قدميها استعدادًا للاستلقاء والنوم هي الأخرى، لكنه لا يزال يُثرثر وراء أذنها وكأنه تناسى حقيقة أنه من المُفترض أن يواسيها ويُطمئنها.

-بذمتك لو أنا إللي نقلت لجسم جابر كُنتِ هتعرفي؟ ... دا إنتِ مكنتيش هتعرفي إلا
آخر اليوم...

تجاهلت داليا حديثه واستلقت بجسدها على الفراش لتُغطي نفسها بالملاء وتغط في سباتٍ عميق جعله يُناديها لبضع دقائق حتى أدرك أنها نامت تمامًا؛ استلقى هو الآخر جوارها وأرخى جسده تمامًا وعقله لا يزال يُفكر بحديثها عازمًا على إيجاد طريقة مضمونة للتثبيت في أسرع ما يُمكن...

لم يزرهما النوم في تلك الليلة على الرغم من هذه المشاق، فها هما يجلسان بالبهو أمام التلفاز يتشاركان الأحاديث الهادئة والمرحة في بعض الأحيان، فلا شيء أفضل من هذا الوقت الذي ينتهي فيه المرء من اشغاله ولا يبقى أمامه سوى النوم والراحة.

أمامها صحنٌ من الفاكهة تنهمك بتقطيع ثمرة الكُمثري التي تشتهيها في هذا الوقت المتأخر من الليل، فذاك الطفل الذي يختبئ داخل احراشها يجعلها جائعة طوال الوقت حتى ولو كانت نائمة، بل والأغرب انها أضحت تتناول اطعمة لم تكن تتناولها قبل ذلك.

-انا هقوم اعمل شاي اعملك معايا؟

قالها معتز قبل ان يثب عن الأريكة متجهًا صوب المطبخ تاركًا هذا الفيلم مفتوحًا امام زوجته التي نفت برأسها رافضة عرضه دون أن تنبس ببنت شفة، فهي منهمكة بتناول الكُمثري ومشاهدة التلفاز.

امسك معتز بالإبريق الكهربائي ليملاءه بالقليل من المياه ثم يبدأ بإعداد الشاي بالطريقة التقليدية، أما عن كوكي فلم تكن تنتبه له حتى انتابتها وعكة قوية وكأن الأعاصير تضرب بطنها المنتفخة في تلك اللحظة.

تركت الصحن على الأريكة لتتقوّص معدتها ويدها تلمس على بطنها مع تأوهاتا التي بدأت تخرج في صمت، تقاطرت حُبيبات العرق على جبينها والدموع بدأت تتكّوم على وجنتيها كلما زاد شعورها بالألم.

لم ينتبه معتز لتأوهاتا لأنه لم يكن قريبًا، لكنه ما إن انتهى من إعداد الشاي حتى هتف بصوتٍ مرتفع وهو لا يزال داخل المطبخ.
-اجبك حاجة من المطبخ معايا؟

تقدم نحوها ومعه كوب الشاي دون أن ينتبه الي ظهرها المقوّص وتأوهاتا الخافتة، فكانت تظن انها وعكة وستمر كما تمر غيرها، فهي قد اعتادت تلك التوّعات بالفترة الأخيرة، إنما هذه المرة، لأ تعلم لم تشعر أنها تتألم أكثر من كل مرة.

فتحت فمها تزامناً مع شهقة أطلقتها عندما وجدت المياه تتساقط منها دون إرادتها، تزايدت ضربات قلبها وهي تهتف بغير تصديق:
-ماية !! ... ماية... !!

استمع معتز الي حديثها الذي ترجمه بطريقة بلهاء جعلته يقول:
-عايزة ماية؟ ... مقولتيش ليه قبل ما اسيب المطبخ؟ انا عمال اسألك عايزة ايه من بدري

تصاعدت أنفاسها وبدأت بالشهيق والزفير بوجهٍ غارقٍ باللون الاحمر، وجدت نفسها تهتف بوجهه بصوتٍ مرتفعٍ حمل انينها:
-طلق ... الطلق يا زيزو

لم يفهم معتر حديثها لكن فرائسه قد ارتعدت وجعلته يتأفت حول نفسه وبعض القطرات تنسكب من شايه تزامناً من قوله:
-طلق !! ... هو في ضرب نار ولا إيه؟

وضع كوب الشاي على طاولة قريبة وطفق يلتف حول نفسه متخذاً وضعية الاستعداد كما لو كانوا سيتعرضان لأحد المعارك، فتلك الأحداث المحيطة بهم غرست بداخله هذه الأوهام.

لم تتحمل كوكي الصمود أكثر ولو تتحمل ايضاً بلاهة زوجها التي جعلتها تصرخ بصوتٍ كاد يُمزق حنجرتها:
-زيزو انا بؤلـد.... !!

الفصل الرابع (عودة الأخ الضال)

هناك صدمات تحوّل حياتك جحيماً، وهناك صدماتٌ أخرى تجعلك تُرْفرف من السعادة، فربما هذا النوع يُسمى مفاجأة، لكنها تأتي على هيئة صدمات...

ازداد ارتبাকে وتعرق وجهه وهو يدوّر حول نفسه بتيه، هل ما تقوله صحيح؟ هل سيأتي طفلهم على العالم في هذا الوقت المتأخر من الليل!! أه من هذه الليلة الطويلة، فلا يكفي ما حدث صباحاً حتى يختتموا اليوم بتلك المفاجأة.

إقترب نحوها ليجلس قبالتها وصوت أنينها وصراخها يرتفع أكثر، فقد تحوّل وجهها إلى اللون الأحمر وكانت تقبض بيدها على الأريكة حتى كادت تُمزقها، فما تشعر به أصعب من أي ألمٍ شعرت به فيما سبق.

-ب.. بتوّلدي إزاي؟؟ بتتكلمي جد؟

سألها بحيرة لتصرخ بوجهه بعد أن طفح كيّلها:

-أومل بهزر...

أدلت تلك الجُملة وواصلت الصراخ والاستنجاد حتى ينقلها إلى المشفى فوراً، فمع صراخها وأنينها ازداد توّثره وبدأ يتلّفت حول نفسه بأيدي مُرتجفة يبحث بها على الهاتف ويقول بقرارة نفسه:

-لازم أكلم إسلام بُسرة

أمسك جهاز التحكم بدلاً من الهاتف ووضع على أذنه استعداداً لإجراء المكالمة، لكنه اكتشف أنه جهاز التحكم فألقاه بعيداً وحاول مساعدة كوكي على الوثوب عن الأريكة حتى تستقل معه السيارة، فهو بالطبع لن يقدر على حملها وهي لا تتوقف عن الصراخ وتمسك الوسادة لتضعها داخل فمها وتبدأ بعضّها لعلها تُخفف القليل من هذا الألم.

وضع مُعترِ الهاتفِ على أذنه كي يتحدث مع إسلام الذي أيقظه من نومه، كان يتحدث بفاهٍ مُتلجلجٍ وصوتٍ يزداد ارتباكًا وخوفًا:

-الحقني يا إسلام أنا بؤلد ... قصدي ناجتس هي إلي بتؤلد... أيوة بُسرة

أغلق المكالمة بذعرٍ وهو يحاول حمل كوكي التي بدأت تضربه وتقبض على ذراعه تزامنًا مع صراخها الذي لم يتوقف حتى استطاع أخيرًا مساعدتها على استقلال السيارة بمساعدة من إسلام وداليا التي استيقظت هي الأخرى من نومها وبدأت تُساعدهما وتسببهما أيضًا لأنهما أيقظاها من النوم ومن الراحة التي اشتاقتها لعدة أيام.

صوت صراخها لم يتوقف وهي داخل حُجرة العمليات ترتدي سترة زرقاء وتستلقي بظهرها على الفراش وأمامها إحدى الطبيبات وبعض الممرضين يُساعدونها على الولادة الطبيعية، فالطبيبة أخبرتها أن الوقت قد تأخر وأن الولادة القيصرية قد فات أوانها، فالطفل ينزلق ويصرُّ على مقابلة الحياة بصدرٍ رحبٍ وهو لا يعلم ما تحمله تلك الحياة من أهوال، فلو كان يعلم لما بقي داخل رحم والدته إلى الأبد.

يقف مُعترِ وراءها يرتدي ملابس طبية ويمسك بكفها لعله يُحاول التهدئة من روعها، فهي لا تتوقف عن الصُراخ ومحاولة تنظيم أنفاسها قبل أن تفقد وعيها، فالوجع يزداد أكثر كلما طلبت منها الطبيبة أن تضغط وتتحامل على ذاتها حتى يستطيعوا الإمساك بهذا الصغير.

-طب تصدقي بقي ... حتى وابتِ وبتصرخي قمر

قالها ببسمة مُتغزلة على ثغره متغافلًا عن تلك الحالة التي هُم بها، فما إن أدلى تلك الكلمات حتى وجد صوت صُراخها يصدح عاليًا لتردف بعدها:

-مش وقته...

انتبه إلى وضعهما المتأزم فتلاشت بسمته وعاود مواساتها وتشجيعها على المثابرة حتى هتفت الطيبية بلهفة:

-أهو ... الراس ظهرت... اضغطي كمان يا مدام

كادت تفقد وعيها في تلك اللحظة، فأنفاسها تتهدج والعرق يتقاطر من جبينها كالودق، لكنها مع ذلك تماسكت وشدت من القبض على كف مُعترز وهي تضغط للمرة الأخيرة حتى...

صوت البكاء غمر الحُجرة ليجعل بسمتهما تُرسم تلقائياً، ترقرقت دموع الفرحة من عينيها وهي تُشاهد أمامها قطعة من أحراشها مُلطخة بالدماء يلتف حولها قطعة بيضاء من القماش، غطت الطيبية جسده الصغير وهي تقول ببسمة واسعة:

-مبروك ... بنت زي القمر

ما إن أدلت تلك الجملة حتى تبادلت نظراتهما في سعادة بالغة تبعثها الطيبية وهي تقترب بتلك الطفلة وتضعها بحرصٍ أمام كوكي، فشعور الأمومة بدأ يتدفق إليها من الوهلة التي أمسكت بها بهذه الطفلة البريئة والتي ستتوَّج قصتهما وسُغير حياتهما للأبد، أخذت الطيبية الطفلة مُجدداً لتضعها بحُجرة الرعاية كي تتأكد من سلامتها، كما أن حالة كوكي المزرية جعلت الطيبية تتركها لتستريح قبل أن تنقلها إلى حُجرة عادية...

مرّت العديد من الساعات وهي لا تزال داخل المشفى تفتح عينيها بوهنٍ على أشعة الشمس الهادئة التي بدأت تتغلغل بأركان الحُجرة، وجدت مُعترز جوارها يحمل صغيرتهما على كنفه ويُهددها بحنانٍ جعلها تبتسم تلقائياً، فلا شك أنه سيُصبح أباً حنوناً يرعى صغيرتهما ويقف بجوارها في الصعاب.

انتبه مُعترز إلى استيقاظها فتقدم نحوها ومعه الصغيرة كي يضعها بين ذراعيها فتعتدل هي بجلستها وتُحدق بجسدها الصغيرة وعينيها المُغلقة، لكن خُصلات شعرها بدت بُنية اللون مما يعني أنها ربما تضحى مثل والدها.

قطع لحظتهما الرائعة إقترام كلاً من إسلام وداليا الحُجرة بأوجه مُرهقة وكلماتٍ مُعاتبية صادرة من داليا:

-حمد الله على السلامة يا إلهي مصحيانا طول الليل

ارتمت جوارها على الفراش تحمل منها الصغيرة وتبدأ بهدهتها بحنان، أما عن إسلام فكان يجلس على المقعد المجاور لمقعد مُعتر ويسأله بفضول:

-ها ... قررتو تسموها إيه؟

تلاشت بسمتهما لوهلة وطفقا يتبادلان النظرات في تيه، فهما لم يختارا الاسم ولم يُفكرا حتى بإختياره، فسعادتهما بالمولود أغفلتهما عن تلك النقطة، قطع مُعتر هذا الصمت باقتراحه الواثق:

-هنسميها زُليخة على اسم جدتي

لاحت عوالم التذمر على وجه كوكي وهي تقول:

-إيه؟ noway ... أنا مش هسمي بنتي زلابية

صح مُعتر حديثها:

-أنا قولت زُليخة

اعترضته مجدداً بإصرار:

-مش مهم ... المهم إني مستحيل اسميها الاسم ده

تدخلت داليا بالنقاش كي تسألها بفضول:

-أومل هتسميها إيه؟

تبسم وجهها وهي تقول بأعينٍ تُحدقان بتلك الفتاة الصغيرة:

-هسميهاEsperanza-

قطب مُعتز حاجبيه من ذاك الاسم العجيب الذي هتف بعده:

-أسبرينا !! ده اسم ده ولا دوا من الصيدلية؟

رفعت من نبرة صوتها قليلاً وهي تُعارض حديثه وتتمسك بقرارها باستماتة:

-على فكرة دا اسم حلو جداً my bestfriend ... في أمريكا كان اسمها كدة

بادلها مُعتز بنفس النبرة المُعترضة وهو يقول:

-لا مفيش الكلام ده ... أنا مش هسمي بنتي أسبرينا

-وأنا مش هسميها زلابية

وهكذا نشب العراك بينهما أمام إسلام وداليا اللذان يُطالعانهما بأعينٍ ناعسة وجسدٍ غير قادرٍ على الجدل رغبة في النوم، وأمام جدالهما الذي احتد قليلاً تدخلت داليا حتى لا يُداهمها الصُداغ من أصواتهما:

-بس ... بس

هدأت أصواتهما لتتجه الأعين نحو داليا التي أردفت باقتراح:

-أنا عندي ليكم اسم حلو....

أغلقت المكالمة مع صديقتها التي اطمأنت عليها قبل مواصلة العمل، فعلى الرغم من أن داليا حاولت الاتصال بها، إلى أنها تضع هاتفها على وضعية الصامت دائماً خاصة عند الخلود إلى مضجعتها، لهذا السبب تغافلت عن تلك الأحداث التي حدثت ليلة أمس حتى اتصلت بها داليا وجعلتها تطمئن على حالة كوكي وترى ابنتها الصغيرة التي رُزقت بها منذ فترة صغيرة.

تسترخي بظهرها على المقعد الوثير أمام مكتبها ذا الصيحة العصرية والعديد من اللوحات التي تحمل لمحة من الأمل والشعور بالتفاؤل، أما أمامها كان يوجد حفنة من الأوراق تخص بعض الحالات التي تأتيها منذ بدأت تلك الوظيفة، فهي قد نفذت أحد أحلامها وتركت الصحافة وكوارثها لتتجه إلى وظيفة تعشقها تتعلق بالطاقة وبت الإيجابية والتفاؤل على الجميع، ولأنها ماهرة بالتنويم المغناطيسي فكانت تستخدم تلك المهارة لمعالجة بعضاً من حالاتها.

قطع خلوتها فتح باب المكتب ليتوغل منه إحدى الحالات مما جعلها تعتدل بجلستها وتعلق هاتفها، وجدت أمامها رجلاً يبدو بأواخر العشرين لكن وجهه وحالته تجعلك تعتقد أنه بالعقد الرابع، جلس بهدوءٍ أمام مكتبها وبقي في حالة من الصمت والشرود حتى أردفت:

-سلام عليكم-

رمته ببسمة ودودة ولا يزال هو في حالة من الشرود مع إيحاءة بسيطة تُصدر من رأسه ليجعلها تتأكد أنه يستمع إليها، أرخت ظهرها للوراء وهي تسأله:

-إيه بقى مُشكلك ؟-

أجابها وهو لا يزال يُحدق في شرود:

-مش عارف-

اعتدلت بجلستها وهي ترمقه بحيرة والعديد من علامات الاستفهام تتحرك حول رأسها، فكيف لا يعرف هذا الرجل ماهية مُشكلاته، ولم أتى هنا من الأساس؟ قطعت وصلة الأسئلة التي تحوم حولها بسؤالٍ مُختصر:

-إزاي؟ ... يعني إيه مش عارف؟

فسر الرجل إجابته بصوتٍ هاديء:

-مش عارف أي حاجة ... أنا مش عارف حتى اسمي

لازالت تُحدق بحالته الغريبة حتى استنتجت:

-فقدت الذاكرة؟

لاح التيه على وجهه وهو يقول:

-مش عارف ... أنا صحيت لقيت نفسي في المُستشفى ... بس محدش قالي إني عملت حادثة، قالولي إنهم لقوني مرمي عند صفيحة الزبالة

سألته مجدداً برغبة عارمة بمعرفته أكثر حتى تُحاول مساعدته:

-يعني إنت مش فاكِر مين إالي عمل فيك كدة؟

نفي برأسه بأعينٍ تزيغ في بُقعة عشوائية ليتحلّى بعدها بالصمت إلى أن وثبت قمر من مقعدها لنتخذ المقعد المقابل له وتبدأ النظر في عينيه الداكنة التي حملت مزيجاً من الغموض والإرهاق، فوجهه ذابلٌ وجسده هزيلٌ كما لو أنه خرج من إحدى المعارك، أحنّت جذعها وهي تحاول التحديق بعينيه اللتان تحدفان بالأرضية.

-ممكِن تبُصلي؟

سألته بهدوءٍ لتجده يستجيب لحديثها ويرفع رأسه بهدوءٍ لتضحى قبالتها، فما إن تلاقى عينيها بعينه حتى أطلقت نظراتها الثاقبة نحوه وبقيت هكذا لفترة حتى جعلته يغرق في سُبَاتٍ عميقٍ تعلم جيداً أنها بتلك الطريقة ستجعله يعثر على تلك الذكريات المفقودة.

ارتدى رأسه للوراء وبقي في حالة من السكون لفترة وجيزة عاد بها إلى طفولته ووالدته التي لا تُعيره أي انتباهٍ بعد أن تُوْفِي والده، العديد من الذكريات تتدفق أمامه بصورة عشوائية جعلت الدمعات تتساقط من عينيه ثم...

انتفض جسده فجأة وبدا وكأن مساً كهربائياً قد مسه في تلك اللحظة، انتابها الذعر وهي تتابع حالته ولا تُعلم كيف تُوَفِّقه؛ وثبتت عن المقعد لتتقدم نحوه وتبدأ بمناداته رغم أنها لا تعرف اسمه حتى:

-يا أستاذ ... يا أستاذ..

ولكنه لا يستيقظ ولا يزال ينتفض بهستيرية حتى قررت خوض التجربة وتجربة تلك المهارة التي اكتسبتها مؤخراً والتي تُساعد على الشعور بما تشعر به الحالة أثناء تنويمها مغناطيسياً، قبضت على يده الباردة وأغلقت عينيها جيداً حتى...

أحسّت بالكهرباء تسري بجسدها وتتغلغل إلى عقلها، مع صوتٍ غليظٍ يضرب أذنها مُحملاً بكلماتٍ قاسية تُحطم الأنفاس، شعرت بالإختناق لوهلة مع صوت المياه الذي شعرت بانسكابه على وجهها ليُعيق تنفسها، بل وأصوات السُّيَاط والضربات بدأت تشعر بهم في جسدها حتى كادت تفقد الوعي ووجدت نفسها تبتعد عن يده في ذعرٍ وتحاول إفاقته بصوتٍ مُرتفع وبهزاتها الحادة.

عاد الرجل من تلك الذكريات بأنفاسٍ مُتهدجة وبعض قطرات العرق تتصبب من جبينه، وجد قمر تقف وراءه تتابعه بنظراتٍ قلقة حتى وجدته يمسك برقبتة ويحاول تنظيم أنفاسه دون أن ينبس ببنت شفة، أرادت أن تسأله عن تلك الذكريات لكنها وجدته يترك المقعد ويترك المكتب بأكمله بتقاسيم وجهٍ حادة ورغبة في الانتقام تشعر بها بين نظراته.

ترك المركز بأكمله ولا تزال هي تتابعه بحيرةٍ وقلبٍ مُنقبضٍ، فما حدث مع ذلك الرجل ليس هينًا أبدًا....

فتح عينيه بوهنٍ وجسدٍ يكاد يتهشم من كثرة الإرهاق، رفع رأسه قليلاً لينتبه إلى كونه داخل مكتبه عليه أن يُباشِر عمله رغم أن عقله شاردًا في عالمٍ آخرٍ والإرهاق لا يترك جسده من ليلة البارحة، كذلك يُفكر بصغيرته التي اخترقت عالمه وبثته ببعض الطاقة لمواصلة العمل كي يُوفّر لها حياة تليق بها.

ارتسمت ابتسامة هادئة على ثغره كلما تذكر وجهها الملائكي الذي يُشبه والدتها للغاية، وهذا أكثر ما يُميزها، يكاد الحماس ينهشه لرغبته العارمة بعودة المنزل وهددهتها ومغازلة والدتها كما يفعل دائمًا، لكن ما حدث أنه وجد باب المكتب يتم فتحه بهدوءٍ لتتوّغل فتاة تبدو بمُنتصف العشرين من عُمرها، كانت تحمل حفنة من الأوراق بين يديها وتجلس بهدوءٍ قبالة مُعتز الذي يُطالعها بنظراتٍ مُستفهمة، فهذه أول مرة يرى بها هذه الفتاة ممشوقة الجسد ذات القامة المتوسطة والملابس المُثيرة التي تحمل شِيقًا من الرسمية، تنهدت الفتاة المدعوّة بنرمين قبل أن تُعرف نفسها بؤد:

-أنا اسمي نرمين و..

وضعت حفنة الأوراق أمامه كي تدلي كلماتها:

-انا كنت شغالة في شركة شحن قبل ما آجي هنا ... بس سببتها لظروف خاصة

داهما بعض التوتر قبل أن تقول:

-أنا عندي مشروع ممكن يرفع اسم الشركة ويخليها تنافس شركات تانية

فقط الصمت هو ما كان يتحلّى به وهو يُتابعها بإمعانٍ ينتظر حديثها المُهم، تنحنحت نرمين قبل أن تقول ببعض العملية:

-حضرتك عارف طبعًا إن الستات بتخاف تتركب مواصلات بليل عشان موضوع الخطف وكدة

أمسك بحفنة الأوراق وبدأ يُطالعها باهتمام ورأسه يوميء إيجابًا على حديثها، هذا ما جعلها تواصل الحديث بثقة أكثر:

-انا بقى عندي فكرة ممكن تخلي زباين أكثر يستخدموا البرنامج بتاعنا ويحسو بأمان

تقدم بجذعه كي يسألها باهتمام:

-فكرة إيه؟

سرقت نفسًا عميقًا ثم أطلقته كمحاولة للحفاظ على ثباتها وهي تقول:

-إننا نخلي في **option** يقدر يسمح للي بيستخدم البرنامج إنه يحدد جنس إالي بيسوق يعني لو واحدة ست كانت عايزة تتركب مواصلات بليل وخايفة من موضوع الخطف، ممكن تخلي واحدة ست تانية هي إالي توصلها، وبكدة مش هتحمس بخوف، كمان إالي هنشغلهم معانا من الستات هنتأكد من أصلهم وفصلهم الأول، وأنا عارفة إن في ستات كتير أوي بيدورو على شغل وبيعرفو يسوقو

مرّت بُرهة من الصمت بينهما وهو يُفكر في اقتراحها الذي من الممكن أن يُعالج إحدى المُشكلات ويُميز برنامجهم عن البرامج الأخرى الخاصة بالتوصيل، لكن الشكوك لا تزال تساوره وتُخبره أن السيدات لن تقبل بالقيادة في أوقات متأخرة ومن الممكن أن ترتكب حادثًا، لكنه يتراجع عن تلك الأفكار العنصرية مرة واحدة ويقول أن الحوادث يتعرض لها الرجال والسيدات أيضًا، بقي أمامه فقط أن يعثر على فتياتٍ توافق على تلك الوظيفة التي يمتنها الرجال بدرجة كبيرة.

وضع مجموعة الأوراق على مكتبه بعد أن انتهت شجارات عقله وقرر أن يقول:

-تمام يا أنسة نرمين ... أنا هشوف المشروع وهبقى أرد عليك

انتسعت بسمتها في سعادة بالغة وثبت بعدها عن المقعد كي تترك المكتب بعد أن ودعته توديعاً ودوداً حمل لهفتها، فهي لا تعلم كم السعادة التي ستجنيها ما إن يتحقق مشروعها وترتفع مكانتها بتلك الشركة وربما هي من ترفع من شأنها لأنها لا تزال شركة ناشئة...

مرّت العديد من الساعات حتى بدأت الشمس تنحدر لأسفل تاركة المجال لتلك السماء البنفسجية بإغراق الأجواء وإمتاع الجميع بهذا المنظر المُبهر، كان العمل يسير على قدمٍ وساق داخل هذا المتجر الصغير بعد أن تخلفت داليا عن العمل هي وإسلام لتحظى بالقليل من الراحة التي لم تدم طويلاً لأنها استيقظت بمُنْتَصَفِ النهار كي تُساعد جابر على فتح متجره الصغير كما اتفقا معه فيما سبق.

انتهى العُمال من وضع البضائع داخل المتجر وكان إسلام يتحدث معهم ويُعطيهم بعض الأموال قبل أن يرحلوا نهائياً، بينما كان جابر يقف بمُنْتَصَفِ المتجر بفاهٍ فاغرٍ لا يُصدق أنه يبدأ حياةً جديدة تختلف عن تلك الحياة البائسة التي كان يعيشها، لم يكن يعلم أن مذاق الحلال والحياة الجيدة يختلف عن مذاق حياته السابقة المليئة بالسرقه وارتكاب الجرائم، فكأنه بالضبط يتناول الكعكة بعد أن تعود على الحَظْمِ مُر المذاق...

-أنا مش عارف أقولكم إيه ... جميلكم هيتشال فوق راسي لآخر عمري

قالها بامتنانٍ بالغ أمام داليا التي تبسم له بهدوءٍ ووُد حتى أتى إسلام وشاركهما الحديث:

-انا اتفقت مع واحد هيبجي يساعدك في الشغل وهيعلمك الشغلانة كمان ... بس دلوقتي لازم تعرف إنك لازم تتعلم القراية والأرقام

نصب قامته وهو يقول بثقة:

-أنا معنديش مانع اتعلموهم دلوقتي

ربت إسلام على كتفه بابتسامته الودودة التي قال معها:

-طب يلا عشان أنا وداليا هنعلمك...-

تنهيدة حارة خرجت من جوفه وهو يرتمي على أريكة البهو بجسدٍ مُتهدهلٍ وعقل يكاد يفقد صوابه من كثرة الإرهاق، ما يُريده فقط هو نومة عميقة لأيامٍ عديدة تعوّضه عن هذا الإرهاق الذي دام لبضعة أيام، وجد عينيه تُغلقان وحدهما ليترك للراحة مجالاً للتوّغل داخل جسده قبل أن يثب ويبدل ملابسه إلى أخرى بيّتيه.

-زيزو..-

أيقظه هذا الصوت الذي حمل في طياته الغضب مما جعله يفتح عينيه ويجدها تقف أمامه تحمل معها ورقة وترفعها أمامه كي تهتف بنزق:

-إيه ده؟-

قطب حاجبيه بحيرة من غضبها غير المُبرر وكأنها اكتشفت أنه يُتاجر بالسلاح من وراءها، أو أنه جاسوسٌ أو زعيم عصابة وهي لم تكن تعرف بذلك، لكنه نفض تلك الأفكار الحمقاء عن رأسه واعتدل بجلسته لينتشل تلك الورقة من يديها ويبدأ بتفحصها تزامناً مع كلماتها الغاضبة:

-احنا مش اتفقنا هنسمي بنتنا بسملة؟ ... إيه بقى إالي مكتوب ده؟-

قرأ مُعترز الاسم بصوتٍ مُرتفع:

-بسلة!! ... هي نسيت الميم؟-

ربطت ذراعيها وهي تهتف بتذمر:

-مين بقى بسلة دي ؟

وضع مُعتر الورقة جانبًا ليتشقق بسُخرية:

-معلش يا حبيبتي ... المرة اللي جاية لو جبنا ولد نبقي نسميه جزر عشان يكون
عندنا بسلة وجزر

ازداد غضبها من سُخريته فهتفت بوجهه:

-إنت بتهزر يا زيزو ... اتفضل روح غيرها

لم يتحرك ساكنًا وبقي مُحافظًا على هدوءه وهو يجذبها بتروكي تجلس بجواره
وئُهديء من روعها، ضمَّها ناحيته وهو يقول بحنان:

-معلش ... تلاقيها كانت جعانة وهي بتكتب الاسم ... بعدين ده حرف، أنا ممكن
أغيره وأنا قاعد هنا

وضع يده داخل جعبته ليُخرج قلمًا صغيرًا كان مُتدثرًا بجعبة سُترته لأنه يستخدمه
بالتوقيع على الأوراق والصفقات، خط بهذا القلم على شهادة الميلاد تحديدًا عند خانة
الاسم كي يُضيف حرف الميم بين السين واللام ثم يضع القلم مجددًا داخل جعبته
وكان شيئًا لم يكن، أعطاهما الشهادة لتمسكها بين يديها وتُعاود قراءة الاسم مجددًا بعد
أن خلا وجهها من علامات الضيق، فكانت تستمع لحديثه الذي يحمل قدرًا من
البساطة:

-الموضوع سهل أهو ... مش محتاجة العصبية دي كلها

حاوطها بذراعه وبدأ يُمسد على خُصلات شعرها بحنانٍ جارفٍ جعلها تبتسم بهدوءٍ
وداخلها سعادة طفولية آذابته، فقد كان يتؤدد لها كما يفعل دائمًا حتى أوقفهما بُكاء
ابنتهما الذي صدح وغمر أركان الحُجرة...

تلطخ وجهه بالدماء وهو يقف داخل مكتبه والجروح لا تترك وجهه، نظرات التؤسل تنقذف من عينيه لتسقط في بحرٍ من الصرامة والشدة يتمثل أمامه على هيئة ضابطٍ صارمٍ لا يكثر لتلك النظرات المتؤسلة ولا هذه الكلمات المترجية...

-والله يا باشا معملتش حاجة ... هما السبب يا بيه، هما إيلي وقعوني يا بيه ...
صدقني معملتش حاجة...

بقيت تلك الكلمات المتؤسلة تُصدر من جوفه أمام لؤي الذي يُتابعه ببرود ويأمر أحد الضباط بصرامة:

-دخله على الحجز

استجاب الضابط لأوامره وجذب الرجل رغم اعتراضه وتؤسلاته التي لا داعي لها، فطالما معهم الأدلة التي تثبت إدانته، فتلك الكلمات التي يصدرها لا أهمية لها، حتى ولو كانت تلك الأدلة باطلة...

أرعى لؤي ظهره للوراء وبدأ يتفحص بعض الأوراق التي تخص بعض القضايا، قطع انهماكه بالعمل بضع طرقاتٍ على الباب تبعها دُلوْف أحد الضباط برتبة أقل من رُتبته يحمل معه حفنة من الأوراق المهمة، أدى التحية العسكرية قبل أن يتشدد بصرامة:

-الملفات إيلي طلبتها يا حضرة الرائد

وضع الملفات أمام لؤي ثم أدى التحية العسكرية مجدداً قبل أن يترك المكتب بأكمله، ترك لؤي ما كان يحمله من أوراقٍ ليعتدل بجلسته وينتشل هذه الأوراق التي ترأسها صورة لفتاةٍ مراهقة تحمل اسم " ليلي عيد عبد المجيد."

أسدلت السماء ستارها وحلّ الليل عليهم، كان يقف هو أمام بناية عتيقة تتكوّن من عدة طوابق على أمل أن يصعد تلك الدرجات ويتجه إلى منزلٍ يعرفه جيداً، فعلى الرغم

من تلك الملابس الحديثة التي يرتديها وهذه السيارة الفارهة التي يستقلها إلى أن جميع أصدقاءه ينحدرون من طبقاتٍ أقل من طبقتة الإجتماعية، فلم يكن يتقبله أحد في هذه الحياة حتى أتوا هُم وتقبلوه كما هو، وهذا ما يُشعره بأنه طبيعي كالجميع، وليست هذه التشوّهات ما ستجعل حياته عسيرة.

اصطدم بفتاة ذات جسدٍ ممشوقٍ وحُصلاتٍ شعرٍ داكنةٍ تعقصها لأعلى، كانت تضع الهاتف على أذنها وتتحدث ببعض الهجوم:

-يا ماما مش هرجع دلوقتي لسة ورايا حاجات ... وبعدين أنا مش هتجوز ابن عمي ومش هقابله، إنت عارفة إن أنا مش بطيقه يווو هو كله تحكمت على فكرة أنا مبقتش صغيرة...

أفأفت بتذمرٍ قبل أن تغلق الهاتف وتنتهي تلك المكالمة التي أثارت أعصابها، بقيت عوالم الغضب تُلطخ وجهها مما أرسل لمخيمر إشارات أخبرته أنها تتشاجر مع والدتها بطريقة فظة لا يجب أن تستخدمها مهما كان أبويها، قرر أن ينصحها قبل أن تندم على تلك الكلمات وتضحى وحيدة مثله، لهذا أردف بهدوء:

-حاولي تفهميهم ... حتى لو إنت حاسة إنهم مش فاهمينك

انتبهت لحديثه الموجه نحوها والذي جعلها تُحادثه ببعض الهجوم الذي أخرجت معه ما بجعبتها:

-عمرهم ما عملولي حاجة عدلة ... طول الوقت عايزين يتحكمو بيا، مش قادرين يفهمو إني كبرت وأقدر اعتمد على نفسي

احتدت نبرته قليلاً وهو ينصحها:

-هُما مش عايزين يتحكمو فيكي ... هما خايفين عليك، عايزنك أحسن منهم شايفين إلكي إنت مش شايفاه، ومش عايزنك تشوفيه

استدار بجسده ليُقابلها ويوجه نصيحته بطريقة مباشرة حملت حُزنه الدفين:

-صدقيني هتندمي على كل كلمة قولتها لما تلاقيهم بعدو عنك وقتها هتتمني
بس وجودهم جنبك

أنكس رأسه لأسفل مع نظرات الحُزن ودموعه التي تجمدت بحدقتيه، تابعته هي
ببعض الضيق الذي بدأ ينتقل إليها مما جعلها تُحاول تقبل نصيحته:

-هحاول اتكلم معاهم ... بس أتمنى يفهمو

رسمت بسمة هادئة على ثغرها وهي تسأل بؤد:

-صحيح ... أنا اسمي ريتا .. إنتِ اسمك إيه ؟

تلاشى ضيقه لو هله ليحل محله بواذر الغضب من حديثها معه وكأنه فتاة، حاول كبت
شعلة الغضب بداخله وهو يُجيبها بجمودٍ وصوتٍ صادقٍ غليظ:

-مخيمر اتشرفت بمعرفتك

تجاهل تعبيراتها المصدومة وواصل صعوده الدرجات لتتبعه هي الأخرى وكأنها
أنت لنفس الغرض...

بدأت الأصوات الصخبة وبدأ الزبائن يأتون الملهى واحداً تلو الآخر، كان ميغو
يتحرك وراء الراقصة التي هي بالأصل والدته، يتحرك وراءها حتى وصل إلى
حُجرة تبديل الأوعية ليثب خلفها وهي تضع مُستحضرات التجميل على وجهها
وتستمع إلى أسئلته التي لم تتوقف، فهو الآن على حافة الموت، هُنالك رجالٌ يتبعونه
ويريدون الفتك به، وهُنالك بضاعة من الممنوعات يحوذها ويُتاجر بها بعد أن سرقها
من إحدى العصابات، أي أنه مُجرماً هارباً من العدالة وهارباً من المجرمين كذلك.

نفض تلك الأفكار الواهية عن ذهنه قبل أن يسأل تيتي بأهمية:

-هو ابوية فين يا تيتي ؟

وضعت رموشها الاصطناعية وهي تُجيبه بصوتٍ رقيق:

-كّت وسابك يا موكوس ... بتسأل عليه ليه ؟

تقدم ميجو بضع خطوات حتى وثب وراءها مُباشرة لتنعكس صورته على المرأة التي تجلس أمامها، أسند يديه على المُقعد وهو يسأل:

-يعني مفيش لا عمة ولا عم ولا حتى جدة ؟... معقولة يعني مفيش حد خالص من عيلتي ؟

أجابته تيتي وهي تضع أحمر الشفاه وتتحدث بصوتها الرقيق:

-لا يا عنيا مفيش ... مفيش إلا خالتك فاتيكا العالمة والفتاحين بتوعها

لاحت طفرات اليأس على وجهه وبدا واثقاً أن حياته ستنتهي دون أن يجد من يحتمي بكنفه، لم يترك للاستسلام مجالاً فسأل مرة أخرى:

-طب متعرفيش أي حد ممكن يوصلني بأبوية ؟

بدأ الغضب يطغي على وجه تيتي ما إن ذكرها بتلك الذكرى التي تُريد نسيانها، فكان صوتها مُحْتدًا وهي تقول:

-مالك يا أخوية حنيت لابوك كدة ليه مرة واحدة ... دا إحنا لا شوفنا منه أبيض ولا اسود ... دا حتى المحروس ابنه كت وسابه

قطب حاجبيه ما إن انتهت من تلك الجملة والتي جعلته يسأل باستفسار:

-ابنه ؟ ... هو أبوية كان عنده ابن غيري ؟

أكدت على حديثه وهي تُمرر قطعة الفُطن على وجهها لإضافة بعض البودرة:

-أيوة كان عنده

تصاعدت اللفهة بداخله وهي يقترب بجذعه نحو والدته كي يسألها بلهفة:

-طب فاكرة اسمه؟

شهقت شهقة رقيقة قبل أن تُجيبه بثقةٍ وتبهنس:

-إيه إللي فاكره ... دا أنا مفيش حاجة بنساها

ارتسمت البسمة على ثغره وهو يسألها ويُخرج هاتفه ليضعه أمامها متفوّهاً:

-مليني اسمه وأنا هجيب عنوانه بمعرفتي...

عاد من تلك الذكرى التي حدثت منذ مُدة قصيرة خلال هذا اليوم الذي لم ينتهي، لكنه استطاع بسهولة أن يصل إلى عنوان شقيقه الذي سيحتمي به من أولئك الرُعاء، يقف الآن أمام منزله يسرق نفساً عميقاً قبل أن يضع يده على الجرس كي يدقه...

تتحرك أصابعه على الهاتف بحثاً عن تلك المقاطع التي يُشاهدها باستمرار، فكان المقطع عبارة عن شخصٍ يقوم بتنظيف السجاد بواسطة آلة حديثة وبعض الأدوات التقليدية، فرؤيته لتلك المقاطع تجعله مُنتشياً ولا يعلم سبب هذا الانتشاء، هو فقط يُحب مشاهدة مقاطع تنظيف السجاد.

قطعت داليا انغماسه بالمشاهدة عندما ارتمت جواره على الفراش لتضع يدها على كتفه وتبدأ بهزه هزاتٍ متوالية حتى ينتبه لها:

-إسلام ... اتصل بالسباك يجي يصلح السخان ... يلا بسرعة

لم يتحرك إسلام من مكانه وكان يقول بثقة:

-وأكلمه ليه ... أنا ممكن أصلحها لك

لطح وجهها عوالم الاستخفاف وعدم التصديق عندما قالت:

-إنت بتعرف أصلاً؟

لم تروقه نبرتها المُستخفة وهذا ما جعله يترك جواله على الأريكة ويُحادثها بتبهنس:

-أنا بعرف أعمل كل حاجة إنتِ فإكراني إيه

وثب عن الأريكة ليسألها باستعداد:

-تعالِي وريني في إيه

وثبت داليا هي الأخرى لتتحرك أمامه نحو المرحاض وداخلها العديد من علامات الشك، فهي ليست متأكدة أن بإمكانه تصليحه لكنها مع ذلك فضلت الصمت على أن يُريها بنفسه ما يستطيع فعله، فربما شكوكها ليست صائبة.

توقفت أقدامها داخل المرحاض أمام جهاز التسخين المُعلق على الحائط، أشارت بإصبعها أسفل الجهاز متفؤهة:

-أهو ... بينقط مائة

إقترب إسلام نحوه بنظراتٍ جامدة ادعى معها أنه يفقه كيفية تصليحه، بقي يتفحص الجهاز بعينيه حتى أُردف بأمر:

-هاتيلي العدة من جوة

لم تتحرك داليا وبقيت تُطالعه بحيرة قالت معها:

-إحنا معدنناش عِدَة-

لاح الغضب الطفيف على وجهه وهو يقول بتهكم:

-يعني إيه مفيش عِدَة ... إزاي يعني بيت ميكونش فيه عِدَة

رفعت من نبرة صوتها وهي ترد على تهكماته:

-هو بيت صنايعية ... وبعدين أنا مالي، إنت إللي المفروض تجيبها

تنهد إسلام بنفاد صبرٍ ثم طلب منها مجدداً بنفس طريقتة العملية:

-طب هاتيلي المفك من جنب السرير-

أومأت داليا برأسها ثم تركته يواصل تدقيق النظر بالجهاز حتى أتت من الداخل وأعطته المفك الذي كان بحوزتها، فما إن أمسكه حتى قرّبه من جهاز التسخين وبدأ يُحركه حركاتٍ عشوائية لا يفقه ماهيتها لكن عقله يُخبره أنه بتلك الطريقة سيقوم بإصلاحه.

بعد بُرهة من الوقت، اخترق أذنيهما صوت صافرة عالية تُصدر من الجهاز تزامناً مع المياه التي زاد انهمارها، تصاعدت ضربات قلبها وهي تتقدم نحو إسلام وتسأله بذعر:

-هو في إيه؟

واصل العبث بالجهاز وهو يُطمئننها رغم ذعره:

-متقلقيش هو كدة بيتصلح-

لم تُصدقه وبقيت تُشير على الجهاز هادرة:

-بيتصلح إزاي ؟ دا الماية بتزيد

التفت بجذعه نحوها وهو يُحاول اقناعها بطريقته العلمية المُعتادة:

-ما هو الحاجة لما بتتصلح لازم تطلع أصوات كدة ... مش إنت لما تروحي عند
دكتور السنان ويفضل يحفر في سنائك بتقеди تصرخي وتتألّمي، بس في الآخر
سنائك بتعالج ؟

أومأت رأسها إيجابًا فواصل الحديث بنفس الطريقة:

-هو ده بقى إللي بيحصل ... شوية وهتلاقي كل حاجة اتصلحت

لم تنبس ببنت شفة وبقيت تُطالعه في صمتٍ حتى عمّ السكون وانتهى صوت تلك
الصارفة المُزعجة، بل وانتهت أيضًا قطرات المياه التي كانت تتقاطر من الجهاز
وتتسبب بالفوضى، رسم إسلام بسمة متبهنسة على وجهه وهو يبتعد عن الجهاز
متفوّهاً:

-شوفتي ... مش قولتلك

سقط فكّها في صدمة وهي تقترب من الجهاز وتتحسسه حتى تأكدت أنه توقف عن
العمل تمامًا، كاد قلبها يهوي أرضًا وهي تهتف بتؤبّيح:

-إيه إللي عملته ده ... السخان باظ خالص

اختفت الألوان عن وجهه بعد أن أدرك الكارثة التي ارتكبها وأدرك أيضًا أنه دمّر
الجهاز تمامًا ولم يقم بتصليحه، لكنه مع ذلك أخفى توتره وحافظ على تعنته وثقته
بذاته وهو يقول:

-إييه إيه المُشكلة يعني ؟

رفعت من نبرة صوتها وهي تنهره بحسرة:

-حرام عليك يا إسلام الشتا داخل وإحنا كدة هنستحمى بماية ساقعة

رفع رأسه بشموخ وهو يتحدث بعلمية كادت تقنعها:

-بردو فين المُشكلة ... أساسًا فيه نظرية بتقول ... إنك لما تستحمى بماية ساقعة
في الشتا، مناعتك بتزيد وبشركك بتبقى أحسن

قطبت حاجبيها بعدم تصديق من حديثه الذي جعلها تسأل بتشكك:

-لا والله؟

واصل إسلام إقناعها بطريقته العلمية:

-أيوه ... إيلي بقوله حقيقي .. إنت مش مصدقاني ولا إيه؟

بقيت تُطالعه في صمتٍ وداخلها يرغب بالانقراض عليه بسبب ما فعله، لكنها مع ذلك تحلّت بالصمت حتى قطعهما صوت جرس الباب الذي صدح وتوغل صديده أركان المنزل؛ تنهدت بيأس ثم تركت المرحاض مُعللة:

-أنا هروح افتح الباب....

حُجرة متوسطة يعنليها طاولة عريضة يترأسها لؤي ومعه هاتفه الذي يتصفحه بامعانٍ خاصة تلك الأخبار التي تُتلف أعصابه، فالجميع يتحدث عن تلك المعركة الناشبة بين أشقائنا العرب والصهيون، الجميع يتحدث عن الفقد والخسارة وهذا الدمار الذي غمّر تلك البلدة، والأسوأ أنه لا يستطيع إيقاف ما يحدث، فالجميع يخشى التدخل والمدنيون يكتفون بالدعم المعنوي لعدم قُدرتهم على المواجهة، وهذا ما يجعل غضبه يشتعل أكثر كلما تزايد عدد الضحايا خاصة من الأبرياء.

تقدمت قمر نحوه ومعها صحنٌ كبيرٌ يحتوي على الارز الأصفر وبعضاً من قطع الدجاج، أزاحت المُقعد حتى تجلس عليه بعد أن وضعت هذا الصحن أمام لؤي الذي أغلق الهاتف حتى يتناول وجبة الغداء مع زوجته، إعتادا على تناول الغداء في وقتٍ متأخرٍ لأنه يبقى بالعمل لساعاتٍ طويلة، فهذه الوجبة بمثابة آخر وجبة يتناولونها قبل أن يخلدا إلى مضاجعهما بعد ساعتينٍ أو أكثر.

قطب حاجبيه وهو يتأمل الطاولة ويتعجب من عدم وجود الأواني والملاعق، ويبدو أن قمر قد نسيتهم أو ربما تعمدت نسيانهم، لهذا السبب سأل:

-فين الأطباق والمعالق؟

تؤثرت قمر قليلاً لكنها في النهاية أردفت بثقة:

-لا ما هو ... أصل أنا بقى إيه .. قولت مش لازم أطباق ومعالق إحنا كدة كدة اتنين يعني مش مستاهلة

اعترض حديثها بهدوء:

-يعني إيه مش مُهم؟..... هناكل بإيدينا يعني؟

آجابت استفساره ببساطة:

-عادي ... دي سنة عن الرسول على فكرة بعدين أجدانا كانوا بياكلو كدة قبل ما يخترعو المعالق والأطباق، وإحنا مش فارقين عنهم في حاجة

أوقف تبريراتها بنبرة صارمة:

-قمر ... قومي هاتي الأطباق والمعالق

تذمرت كطفلة لم تبتاع الحلوة بسبب نفاد مصروفها:

-يووه بقى ... أنا مش عايزة أغسل مواعين تاني منا مش هغسل في بيت أبوية
وهنا كمان

أغلق عينيه ثم فتحهما في محاولة جاهدة لاستجماع هدوءه وهو يقول:

-قومي يا قمر هاتي الأطباق والمعالق وأنا إللي هغسل المواعين

رفعت حاجبيها بعدم تصديقٍ قالت معه:

-يعني إنت إللي هتغسلهم ؟

أجابها بنفاد صبر:

-يا قمر إحنا من ساعة ما اتجوزنا وأنا إللي بغسلهم

تنهدت بأريحية بعد أن أزاح عنها هذا العبء الذي لا تتحمله من الأساس، فهي قد
سئمت من التنظيف وجلي الصحون منذ أن كانت بمنزل والديها تضطر لمساعدة
والدتها بأمر المنزل، أما الآن، فهي تتشارك تلك الأمور مع لؤي الذي ورغم إجهاده
بالعمل إلى أنه يحاول قدر الإمكان التخفيف عنها القليل من الأمور، منهم جلي
الصحون وأحياناً التنظيف.

وثبت من مقعدها لتتجه مجدداً صوب المطبخ ثم تأتي ومعها الأواني والملاعق
لتضعهم على الطاولة وتبدأ بمليء الصحون بهذا الطعام الذي أعدته بمهارة، بدأ
الحديث يدور بينهما عن الأوضاع من حولهما حتى انتبهت أنها لم تفتح الصفحات
الإخبارية اليوم، فقد كانت من عاداتها أن تتصفح الأخبار دائماً نظراً لكونها تعمل
بالصحافة فيما سبق.

-صحيح فكرتني ... دا أنا مشوفتش الأخبار إنهاردة

أدلت تلك الجملة وهي تبحث عن هاتفها حتى قال لؤي:

-طب استني بعد الأكل-

أجابته وهي لا تزال تبحث عن هاتفها حتى وجدته بجوارها:

-أنا لو استنيت هنسى وأنا عارفة نفسي... فخليني أشوف الأخبار دلوقتي وإحنا بناكل

لم تكذب حديثها وفتحت الهاتف لتتصفح ما يحدث بالعالم وتتناول طعامها في نفس الوقت، كانت تُمرر أصابعها على الهاتف لتجد أغلب الأخبار مشابهة تتحدث عن نفس القضية، هذا ما جعلها تنغمس أكثر لترضي فضولها وتفهم ما يحدث بالتفصيل، لكن إصبعها تَوَقَّف فجأة أمام هذا الخبر الذي ملئها ذعراً.

توقف الطعام بحلقها وهي تقرأ هذا العنوان الذي يُزين الشاشة " وهدان صديق ... يرتكب جريمة أخرى "، اتسعت حدقتيها وهي ترى صورة هذا الشخص الذي تعرفه جيداً، فكيف تنسى من كان في المركز يتعالج عندها منذ بضعة ساعات!!

لاحظ لؤي صدمتها فسأل:

-في إيه؟

وجدت لسانها يهتف بتردد:

-ال... الرجل ده...

بترت حديثها عند هذه الكلمة وهي تشير على صورة الرجل مما دفع لؤي لسؤال:

-ماله؟... دا مُجرم هربان من العدالة... إنتِ تعرفيه؟

لم تُجب أسئلته وبقيت في حالة من الصدمة حتى وثبت عن المقعد متفوّهة:

-لازم أكلم ريتا...

صوت الأزيز يُصدر من حقيبتها التي أحكمت غلقها تزامناً مع وضعها لآخر قطعة من ملابسها، كي تتحرك بتلك الحقيبة خارج الحُجرة، وجدت مُعترز يجلس على الأريكة يحمل بسملة بين يديه ويُداعب وجنتها المُكنتزة التي تجعله يبتسم ابتسامة لطيفة لا إرادية وهو يُتابع ضحكاتنا البريئة ويُصدر بعض الأصوات المرححة حتى يجعلها تبتسم.

إقتربت كوكي نحوهما ومعها حقيبة سفرها وكأنها على استعدادٍ للرحيل، فكانت تقترب من مُعترز لتنتشل بسملة من بين ذراعيه مع قولها:

-يا زيزو I need to go ...

وثب مُعترز أمامها بملامح الأسى المُطلية على وجهه وهو يقول:

-ما تخليكي .. أنا ملحققتش اشبع منها

رسمت بسملة هادئة على ثغرها وهي تقول بأسف:

**-بابي مستيني ... كمان أنا مش هقدر على بسملة لوحدي خصوصاً الفترة دي ...
وعند بابي الناني هتساعدني**

كان حديثها صادقاً يُعرب عن شعورها بالإرهاق والتعب الذي لن يترك جسدها لمدة أربعون يوماً بأكملهم، لهذا السبب قررت أن تذهب إلى والدها وتمكث في بيته طوال هذه الفترة على أن يأتي مُعترز يومياً ويبقى معها بعد أن ينتهي من عمله.

إقترب نحوها ليربت على كتفها متفوّهاً باعتراض:

-هو مكنش ينفع يعني تجيبي الناني دي هنا ؟

ردت على اعتراضه بصدق:

-مش هينفع عشان بابي متعود عليها ... بعدين أنا قولتلك تيجي معايا وإنت مش راضي

أنهت حديثها بتذمر جعله يفصح على حقيقة رفضه بقول:

-إنت عارفة إني مش بحب أسيب بيتي ... بعدين هي كلها أسبوع وهروح أخطفك منه، وأنا هسيبك الأربعين يوم ولا إيه

أنهى حديثه ببسمة واسعة جعلتها تبتسم هي الأخرى بدلالٍ ثم تجذب حقيبتها نحو الباب مع قولها:

-طب يلا بقى عشان السواق مستني تحت

سار وراءها حتى وصل كلاهما نحو الباب مباشرة، وضع مُعترز يده على المقبض كي يفتح الباب وتتغير معالم وجهه ما إن وجد أمامه هذا الغريب.

قطب مُعترز حاجبيه في حيرة من ذاك الرجل متوسط الطول ذو الأعين الخضراء الحادة التي اجتمعت مع بشرته الحنطية وملابسه المُكوّنة من سُترة صيفية واسعة خميرية اللون أسفلها بنطالٌ من الجينز الأزرق الباهت، يرسم ابتسامة بلهاء على وجهه وهو يخفض يده التي كانت على وشك دق الجرس ليضعها على حقيبة سفره التي زادت من حيرة مُعترز ونظراته المغتابة.

تراجعت كوكي خطوتين أمام ميجو الذي كاد يقتحم المنزل لولا يد مُعترز التي منعته بصرامة:

-حيالك يابا !! .. هي وكالة من غير بواب ... رايح فين ؟

سأله مُعترز بحدة جعلت ميجو يتوقف عن السير ويُبقي تلك الابتسامة البلهاء على ثغره وهو يقول بؤد:

-إيه يا مُعترز ... مش هترحب بيا ولا إيه ؟

كان مُعتز على وشك أن يلكمه ويهتف بوجه هذا السمج الذي يرغب باقتحام منزله دون أي داعٍ، فكان صوته حادًا وهو يقول:

-وأرحب بيك ليه إن شاء الله !! ... كُنت من بقية عيلتي!!

اتسعت بسمة ميجو ما ان استمع إلى تلك الجملة التي جعلته يدثر يده داخل جعبته كي يُخرج منها بطاقته التي تحمل اسمه بالكامل، مدُّ بطاقته نحو مُعتز وهو يؤكد حديثه:

-أيوه من بقية عيلتك ... أنا ماجد محمد اللملوم ... أخوك

سقط فك كلاً من مُعتز وكوكي التي تتابع ما يحدث في صدمة، وكانت صدمة مُعتز ضعفي صدمتها وهو يُحدق بالبطاقة ويتأكد أنها أصلية تحمل اسم هذا الرجل الذي يدُعي أخوته مما جعله يهتف بغير تصديق:

-أخوية... !!

الفصل الخامس (تصفية حسابات)

تذكر أنك تحمل الحلول دائماً، لكنك تخشى استخدامها مُعتقداً أن تلك الحلول ستُدمر حياتك، بينما الحقيقة أن الصمت وعدم التدخل هو سبب الدمار في النهاية...

فتحت باب المنزل لثرتسم بسمه هادئة على ثغرها وهي تبتعد بضعة أمتارٍ عن الباب كي تفسح المجال للزوار بالتوغل، دلف مخيمراً أولاً وتلته ريتا التي أتت بناءً على دعوتها الطارئة، تحركا داخل المنزل حتى توقفت أقدامهما عند البهو تحديداً عند تلك الأريكة ذات الصيحة الحديثة والتي يُقابلها التلفاز مباشرة.

كانت الحيرة والتساؤل يتقاذفان من نظراتهما لتلك الزيارة المتأخرة، لكن إسلام وداليا لم ينبسا ببنت شفة حتى دق الجرس مجدداً وتحرك إسلام كي يفتح الباب ويفسح المجال لجابر الذي أتى هو الآخر وجلس على أحد المقاعد بالبهو.

حمم إسلام قبل أن يبدأ الحديث بعملية:

-إحنا بنعتذر عشان جيناكم في الوقت المتأخر ده ... بس الموضوع مش هينفع
يستنى أكثر من كدة

بترت داليا حديثه بلهفة وهي تتقدم بجذعها:

-إحنا قررنا نتثبت ... خلاص مبقاش عايزين نبقي مُتقلين تاني

أكمل إسلام عبارتها بنفس تلك الطريقة الجدية:

-خصوصاً بعد إالي حصل آخر مرة ... مش عايزين حياتنا تبقى في خطر

تبادلت النظرات بينهم في تيهٍ حتى أرفف مخيمراً مستنتجاً:

-إنتو عايزينا نساعدكم ؟

أكد إسلام على حديثه بقوله:

-أيوه ... عايزنك تدورنا على طريقة مضمونة نعرف نتثبت بيها

وجهت داليا ضفة الحديث نحو ريتا لتخبرها:

-وبما إن جابر زينا ... فإحنا عايزينك يا ريتا تعلميه إزاي يستخدم قدرته زي ما علمتينا وده لغاية لما نتثبت كلنا

رسمت ريتا بسمة هادئة على ثغرها وهي توميء برأسها بموافقة:

-تمام... معنديش مشكلة

ثم التفتت بعدها نحو جابر كي تخبره عن تلك القدرة التي لديه وكيف أنته لتزداد نظراته الحائرة وشعوره بالدهشة لما يستطيع فعله بعد أن ظن أنه نكرة لا فائدة منه...

-أخوية!!

قالها بصدمة وأعين جاحظة أمام هذا الواثب أمامه ببسمته السمجة ونظراته التي بدت مُرعبة بالنسبة لمُعترز رغم أن الحقيقة أنها كانت ودودة، فحقيقة أن يكتشف أن لديه أخ لم يكن يعلم عنه شيئاً يكاد يجعله يفقد صوابه.

-أخوية إزاي ؟ ... جت إمتي ؟

تقدم ميجو خطوة داخل المنزل مع حقيبة سفره عازماً على المبيت في منزله بتلك الليلة، أما عن كوكي فكانت تتابع ما يحدث في صمتٍ ولا تُريد التحرك قبل أن ترضي فضولها وتفهم حقيقة الأمر.

-انا أخوك من الأب ... أمي اسمها تحية بركات ... ومشهورة بتيتي .. إنت أكيد عارفها

سقط فكه في صدمة ما إن استمع إلى ذاك الاسم الذي يعلمه جيداً، هذا هو اسم تلك العاهرة التي أنت منزله بعد أن تزوجها والده وتسبب في وفاة والدته المسكينة، أي أن الذي يقف قبالته هو ابن ال....

-الرقاصة !! ... يعني إنت ابن الرقاصة إلی أبوية كتب عليها ؟

بقي فاهه مفتوحاً رغم أن كوكي كانت تبتسم بلهفة قالت معها:

" wow this is gorgeous !! -واو ... هذا مُذهل "

تدخل مُعترٍ ليسأل مُستفسراً:

-إزاي ... أبوية اتجوز الرقاصة دي وأنا عندي 14 سنة ... لحق يخلف شحط زيك إمتي ؟

ابتسم ميجو بفخرٍ وهو يُشير على نفسه:

-لأ ... هو فعلياً اتجوزها وإنت عندك خمس سنين ... بس كُنا قاعدين في الكباريه لغاية ما هو قرر يجبنا الفيلا ... ساعتها كان عندي تسع سنين، بس إنت مكنتش موجود في البيت ... وعموماً يعني إحنا مقعدناش غير سنتين ورجعنا الكباريه تاني

تذكر مُعترٍ هروبه من المنزل ومبيته بمنزل صديقه إسلام هرباً من والده ومن حقيقة كونه السبب في موت والدته، صدح صوت ابنته التي بدأت بالبكاء لكن كوكي هدهدتها ثم رمقت ميجو بابتسامة هادئة تبعثها بترحيب:

-هاي ... أنا كوكي

اتسعت بسمة ميجو وهو يتابع كوكي بشعرها البُرْتقالي وعينيها الزرقاء التي جعلته يتغزل بهما بقرارة نفسه رغم أن كلماته خرجت من جوفه بطريقة ودودة حاول معها الحِفاظ على أدبه:

-محسوبك ميجو-

أشار على نفسه مع آخر كلماته لكن مُعترز قطعُه بنيرانٍ تشتعل بداخله من ذاك الذي يُذكره بالماضي، تقدم نحوه مُعترز ليدفعه بعيداً عن زوجته متفوّهاً بعبارةٍ حادة:

-إبعد عنها ... وِلا خُد حاجتك وإمشي من هنا

لم يتحرك ميجو مكانه وبقي ساكناً يرميه بنظراتٍ مُستعطفة قال معها:

-استنى بس يا شقيق ... دا أنا حتى أخوك

واصل مُعترز دفعه هادراً بصرامة ولا مبالاة لنظراته المُترجية:

-أنا مليش إخوات ... وأبوك معرفش هو فين

تمسك ميجو بحافة الباب ولا زالت عوالم الترجي على وجهه وهو يقول:

-طب خليني بس أبات الليلا دي هنا وبكرة أشوف حته تانية ... دا أنا غلبان ومش لاقى حته أقعد فيها

تحلّى بالبراءة الزائفة مما جعل كوكي تأخذ صفه وتحاول ترجي زوجها بكلماتها المُستعطفة:

-سيبه يا زيزو ... he seems lonely ... وأنا أساساً هروح لبابي

أشار ميجو على كوكي وهو يُدعّم حديثها بترجٍ رغم أنه لم يفهمها:

-أيوة أيوة أنا لولي...-

بقيت تلح عليه بنظراتها حتى تنهد مُعترز بنفاد صبر جعله يستجمع غضبه ويدفع ميغو من ياقة ملابسه داخل المنزل تزامناً مع ترك كوكي المنزل وتوديعها لهما بابتسامة هادئة.

رماه مُعترز بنظراتٍ غاضبة متوعدة قبل أن يهدر بصرامة:

-أنا هدخل أنام ... ومش هسيبك هنا عشان مش واثق فيك ... فيلا قُدامي على الأوضة

لم ينتظر إجابته وخطى نحو الحُجرة ليتبعه ميغو في صمتٍ وهو يجر حقيبته صُوب الحُجرة، إرتمى على الفراش الفسيح الذي ينام عليه مُعترز وزوجته بينما كان مُعترز بالمرحاض المُلحق بالغرفة، وضع ميغو حقيبته جانباً ليُخرج لفافة سميكة من التبغ ويضعها في فمه لكبح شهيته الجامحة باستنشاق تلك الممنوعات التي أدمنها.

أخذ نفساً من تلك اللفافة ثم أخرجها على هيئة دُخانٍ سميكٍ تزامناً مع فتح باب المرحاض وخروج مُعترز منه ليشهد هذا الذي يحدث بمنزله.

اتسعت حدقتيه في صدمة وهو ينتشل لفافة التبغ عنوة من بين أصابع ميغو ليرفعها نحو وجهه ليشهق بصدمةٍ ثم يردف بعدها بدرامية:

-حشيش !! ... في بيتي !! ... وعلى سريري!!

قطب ميغو حاجبيه بحيرة من نبرته الدرامية التي جعلته يهتف بسُخرية:

-إنت قفشتني مع مراتك ولا إيه ؟

إزداد الغضب داخل مُعترز مما جعله يقبض على تلايبب ميغو بعد أن أطفأ لفافة بمطفاة السجائر، حرك ميغو من تلايببه كي يستمع إلى صوته المؤبخ الصارم:

-ولا... اتعدل بدل ما اعدلك، مش عشان فتحتك بيتي هتبرطع فيها... الزفت ده
ميتشربش في البيت... واسم مراتي ميغيش على لسانك إنت فاهم... ويلا اتخدم
خلينا نخلص

تركه مُعترز لِيُعدل ميغو من هِنْداب نفسه دون أن ينبس ببنت شفة، فهو يتحمل طريقته
الحادة لعدم وجود مكانٍ آخر يختبئ به بعيداً عن تلك العصابة التي تُلاحقه، مرّت
بينهما بُرْهة من الصمت جعلته يستلقي بظهره على الفراش بجوار مُعترز الذي يُؤليه
ظهره رافضاً النظر إليه حتى، إكتفى بإغلاق الأضواء ومحاولة النوم ونسيان
وجوده.

لم يتركه ميغو وشأنه لعدم مقدرته على النوم، فهو بالأساس لا ينم قبل شروق
الشمس، والساعة الآن لم تصل حتى إلى الرابعة فجراً، إقترب بجذعه نحو مُعترز وبدأ
يُحرك كتفه منادياً:

-مُعترز... مُعترز

همهم مُعترز وهو لا يزال يُغمض عينيه لا يتحرك من مكانه حتى واصل ميغو
الحديث:

-أنا جعان

أفأف مُعترز بنفاد صبرٍ من صبيانته التي جعلته يفقد هدوءه المُعتاد:

-وأنا مالي أنا مكنتش ليه قبل ما تيجي

برر له ميغو بصوتٍ خافت:

-منا كلت بس جعان تاني

غطا مُعترز رأسه بالغطاء وأزاحه بعيداً عنه وهو يقول بنفاد صبر:

-الأكل عندك في التلاجة-

ابتعد عنه ميجو ووثب من فراشه ليترك الحُجرة في الظلام بحثًا عن الطعام وحتى يُدخن تلك الممنوعات دون أن يلقي معارضة، فيبدو أن شقيقه صارمًا أو هذا ما أظهره نتيجة غضبه وتذكره لوالدته، فإذا علم ميجو حقيقته ستتغير وجهة نظره تمامًا...

أشرق شمس يومٍ جديد وكانت داليا تجلس أمام مكتبها تُباشر عملها أخيرًا بعد أن انقطعت عنه لُمدة، تجلس أمامها فتاة تبدو بمُقبل الثلاثين من العُمر، تتحدث بنبرة مكلومة وصوتٍ يحمل الشكوى والاعتراض كما اعتادت داليا من حالاتها، فالجميع هنا يشكوها ويطلب رأيها في مشكلاتهم الزوجية، ولأنها خبيرة بتلك الأمور كانت تُجيبها بحكمة أدلت معها ما درسته طوال حياتها:

-لازم تعرفي يا مدام سُنْدَس إن جوزك شخصية عيَّابة بتنتقد إلي فُدامها دايماً ودايمًا مش عاجبها حاجة ... وأنا هتكلم معاه بخصوص الموضوع ده ... بس الأول لازم تعرفي إنه مهما انتقدك خليك زي ما إنت ... لأنك كل ما تنفذي إلي هو عايزه هيزوُد في الأوامر والطلبات والانتقادات عشان كدة المفروض تأدي واجبك كزوجة طبيعي جدًا ومتحاوليش تبريله لأنه هيدخل معاك في خناق ممكن نهايته متعجبكيش

استمعت المدعوّة بسُنْدَس لما تقوله بإمعانٍ شديدٍ حتى أردفت بيأس:

-يا دكتورة والله أنا تعبت ... لما بطنش بيزعق فيا، ولما بنفذ مش بيعجبه، أنا مبقتش عارفة أعمل إيه

تقدمت داليا بجذعها وهي تتحدث لآخر مرة:

-متعمليش أزيد من إلي بتعمليه ... وحاولي تتكلمي معاه بهدوء، وتفهمي هو بيعمل كدة ليه...

بقيت تتحدث معها لفترة وتُخبرها ببعض الحلول حتى انتهت تلك الجلسة على أمل أن يأتي زوجها بالجلسة الأخرى، وثبت داليا عن مقعدها تُصافح تلك السيدة ببسمة بشوشة ثم تتابعها وهي ترحل عن المكتب لتُعاود الجلوس على المقعد ومراجعة بقية الأوراق الخاصة بحالاتها.

انتابها الذعر تزامناً مع صوت الباب الذي انفتح على مصراعيه ليتوغل منه خورشيد وزوجته شهيرة مع صوت شجارهما المعتاد والذي جعلها تنتهد بنفاد صبر.

-يا دكتورة إحضرينا ... دلوقتي أنا كنت عند حماتي عشان عزمانا على الغدا
راح هو فضحني وقال لحماتي إني مش بعرف أطبخ

أنهت حديثها بتذمرٍ ونبرة مُرتفعة جعلته يؤكد حديثها بفضاظة:

-ما إنتِ فعلاً فاشلة في الطبخ ... ولا نسييتي الملوخية الصايصة إلي عمليتها أول
امبارح

شهقت باستنكارٍ أشارت معه على ذاتها لتكذب حديثه:

-أنا بعمل ملوخية صايصة يا مفجوع يا طفس

وها قد بدأ الشجار للمرة المئة أمام داليا التي لم تتحرك من أمام مكتبها وبقيت تُطالعهما بخيبة أمل، فمُنذ فتحت هذه العيادة وهذين الزوجين يتشاجران بهذه الطريقة وبذلك الأسباب الساذجة.

ارتفعت الأصوات داخل المكتب وكانا على وشك العراك لولا تدخل داليا التي وثبت مرة واحدة وهدرت بصوتٍ مُرتفع:

-بس بقي ... إنتو مش بتزهدقو من الخناق ؟

لاح الغضب على وجهها وعلى نبرة صوتها مما جعلهما يتوقفا عن الجدل وتسألها شهيرة بتشفٍ:

-نعمل إيه يا دكتورة؟... ما هو إللي دايمًا يقلل مني قُدام الناس

تذمر من اتهامها فدافع عن ذاته ببعض الغضب:

-دا على أساس إنك الملاك البريء .. دا أنا_

قطعت داليا جدالهما بنبرة قاطعة صارمة:

-بقولكم إيه ... ما تطلقو وتريحوني؟... ما هو مش كل يوم خناق خناق لغاية ما
ودني هتفجر منكم

قطبت شهيرة حاجبيها بحيرة من غرابة هذا الإقتراح مما جعلها تقول:

-نتطلق !! ... يا دكتورة إحنا جاينين عشان_

قطعت داليا حديثها وهي تدفعها خارج المكتب بنفاد صبر:

-أنا بقى بقولكم اطلقو عشان أنا زهقت ومعدش فيا طاقة فيا تطلقو ... يا
متجوش هنا تاني

أنهت حديثها بصوتٍ مرتفع وهي تدفعها خارج المكتب وتغلق بعدها الباب بغضب،
ارتمت مُجددًا على المقعد أمام مكتبها وقسمات وجهها لا تخلو من الغضب خاصة
بعد أن اضطرت لمخالفة مبادئها وطبيعة وظيفتها وطلبت منهما الانفصال وهي من
المُفترض أن تُصلح بينهما، فقد فاض كيلها منهما ومن تدميرهما لمكتبها العزيز، هذا
ما دفعها لتقول وهي تسترخي بظهرها على المقعد:

-كرهتوني في الشغلانة....

دوى صوت الطلقات النارية في كل مكانٍ مع هذا الإقتحام الذي حدث، جموع من
الرجال يرتدون ملابس سوداء مع واقي الرصاص التي اجتمع مع أسلحتهم وأقنعة

رؤوسهم، فهم ليسوا لصوصًا، بل هم ضباط ارتدوا تلك الملابس لتنفيذ إحدى العمليات التي يترأسها لؤي ويقود فرقته تجاه المخزن القديم...

يتحرك بهدوءٍ داخل المخزن ووراءه واحد من الضباط يُشهر سلاحه أمامه كما يفعل لؤي بالضبط، فما إن وجدا أحد المجرمين أمامهما حتى أطلق لؤي رصاصة أصابت ذراعه ثم أخرى تُصيب قدمه حتى لا يُحاول الهرب منهم، تقدم نحوه لؤي بأعينٍ نارية ونظراتٍ غاضبة جعلته يضع قدمه فوق إصابة الرجل الذي يزحر ألمًا ويرتفع صوت أنينه ما إن يضغط لؤي على هذا الجرح الذي ينسل منه الدماء:

-العيال فين ... إنطق

هتف لؤي بتلك الكلمات بصوتٍ صارمٍ وقدمه لا تزال ماکثة فوق هذا الجرح؛ تأوه الرجل بصوتٍ مُرتفع ولم يكن يرغب بالحديث لكن ألمه دفعه للاستسلام وإخباره بمكان الأطفال.

تركه لؤي ملقيًا على الأرض وأمر أحد رجاله بأخذه وتسليمه للعدالة، بينما توغل هو أكثر داخل المخزن بعينين تُحدقان بكل مكانٍ بحثًا عن تلك الحُجرة المرادة، فما إن وجدها حتى هرع نحوها وأطلق رصاصة على المقبض حتى يفتح الباب ويقتحم الحُجرة.

وجد مجموعة من الأطفال يتقوقصون بأماكنهم بحالة مزرية وبعض الجروح الطفيفة على وجوههم، ناهيك عن الحبال التي تُكبل حركتهم والدموع التي تنهمر على وجنتيهم، أخفض لؤي سلاحه وهرع فورًا صوبهم يحاول فك وثاقهم بأقصى ما لديه من سرعة، وثب بعدها عن الأرض وطلب من الأطفال أن يتحركوا أمامه في هدوءٍ ويتجنبوا النظر للعراك الذي يحدث حولهم.

تحرك جميع الأطفال ولم يبق سوى طفلٌ واحد بقي جالسًا على الأرض ودموعه تزداد انهمارًا، إقترب لؤي نحوه حتى لاحظ قدمه الصغيرة المجروحة والتي تمنعه من التحرك، هذا ما جعل لؤي يرفعه عن الأرض ويُطمئنه بكلماته الحنونة قبل أن يترك الحُجرة، لكن فوهة السلاح هذه اعترضت طريقه ليظهر أمامه أحد الرجال بنظراتٍ مُقتضبه وأعينٍ غاضبة.

أخفض لؤي الصغير على الأرض وطلب منه أن يُغلق عينيه حالما ينتهي من هذا الأرعن، فما إن نفذ الصبي الأوامر حتى وجه لؤي نظراته النارية صوب الرجل الذي لم يتزعزع وكان على وشك إطلاق النيران من فوهة سلاحه، قبض لؤي على ذراعه وقام بلوي يده حتى سقط السلاح على الأرض، ركله لؤي في معدته ثم ركله مُجددًا على فكه مما جعل الرجل يبصق الدماء من فمه ويسقط على الأرض فاقدًا للوعي.

حمل لؤي الطفل مجددًا وجعله يجلس على أكتافه كي يستطيع الهرولة بأقصى سرعة حتى هرب أخيرًا من ذلك المخزن، وضع الصبي داخل عربة الشرطه مع بقية الأطفال ثم عاد إلى المخزن مُجددًا ليقبض على المجرمين ويكبل رسغهم، فكان الرجال يتركون المخزن بجروح جسيمة ونظراتٍ متوعدة بسبب فشل خطتهم وانتهاء مُستقبلهم.

خرج الهواء من فمه مُفعمًا بالغضب والوعيد، فتلك المكالمة التي وردته عكزت صفوه ودمرت جميع مُخططاته وُربما تُدمر حياته فيما بعد، لاحظ شريكه طفرات الضيق على وجهه فتقدم ليجلس أمام مكتبه متسألًا:

-مالك يا طلال ؟ ... العملية حصلها حاجة ؟

زفر طلال الهواء من فمه وهو يهتف باقتضاب:

-العملية باظت ... رجالتنا اتقبض عليهم

لم تهتز شعرة من شريكه وبقيت عوالم الهدوء واللامبالاة على وجهه حتى أردف ببساطة:

-وايه يعني ... ما إنت عارف إنهم مش هيبلغو عنا ... دا لو لحقو أساسًا ... أنا ليا حبابيب في الحجز هخليهم يخلصو عليهم دُوغري ... ولو على العيال ففي غيرهم كثير

وجه طلال نظراته الحاقدة نحو شريكه كي يُبرر سبب غضبه:

-وانت فكرك يعني هو ده إلي مضايقتي...

تقدم بجذعه وهو يواصل الحديث بغضبٍ أكثر:

-أنا إلي مضايقتي إنهم بيتحدوني وفاكرين نفسهم هيقدرو عليا ... وأنا موتي
وسمي إن حد يتحداني

رسم شريكه بسمة خبيثة على ثغره وهو يُطمئنه:

-وماله مش إحنا لما نلاقي حباية مضيقانا ... بنشيلها

بادل طلال بنفس البسمة ما إن فهم تلميحاته التي تتوافق مع كونه طيبياً للتجميل،
انتهى الحديث بينهما بنظراتٍ متوعدة ورغبة عارمة في الإنتقام ممن يتسبب بتدمير
مُخططاتهما الماكرة.

عدل من هندام قميصه وهو يرمق نفسه أمام المراة بحلته الأنيقة وخُصلات شعره
اللامعة، ترك الحُجرة بخطواتٍ هادئة حاول جعلها رزينة لتتناسب مع كونه ذاهباً إلى
العمل، توقف داخل المطبخ يضع يده على البراد على أمل أن يجد ما يتناوله في
الطور قبل أن يترك المنزل، لكن ما حدث، هو أنه وجد البراد خالٍ تماماً سوى من
بعض بقايا الطعام الفاسد.

استشاط وجهه غضباً وسقط فكّه بذهولٍ من ذاك المظهر؛ أغلق البراد بحدة ليهول
خارج المطبخ حيث يجلس ميجو أمام التلفاز بأريحية ومعه جهاز التحكم الذي يُمرره
على التلفاز لعله يجد ما يُشاهده ويُمتع به وقته.

اقتحم مُعتز خلوته بسؤالٍ حادٍ يحمل الغضب:

-فين الأكل إلهي كان في التلاجة ؟

انتبه ميگو لسؤاله الذي آجاب عليه ببساطة دون أن يُعيره انتباهًا حتى:

-أكلته ... ما أنا قولتلك كنت جعان وإنت قولتلي شوف أي حاجة من التلاجة

اشتعل مُعترز أكثر من هذا الوقح الذي يأخذ راحته كاملة رغم أن مُعترز لا يطبق وجوده من الأساس، أمسكه من ياقة ملابسه من الخلف هادرًا بتؤبِيخ:

-أنا قولتلك أي حاجة من التلاجة مش كل إلهي في التلاجة

حاول ميگو إبعاده بصوتٍ مُرتفعٍ دافع به عن ذاته:

-في إيه يا عم ما تصتبح ... كمان هتُبصلي في اللوقمة

أطبق مُعترز على شفتيه وهو يتركه بنفاد صبرٍ ونيرانٍ تشتعل مع تنهيداته، تجاهل تضوره جوعًا وقرر ترك المنزل على أمل أن يبتاع الشطائر في طريقه للعمل، أما عن ميگو، فكان لا يزال يجلس أمام التلفاز لا يُعيره انتباهًا، يُطلق الصافرات من جوفه بنغمة موسيقية تُغنيه عن هذا الملل حتى يرحل مُعترز عن المنزل.

ما إن تأكد أن شقيقه رحل حتى أخرج عُلبة سجناره السميكة ووضعها بين أصابعه ليتلفت بعدها باحثًا عن قداحته التي تذررت داخل جعبته الأخرى، قُرّب القداحة نحو فوهة لفافة التبغ المُذهبة للعقل على أمل أن يُشعلها ويستنشق سمومها، لكن لسوء حظه أن قداحته لم تكن تعمل مما يفرض عليه أن يترك المنزل حتى يملئها بالوقود.

يُندن بنغمة موسيقية وهو يجلس بطريقته المُعتادة واضعًا القدم فوق الأخرى على مكتبه وظهره يسترخي للوراء وأمامه شاشة التلفاز المفتوحة على النشرة الجوية التي يُتابعها بلا إكتراث، فبدلًا من أن تنشر القنوات أخبارًا عمّ يحدث بالبلاد كانت تذيع

أخبارًا لا فائدة لها تخص الممثلين والمطربين، وكان هو ينتظر مرور تلك الفقرة الساذجة حتى يأتي بعدها أهم الأنباء.

إنفتح باب المكتب على مصراعيه ليتوغل أحد الأطباء بابتسامة بشوشة وخطوات هادئة رزينة دفعت إسلام للاعتدال في جلسته ليستقبل هذا الطبيب ببسمة ودودة مرحة، فهناك علاقة حميمة تربط ما بين هذين الطبيبين.

وثب إسلام من مقعده ليُصافحه أو لآ قبل أن يجلس كلاهما ويبدأ الحديث عن أحوالهما لفترة وما حدث بالفترة الأخيرة، انتهت تلك الترحيبات ليُباشر هذا الطبيب المدعو بجاسم الحديث بجدية:

-أنا الحقيقية جاي عشان أطلب مساعدتك

قطب إسلام حاجبيه ببعض القلق وهو يسأل:

-مساعدة إيه؟

حمم جاسم قبل أن يبصق طلبه مرة واحدة:

-حصلت كام مُشكلة في المصحة إلي شغال فيها ... خصوصًا عنبر تمانية ... إنت عارف بقى إن عندنا حالات انتحار وساعات المرضى بيأذو أنفسهم...

صمت بُرهة ليواصل بعدها الحديث برجاءٍ اجتمع مع جديته:

-عشان كدة أنا محتاجك ... محتاجك تكشف على العيانيين، عشان الجراح إلي كان عندنا واخذ أجازة ممتدة ... وأنا استأذنت دكتور ضياء وقالي إن حد ممكن يبجي مكانك مؤقتًا لغاية ما ترجع تاني

رماه إسلام بقهقه ساخرة بعد أن فهم طلبه:

-إنت عايزني أشتغل في مُستشفى مجانيين!!

تقدم جاسم بجذعه ليُحاول إقناعه بصفته طبيبًا للأمراض العقلية بتلك المصحة، فهي تحتوي على العديد من الأطباء النفسيين وكذلك الممرضين، لكن الجراحين في تناقصٍ مُستمرٍ بسبب هروبهم الدائم وورغبتهم بالاستقلال والعمل بمشفياتٍ عريقة رغم أن المصحى تحتاجهم وبشدة.

-كلها خمس ست شهور بالكثير وهترجع المُستشفى تاني ... بس صدقني يا إسلام أنا محتاجك

أوما إسلام رأسه متفوهًا بموافقة:

-ماشني يا جاسم ... هشوف ظروفني وهبلغك بمواعيدي

اتسعت بسمة جاسم وهو يثب عن المُقعد ويُصافحه مجددًا قبل أن يترك المكتب تاركًا إسلام يسترخي مجددًا بظهره ويُتابع تلك الأخبار التي لا فائدة منها مجددًا حتى أتاه المريض الأول....

يزفر الهواء من فمه على هيئة غماماتٍ كثيفة سامة نابعة من سيجارته التي يشربها فور ما ملأ قداحته بالوقود، وبيده الأخرى كانت تحمل كيسًا بلاستيكيًا يحتوي على شطائر قد ابتاعها في طريقه للمنزل في حالة تضروره جوعًا، عقله شارِدٌ في ما آلت إليه الظروف وكيف سيتخلص من تلك العصابة، وشارِدٌ أيضًا في شقيقه الذي يبدو أنه لا يُرحب بوجوده، فهو لم يلقى منه سوى القساوة والحدة منذ وطأت أقدامه المنزل، وهذا فقط بسبب والدته الراقصة التي سلبت كل ما تملكه والدة مُعتز.

يتسأل حقًا كيف ستضحى معاملة شقيقه له عندما يعلم أنه يُتاجر بتلك الممنوعات، بل إنه أيضًا يعمل بالملهى الليلي وراء والدته الراقصة دون حتى أن يغار عليها، إذا انكشفت حقيقته فحتمًا سيزداد مُعتز مُقتًا له وربما لن يسمح له بالمكوث في منزله، وهو معه الحقُّ في ذلك، فيبدو أن شقيقه وهذا المحيط حوله يختلف تمامًا عن المحيط الذي ترعرع به والذي لا يخلو من الفجر والمجون.

قطع وصلة أفكاره صوت شجارٍ حاد صادرٌ من أحد المتاجر الخاصة بالطعام، وما انتبه إليه هو ذلك الصوت الأنثوي الذي يهتف بحدة ويكاد يتعارك مع أحد الرجال بشراهة.

تدفقت الدماء بعروقه وبدأت الأفكار تطالبه بالتدخل ليرى تلك القطة الشرسة التي رُبما تُدافع عن شرفها؛ ألقى لفافة تبغهِ على الأرض ليدعسها بأقدامه ويتجه فوراً صوب هذا المتجر حيث يجد فتاةً متوسطة الطول ذات بشرة حنطية ووشاح يُغطي شعرها ويزيدها جاذبية خاصة بثيابها العصرية المُحتشمة، فكانت هذه شمس شقيقة قمر، والتي كانت تبتاع الطعام من هذا المتجر فور أن انتقلت هي وأبويها لتلك البناية التي تقطن بها شقيقتها مع زوجها.

تقف شمس بين مجموعة من الرجال هادرة بصوتٍ مُرتفعٍ يكاد يُمزق حنجرتها:

-يعني إيه مش هتسمع الكلام ... والله لو عملت إيلي في دماغك لآكون مؤرياك
النجوم في عز الضُهر

كادت تلتحم مع هذا الرجل فسارع ميغو بالتدخل هادراً بعصبية:

-في إيه يا جدع إنت ؟ ... محدش قالك قبل كدة إن إيلي يتشطر على حريم ميبقاش
راجل

دفعه دفعة بسيطة على كتفه مما زادت الرجل مالك المتجر غضباً فهتف بوجهه:

-وانت مال أهلك إنت كمان ... هي السنيورة من بقية عيلتك ؟

إقترب ميغو أكثر نحوه ثم استدار نحو شمس ليُعطيها الشطائر حتى لا تتدمر أثناء العِراك الذي على وشك البدء، فكان يدفع الرجل بكلتا يديه هادراً بصوتٍ حادٍ مُرتفع:

-أه يا خوية من بقية عيلتي ... وأحسنك تبعد عنها بدل ما لغبطك ملامح وشك
السِمح ده

هدده بنظراته الجاحظة الحادة ويداه اللتان تلوّحان أمام عيني الرجل، لكن نظرًا لضخامة مالك المتجر وطوله الفارع، لم تؤثر تلك التهديدات عليه بل زادته غضبًا، وهذا ما جعله يُبادل ميجو بدفعة قوية كادت تجعله يقع على الأرض.

-لو فاكّر إنك بتهددني ... يبقى كدة انت بتلعب في عداد عُمرِك...-

وجه ضفة الحديث نحو بعض الرجال العاملين بالمتجر، فكان جميعهم ذوي أجسادٍ ضخمة ونظراتٍ حادة مصوّبة نحو كلاً من ميجو الذي ارتعدت فرائسه وشمس التي حاولت الاختباء خلف ميجو لعله ينجدها من أولئك الأشرار، فهي لا تعلم أن ميجو الآن يكاد يُبلل سرواله من شدة الهلع.

ثانية ... اثنتان .. ثلاث... وها قد تراجع خطواتهما بعيدًا عن المتجر ليبدأ الركض بأقصى ما لديهما وخلفهما هذا الحشد من الرجال، يركضان بسرعة لبضعة أمتارٍ حتى دلفا البناية الخاصة بهما ليتأكدا بعدها أن الرجال قد هربوا لعدم مقدرتهم على ولوج البناية بسبب حارس العقار، والبوابة التي غلقها بسرعة.

توقف ميجو عن الركض ليستند بيده على الحائط برأسٍ مُنكسٍ لأسفل وهو يحاول استعادة أنفاسه، وثبت شمس قبالته على بُعد أمتارٍ تلتقط أنفاسها هي الأخرى وتحمد ربها أنها هُرّبت من أولئك الوحوش، بعد بُرهة من الصمت بينهما أُرِدفت شمس بامتنان بين لهيئتها الذي هدأت وطأته:

-متشكرة أوي ... مش عارفة من غيرك كُنت هعمل إيه

رد عليها ميجو بنبرة حاول جعلها مُهذبة:

-ولا يهْمِك يا أنسة ... أنا عارف الأشكال الزبالة دي كويس ... ما بيصدقو يلاقو أي تاء مربوطة عشان يعاكسوها

احتدت نظرات شمس وهي تُكذب حديثه بشموخ:

-مين دول إللي يعاكسوني ... أنا محدش يقدر يبجي جنبي ... بعدين الراجل ده ولو
إني نفسي أضربه وأهزقه تاني إلى إني حاسة إنه مش بتاع معاكسات

رمقها ميحو بنظرات مُرتابة سأل معها بحيرة:

-أومل الخناقة دي كانت عشان إيه ؟

اشتعلت النيران داخل شمس وهي تهتف مستذكرة سبب هذا الشجار بقولها:

-عشان الحيوان ده كان ... كان..

حاولت استجماع ثباتها كي تواصل الحديث أمام فضوله:

-كان معاه بيروسول ... وكان عايز يقتل الذبابة المسكينة إللي كانت يعني بتلف
في المحل ... أنا مشوفتش بجاجة كدة يا أخي

شُل لسانه عن الحركة وكان على وشك صفعها على وجهها من شدة الغضب، أكان
هذا الشجار الذي كاد يفقد حياته بسببه بهذه السذاجة ؟ وجد نفسه يهتف بوجهها
بصوتٍ مُرتفع:

-نعم !! ... يعني الهلومة دي كُلها عشان حنت دبانة

أشار إلى عُقلة إصبعه مع آخر كلماته بطريقة مُستخفة جعلتها تستشيط غضبًا، فهي
على عكس جميع من بالعالم، تُحب ما يتعلق بالحشرات وتقوم بدراستهم أيضًا، ولن
تقبل أن يتم معاملتهم بتلك الطريقة خاصة لو لم تكن كثرة الحشرات تُسبب أذية
للبشر، وجدت نفسها تربط ذراعيها وتُدافع عن الذباب باستماتة:

-إنت إزاي فاكِر إنها حاجة تافهة ... يعني لو ربنا خلقتك دبانة كُنت هتبقى مبسوط
لو حد قتلك ؟

استجمعت هدوؤها لتواصل الدفاع بطريقة علمية:

-وعلى فكرة بقي الدبان ظهر في القرآن ... في قوله تعالى "وَإِنْ يَسْأَلِبُهُمُ الدُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ " والآية دي كانت موجهة للكفار وكان قبلها آية بتقول إنهم مش هيقدرو يخلقو دبانة واحدة إلهي هي من أصغر الحاجات إلهي خلقها ربنا، لأ ومش بس كدة ... دول كمان مش هيقدرو يرجعو إلهي بتسلبو الدبانة وبتاكله....

اندمجت بالحديث وهي تستند على الحائط وتواصل التفسير بعلمية:

-تعرف بقي ... بعدها بكام سنة، العلماء اكتشفو إن الدبان ملهوش معدة ... إلهي هي أساسًا مسئولة عن الهضم ومسئولة كمان إن الأكل يفضل موجود في الجسم ... وسبحان الله، عندها مادة إنزيمية بتفرزها على الأكل إلهي لسة هيدخل معدتها وبتخليه بدوب تمامًا وبتمتصه بعد كدة للدم علطول ... فبالتالي لو فتحنا بطن الدبانة مش هنلاقي حاجة خالص، عشان كدة ربنا سبحانه وتعالى قال إننا مش هنقدر نرجع أي حاجة أكلتها...

كان يُطالِعها بنظراتٍ مُبهمة لا يعلم سبب اندماجه بحديثها ورغبته بمعرفة ما لديها من معلومات، فكانت لا تزال تُدافع عن الذباب بطريقتها العلمية المُفسرة التي أعجبتة للغاية:

-في سنة 1958 قررت الصين إنها تعمل حملة لإبادة كل الحشرات إلهي موجودة منهم الدبان والجراد ... كانت فاكدة يعني إنها بكدة هتطهر الدولة ... بس إلهي حصل إن بعد الحملة ديه، في مرض خطير انتشر ومات بسببه حوالي 20 مليون مواطن صيني، وده لأن الدبان بيتغذى على البكتريا السامة إلهي موجودة في الجو، وده بيفسر طبعا وجودهم دائما عند أكياس الزبالة والجثث

اعتدلت في وقفنها وهي تُنهي الحديث بصرامة:

-عشان كدة يا بني آدم الدبان مُهم ... وفي مليون طريقة نطردهم بيها برة المحيط بتاعنا من غير ما نقتلهم ... والمبيدات الحشرية دي بتلوث الجو وممكن تعمل أضرار في التنفس

بقي يُطالعه في صمتٍ وذهولٍ جعله يُغمغم بصدق:

-هو أنا ليه بدأت اتعاطف مع الدبان ؟

عاد بأنظاره نحوها لينتشل كيس الطعام منها هادراً بنفاد صبرٍ ورغبة في إنهاء هذا الجدل الذي بدا أحمقاً، فهي على وشك أن تفتح لجنة لحقوق الحشرات وتضمها بجوار بقية اللجان.

-بقولك إيه يا أنسة أنا مش عايز أشوف وشك تاني ... وكفاية أوي إلهي حصل

...

تركها ورحل ليصعد السلم بنظراتٍ متوعدة وكلماتٍ خافتة ساخرة قال معها:

-على آخر الزمن اتخاقت عشان حته دبانة...

أما عنها فكانت تُطالعه باستحقارٍ هدرت معه:

-ناس معندهاش دم صحيح

ثم تبعته لتصعد السلم دون أن تكثر له، فكان صوت خطواتها على السلم يُعادل صوت بناية على وشك السقوط، وهذا فقط لأنها ترغب بدخول المنزل بسرعة لتجمع ما تبقى من أعصابها وتُحاول نسيان هذا العراك وهذا النقاش مع هذا الرجل الغريب الذي لأول مرة تراه بالبناية...

صوت القلم الذي يضرب حافته الطاولة اجتمع مع ضجيج عقلها الذي يسبح في بحرٍ من الافكار المُشتتة وربما المُستحيلة، تتذكر هذه الساعة التي أخبرها فيها أن مشروعا قد تم الموافقة عليه وتم توقيع العقد بينهما، فما هي الآن تجلس داخل أحد المكاتب أمامها العديد من الأفكار والمُستندات وجوارها فتاة أخرى تعمل معها بالإدارة التنفيذية.

كان الجدار من الزجاج مما سمح لها برؤيته أمامها يتحدث برزانة مع أحد الموظفين ويُملي عليه بعض التعليمات، لا تعلم لمَ هامت بابتسامته الهادئة وعينه البندقية، أحببت تعامله مع الموظفين وكأنه شقيقهم، بل وأحبت مرّحه ومزحاته التي تتصنّت عليها منذ وطأت هذه الشركة، تتذكر حينما كانت معه بالجامعة عندما كانت تتجول بالرُدهة واصطدمت به عنوة، كم أرادت وقتها أن تتعرف عليه لولا هذه التي كان يُرافقها والتي علمت فيما بعد أن الإشاعات كانت تتكاثر حولها بصورة سيئة، أرادت وقتها أن تقترب منه وتؤاسيه على تركها إياه دون وجه حق، لكنها تكتشف فيما بعد أنه ترك الجامعة بأكملها لسبب لا تعلمه هي، لكنها منذ رأت إعلانات هذه الشركة الناشئة وصورته بين الرؤساء، أدركت فوراً أنه نفس الشاب الذي سحرها بجاذبيته وحنانه، لهذا السبب انتهزت الفرصة حتى تصطاده مُجدداً ولا تعلم إن كانت ستغتنمها أم لا.

-مالك يا نيمو ... سرحانة في إيه ؟

قطعته زميلتها بتلك الكلمات الودودة التي سرقتها من عُمره شرودها، انتبهت نرمين لحديتها فالتفت نحوها تُحاول تغطية ارتباكها وهي تقول:

-مفيش ... ولا حاجة

لاحظت زميلتها تحديقها الدائم بمُعتر مما جعلها تحاول تحذيرها بقول:

-شايفاكى وإنتِ بتبُصي عليه ... بس نصيحة مني...

صمتت بُرهة لثرتب بعض الأوراق ثم وجهت نظراتها نحو نرمين كي تواصل تحذيرها:

-بلاش أحسنك ... مستر مُعتر متجوز ويحب مراته ... ومعتقدش هيبص لواحدة غيرها

اشتعلت نيران الغضب داخل نرمين ما إن استمعت لتلك الكلمات، لكنها بعد بُرهة وجدت نيرانها تهدأ ليحل محلها ابتسامة خبيثة تبعثها بحديثٍ واثق:

-فيها إيه يعني؟.... مش الشرع محلل أربعة؟

أسدلت السماء ستارها ليزيح القمر بجاذبيته وبريقه أشعة الشمس الساطعة ويبدلها بأجواء هادئة تحمل السكينة، في تلك الليلة الهادئة كانت الفتيات تجتمعن بالقصر الخاص بوالد كوكي، يجلسن بالبهو على أريكة عصرية أنيقة ولم تكن كوكي معهن بسبب انشغالها بابنتها التي لم تتوقف عن البكاء، تحمل يسرى كراستها وهي تجلس بين قمر وداليا تحاول أن تطلب مساعدتهما في كتابة روايتها الجديدة، فكانت تسأل وهي ترفع قلمها قبالة وجهها:

-بقولكم إيه؟.... أسمى البطل اسد؟ ولا نمر؟ ولا فهد؟ ولا اسميه صقر؟

قطبت قمر حاجبيها وهي تستفسر بغرابة:

-هو البطل حيوان برّي؟

نفت يسرى حديثها ببعض الاندفاع:

-لا راجل عادي.... بس لازم الاسم يبقى كرييتف

تدخلت داليا بالحديث لتقترح بسخرية:

-خلاص سميه أبو جلامبو

تبعث حديثها ببسمة ساخرة لكن يسرى ظنّت أنها تتحدث بجدية بل وأعجبها الاقتراح أيضاً مما جعلها تردف بلهفة:

-حلوه ده... أنا هسميه أبو جلامبو... ودلعه هيبقى أبو جلابيبي

لوّت قمر فكها باستحقار لهذا الاسم الأحمق مما جعلها تقول:

-أبو جلابيبي ... إيه الدلع في كدة ؟

تركت يسرى كراستها لتُبرر بعلمية:

-ما هو كدة ... فن الدلع في الروايات، معناه إنك تحطي ياء ملكية على أي اسم ...
يعني إنت اسمك قمر، يبقى دلّعك قمر

لازالت عوالم الغرابة تُرتسم على وجه قمر وهي تردف بتذمر:

-لؤي عُمره ما قالي يا قمر

قطعت داليا نقاشهما كي تسأل ببعض السخرية:

-يعني أنا اسمي داليا ... هيتحطلها ياء ملكية إزاي ؟

ردت عليها يسرى بثقة:

-هتبقى داليتي ... هو إسلام مش بيقولهاك ولا إيه ؟

أرخت داليا ظهرها للوراء وهي تهتف باعتراضٍ لحديثها:

-ده أحسن إنه مش بيقولهاالي بعدين لما يُحطُ ياء الملكية على اسمي يعني هو
عايزني ملكه هو وبس ... وأنا مش هقبل إنني أكون ملك حد

ربطت ذراعها مع آخر حديثها بعوالم ثقة لا تزال على وجهها مما جعل يسرى
تعترضها كي تُبرر لها أكثر:

-وليه ميكنش عايزك تحت حمايته ... ما إنت في الأول وفي الآخر مسئولة منه
وهيخاف عليك زي ما هيخاف على نفسك...

دار النقاش بينهما حتى تحوّل إلى جدالٍ عن حقوق المرأة بعد أن كان نقاشًا على مجرد اسمٍ في رواية لم تُكتب بعد، فقد كانت تُدافع داليا عن حقوق المرأة باستماتة مؤضحة أن لها كيانًا مُستقلًا حتى بعد الزواج، فهي ترفض تمامًا أن يتم التحكم بها من قِبَل شخصٍ أضحى في ليلة شريك حياتها، فتلك التحكّيمات هي ما تُدمر أغلب العلاقات بسبب إختلاف آراء الشريكين، وكانت يُسرى على الصعيد الآخر تحاول اقناعها أن هناك تحكّيمات يفرضها كليهما على الآخر لكن الرجل يجب أن يضحى مسؤولًا عن حمايتها مهما كانت المرأة قوية، وكانت قمر في عالمٍ آخرٍ فقط تستمع لهما وترتشف من عصير البُرْتقال الذي وضعته الخادمة أمامهن.

قطع نقاشهما مجيء فتاة تبدو بأواخر العشرين ذات جسدٍ رشيقٍ يميل إلى النحافة مع بشرة ناصعة البياض وعينان زرقاوان تُشبه خاصة كوكي، رسمت تلك الفتاة بسمة هادئة على ثغرها وهي تلوّح لهن بؤد قالت معه برقة:

-هاي ... أنا ساندي

ارتسمت بسمة على داليا وهي تثب لمُصافحتها وتقبيلها على وجنتيها كما فعلت يُسرى وقمر التي تركت كوب عصيرها لتُعانقها عناقًا وديًا، فهي قد رأتها مُسبقًا هي وداليا عندما كانت تأتي لزيارة كوكي، أما بالنسبة ليُسرى، فلم تكن تعرفها جيدًا لذلك عرّفت ساندي نفسها أكثر بقولها:

-أنا عمت كوكي وخالتها ... بس تقدرو تعتبروني صاحبتكم

إزدادت الغرابة على وجه يُسرى وهي تسأل:

-عمتها وخالتها في نفس الوقت !! ... بعدين إنتِ شكلك أصغر منها أساسًا

ابتسمت ساندي وهي تؤكد حديثها:

-أيوة، أنا أصغر منها بسنتين

تدخلت قمر كي تُعلق:

-أومل كوكي فين ؟

آجابتها ساندي بصدق:

-جوة she's sleeping bossy

انتشلت يسرى كوب العصير متفوهة:

-ربنا معاها ... هي كدة الخلفة في الأول بتبقى صعبة ، بس بعد كدة هتتعودي
عقبالكم

وجهت حديثها لجميعهن وهي تدعي لهن بإنجاب ذرية صالحة من أزواجهن خاصة
قمر التي دعت وراءها كما فعلت ساندي التي لم تتزوج حتى الآن، أما عن داليا،
فبعادتها المعارضة أردفت:

-لااا ... أنا مش هخلف دلوقتي خالص ... أنا أساساً اتفقت مع إسلام إننا مش
هنخلف قبل سبع سنين من جوازنا

قطبت ساندي حاجبيها بحيرة من قرارها مما جعلها تسأل:

-واشمعنا سبع سنين ؟

تتحنت داليا قبل أن تُفسر وجهة نظرها بعلمية:

-عشان وفقاً لـ " seventh years itch نظرية الهرشة السابعة " العلاقة
الزوجية بعد مرور سبع سنين بتعرض لعدم الاستقرار، سواء بقي خيانة، عدم
قبول ... المهم إن معظم حالات الطلاق بتحصل بعد سبع سنين من الجواز، وعشان
الطلاق مياثرش على الأطفال، لازم نتأكد الأول إن إحنا هنقدر نكمل مع بعض السبع
سنين دول

أنهت حديثها بثقة جعلتهن يُطالعهن بغرابة إلى أن استنكرت قمر حديثها وهي لا تزال ترتشف ما تبقى من عصيرها:

-أدي أخت إلي يتجوز خبيرة علاقة زوجية دا إنتِ احمدي ربنا إن إسلام مستحملك لحد دلوقتي

كادت ترد عليها داليا إلى أن ساندي تدخلت بأعينٍ جاحظة حملت معها الدهول:

-واو ... هو إنتِ marital relation expert ؟ ... على كدة هتعرفي تحليلي مُشكلتي ؟

رمقتها داليا بغرابة وهي تسأل:

-مُشكلة إيه ؟

اعتدلت ساندي بجلستها وهي تقص عليهن:

-أنا هقولك ... أنا .. بحب واحد اسمه رامي معايا في الشغل...

لاح على وجهها العبوس وهي تؤاصل:

-بس رامي بيحب عبير ومش شايفني ... وعبير بقى إلي هي زميلتنا بردو ... بتحب زياد زميلنا ... وزياد بيحب كاميليا السكرتيرة... بس كاميليا وحسام مخطوبين

قطبت قمر حاجبيها وهي تهتف بسخرية:

-دي شركة دي ولا وقر أفاعي ... إيه كمية العلاقات دي ؟

تقدمت ساندي بجذعها وهي تُفسر لهن:

-أنا مليش دعوة بده كله، أنا عايز اكم تساعدوني أفركش خطوبة كاميليا وحسام ...
عشان كاميليا تتجوز زياد ونوِّع بينهم مرة ثانية عشان زياد يتجوز عبير ورامي
يُصلي

تهكمت داليا من حديثها ببعض السخرية:

-إيه مسلسل العشق الممنوع ده كمان ... وبتتريقو عليا عشان بتفرج على هندي

كادت تتحدث ساندي إلي أن كوكي قطعت حديثهن وهي تقترب نحوهن بوجه شاحبٍ
وهالات سوداء تتكوّن أسفل عينيها، إرتمت جوارهن على الأريكة وهي تقول
بأريحية حملت إجهادها:

-بوسي مصحيانى طول الليل ... أنا بجد تعبت

كانت على وشك البكاء لكن يُسرى ضميتها وحاولت تشجيعها بكلماتها المُحفزة:

-معلش ... هي الخلفة في الأول صعبة، دا إنتِ احمدي ربنا إنها واحدة ... دا أنا
كان عندي توأم مطلعين عيني ... أنيم دي يروح الثاني يصحى ... والاتنين
مبيبطلوش عياط يلا ... ربنا يكون في عون ماما، أصل أنا سيباهم عندها

انتشرت القهقهات والمزحات بينهن لفترة وجيزة قطعتها داليا بجدية:

-اسكتو بقى يا جماعة عايزة أقولكم حاجة مهمة

توقفن عن الحديث كي ينتبهن لحديثها الذي أخرجته بلهفة بعد أن سرقت نفسًا عميقًا
ثم أخرجته مُجددًا:

-أنا وإسلام قررنا نتثبت ...

اجتمع كلٌ من إسلام وخالد، وجابر ولؤي داخل المنزل الخاص بإسلام بعد أن طلب منهم لأمرٍ بالغ الأهمية، فهو قد قرر أن يُخبرهم عمّ قرره هو وداليا بشأن كونهما من الأرواح المُنتقلة، فرحلة التثبيت على وشك أن تبدأ وهو يعلم أنها ستدوم وستجعلهم يواجهون العديد من العوائق، لكنه يعلم جيداً أنه سيتخطى تلك العوائق كما تخطى ما قبلها.

يسترخي بظهره للوراء على الأريكة وجواره خالد، طاف ذهنه في تلك اللحظة وبدأت الأفكار الفلسفية الغربية تُداهمه، فكان يقول بشيءٍ من الاستعطاف:

-والله يا خالد حاسس إن محدش فاهمني

أرعى خالد ظهره للوراء وهو يرد عليه بنفس طريقتة وطريقة حديثه المعتادة:

-وأنا كذلك يا شقيق زوجتي ... أشعر وكأنني كتابٌ مفتوحٌ أمام أشخاصٍ لا يستطيعون القراءة

أوقف لؤي حديثهما وهو يُلقي النرد على لعبة خشبية يلعبها مع جابر:

-كفاية فلسفة إنت وهو وقومو اعملو شاي على ما نخلص الجيم

قطعه جابر الذي هتف بانتصار:

-الله عليا ... دوبش تاني

صك لؤي على أنيابه وهو يهتف باستنكار:

-وربنا بتخُم في الزهر .. إزاي يجيلك دوبش مرتين

ابتسم جابر وهو يُحرك القطع الخشبية بانتصار:

-حظي...-

وإصلا اللعب لو هلة حتى سأل إسلام:

-هو صحيح مُعتر فين ؟

أجابه لؤي وهو مُنهمكُ باللعب:

-أنا كلمته قالي إنه جاي

لم يكدي ينهي الحديث حتى صدح صوت جرس المنزل مما جعل إسلام يثب من مضجعه ويفتح الباب لمُعتر الذي اقتحم المنزل وعلى وجهه تقاسيم الغضب، ارتمى على حافة الأريكة ليسترخي بظهره للوراء أمام نظراتهم التي تتابعه في حيرة، فالجميع يتسأل عمّ أوصله لتلك الحالة وكأنه تعرّض للإفلاس أو السرقة.

-إيه ياض مالك ؟

سأله إسلام وهو يضرب فخذه بترؤٍ فأجاب مُعتر بين نيرانه المُشتعلة:

-طلع عندي أخ ... ومش أي أخ ... ده ابن الرقاصة إالي أبوية اتجوزها على أمي

سقطت فكوكهم وترك لؤي النرد ليلتف نحوه هو وجابر الذي بدأ الفضول ينهش صدره، فكان لؤي أول من بادر بالسؤال بعد بُرهة من الصمت:

-إزاي يعني ؟ ... وعرفت منين ؟

تنهد مُعتر قبل أن يُجيب:

-جالي البيت وقالي ووراني البطاقة وشهادة الميلاد ... اسمه ماجد، بس بيقولوله ميجو

عقب جابر بتساؤل:

-وفيها إيه لما يكون ابن رقاصة ... هو ده ذنبه ؟ ... ما يمكن يكون شخص كويس

اعترض مُعتر حديثه ببعض الحدة والسخرية:

-كويس !! ... ده متربي في كباريه وبيشرب حشيش

جحظت عينا لؤي عقب هذه الكلمة التي هتف بعدها:

-بيشرب إيه ؟

ارتبك مُعتر بعد أن أدرك ما اقترفه من خطأ، لم يكن يجب أن يفشي هذا السر الخاص بشقيقه أمام ضابطٍ الذي بالطبع سيُكبله بالأغلال، حمم قبل أن يُعدّل إجابته بحُجة:

-ق...قصدي بيشرب سجاير

أوما لؤي بلا اكراتٍ لتمر بُرهة أخرى من الصمت وعلامات الحنق لم تزل عن وجهه مما جعل إسلام يسأل باستفسار:

-وانت متضايق عشان هو ابن رقاصة ... ولا عشان ممكن يطلع مش متربي زي أمه ؟

نفى مُعتر قبل أن يردف بضيق:

-ولا ده ولا ده أنا متضايق عشان مش عايز أدخل الجيش

التفت ليواجه إسلام ويواصل الحديث باستعطاف:

-يا إسلام مش عايز أروح الجيش أنا لسة بكون مستقبلي

انفلتت ضحكة من جوف خالد الذي كان يُتابعهم في صمت، أما عن لؤي، فكانت عوالمه تُوحي بعدم التصديق لهذه الحماقة والتي جعلته يهتف:

-جيش إيه يا متخلف، إنت معدّي التلاتين سنة-

ازداد مُعترّ ذعرًا بعد تلك الكلمات التي جعلت شهقة تنفّلت من جوفه تبعثها حديثه:

**-يعني كمان هبقى هربان من الخدمة العسكرية!!... يا عيني عليكي يا بسملة،
مش هتلقني تشوفي أبوكي...-**

واصل النواح بدرامية بينما علّق خالد بسُخرية:

-ربما من الأفضل أن تبتعد ابنتك حتى لا تُصاب بعدوة الحماقة هذه

تبع حديثه بقهقهة ساخرة جعلت إسلام يُقهقه بخفة هو الآخر بينما توقف مُعترّ عن النواح وبدأ يُطالعهما بنظراتٍ نارية، فخالد لن يتوقف عن مضايقته مهما مرّ عليهم الزمن، كاد يرد عليه مُعترّ لولا لؤي الذي أوقف كلماته بسؤالٍ صارم:

-أخوك ده فين ؟ ... مش تجيبه معاك نتعرف عليه

آعاد مُعترّ ظهره للوراء وهو يُجيب ببساطة :

-سايبه في البيت

شهق إسلام بذعرٍ بعد تلك الكلمات التي أردف بعدها:

-سايب راجل غريب في بيتك لوحدته!!

رمقه مُعترّ بتيه سأل معه:

-وفيها إيه يعني ؟

آجاب إسلام باندفاع:

-فيها إنه مُمْكِن يسرقك يا حمار

قَطَّب مُعْتز حَاجبِه بحيرة سأل معها:

-يسرقني ليه؟... أنا معنديش حاجة تتسرق، هو ممكن يطلع نصاب ولا إيه؟

أنهى الحديث بذعرٍ هدأه لؤي بمنطقية وثقة:

-النصابين مش بيسرقو غير الأغنية... مش إنت... وده معناه إنه فعلاً أخوك

إقترب لؤي بجذعه ليواصل الحديث بجدية حملت شكوكه:

-بس بردو مش معناه إنه سليم... إنت قولت إنه ابن رقاصة، والبيئة إللي اتربى فيها مش أحسن حاجة، يعني أكيد هتنعكس عليه

تدخل جابر ليعترض حديث لؤي بدفاعٍ عن ذاته:

-لا على فكرة مش شرط... منا كمان اتربيت وسط نشالين وحرامية... وأديني قاعد معاكم أهو من غير ما اعملو حاجة

علَّق إسلام ليُكذب حديثه بسخرية:

-إشحال لو مكناش عارفين البير وغطاه... دا إحنا جايبك من إسكندرية حرامي وهربان من عصابة

أضاف لؤي على حديثه بنفس لكنته الواثقة:

-ده غير إن اللي اسمه ميجو ده إحنا لسة مش عارفينه... يعني ممكن يبقى حشاش... مُدمن... خمورجي، ممكن يستغل قعدته لوحدته في الشقة عشان يسرقها ويشترى الزفت إللي بيبلبعه

ازدادت ضربات قلبه وهو يستمع إلى تلك الكلمات التي بدأت تُصيبه بالذعر، فهو يعلم أن شقيقه يُدخن من تلك السجائر المُذهبة للعقول، ويعلم أن تركه بالمنزل ليس قرارًا جيدًا، خاصة بعد أن تذكر...

-الشبكة ... الشبكة بتاعت ناجتس في البيت ... أنا لازم أقوم أحقه

قالها بذعرٍ ليثب بعدها ويهرول بعيدًا عن المنزل لعله يستطيع اللحاق بهذا المُجرم من وجه نظره...

أغلق باب المنزل بترٍ ولينلفت بعدها يمينًا ويسارًا وكأنه لصًا سرق المنزل ولا يُريد أن يُكشف أمره، وضع يده في جيبه ثم أخرجها ما إن تأكد أن لا أحد يقف بالرُدْهة، تحرك بخطواتٍ هادئة صوّب الدرج لينسله بسرعة قبل أن يعود شقيقه ويكتشف تركه للمنزل، فلا يُريد أن يتم سؤاله ولا يُريد لأحدٍ أن يعرف أين يذهب خاصة وهو مُتيقنٌ أن شقيقه لا يتحمّل وجوده.

طغى سكون الليل ورهبته على تلك البقعة مع اشتداد الظلام نظرًا لكوّن الساعة توشك على الإقتراب من ساعة الصفر، لفح الهواء البارد سفحات وجهه ليدثر يديه داخل جعبته وهو يتحرك بضع خطواتٍ وعيناه تريغان بكل بقعة ليتأكد من عدم وجود من يتبعه.

توقفت أقدامه عند رجلٍ يبدو بمُقتبل العشرين من عُمره، يحمل بين أصابعه لفافة تبغ مُشتعلة لكنه يُلقبها ما إن يبصر ميجو مُتمنئًا أمامه بهيته الحادة ونظراته المُترقبة، تقدم الشاب خطوةً قُرب ميجو ليتسأل ببعض الانتشاء:

-معاك تذكرة ؟

نفي ميجو برأسه وهو يُجيب بصوتٍ خافت:

-لا ... بس معايا إلكي أحسن منها

أخرج من جعبته كيسًا بلاستيكيًا يحتوي على مادة بُنية اللون وسميكة، أخرج الشاب حفنة من النقود من جعبته وأعطاهم لميجو بالخفاء ليُبادلهم ميجو بهذا الكيس البلاستيكي بعد أن حصي الأموال جيدًا.

رحل الشاب من أمامه ليستدير ميجو عازمًا على العودة بوجهٍ يحمل ابتسامة خبيثة مُنتصرة، وضع النقود داخل جعبته وما كاد يتحرك خطوة واحدة حتى...

-ليك واحشة يا ميجو مش تقولنا يا راجل إن بقي ليك اسم في السوق؟...

احتقن وجه ميجو واختفت الألوان من معالمه وهو يبصر إدريس أمامه مباشرة؛ تراجع بضع خطواتٍ للوراء ليصطدم جسده بجسدٍ صلبٍ يخص أحد الرجال، تلفت حوله ليلاحظ هذا الجمع الذي يُحيط به ويلتفون حوله استعدادًا للانقضاض عليه.

إقترب إدريس نحوه ببسمة مأكرة تُزين ثغره وكلماتٍ مُهددة تخرج من جعبته:

-مش قولتلك هجيبك...

قهقهه بدهاءٍ ثم واصل الحديث بنفس اللكنة الخبيثة:

-أدينا أهو بنتصافي

تلاشى الدهاء عن وجهه ليحل محله الغضب العارم وهو يُشير على رجاله ويُخبرهم بصرامة:

-امسكوه....

الفصل السادس (لن تخرج حيًا)

خُلِقَ الظُّلم حتى يكتب نهاية العالم....

أصوات الأقدام تُهرول على السلم بفؤادٍ يتصاعد من وطئة القلق، اقتحم منزله وكأنه لصًا أتى للسرقة، بل لمنع سرقة على وشك أن تتم، تصبب العرق على وجهه وهو يجول بعينه في كل مكانٍ بالمنزل وصوته يُنادي بلافائدة، لاح الغضب على وجهه الذي تحوّل للون الأحمر جراء ما يقنعه به عقله بأن ذاك اللص اللعين سرق المنزل وهرب بعيدًا.

اقتحم جميع الحُجر بأعينٍ مُقتضبة وقلبٍ لا يتوقف عن النبض، فتح الخزانة ليتأكد أن مجهورات زوجته لا تزال بموضعها دون أن يمسه أي مكروه؛ تنهد بأريحية وهو يغلق الخزانة مُجددًا ويلتفت وراءه ليجد الجميع واثبًا قبالةً يبحثون معه عن ميجو، فمن المُفترض أن يضحى بالمنزل الآن.

-أخوك فين ؟

سأل لؤي ببعض الحدة ليجد التيه والحيرة تتمثلان على وجه مُعتز الذي لم يكن يعرف الإجابة، فهو لا يعرف أين ذهب ميجو ولم لا يوجد بالمنزل ؟

ترك الحُجرة وعاود البحث بالمنزل هو وبقيتهم لعل ميجو يتدثر بأحد الأماكن.

-ما يمكن مشا

قالها جابر مُستنتجًا مما جعل حيرتهم تزداد أكثر، لكن مُعتز لم يُبدي أي من العلامات لأنه على يقين بعودته مُجددًا، فجميع أغراض ميجو لا تزال بالمنزل، كاد يعود إلى منزل إسلام مع بقيتهم لكن ما اخترق مسامعهم أصابهم بالشلل الجُثماني....

نظرات الخوف تطغي على عينيه وكيانه، فتلك النيران المُنبثقة من هذا الشخص تكاد تجعله رماداً، ارتجفت أطرافه وهو يتراجع خطواتٍ للوراء تزامناً مع اقتراب إدريس وأمر رجاله بإحاطة ميغو من جميع الجوانب.

-هو محدش قالك قبل كدة إن اللعب مع المعلم إدريس زي اللعب بعداد عُمرِك؟

ازدرد ريقه في هلعٍ ونظراته مصوّبة على خاصة إدريس مع كلماته المُترجية:

-يا معلم والله أنااا ... أنا كنت هدورلك البضاعة وربنا

رسم إدريس بسمة شيطانية على ثغره كادت تجعل النيران بقلب ميغو تهدأ، فقد ظن لوهلة أن تلك البسمة متسامحة هادئة حتى وجدها تنقلب إلى أخرى مليئة بالدمار.

تراجع إدريس بضعة خطواتٍ قال معها بتهديد:

-شكلك نسيت التسجيلات إلی معايا ... بس ملحوقة، أنا هعرفك إزاي تنسى كويس

سُرعان ما أشار لرجالهِ ضِخام البنية الذين تلقوا إشارته فوراً وانهالوا على ميغو بالضرب، طفقوا يركلونه بأقدامهم وأيديهم الثقيلة حتى تهاوي جسد ميغو وانبتقت الدماء من فمه، واصلوا ركله بعُنْفٍ متجاهلين تأوهات ميغو الذي يعلم جيداً أنه يتلقى عاقبة أفعاله، أو إنه يتلقى جُزءاً بسيطاً للغاية من هذا العِقاب.

خفت صوت زحره وبقيت الدماء تنبثق من فمه وجسده لا يزال متلاحماً بالأرض، تراخت حركته وفقد الإحساس بما يحدث حوله، لكنه استطاع تمييز صُوت إدريس الذي ركَع على رُكبتيه كي يهمس بأذنه بصوتٍ يُشبه فحيح الأفعى:

-المرادي قرصة ودن ... لكن المرة اللي جاية لو البضاعة مجاتش ... إبقى قول
لحبايبك مع السلامة

بصق تلك الكلمات المُهددة ثم أشار لرجالہ باتباعه والرحيل قبل أن يتزاحم المكان، فهم يقفون خلف البناية مُباشرة ولأن الليل كان يجتاح الساحة فكانت الشوارع خالية من المارة.

هرؤلت أقدامهم بُسرعة صُوب ميگو المسجي على الأرض يحاول النهوض بصعوبة، فقد استمعوا إلى صوت الضرب والتأوهات من النافذة وأدركوا أن هناك ما يحدث أسفل البناية، لم يكونوا متيقنين من أن الذي يتأوه هو ميگو لكنهم الآن تيقنوا أن هناك شجارًا حدث وسيستمر بالحدوث قبل أن يفهموا طبيعة المُعضلة.

خفض مُعترز جذعه ليلتقط ميگو عن الأرض بمساعدة من إسلام، حاول ميگو التحلي بالصلاية وهو يرفع رأسه لأعلى ويحاول إزاحة الدماء عن فمه، استند على كتف مُعترز وإسلام اللذان ساعدها للعود بينما كانت نظرات لؤي حانقة تتسأل عم حدث وعن هوية أولئك المجرمين.

لأول مرة يشعر بالقلق على شقيقه، فهو لم يكن مُعترفًا به من الأساس، لكنه لا يعلم لم يجتاحه شعورٌ بالخوف بعد ما حدث، ففي النهاية لا يزال ميگو شقيقه من لحمه ودمه حتى ولو كانا من أمهاتٍ مُختلفة، حتى وإن كانا ترعرا بعيدًا عن بعضهما البعض.

يضع قطعة الثلج على وجهه لتُخفف من ألم هذه الكدمة التي تتكوّن أسفل عينيه، كما أن إسلام حاول تطبيب جراحه قدر المُستطاع واستخدم بعض أدويته الطبية لمداواة جروحه، لا تزال علامات الاستفهام تجول حول جميعهم ينتظرون الحديث من ميگو بفارغ الصبر.

-ما تنطق يا بني وقول مين دول ؟

سأله لؤي باندفاع ولم يكن يرغب ميگو بالحديث والإفشاء عن جريمته لأشخاص لا يعرفهم بالأساس، لهذا السبب كان يتحجج بقوله:

-منا قولت يا جدعان إنهم ناس لبش وكانو عايزين يثبتوني

احتد لؤي واندفع بوجهه ميجو لعدم تصديقه لتلك الحجة:

-شايئنا مختومين على قفانا ... ما إئنا شايئئهم بعئنا وهما بيركبو عربيات آخر
موديل بعد ما ضربوك

تدخل مُعئز لئُحاول استمالته وطمأئته:

-الناس دي عايزة منك إيه؟ ... صدقئني إئنا هئساعدك

علق جابر لئُحاول طمأئته هو الآخر:

-هئخلصوك منهم زي ما أنا خُصت من جعبري

أردف خالد هو الآخر بنبرته الحكئمة المُعئادة وظهره المُسترخي للوراء بأرئحية:

-ئجب أن تتخلص من العدو قبل أن يتخلص هو منك

وهكذا بدأت الإلحاحات تترا مئ عليه حتى كاد يفشي الحقئقة لولا صوت جرس المنزل الذي صدح عالياً فوثب إسلام لئفتح الباب وئجد داليا وقمر وئسرى أمامه يتوغلن المنزل بعد أن رحبن به بابتساماتٍ هادئة، أفسح إسلام المجال أمامهن فجلست داليا على أحد المقاعد وجوارها قمر وئسرى أخذت مقعداً بجوار إسلام، رُحبت داليا بمئجو وأخبرته أن كوكئ أخبرتهن عنه مما جعله ئبادلهن الترحاب بوؤد ويتحلئ بالصمت بعدها حتى لاحظت ئسرى تلك الكدمات المُتمثلة على وجهه.

-هو في إيه؟

تسألئ ئسرى بحئرة وصوئ هامس فأجابها إسلام بهمسٍ، كما سألت قمر هي الأخرئ وأجابها لؤئ هي وداليا، أصبح الجميع الآن ئعلم بهذا العراك الذي حدث منذ قليلٍ وداخلهم رغبة ملحة بمعرفة من أولئك الرجال الذين أبرحوه ضرباً وما علاقتهم به من الأساس، تزايدت الإلحاحات على مئجو مما جعله یردف باستسلامٍ وتردد:

-ماشي ... هقولكم مين دول ... بس توعدوني الأول إني هكون في السليم

قالها مُشترطاً وبسبابة مرفوعة أمامهم؛ ربت عليه مُعترز لِيُطمئنه بالحديث:

-متقلّش ... كلنا في ضهرك

أخذ نفساً عميقاً ثم أخرجته وهو يُحاول طمئنة نفسه بأنهم سيُساعدونه، حمم قبل أن يدلي الحقيقة بتردد:

-بالصلاة على النبي كدة الناس دي تبع المعلم إدريس ... أكبر تاجر حشيش في المنطقة

قطب إسلام حاجبيه وهو يسأل مُستفسراً:

-وانت إيه علاقتك بتاجر الحشيش ده؟

سرق ميغو نفساً آخرًا ثم أخرجته قبل أن يدلي الحقيقة التي يخشى الإفصاح عنها:

-أصل أنااا ... كنت شغال معاه_

قطع مُعترز حديثه بشهقة مدوية خرجت من جوفه تلتها يداه التي التقطتا ياقة ميغو وبدأت تُحركه بعدم تصديق:

-إيه !! ... يعني إنت ابن رقاصة وقولت ماشي كمان بتاجر في المُخدرات

حاول ميغو التملص من قبضته وهو يُصحح حديث مُعترز باندفاع:

-تاجر مخدرات إيه حد الله بينا وبين الحاجات دي ... أنا بتاجر في الحشيش

إزداد مُعترز اشتعالاً وعاود تحريكه من ياقته مع كلماته الناهرة:

-إنت كمان بتبرر دا أنا_

قطع لؤي حديثه بسؤالٍ صارمٍ ونظراتٍ مُقتضبة حافظ معها على هدوءه، فليس سهلاً عليه أن يبقى في حالة الهدوء هذه وهو يعلم أن أمامه مجرمًا يجب أن يبقى بالزنزانة، لكن طبيعة عمله تفرض عليه معرفة الحقيقة كاملة قبل اتخاذ أي من القرارات.

-والمعلم إدريس ده عايز منك إيه ؟

تركه مُعترٍ بغلٍ دفينٍ ليلتفت ميجو نحو لؤي ويحاول الإجابة بترددٍ يزداد أكثر كلما تطرق للحقيقة:

-أصل أنا يعني ... تقريبًا كدة قلشته، بس الصراحة يعني هو يستاهل، بيبيع الكيلو بميتين ألف ابن المُفترية ... عشان كدة كان لازم أوقفه عند حده وآخد منه السوق...

ترقبته الأنظار بعناية مما جعله يتحشرج ويواصل الحديث بثقة بدأ يكتسبها رويدًا:

-المعلم عتريس إداني البضاعة عشان أدورها زي كل مرة، وكان متفق مع المعلم إدريس إني أديله البضاعة وآخد منه الفلوس.... بس إلي حصل بقي إني أخذت الفلوس ... وأخذت البضاعة وروحت بلغت عن المعلم عتريس وعن المعلم إدريس عشان محدش يقطرنى " يتبعني "

ازدادت حيرة يُسرى التي تدخلت لترضي فضولها الجامح:

-أومل إزاي إدريس ده برة السجن ؟

وجه ميجو نظرة عابرة نحوها ثم أعاد النظر لجميعهم كي يواصل الحديث:

-ما هو هرب من السجن ... وحالف لينتقم ويرجع البضاعة

تدخل لؤي هنا بنبرته الصارمة الجادة:

-البضاعة فين ؟

ازدرد ريقه في هلع ولم يكن يعلم كيف يُجيب، كيف يُخبرهم أنه باع تلك البضاعة واقتاض الأموال بطريقة ليست شرعية، بالطبع سيتم إلقاء القبض عليه فوراً، لهذا السبب قرر أن يظهر بصورة المناضل الشهم بإجابته المزيفة:

-البضاعة سلمتها منا خلاص قررت أتوب وأبطل الشغلانة ... بس شكل المعلم إدريس مش هيسكت إلا والبضاعة في مخزنه

ترك قطعة الثلج على الطاولة ليسترخي بظهره للوراء ويواصل الحديث بقوله:

-المشكلة بقي .. إنه معاه تسجيلات ليا وأنا بتفق مع البارون على البضاعة الجديدة ... وشكله المرادي هيسلم التسجيلات لو البضاعة مرجعتلوش

ادعى الترجي وهو يواصل الحديث حتى ينل استعطافهم:

-أنا والله عايز أتوب ومش عايز أدخل السجن ... وربنا هعمل إللي إنتو عايزينه لو خلصتوني من إدريس

تبادلت نظراتهم في تيهٍ والجميع يُحاول أخذ القرار فيما يتعلق به، لا يعلموا إن كانت كلماته صادقة أم لا، لكنهم متيقنون أن هناك مجرمٌ عليهم تسليمه للعدالة مهما تطلب الأمر.

أحست قمر ببعض الشفقة اتجاهه فأخذت تتابعه يلتقط كوب المياه ليرتشف منه بعض الرشقات حتى تهدأ النيران بحلقه، فتلك الأحاديث لم تكن سهلة على لسانه أبداً وكأنه يلقي بمستقبله وحياته من الهاوية، تدخلت قمر باندفاعٍ وثقة تضامناً مع موقفه:

-متخافش ... إحنا هنساعدك ... ده حتى لؤي ظابط وهيجبك اللي اسمه إدريس ده في أقل من ساعة

قالتها بفخرٍ وثقة جعلت فرائسه ترتعد والمياه تنبثق من جوفه، أخذ ميجو يسعل بحدة ما ان استمع لتلك الكلمات، هل أفشى حقيقته للتو أمام ضابطٍ!!

-ضابط... !!

وضع كوب المياه على الطاولة وبقي يسب حظه وتسرعه، أما لؤي فكان يُوجه نظراتٍ نارية نحو قمر التي أفشت سرّه بتلك الطريقة المُتسرعة على الرغم من عدم رغبته بإخبار ميجو بأنه ضابطاً، كان يُعاتبها بحديثٍ هامسٍ ونظراتٍ نارية جعلتها تعنذر بصوتٍ منخفض:

-أنا أسفة والله مكنش قصدي

واصل لؤي معاتبته بصوتٍ خافتٍ حتى لا يتسبب بإجراجها، بينما كان مُعتز يُربت على ظهر ميجو ويُطمئنه للمرة التي لا يعلم عددها:

-متقلقش، دا ضابط تبعنا مش هيعملك حاجة ... بعدين أنا مش هسيبه يسجن أخوية، خصوصاً إنك قولت إنك هتُوب

أوما ميجو رأسه مؤيداً رغم لمحات الكذب على وجهه:

-أه أه ... أنا هتوب فعلاً، وهدأ حياة جديدة

بعد فترة من الصمت تقدم لؤي بجذعه ليردف بصرامة وتحدي:

-إحنا كدة المفروض نروح المقر بتاع إدريس ونسرق التسجيلات

ازدادت حيرة إسلام من ذلك الموقف الذي يُعاد على مسامعه للمرة الأخرى، فلا أحد يُباشر بخطط السرقة سوى لؤي والذي من المُفترض أنه ضابطاً، هذا ما دفع إسلام ليردف مُستنكراً:

- هو التاريخ يبيعد نفسه ولا إيه ... يا لؤي إنت مش ملاحظ إنك الوحيد إلی بتقولنا
نسرق وإنت أساسًا ظابط!!

علّق خالد ليدافع عن لؤي بطريقته الحكيمة:
-ايها الأحمق ... السرقة من اللصوص لا تُعد سرقة ... وهذا الذي يُدعى إدريس
سرق الكلمات من ميجو، لذلك فهو لصٌ ايضًا

أيده ميجو بنبرة مُستعطفة:

-أيوه وربنا لص وابن ستين لص كمان

وثب لؤي من مقعده لينهي النقاش بقطع حمل ثقته:

-خلينا في المُهم ... إسبوعين كدة ولا حاجة وهفكرلكم في خطة نخلص بيها من
اللي اسمه إدريس ... ولحد ما يبجي الوقت المناسب، ميجو هيفضل في العمارة
تحت عنينا عشان لو حصلت حاجة

أشار بإصبعه نحو ميجو ليحذره:

-لو إدريس كلمك قوله إنك موافق وخليه يديك مُهله

هرع من المنزل تحت نظراتهم المتسائلة ورغبتهم المُلحة لمعرفة ما ينتوي على فعله،
فتلك النظرات تُشير إلى أن القادم ليس هينًا أبدًا، ليس على ميجو فقط، بل عليهم
جميعًا....

مرّت ثلاثة أسابيع لم تتغير بهم الأوضاع، يبقى الحال كما كان ما بين تشتتٍ ورهبة
ولامبالاة، فلا أحداث تُذكر ولا عواقب تُعركل حياتهم وتزيدها صعوبة، فهم يعلمون
جيدًا أن العواقب تتضخم مع الأيام وتبدأ بالقاء شذراتها عليهم وتبيد دواخلهم، تجعلهم
كالصخور الصلبة حتى يستطيعوا مواجهتها والتغلب عليها.

تقف داليا داخل المتجر قبالة جابر الذي تُساعده على تعلم بعض الكلمات، فهي تساعده على التعلّم كما يفعل إسلام هو الآخر لكنه الآن بالمشفى يُباشِر أعماله، كان أمامها كراسة وقلماً تخط به بعض الكلمات بخطٍ عريضٍ مفهوم حتى يستطيع جابر تقليدها وكأنه لا يزال طفلاً صغيراً، فلا أحد اهتم بتعليمه ولم يترد المدرسة بحياته، حتى أنه لا يستطيع القراءة والكتابة لكنه الآن يستطيع القراءة ببطءٍ وبعض الصعوبة التي ستمحي مع الأيام، كما أنه بدأ دروساً دينية حتى يستطيع قراءة القرآن بطلاقة مما سيجعله أيضاً يقرأ المزيد من الكلمات بسهولة ويُسر.

قطع وصلة انغماسهما صوت باب المتجر وهو ينفتح وتتوغل منه كوكي ومعها ابنتها الغافية داخل العربة التي تجرها كوكي وجوارها ساندي التي أصرت بالمجيء معها ومساعدتها على صعود المنزل، فهي ستعود إلى بيتها أخيراً بعد تلك المُدة التي بقتها بمنزل والدها حتى تتعافى تماماً.

رسمت داليا بسمّة واسعة وهي تلتفتها بين أضلعها وتُرحب بها هي وساندي، جذبت داليا يد كوكي وأشارت لساندي حتى تأتي هي الأخرى وتُخبرهما آخر التطورات.

ابتسمت ساندي ما إن لاحظت جابر يقف أمامها ببسمّة هادئة خجولة وهو يُرحب بكليهما خاصة ساندي التي لاقتة بعفويتها المعتادة:

-هاي ... أنا ساندي

أجابها ببسمّة هادئة ونبرة ودودة مُهذبة:

-أهلاً وسهلاً يا أنسة ساندي

حمم بعدها وقرر الابتعاد عن أنظارهن ومباشرة العمل وتلبية رغبات أحد الزبائن حتى يبقين على راحتهن، وجهت كوكي نظرة فضولية صوّب داليا كي تسألها:

- ? what s wrong dalia

خفضت داليا من صوتها حتى لا تُزعج الزبائن وهي تقول:

-إسكتي ... مش أخو مُعتز ده طلع بيتاجر في الحشيش

شهقت ساندي بصدمة لتردف بعدها بعدم تصديق:

-إزاي ؟ ... وإنتو عملتو إيه ؟

وجهت داليا نظراتها نحو ساندي كي تُخبرها بصوتٍ مُنخفض:

-ولا أي حاجة ... طلع بيحاول يتوب ولؤي قال إننا هنساعده عشان يخلص من
الناس إللي بيلاحقوه

ندبت بعدها حظهم بكلماتٍ متضايقة:

-أنا مش عارفة إحنا ليه حظنا كدة ... إلی ما في حد عدل بيطلعنا، لازم كلهم يا
مجرمين يا مُتخلفين

قهقهت كوكي بخفة وسُخرية من هذا القدر الذي يورطهم دائماً، سألت بعدها بفضول:

-طب هو بايت فين دلوقتي ؟

كانت تقصد ميجو بحديثها لرغبتها المُلحة بمعرفة أين يقطن وكيف سيُشكل خطراً
على حياتهم واستقرارهم، أجابتها داليا بصدقٍ حتى تطمئن:

-إسلام اداله الشقة الثانية إلی في رابع، يعني جنب شقة عمو هلال وطنط
نجمة....

صوت الدندنة يخرج من صوته مع أقدامه التي تطيء الشرفة لعله يتنعم بنسيم
الشمس والهواء النقي، فهو لم يخرج من المنزل منذ ما حدث مما يجعله يشعر بالملل

الشديد، فتلك القيود التي فرضها لؤي هي قيود ترغب في حمايته ليس إلا، لكن هذه القيود لم تستطع حمايته من شعور الملل الذي يزداد بداخله مع كل لحظة.

أخرج لفافة تبغ من جعبته وهو يقف أمام السور يستند عليه بمرفقيه ثم يضع اللفافة داخل فمه ويقوم بإشعالها باستخدام قداخته، سرق نفساً عميقاً من تلك اللفافة ليطلقه على هيئة أدخنة سامة تتراقص في الهواء وتنتشر سمومها ورائحتها الصعبة دون أن يكثرث لما حوله، فقط ينظر إلى السماء باستجمام تام حتى...

صوت السعال بدأ يضرب أذنيه يليه صوتٌ غاضب أتاه من النافذة المجاورة:

-إنت يا بني آدم ... ما تروح تشرب سجاير في حطة تانية-

خرج من استجمامه على هذا الصوت الذي جعله يُحدق بالنافذة المجاورة لنافذته، وجد نفس الفتاة تتمثل قبالة وبينهما مساحة صغيرة تفصل بين الشرفتين، كانت تحمل معها علبة من الزجاج تحتوي على الرمال مع نقاطٍ سوداءٍ تتحرك لا يعلم ماهيتها، لكنه يراها تحتضن هذا الصندوق الزجاجي وكأنه يُمثل أهمية قسوة بالنسبة لها:

-أنا أشرب سجاير وقت ما أنا عايز ومكان ما أنا عايز-

هكذا رد عليها ببروده وإصرار على عدم تدخلها بما يفعله، حيث تبع حديثه بالتفاته مجدداً وأخذ نفساً آخرًا من لفافته كي يُطلقه على هيئة أدخنة دون الاكتراث لاعتراضها، زادت حدثها من رده المُثلج مما جعلها ترفع من نبرة صوتها وهي تقول:

-يعني إيه زي ما أنا عايز ... الدخان ده بيأذي جيش الصعايك بتاعي-

التفت لها مُجدداً بعوالم استفهامٍ تُرتسم على عينيه وكلماته:

-جيش إيه؟؟-

أشارت على الصندوق الزجاجي وهي تُجيبه بصدق:

-جيش الصعاليك

دقق النظر على ما يحويه هذا الصندوق مما جعله يهتف بعدم تصديق:

-نمل !! .. إنتِ مربية نمل!!

أحسنت ببعض السخرية في حديثه مما جعل غضبها يتفاقم، فهي تمقت من يسخر من حُبها للحشرات ومن يرى أن تلك الحشرات بلا فائدة، هذا ما جعلها تؤكد حديثه بثقة وعلمية:

-فيها إيه يعني ... على فكرة بقي، النمل مُفيد جداً، دا هو إللي بيعمل كل حاجة في الحياة، بيساعد على نضافة البيئة ويحلل المواد العضوية للكائنات الميتة ... دا حتى النمل هو إللي بينشر بذور النباتات جوة التربة عشان النبات يكبر، يعني أي حاجة مزروعة بيبقى النمل هو المسؤول عن زراعتها، زي التبغ إللي جوة السجارة دي

اعتدل في وقفته أمام حديثها الذي جعله ينظر للفاقة التبغ بتقزز، فهو لم يكن يعلم أن الحشرات التي يشمئز منها تُساعد على نمو النباتات التي يتناولها، أطفأ سيجارته وكان يحاول التهرب والعودة إلى الداخل لكنه لا يعلم لمَ قدماء تمنعانه عن الحراك وتصرُّ على بقاءه وسماعه لحديثها:

-ومش النمل بس هو إللي موجود في كل حته ... دا الحشرات كلها مسنولة عن البيئة إللي عايشين فيها، دول حتى عايشين على جسمنا ... زي العث الدويدي كدة ... عايشة عند رمش الانسان، وبيقولوا إنها شبه الحلزون من غير القوقعة، وبتتغذى على الزيوت والخلايا الجلدية والشعر إللي في الوش، وكمان بتتكاثر وبتبيض من غير ما نحس بيها، أصلها صُغيرة جداً ومش بتتشاف غير بالميكروسكوب

اقشعر بدنه مع تلك الكلمات التي تقولها ولا يعلم لمَ طريقتها تبدو علمية مُنهجة وكأنها درست تلك المعلومات جيداً، فهو لم يكن يعلم أن هناك حشرة تستعمل جسده كموطنٍ له دون أن يشعر.

إبتعد عن السور حتى ينهي هذا النقاش مُستئنذًا:

-عن إبنك-

ابتسمت ابتسامة مُنتصرة ما إن وجدته يدخل منزله ولا يُزعجها بدخان السجائر، فهي
تعمدت إخباره تلك المعلومات حتى يشعر بالاشمئزاز ويرحل، فهي لا تُريده أن
يُضايقها هي وصعاليكها كما تدعوهم.

-معلش يا صعاليك ... هي الناس دي مش بتمشي غير بكدة....

تتابع شفثيه اللتان تتحركان وهو يشرح بعض الأمور الجادة، لم تكن تهتم لما يُتلى
على مسامعها من مواضيع تهيم وظيفتها الجديدة ومشروعها الذي تسعى جاهدة
لتحقيقه، فما يهمها هو شيء واحد فقط، هو.

حتى ولو كان آخر ما تفعله بتلك الحياة، حتى ولو أنه ليس من نصيبها، ستتحدى القدر
وتنال قلبه الثمين، فطوال تلك الأيام كانت تسعى بجُهدٍ حتى تتقرب منه لكنه يصدها
بكل الطرق ويتجنب حركاتها المُتعبجة ودلالها الزائد، حتى مُستحضرات التجميل
التي تُغرق وجهها لا تعنيه البتة.

تكاد تفيض من الكيل من كثرة المحاولة، تُجاهد بكل ما لديها حتى تُحافظ على
صلابتها وتعاود التقرب منه من جديد، فبالطبع ستستطيع سرقة قلبه حتى ولو كان
متزوجًا ويهيم بزوجته، فلا يوجد رجلٍ يقاوم جمالها وسحرها الآخذ، وطالما أنه من
الرجال، فبالطبع سيقع في يومٍ من الأيام.

-أنسة نرمين...

قالها مُعتز ليسرقها من شرودها وتأملها بوجهه دون أن تنتبه لحديثه الخاص
بالمشروع، وجهت بصرها على عينيه العسلية وهي تقول:

-أ.. أيوة يا مستر مُعتر

أبعد جذعه عن الطاولة والتقط حفنة من الأوراق ليمدهم نحوها متفوّهاً بعملية:

-في بنات قدمو على الوظيفة... عايزك تكلميمهم وتحديدي معاهم معاد الانترفيو

انتشلت منه الأوراق دون أن تنبس ببنت شفة، فقط إيماءة بسيطة من رأسها عادت بعدها لتُحدق بعينيه الساحرة ونظرته الجادة، كان ينتظرها مُعتر كي ترحل عن المكتب، لكنه يتفاجيء بوثوبها مكانها في حالة من الصمت.

-يلا اتفضلي

قالها وهو يُشير على الباب لتنتبه لحديثه وتتسأل بأمل:

-مش عايز مني حاجة تاني؟

نفي مُعتر برأسه وهو يُحاول إبعاد نظراته عنها خاصة جذعها العاري، فهو لم ينظر إليها منذ وطأت أقدامها المكتب على الرغم من عزمها على إغواءه بجسدها المتعرج والممشوق.

-لا مش عايز حاجة

باغتها بتلك الكلمات الجادة فوجدها تتحلّى بالصمت لفترة فكرت فيها بما ستتوي فعله، فقد عزمت على عدم الانتظار أكثر من هذا، إقتربت نحوها بخطواتٍ مُدللة وبسمة خبيثة تُرسم على ثغرها، حدقت بمقلتيه مباشرة مما أجبره على النظر لعينيها وشفتيها الحمراء القانية، تراجع للوراء حتى لا تقترب منه محاولاً إبعاد وسوسات الشيطان حتى لا يسوقه إلى أمورٍ لا تنتهي نهاية جيدة.

لا عبت خُصلات شعرها وهي لا تزال تقترب نحوها ببطء وهو واثب مكانه كأن أقدامه التصقت بالأرض.

-أنا عارفة إنك مش قادر تستحمل ... عشان كدة اختصرت عليك...

ازدرد ريقه بحرج وكاد العرق يتصبب على جبهته، فهو لم يتعرض لمثل هذا الموقف من قبل، ولا يعلم لم جسده يمنعه عن التدخل وإبعاد تلك الفتاة التي تحوّلت إلى شيطان في أقل من ثانية.

-أنا مجتش عشان الشغل ... جيت عشانك إنت

وضعت يدها على كتفه برقة مسدت معها على بزته ثم مررت يدها على ذقنه وهو لا يزال يتابع حركاتها المدللة ويشعر بأن جسده يفقد القدرة على السيطرة، فكأنها سحرته أو سمّته بسُمها وجعلته يطوف بعالمٍ آخرٍ بعد أن استشعر جمالها فجأة.

عاد إلى العالم مرة أخرى ليخفض رأسه لأسفل مُستغفراً ربه بقرارة نفسه ثم أبعدها بحدة قال معها بلكنة صارمة غاضبة:

-أنسة نرمين اتفضلي اطلعي برة والنمي حدودك...

دفعها بحدة وكأنها خرقة بالية، فقد كانت كلماته هادئة رغم الإهانة التي استشعرتها مع نظراته المُستحقرة، وجدته يترك المكتب يحاول استجماع هدوءه واستغفار ربه مجدداً، حيث كان على شفة جرفة من الانسياق لنيرانها ونسيان أنه متزوج من فتاة يُحبها ولا يستطيع التخلي عنها أبداً.

بقيت وحدها داخل المكتب تُرمجر بغضبٍ وتتابع تحركه ببسمة حانقة تحوّلت مرة واحدة إلى الخبيثة ما إن توجهت نظراتها نحو كاميرا المراقبة التي بالطبع التقطت ما حدث...

ظلام دامس حاوط أركان هذه الحُجرة لتتماشى مع تلك الاجتماعات المُظلمة التي يتم انعقادها يومياً، فيها هو طلال يترأس الطاولة وأمامه فيرناندو يسترخي بظهره بلامبالاة ويستمع إلى حديث جيفري المُتهكم والموجه نحو إيزاك:

-لا أعلم كيف خدعتك بلدتك وأخبرتكَ أنها دولة مُستقلة ؟ ... فالجميع يعلم الآن أنها دولة مسروقة

قهقهه إيزاك ذا الجنسية الاسرائيلية التي نشأت على أعقاب أرضٍ مسروقة، فكانت قهقهته خبيثة تحمل كمًا من الشرِّ الذي لا مثيل له.

-ومن قال لك أنهم خدعونا ؟ ... نحن نعلم أن دولتنا سارقة، لكننا نعلم أيضًا أن علينا إبادة العرب وغسل أدمغة أتباعنا

اعتدل بجلسته ليوصل الحديث بمُكرٍ ودهاء:

-لقد قُمنّا بتطمس الحقيقة عن شعبنا، أخبرناهم أن الكيان الصهيوني هو الذي تزعم الأرض أولاً، وأن العرب ما هم سوى حُثالة احتلوا أرضنا وسرقوا بيوتنا ... فهذه النكبة التي يتحدث عنها الجميع كانت يوم الاستقلال بالنسبة لنا

أضاف فيرناندو على حديثه بنفس لكنته الماكرة:

-ولم يكن صعبًا عليكم أيضًا التلاعب بمصادر المعلومات حتى لا يستطيع شعبكم معرفة حقيقتكم ... خاصة وأنكم تحظون على دعمٍ من الدُول الكُبرى والمتحكمة بجميع ما حولنا

تدخل طلال ليُضيف على حديثهم المزيد من الحقائق المُظلمة:

-كم هو سهلٌ أن تخلق وحشًا... فمجرد معلوماتٍ وحقائق خاطئة تجعل الفرد مستعدًا لقتل ما يزعم أنه عدوّه

علق ماثيو ذا الجنسية الفرنسية:

-ليس هذا فقط ... فقد سمعت أنك إذا أخبرت صهيونيًا بالحقيقة، فهو لن يُصدقها أبدًا، حتى ولو رأى بعينه الأدلة والبراهين

آجابه فيليب الألماني بثقة:

-هذا لأنه من الصعب أن تُخبر أحدًا أن عائلته وجميع من حوله من المجرمين، كأنك تُخبره بالضبط أن يترك المنزل حتى لا يضحى مثلهم ... ولا أحد يُريد أن يترك منزله حتى ولو كان منزلًا مسروقًا، لذلك يتمسكوا بتلك الحُجج الواهية حتى يثبتوا أمام الجميع أنهم الضحية

أضاف طلال على حديثه بالمزيد من المعلومات المُكتسبة:

-لكننا نستطيع ذلك إذا محوْنَا ذاكرته، إذا جعلناه يشعر بأنه وحيدٌ يُعاقب على قراراته الخاطئة ... يُمكننا أن نخلق الوحش من جذور الإنسان الجيد، لكننا لا نستطيع العكس، لأن الفساد لا يزول ولن يزول أبدًا

أردف إيزاك بفخرٍ وثقة مع بسمة ماهرة تبعت آخر كلماته:

-ولهذا السبب أخبركم أننا سننتصر بتلك المُعركة، وسنستطيع بناء هيكلنا الثالث ... فكما أن الفساد لا يزول ... الشر أيضًا لا يزول، وهو الذي سينتصر بالنهاية...

طغت ظُلمة الليل على أركان هذا المنزل الذي إجتمع الرجال داخله ليتناقشوا في تلك الخُطة التي انهمكوا بالتحضير لها لعدة أيام، فكان يقف لؤي بمُنْتصف الفناء ومعه صندوقٌ من الورق المقوى ليضعه على الأرض أمامهم لعل هذا الصندوق هو بداية خطتهم.

لطخت الحيرة وجوههم وهم يرمقون هذا الصندوق حتى بدأ لؤي الحديث مُفسرًا:

-الصندوق ده_

قطعه إسلام فورًا ليردف بثقته المُعتادة:

-أيوة أيوة عارف ... إحنا هنعمل زي حُصان طروادة وندخل جوة الصندوق ده
عشان نقفش العصاية ... أنا عارف الخطة دي كويس

أنهى الحديث بفخرٍ لِيُعلق جابر بتساؤلٍ:

-بس ده مش هيكفيننا

أحاطه إسلام بذراعه كي يُفسر له بثقة وكأنه صاحب الخُطة:

-ما هو مش كلنا هندخل جوة الصندوق ده، أكيد فيه صناديق تانية عشان كل واحد
يدخل جوة صندوق

تنهد لؤي بنفاد صبرٍ من تلك الحماسة التي جعلته يهتف بحدة:

-لأ ... محدش هيدخل جوة الصندوق...

أحنى جذعه كي يفتح هذا الصندوق ويظهر بداخله مجموعة هائلة من الأكياس
البلاستيكية التي تحتوي على معجون سميكَ بُني اللون، اتسعت حدقاتهم في ذهولٍ من
ذاك المنظر يُحاولون طرد هذه الأفكار التي بدأت تجتاح أذهانهم، فلا يُمكن أن يفعل
لؤي هذا وهو ضابطٌ.

اعتدل لؤي بوقفته لِيُفسر برزانة وحدة:

-الصندوق ده فيه _

قطعه مُعنز هذه المرة ليستنتج بثقة:

-عجوة مش كدة ؟ ... أنا شوفت الحوار ده قبل كدة في فيلم، أكيد هنخدعهم
ونديهم عجوة بدل الحشيش عشان نعرف نُقبض عليهم

أغلق لؤي عينيه وأطبق على شفثيه بحنقٍ من تلك الاستنتاجات البلهاء، بل وقطعهم
لحديثه الدائم وهو يمقت هذه الحركة، فتح عينيه مجدداً لينفجر بوجههم مرة واحدة:

-لأ ... محدش يقاطعني

زفر الهواء من فمه على هيئة نيرانٍ مُشتعلة تنبعث من فم التتتين، حاول التهدئة من
روعه أمام نظراتهم الحائرة والمُترقبة لحديثه القادم، أخذ لؤي نفساً عميقاً ثم أخرج
كي يبدأ الشرح:

-ده حشيش حقيقي ... أخذته مؤقتاً من وحدة مكافحة المخدرات ... و_

ولثالث مرة يقطعه مُعتر بشهقة مدوية خرجت من فمه وأعربت عن مدى صدمته بما
فعله لؤي:

**-حشيش !! ... بقى على آخر الزمن إنت يا لؤي تجيب حشيش فين أيام ما كُنت
ظابط بتقبض على المجرمين ... خلاص ... الضمير انعدم، بقيت بتخون الأمان كدة
عادي ... !!**

واصل حديثه بدرامية مُبالغ بها جعلت النيران تتدفق بعروق لؤي وتجعله يحني
جذعه ويخلع حذائه البني كي يهوي به على مُعتر بكل ما لديه من غضب.

-هو أنا يا حيوان مش قولت محدش يقاطعني

أخفى مُعتر رأسه بين يديه ليتفادى ضربات لؤي ونظراته المُشتعلة، وعده بعدها أنه
سيتوقف عن الحديث مما جعل لؤي يلقي حذائه على الأرض ويعاود التهدئة من
روعه للمرة التي لا يعلم عددها، فدائماً ما تحدث تلك الأمور قبل أن يدلي أحد
الخطط.

**-ميجو هيكلم إدريس وهيتفق معاه على مكان التسليم في الوقت ده إحنا هنكون
دخلنا المخزن من الشباك إلي ورا، ولأن المعلم إدريس مش هيكون موجود ...
فالحراسة هتكون أقل**

اتجه بأقدامه نحو الطاولة لينتشل إحدى الورقات ويرفعها أمامهم كما رفع القلم حتى يخط بعشوائية على تلك الورقة ويواصل ادلاء خطته:

-مُعْتز هيكون مع ميجو ... وهو إلي هيحاول يعطلهم ويخليهم ميسبوش المكان أنا وإسلام وجابر وخالد هنكون جوة المخزن بندور على التسجيل، وطبعاً أنا وإسلام هنحرس من برة ... وخالد وجابر هيدوروا جوة

أخفض الورقة لبيصق ما تبقى من الخطة ببعض التحذير:

-ولو حصلت أي حاجة متنسوش كلمة السر المعزة ... كحت

علق إسلام على حديث لؤي بسخرية:

-والله ما في أغبي من كلمة السر بتاعتنا دي

وجه لؤي نظراته النارية المتوعدة صوب إسلام ثم تحرك بضع خطوات داخل المنزل متفوهاً باستعداد:

-الخطة هتبدأ كمان ساعتين من دلوقتي ... فخليكم مستعدين...

مع عتمة الليل يظهر الوجه الآخر للبشر، فمن يخفي حقيقته يُظهرها بالليل، ومن يُمثل البراءة يتحوّل إلى وحشٍ كاسرٍ مُتخفياً بين الظلام، فهذه الظلمة لا تحاوط الإنسان فقط، بل تتغلغل بداخله وتجعل رهبته تتحوّل إلى الوحشية تدريجياً.

في صحراءٍ جرداءٍ يحفها الرمال وأصوات الضباع، يقف ميجو على أحد الجوانب ومعه حقيبة جلدية يقبض عليها بقوة لعله يُخفف القليل من توتره، فما سيُقبل عليه الآن ليس هيئاً أبداً، دائماً ما كان مُحتملاً كثيراً المتاعب، لكنه دائماً يعمل وحده، فلا أحد يشترك في مصائبه واحتياله على الآخرين، ولا يعلم لم يشعر بالحاجة إليهم الآن،

فربما اشتاق الأجواء الدافئة والأصدقاء الحقيقيون، أو ربما شعور الأخوة بدأ يجتاحه ويُرغمه على البقاء مع شقيقه الذي لم يكن يعرفه سوى من فترة قصيرة.

قطع وصلة شروده رياح عاتية تبعها سيارة سوداء فارهة تتوقف عند أحد الجوانب، فُتح باب السيارة ليتوغل منه مجموعة من الرجال ضخام البنية يتحركون صُوب قائدهم إدريس، فكان يتحرك بهيبة طاغية مع ذاك البشت الذي يُغطي به جسده ويجعله أكثر مهابة، توقفت أقدام إدريس أمام ميجو مباشرة بنظراته القاتلة التي كادت تُسقطه صريعاً، لكنه تماسك قدر الإمكان وهو يقول بثبات:

-البضاعة أهي يا معلم

تقدم نحوه أحد الرجال لينتشل منه الحقيبة ويفتحها أمام وجه ميجو مباشرة حتى لا يحدث مثلما حدث بالمرة السابقة، ما إن تأكد الرجل من وجود بضاعتهم حتى أغلق الحقيبة وأشار لقائده إشارة تُخبره أن كل شيءٍ على ما يُرام، أخذ إدريس الحقيبة وكاد يرحل لكنهم استمعوا إلى صوتٍ صلبهم مكانهم..

يجلس مُعتر داخل العربة من الناحية الأخرى يُتابع بعينه ما يحدث ويستعد لما سيفعله بالخطوة القادمة، فتح باب السيارة بهدوءٍ وبطءٍ وبدأ يتوغل من المقاعد الخلفية التي يختبئ داخلها حتى لا يلمحه أحد الرجال.

تحرك بهسيسٍ على الرمال بجذعٍ مُنحنٍ ونظراتٍ مُترقبة حتى لا يتم كشفه، كان يرتجف كما ترتجف الأشجار بين الأعاصير العاتية، لكن ارتجافه قد بدأ يتحوّل تدريجياً إلى ثقةٍ حالما أوصلته قدماه إلى السيارة الأخرى ليُخرج من جعبته سلاحاً أبيضاً ويبدأ بتمزيق الإطارات.

أفرغ الهواء من الإطار الأول ثم تحرك صُوب الإطار الآخر بمقدمة السيارة، نجح بمهمته وأفرغ الهواء من الإطار الآخر لكن يبدو أن حظه انتهى عند هذه النقطة، فسُرعان ما استمع إلى صوت الباب الذي يتم فتحه ونظرات السائق النارية التي يبدو أنها التقطه.....

حُجرة أنيقة ذات أثاثٍ كلاسيكي ومكتبة صغيرة تحف جهة اليمين، يتحرك خالد داخل هذه الحُجرة وجواره جابر حتى يبحث عن هذه التسجيلات كما اتفقوا مُسبقًا، فكان جابر يهمس بأذن خالد متسألًا:

-هي التسجيلات دي شكلها إيه؟

آجابه خالد بنفس تلك النبرة الهامسة:

-لا أعلم... لكننا سنبحث عن أية ذاكرة وميضية " فلاشة"

قطب جابر حاجبيه بسبب جهله بتلك الكلمة مما جعله يسأل:

-إيه الذاكرة اللمضة دي؟

كان حديث خالد ناهرًا لأنه يكره البلاهة، لكنه مع ذلك حافظ على صوته المُنخفض وهو يشرح:

-لقد قولت الذاكرة الوميضية... تلك التي يُخزن بداخلها التسجيلات والصور والمستندات وغيرها... ولا تعمل سوى بالحواسيب

لازالت عوالم الجهل تلوح على وجه جابر وهو يسأل:

-إيه الحواسيب دي كمان؟ ... هي دي مُفردها حاسب؟... زي حاسب لا توقع كدة؟

ضرب خالد على جبهته من شدة جهله مما جعله يهتف بنفاد صبر:

-مفردها حاسوب أيها الأخرق؟

عقد حاجبيه في حيرة تزداد أكثر وهو يسأل:

-يعني إيه أخرق بقى ؟

زفر الهواء من فمه كشعلات نارية جعلته يسبهم لأنهم تركوه مع هذا الأحمق، فهو عاشق للغة العربية لكن هذه الذي بجواره لا يفهم ولو كلمة واحدة من تلك اللغة وكأنها لغة أجنبية، بل هو حتى لا يعلم تلك اللغات الأجنبية، أراد إنهاء الحوار ومواصلة البحث لكن غضبه انعكس على كلماته وهو يهتف بصوتٍ مُنخفض:

-هلا توقفت عن الثرثرة وواصلت البحث ؟

أوما جابر رأسه ببلاهة ثم سأل:

-هي الثرثرة دي جاية من الصرصار

هنا وقد فاض الكيل به مما جعله يُزجر بغضبٍ وطريقة أفهمت جابر أنه على شِفة جرفة من الهتاف بوجهه، هذا ما جعله يتراجع عن سؤاله الأحمق ويواصل البحث برفقة خالد لبضع ساعات، بعثرا المكتبة الكبيرة وطفقا يبحثان بين الأوراق وداخل الخزانات والأدراج وفي كل مكان، فقد طالّت مُدة بحثهم لنصف ساعة وبدأ العرق يتصبب على جبهتهما.

توقف خالد عن البحث وهو يُمرر يده على جبهته ليُزيح تلك القطرات قبل أن تنزلق على عينيه، عدل من وضع نظراته وهو يردف بنفاد صبرٍ وخيبة أمل:

-لا يوجد شيء هنا ... يجب أن نبحث في مكانٍ آخر

اقترح جابر وهو يثب عن الأرض ويتحرك صوب الشرفة:

-أنا لمحت شباك أوضة فوق ... مش يمكن تكون أوضة مُهمة ؟

وثب خالد عن الأرض ليتحرك بجواره صوب الشرفة ويرفع رأسه لأعلى حتى تأكد من وجود تلك الحُجرة التي يتحدث عنها، لكنه أيضاً لا يعلم كيف سيصلان لها دون أن يتم كشفهما.

-لا أعتقد أن الخارج آمناً ... بالكاد أتينا هذه الحُجرة

ربت جابر على كتفه وهو يقول بثقة:

-ولا تقلق ... أنا هنط على السور وهحاول اتشعلق على الشُّباك... ومتخافش، أنا متعوّد

لم يتحرك خالد وبقي يُتابع صعوده على حافة السور وتحركه بانسيابية حتى أمسكت يده أحد المواسير، رفع جسده لأعلى برشاقة مكنته من النقاط حافة السور بالنافذة الأخرى ليرفع جسده لأعلى ويقفز داخل شُرفة الحُجرة الأخرى.

كانت خطواته متأنية وهو يتوغل الحُجرة ويتأكد أولاً أنها خالية، فما إن تأكد من ذلك حتى تحرك بأريحية وسُرعة مانعاً لنبضات قلبه أن تتسارع أكثر مما هي عليه، بحث بالمكتب الذي يتوسط الحُجرة يحاول أن يتذكر شكل الذاكرة الوميضية التي آراه خالد إياها أثناء شجارهما وبحثهما.

بعثر الأوراق في كل مكان حتى وجد أحد المفاتيح المُتدثرة، أحس أن هذا المُفتاح ذا أهمية لذلك بدأ يبحث عمّ يفتحه هذا المُفتاح، فقد أدخله داخل فوهة العديد من الأدراج دون أية فائدة، لكنه بعد بحثٍ دام طويلاً وجد خزانة حديدية تتدثر أسفل المكتب يبدو أنها خزانة قديمة، وضع المُفتاح داخل تلك الخزانة ليجد أنه المُفتاح المناسب.

انفتحت الخزانة لتغتابه عوالم الذهول والصدمة، فأمامه مبلغٌ طائل من الأموال الخضراء ربما تتعدى الخمسون ألف دولار؛ سقط فكه من هُوَل الصدمة وهو ينتشل حفنة من تلك الأموال ويُغمغم بقرارة نفسه وصوتٍ مسموع:

-فينك يا معلم شفيق؟... دا لو عَرَف إن معايا الفلوس دي كان زمانه مخليني زعيم الحراميين

كان شيطانه يُخبره أن يعود إلى السرقة ويضع تلك الأموال داخل جيبه، لكنه تراجع في آخر لحظة مُتذكراً تلك الحياة الجديدة التي بدأها والتي يحاول أن يجعلها خالية من الذنوب والمعاصي، خاصة بعد أن وجد أصدقاءً جُدد وعِلِم أن لديه قُدرة عجيبة، أعاد

النقود داخل الخزانة وعاود البحث حتى وجد قطعة معدنية صغيرة لا تكاد تظهر، جذب هذه القطعة وبدأ يتفحصها حتى تذكر أنها تلك الذاكرة الوميضية التي يبحثون عنها، أو بالمعنى الأدق، لا يوجد ذاكرة ووميضية غيرها فبالطبع هذه هي التي يُريدونها.

شق ثغره بسمة واسعة فخورة جعلته يهتف بفخرٍ وتعالٍ:

-الله عليا ... كنت متأكد إني هلاقوها هنا

وضع الذاكرة الوميضية داخل جعبته ووثب عن الأرض يستعد للعودة مجدداً إلى خالد حتى يهربوا من هذا المكان، لكن الرياح تأتي بما لا تشتهيهِ السفن.

انقبض قلبه إثر الباب الذي انفتح على مصراعيه فجأة، تصلَّب جسده وهو يرى أحد الرجال يثب أمامه مباشرة يرميه بنظراتٍ نارية قال معها بقسوة:

-إنت مين ؟

لم يستطع جابر الإجابة وكان لسانه انعقد فجأة، بل حتى جسده تصلَّب وقلبه كاد يهوي من شدة الخوف، فقد ظن لو هلة أن عجلة حظه تعتدل، لكن يبدو أن حظه سيظل سيئاً للأبد.

لاحظ الرجل التوتر الباد على وجهه مما جعل الشكوك تزداد بداخله، وضع يده داخل جعبته ليُخرج سلاحه ويُشهره أمام وجه جابر مُباشرة ونظرات الغضب تكاد تنبعث من عينيه وتحرق الأخضر واليابس.

احتقن وجه جابر وكادت الدموع تفر من عينيه وهو يرفع يده باستسلامٍ لقدره خاصة وهو يرى خطوات الرجل تقترب منه وكلماته المُهددة تنبعث من جوفه:

-إياك تتحرك وإلا هيكون آخر يوم في عُمرك

التصقت فوهة السلاح بجبهة جابر المتعركة وفمه الذي يُتمتم بالدعاء بقرارة نفسه، لا يعلم كيف يُناجي ربه وهو بهذا المكان الدنس ومحاولته للسرقة، لكنه سيُحاول، فهو لم يسرق من الأبرياء، هو فقط يُساعد لتحقيق العدالة، لكن يبدو أنه لن يستطيع حتى تحقيقها، فما هو الرجل يُخرج هاتفه ويُجري مكالمة قصيرة قال فيها بصوتٍ صارم:

-إجمع الرجالة يا ظافر ... أيوة في دخيل ... وشكلي هخلص عليه...

يستند إسلام بظهره على الحائط مُتتكرًا بزي أحد الرجال، فهذه هي الطريقة التي اتفقوا على دخول المخزن بها، كان يحمل معه سلاحًا أبيضًا للدفاع عن نفسه ويحمل لؤي سلاحه الناري الذي يضعه داخل جيبه، فإسلام لا يستطيع استخدام تلك الأسلحة ولا يعلم لؤي إن كان يستطيع استخدام الأسلحة البيضاء دون أن يتسبب بقتل أحدهم، لكن إسلام أفتعه بضرورة حمله للسلاح وأخذ يلح عليه كما لو أنه يلح على والدته حتى يذهب إلى المدرسة ومعه أحد الألعاب.

-هو كل ده بيدورو؟

سأل إسلام بنفاد صبرٍ فأجابه لؤي باستنتاجٍ واثق:

-الموضوع مش سهل ... بعدين إحنا هنا عشان نمنع أي حد عايز يدخل الأوضة

أردف إسلام بمللٍ نتيجة وثوبه لفترة طويلة:

-أيوة هفضل كدة لحد إمتي؟ أنا زهقت وعايز أضرب حد بالمطوة إلي معايا دي، ما هو مش معقول هنمشي كدة من غير أي ساسبنس

سخر لؤي من حديثه الواصل بقوله:

-قال يعني هتعرف تستخدم البتاعة إلي في إيدك؟ ... دا إنت لو شؤفتهم هتجري زي الفار إلي بيجري من القطة

خرجت قهقهة ساخرة من جوف إسلام ليسترخي بظهره للوراء وهو يرد على
سُخرية لؤي بتعالٍ وتبهنس:

-فار !! ... أنت شايفني إيه ؟ دا إللي قُدامك ده كان واخد الحزام الاسود في
التايكوندو والكونغو فو فاكرنى يعنى هخاف من شوية رجاله بيتاجرو في
الحشيش ؟ ... لااا ... دا أنا لو شوفت واحد فيهم هخليه يركع تحت رجلى ويقول
حقي برقبتي ... يا عم دا هُما واللي اسمه إدريس بتاعهم ده ميساؤش نكلة...

واصل إسلام حديثه بفخرٍ وتعالٍ واستحقاقٍ لهؤلاء الرجال، كان يُتابعه لؤي
باستخفافٍ حتى اتسعت حدقتيه فجأةً وبدأت شرارات اللهب تنطلق من عينيه، بينما
كان إسلام في عالمٍ آخرٍ يواصل حديثه المُتبهنس:

-يا بني دا العيّل منهم مش هياخد منى غلوة وهخلي وشه ميبانلوش معالم، وأنا
هخاف من العيال دي ولا إيه_

قطع حديثه بشهقة مدوية وقشعريرة سرت بجسده حالما استشعر فوهة السلاح
المصوّبة على رأسه من الخلف، فيبدو أن هذا الرجل استمع إلى حديثه بعد أن لاحظ
هذين الغريبيين يقفان أمام الحُجرة وأدرك من حديث إسلام أنهما ليسا منهم.

-دا مين دول إللي مش هياخدو منك غلوة ؟

قبض الرجل على رقبة إسلام الذي كانت الدموع تكاد تنسكب من عينيه وهو يهتف
بتؤسل وقد تحوّل إلى العصفور في تلك اللحظة بعدما كان يتحدث كالصقر الجارح:

-كُنت بهزر وربنا....

يقف خالد داخل الحُجرة عند أحد الأركان ينتظر مجيء جابر حتى يخرج من هنا،
كانت الأفكار تطوف حول رأسه وتُعذبه خاصة وأن جابر تأخر عن المُعتاد، لكنه
يُصبر نفسه بأن البحث ليس هيناً ومن الطبيعي أن يستغرق تلك المُدة، فكان فقط يدعو
بقرارة نفسه أن يجد جابر تلك الذاكرة الومضية ويتركوا هذا المكان الذي بدأ يبعث
انقباضة بداخل صدره.

هؤت ظنونه أرضاً حالماً اخترق أذنيه صؤت أشخاصٍ غريبة غليظة تتبعث من خلف الباب مباشرة تليها صوت طلقاتٍ نارية مع هتافٍ وصياح.

انتفض جسده وخفق قلبه ما ان وجد أحد هذه الطلقات تضرب الباب لينفتح وتبدأ الوحوش البشرية بالتؤغل إلي الداخل عازمة على القضاء على جميعهم حتى لا يخرجوا من هذا المكان أحياءً....

الفصل السابع (خائن !!)

طالما الجميع يراني مُجرماً، فساظل مُجرماً حتى أنال منهم...

يقف مُتصلباً أمام فوهة السلاح يُعاود التفكير في حياته الواهنة، حياته التي لم يستطع فيها أن يبدأ بداية جيدة خالية من الذنوب، لم يستطع حتى التأقلم مع رفاقه الجُدد وبناء بيتاً دافئاً، قطرات العرق تتصبب على عينيه مُخلفة وراءها رؤية مُشوشة تجعله ينتبه أكثر لضيق الموقف، فحتى إنه لا يستطيع الصُراخ كي لا يكشف أمرهم، ولا حتى يستطيع الهرب، ففي جميع الأحوال سيلقى حتفه قبل أن يُحقق جميع أحلامه.

كم أدرك أن الحياة قصيرة في تلك اللحظة، كم لعن نفسه لأنه يُفكر بالغد وما سيفعله دون أن ينتبه لحقيقة أن الحياة فانية ولا أحد يعرف أن الموت يطرق الأبواب فجأة دون استئذان.

أغلق عينيه باستسلامٍ مع صوت تعمير السلاح الذي زلزل كيانه، تتم الشهادة بقرارة نفسه وهو يبتلع ريقه ويكاد يبصق قلبه من شدة الخوف، لكن ما حدث أنه بدلاً من أن يبصق قلبه، بصق روحه!!

صوت ارتماء جسده على الأرض أوقد انقباضة داخل هذا الحارس الذي يقف قبالته، اتسعت حدقة جابر وهو يقف مشدوهاً أمام جسده المسجي ونظرات الرجل الحائرة، سقط فكه في ذهول لعدم معرفته بأن تلك القُدرة حقيقية، فهو يستطيع التنقل بروحه كما أخبروه سابقاً.

جثى الرجل على الأرض يتحسس نبضات جابر المتوقفة والتي أوهمته أنه أضحي جثة هامدة، ظن أن فؤاده توقف من شدة الرهبة لذلك لم يكن مُتعبجاً ووثب عن الأرض ليجري مكالمة هاتفية ملئتها الصرامة:

-تعالو شيلو الجثة دي من هنا ... لأ، مات لوحده...

ترك الحُجرة وهو لا يزال يتحدث بالهاتف والغضب يعتمره، فوجود لصٍ كهذا داخل إحدى الحُجرات يعني أن هناك المزيد من أمثاله، ما إن ترك الرجل الحُجرة حتى عاد

جابر بسرعة إلى جسده حتى يهرب من هنا قبل مجيء الرجل مُجددًا، قرر أن يُحذر
أصدقاءه بسرعة قبل أن يقبض عليهم أفراد هذه العصابة.

أحس بالاختناق بسبب هذا الذراع الغليظ الذي يُحيط بعُنقه ويُعيق تنفسه بأريحية،
تأهبت حواس لؤي وأخرج سلاحه فورًا ليوّجه مباشرة على رأس الرجل المُحيط
بإسلام، لكنه تفاجيء بمحاوطة بالرجال من جميع الجوانب، فيبدو أن أحدهم قد
أخبرهم أن هناك دُخلاء.

قبض الرجل أكثر على عُنق إسلام الذي كان يُحاول التملص من قبضته وعلى وجهه
علامات التؤسل والهلع، قُرب فوهة السلاح على جُمجمته حتى يخفض لؤي سلاحه
ويستسلم لهم.

أطبق لؤي على أسنانه وهو يخفض سلاحه ويرفع يديه في استسلامٍ أرغم عليه، لكن
داخله كان يسبب إسلام بأفزع السبابات لأنه لم يستخدم سكينه ويتخلص من هؤلاء
الْحَثَالَة، فقط يقف كالطير المُبتل بعدما كان يتحدث كالاسد المُفترس.

إقترب مجموعة من الرجال نحو لؤي ليُكبلوا حركته لكن لؤي لم يسمح لهم وحرك
مرفقه حركة سريعة جعلته يصطدم بأنف أحد الرجال ويجعل الدماء تنسل منه مع
صوت تأوهات، سادت حالة الهرج والمرج بعد تلك اللحظة مما سمح لإسلام
بالتملص من قبضته وركل الرجل في معدته ركلة جعلته يتأوه في صمت، هروا
إسلام سريعًا نحو لؤي لكن أحد الرجال أعاق حركته ورفع سلاحه على وجه إسلام
مرة أخرى.

انقض لؤي على ذلك الرجل ودفع ذراعه مما أوقع السلاح على الأرض، لكمه لؤي
لكمة قوية جعلت جسد الرجل يرتد إلى أحد الجوانب ليسمح للوي أن يركله في معدته
ركلة أخرى أوقعته على الأرض، بينما كان إسلام يُشارك بحركاتٍ عشوائيةٍ شاهدها
بأحد الأفلام، فصحيح أن شقيقته بارعة في الفنون القتالية، لكنه كان العكس تمامًا، فقد
كان يلعب كرة السلة في صِغره بعد أن رفض ممارسة الفنون القتالية مُتعللاً بأن قوّته
فطرية ولا يحتاج لتلك الرياضة، كم كان يلعب نفسه في تلك اللحظة بسبب هذا القرار

الأحمق، فلولا هذا القرار لما مارس عليهم بعض الحركات القتالية واستعرض قوته،
إنما الآن، هو يتعارك معهم كما تتعارك السيدات مع بعضها.

دوئي صوت أعيرة نارية أركان المكان ليصم آذانهم ويجعل لؤي يُخرج سلاحه مجددًا
ويلتفت وراءه حيث بقعة إطلاق النار، لكنه ما إن التفت وراءه حتى انتهز الرجال
تلك الفرصة وقام واحد منهم بضرب لؤي على رأسه بقوة جعلته يفقد الوعي ويتأوه
في ألم.

ناداه إسلام بقلقٍ وكاد يذهب ليطمئن عليه لكن الرجال كبلوا حركته وأرغموه على
الاستسلام حتى لا يسقط صريعًا، بعدها التقطوا لؤي عن الأرض، وقام أحدهم
بإطلاق النار على الباب حتى يفتح بعد أن حاولوا فتحه مرارًا بدون فائدة، فإسلام
ولؤي كانا حريصين على إغلاق الباب جيدًا حتى لا يستطيع أحدهم توغل
الحُجرة.....

انقبضت أوزاره مع صوت الباب الذي انفتح لينطلق منه هذه الوحوش البشرية، ابتلع
ريقه في هلع وكان يتلفت بعينيه عن منفذ الخروج، وجد قدميه تُهرولان نحو الشرفة
لعله يختبئ بها قبل أن يراه الرجال، فهو مُتيقنٌ أنهم يشعرون بوجوده.

لسوء حظه وجد جابر يقفز أمامه من الشرفة العلوية ويردف بصوتٍ مسموع
مُتحمس:

**-مش هتصدق إلهي حصل، أنا كنت خلاص هودع، بس فجأة لقيت روعي بتطلع
لغاية ما بقيت عفريت أنا مش مصدق بجد ... أنا بعرف أخلي روعي تطلع**

كاد يحاول خالد اخراسه لكن الأوان قد فات، فلهيب من النار اخترق أذنيه بسبب
صوت الزناد الذي يُشبه صوت البراكين، احتقن وجه جابر وارتجفت خواصه وهو
يرمق الرجال يصوبون السلاح على كليهما ويُجبرانها على الخضوع، التصق خالد
بجسد جابر ليردف بسخرية وصوتٍ هامسٍ يحمل الهلع:

-أظن أنك لن تحتاج لمعرفة كيف تنتزع روحك من جسدك ... فهي ستنتزع وحدها

قبض الرجل على ذراع خالد أولاً ليجذبه داخل الحُجرة ويجذب جابر وراءه، ركع خالد على الأرض ليجد إسلام يجلس جواره هو ولؤي الذي كان يضع يده على رأسه ويتألم بصوتٍ خافت، فقد بدأ يفيق من غفوته ويُدرك أن خطتهم فشلت مجدداً، فدائماً ما تفشل خُططهم أو تُنفذ بطريقة خاطئة.

-هو دا إيلي هخلص عليهم ومش هياخدو مني غلوة وعملتي فيها توم كروس !!
... دا إنت حتى مطلعتش المطوة من جيبيك

قالها لؤي باستهجانٍ وسُخرية من إسلام الذي أخذ يُتهته ويردف بارتباك:

-مم.. ما .. ما هو أنا ملحقتش، الموضوع جيه فجأة وأنا مُكنتش مستعد ... لو
كُنت مُستعد كان زماني خلصت عليهم

أشاح لؤي بوجهه نحو إسلام لعدم تصديقه وعدم رغبته أيضاً بالمجادلة مع هذا الطاووس، بينما كان جابر يقترب نحوهم ويسأل باستفسار:

-هما هيعملو فينا إيه ؟

أجابه خالد بصوتٍ خافت:

-أمامهم اختيارين ... أما يقتلوننا ... أو يُعذبوننا ثم يقتلوننا

زادت تلك الكلمات من هلع جابر وأصمته بقية الجلسة، فحتى تنقله من روحه لن يُجدي نفعاً، ففي جميع الأحوال سيلقى حتفه معهم أو ربما تظهر مُعجزة وتنقذهم من هذه التهلكة.

تقرض أظافرها بتوترٍ كلما تمر الدقائق والثواني، فهي الآن داخل السيارة مع قمر ويُسرى التي تتولى أمور القيادة، فهن يعلمن جيداً أن الخطة سيتم تنفيذها الآن، ولأن لؤي أمرهن بعدم التدخل قررن أن يبقيهن داخل السيارة على أن يتدخلن إذا تعقدت الأمور، كذلك أخبرهن لؤي أن يتصلن بالشرطة إذا مرّت ساعتين دون أن يأتوا من الداخل.

كانت تجلس قمر بجوار يُسرى تسألها عن القيادة وتُجيبها يُسرى وهي تُشير على بعض الأماكن والأزرار، تدخلت داليا بحديثهن لتردق بقلق:

-يا بنات ... أنا حاسة إنهم اتأخرو ... تقريباً فات أكثر من ساعتين

تقدمت داليا بجذعها ليتوسط المقعدين الأماميين، آجابتها قمر بطمأنينة وهي لا تزال تعبت بمحركات السيارة:

-التدوير بياخد وقت، بعدين لؤي لسة مبعتش الإشارة

لم تُخفف تلك الكلمات من قلق داليا مما جعلها تسأل مجدداً:

-منا خايفة يكونو مش عارفين يبعثو الإشارة

بدأ القلق يتسرّب داخل يُسرى فاقترححت عليها:

-طب ما تدخلني جوة إسلام وتشوفي إيه الموضوع

استحسننت داليا اقتراحها فتراجعت للوراء تزامناً مع كلماتها المُقررة:

-حلو ده...

أرخت ظهرها للوراء لتأخذ نفساً عميقاً وتُمعن التركيز في تلك الطاقة حتى...

انتفض جسدها انتفاضة بسيطة أعربت عن انتقال روحيهما، فكان إسلام يحتل جسد
داليا ويتألف حوله ليتأكد من خلاصه من تلك العصابة، فما إن تأكد حتى زفر الهواء
من فمه بأريحية لم تلاحظها يسرى أو قمر، انتبه بعدها إلى سؤال يسرى الذي يحمل
الفضول والقلق داخله:

-تأخرتو ليه؟... لسة بتدوروا على الفلاشة؟

لم ينبس إسلام ببنت شفة في البداية وبقي صامتاً يفكر في الإجابة المناسبة، فلا يمكن
أن يُخبرهم أن الخطة على وشك الفشل وأنهم الآن بين قبضة العدو الذي بالطبع
سيُفتك بهم، يكاد يكون متيقناً أنهم سيتخلصون من تلك العصابة دون تدخل النساء،
لهذا السبب قرر حجب الحقيقة حتى لا تسخر منه يسرى وقمر وينعتونهم بالفشل كما
يعتقد.

-أ..أه لقينا الفلاشة

سألت قمر باهتمام:

-طب مجيتوش ليه؟

تردد إسلام قليلاً قبل أن يُزيف الحقيقة بثقة طاغية:

-ما إحنااا... لسة لاقيين الفلاشة وكنا خلاص هنهرب

سألت يسرى مجدداً لترضي فضولها وتجمع قلقها:

-يعني إنتو كويسين... حد عملكم حاجة؟

أرعى إسلام ظهره للوراء وهو يُجيب بتعالٍ وثقة:

**-أه طبعا إحنا كويسيين... إنت فكرانا إيه، دا إحنا ضربناهم وقطعناهم، دول حتى
بقو خايفين مننا وساعدونا نهرب كمان**

على الجهة الأخرى كانت داليا داخل جسد إسلام وأمامها العديد من أفواه الأسلحة المصوّبة على رؤوسهم وتشعر بيديها مكبلتين وركبتيها متورمتين من كثرة المكوث على تلك الأرضية الصلبة، أحست بلؤي الذي يحاول إحلال العُقدة لكن الرجل المُلثم يمنعه ويدفعه بقوة ليرتمي على ظهره ثم يُشدد من تكبيلته أكثر، استشرعت أيضاً صوت الرجل الغليظ وهو يتصل بزعيمة ويُخبره عن أولئك الدُخلاء الذين سيلقون حتفهم عما قريب.

انتفض جسدها حالما عادت بروحها داخل السيارة لتجد كلاً من قمر ويُسرى يجلسان بلامبالاة وراحة لا تعرف أين مصدرها، كانت علامات الذعر تلوح على وجهها مما رأتها والذي جعل قلبها يدق بسرعة خوفاً مما سيحدث لهم بالداخل، لاحظت قمر عودتها إلى جسدها فأردفت بعتاب:

-محصلهمش حاجة أهو يا ستي ... إسلام قالنا إن كل حاجة تمام

تحركت داليا من مقعدها صوب الباب وهي تقول باندفاعٍ وتقريرٍ حمل ذعرها:

-إسلام بيكذب عليكم انزلو بسرعة عشان هُما في خطر

لم تفتح قمر الباب لتسأل بتردد وقد بدأ الذعر والخوف يتسرّبان إليها:

-إيه !! ... ط...طب إحنا هنعمل إيه ؟ ... ه..هنساعدهم إزاي ؟

توقفت يد داليا عن الجراك لتقول:

**-إحنا ستات ... محدش هيشك فينا، بعدين إحنا هنبلغ البوليس قبل ما ندخل
نساعدهم**

أنهت حديثها تزامناً مع فتحها للباب وولوجها من السيارة لتتبعها يُسرى ثم قمر وداخلهن صواريخاً تضرب صدورهن من شدة الرهبة والخوف.

خطواتهن الهادئة تتحرك على الأعشاب الصفراء حتى توقفن مباشرة عند بوابة
البنائية، فهي بنائية عريضة ليست مكتملة البناء تتكوّن من عدة طوابق يفصل بينها
درجاتٍ مُتعرّجة صعبة الصعود والانسلال، تقدمت داليا أولاً من أحد الحُرّاس
بخطواتٍ هادئة وقلبٍ مُرتعد لكنها مع ذلك حافظت على صلابتها وهي تقف أمام
فؤة سلاح الرجل الذي تأهبت حواسه وأردف بهمجية:

-إنتو مين؟

تقدمت قمر لتتنب بجوار داليا التي حاولت الحديث بصوتٍ هاديء:

-إحنا كُنا..

لم تكمل حديثها بسبب نظرات قمر التي صُوبت على أحد الرجال فجعلته يزيغ بعينيه
ثم يسقط على الأرض غارقاً في سُباتٍ عميق، وفي نفس تلك اللحظة استمعن إلى
ضربة يُسرى التي أتت من خلف الرجل الآخر بعد أن استخدمت أحد العصي الملقية
على الأرض لتهوي بها على رأس الرجل الثاني مما جعله يسقط مغشياً عليه.

أشارت داليا بعينيهما نحو المُلثمان ففهمت يُسرى وقمر إشارتها وقررا تنفيذ ما تبقى
من الخطة التي اتفقا عليها في طريقهن إلى هنا.

حاول لؤي الاستناد على جابر حتى يعتدل في جلسته ويضع يده في الخفاء داخل
جعبة إسلام حتى يسرق السلاح الأبيض المُتدثر داخل سرواله والذي لم يُلاحظه
المُلثمون، أمسك السلاح الأبيض بكلتا يديه وبدأ يُمرر النصل على الجبال محاولاً
الحفاظ على هدوءه قدر الإمكان حتى لا يُلاحظ الرجال ما ينتوي فعله.

في نفس تلك اللحظة دخل مُلثمان بينهما تقف داليا تُمثل أنها مُكبلة بين أيديهما وعوالم
الذعر على وجهها، فهذان المُلثمان لم يكونا سوى قمر ويُسرى، فكانت قمر تهتف
بخشونة أجادت تمثيلها:

-اترزي قُدامي

قالتها بحدة وهي تدفع داليا حتى وقعت على الأرض بقوة وداخلها تتوعد لقمر التي بالغت في التمثيل، التفت بقية المُلثمين نحو يُسرى التي أخبرتهم بصوتٍ غليظٍ أنهما وجدا داليا تحاول اختراق المخزن، أما عن داليا، فكانت تركع على الأرض بجوار إسلام وتُخرج سكينًا يتدثر داخل سروالها وكانت قد أخذته من حوزة أحد المُلثمان اللذان نالا منهما.

مررت السكين على الحبال التي تُكبل إسلام وهي تهمس بنبرة مُعاتبة:

- هو ده إيلي كل حاجة تمام؟

لاحظت السُخرية على كلماتها مما دفع إسلام ليقول بتعالٍ:

-إحنا لسة بنسخن على فكرة... لو كنتو استنيتو شوية كنا خلصنا عليهم

عأقت داليا على حديثه بسُخرية:

-قصدك هما إيلي هيخلصو عليكم

قطع حديثهما صوت قمر الغليظ مع قدمها التي ركلت داليا حتى نُقلد أفراد هذه العصابة، فقد كانت تصيح بخشونة و غضبٍ زائفٍ:

-مش عايز اسمع صوت

تأوهت داليا إثر ركلتها لتتوجه بعدها نظراتٍ نارية صُوب قمر تُخبرها أنها ستُحاسبها على تلك الركلة، كان لؤي بالجهة الأخرى يبدو عليه الغضب وهو يقول بصوتٍ هامس:

-إيه إيلي جابكم؟

كان قد لاحظ وجود قمر بين المُلثمين لأنه يعرفها جيدًا ويعرف تلك الطريقة التي تتحدث بها، كما أنه استنتج أن الأخرى هي يُسرى وأنهن خالفا تعليماته وتركيا

السيارة، فهو من الأساس لم يُخبرهن بالمجيء إلى مكانٍ كهذا لولا الحاحاتهن التي لم تتوقف، أجابته داليا بنفس تلك اللكنة الهامسة بعد أن أَلقت السكين بأقرب من خالد الذي التقطه وبدأ يُقطع تلك الجبال في الخفاء.

-دخلت جوة إسلام وعرفت إنكم في خطر، فكان لازم نتدخل-

على جهة أخرى كانت تقف يسرى أمام خالد مباشرة تكبح نظراتها الخائفة قدر الإمكان وهي تتابعه مكبلاً مسجياً على الأرض، لاحظت أنه يُحاول فك قيده لذلك بقيت أمامه تراقبه بنظراتٍ عاشقة ورغبة بمنع المُلمثمين الآخرين من الإقتراب ومعرفة ما يفعله خالد.

لم تستطع التحمل أكثر فهوَّت بأقدامها على الأرض لتثب أمامه مباشرة وتلجمه بنظراتها الآسرة التي عرفها مباشرة ولم يستطع منع لسانه الذي أُردف بتفاجؤ:

-هل... هل هذه أنا-

قطعت يسرى حديثه وهي تضع إصبعها على فمها كي تمنع حديثه وتردف هي بصوتٍ خافتٍ عاشق:

-أتيت لإنقاذك يا حارس قلعتي

مدَّت يدها خلف خُصره لتنتشل السكين في الخفاء وتسحبها سريعاً داخل جعبتها، لكن لسوء حظها لاحظها أحد المُلمثمين ورفع سلاحه حتى كاد يُطلق أحد الطلقات على رأس يسرى، لكنها سبقت حركته وركلت يده بمرفقها مما جعل السلاح يسقط على الأرض، وقبل أن يصيح الرجل وينقض عليها، كانت هي تثب بسرعة عن الأرض وتركله في معدته بقدمها حتى وثب لؤي هو الآخر وانقض على الرجل من الخلف ليجذبه من ياقة ملابسه ويلقيه على طاولة خشبية جعلته يرتطم بقوة على رأسه ويُغشى عليه، كاد يُساعده الرجل الآخر لكن قمر منعت حركته وسلطت نظراتها الثاقبة على عينيه مما جعله يرتطم بالأرض فاقدًا للوعي.

نجح الجزء الأول من خطتهن ووثب جميعهم عن الأرض بعد أن انتشل لؤي الأسلحة من الملتئمين ومدّ واحد منهم لخالد باعتباره الوحيد الذي يستطيع حمل الأسلحة وعدم استخدامها بحماقة، أحنت قمر جذعها لتمد يدها نحو داليا وتساعدتها على الوثوب متفوهة بذعر:

-يلا بسرعة نمشي من هنا

بينما كانت داليا تُحدجها بنظراتٍ نارية متوعدة:

-بتضربيني يا قمر !! ... هو ده إللي اتفقنا عليه ؟

بررت قمر لنفسها بثقة:

-أعملك إيه يعني ... منا لازم أعمل زيهم

ما كادت تتحرك خطوة أخرى حتى دوى صوت الطلقات النارية في كل مكانٍ تزامناً مع أصوات سيارات الشرطة التي بدأت بالاقترام كي تبدأ معركة أخرى.

احتذى لؤي خلف الباب من تلك الطلقات بينما أخفض البقية جذعهم وكانت قمر تهتف بذعر:

-هو إيه إللي جابهم دول ... مش المفروض الشرطة بتيجي في الآخر ؟

أطلقت صرخة مدوية من جوفها بسبب تلك الرصاصة الطائشة التي كانت قريبة من رأسها، صاحت داليا وهي تحني جذعها وتحمي رأسها من تلك الطلقات:

-هنعمل إيه دلوقتي ؟

أجابها إسلام بصوتٍ مُرتفعٍ حتى تسمعه بين تلك الطلقات:

-هنفضل مستخبين للغاية ما الشرطة تساعدنا

رفضت يُسرى اقتراحه بخوف:

-على ما الشرطة توصلنا هنكون جُثث

أمسك لؤي السلاح جيداً وهو يقول بصرامة:

-لازم نخرج من هنا ... إحنا خلاص معانا الفلاشة

قال هذه الجملة بعد أن أكد له جابر بأن الذاكرة الومضية بحوزته وأنه أعطاها للؤي حتى يحتفظ بها جيداً، أي أن مهمتهم قد تمت بنجاح وبقي فقط أن يهربوا من تلك النيران.

وثب لؤي عن الأرض ليقترب نحو الباب ويُشير عليهم باتباعه، فتح الباب بتروٍ وهو يُشير بسلاحه والبقية يسرون خلفه وكان خالد يقف بآخر المسيرة وأمامه إسلام ويُسرى، يتلفت لؤي يميناً ويساراً قبل أن يتقدم خطوة ويُشهر السلاح أمامه حتى يُدافع به عنهم، أخفض الجميع جذعهم ليتجنبوا تلك الطلقات العابرة التي جعلتهم يتراجعون ويحاولون العثور على مهربٍ أكثر أماناً.

يهرولون بين الممرات متجاهلين أصوات الطلقات النارية التي تصدح في الأجواء، كانوا على وشك الهرب لكن ما حدث فجر جميع التوقعات.

دوى صوت قنبلة داخل المخزن جعلت صرخاتهم تتعالى ورائحة الأدخنة تنبعث في كل مكان، تزايدت الطلقات النارية مع هذا الضباب الذي غمر الممر وجعل ذعرهم يزداد أكثر، هذا الضباب الذي جعلهم يفترقون ويهرولون في اتجاهاتٍ متعددة تجنباً للإصابة بتلك الطلقات النارية.

تشبثت يد يُسرى بخالد وهما ينسلان الدرج بسرعة كادت تتعركل معها يسرى أكثر من مرة، لكنها تماسكت قدر الإمكان حتى تعود إلى منزلها سالمة وتحتسي قهوتها وتقرأ إحدى الروايات في هدوءٍ ورخاء، لكن ما حدث ألجم حركاتهما، حيث صرخ خالد بتألم بعد أن أصابته إحدى الطلقات النارية.

ارتقى بجسده وراء السلم المتهاك لا يزال يتأوه بألمٍ ويسرى جواره تكاد تذرف
الدموع وهي لا تزال تتمسك بقبضته، أرخى خالد ظهره للوراء ليضع يده على كتفه
مؤضع الإصابة ويتحسس هذه الدماء الساخنة التي تنبعث من جسده متجاهلاً صوت
الطلقات النارية التي لا تزال تصدح في الأرجاء، حاولت يسرى جذبه وهي تقول
مُترجبة:

-يلا ... يلا يا خالد

بقي خالد مكانه على الأرض يحادثها بطريقة درامية تُشبه ما يحدث بالأساطير:

-لا أستطيع ... ارحلي من دوني ... هيا يا زهرتي، أخبري الجميع بقصة حُبنا

كادت الدموع تُذرف من عينيها وهي تترجاه بصوتٍ باكٍ ونفس طريفته في الحديث:

-أنا لن أتركك يا حارس قلعتي ... سأبقى هنا وأموت بجوارك

أنهت حديثها بدرامية تُشبه دراميته ليُضيف عليها بإصرار:

-لا تتركي أبنائنا يا زهرتي ... إبقى معهم من أجلي، وأخبريهم كم كان والدهم
عظيماً

بقيت تقبض على يده حتى قطع إسلام تلك المسرحية الهزلية بطريقة ساخرة مُحتدة
جذب معها ذراع خالد الآخر:

-إخلص يا عم روميو...

تأوه خالد وهو يثب عن الأرض عنوة ويهتف بتذمر:

-لم قطعت لحظتنا يا هذا؟

آجابه إسلام وهو لا يزال يجذبه خارج المخزن حيث البقية:

-لحظة إيه يا أبو لحظة ... دا إنت شوية وكُنت هتقولها أكون أو لا أكون....-

يتراجع للوراء بأنفاسٍ ضيقة وقلبٍ يكاد يترك موضعه، لم يكن من المُفترض أن يتم كشفه بتلك الطريقة، لم يكن من المُفترض أن يراه السائق ويصيح بصوتٍ مُرتفع لبقية زُملاءه مما دفع مُعنز للركض بأقصى سرعة حتى كاد يتعثر، فكان يصيح بصوتٍ مُرتفعٍ مُحذِر:

-بسرعة يا ميجو

التقط ميجو إشارته وهرول بسرعة البرق صُوب السيارة حالما استمع بقية الرجال إلى صياح السائق وولوجه من السيارة مصُوبًا فوهة السلاح على مُعنز حتى توقفت أقدامه أمام سيارتهم مُباشرة، استطاع ميجو أن يستقل السيارة لكنهما لم يستطيعا تحريكها بسبب هذا الجسد الرابض أمامهما.

أحنى ميجو جذعه خوفًا من السلاح كما فعل مُعنز هو الآخر، فكان ميجو يسأل بخوفٍ:

-هنتحرك إزاي ؟

أجابه مُعنز بصيحة مُرتعدة تزامنت مع صوت الطلقات التي بدأت تدوي مع اقتراب الرجال نحوهم ومطالبتهم بتكبير مُعنز ومعاقبته عمّ فعل، بدأ مُعنز باللطم على وجنته وسب ميجو بقرارة نفسه لتسببه بكل هذه الضوائق، فلولا ظهوره فجأة لما كان الآن على فراشه يتنعم بفنجانٍ من القهوة مع زوجته وابنته الرضيعة والتي على الأحرى لن تُقابله مرة أخرى، هذا ما كان يجول بخاطره كلما إقترب الرجال نحوهما حتى أوْشك أحدهم على فتح باب السيارة بفوهة السلاح المصُوبة على رأس مُعنز من خلف الزُجاج.

توقف الزمن عند هذه اللحظة وبدأت النهاية وشيكة لولا مجيء سيارات الشرطة في الوقت المناسب وإلقاء القبض على تلك العصابة التي لم تستطع الهرب بسبب

إطارات السيارة الفارغة، ما إن تأكد ميجو من نجاته حتى هل بسعادة وعانق مُعترز
عناقًا أخويًا لأول مرة يشعر به، فلولا شقيقه لما تخلص من تلك المشكلة للأبد، حتى
أنه قرر أن يتوقف عن تلك التجارة الضالة التي لا يجني منها سوى المشاكل....

عادت الأمور لطبيعتها ولم تعد أجسادهم كما هي، فكانت الرهبة لا تزال تُلتخ
وجوههم مع بعض الكدمات التي تركت أثرها على بعضهم خاصة خالد الذي ربط
ذراعه بجبيرة بيضاء وهو يجلس معهم بالمنزل الخاص بمُعترز، فدائمًا ما يحتفلون
بعد هذه المعارك والخطط كما لو كانوا ضباطًا انتهوا من عملية عسكرية صعبة،
وهي بالفعل عملية صعبة، لكنها ليست عسكرية أبدًا، بل هي أشبه بالعمليات التي
يُجريها أفراد عصابة تتكون من الهواة والحمقى، فيما عدا لؤي الذي يكاد يفقد صوابه
بسبب كثرة المُشكلات التي يتسببون بها.

ارتمت كوكي على الأريكة بجوار مُعترز بوجهٍ يحمل معاني القلق، وضعت أناملها
الرقيقة على كتفه وأخذت تسأل:

-تأخرتو ليه ؟ " I was so worried about you ...كنت قلقة عليكم"

رماها بابتسامة هادئة حنونة وهو يُربط على أناملها بعشق كاد يجعل إسلام يتقياً وهو
يرمقهما من بعيد، خاصة عندما وجد مُعترز يرفع أصابع كوكي كي يُقبلها على يدها ثم
ينظر إلى عينيها بنظراتٍ ساحرة جذبتها إلى أعماق قلبه.

-إنت عارف إن أنا مش بحب إنك تبعد عني

قالتها بضيقٍ وأعينٍ تكاد تُذرف الدموع مما جعله يباغتها بعشقٍ جارف:

-وأنا عُمري ما بعدت عنك ... عشان إنت محفورة في قلبي

أشار على صدره مع آخر كلماته مما جعل إسلام يلتقط الوسادة فورًا كمحاولة لإيقاف
هذا العشق المبالغ به قبل أن يتقياً.

-وربنا لو ما بطلت مُحن لآكون رملك إنت ومراك من البلكونة هي ناقصة
فقعة مرارة

تأوه معنز إثر الاصطدام الذي سرقه من عُمره عشقة وجعله يهتف بتذمر:

-في إيه يا إس ما تسبني اتغزل بمراتي شوية... .

وها قد بدأ الشجار بينهما مما جعل قهقهات كوكي تتعالى وهي تُحاول كبتهم كما فعل
البقية، أنت قمر من الداخل في تلك اللحظة لتراهما يتعاركان ككل مرة لكنها تجاهلت
صبيانيتها وجلست بجوار كوكي كي تُخبرها:

-بقولك يا كوكي ... بسملة عمالة تعيط وأنا مش عارفة أعملها إيه

ما إن أدلت تلك الجملة حتى لطح الذعر جنبات وجه كوكي وجعلها تلتفت نحو قمر
وتثب على الأريكة متفوهة:

-بوسي " I forgot to change her diapers ... !! نسيت أن أبدل
حفاضاتها"

في جهة أخرى داخل حُجرة الطعام التي يصل طولها إلى بضعة أمتارٍ قليلة لكنها مع
ذلك تحتفظ بتراتها العصري ونظافتها الدائمة، كانت تقف داليا أمام الموقد ترفع
جذعها لأعلى حتى تلتقط بعض الصحون من أعلى الرف، فقد كان الفتيات يقفن في
المطبخ يتولن إحضار المُقبلات فيما عدا قمر التي قررت تركهن حتى تلهو مع
بسملة، كما أن كوكي استأذنت هي الأخرى حتى تطمئن على زوجها الذي لم يأتي
معهم، فجميع الرجال كانوا بالمشفى يطمنون على خالد ثم يُجرون القليل من
الإجراءات والتحقيقات حتى انتهت هذه القضية بعد أن دقت عقارب الساعة الثانية
بعد مُنتصف الليل، ومع ذلك قرروا الإحتفال دون أن يكثرثوا لهذا الوقت المتأخر.

-بقولك إيه يا دودو خالدوي عيد ميلاده قُرب وأنا عايزة أجبله رواية بكرة قبل
المناقشة

قطبت داليا حاجبها وهي تجذب أحد الصحون المُستديرة وتُفرغ بداخله بعض
المُكسرات ثم سألتها بحيرة:

-مناقشة إيه ؟

أجابتها يُسرى بسرعة ولهفة:

-المناقشة إيلي بنعملها كل أسبوع ... أصل إحنا كعيلة يعني، بنقرا كلنا رواية
واحدة، بنقرا أول فصل مع بعض، بعدها كل واحد فينا يتوقع نهاية الرواية ... وإيلي
التوقع بتاعه يطلع صح، هو إيلي بيكسب وبيختار الرواية إيلي بعدها... دا حتى
عُفران ونديم بقو يقرو معانا، ويمكن دي أول سنة يقرو فيها روايات

أنهت حديثها بحماس جعل داليا ترمقها ببعض الإعجاب المخفي، فهي تشعر أنها
تستمع لأحد أكبر إنجازاتها التي أعجبتها حقًا، فعلى الرغم من الجنون الذي يُحيط
بأفراد تلك العائلة إلى أن خالد ويُسرى يتشاركان اهتمامتهما سويًا كما لو كانا شخصًا
واحدًا، كم أعجبها ترابط هذه الأسرة وودت لو أضحت حياتها مع إسلام تسير على
نفس تلك الوتيرة رغم الاختلافات الوبيلة بينهما، فكلهما يُمثلان السيارة والشجرة، لا
يلتقيان سوى بالاصطدام.

-المشكلة إني مش فاضية خالص بكرة، لازم أكتب جزء كبير في روايتي عشان
المعرض قرب وأنا لازم أسلم الرواية كمان إسلام قالي إن في واحد بيبيع كُتب
فاتح جنب العيادة بتاعتك، عشان كدة عايزة أطلب منك تشتري لي الرواية إيلي
هقولك عليها وأنا هديلك تمنها

أيقظتها يُسرى من شرودها بتلك الكلمات الجادة مما جعل داليا تضع الصحون على
صينية معدنية مُستديرة وتوافق على اقتراحها بؤد حمل معه اللامبالاة:

-ماشى ... بكرة هبقى اشترها لك وأنا رايحة ... اسم الرواية إيه ؟

اتسعت بسمة يُسرى وهي تُجيبها بثقة:

-لا تُخبري ماما-

حادثتها داليا ببلاهة بعد أن فهمت حديثها بطريقة خاطئة:

-لا متقلقيش مش هقول لحماتي ... ها اسم الرواية إيه بقى ؟

تلاشت بسمة يُسرى ما ان استقبلت هذا الرد الأحق مما جعلها تهتف ببعض الاندفاع والتأكيد:

-يا بنتي الرواية اسمها لا تُخبري ماما-

فتحت داليا فاهها وهي توميء برأسها وتُصدر صوتاً من جوفها يدل على فهمها أخيراً لاسم هذا الكتاب، بقي الحديث يدور بينهما حتى انتهيا من إعداد المُقبلات وكانا على وشك ترك حجرة الطعام.

ابتعد ميغو عن النافذة بعد أن كان يُراقب تلك الفتاة التي تقطن بالشقة المجاورة له، لا ينكر أن شخصيتها الغريبة جذبته، لكنه لم يصل إلى مرحلة الإعجاب حتى، بل إنه يُشبهها بكتلة من الإزجاج تسير على الأرض، ومع ذلك لا يزال عقله يُفكر بها ويريد أن يفهم سبب مجيئها لتلك البناية التي أخبره مُعتز مُسبقاً أنها لعائلة إسلام وأصدقاءه فقط، وهذا يعني أن تلك الفتاة لها صلة بهم بطريقة أو بأخرى وهو يجب أن يعرف تلك الصلة.

-إلا قولي يا زوز ... هي مين البنت إالي ساكنة في الشقة إالي قُصادي ؟

سأل ميغو وهو يجلس بجوار مُعتز على الأريكة، كان يرمقه مُعتز في بادئ الأمر بخليطٍ من الحيرة والشك لكنه في النهاية أجابه بصدق:

-بنت !! ... إالي ساكنين في الرابع تقريباً حج هلال وبنته ومراته وابنه يبقى إنت أكيد قصدك على شمس أخت قمر

شمس ... تردد هذا الاسم داخل عقله حتى يُحفر جيداً داخل ذهنه، فهو اسم مكونٌ من ثلاثة أحرفٍ فقط ويُشير إلى كونها مُشرقة تملأ الحياة بأشعتها المتوهجة، لكنك إذا إقتربت نحوها، فسوف تحرقك أشعتها، وهذا ما يحدث معه كلما إقتربت نحوها واستمع إلى ثرثرتها العلمية التي تُصيبه بنفاد الصبر.

-إنت بتسأل عنها ليه ؟

باغته مُعترز بهذا السؤال ليفيق من غفلته ويُجيبه ببعض الارتباك:

-لا مفيش أصلي.... شوفتها وأنا طالع الشقة عشان كدة بسأل

حدجه مُعترز بشكٍ وعدم تصديقٍ لحديثه، فهو لا يعلم شقيقه جيداً، وكلما تقرب منه كلما زادت شكوكه حياله، فهو يعلم أنه يُدخن السجائر المُذهبة للعقول ووالدته راقصة وهو على الأحرى يعمل معها بهذا المكان الماجن، بل حتى إنه يُتاجر بتلك الممنوعات وللتو أنقذه من إحدى العصابات، ومع كل تلك الصفات السيئة لا يزال يتمسك به على أمل أن يُبدله للأفضل، وحالما يتبدل حاله، يجب أن يبتعد عنهم خاصة النساء، لهذا السبب باغته بلكنة تحذيرية حملت معها التهديد:

-إياك تقرب منها ... وإياك تقرب من أي ست هنا في العُمارة.... هو محدش قالك قبل كدة عن غض البصر

تدخل إسلام بنقاشهما كي يردف بسُخرية بعد أن نبتت قهقهة على ثغره:

-غض البصر !! ... إنت بتقول الكلام ده لابن الرقاصة

واصل إسلام قهقهته بسُخرية جعلت الدماء تتدفق بعروق ميجو مما جعله يتقدم بجذعه ويُدافع عن والدته كما لو أنه يُدافع عن حقوقها في مُنظمة حقوق الإنسان:

-مالها يعني الرقاصة على الأقل بتسقى وبتشتغل وكانت بتصرف عليا وانا عيل صُغير

أنهى حديثه بنظراتٍ مُقطبة أعربت عن استيائه من سخرية الجميع من والدته الراقصة، فحتى وإن كانت راقصة ستظل الأعم في نظره، على الأقل لم تُلقيه بدور الأيتام وتتخلى عنه كما تفعل العديد من الراقصات.

-أول مرة أشوف ابن راقصة بيطل لأمه

قالها إسلام بسخرية لتجحظ عينا ميجو بعد أن فهمه بطريقة خاطئة، فلا أحد يعلم أنه يعمل بهذا الملهى الليلي ويقوم بالتقريع خلف والدته الراقصة.

-إيه ده ده!!... إنت عرفت منين إني بطل لأمي في الكبارية؟

ما إن أدلى تلك الكلمات حتى انفجر الجميع في الضحك إلى أن أمسكوا معدتهم وقوَّسوا ظهورهم حتى أن وجوههم بدأت تأخذ اللون الأحمر.

-إنت بطلها بحق وحقيقي!!

قالها لؤي بدهشة فأضاف إسلام على حديثه بسخرية:

-الراقصة والطبال على الحقيقة

انفجر الجميع بالضحك بعد تلك الدعابة فيما عدا ميجو الذي يتابعهم بنظراتٍ مُشتعلة ورغبة عارمة بالفتك بهم، لكنه أخذ قراره وقرر الانسحاب من تلك الجلسة قبل أن يُفجر رأس أحدهم، فهو يكره أن يتلقى السخرية من وظيفته ووظيفة والدته التي يظنها وظيفة عادية لا تُخالف المبادئ والمعايير الأخلاقية، فهو ترعرع على أن الرقص هو مُجرد فنٍ يُمتع العين وأن الخمر ما هي سوى وسيلة للتسلية، فماذا تتوقع من شخصٍ نشأ في بيئة لا تخلو من المجون وانعدام الأخلاق؟

ترك الأريكة بنظراتٍ غاضبة مُقررة قال معها:

-لا.. إنتو ناويين تهزرو وأنا مليش خُلق للحوار ده

كاد يرحل لكن مُعترز جذبه من ذراعه وأعادته مجدداً إلى المُقعد محاولاً تهدئته بؤد:

-إقعد إقعد خلاص هنسكت

تكون الهواء داخل جوفه كثرمة من الطماطم خاصة مع وجهه الأحمر الغاضب، زفر كتلة الهواء الساخن من جوفه ليستسلم بعدها لتؤسلات معترز ويعاود الجلوس على الأريكة تزامناً مع هدوء قهقهاتهم وبقائهم في فترة من الصمت لو هلة.

-ما تدخل يا إسلام جوة داليا تشوف بيعملو إيه كل ده ... أصل مش معقول يعني كل ده بيحضرو شوية تسالي

رفض إسلام اقتراح لؤي بنبرة قاطعة مُبررة:

-لا يا عم ... أنا كل ما بدخل جسمها الاقيني في وضعية غريبة، أنا خايف أدخل جسمها الاقياها في الحمام

انتبه ميجو على حديثهما مما جعل الحيرة تغتابه بشدة، فكيف يستطيع إسلام أن يخترق جسد زوجته؟ وكيف يُمكن أن يضحى هذا ممكناً من الأساس؟ تقدم بجذعه وعوالم الاهتمام تلوح على وجهه وهو يسأل:

-هو إزاي يعني لا مواخدة هتدخل جسم مراتك عشان دماغي حدفت في حنة تانية

ظن أنه ترجم حوارهما بطريقة خاطئة لكن إسلام فاجئه بتأكيده على تلك الظنون التي يعتقد أنها خارج نطاق المنطق:

-لا إنت فهمت صح ... أنا وداليا جسمنا بيتبدل مع بعض_

قطع جابر حديثه وهو يرفع ذراعه ويهتف بثقة كما لو كان يُخبره أنه اخترع دواءً لعلاج السرطان:

-أيوة أيوة وأنا كمان ... أنا كمان بيدلو جسمي معاهم... وإحنا الثلاثة نقدر نتحولو
لعفاريت

إزدادت الحيرة داخل عقل ميجو مما جعله يشعر وكأنه سيفقد صوابه، فكانت أسئلته
تحمل التيه وهو يقول:

-د..ده إزاي يعني؟

أحاطه مُعترز بذراعه وهو يقص عليه باختصار:

-دي قصة طويلة أوي ... كل الموضوع إن_

قطع حديثه خطوات النساء التي أتت سويًا أخيرًا ومعهن صحون التسالي
والمُقرمشات حتى تبدأ سهرتهم الحقيقية، ابتعد مُعترز عن ميجو لينتشل الصحون
ويضعها على الطاولة ثم يفتح التلفاز على أحد الأفلام الكوميديّة التي سثُرب على
قلوبهم بعد هذا اليوم الشاق، فقد اتفق الجميع أن يأخذ إجازة من العمل حتى ينعموا
بالقليل من الراحة بعد هذه المشقة.

كانت البهجة تُحيط بجلستهم وتجعل قهقهاتهم تصدح في الأرجاء، لكن نظرات ميجو
الحائرة لا تزال على وجهه بعد هذه الكلمات، يرغب بمعرفة المزيد عن تلك القُدرات
العجيبة التي يمتلكها بعض أفراد هؤلاء الأصدقاء....

خطواتها الهادئة تطرق سفحات الأرض اللامعة بهدوءٍ وارتباكٍ وكأنها تسير على
قشر البيض، أشعة الشمس الساطعة تخترق عينيها البنية فتجعلها برّاقة تُشبه السباع
التي تشع عينيها في الليل، فالضوء الذي يسطع من أعين الحيوانات الكالشة يجعلها
أكثر مُكرًا ودهاءً، ولا أحد يعلم أن تلك المعلومة ترتبط بالبشر أيضًا.

تلفتت يمينًا ويسارًا قبل أن تدخل مكتبه الخاو، فهي تعلم أنه لم يأتي للعمل اليوم وعلى
الأحرى لن يأتي أبدًا، لذلك انتهزت الفرصة لتقتحم مكتبه وتنتقم منه على رفضها،

فمن هو حتى يرفض جمالها وأناقته، من هو حتى يُعاملها بلامبالاة وكأنها مجرد موظفة لا أهمية لها بالنسبة له، فهو السبب الحقيقي وراء مجيئها، وإن كان رافضاً لفكرة الارتباط والزواج منها، فعليها أن تقتحم حصون قلبه عنوة وتُدمر حياته حتى لا يجد أمامه سبباً لمقاومتها.

فتحت الحاسوب وبدأت تعبت بالأزرار بأعينٍ ثاقبة وقلبٍ مُضطرب، يتصعب العرق من جبينها خوفاً من أن يتم كشفها ويُفصح أمرها، فلا أحد يعلم سبب مجيئها هذا المكتب، لا أحد يعلم سبب عبثها بهذا الحاسوب وهي ليست مُتخصصة بما يخص الحواسيب.

توقفت أصابعها عند أحد المقاطع مما جعل ابتسامة خبيثة تشق ثغرها، بقيت تتأمل هذا المقطع بانتصارٍ كما لو كانت تشاهد نفسها تتسلم إحدى الجوائز، وفي أقل من دقيقة كانت تُخرج ذاكرتها الوميضية وتُدثرها داخل الحاسوب حتى تحتفظ بنسخة من ذلك المقطع الذي يحمل خطتها الشيطانية.

أنهت نقل المقطع لتتحرك بسرعة خارج الحُجرة تحاول المحافظة على ثباتها حتى لا يُلاحظ أحدهم ما كانت تفعله منذ قليل، أخرجت هاتفها لتعبت به بأناملٍ مُتعركة وجسدٍ يُمثل الارتباك مع كلماتها التي تبعت تلك المكالمات:

-أيوة يا مستر مُعتر في client عمال يتخانق وبيقول إن واحد من السواقين بتوعنا حاول يسرقه

انتفض مُعتر وهب من فراشه الذي كان يستلقي عليه غارقاً في سُباتٍ عميق، لاح على وجهه عوالم الذعر وهو يقول:

-ط ... طب قولي لمجدي يتصرف

مثلت الارتباك مجدداً وهي ترد عليه:

-مستر مجدي عنده إجتماع مع المُبرمجين اليابانيين عشان الأليكشن

أغلق عينيه لبرهة يمنع معها سبة كادت تخرج من جوفه وتلعن تلك الحياة التي لا تدعه وشأنه، لكنه فتح عينيه مجدداً ليُجيبها بتقريرٍ ضد رغباته:

-تمام ... شوية وهكون في الشركة

أغلق المكالمة بعد أن أدلى تلك الجملة ووثب بعدها عن الفراش كي يستعد، تملّمت كوكي في نومتها بعد أن لاحظت استيقاظه وشعرت أنه سيترك المنزل، لهذا السبب سألته بصوتٍ واهنٍ يكسوه النعاس:

-رايح فين ؟

أجابها بحنانٍ وهو ينتشل سُترته ويتجه إلى المرحاض:

-هروح الشركة هشوف في إيه وجاي ... خليكى إنتِ نايمة

وعلى الجهة الأخرى داخل الشركة كانت تبتمس هي في مُكرٍ بعد أن نفذت ما تبقى من خطتها ولم يبقى فقط سوى خطوة أخيرة حاسمة.

أغلب القرارات التي نتخذها، هي قراراتٌ طائشة لا نعلم نتيجتها...

تجلس قمر على مقعد القيادة بعد أن انتهزت فرصة عدم ذهابها للعمل وطلبت من لؤي أن يُعلمها القيادة، فهو قد قدم على إجازة قصيرة بعد ما حدث بالأمس، وربما سيقطع تلك الإجازة إذا تطلب الأمر، فخدمة المُجتمع أهم من الراحة والاستلقاء.

كان بالمقعد المجاور لها مقطباً حاجبيه بتركيزٍ وربما متضايقاً من أشعة الشمس التي تنعكس على عينيه البنية وتجعلها أكثر لمعاناً، أشار على المرأة الأمامية كي يُلقي تعليماته التي ألقاها للمرة المئة، فإذا كان يجلس بجوار حمارٍ، لما استطاع القيادة الآن، لكن زوجته أقسمت على جعله يفقد صوابه بغبائها وذاكرتها الأضعف من ذاكرة السمكة.

-المراية إلی قدام دي بنشوف فيها إيه ؟

سألها بصوتٍ يُشبه صوت المُعلمة التي تسأل الصغار بالروضة، وكانت هي كفتاة صغيرة وهي تُجيبه بلهفة وثقة لا يعلم من أين اكتسبتها:

-بنشوف فيها حواجبنا

ضرب جبهته حتى يمنع نفسه من ضربها على وجهها، خرج صوته منفعلًا وهو يسخر من حديثها وإجاباتها الحمقاء:

-حواجبنا دي تشوف فيها في تسريحة بيتنا...

أشار على المرأة مجددًا وهو يشرح باتكاءٍ على حروفه:

-المراية دي ... بنشوف بيها العربيات إلی ورانا

تخطت ذراعه وجهها وهو يُشير على المرأة الأخرى المجاورة لها من خارج السيارة، واصل شرحه مرة أخرى على أمل ألا تقطعه بإجاباتها الحمقاء:

-والمراية دي بقى_

نسي أن لا حياة لمن تُنادي، فها هي تقطعه مجددًا بإجابة واثقة وكأنها تقود السيارات منذ قديم الأزل:

-بنشوف بيها إلی قدامنا

سرق نفسًا عميقًا ثم أطلقه حتى لا ينفجر بوجهها كالقنابل، ومع ذلك كان حديثه يحمل نفاذ الصبر الذي امتزج بالغضب وربما يتحوّل أيضًا إلى الجنون:

-لأ ... المراية دي بنشوف بيها إلی ورانا بردو ... بس من ناحية الشمال، والتانية بنشوف إلی ورانا من ناحية اليمين

اعتدل في جلسته أمام نظراتها المُترقبة ولهفتها بتعلم القيادة، أشار بأصابعه على المكابح ليُخبرها بتحذيرية:

-دي الفرامل إياكي تدوسي عليها غير للضرورة ... وجنبها البنزين، هو ده إللي تدوسي عليه عشان العربية تتحرك

أومأت رأسها ببلاهة كما لو كانت جرّوا يوميء حينما يسمع صوت صاحبه رغم أنه لا يفهم ما يقول، استجابت لتعليماته واعتدلت في المقعد تُمعن التركيز أمامها وتقبض بكلتا يديها على المُحرك وكأنها تستعد للسباق، ساعدها لؤي بتحريك السيارة على أن تواصل هي السير بهدوءٍ وفقاً لتعليماته.

بعد القليل من المحاولات، بدأت السيارة تتحرك أخيراً، تسير بخطواتٍ بطيئة كالكهل الذي يعبر الطريق، كان الطريق خالياً من السيارات مما سمح لها بأخذ راحتها بالقيادة، وهذا ما جعلها تُسرع بالخُطى قليلاً حتى...

ارتدت أجسادهما مرة واحدة عقب التوقف المفاجيء للسيارة، التفت لؤي نحوها ليُحادثها ببعض الاندفاع الخارج عن سيطرته:

-بتعملي إيه؟

حاولت طمأنته بحديثها وهي بالأساس تزيد الأمر سوءاً:

-أسفة والله غصب عني

تحركت خطوتين بالسيارة حتى ارتدت أجسادهما مجدداً عقب توقف السيارة للمرة الثانية، حاول لؤي ارشادها ببعض التحذير:

-متدوسيش على الفرامل

خرج صوته صائحًا لأنها تتحرك بالسيارة ثم تتوقف مرة واحدة حتى أحس وكأنه سينقيأ، كانت تهتف بقلة حيلة وأعين تكاد تفيض من الدموع لتخلق أنهارًا لأنها تشعر أن حادثة سيرٍ ستطرق أبوابها.

-والله بحاول...

أدارت المقود لعدة جوانب بطريقة عشوائية جعلتهما يترنحان تارة لليمين وتارة للييسار حتى شعر لؤي أنه سيفقز خارج السيارة، خرج صوته مُرتفعًا وهو ينفض عليها ويهتف بصوتٍ مُرتفع:

-وقفي العربية

تحوّل وجهها إلى الأحمر وهي تصرخ بذعرٍ وقلة حيلة:

-مش عارفة....

وهكذا استمر الحال بينهما ما بين صُراخ وتعليماتٍ لا فائدة منها، فقد ظن لو هلة أن إجازته ستضحى أكثر هدوءًا من تلك الإجازة، لكن كيف يتذوق طعم الهدوء مع تلك الزوجة الطائشة؟

احتضن القمر شرادق السماء الكحلية ليُخفف من عُتمتها ويوهم الجميع ببريقها الذي يستمدّه من الشمس بغير وجه حق، فيبدو أن السرقة لا تتأصل بالإنسان فقط، بل هي موجودة بجميع المخلوقات.

كانت عيناها ترمقانه كصقرٍ يراقب فريسته من بعيد، تراه مُنهمكًا بمشاهدة أحد المقاطع على هاتفه بلاكترائٍ لوجودها، ولأنها خبيرة بالعلاقات، أرادت أن تختبره ولو لمرة في حياتها، فإسلام حتى هذه اللحظة يتعامل معها مثلما يتعامل مع أصدقاءه الرجال.

-إسلام ... إسلام..

التقطت عينيها هذا المقطع الذي يصب عليه حدقتيه، فكان المقطع عبارة عن رجلٍ يقوم بتنظيف السجاد باستخدام المياه وبعض الطُرق التقليدية، وكان هو يستمتع بتلك المقاطع مما كاد يجعلها تفقد صوابها من كثرة غرابته.

-يا إسلام هو فيه حد يتفرج على ناس بتنظف السجاجيد؟

انتبه إلى سؤالها مما جعله يُجيب وهو لا يزال يُحدق بالهاتف:

-إنت متعرفيش تنضيف السجاد ده مريح للأعصاب قد إيه

قالها مُتخيلاً إحساسه بمشاهدة تلك المقاطع المناسبة لمن يُعانون من الوسواس القهري، فلطالما شكّت بحالته النفسية لكنها لم تتوقع أن يضحى مريضاً أيضاً بالوسواس القهري!!

-طب ممكن تسبب الموبيل عشان عايزة أقولك حاجة

تنهد تنهيدة مُتذمرة وهو يُغلق الهاتف ويلتفت لها حتى يتخلص من طنينها الأشبه بطنين الذباب.

-أديني سبته أهو ... نعم

لاح التذمر على كلماته لكنها لم تكثر له وواصلت خطتها حتى تختبر حُبه وتعلم إذا كان يستطيع مواصلة حياته معها أم لا، قررت أولاً اختباره في أبسط الأمور وهي الغيرة؛ رسمت اللامبالاة على وجهها وهي تقول:

-العيادة عايزة تجيب دكتور تاني يشتغل معيا ... بس الدكتور بقى إيه، مقولكش، عنده عضلات وعينيه زرقة وحاجة كدة طالعة من السيما

مثلت الإعجاب وهي تتحدث رغم أن العيادة لن تأتي بمُعالج آخر معها، كانت تتوقع نظرات الغضب على وجه إسلام لكنه فاجأها بلامبالاته وكأنه يستمع إلى نشرة أخبار الفنانين في الهند.

تحول إعجابها الزائف إلى الغضب من ردة فعله الباردة وهذا ما جعلها تُطيل التخيل على أمل أن تُحرك مشاعره ولو قليلاً:

-وعلى فكرة هو جيه المرة إلي فاتت ... قعدنا نتكلم شوية وكان عايز يتعرف عليا....

وأخيراً بدأت تعبيرات وجهه تتحرك لكن نظراته بقيت كما هي باردة كالثلج وهو يقول:

-بجد !! ... ماشي يا حبيبتي، إبقى فكريني نغزمه على الغدا ... هو اسمه إيه ؟

صكت على أنيابها بغضبٍ جامح جعلها تنفجر بوجهه كأنهارٍ انفجرت بعد تحطم سدها المنيع:

-اسمه بارد ومُستفز ومعدوش دم

قطب حاجبيه بسُخرية لا تزال تحمل بروده الذي أفقدها صوابها:

-إيه الاسم الغريب ده ؟ ... معقولة حد يبقى اسمه كدة

ابتعدت داليا عنه لتتقاعس على أحد أركان الأريكة تُربع ذراعها بتذمرٍ طفولي جعلها تقول:

-أنا كنت متأكدة إنك مش بتحبني ... المفروض إن إنت تغير عليا زي الناس الطبيعية ... لكن طلعت بارد ومعدكش دم، أنا غلطانة إني وافقت بواحد زيك...

كانت بوادر العراق تُحيط بها لكنها وجدته يُقهقه بخفة وكأنه يسخر من حديثها، فلطالما كان يسخر من أولئك الذي يغارون على زوجاتهم من أشقائهم وحتى أقارب زوجاتهم، لطالما رأى الغيرة كالمرض الذي يقتحم العلاقات ويُفسدها دائماً، حاول امتصاص غضبها وهو يقترب نحوها حتى التصق بجوارها على الأريكة.

رفع ذراعه اليمنى كي يُحيطها من رقبتها ويبدأ بمداعبة خُصلات شعرها القصيرة، كانت كلماته هادئة منطقية رغم النيران الضامرة داخل داليا:

-هو أنا يعني عشان مش بغير عليكى يبقى كدة مش بحبك؟

أومات رأسها بثقة قالت معها:

-أيوه ... عشان الحُب يعني غيره_

قطع كلماتها بسؤالٍ يعلم إجابته:

-إنتِ عارفة أصلاً الغيرة يعني إيه؟

لم تنبس ببنت شفة فواصل حديثه بسرعة قبل أن تُنظم إجابة لتقولها:

-الغيرة يعني شك ... وعدم ثقة في إللي قُدامي ... وأنا بثق فيكي، ولا يُمكن أتخيل إنك تحاولي تقربي من حد تاني ... وعلى فكرة بقى أنا عارف إنك بتألقي، عشان العيادة بتاعتكم كحيانة وبتدفعك بالعافية

ارتسمت بسمة خافتة على ثغرها إثر سُخريته الحقيقية، بقيت في حالة من الصمت تستمع لكلماته الحكيمة الهادئة والتي اخترقت صميم قلبها:

-أنا وظيفتي إني أدافع عنك، أحميكي لو حد ضايقك، أنصحك لو شايفك بتعملي حاجة غلط ... مش إني أشك فيكي وأغير عليكى وشغل المراهقين ده ... إحنا خلاص اتجوزنا وكام سنة وهنبنى عيلة، فبلاش بقى جو الهندي ده إللي لحس دماغك ... أومل خبيرة علاقات زوجية إيه بقى وإنتِ ليل نهار على الهندي

ضربته على كتفه ليبعد عنها قبل أن تنقل شجارها إلى مدافعة عن الأفلام الهندية التي تعشقها.

-الموضوع مش أفلام هندية بس إنت أقتعتي وأنا كنت ناوية اتخانق معاك

قهقه بسُخرية على حديثها وما كاد ينبس ببنت شفة حتى استمعا إلى صوت الجرس يقرع ويخترق طبلة أذنيهما؛ وثب إسلام سريعًا كي يفتح الباب كما دلفت داليا الحُجرة لتُبدل ثيابها تحسبًا لأحد الزيارات المفاجئة التي تطرق أبوابهما فجأة.

فتح إسلام الباب ليجد مخيم يقف أمامه مُرتديًا سترة صيفية واسعة بُرتقالية اللون أسفلها بنطالٌ أسودٌ يتدلى منه سلاسل فضية، ناهيك عن خُصلات شعره الطويلة الناعمة، تبسم إسلام أمامه ليُصافحه بؤد ويجذبه داخل المنزل ليغلق الباب بعدها.

أشار إلى الأريكة كي يجلس مخيم وينتظر كلاهما القليل من الوقت حتى ظهرت داليا أمامهما بعد أن ارتدت كنزة طويلة غطت أكمامها، فهي وعلى الرغم من عدم ارتدائها للحجاب، إلى أنها تحرص دائمًا على ارتداء ثيابًا مُحتمشة لا تُظهر أكتافها على أمل أن يهديها ربها إلى الحجاب في يومٍ ما.

صاقت مخيم من بعيد عن طريق ابتسامة ودودة وكلماتٍ هادئة لتجلس بعدها بجوار إسلام وينتبه كلاهما إلى ما سيقوله مخيم:

-أنا دوّرت على حد هيساعدكم في موضوع التثبيت....

وضع يده في جيب بنطاله ليُخرج ورقة مطوية ويعرضها أمامهما ليوصل حديثه:

**-وصلت لكam حد كان بيشتعل في معمل ألفريد قبل ما الحكومة تحجز عليه
الراجل ده عرفني على واحد نقدر نجيب منه أجهزة ممكن نركبها ونعمل التثبيت في
أي مكان**

بسط يده بتلك الورقة نحو إسلام كإشارة منه على رغبته بأخذ الورقة وقراءة ما
تحتويه؛ أمسك إسلام بتلك الورقة ولم ينظر إليها حتى، فقط يستمع إلى كلمات مخيم
المُفسرة لما تحتويه هذه الورقة:

-الراجل اسمه الحسن عبد القدوس كتبلكم العنوان بتاعه في الورقة دي ...
وهو الوحيد إلي عنده الأجهزة

دقات الساعة تتوالى خلف بعضها لتزيدها توترًا وقلقًا، فقد تخطت الساعة التاسعة
مساءً وهو لم يعد حتى الآن إلى المنزل، صوت بُكاء صغيرتها يصدح بجوارها
لِيُخرجها من غياهب قلقها ويجعلها تنتشل تلك الفتاة الصغيرة التي تحمل دماءها
ودماء عشقًا أسطوريًا لم يحواه رمال الحياة، حركت صغيرتها بين كتفيها وطفقت
تُهددهتها وتُحركها تارة لليمين وتارة للييسار، فما إن هدا بكاءها حتى التقطت هاتفها
وشرعت بالاتصال به لعله يخمد تلك النيران التي بدأت تتأجج وتلتهم عقلها.

وضعت الهاتف على أذنها تنتظر استقبال المكالمة لكنها تستقبل صمتًا مهيبًا يزيدها
توترًا، ففي حالتها هذه، الصمت لا يعني الرضا، بل يعني الاضطراب والقلق.

زفرت الهواء من جوفها بضيقٍ وهي تُلقي الهاتف على الأريكة وتعاود هدهدة
صغيرتها التي غفت فورًا كالملاك المُستلقي فوق غمامة فُطنية كثيفة، حملت بسملة
ووثبت لتضعها على فراشها برقة حتى لا تستيقظ مجددًا وتعاود البكاء، فهي مُنذ أن
أنجبت وهي لا تسمع سوى صوت البكاء الذي باتت تعتاده بل تُطرب من أجله أيضًا.

أثناء وثوبها داخل الحُجرة تضع الغطاء على صغيرتها، إذ يقطعها صوت جرس
المنزل ليُجعل البسمة تتلفح وجهها، فبالطبع ها قد أتى وأراح صدرها المُلتاع.

تحركت بلهفة وبعض نبرات العتاب على وجهها، آملة أن تُعاتبه على تأخره وعدم
الإجابة على مكالماتها، فتحت الباب بثقة تلاشت مرة واحدة حالما وجدت تلك السيدة
تقف أمامها بشفاها القانية وجسدها المُتعرج الذي يُغطيه ملابس كاشفة تلتصق

بجسدها وتجعل شهوات الرجال تُشبه شهوة الكلب حينما يرى أمامه قطعة كبيرة من اللحم.

بقيت ترمقها كوكي من أعلاها لأخمص قدمها تتفحصها بعناية وتحاول استنتاج سبب زيارتها لمنزلهم، فهي لا تبدو وكأنها تعرفها ولا تبدو وكأنها من أقارب زوجها، أو من الممكن أن تضحى من أقاربه مثل ميجو، فحياة زوجها اتضح أنها شديدة التعقّد.

-م... مين حضرتك؟

سألته كوكي ببعض الارتباك مما جعل بسمه خبيثة تُرسم على ثغر نرمين الواثبة قبالتها عازمة على تنفيذ خطتها الماكرة، لُوحت بيدها أمام كوكي بسماجة جعلت عوالم التقزز تملأ عوينات كوكي خاصة مع كلمات نرمين التي زادتها تقززًا:

-أنا جاية أقولك متستنيش زيزو ... مش إنت بتقوليله زيزو بردو؟

استشعرت نبرات الاستفزاز على صوتها ما جعل الغضب يتسلل نحوها عنوة، فالغضب كالضيف المُتمرد، لا يرحل سوى أن يُدمر شيئًا ما.

-إنت ... إنت تعرفي زيزو مينين؟

سألته كوكي بنبرة أقرب للبكاء والنحيب، فهي أكثر هشاشة من أن تجذبها من خُصلاتها وتصفعها صفعاتٍ تُلقنها درسًا على وقاحتها.

داعبت نرمين خُصلات شعرها وهي تقول بصوتٍ مدللٍ قصدت به استفزازها أكثر:

-أعرفه من زمان أوي ... بس من فترة استنتجت إنه عايز يفضل معايا شوية، واستنتجت كمان إنه بيحبني ... أصل إللي حصل بينا امبارح ملوش معنى تاني غير الحُب

سُرقت الأنفاس من قفصها الصدري وباتت قُدرتها على التحمُّل شبه مستحيلة، كبحت
رغبة عارمة بالبكاء داخلها وهي تسألها بصوتٍ ملججٍ مترددٍ كالطفل الذي يخشي
السؤال عن علامة الاختبار خشية من شعور الفشل.

-!...إيه إلهي حصل امبارح ؟ ...و .. وإزاي بتقولي كدة على زيزو!

رفعت من صوتها مع آخر جملة رغبة منها في صبِّ جام غضبها على تلك التي
تحاول تدمير العلاقة بينهما، فهي قد أقسمت فيما سبق أنها لن تسمح لأحدهم بأن
يتدخل بينهما وهي حتى لن تُصدق ما تسمعه عن زوجها، لكن هذه الحية، اختصرت
العراك الذي كاد ينشب بخطواتها التي اقتربت نحو كوكي وهاتفها الذي أخرجته
ووضعت أمام عيني كوكي الزرقاء الذي انعكس عليهما تلك الفاجعة التي تحدث.

اتسع بؤبؤ عينيها وكادت حدقتيها تُنتزعان من محجريهما، تعالت أنفاس صدرها مرة
واحدة وشعرت أن العالم يتلاشي داخل دوامة سوداء مكونة من ويلات العذاب، فطيلة
هذا الوقت، لم تكن تعلم أن من يكيل لها هذا الكم من العشق يضحي ... خائناً...!!

الفصل الثامن (قطعة ناقصة)

أتعلم ما هو الفرق بين الصدق والكذب ؟ الكذب يسهل تصديقه.

تجمد جسدها أمام هذا المقطع الذي يعرض هذه الشمطاء تقترب من زوجها بطريقة وقحة، تصاعدت ألسنة اللهب داخل جسدها وبدأت الدموع تتكؤم على مقلتيها، تهدجت أنفاسها وبدا التنفس بالنسبة لها أمراً مُستحيلاً، تحوّل وجهها إلى اللون الأحمر وكانت على وشك الانهيار في تلك اللحظة، فحياتها التي ظنّتها وريدية تتدمر أمام عينيها في أقل من ثانية.

-إيه الفيديو .. ده ؟

قالتها بصوتٍ مُتقطع ونبرة أقرب إلى البكاء، انتهزت نرمين حالتها المُنهارة لتزيدها انهياراً بكلماتها وابتسامتها الخبيثة:

-دا الحقيقة ... أصل إحنا قضينا يوم حلو أوي مع بعض امبارح ... ومش امبارح بس، دا كل يوم في الشركة....

كلما زادت كلماتها كلما تفاقم الغضب بداخلها وأضحت على وشك إشعال المدينة بأكملها، خاصة وهي ترى نرمين تُداعب خُصلات شعرها وتتحدث بدلالٍ دون مراعاة لجمرة النار القابعة أمامها، بل إنها تتلذذ برؤية هذه الجمرة تشتعل أكثر فأكثر.

-مقولكيش بقى امبارح عملنا إيه .. قعدنا _

هنا ولم تعد تتحمل أكثر، فقد بدأ الوحش المُفترس يخرج من كهفه ويجعلها تتحوّل إلى نمرة شرسة بعد أن كانت قطة وديعة، صرخت بصوتٍ مُرتفع كاد يُزلزل الجدران حولهما، فلو كانت الشقة المجاورة لهما ساكنة لما انتبه سُكانها على هذا الصُراخ.

-اخرصي بقى ... إنتِ كدابة

دفعتها كوكي دفعة قوية و صفعت الباب أمامها صفة كادت تُهشم الباب إلى قطع صغيرة، بقيت نرمين مُتصلبة أمام الباب ببسمة الماكرة وكلماتها الشامتة:

-أنا بعثك الفيديو عشان تشوفيه على رواقه-

بينما كانت كوكي تستمع إلى الخناجر الصادرة من جوف تلك الماكرة وقلبها يُصدر أصوات التحطم من داخلها، لم تستطع كبح دموعها أكثر ووجدت شلالات تنهمر من عينيها حتى تحوّلت تلك الشلالات إلى أنهار أكبر من نهري دجلة والفرات، ارتمت أقدامها على الأرض وغطت وجهها بكفيها اللتان تبللتا إثر هذه الدموع، دموع الإنكسار والشعور بالخيانة.

نمت قهقهة ساخرة خبيثة على جوفها وهي تبتعد عن المنزل الذي دمّرتة بلامبالاة ولا اكتراث، انسلت بضع درجاتٍ ثم أخرجت جوالها كي تُجري مكالمة بالغة الأهمية، وضعت الهاتف على أذنها وشرعت تقول بجدية:

-الخطّة تمت..-

ابتسمت بثقة وهي تواصل تلك المكالمة:

-متقلقش يا دكتور ... خلاص خلصت من مراته، يعني شوية وهيحف تحت رجلي ... وكل أخبارهم هتبقى عندك

اتسعت بسمة الرجل من الجهة الأخرى وهو يستمع لها مُتذكراً زرعه لتلك العملية التي كانت ترتاد الجامعة التي يرتادها مُعتز، لكنها كانت قد نفضت فكرة الارتباط به حتى أتى هذا الرجل وعرض عليها مبلغاً جيداً من المال مُقابل أن تخترق قلبه وتتلصص على حياته، فهو من أخبرها أن تقتحم تلك الشركة وتحاول التقرب من مالكاها حتى تأتي له بأسرار هؤلاء الأصدقاء، أنهى معها المكالمة بدهاءٍ اعتاده:

-عال أوي ... شوية والمبلغ هيتحوّل على حسابك

أغلق المكالمة تزامناً مع ظهور ظلال من وراء ظهره يضع الغليون داخل فمه وينفث منه الدخان بانتشاء قال معه:

-وصلت لحاجة؟

التفت شريكه نحوه ليُجيبه بصوتٍ واثقٍ أظهر الأعيه:

-البت إلي بعثها خلاص قُربت توصلهم وشوية وهيكون عندنا معلومات عن المُنتقلين دول...

رغم أن الإنسان هو من يحكم العالم، إلى أن الإنسانية يفتقدها الكثيرون....

حُببياتٌ من الرمال الرمادية تتقاطر من لفافة التبغ على وعاءٍ زجاجي يُستخدم لإطفاء السجائر، عادت هذه اللفافة السميكة داخل جوفه ليستنشق منها نفساً طويلاً ويُطلقه على هيئة أدخنة كثيفة خلقت غماماتٍ سوداء تُشبه الغمامات المُنبعثه من المصانع المُلوثة للبيئة، أتاه صوتٌ أنثوي يجلس بجواره ويضع لفافة التبغ داخل جوفه لتُشاركه تلك العادة الماجنة، فهذه اللفائف لم تكن مُجرد لفائف تبغ عادية، بل هي تلك اللفائف المُذهبة للعقول والأخلاق.

-مش ناوي ترجع الكبارية؟

قالتها هذه الفتاة المدعوة بكارمن، وكانت تجلس بجواره على الأريكة بثوبها البنفسجي القصير اللامع وبشرتها البيضاء التي تناسقت مع جسدها الرشيق الذي تتباهى بجماله أمام أعين الرجال، نفث ميجو الأدخنة من جوفه وهو يُجيبها بنبرة أقرب إلى الانتشاء

:

-أما اتأكد الأول إن إدريس ورجالته مش قاطرني " يتبعوني "

أطفاً لفافته التي نفذت ثم التقط زجاجة خضراء وقام بفتحها كي يسكب سائلها الأصفر داخل كوبٍ من الزجاج ثم يتجرعه مرة واحدة وهو يستمع إلى كلماتها وأسئلتها الفضولية:

-إنت ليه قولتلم إنك اتخلصت من البضاعة؟.... أنا لسة سامعة إنك في السوق

تجرع ما تبقى من مشروبه ليضع الكوب على الطاولة قبل أن يُجيبها:

-إنتِ فاكراني بريالة؟.... أكيد يعني مش هقولهم إني لسة بتاجر في الصنف....
لازم أعمل دور التايب عشان يساعدوني أخلص من الراجل ده

إقترب نحوها وبدأ يتحسس تعرجاتها بشهوانية تبعها بكلماتٍ مخادعة:

-بيني وبينك، أنا ناوي أفضل هنا شوية... اهو على الأقل عندي شقة بدل الأوضة
إللي فتحناها في الكباريه... وأهو منه نبقي براحتنا

أنهى الحديث وهو يُداعب خُصلات شعرها ويعض على شفثيه السفلية بشهوانية جعلتها تبتسم بتدلل، أخذت نفساً من لفافة تبغها ثم أطلقتها وهي تشيح بنظرها بعيداً عنه في فترة الصمت التي قطعت حديثهما.

رمقته بابتسامة وقحة قبل أن تُدثر اللفافة داخل المطفئة وتثب من جواره متفوهة:

-لازم أمشي بقي عشان عندي نمره

كادت تثب لكنه أمسك رسغها وأجلسها مُجدداً على الأريكة متفوهاً بوقاحة والزبد يخرج من فمه من كثرة شهوانيته:

-استني بس.... ما تسيبك من النمره.... وتخليكي في النمر

أنهى الحديث بغمزة متغزلة لكنها مع ذلك رفضت عرضه المنافي للأخلاق بتبريرٍ أكثر منافاةً للأخلاق:

-مينفّش، دا أكل عيشي ... ما إنت لو بتدفعلي كنت عملتلك إلی إنت عاوزه

جذبت يدها ووثبت عن الأريكة استعدادًا للرحيل والعودة إلى المكان الماكن الذي ترعرت بداخله، سكب كوبًا آخر من هذا السائل الأصفر وهو يُخبرها بعتاب:

-ماشي ... إنت إلی خسرانة

تجاهلت كلماته وواصلت السير نحو الباب بعد أن ودّعته بتلويحاتٍ قصيرة وتركته يتجرع كؤوس الخمر التي تُحرق صدره وتُدمر عقله، فعلى الرغم من أضرارها وتحريمها، إلى أنه يفعل هذه الأفعال الماكنة متزعمًا أنها تُلهيه عن العالم وتجعله يُسافر عوالم أخرى وهو في مكانه، ولا يعلم أنها تُلقيه في نيران الجحيم ولا تجعله يُسافر إلى عوالم أخرى فقط.

أقدامها تهتز كزلازل اليابان، وجهها أحمر وعروقها نافرة تكاد تنفجر وهي جالسة، تمسك الهاتف بين يديها وعقلها شارد في كل كلمة خرجت من جوف هذه الحية، جفت الدموع من عينيها نتيجة البكاء لفترة لا بأس بها، فالغضب يتكون من ثلاث مراحل، أولاً الانفجار، ثم البكاء، ثم الانفجار مرة أخرى.

اخترق أذنها صوت الباب الذي يتم فتحه ببطء يليه دلوف مُعترز المنزل بعوالم بشوشة مرحة مُعتادٌ عليها، فهو لا يعلم بتلك القنبلة الموقوتة التي تنتظر الفرصة للانفجار، خلع حدائه الأسود اللامع ليرتدي نعله ثم يُلاحظ جلوس كوكي على الأريكة.

-معلش بقى اتأخرت شوية مكنوش عارفين يعملو حاجة من غيري

لا يعلم سبب عدم ردها عليه ولا يعلم حتى لم لا تستقبله كما تفعل كل مرة، فقط الصمت والشروود هما ما يُلاقيه الآن مما يزيد تيهًا وقلقًا، إقترب نحوها ليطمئن عليها، فاخترصت عليه الطرقات بوثوبها أمامه كعاصفة هوجاءٍ تُدمر مدينة بأكملها، حدج بنظراتها النارية بإبهام جعل لمحّة من القلق تزوره.

-مش بترد ليه ؟

كان صوتها حاداً وعينيها ثاقبتان كالصقر تتمشى على تعبيرات وجهه المتبلمة:

-موبايلي قطع شحن ... هو في إيه ؟

لم تعد تتحمل أكثر وسمحت لقبيلتها الموقوتة بالانفجار رويداً رويداً:

-موبياك قطع شحن ولا كُنت معاها ؟

تهدجت أنفاسها وكانت على حافة الانهيار والصراخ، طالعها بنظراتٍ تزداد حيرة
وغرابة من هذا الهراء الذي تقذفه من جوفها:

-م... مع مين ؟

نمت قهقهة ساخرة موجوعة على ثغرها جعلتها تفتح جوالها وتقربه نحوه مستكلمة
حديثها:

-معاها...

وضعت الهاتف أمام عينيه اللتان اتسعتان فجأة، تشوش العالم حوله وهو يرمق هذا
المقطع الذي لا يعلم كيف وصل إلى يد زوجته، من الذي يُريد تدمير حياته ؟

قطع تفكيره صوتها الذي ازداد انكساراً بسبب شعورها بالخيانة:

-أنا عملتك إيه عشان تعمل كدة ... إنت ليه بتقولي إنك بتحبني ؟ ... ليه بتضحك
عليا ؟

صرخت بأخر جملة مما جعله يخرج من صمته ويحاول التبرير لها:

-أنا مش بضحك عليكى ... والله مفيش حاجة بيني وبين البنت دي

ازداد صُراخها وهي تُلَوِّح بيدها أمامه بهيستيرية:

-أومل سبتها تقرب منك ليه ؟

-والله العظيم زقيتها والله العظيم ما قرّبت منها ... صدقيني

حاول أن يقترب نحوها ليُهديء من روعها لكنها دفعته بقسوة وقلبٍ مُهشم، واصلت صراخها بين دموعها المُنهمة وصوتها الذي يكاد يفقد بحته:

-أنا مش مصداك ومش عايزة أشوف وشك تاني

صاح صوت البكاء من داخل الحُجرة بعد أن استيقظت صغيرتهما إثر هذا الصُراخ، لملت كوكي شتات نفسها وكففت القليل من دموعها التي انتقلت إلى أعين مُعتر وهو يحاول جاهدًا تهدئة الأوضاع بينهما، فمنذ زواجهما لم يتعاركا بتلك الطريقة، كذلك الغضب بدأ يُمزق دواخله، وصوابه يكاد يفقده بعد أن استنتج أن تلك الحية تُحاول تخريب حياته، هو حقًا لا يعلم لمَ تفعل ذلك وما الذي تُريده منه ومن عائلته الصغيرة، ما يهمه الآن فقط هو ترميم هذا الشرخ الذي اغتاب علاقتهما، لكنه حتى لا يعلم كيف يفعل ذلك.

-أنا هروح عند بابي ... لغاية ما تجبلي ورقة طلاقي

تلك الجُملة هشمته أكثر حتى تحوّل إلى قطع صغيرة من الرُجاج لا تُعد ولا تُحصى، انقبضت أساريره في تلك اللحظة وحاول التشبث بآخر محاولة لإرضاءها بقوله:

-بس أنا _

قطعت حديثه بقطع وصلابة لم تعهدها أبدًا، فدائمًا ما كانت الزهرة الرقيقة التي تُنلف إذا لم تُسقى بالمياه الكافية:

-خلاص يا مُعتر مش عايزة أسمع كلمة زيادة

وُلته ظهرها وكادت تدلف الحُجرة لتضب أمتعتها وتترك المنزل، لكنه أمسك ذراعها
مستوقفاً إياها بكلماته المُقررة:

-خليكي في البيت ... أنا إلي همشي....-

-مشربش الشاي ... أشرب أزوزة أنا مشربش الشاي....-

كان يُدندن بتلك الكلمات بصوتٍ خافتٍ وعينان تشردان في الأفق بانتشاءٍ تزامناً مع تلك الأدخنة الكثيفة التي تنبثق من جوفه وتُعبق بالمنزل، يستلقي بظهره للوراء على الأريكة وجواره زجاجات الخمر الفارغة مع رطلٍ من أعقاب اللفائف التي تملأ مطفئة السجائر، رائحة التبغ تلوح في المكان وتجتمع مع روائح الخمر التي تجعلك تشعر بالاختناق، ومع ذلك كان هو جالساً وسط هذه الفوضى غير عابئاً بها، أو أنه مُعتاد عليها.

قطع انسجامه صوت طرقات الباب مما جعله يعتدل في جلسته مُتعبجاً من ذاك الزائر الذي يأتيه فجأة؛ أطفأ لفافة تبغه الرابعة ليتحرك صوب الباب محاولاً الحفاظ على اتزانهِ وحجب انتشاءه الذي يظهر للعيان.

ما إن فتح باب المنزل حتى دفعه مُعتز إلى الداخل ليخترق المنزل ويرتمي على الأريكة كحجرة تُلقى من الطابق الخامس، أغلق ميجو الباب وتحرك بعوالم حائرة صوب مُعتز الذي يجلس بين أعقاب اللفائف وتلك الرائحة الكريهة التي لا يعبأ لها ولا يُلاحظها من الأساس، فقط شاردًا في الخواء بوجهٍ ذابلٍ وأعين تكاد تُقطر دموعاً، جلس ميجو بجواره في حالة من الصمت لم تدم طويلاً لأن مُعتز أخرج تنهيدة مطولة من جوفه تبعها بجملة باهتة:

-أنا سيبت ناجتس-

خرجت الكلمات من جوفه بصعوبة لعدم رغبته بتدمير ما حوله، لكن ميجو لم يكن يفهم مقصده ولا زالت آثار الانتشاء عليه مما جعله يهتف بسُخرية:

-ليه ؟ مطلعتش كرسبي ؟

أدرك مُعتر أنه يسخر من حديثه فدفعه دفعة بسيطة وضَّح معها حديثه بنبرة أقرب للنهر:

-مش طالبة استظراف....

تنهد تنهيدة أخرى أحنى معها جذعه لأسفل مُغطياً وجهه بكلتا يديه تاركاً المجال لمشاعره بأن تتصاعد كما تتصاعد ألسنة اللهب:

-معرفش مين بعثها تسجيل ليا أنا ونرمين

ضربه ميجو على كتفه هادراً بمرحٍ لا يتناسب مع الموقف برمته:

-نرمين !... أه يا نمس وعملي فيها مُلتزم

أبعده مُعتر عنه مرة أخرى محاولاً منع يده من لكمه، فهو لا يعلم حقيقة الأمر، وحقيقة أنه يُحب زوجته ولا يُمكن أن يُفكر في غيرها...

-أنا فعلاً مُلتزم وبحب مراتي ومستحيل افكر في غيرها ... إللي اسمها نرمين دي عايزة توقع بينا

أرخی ميجو ظهره للوراء وأخرج لفافة تبغ عادية ليضعها داخل فمه ويبدأ إشعالها، سرق نفساً من هذه اللفافة ثم أخرجه على هيئة غماماتٍ كثيفة تبعها بسؤالٍ:

-وايه إللي هيخليها تَوَقع بينكم ؟

آجابه مُعتر بتيه:

-معرفش يمكن مُعجبة بيا، ولما رفضت عملت إللي عملته

سرق نفساً آخرًا من لفافته ثم استنتج وهو يرمق الفراغ بتأمل:

-أو يمكن عايزة تقلبك أصل الصنف ده أنا عارفه كويس، بيلفو على أصحاب الشركات عشان يقلبوهم

رمقه مُعترز بتيه يزداد أكثر فأكثر حتى بات تيهه يماثل حجم مدينة بأكملها، فهو لا يعلم لم يصبر القدر على ربط حياته بمزيدٍ من التعقيدات، كاد عقله ينفجر وينثر الدماء في كل مكان لذلك أرخى ظهره للوراء محاولاً تنفيذ هذه الأفكار عن ذهنه.

-مبقتش فاهم حاجة

قالها بتيه كالتائه في الصحراء الجرداء، حاول ميجو التخفيف من وطأة ضيقه فأحاط ذراعه حول عُنق مُعترز ليُقربه نحوه ويستشعر نبضات الأخوة التي تنبض بينهما، رسم بسمة مرحة على ثغره وهو يقول:

-طب روق طيب هتروق ولا اروقك أنا ... دا أنا عندي حته صنف، هيخليك تنسى الدنيا وما فيها

ما إن أدلى تلك الجملة حتى تسرّب الغضب بداخل مُعترز كتسرب المياه العكرة من بالوعة تتوسط البنائيات، سرعان ما دفع ذراع ميجو بعيداً عنه قبل أن ينساق وراء شيطانه، فسبب هذا العراك مع زوجته هو محاولة الشيطان لبسط أسفاره وجره نحو المعاصي، فلا ينقصه هذا الذي يزيد الطين بلة.

-صنف !! إبعد يلا ... إبعد، أنا بقولك عايز اصالح مراتي وإنت عايزني أخربها أكثر

دفعه مُعترز بعيداً عنه ليثب عن الأريكة مُتجهًا صوب حجرة الطعام لعله يجد قنينة مياه يتجرعها ويُلطف بيها النيران الضامرة داخل حنجرته، كان لا يزال يُغمغم بغضبٍ أثناء سيره ويقول:

-لولا إن جابر مش في البيت كان زماني روحتله

تجاهل ميجو نبرة الغضب البادية على صوت مُعترز وأرخی ظهره للوراء مستنشقاَ القليل من نيكوتين لفافته ثم يُطلقه كما أطلق كلماته الباردة:

-إنت الخسران ... الحق عليا كنت عايز ابسطك

لم ينصت مُعترز إلى كلماته ووثب أمام البراد العتيق على أمل أن يجد زجاجة مياه مُثلجة، لكن ما وجده جعل فكه يسقط حتى وصل إلى رقبته، فكان البراد مُمتلئاَ بزجاجات الخمور بكل أنواعها، ولأن مُعترز لم يُكن مُنتبهاَ لزجاجات الخمر المُلقاة في كُل مكان، فكانت هذه أول مرة يرى هذه الكمية من الزجاجات الماجنة داخل أحد المنازل، بسط مُعترز يده ليلتقط واحدة من زجاجات الخمر الخضراء ويهتف بصوتٍ مُرتفعٍ غاضبٍ سبقه شهقة مصعوقة:

-إيه ده.... !!

استمع ميجو إلى تلك الشهقة بسبب تقارب المطبخ مع حُجرة البهو، فالمطبخ على الطريقة الأمريكية، وكان ميجو يجلس أمامه مباشرة، ظن ميجو أن مُعترز قد رأى تلك البضاعة التي يُخبئها أو أنه رأى جزءاً منها على الأقل، هذا ما جعله ينتفض كالمصعوق في جلسته متفوهاً:

-إيه في إيه؟

رفع مُعترز أكثر من نبرة صوته الغاضبة وهو يقول:

-خمرة... !!

زفر ميجو الهواء من فمه بأريحية كما لو كانت الخمور مُستباحة في قاموسه، أو هي بالفعل كذلك لكنها ليست مُستباحة في العموم، فتلك المُسكرات تتنافى مع الدين وتُذهب العقول، ومع ذلك أرخی ظهره للوراء وهو يرد على مُعترز ببروده المُعتاد:

-خمرة إيه يا عم ... دي بيرة الخمرة دي بتبقى جاية من الفاكهة المتخمرة، زي العنب كدة، أما البيرة بقي، بتبقى زي الحاجة الساقعة بس بيتحط فيها كحول

تجاهل مُعتز معلوماته التي ليس لها أهمية ووضع القنينة مُجددًا داخل البراد متفوّهاً
بسُخرية كبح غضبه داخلها:

-أسفين يا خبرة....

تقدم نحو ميگو وهو يتفحص المنزل الفوضوي كسيدة تزور زوجة ابنها وتُعلق على
نظافة المنزل:

-وبعدين إيه ده ... حشيش وبيرة ... أنا خايف الاقي نسوان جوة

رد عليه ميگو ببلاهة وصدق:

-كانو هنا بس لسة ماشيين

انتبه مُعتز لرده فهتف بتفاجؤ:

-إيه!!

علم ميگو حماقته فتراجع فورًا عن رده الأبله بقوله:

-لا لا ولا حاجة ... تعالى بس اقعد وسيبك من البيت

رفض مُعتز الجراك بقطع:

-لا أنا هدخل أنام جوة ... ولعلمك بقي، لو مبطلتش الزفت ده والله لابلغ عنك

أنهى الحديث بتهديد وسُبابة مُشاراة صُوب وجه ميگو الذي لم يكثرث له بتاتًا وَاعاد
ظهره للوراء مستنشقًا آخر ما تبقى من لفافته ليغط بعدها في سُباتٍ عميقٍ غرق فيه
بالعديد من الأحلام التي كان مُعظمها يتمثل في أحلام اليقظة....

أشرقت شمس يومٍ جديدٍ وصدح صوت العصافير في كل مكانٍ وهي تحوم حول الأزهار في أجواءٍ ربيعية على الرغم من أن الشتاء من المفترض أن يدق الأبواب بعد فترة وجيزة، فلا أحد يعلم سبب هذه الحرارة المرتفعة والتي تزداد ارتفاعاً يوماً عن الذي قبله، ولعل هناك خيراً من درجة الحرارة المرتفعة هذه.

توقفت سيارة إسلام قُرب المنزل المُراد وبجواره داليا تستعد جيداً لتلك المُقابلة، فها هما يخطوان خطوة صُوب تحقيق حُلُمهما والتخلص من تلك اللعنة التي تلازمهم وتجعلهم يقعون في العديد من الكوارث.

ترجل إسلام من السيارة أولاً وتبعته داليا صُوب هذا المنزل الأنيق الذي يقع في إحدى المناطق الراقية بالتجمع الأول، فهو منزلٌ صغيرٌ يُحيط به منازل أنيقة أخرى والعديد من الحدائق والأزهار التي بدأ يتساقط معظمها، وضع إسلام يده على الجرس وشرع بدق أول دقة وجواره داليا تتفحص المنزل بعناية كما لو كانت تكتشف عالماً جديداً.

ما لفت نظرها هو تلك النوافذ المُغلقة كما لو أن المنزل فارغاً من السُكان، فلا أحد يُغلق النوافذ بتلك الطريقة، خاصة لو كانوا في وضح النهار.

دق إسلام الجرس مجدداً وانتظرا لبضع دقائق كادت تتحوّل إلى ساعة كاملة، ومع ذلك بقيا أمام الباب على أمل أن يظهر صاحب المنزل ويُعطيها تلك الأجهزة المطلوبة.

كادا يرحلان ويعاودا الكرة مرة أخرى لولا وميض الأمل الذي دق حصون قلعتيها بعد أن ظنا أنهما سيعودا خاليا الوفاض، انفتح الباب فتحة ضئيلة لم تسنح لهما برؤية صاحب المنزل، لكنهما استطاعا تبيين الظلام المُنبعث بالداخل كأن من يسكن هذا المنزل هو سربٌ من الخفافيش.

-مين برة؟

أتاهما هذا الصوت من خلف الباب فرد عليه إسلام بثقة:

-إحنا جايين من طرف مخيمر ... هو قالنا إن عندك الأجهزة إللي إحنا عايزنها ...
بتاعت التثبيت... هو مش حضرتك الدكتور حسن عبد القدوس بردو؟

أنهى الحديث بشكٍ لياأتيهما زمجرة تبعت حديث الرجل من خلف الباب:

-اسمي الـ...حسن...

تدخلت داليا لتعتذر ببعض الإبهام والأدب:

-إحنا أسفين يا دكتور الحسن ... ممكن حضرتك تدخلنا عشان نشوف الأجهزة؟

تنهد الحسن تنهيدة مطولة ثم فتح الباب أكثر دون أن يظهر بجسده حتى، فكان يُخبرهما من خلف الباب أن يدخلوا بسرعة وكأنه مُختبئ من الشرطه.

وطأت أقدامهما المنزل فأغلق الحسن الباب بسرعة وقد كان يرتدي سترة سوداء سميقة ذات غطاء رأس نزع فور أن أغلق الباب واختفت أشعة الشمس، كانت الإضاءة بالمنزل تكاد تكون مُنعمة سوى بعض الأنوار الخافتة في الجوار والتي أوحى لهما أن المنزل يسكنه الأشباح.

رمقهم الحسن بنظراتٍ باهتة ووجهٍ شاحبٍ يحتوي على كدماتٍ بسيطة، كما أن جسده مُغطى بالكامل بثيابٍ سميقة على الرغم من درجة الحرارة المُرتفعة، أشار الحسن أمامه وهو يتحرك داخل المنزل الفسيح خاصة عند أريكة كلاسيكية تتدثر بأحد الأركان.

تسرّب الخوف داخل داليا وهي تتجوّل داخل هذا المنزل وتتفحص بعينيها هذه التماثيل الإغريقية التي تتراعى على الأطراف، فهناك سيدة تتمايل بجسدها المُلتف بقطعة طويلة من القماش، وهناك حصان من العصور الرومانية يرتاده فارسٌ مغوارٌ قبل أن يقتحم قلعة القُسطنطينية، تخطت داليا جميع هذه التماثيل الغريبة والتي زادت من شكوكها حيال هذا الرجل الأكثر غرابة.

جلست بجوار إسلام على الأريكة لتتسع حدقتها مرة واحدة حالما وجدت العديد من أكياس الدم والإبر أمامها؛ احتقن وجهها واختفت الألوان من معالمها، فجميع شكوكها أوصلتها إلى استنتاج واحد.

-إسلام هو الرجل ده مصاص دماء ولا إيه ؟ ... م... ما تخلينا نمشي من هنا

قالتها بهلع جعل إسلام يُفهقه بسُخرية ويُجيبها:

-مصاص دماء إيه مفيش حاجة اسمها مصاصين دماء ... هو تقريبًا كدة ...
الرجل ده عنده هيموفيليا

قطبت حاجبها باستغراب جعلها تستفسر أكثر:

-إيه الهيموفيليا دا كمان ؟

آجابها إسلام بعلمية وثقة:

-ده مرض ليه علاقة بالدم ... بيخلي المريض بينزف كثير وبيجيله كدمات عشان البروتينات اللي بتعمل تجلط في الدم بتكون ناقصة... وعشان كدة المريض بيكون عايز ينقل دم كثير

سألته داليا مُجددًا لتنتهز كونه طبيبًا وحتى تُريح بالها من تلك الشكوك التي لا تزال تساورها:

-والمرض ده بيخليه يخاف من الشمس

نفى إسلام حديثها مُفسرًا:

-لأ ... بس شكله كدة عنده هيليو فوبيا " فوبيا من الشمس " يمكن أمه وأبوه من كُتر خوفهم عليه بسبب المرض ده مكانوش بيخلوه يخرج من البيت... عشان كدة بقي عنده فوبيا من الشمس

ما كادت تسأله مجددًا حتى أتى الحسن من الداخل ومعه صينية مستطيلة ذات مسكة ذهبية بخلاف معدنها اللامع، احتوت الصينية على كأسين من عصير البُرْتقال ليُقدمه لهما كنوعٍ من الضيافة، ما إن جلس قبالتها حتى سأل إسلام:

-هي الأجهزة فين؟

-الأجهزة...-

هكذا قال الحسن قبل أن يقطعه نزيّف حاد ينهمر من أنفه كالشلالات؛ أمسك المحارم بسرعة ليوقف هذا النزيف ويرفع رأسه لأعلى ثم يخفضه مجددًا أمام نظراتهما القلقة.

-لا مواخدة...-

دثر المحارم داخل أنفه حتى تتوقف عن النزيف ليوجه الحديث نحوها متفوّهاً بجدية:

**-دكتور مخيمر قالي على كل حاجة ... بس الأجهزة كتير... ومحدث هيعرف
يركبها غيري**

تقدمت داليا بجذعها كي تسأل بأهمية:

-يعني حضرتك هتيجي تركبها بنفسك

أرخى الحسن ظهره للوراء متفوّهاً بثقة:

-إنهارة بليل هاجي اركبها لكم

تهللت أساريرهما وقررا العودة لمباشرة أعمالهما على أمل أن ينتهي كل شيء في المساء وينتهي من تلك اللعنة للأبد، وثب إسلام أولاً ليُصافحه بؤدٍ وبشاشة:

-متشكرين أوي يا دكتور حسن

تجمهر وجه الحسن وهو يثب من مكانه ليُصح اسمه للمرة المئة:

-اسمي الـحسن ... زي الحسن والحسين كدة

كان الغضب بادٍ على وجهه مما جعل إسلام يعتذر بوجهه وجواره داليا تحاول إنهاء الحديث بقولها:

-طب إحنا مُضطرين نستأذن بقي ... سلام

لُوحت له بيدها ثم تحركت بجوار إسلام حتى خرجا من هذا المنزل العجيب الذي نجح ببث انقباضة بصرها، ومع هذه الانقباضة كانت السعادة والحماس يتغلغلان داخلها، فهي تظن أن طريقهم سيضحى سهلاً خالياً من الصعاب....

اختفت الشمس من السماء وبزغ القمر مكانها بإطلالته الساحرة وبريقه الذي لم ينجح بإنارة قلوبهم، فلايزال الضيق والحزن يُغيمان على قلبها المُلتاع وجوارها كلاً من ساندي قريبتها وكذلك يُسرى وقمر اللتان آبيتا تركها في تلك الحالة، فكانت يُسرى تضع بسملة على ركبته وهي تسأل بشكٍ وصوتٍ مُندفعٍ غير مُصدق:

-أنا مُستحيل أُصدق إن مُعتز يعمل كدة ... ده كان بيعشق التراب إللي بتمشي عليه

أضافت قمر على حديثها بتذكر:

-إنتِ هتقوليلي ... دي كانت علاقة ملزقة

اقتربت ساندي نحو كوكي كي توأسيها ببعض البساطة وكأن جروح الفؤاد سهلة الترميم:

-على فكرة its something normal أنا كمان سيبت فريد ومفيش حاجة حصلت يعني، still breathing

وجهت قمر حديثها نحو ساندي كي تسألها بفضول:

-سبتيه ليه؟... هو كمان خزوقك؟

أجابتها ساندي بفخر وثقة:

-لا طبعًا... أنا إللي خزوقته

أوقفت يسرى هذا النقاش قبل أن يبدأ حتى يعودن مجددًا إلى مشكلة كوكي ويحاولن مواساتها كما اتفقن عليه مُسبقًا.

-خلينا في المُهم... مش حاسين إن غريبة شوية إن إللي اسمها نرمين دي...
تيجي تفضح نفسها كدة عادي، أصلها لو بتحبه في السر، كانت المفروض تفضل
مكتمة على الموضوع

علقت قمر على حديثها بعد تفكيرٍ دام لبضع ثوانٍ:

-أكيد خرابة البيوت دي عايزة مُعترز ليه لو حدها

وضعت يسرى بسملة على الأريكة بعد أن غفت تمامًا لتقترب بدورها نحو كوكي كي
تطلب منها:

-ما توريينا كدة الفيديو ده تاني... يمكن في حاجة مستخبية كدة ولا كدة

تنهدت كوكي بضيقٍ ولا تزال نظراتها ذابلة غارقة في حالة من الصمت منذ بدأت
تلك الجلسة، أخرجت هاتفها استجابة لرغباتهن لتلتقطه يسرى وتعبث به أسفل أعين
قمر وساندي المُنصبتان فوق شاشة هذا الهاتف، حدقن جيدًا بتلك الحية وهي تقترب
من مُعترز وأعادا المقطع مرارًا وتكرارًا حتى هدرت يسرى باستنتاج:

-أنا حاسة إن الموضوع فيه إن... بوصول كدة على مُعترز

أشارت بسبابتها صوب الهاتف ثم واصلت الحديث:

-تحسو إن هو مصدوم، عينيه فضحاه، كأن هي فاجنته

علقت قمر بسؤال:

-أومل مش بيقاوم ليه؟

آجابتها ساندي باستنتاج:

-ما يمكن قاومها في الآخر... بعد ما الفيديو خلص

وأخيراً فاقت كوكي من غفوتها وتقدمت بجذعها مُستفسرة:

-يعني إيه؟... هي بتعمل كدة ليه أصلاً؟

كان حديثها مُندفعاً لكن يُسرى امتصت اندفاعها بنبرة علمية واثقة:

-أنا عارفة النوع ده من الستات، دي تلاقيها مُعجبة بمُعترز وحاولت تقرب منه أكثر من مرة.... ولما رفض، حاولت تعاقبه

أرخت ظهرها للوراء ما إن زارتها إحدى الذكريات وجعلتها تسترسل بثقة:

-أنا عارفة شغل الشركات ده كويس... أصل أنا كُنت شغالة في شركة قبل ما أتجوز وأتجه للكتابة.... وكان عندنا بقى مُدير... عسل، عيونه خضرا وأبيضاني وأمه روسية.... ساعتها كان لسة عندي واحد وعشرين سنة، فكُنت فاكرة إنه أول ما يشوفني هيُقع في دباديبي زي الروايات.... عشان كدة فردت نفسي عليه وبقيت أرد عليه الكلمة بعشرة.... على أساس يعني هيشوفني مميزة ويحبني وكدة

كانت البسمة تُرسم على ثغرها وهي تتذكر تلك الذكريات حتى توقفت عن الحديث لتسألها قمر بفضولٍ وحماسٍ وباطنٍ كفها يحتضن ذقتها:

-وايه إللي حصل ... حبيتو بعض قبل ما تحبي خالد ؟

تلاشت البسمة عن وجه يسرى وهي تسرد ما تبقى من تلك الذكرى:

-لأ ... رفدني من الشغل بس بعدها بقي اتعرفت على خالد واتجوزنا

فهقهن بخفة ولا إرادية على حديث يسرى لتتوالى بعض الأحاديث بينهن في أجواء
مرحة تارة وجادة تارة أخرى، إلى أنهن في النهاية استطاعن إزالة هذه العُمة عن
قسمات وجه كوكي وإعادتها للحياة مُجدداً.

بعد فترة من الحديث سألت ساندي بفضول:

-هو صحيح داليا فين ؟... مش كان المفروض تيجي معاكم ؟

آجابتها قمر بجهل:

-قالتنا عندها حوار في البيت ولازم تخلصه ... بس مقلتش وراها إيه...

يجلس الحسن على الأرضية الصلبة وأمامه جهازٌ عريضٌ يتماثل مع حجم موقد
الغاز، تقف داليا خلفه وجوارها إسلام يتفحصانه جيداً وهو يقوم بتركيب الأجهزة
والعبث بالأسلاك، فكان يخرج العديد من الأسلاك الكهربائية التي أحاطت الحُجرة
كالثعابين، وجوار هذا الجهاز كان يوجد فراشٍ صغيرٍ وفراشٍ آخر على بُعد بضعة
سنتيمترات منه يُوضع عليه خوُزتان تتكوُنان من المزيد من الأسلاك المتداخلة والتي
لا تزال تحمل حجم خوزة تناسب الرأس، قطع إسلام انغماس الحسن بقوله:

-يا دكتور حسن دكتور حسن

توقف الحسن عمّ يفعله بنيرانٍ تتفاقم داخله وهو يرفع صوته ويلتفت نحو إسلام :

-يوووه ... قوت مليون مرة اسمي ... الـحسن

حمم إسلام باعذارٍ قال معه:

-حاضر...

ما إن هدا الحسن حتى عاود إسلام سؤاله:

-هو إحنا هنقدر نستخدم الأجهزة إمتى؟

آجابه الحسن بجمودٍ وهو يعاود الانهماك بتركيب تلك الأسلاك:

-معرفةش ... أنا مسؤل عن الأجهزة بس، معرفةش مين ممكن يستخدمها

قطع حديثهما اقتحام مخيم الحُجرة بعد أن كان ينتظر بالخارج يتفقد الأجهزة ويُساعد على إدخالها المنزل، يحمل بين يديه دفترًا يدوّن به أسماء المُعدات ويتقدم نحو إسلام ليوجه سؤاله نحو الحسن:

-في جهاز ناقص ... هو إنت بعث أجهزة؟

وثب الحسن عن الأرض لِيُنفض الأتربة عن ملابسه الداكنة ثم يلتفت نحو مخيم كي يُجيبه:

-أنا مش ببيع أجهزة... بأجر بس

سأله مخيم مجددًا بأهمية:

-أومل جهاز الـghost fellow فين؟

-مش معايا الأجهزة دي مش بتأجر، دي بتروح على المعامل علطول

تدخل إسلام بالحديث ليستفسر:

-إيه الجهاز ده ؟

التفت مخيم نحوه ليُجيب:

-ده امتداد لجهاز الـ **ghost ark** اللي بي سجل الظواهر الغريبة والترددات، اللي بيستخدموا عشان يكتشفوا الأجسام المعنوية اللي بتطوف حوالينا ... العلماء بقي ربطو بين الـ **ghost ark** ده وسائل الدماغ الشوكي اللي بيرصد اهتزازات المُخ وبيساعد على حماية الدماغ من الاهتزازات المفاجئة، والاهتزازات دي يتنقل عن طريق جهاز تخطيط المُخ اللي بيعرض اللي بيحصل جوة الدماغ ... وبما إن الهيئة النجمية عبارة عن جسم معنوي بيبدأ من نشاط غير طبيعي في الدماغ ... فجهاز الـ **ghost fellow** ده، هو اللي بيرصد النشاط ده، وبيساعدنا نتحكم فيه ... يعني من الآخر، الجهاز ده أهم جهاز فيهم، وهو اللي هيساعدكم تنتبثو

كانت المعلومات كثيرة على رأسيهما لكنهما ما إن التقطتا كلمة التثبيت حتى أدركا أنهما يجب أن يعثرا على ذاك الجهاز مهما تطلب الأمر، لهذا السبب سألت داليا بجدية:

-واحنا هنلاقي الجهاز ده فين ؟

تدخل الحسن بالنقاش ليُجيبها:

-أنا سمعت إنه مش موجود غير في معمل **MTP** اللي كان اسمه معمل ألفريد زمان، قبل ما حد يشتريه من الحكومة

رفعت داليا ذراعيها وهي تقترح ببساطة:

-خلاص ... يلا نروح المعمل ونديهم فلوس ونأجر منهم الجهاز ده كام يوم

حطَّ مخيم آمالها بقوله:

-مينفءش ... المعامل مُستحيل تخرج أجهزتها برة ... ومنقدرش أساساً ندخل
المعمل ده بسبب الحراسة المُشددة...

الفصل التاسع (لصوص !!)

العالم دائرة صغيرة مُغلقة، متى أردت الرحيل والهرب، تجد نفسك تعود إلى البداية دون أن تعثر على سبيلٍ آخر للنجاة....

وصل المكتب ليُباشر أعماله على أمل أن تشغله تلك الأعمال عما يمر به بحياته، لا يزال الغضب يُلطخ وجهه ويجعله يُدمر ما يُقابله، لكنه يتماسك ويُحافظ على ثباته وهدوء المعتاد، فبحياته لم يكن الشخص الذي يغضب من أقل الأمور، بل كان العكس تمامًا، كان دائمًا المُبتسم في وجه المصاعب والشدائد، لكنه الآن يشعر أن قواه قد خارت، وأنه لم يعد يستطع الثبات أكثر، فالحياة تُرغمه على التصرف عكس مبادئه.

أمسك سماعة الهاتف ليُجري مُكالمة هاتفية قصيرة قال بها بصرامة و غضبٍ دفين:

-اعتيلي نرمين-

بصق تلك الجملة ليُغلق الهاتف بعدها ويسترخي بظهره على المُقعد بحاجبين معقودين ووجه يستعد جيدًا للمواجهة، فما هي إلا بضعة ثوانٍ حتى انفتح باب المكتب لتتوغل منه نرمين بقميصها الأبيض وتنورتها السوداء الضيقة التي تكتمل مع رداءها الرسمي، تقدمت لتقف أمامه مباشرة ترفع قامتها لأعلى بثقة قالت معها:

-نعم يا مستر مُعتر-

أجابها مُعتر بحدة ونظراتٍ مُشمزة:

-إفضلي لمي حاجتكِ وقدمي استقالتكِ واعتبري العقد إليّ بينا اتفسخ-

حافظت على ثباتها رغم كلماته الأشبه بالسهام النارية، تقدمت نحوه أكثر لتتأكد من قراره بحُبث:

-يعني إيه؟-

آعاد مُعترز كلماته بنبرة تزداد صرامة وعينان تبتعدان عن خاصتها:

-يعني إلی قولته لمي حاجتكِ واتفضلي من هنا

مرّت برهة قصيرة من الصمت كانت تُحاول فيهم ترتيب كلماتها حتى قالت:

-طب وبالنسبة للمشروع إلی اتعمل باسمي ؟

آجابها مُعترز ببرود:

-إعتبري مفيش مشروع بينا

تقدمت أكثر حتى التصقت بحافة المكتب ترمقه بنظراتٍ نارية مليئة بالقوة والرغبة بالانتقام:

-طب وشرط الجزاء ؟

ترك ما يفعله وانتبه لحديثها الأشبه بالصاعق الكهربائي، فعن أي شرط جزاءٍ تتحدث هذه ؟

-شرط إيه ؟

أرضت فضوله بإجابتها الواثقة المُحطمة لآماله:

-على من يُخل بالعقد أن يدفع مليون جنيه للطرف الآخر ... حضرتك مقريتش باقي العقد ولا إيه ؟

اختفت الألوان عن وجهه وبدا كالتائه في صحراءٍ جرداءٍ لا طعام فيها ولا ماء، فقط ينظر أمامه في تلبمٍ تذكر معه العقد وتذكر أنه لم يصل إلى آخر سطرٍ واكتفى بقراءة أول الأسطر قبل أن يوقع باسمه أسفل الورقة، فيبدو أن هذه الحية كانت تضع بحُسابها أن هذا ما سيحدث.

لم ينبس ببنت شفة بينما كانت هي تقذف حديثها كما تُقذف الحية سمومها:

-أنا عارفة إنك متضايق من إلي حصلك مع مراتك ... بس للأسف مش هتقدر
تتخلص مني عشان ساعتها هتخسر شركتك إلي بقالك شهور بتبنيها...

ابتعدت عن المكتب لتُدلي آخر كلماتها بمُكر:

-سلام يا مستر مُعتر

لا يزال في حالة من التبلم والتهيه حتى بعد أن رحلت وبدأ هو بالعبث في الأوراق،
وجد العقد المُبرم بينهما، ولسوء حظه، تأكد من شرط الجزاء هذا والذي يثبت له أنه
لن يتخلص منها بسهولة...

يجلس على مكتبه داخل مركز الشرطة الذي يُراجع بداخله بعض القضايا، فأمامه
أوراقٌ تعرض معلوماتٍ هامة عن صفقة أسلحة غير شرعية، وأوراق أخرى تعرض
صورًا للمتهمين في جريمة ما، كانت حدقاته مُنصبَّتان على تلك الأوراق بتركيزٍ فاق
تركيزه أيام الثانوية، فكان يعتصر عقله كما يُعتصر الزيتون لاستخراج الزيت.

قطع وصلة تركيزه صوت الباب الذي فُتح على مصراعيه تلاه دلوف أحد الضباط
بزي عسكري جعله يؤدي التحية العسكرية قبل أن يبدأ الحديث:

-لؤي بيه ... أنا عرفت اسم المُتهم في قضية ليلي عابدين

ترك لؤي ما يفعله واعتدل في جلسته محافظًا على نظراته الثاقبة وهو يستقبل
الأوراق التي وضعها الضابط الآخر أمامه ثم أدي التحية العسكرية ورحل عن
الحُجرة تاركًا لؤي وحده ومعه تلك الأوراق التي ستكشف له أخيرًا عن والده
الحقيقي، وعن قاتل والدته الحقيقية أيضًا.

عبث بتلك الأوراق جيداً ليتفحصها بعينه التي اخترقت كل كلمة دُونت في أوراق تلك القضية، يجد صوراً متعددة لجسدٍ هزيلٍ يحمل العديد من الكدمات، ثم يجد ملفاتٍ طبية عفا عليها الزمن، توقف عند آخر ورقة ليقراً بها أن المُتهم ترك البلاد ولا يعلم أحد مكانه حتى فُيدت القضية ضد مجهول، ومع ذلك قرأ الاسم بصوتٍ مسموع متوَعِدٍ لهذا الأرعن:

-داغر خليل الرفاعي....

أمامه شاشة الحاسوب المفتوحة التي تعرض العديد من ملفات المرضى، يبحث عن المريض المناسب الذي لا فائدة من وجوده ونجاته حتى يُنفذ عليه إحدى عملياته الماكرة دون أن تعثر له الشرطة عن دليل، قطع وصلة انغماسه في العمل صوت الباب الذي انفتح لتتوغل سكرتيرته ذات الجسد الرشيق وابتسامتها البشوشة، لم ينتبه طلال لوجودها حتى بدأت هي الحديث بقولها:

-دكتور طلال العملية خلاص هتبدأ

استمع طلال لحديثها فأغلق الحاسوب ليسألها بصراحة:

-عملية إيه ؟

أجابته وهي لا تزال تقف مكانها:

-عملية القلب

وثب طلال عن مقعده ليقترب نحو السكرتيرة رامياً إياها بنظراتٍ مُتفحصة قبل أن يردف بصراحة:

-اتصلي بداجر خليه هو يعملها أنا ورايا عملية تانية...

تسير قدميه على الطرقات الوعرة يركل هذه الحجارة الصغيرة التي تقابل طريقه بملل، يهيم بين الطرقات في اتجاهه للمنزل ومعه حفنة من النقود يقوم بعدّها والتأكد من كميتها في طريقه، فهو قد انتهى من بيع المزيد من تلك الممنوعات دون أن يدري به أحد.

في طريقه للعودة اصطدم بشمس كالعادة والتي كانت في هذا التوقيت قد عادت من الجامعة التي تُلقي بها إحدى محاضراتها، فهي تعمل كمُعيدة بجامعة التي تخرجت منها العام الماضي، كاد يُسقط النقود إثر اصطدامتها وكانت هي تعتذر له بقولها:

-أنا أسفة والله ماخدتش بالي

لم تكن تنتبه لوجوده لكنها ما إن لمحته حتى قالت بذهول:

-هو إنت!!

وكان هو يقول في الوقت ذاته:

-إنت تاني! ... إنت بقيتي تطلعي في البخت

تأففت شمس بنفاد صبرٍ وواصلت طريقها صوب المنزل بينما تبعها ميجو دون اكتراثٍ لها حتى دخلت أقدامها حديقة خضراء شاسعة تقترب من بنايتهم العتيقة، تلك الحديقة كانت قليلة الحشائش إلا من بقعة واحدة بدأوا الاهتمام بها وزراعتها جيداً، ومن بين تلك الأزهار كانت هناك بعوضة تحوم حولهما في هدوءٍ أزعج ميجو وجعله يُريد قتلها ظاناً منه أنها ستلدغه.

صفق بيده في الهواء ليلتقط تلك البعوضة المزعجة لولا صوت شمس الذي أوقفه بغضب:

-إنت بتعمل إيه...!!

رد عليها ميجو باندفاع:

-إنت عايزاها تقرصني يعني؟

نفت شمس حديثه بنفس ذات الاندفاع:

-مش هتقرصك ... دي ناموسة ذكر، الناموسة الأنثى بس هي إلی بتقرص

رمقها باستخفافٍ جعله يسأل:

-وانت اشعرفك إنها ذكر مش أنثى

نصبت شمس قامتها لأنها تُحب تلك اللحظات التي تُظهر للجميع ذكائها و علمها الذي لا فائدة منه أبداً:

-عشان الناموس الذكر بيتغذى على النباتات ... أما الناموس الأنثى، فهي إلی بتدخل البيوت وبتمتص دم الإنسان عشان تاخذ البروتين إلی بيساعدها على الإخصاب والخلفة

ما إن استمع ميجو لحديثها حتى وضع يده على صدره ليشهق بصدمة ثم يقول:

-يعني الناموسة كل ده طلعت بتغصبني!!

قهقهت لا إرادياً بعد استنتاجه الذي لم تُفكر به بُتاً، بقيت تسير بجواره على بُعد مسافة كافية لعدم اقترابهما اقتراباً مُحرمًا، أخذ الحديث يسير بينهما في مُزاح وجدية وعراك تارة أخرى حتى أصبحا على بُعد مترٍ واحدٍ فقط من المنزل، في تلك اللحظة سأله ميجو بفضول:

-هو إنت صحيح بتشتغلي إيه؟... أصل بالمعلومات إلی عندك دي بقيت حاسس إنك شغالة في الشركة الألمانية للقوارض

تحوّل وجهها إلى الغضب مرة واحدة عقب حديثه الذي جعلها تهتف باندفاع:

-بتقول إيه يا بني آدم إنت أنا مستحيل اشتغل في التشكيل العصابي ده إليي
بيأذي الحشرات بطريقة ملوثة للبيئة..

رفعت سُبابتها وهي تتحدث باعتراض كما لو كانت تتحدث داخل إحدى المنظمات
الحقوقية، بعدها أشارت على نفسها مُعرفة إياها بفخر:

-أنا بشتغل مُعيدة في كلية علوم أحياء... وإنت بقى بتشتغل إيه ؟

أنهت سؤالها بفضولٍ جعله مُتبلماً لفترة لا يعرف ما يُجيبها، أُوخبرها أنه يعمل بملهى
ليلي ؟ أم يُخبرها بأنه يُتاجر بالممنوعات ؟، سُرعان ما رفض تلك الإجابات محاولاً
التهرب بأية طريقة:

-ب...بقولك ... السما شكلها هتمطر... ما تيجي نتسابق جري على العمارة

اتسعت بسمتها وهي تُصفق بحماسٍ كطفلة في التاسعة من عُمرها، فقد تناست سؤالها
لوهلة لتوافق على حديثه بصبيانية:

-موافقة... يلا نجري لغاية هناك وإللي هيخسر أمه رقاصة

كانت تقولها بسُخرية جعلت وجهه يُحتقن ويزدرد ريقه ببعض الحرج، تلاشى حماسه
الزائف فجأة وهو يقول بنبرة خافتة:

-خلاص بقى إجري إنت ... مبقتش فارقة

لاحظت هممته فسألت بفضول:

-قولت حاجة ؟

انتبه لسؤالها فعاود الحديث بصوتٍ مسموعٍ مُقرر:

-بقول يلا بينا بسرعة قبل ما تمطر...-

قالها ثم هرؤل بسرعة فور شعوره ببعض القطرات تتساقط على رأسيهما، تبعته هي فيما بعد وعادت إلى منزلها دون أن تشعر بالانزعاج من ذلك الرجل الغريب....

تتعلق الآمال في شعرة، وعندما تُقطع تلك الشعرة، نفقد الأمل، ونفقد الرغبة في العثور على أملٍ غيره...

صوت الهاتف يصدح بجوار أذنها فتننتشله هي للمرة التي لا تعلم عددها وتُغلقه بغضبٍ ثم تُلقي الهاتف أمامها على الطاولة وتسترخي مجدداً بظهرها للوراء محاولة نسيان تلك المكالمة ونسيان هذه الحياة التي تعيشها، فلم يعد للحياة طعمٌ منذ فقدت نصفها الآخر وفقدت معه الرغبة في مواصلة الحياة، ربما ما يُبقيها حية هذه الأيام هي صغيرتها بسملة ورفيقاتها الذين لم يتركها أبداً.

-ما تردي عليه مش يمكن عايز يبرلك

قالتها قمر وهي تقترب من كوكي الماكثة جوارها تكاد ترد عليها لكن داليا تقطعها بصرامة:

-أحسن .. إياكي تردي، سيبويه لحد ما يتربى ويعرف إنك غالية والغالي تمنه كبير

انبعث الشر مع كلماتها رغبة في الانتقام من جميع الرجال، فحقوق المرأة تنمو بداخل داليا خاصة وهي التي تعمل بتصليح العلاقات الزوجية، فعندما يتعلق الأمر بأصدقاءها، تتحوّل من خبيرة علاقاتٍ زوجية، إلى خبيرة تدمير العلاقات الزوجية.

-عارفة يا كوكي لو رديتي عليه والله لاقطع علاقتي بيكي

تقدمت داليا بجذعها وهي تُدلي تلك الكلمات بصوتٍ مُهددٍ لا يخلو من الصرامة، تقدمت يسرى نحوهن كي تبدأ الحديث بجديّة:

-هنعمل إيه بقى فى إالى اسمها نرمن دي ؟... هنسيبها تفلت بعملتها، والله نبقى ستات هفأ لو معملناش حاجة لخطافة الرجالة دي

علقت كوكي بغل دفين:

-أنا لو عليا كنت عصرتها بس I don t know how

أنهت الحديث بقلة حيلة لثربت داليا على فخذها كي تطمئنها وتُخبرها أن وراءها عصابة مُستعدة لإضمار الفساد والتخلص من تلك الحية، فكان صوتها أشبه بصوت أحد أفراد العصابة حينما يُخبره زعيمه بأداء إحدى المُهمات:

-ولا تقلقي ... إحنا فى ضهرك، وخطافة الرجالة دي لازم تروحي الشركة وتربيهها ... وإحنا هنساعدك

أكدت قمر على حديثها بلهفة طفلٍ مُتحمسٍ لكارثة ما:

-أيوة هنساعدك ... روعي إنتِ بس الشركة، وإحنا هنقولك تعملي إيه

دار الحديث بينهن على هذا المنوال حتى اتفقن على زهاب كوكي إلى الشركة وتلقين تلك المدعوة بنرمن درسًا جيدًا يُعلمها أنها تعبت مع وحشٍ كاسرٍ مُستعدٍ للفتك بكلٍ من يقف أمامه، بعد فترة من الحديث، صدح الهاتف الخاص بداليا فأجابته على الفور وكانت مكالمة قصيرة جعلتها تثب من مكانها بعدها وتهتف لصديقاتها بيدها التي تلوح أمامهن:

-يلا بسرعة قومو فى اجتماع عندنا فى الشقة

هرعت نحو الباب وهي تستمع إلى سؤال يُسرى المُستفسر:

-إجتماع إيه ؟

أجابتها داليا وهي ترتدي حذاءها:

-اجتماع مُهم جدًا يلا بقى عشان لازم تيجو....-

عادة ما يجتمع الأصدقاء للهو والتسلية، أما في حالتهم، فأغلب الاجتماعات أما سببها كارثة، أو بعدها كارثة...

يسترخي جابر بظهره على أريكة البهو يعبث بهاتفه الجديد وجواره لؤي يُساعده بإنشاء حسابٍ جديدٍ على الفيس بوك، من الناحية الأخرى يجلس خالد وجواره يُسرى تتشاور معه من شأن روايتها الجديدة، وقمر على الصعيد الآخر تتحدث مع والدتها على الهاتف ويبدو أنها تتعارك بسبب والدتها التي تتهمها بإضاعة أحد الكؤوس الفاخرة مُنذ آخر مرة زارتهم بها.

وكانت كوكي بين هذا وذاك تجلس في صمتٍ تراقب من بعيد نظرات مُعتر المُلتاعة ومراقبته لها من بعيد ثم يُزريح عينيه عنها كلما انتبهت لمراقبته إياها.

أتى كلاً من إسلام وداليا ومخيمر وكذلك الحسن بعد أن كانوا يتحدثون في أحد الأركان عمّ سيقولونه، حمم إسلام أولاً حتى ينتبه الجميع ويتركوا مشاغلهم، فما إن انتبهوا حتى قال بصوتٍ قيادي مسموع:

-دلوقتي إنتو طبعًا عارفين إن أنا وداليا قررنا إن إحنا ننتبث

حال الصمت بينهم فأكملت داليا الحديث نيابة عنه:

-وإحنا فعلاً بدأنا نعمل كدة وجبنا الأجهزة، وظبطنا كمان الأوضة إلي هنتبث فيها

أضاف إسلام على حديثها بنفس نبرتها العملية التي حملت شيئاً من الاستياء:

-بس للأسف في جهاز ناقص والجهاز ده مش موجود غير في مكان واحد بس

رفع سبابته مع آخر حديثه علامة على مكانٍ واحد، أكمل مخيمر حديثه هذه المرة متفوهًا:

-المعمل القديم بتاعنا ... معمل ألفريد، بس دلوقتي بقى اسمه MTP

قطع لؤي حديثهم بسؤالٍ صارم:

-الجهاز شكله إيه ؟

رد عليه إسلام بسرعة:

-دكتور حسن هو بس إلي يعرف

أشار على الحسن حتى يبدأ الحديث لكن الحسن بدأ بطريقة غاضبة وهو يُصحح اسمه للمرة المئة:

-اسمي الـ...حسن...

عدّل من هندام نفسه كي يسترد هدوءه قبل أن يشرح:

-جهاز قد الدراع ... بيبقى شبه السونار بس أخف وزنًا وفيه مؤشرات حيوية للمخ، وجزء بيقيس الظواهر غير الاعتيادية

توقف الحسن عن الحديث بعد أن شعر بقطراتٍ ساخنة تتقاطر من أنفه، فتدخل إسلام وأعطاه محرمة يستخدمها في توقيف نزيفه، مما جعل مخيمر يُكمل على حديثه بعلمية:

-وطبعًا مش هنقدر نعمل التثبيت من غير الجهاز ده ... ده غير إن المعمل عليه حراسة شديدة، ومش بيقبل يخرج الأجهزة برة خصوصًا ده

فهم لؤي مقصد حديثهم فتقدم بجذعه ليردف بنظراتٍ ثاقبة وكلماتٍ تحمل من العتاب ما تحمله من القسوة:

-يعني إنتو من الآخر كدة ... عايزين تسرقو الجهاز

أشار عليه إسلام وهو يؤكد حديثه:

-عليك نور هو خطط السرقة مش بتطلع غير من الطباط

كانت السُخرية تُلطخ كلماته مما جعل قمر تتدخل باعتراض:

-لا يا جدعان ... أنا برة الموضوع، إحنا أساسًا فاشلين وكل ما نسرق تحصل مُصيبة أبوس إيديكم أنا صغيرة ومش حمل بهدلة تاني

أكدت داليا على حديثها باستماتة:

-قمر بتتكلم صح ... السرقة دي مش كارنا، إحنا مش حرامية بعدين الموضوع ده ممكن يوَدينا ورا الشمس

تدخل إسلام ليؤكد على أهمية هذا الجهاز بالنسبة لهم:

-وإحنا لازم نتثبت ومن غير الجهاز ده، هنفضل متنقلين طول عُمرنا، والمصايب هتفضل تلاحقنا فخلينا نحاول، زي ما حاولنا قبل كدة

كانت كلماته تحمل العراك والإصرار على فعل ما هو خاطيء، بل وما هو خطير أيضاً، فربما تنتهي تلك الخطة بسجنهم للأبد، استمر العراك بينهم ما بين مُعارضٍ لتلك الفكرة ومؤيد لهذه الفكرة المجنونة، أشار إسلام في النهاية على خالد الذي كان صامتاً طوال العراك يُتابع ما يحدث في هدوءٍ كعادته، فهو يُمثل الحكيم في كل مرة، لا يتحدث إلا إن تطلب الأمر ذلك.

-ما تقول حاجة يا عم خالد

أيقظه إسلام من صمته بتلك الكلمات التي جعلت خالد يعتدل في جلسته ويُتابعهم في شموخٍ أنهاء بكلماتٍ حكيمة ولغة فصيحة:

-إذا أردنا أن نبني بيتًا فنحن لا نبني البيت بأنفسنا، بل نأتي بالمهندس كي يُساعدنا في بناء هذا المنزل

حال الصمت بعد تلك الكلمات الحكيمة التي حملت الحل في ألغائها، لكن مُعتز قطع هذا الصمت ببلاهته المعهودة:

-أه...إنت قصدك نبني بيت عشان لما نسرق الجهاز نُحطه فيه ... والله فكرة ذكية، بس البيت ده هياخد وقت مش كدة

أغلق خالد عينيه بتروٍ ولعن حماقته في قرارة نفسه، كاد يُصح تلك الحماقة لكن جابر تدخل بحماقته الأخرى التي تُضاهي حماقة الطالب أمام ورقة الاختبارات.

-لا... هو مقصدوش نبني بيت، هو قصده إن زي ما المهندس بيبنى بيت، أكيد يعني هيعرف يسرقنا الجهاز

هنا ولم يعد يتحمل خالد فانفجر بوجهيهما انفجار ينابيع المياه بعد انسدادها لفتراتٍ طويلة:

-كفا حماقة أنت وإياه أنا أقول أننا إذا أردنا أن نبني بيتًا، فنحن نستعين بالمهندس ... وهذا يعني أننا إذا أردنا أن نسرق، فنحن نستعين بـ

قطع إسلام حديثه ليواصل هو ببعض الإعجاب لتلك الفكرة:

-حرامي ... صح ! هحتاج حرامي ينفذنا العملية

أنهى الحديث بلهفة لبتبعه جابر بسؤالٍ استفساري:

-وإحنا هنجيبو حرامي منين ... إحنا منعرفوش حرامية

تَوَّجَّهت الأنظار نحوه في ترقبٍ جعل أطرافه ترتجف، فهم لم ينسوا بعد حقيقته
وسبب مجيئه إلى هنا، تلك النظرات المُترقبة جعلت كيانه يهتز كالبرجين قبل
سقوطهما، فكان يُنتهته بالحديث أثناء قوله:

-انتوو.. باصينلي كدة ليه؟... أنا والله أقيم حاجة سرقتها كانت طفاية سجاير

تقدم إسلام نحوه وجذبه حتى وثب عن الأريكة، آدار بعدها يده حوّل عنقه في ودٍ تبعه
بقول:

-إحنا عارفين إنك حرامي فاشل ... بس عارفين بردو إنك تعرف حرامية

خفض إسلام حديثه مع آخر كلماته مما جعل الفكرة تلمع بعيني جابر وتجعله يقول:

-أه ... يبقى إنتو عايزين بابلو ... هو الوحيد إللي يعرف حرامية في كل حته

ربت إسلام على ظهره بفخرٍ قال معه:

-عليك نور ... هو ده إللي إحنا عايزينه

قطع لؤي حديثهما بنظراتٍ غاضبة غير راضية عم يحدث بالمرّة، فهو على شفة
جرفة بإحضار القوات والقبض على تلك العصاة التي تدعي أنها من عائلته
وأصدقاءه، يعلم أن ما يُخططون له ينصب في مسألة ضرورية، لكن مبادئه تمنعه من
الاشتراك في شيء كهذا، وفي نفس الوقت تدفعه للاشتراك وحمائيتهم، فهم في نهاية
الأمر أصدقاءه.

-خلاص اتفقتو ... بكرة الصُبح هنتجمع كلنا تاني ونتفق هنعمل إيه

ما إن أدلى تلك الجملة حتى صرخ الحسن باعتراضٍ والعديد من أمواج الرُعب:

-لااا ... صُبح لااا... شمس لأ

بدأ جسده يرتجف مما جعلهم يرمقونه بحيرة وعلامات استفهام تتكوّن على عينيهم،
فكانت تهمس قمر بأذن داليا مستفسرة:

- هو عنده مرض من الشمس ولا إيه ؟

أجابتها داليا بنفس تلك النبيرة الهامسة:

- لا عنده فوبيا

أومأت قمر رأسها بتفهيم بينما عاود لؤي الحديث بصرامة مُغيّرًا قراره بسبب غريب
الأطوار هذا:

- خلاص ... بُكرة الصبح، إسلام وجابر يشوفو موضوع الحرامي، وأنا هشوف
موضوع المعمل لو عرفت أجيب الأجهزة قانوني ... بس لو معرفتش هنتجمع بليل
تاني وهنتفق هنعمل إيه

بصق تلك الكلمات ثم رحل عن المنزل لتنفض جلستهم ويرحلون واحدًا تلو الآخر
على أن يجتمعوا مجددًا في اليوم التالي ويستقروا على حُطة تُساعدهم بتلك
المُعضلة....

كلما أردت شيئًا بشدة، فاعلم أن طريق الوصول لهذا الشيء سيزداد صعوبة عن
الفترة التي لم تكن تريد بها هذا الشيء...

بنايات مُتهالكة غير متناسقة تترامي وتكتظ بهذه المدينة الصغيرة، صوت السيدة
بائعة الخُضار يصدح بجوارهم كنغمة موسيقية مُزجة تُمتزج مع صوت بائع
البطاطا وصوت صبي المُقهى وهو يُنادي على صاحب الطلب حتى يلتقط فنجان
قهوته، كانت حارة شعبية طبيعية لا يُعكرها صفو ولا يتخللها الغرابة، فخطواتهما
تتقدم هذه الحارة حتى توقفا عند المقهى ذي الديكورات الكلاسيكية المُهترئة، جلس

إسلام على أحد المقاعد الخشبية وجواره جابر يتلفت يمينًا ويسارًا بحثًا عن الشخص المراد:

-مرحب يا أفندينا ... طلباتكم؟

قالها صبي المقهى بوّد فرد عليه إسلام ملتفتًا نحوه:

-شوية كدة وهنطلب

أوما صبي المقهى ثم تركهم وشأنهم على أمل أن ينهالوا عليه بالطلبات بعد قليل، فكانت طاولتهما خارج المقهى تطل على الشارع مباشرة.

مرّت برهة من الصمت والانتظار التي جعلت الضجر يتغلغل إلى إسلام من شدة الملل:

-هو مش ناوي يبجي ولا إيه ... خللنا

قالها بنفاد صبرٍ فطمأنه جابر بحديثه:

-هو قالي إنه جاي ... أهو

أنهى الحديث بإشارة من يده على ذلك الرجل الذي تقدم نحو طاولتهما الصغيرة بعوالم مكفهرة وسلسال من الفضة يتدلّى على صدره ويتماشى مع تلك السترة السوداء التي تكشف عن ذراعيه وصدره المُكْتَظ بالعضلات، كان على وجهه أيضًا ندبة تعتلي أحد حاجبيه مع لفافة من التبغ لم تُفارق فمه منذ تقدم نحوهما بخطواتٍ تُذيب العظام من شدة رهبتها:

-إنت جابر؟

سأل بصرامة وهو يزيح أحد المقاعد فأجابه جابر بإيماء من رأسه تؤكد له بلهفة أنه جابر وأنه المراد.

أرعى الرجل ظهره للوراء مُعرفاً نفسه بفخرٍ لا يعلم إياهما سببه فيما عدا جابر الذي يعلم جيداً:

-محسوبك حمدي أكبر حرامي في المنطقة

اقترب إسلام نحو أذن جابر كي يهمس بأذنه:

-هو الحرامية كلهم فخورين بنفسهم ليه ؟

أجابه جابر بنفس تلك الكلمات الهامسة:

-يمكن عشان يخلينا نثق فيه

قطع حمدي نقاشهما بسؤالٍ صارم:

-أوومرو عايزني في إيه ؟

التفت برأسه نحو صبي المُقهى كي يطلب منه بصوتٍ جهوري:

-تلاتة شاي هنا يا عبد السلام....

آعاد وجهه نحو كلاهما ليعاود سؤاله:

-هااا بنك ولا شقة ؟

أنهى الحديث بخُبتٍ وصوتٍ مُنخفضٍ جعل إسلام يخرج من صمته بنفي:

-ولا ده ولا ده ... إحنا_

قطعه حمدي مجدداً ليستنتج هو:

-يبقى عايزيني أسرق ورق مهم في مكان عملكم واجبلكم ترقية ... أصل مفيش إلا
كدة

نفي إسلام مُجددًا حتى يُخبره ما يُريدونه:

-هي فكرة حلوة بس بردو لأ ... إحنا جايين عشان_

قطع حمدي حديثه للمرة التي لا يعلم عددها لكن هذه المرة حينما مرّت أمامهم سيدة
بعباءة سوداء وخطواتٍ متدللة مع خصلات شعرها المُتدلّية من جحابها الزائف
ومُستحضرات التجميل التي أغرقت وجهها، أطلق حمدي صافرة من جوفه تبعها
بتغزلٍ وقح:

-أيوة يا حلواااني

عض على شفثيه السُفلية مع آخر كلماته مما جعل إسلام يقترب مجددًا نحو جابر كي
يهمس بأذنه بسخرية:

-هو ده حمدي الحرامي ولا حمدي الوزير ... ده إيه الهم ده

لاح التذمر على حديثه مما جعل جابر يُطمئنه مجددًا:

-متقلّش أنا هحاول اتفاهم معاه

اعتدل جابر في جلسته ليُحمم قبل أن يبدأ الحديث مع ذلك الذي يقطعهما دائمًا، لكنه
قبل أن يبدأ وجد صبي المقهى يقف أمامهم ومعه صينية معدنية مستديرة تحتوي على
أكواب الشاي التي وضعها أمامهم ثم رحل، إقترب جابر بجذعه كي يقول بأهمية:

-معلم حمدي ... إحنا عاوزينك في سبوبة

أخذ حمدي نفسًا عميقًا من لفافته ثم أطلقه في الهواء قبل أن يسأل:

-والحلاوة كام ؟

إقترب إسلام ليُشارك جابر الحديث بنفس ذات الأهمية:

-مش لما تعرف الأول السبوبة بعدين تبقى تشوف التمن

رفع حمدي قدمًا فوق الأخرى بتعالٍ قال معه:

-أنا مينفعنيش الكلام ده ... أنا باخد عربون 12 ألف جنيه قبل العملية وأربعين ألف بعدها

ما إن أدلى تلك الكلمات حتى سقط فك إسلام اعتراضًا على هذا السعر البهيظ، فكان صوته أقرب لصوت العراك وصوت الردح:

-إيه !!! 52 ألف !! ... ليه ! فاكِر نفسك توم كروس ؟

لاحت نظرات الغضب على وجه حمدي بسبب تلك اللكنة الهجومية التي يتحدث إسلام بها؛ تدخل جابر في تلك اللحظة ليُصلح الموقف بقوله:

-إهدى يا إسلام...

وجه ضفة الحديث نحو حمدي ليستكمل:

-يا معلم 52 ألف ده كتير بعدين إحنا عاوزينك تسرقو جهاز جوة معمل، يعني مصلحة مفيهاش فلوس

أدار الكلمات داخل رأسه قبل أن يردف بعملية:

-ما هو المعمل ده أكيد متأمن ... والحكومة ممكن تعكشني...

أرخی ظهره للوراء كي يُدلي آخر كلماته:

-بس إكرامًا للمعلم بابلو هعمل معاكم جميلة ... هأخذ خمس تلاف عربون وتلاتين ألف بعد العملية .. بس كدة الرجالة إلي هيساعدني عليكم

كاد إسلام يُيدي اعتراضه لكن جابر سبقه بنبرة حازمة غير قابلة للمزيد من النقاش، فهو متأكد أن نقاشًا آخر مع ذاك المُجرم لن يجعلهما يتركان تلك المنطقة في سلام.

-واحنا مؤافقين...

هكذا انتهى الحوار بمصافحة بالأيدي وتأكيدٍ على ارتكاب واحدة من أكثر خطتهم خطورة وتهوُّرًا....

سرقت نفسًا عميقًا ثم أطلقتها وهي تظيء بأقدامها باب الشركة التي يعمل بها زوجها، فهي تعلم أن اليوم لديه اجتماعٌ خارج الشركة حسب ما أخبره إياها من أسبوع، لهذا السبب انتهزت الفرصة وقررت أن تأتي اليوم لتُلقن تلك الحية درسًا عمّ فعلته معها آخر مرة، فمن هي حتى تُحاول التدخل في علاقتهما الحبيبة وإفساد حياتهما هكذا بهذه البساطة، يبدو أنها لا تعلم مع من تلهو.

كانت تضع السامعات داخل أذنها تستمع إلى تلك المكالمة الوردية من صديقاتها لعلهن يحثونها على تلك المشاجرة، فشجارات كوكي أشبه بشجارات حواري أمريكا الراقية، وتلك الشجارات بالطبع لن تتناسب مع هذه الحية التي تحتاج لمهارة الشجار المصري الأصيل.

-أيوة يا كوكي ... دخلتي مكتبها ؟

كان هذا سؤال داليا وهي داخل منزلها وجوارها كلاً من قمر ويُسرى تستمعان إلى تلك المكالمة وتستعدن لإلقاء التعليمات والنصائح.

تتجول كوكي من الجهة الأخرى داخل تلك الشركة الناشئة الصغيرة التي لم تخلو من العديد من الموظفين، لكنها من بين تلك الحُجر استطاعت أخيرًا أن تعثر على نرمين الجالسة داخل مكتبها تُحدق بالحاسوب بلا اكترات.

لطح الغضب وجهها وجعلها كأسدٍ ضريح يستعد للانقضاض على فريسته، دفعت الباب بقوة تُعادل قوة الفيل في الغابة، وبنظراتها المُشتعلة إقتربت أكثر نحو نرمين التي لاحظتها فورًا وأخذت الحيرة واللامبالاة تُلطحان وجهها وكلماتها:

-نعم ... عايزة حاجة؟

قالتها ببرودٍ واضح حتى تستفزها فاستمعت صديقاتها إلى كلمات نرمين مما أكد لهن أن المباراة قد بدأت الآن...

-روحي جيبها من شعرها

قالتها قمر باندفاعٍ اعترضت عليه يُسرى بقولها:

-لأ مش هينفع تستخدم العُنف...

وجهت حديثها نحو الهاتف حتى تنصح كوكي:

-قوللها ثكلتكي أمك

تدخلت داليا لتتوقف اقتراحاتهما الحمقاء بقولها:

-هي بتتخاق مع كفار قريش... !!

أعادت وجهها نحو الهاتف لتقول:

-بقولك إيه يا كوكي حاولي تستفزيها ... كلميها ببرود وإوعي تتعصبي ... كل ما تتعصبي، كل ما هتسفرك أكثر

أبعدت كوكي وجهها عن نرمين حتى تطلب منهن بهمس:

-أيوة أقولها إيه؟

تدخلت يُسرى حتى تُخبرها:

-قولها إنتِ فاكرة إن الشويتين إلي عملتيهم قدام بيتي هيعصبوني...!!

كررت كوكي حديثها بلكنة تبدو تمثيلية للغاية:

-إنتِ فاكرة إن إلي عملتيه قدام بيتي هيعصبي...

أكملت يُسرى نُصحها بقولها الذي مثّلت فيه الردح وكأنها تتعارك مع بائعة
خضراواتٍ في حارة شعبية:

-لا يا ماما_

كررت كوكي حديثها بنفس الطريقة التمثيلية لتستمع إلى اعتراض قمر الذي كان:

-لا بلاش لا يا ماما ... قوليلها لا يا عينيا ... عشان تقللي منها أكثر

استجابت كوكي لحديثها وكررت آخر جملة لتستمع إلى اعتراض داليا هذه المرة:

-لا لا لأ ... قولها يا يا حيلتها ... دي هتبقى أحلى

ولمرة أخرى تُكرر كوكي آخر جملة ببلاهة جعلت نرمين تُحدق بها بغرابة وتقول
بسرّها : من هذه الحمقاء التي تقف أمامي؟

-إنتِ عايزة إيه؟

أجابتها كوكي بصلافة كما أخبروها ولكن ليس بالضبط:

-عايزاكي تgo away from my husband-

استمعت داليا إلى لكنتها الأجنبية والتي نهرتها من أجلها:

-يا بت مش بالانجليزي ... إنتِ مش في جاردن سيّتي

تستمع كوكي إلى تعليمات صديقتها جيداً بينما كانت نرmin تحاول إثارة حفيظتها أكثر بلكنتها المُستفزة:

-ولو قولتلكِ إني مش هبعُد ... وإني بحب زيزو، وإن هو كمان بيحبني ... هتعملي إيه؟

اتكأت على آخر كلماتها مما جعل شرارات اللهب تتقاذف من عيني كوكي وداخلها يرغب بالانقضاء على هذه العقربة وتقطع خُصلات شعرها بين يديها، لكن العنف ليس من مبادئها ولا تعلم لم جسدها متيبسٌ ولسانها فاقداً للقدرة على الحديث.

استمع صديقاتها إلى كلمات نرmin فتدخلت قمر لتنصحاها:

-قوليلها مالك بتتمحلي على إيه وإنتِ شبه البُرص الجعان وزيزو مش هيعبر واحدة زيك

حاولت كوكي نقل تلك الجملة بنظرات اللهب التي تجتمع مع حديثها الغاضب:

-مالك بتتمس... بتتلم.. بتتسم...

توقفت عند هذه الكلمة التي نسيها عقلها فالتفت لتسأل قمر مجدداً:

-هي كانت إيه؟

أجابتها قمر باتكاءٍ على حروف تلك الكلمة حتى تستطيع حفظها:

-بتمحلي-

أومات كوكي دلالة على الفهم لتلتفت مجدداً صوب نرمن وتُخبرها بثقة:

-مالك بتمحلي على إيه...-

انفجرن في الضحك من الجهة الأخرى، على ثقته التي لا يعلمن سببها، فكانت داليا تقول بسخرية:

-بتلحس إيه يا بت هي بتاكل أيس كريم؟-

بينما في الجهة الأخرى كانت نرمن تقترب أكثر نحو كوكي وتُخبرها بكلماتٍ أقرب إلى التهديد:

-بغض النظر عن إني مش فاهمة إنت بتقولي إيه ... بس أنا مش هسيب زيزو ...
وهفضل معاه لغاية آخر العمر

التقطت صديقاتها تلك الكلمات النارية التي جعلت داليا تنصحها بسرعة:

-أوعي تسكتلها يا كوكي ... اشهقي شهقة الرقاصات وشرشعلها

لم تفهم كوكي معنى حديثها، لكنها ما إن استمعت إلى كلمة راقصة، حتى تبادر إلى ذنها شيء واحد فقط...

قهقهة رقيقة ذات رنة عالية خرجت من جوف كوكي التي تظن أنها تواكب الحارات بتلك القهقهة التي التقطتها من أحد الأفلام، تلك القهقهة التي جعلت نرمن تُحدجها بنظراتٍ أكثر غرابة وتتأكد أكثر أن التي تقف أمامها من المجاذيب، بينما في الجهة الأخرى كانت داليا تلطم على خدها وتنهر كوكي بخيبة أمل:

-يا بت مش الشهقة دي ... الشهقة الثانية بتاعت الخناقات

قطبت كوكي حاجبيها وابتعدت على نرمين كي تطلب منهن بهمس:

-هي شهقة الخناقات دي شبه شهقة الملوخية؟

أنكرت يسرى حديثها بقول:

-لأ... الشهقة بتاعت الخناقات دي فيها سحبة كدة... لما بتشوفي رقاصة بتخانق بتستخدمها، وعادة ستات الحواري بردو بيستخدموها

همست كوكي بهاتفها باستنجد:

-ماشي .. أعملها إزاي بقي؟

تدخلت قمر بالحديث كي تنجد الموقف:

-سيبك من الشهقة وخليكي في نرمين دلوقتي

استجابت كوكي لتعليماتها والتفتت وراءها حيث وجدت نرمين تقترب أكثر نحوها وتكاد تتخطاها وتتركها وحيدة في هذا المكتب، لكنها قبل أن ترحل بصقت آخر الكلمات بتهديد صريح:

-خليكي بعيد يا شاطرة عشان إنت مش قدي

بصقت تلك الكلمات ثم تركت المكتب، فما إن بقت كوكي وحدها حتى أخرجت هاتفها وقرّبته نحو فمها مع ابتسامة متلهفة غمرت وجهها وهي تقول:

-أنا عرفت حاجة مهمة ... نرمين دي شكلها أكبر مني، يعني ممكن تبقى أكبر من زيزو

قطبت داليا حاجبيها من هذا الاستنتاج الغريب الذي جعلها تسأل:

-وانتِ عرفتي منين إنها أكبر منك

آجابتها كوكي بنفس لهفتها البلهاء:

-أصلها قالتلي إن أنا مش قدّها تفتكري كان قصدها إن أنا أصغر منها؟... أصل
ليه مش هقرّب من واحدة أصغر مني يعني...

بقيت استنتاجاتها الحمقاء تخترق سماعة الهاتف وتكاد تصيبهن بشللٍ جُثماني، فكانت
قمر تهتف بحسرة:

-يا عيني عليكي يا بسملة ... عندها أم وأب أهبل من بعض

أمسكت داليا الهاتف كي تدلي آخر نصائحها بخيبة أمل:

-إمشي يا كوكي من المكتب ... إحنا قولنالِك تتخانقي معاها مش تضحكيها عليكي

صدح صوت بكاء بسملة ليخترق جلستهن ويجعل داليا تهتف بسُخرية:

-تعالِي يا بسملة شوفي خيبة أمِك...

وهكذا استمرت السُخرية بينهن بعد أن أنهت داليا المكالمة والتفتت نحو بسملة
لترعاها وتواصل الحديث مع قمر ويُسرى على أمل أن يعاودن تلقين كوكي جيداً
ومعاتبتها على تلك المهزلة، التي على الأحرى جعلت نرمين تشفق على حالتها بدلاً
من أن تهابها....

مُعظم القرارات الخاطئة التي نتخذها، نتخذها ونحن نعلم أنها خاطئة، لكننا لسببٍ أو
لآخر، لا نجد خياراً سواها...

انتهى الوضع بهم في نفس ذات البقعة التي يبدأ منها جميع المشاكل، فها هم يجتمعون مجدداً داخل البهو الخاص بمنزل إسلام بعد أن أحضروا معهم اللص الذي سيُساعدهم في تنفيذ تلك العملية، يعلمون جيداً أن السرقة ليست أفضل الإختيارات، لكن بدون هذا الجهاز لن يستطيعوا التثبيت أبداً، أي تعريض حياتهم للخطر الآن، أفضل من تعريضها للخطر بقية حياتهم.

ارتسم الامتعاض على وجه لؤي وهو يُراقب هذا اللص عن كثبٍ وداخله يتمنى تكبيله والقبض عليه هو وبقية أصدقاءه، أصبح متأكداً الآن أنه بين حفنة من المجرمين والحمقى، لكنه مع ذلك يظل صامداً يُمني نفسه بانتهاء تلك المهمة على خير وحصولهم على ذلك الجهاز اللعين لفترة مؤقتة ثم يُعيدونه مجدداً من حيث أتى.

ترأس إسلام هذا الإجتماع وكان يهتف بقيادة:

-دلوقتي إحنا اتفقتنا مع حمدي ... إن هو هيعملنا الخطة... وإحنا هنساعده

أشار عليهم مع آخر كلماته مما جعل الشكوك تتداخل بذهن لؤي الذي لمح مكنون الإشارة وتوجهها نحوه، لهذا السبب أرفد بتساؤل:

-إحنا مين ؟

آجابه إسلام بثقة:

-إحنا ... أنا وزيرو... وجابر وإنت

ما إن أنهى إسلام جملته حتى انتقلت طفرات الغضب داخل لؤي الذي لم يتفقوا معه على مشاركته في هذا الأمر، خاصة مع لص:

-إنت !!... وإنت فاكرنى هشترك معاكم في حاجة زي دي

قالها باستهجان واضح جعل إسلام يقترب نحوه ويُحاوطه بذراعه رغبة في استمالته لحصوله على مساعدته:

-يا لول بقى ... إنت عارف إن عرضنا شريف، بعدين إحنا مش هينفع نعمل حاجة زي دي من غير مساعدتك

تدخل حمدي بنقاشهم ليتحدث بنبرته السوقية ولفافة التبغ التي تتركن بين شفتيه:

-بيني وبينك يا رياسة الحوار في لبش ... عشان كدة محتاج ثلاث أربع تنفار يساعدونا.... وإلا كلنا هنروح في دوكة

استمعت قمر لحديثه وكانت في هذا الاجتماع هي وبقية النساء فيما عدا يسرى وخالد اللذان استئذنا للبقاء مع أبناءهما، تقدمت قمر نحوهم لتحاول طمأننتهم بثقة والكثير من الفخر:

-دوكة إيه ... مفيش الكلام ده ... لؤي حبيبي ظابط ومش هيسمح لحد فينا إنه يتسجن

ما إن بصقت تلك الكلمات حتى سقط فك حمدي في صدمة وشعر أنه وقع في مصيدة الفئران، أما عن لؤي فكان يكبح لجام غضبه بضغطة على شفته السفلية وتمتمته في قرارة نفسه:

-يعني أطلقها دي ولا أعمل إيه...

ظهر صوت حمدي المصدوم ليخترق نقاشهم:

-ظابط !! ... يعني إنتو عاملين الهلومة دي كلها عشان توقعوني .. طب وربنا ما هرحكم

كاد يرحل عن المنزل لولا يد إسلام التي امتدت وأوقفته محاولاً قدر الإمكان تطييب خاطره حتى لا يرحل ويُدمر خطتهم بأكملها:

-إستنى بس يا معلم حمدي يعني إحنا لو عايزين نقبض عليك كنا هنجيبك البيت بردو؟ ... مش كان الأحسن نطلب البوليس وإحنا هناك؟

توقف حمدي عن السير بعد أن بدا كلام إسلام مُقنعًا بالنسبة له، فإن كانت هذه مصيدة، لما كان الآن يتلوى داخلها بعد أن كُبلت يديه بالأغلال، مع ذلك لا يزال بعض الشك يُساوره مما جعله يفرض شروطه احتياطيًا:

-كلامك موزون ... بس كدة كلامنا هيتغير ومش هأخذ أقل من 12 ألف عربون... وإلا بقى شوفولكم حد غيري

تنهد إسلام بخيبة أملٍ ولم يجد أمامه بُدًا من الإختيار والمساومة مما جعله يهتف باستسلام:

-موافقين ... يلا بقى عشان نتفق هنعمل إيه ؟

أوما حمدي إيجابًا وعاد إلى داخل البهو حيث يجلس الجميع، ارتكن على أحد المقاعد ليسأل:

-مين إللي هيكون معايا ؟

تدخل جابر ليُعرف نفسه بفخر:

-أنا جابر ... حرامي سابقًا ... بس بتسلق وبنط وبعمل إللي إنت عاوزه

تقدم إسلام ليُعرف نفسه بفخرٍ هو الآخر:

-وأنا إسلام ... دكتور جراحة.... وأنا وجابر نقدر نراقب أي حاجة من غير ما حد يحس، وده هتعرفه بعدين

وثب لؤي عن المقعد ليقف أمام حمدي مباشرة ويرميه بنظراتٍ متوعدة قال معها بغلظة:

-لؤي ... أنا إللي هأمن ضهركم ... بس عارف لو حاجة تانية غير الجهاز اتسرقت هعمل فيك إيه ؟

كاد يمسكه من تلايبه لولا يد إسلام التي حالت بينهما كما السد الذي يحول بين المياه الراكدة والمُندفعة.

-إهدى يا عم لؤي ... خلينا نخلص من العملية دي وكل واحد يروح لحاله

زفر لؤي الهواء من فمه بضيقٍ ثم عاد إلى مقعده متجاهلاً تلك النيران التي تنبعث بداخله وتقسم على إضمار الحريق حوله.

وجه حمدي أنظاره نحو مُعترز الذي يجلس في عالمٍ آخر يُتابع ما يحدث من بعيد ولا يعلم ماذا يقول، فهو الآن أشبه بالبطة السوداء التي تجلس بين أقرانها من البط الأصفر، وجد حمدي يوجه الحديث نحوه كي يسأل بفضول:

-وانت بقى ... مش هتقول إنت مين ولا لازمك إيه ؟

انتبه معترز لحديثه فرفع وجهه نحوهم في تبلمٍ لا يعلم حقاً ماذا يُجيب، فلا يتذكر أي من الإنجازات أو المهارات التي لديه، فمثلاً إسلام، يتمتع بالذكاء في بعض الأحيان، ناهيك عن قُدرته التي تجعله يتحوّل إلى روح طائفة وكذلك جابر الذي أضاف على قُدرته كونه يتسلق ويقفز بمهارة، أما لؤي، فهو الوحيد القادر على استخدام الأسلحة والقتال والدفاع عنهم، لكنه لا يمتلك أي من المهارات، ولا يعلم حتى فائدته في تلك العملية، ومع ذلك أراد أن يدلي أي من المهارات حتى يشعر بالقليل من الفخر أمام هذا الغريب.

-أنا...أنا... أنا إلی بحط النص لمونة في التلاجة

أحقاً هذا ما جال بخاطرك الآن !! هكذا حدث نفسه بعد أن بصق تلك الكلمات التي خرجت في محاولة منه لتعظيم نفسه، فما إن استمعوا إلى حديثه الأبله حتى بقيت الوجوه تُحدق به وحالة من الصمت تتلبسهم تلتها عوالم الاستفهام التي لطخت وجه حمدي وجعلته يقول:

-ها !؟

تدخل إسلام ليدخل في صلب الموضوع:

-سيبك منه ... دا زيزو ... وهو إلي هيسوق

أوما حمدي مُتفهمًا لتَمُر برهة قصيرة من الصمت اعتدل فيها إسلام في جلسته قبل أن يُعاود الحديث بقيادية:

-كدة إحنا عرفنا إلي هنعمله ... مخيم وحسن هيقعدو مع حمدي يفهموه شكل الجهاز والمعمل من جوة

أشار على مخيم والحسن الذي يجلس بجواره والذي هتف باعتراض ونبرة غاضبة :

-اسمي الحسن

أشاح إسلام بيده بلا مبالاة ليواصل الحديث بنفس تلك القيادة:

-ما علينا ... البنات هيفضلو في البيت... ولو حصلنا أي حاجة، داليا هتعرف وهتبلغكم

أومأت الفتيات إيجابًا ورضخن ببقائهن في المنزل هذه المرة حتى لا تزداد الشكوك حولهم عندما تتوقف العديد من السيارات أمام المعمل، وفي جميع الأحوال إذا حدث لهم أي مكروه، فستنتقل داليا إلى جسد زوجها أو جسد جابر وتعرف ما يحدث معهم بتفاصيله.

-أنا ولؤي وجابر ... هندخل المعمل مع حمدي ... ومُعتر هيستنى في العربية
عشان نهرب علطول

أومأوا رؤوسهم إيجابًا مما جعل إسلام ينتهي من الحديث بجُملة صارمة:

-استعنا على الشقى بالله ... بكرة هنفذ العملية....

الفصل العاشر (وقع بين يديه)

مع أننا نعلم أن نتائج الأخطاء وخيمة، لا نتوقف عن ارتكابها، بل ونُكررها مرارًا أيضًا حتى أصبحت الأخطاء جزءًا من حياتنا اليومية، وإذا سألني أحدهم لمَ ترتكب هذا الخطأ؟ فيكون الرد دائمًا، أن الإنسان خُلق كي يخطأ....

سواد قاتم غشى أركان المعمل في ساعاتٍ متأخرة من الليل، صرير الحشرات الليلية يحجب صوت أنفاسهم المتلاحقة الخائفة من الوقوع في كارثة أكبر.

أقدام تتحرك فوق سفحة من الأرضية اللامعة التي أظهرت حذاءً جلدًا أسودًا مُهترئًا، خطواتٌ لا تحمل من الأصوات قيد أنملة وهي تتحرك في أعقاب الرواق ببطءٍ يُشبه ببطء وهدوء السلحفاة، تتلفت رأسه في جميع الاتجاهات مُتذكرًا كيف اقتحموا المعمل بعد أن قامت كوكي بتعطيل كاميرات المراقبة فاستطاعوا تسلق أحد النوافذ الأرضية الخاصة بحُجرة العاملين، والتي منها استطاعوا الانسلاخ داخل المعمل وصعود الطابق الثامن باستخدام المصعد دون أن ينتبه لهم كواد الحرس بعد أن قام مُعتز بتعطيلهم حسب الاتفاق.

يتلفت حمدي يمينًا ويسارًا بذاك القناع الذي يُغطي وجهه ويساعده على عدم الانكشاف مثل بقيتهم، ما إن تأكد أن الطريق آمنًا حتى أشار لجابر الذي كان يتحرك خلفه مباشرة، توفقت قدميهما أمام حُجرة ذات بابٍ من المعدن مؤصّدٍ بإحكام، لكن حمدي استطاع بمهارة أن يُدثر نصل إحدى الأدوات الحادة التي يستخدمها دائمًا في فتح الأبواب المؤصّدة.

انفتح الباب بهدوءٍ وصوت أزيزٍ خافت حاول حمدي احجامة قدر المُستطاع، ما إن توّغل كلاهما داخل الحُجرة حتى أغلق جابر الباب وشرع يبحث عن الجهاز برفقة حمدي.

لم تدم مُدة البحث طويلًا لأن الجهاز لم يكن مُتدثرًا، فكان أمام أنظارهما ما إن فتح حمدي الباب مباشرة، هذا ما جعلهما يهرعان نحوه ويحاولون فك الأسلاك عن ذلك الجهاز حتى يستطيعا حمله والعدو به قديمًا، كانت الأوضاع هادئة، لكن الهدوء لم يدم

طويلاً، فأثناء محاولتهما للهرب إذا أنهما يستمعا إلى صوت واحدٍ من الحُرّاس يهتف من وراء الباب مباشرة:

-عباس ... أنا تقريباً كدة سمعت صوت جوة...-

على جهة أخرى كان يتجوّل إسلام بترٍ داخل المعمل في المحيط الذي تقبع به الحُجرة المرادة، فكان مخيمر هو من أخبرهم عن المكان الذي يوضع به هذا الجهاز دائماً، فوجود مالكٍ آخرٍ لهذا المعمل لا يعني بالضرورة تغيير أماكن الأجهزة والمُعدات، خاصة وأن الحُجر المعملية صُممت خصيصاً لتلك الأجهزة.

اخترق أدنيهما صوت ذاك الحارس الذي يهتف أمام الحُجرة المرادة، ظن لؤي أن الخطر وشيك ف جذب إسلام بسرعة ليلتصق بجواره على الحائط قبل أن يراهما الحارس.

-لازم نلهم-

قالها إسلام بصوتٍ هامسٍ يكاد يكون مسموعاً، فأجابه لؤي بنفس تلك النبرة الهامسة :

-عايزين نعرف الأول مكان مخرج تاني عشان نعرف نهرب-

فكر إسلام هنية لتمر بينهما بُرهة من الصمت قطعها إسلام بعد أن أتته فكرة وأنارت عقله:

-جاتلي فكرة ... خليك هنا وأنا وشوية وهاجي-

لم يكذب لؤي رأيه حتى وجد إسلام يستلقي على الأرض مُغلّقاً عينيه غارقاً في سُباتٍ عميقٍ حوّلته من جسدٍ مُتحركٍ إلى جُثة هامدة، هذه الجُثة كانت تتجوّل روحها في الرواق ثم تركض بسرّعة غير عابئة بالحُرّاس الذين اخترقتهم بسلاسة ويُسّر، فلا أحد يستطيع رؤيته من الأساس وهذا ما سيُساعدهم في تلك المُعضلة.

هرول بأقصى ما لديه حتى توقف أمام نافذة عريضة تُشرف على البوابة الرئيسية، أخرج جذعه خارج المعمل ليتلفت برأسه حيث البوابة التي اخترقوها والتي أضحت الآن مليئة بالحرس، بقي يتلفت بجذعه بحثًا عن مخرج آخر حتى التقطت عينيه بمخرج يقبع خلف المبنى، ويبدو أنه مخرجًا للعمال والموظفون.

ابتعد عن النافذة بسرعة وعاود الهرولة مجددًا حتى عاد إلى جسده يحاول التقاط أنفاسه قبل أن يثب عن الأرض متفوهًا:

-البوابة اللي جينا منها مليانة حرس، تقريبًا كدة نبطشيتهم بدأت ... بس البوابة اللي ورا فاضية، لازم نلحق نمشي من هنا قبل ما تتملي

أوما لؤي متفهمًا ثم قال:

-ادخل جوة جابر وقوله ... لازم يعملو حسابهم إن خطة الهروب اتغيرت...

تصلبت أهدابه واتسعت حدقتيه ما إن اخترقت تلك الكلمات أهدابه، كان يقف مباشرة أمام حمدي الذي يحمل الجهاز بين يديه وعوالم الترقب مُتمثلة على عينيه الثاقبة.

استمعا إلى طرقات الباب وصوت الحارس الذي لم يترك مكانه مما جعل حمدي يضع إصبعه على مُنتصف شفثيه ويهتف بتحذيرٍ وصوتٍ خافتٍ للغاية:

-شش ... متحركش

أوما جابر في صمتٍ تامٍ مُستجيبًا لتعليمات حمدي بعدم الحراك والمحافظة على هدوءه قدر المُستطاع، فما هي إلا بُرهة من الزمن حتى انتفض جسده لا إراديًا ليحل إسلام محله ويُحذق بالوضع الذي هُم به، لم يفتح فمه ولم يتفوه بأي حرفٍ أمام هذا اللص الغريب الذي بالطبع لن يتفهم قُدرته المجنونة ولن يجد الوقت الكافي ليشرح له حتى، لذلك اكتفى بلؤي الذي من المُفترض أن يُخبر جابر عن تغيير الخطة فور أن ينتقل جابر إلى جسد إسلام ثم يعود مجددًا إلى جسده بعد المُدة المُحددة.

على الصعيد الآخر، وبعد أن عاد إسلام إلى جسده كان يهمس لؤي:

-مينفحش نتدخل ... لو اتدخلنا كل حاجة هتبوظ ... شوية والحارس ده هيمشي

أوما إسلام إيجابًا وكادا يتحركا صوَّب المخرج ليؤمنا الطريق أولاً قبل أن يليهما جابر وحمدي، لكن ما حدث أوقف آمالهما وهوى بخططهما على أرضٍ صلبة.

صوت الزناد وهو يتحرك اخترق أذنيهما وجعل أوجههما تُحتقن، ما إن التفتت إسلام وراءه، حتى وجد واحد من الحرس يرفع سلاحه أمام وجهه ويهتف بصرامةٍ وحدة:

-إنت مين إنت وهو ؟....

اختفى الصوت أخيرًا ويبدو أن الحارس قد ترك الحُجرة وعاود التجوُّل داخل المعمل ليتفقد أمانه خاصة المخازن التي تحتوي على النقود والأوراق المُهمّة، فتلك هي أكثر الأشياء التي يتم سرقتها من المعمل.

تحرك حمدي فورًا صوَّب الباب ومعه الجهاز الذي أصرُّ على حمله مُتحمجًا بكونه الأكثر مهارة في السرقة وما يخص تلك الأمور، تبعه جابر ثم مدَّ يده ليلتقط الجهاز عنه حالما يُعاود حمدي غلق الباب مجددًا بإحكامٍ منعًا للشكوك، تحرك جابر القليل من الخطوات السريعة الانسيابية حتى قطعهُ صوتٌ مُرتفع مصوَّب نحوهما...

-حرامية....

في أقل من ثانية، تغيرت الأوضاع من الهدوء والسكينة إلى الضجيج والضوضاء، انتشرت صافرة عالية صمّت أذانهم مع تلك الأضواء الحمراء التي يتم إطلاقها في حالة الطوارئ، انتهز لؤي الفرصة وانشغال ذلك الحارس بهذه الضوضاء مما جعله ينقض عليه ويركله في معدته ثم يلوي ذراعه حتى يسقط سلاحه ويستطيع لؤي انتشاله قبل أن يلتقطه الرجل ويصوِّبه عليهما مباشرة.

هرؤل لؤي بسرعة وخلفه إسلام وصوت الأقدام تهرول خلفهم في الرواق، وجدا كلاً من جابر وحمدي يهرولان أيضا حتى التقيا أمام المصعد، اعترضهما واحد من الحُرس مصوَّبًا فوهة سلاحه أمام باب المصعد لكن جابر تصرف بسرعة وأعطى الجهاز إلى إسلام كي يلتقط مطفأة الحريق ويهوي بها على رأس الحارس من الخلف.

زاد عدد الحُراس وأصبح الجميع يُطلق أعيرة نارية ويهتفون باسم اللصوص مما جعل حركتهم تزداد سُرعة ويستقلون المصعد ليضغط لؤي بسُرعة على الطابق السفلي حتى يهربوا من ذاك المعمل.

توقف المصعد عند آخر طابق ليخرج منه إسلام أولاً ويتلفت في كل مكان ليتأكد أن الطريق آمناً، ظن حمدي أن إسلام لن يستطع الهرولة ومعه ذاك الجهاز فعرض عليه المساعدة وأخبرهم بثقة طاووس أنه يستطيع إخراجهم من تلك المحنة، فتلك المطاردات من روتينه اليومي.

تقدمهم حمدي وهرول صوب النافذة التي قفز من خلالها بمهارة وتبعه جابر بسبب سُرعة ركضه وإمكانيته على القفز مثل تلك القفزة، أما إسلام ولؤي، فكانا بأخر الصف يؤمنا الطريق لهما ثم يتبعانها من خلال تلك النافذة التي أبطأت حركتهما وجعلت جابر وحمدي يسبقانها بعدة أمتار.

استطاعوا أخيراً الهرب من ذاك المعمل، وأضحوا الآن يركضون في الطرقات المُظلمة بحثاً عن السيارة، كان الجهاز بحوزتهم، وكان كل شيء على ما يُرام بخلاف المعمل الذي غمرته عناصر الشُرطة وأضحت تُحقق في تلك الجريمة، والتي ربما جعلتهم يكتشفون إختفاء الجهاز، ومع ذلك لم يُعطوا بالأل لعناصر الشُرطة والتي على الأحرى لن تستطع العثور على الجاني بسبب حذرهم الشديد، كما أنهم سيُعيدون هذا الجهاز بعد أن يستخدموه ويتأكدوا من أن أجسادهم قد نُبتت ولا مزيد للكوارث مجدداً.

توقفت أقدامهم أمام السيارة التي أدارها مُعترز بسرعة استعداداً للرحيل، لكن في هذه اللحظة، بدأت الأقنعة تنكشف، والستائر تُزاح، فقبل أن يصعد حمدي إلى السيارة قام بركل جابر ركلة قوية جعلته يسقط على الأرض، لا يعلم جابر لم فعل حمدي هذا، لكن ما حدث بعدها أكد له جميع شكوكه.

أخرج حمدي سلاحه المُتدثر أسفل سرواله وأشهره أمام مُعترز الجالس داخل السيارة مُحتقن الوجه يتصبب عرقاً، فقط يستمع إلى صُراخ حمدي الغليظ الأمر:

-انزل بدل ما أفجر دماغك

أبى مُعترز الحِرَاك ووجد جسده مُتصلبًا مكانه، حتى استمع إلى صوت طلقة نارية
تخترق زُجاج السيارة ثم....

يرتفع صوت عقارب الساعة كلما مرّت الدقائق وازداد معها وتيرة القلق، آذان الفجر
قد صدح حولهن مُعلنًا عن تخطي الساعة للرابعة فجرًا، ولم يعد أحد بعد، وهذا ما
يجعلهن غارقين في عُمره الارتباك والخوف عمّ إذا صادفهم أي مكروه.

مرّت ساعة أخرى قاموا فيها بتأدية صلاة الفجر ثم عادوا مجددًا إلى الأرائك ليرتمين
عليها بإرهاقٍ جامٍ لمحاولتهن المُستميته في مُحاربة وحش النُعاس الذي يُسيطر على
كل شبرٍ بجسدهن، أرخت قمر رأسها الثقيل للوراء ثم أعادته مُجددًا للأمام كي تقول
بنفاد صبر:

-داليا ادخلي جوة إسلام ولا جابر وشوفي هُما فين اتأخروا أوي

كانت داليا مُسترخية هي الأخرى تكاد تغرق في سُباتٍ عميقٍ وهي تُجيبها بصوتٍ
خافت مُهمهم:

-تلاقيهم جاين

لم تكذ تُنهاي حديثها حتى استمعن إلى صوت الباب الذي يتم فتحه ليجعلهن ينتصبين
واقفين ويُهرعن سريعًا صوب الباب.

شهقة مدوية خرجت من جوف كوكي التي غطت فمها المفتوح من هول الصدمة،
فكانت الدماء الغزيرة تتقاطر من كتف مُعترز مما أحال لون سُترته إلى اللون الأحمر،
ساعده إسلام على دخول المنزل هاتفًا بلكنة أمرة تحمل شيئًا من الغضب:

-وسعو من قُدامي...

أكمل طريقه صوّب الحُجرة ليقطب جراح مُعتر مُستغلاً مهنته كطبيبٍ جراح،
تحركت داليا بضع خطواتٍ خلف إسلام حتى تسأله بفضولٍ وهلع:

-إيه إلهي حصل ؟ ... الجهاز فين ؟

لم يُجبها إسلام وواصل طريقه صوّب الحُجرة وبجواره مُعتر الذي يتأوه من الألم،
وخلفهم تتحرك كوكي لرغبتها الجامحة بالاطمئنان عليه.

إقتربت قمر من لؤي حتى تسأله هو وجابر بهلع:

-عملتو إيه ؟... سرقتمو الجهاز ؟

تنهد لؤي تنهيدة حارقة وهو يرتمي على الأريكة ويُجيبها بنفس تلك اللكنة الغاضبة:

-لأ ... إحنا إلهي اتسرقنا

زادت كلماته من ذعرهما فارتمت داليا على المقعد المُقابل لمقعد لؤي حتى تستفسر
أكثر عن طبيعة ما حدث، فكانت تسأل بضربات قلبٍ تتصاعد رويداً:

-اتسرقنا إزاي ؟... وحمدي فين ؟

لم يستطع إجابتها لأنه يشعر أنه على حافة الانفجار وتدمير المكان حوله بسبب ذلك
الحقير الذي أوقعهم في خديعته، تولى جابر ضفة الحديث بشرحه:

-حمدي سرق الجهاز وضرب نار على مُعتر ... وبعدها سرق العربية وهرب

قالها مُستذكراً هرولته خلف حمدي حتى توقفت أقدامه أمام جسد مُعتر المسجي على
الأرض والدماء تتقاطر من ذراعه، فعلى ما يبدو أن حمدي حاول قتله لولا ابتعاد
مُعتر في اللحظة الأخيرة وميله جهة اليمين مما جعل الرصاصة تخترق كتفه الأيسر
وربما أصابته بخدشٍ فقط حسبما قال إسلام، لكن في جميع الأحوال، قام حمدي
بخداعهم، وسرق الجهاز وكذلك السيارة.

-وانتو رُوحتو إزاي؟

قطعت قمر شرودهما بهذا السؤال الذي أجاب عليه جابر:

-وقفنا عربية وطلبنا منها ترؤحنا ... وطبعًا عشان لؤي ظابط فالسواق فضل ساكت ومسألش كُنا بنعمل إيه ولا عن إللي حصل لمُعتر

غمر اليأس جنباتهم وجعلهم يتلؤون في نيران الغضب والنتيه من تلك المُعضلة التي تَواجههم، فالجهاز الآن أضحي بعيدًا كل البُعد عنهم، بعدما ظنوا أن تلك الطريقة الخاطئة قد تُقربهم من هدفهم، فالحقيقة أن الأخطاء لا تُخلف وراءها سوى أخطاءً أكبر.

بعد فترة قصيرة من الصمت سألت داليا بتيه:

-هنعمل إيه؟... أكيد مش هنسيب حمدي ده يقلت بعملته

أنهت الحديث بطفراتٍ من التحدي جعلت النيران تزداد غليانًا داخل لؤي وتجعل السنة الانتقام تلتهب وتُحرق دواخله؛ وثب عن الأريكة وثوب الدُب من كهفه بعد نومه لأشهرٍ في هدوءٍ تام، بصق الكلمات من جوفه بحدة جعلته يقول:

-محدث فيكم يتدخل ... وحمدي ده أنا إللي هجيبه وهدفه التمن

ألقي تلك الكلمات ثم ترك المنزل وتبعته قمر بعد أن أشارت لها داليا بعينيها حتى تطمئن عليه وتُحاول تهدئته، فهي تعلم نوبات الغضب التي تُقابل لؤي حالما يخسروا بأية معركة أو تُحدِ يواجههم، فهو يتحوّل كالأسد الشرس الذي على أتم استعداد للفتك بما تتلقاه عينيه.

بعد رحيل قمر، قرر جابر أن يرحل هو الآخر وينال قسطًا من الراحة على أمل أن يُقابلهم غدًا ويحاولوا النقاش فيما حدث، أما بالجهة الأخرى، فكان إسلام يجلس على الفراش وجواره مُعترٍ يحاول كُتمان ألمه وهو يُتابع إسلام الذي يقوم بخياطة الجرح

وتعقيمه جيداً باستخدام مُعداته الطبية الموجودة داخل حُجرتَه، فالجميع يجتمع داخل منزل إسلام ودالياً.

-مش كنا روحنا المُستشفى ؟

سأله مُعترز حالما انتهى إسلام من تطبيب جرحه وبدأ يعاود وضع المشرط والخيوط الطبية والمُطهرات داخل حقيبة الأدوية الخاصة به.

-مُستشفى يعني سين وجيم ... وساعتها هيعرفو إحنا كنا بنعمل إيه

هكذا آجاب إسلام وهو مُنهمكٌ بوضع الأدوات الطبية، وكانت إجابته مُقتعة بالنسبة لمُعترز، فما كانوا يفعلونه لا يجب أن يخرج للعيان أبداً، وإلا ضاعت أحلامهم وأيامهم المُقبلة، وثب إسلام عن المُقعد وأردف مُستئنفاً:

-هروح اعقم الأدوات وآجي

أوما مُعترز إيجاباً لِيُتابع إسلام وهو يترك الحُجرة ويبقى هو على الفراش لِبُرهة قصيرة من الوقت قطعها صوت أنامل رقيقة تقترب صوّبه يليها ظهورها أمامه بأعينٍ حمراء لا يعلم من الإنهاك أم من البكاء، فقط عيناينِ حمراءٍ حول حدقتها الزرقاء الأشبه بالبحار الصافية، ترقرت دمة حارقة على وجهها الأبيض الرقيق فأزاحتها بأناملها ونصبت قامتها أمامه وهي تسأل:

-إنت كويس ؟

ضربت بكلمات صديقاتها عرض الحائط عندما وجدته يتألم أمامها والدماء تُغرق ملابسه، فكان ما حدث حرُّك مشاعرها وجعلها تتأكد أنها لا تستطيع مواصلة الحياة بدونَه، ولا تستطيع حتى على رؤيته يتألم، فصوت أنينه يجعل قلبها يتحطم ويتحوّل إلى شظايا تكاد الشظية الواحدة تُرى بالعين المُجردة.

كلماتها الرقيقة جعلت حصونه تنهدم ولسانه ينعقد، يرغب في احتضانها والغرق في عبيرها لكن جسده يمنعه ويجعله يُجيبها بجفافٍ عكس ما يدور بداخله:

-كويس ... إنتِ .. كويسة ؟

سألها بارتباكٍ فوجدها تخفض رأسها بعيدًا عن عينيه التي لم تُزل عن خاصتها وكأنه يشتاق عينيها الزرقاء وشعرها البُرْتقالي الأملس.

بقي يُتابع وجهها في صمتٍ حتى لاحظ قطراتٍ من الدموع تنسكب على ركبتيها مع وجهها الذي يزداد احمرارًا إلى أن قالت بصوتٍ مُتقطع:

-كنت خائفة عليك

تراقصت الفراشات داخل قلبه عقب كلماتها الرقيقة التي جعلته يُحلق في السماء عاليًا، وجد الابتسامة تُرسم تلقائيًا على وجهه مما جعل حرجها يظهر للعيان وتبدأ بسبب نفسها عما تفوّهت به من كلماتٍ حمقاء، فهو الآن يقول أنها لا تستطيع أن تعيش بدونه وهذا ما لا تُريده أبدًا ... تبًا لهذا القلب الذي يجعلها تتحدث وتتأمل على مبادئها.

هكذا كانت تلعن نفسها في قرارة نفسها حتى قطعها هو بكلماتٍ هادئة:

-أنا كمان كُنت خائف عليكِ ... من ساعة ما سيبت البيت وانا مش بفكر غير فيكي ... وأكثر من مرة حاولت أوصلكِ بس...

بتر كلماته عند تلك النقطة ليجدها ترفع رأسها ببطء وتتابع حديثه الذي تبدل إلى الاشتياق والتوسل مرة واحدة:

-وحياة بسملة بنتنا ما قرّبت منها ... وعُمري ما بصتلها...

أشار بإصبعه ناحية فؤاده ليهتف بصدقٍ نابعٍ من طيات قلبه:

-هنا مفيش حد غيرك إنتِ وبنتنا وأنا مُستعد أعمل أي حاجة عشان تسامحيني ... وعلى فكرة أنا حاولت أرفدها من الشركة ومعرفتش بسبب شرط الجراء ... بس لو عايزاني أسيب الشركة باللي فيها أنا معنديش مانع ... المهم ترضي عني

كلماته الرقيقة الهادئة تغلغت في طيات قلبها وجعلتها تخرج من عُمره صمتها
بكلماتٍ معارضة:

-لا ... خليك في الشركة بتاعتك ... إنت تعبت عشان تبنيها

صوب نظراته الملتاعة على عينيها مباشرة وهو يسألها بترج:

-يعني إنت راضية عني ؟

أخفضت وجهها وحاولت إزاحة عينيها عن خاصته كي لا يستشف نظراتها الخجولة،
بعد بُرهة من الصمت وجدها تقول بنبرة خافتة جاهدت حتى تمنع معها حرجها:

-أنا أصلاً مش متضايقه منك ... وعارفة إنك مبصتتش للحرباية دي إلی اسمها

نرمين I was just angry when I saw the video

زادت بسمته اتساعاً حالماً تأكد من صفاء قلبها من ناحيته، كانت بسمته المُشرقة كفيلة
بجعلها تبتسم هي الأخرى وتتقابل عينيها لأول مرة بعد غيابٍ دام لبضعة أيامٍ أشبه
بالدهور بالنسبة لهما، فكانت أياماً صعبة وثقيلة مُحملة بالجروح والأوجاع، وها هي
الأوجاع تُمحي والجروح تُلتئم حالماً عادت نصفه الآخر ودواء سُقمه الذي بعودتها
أشرق شمس حياته من جديد.

رفع يده بحنوٍ لترتخي أنامله على وجنتها الصافية ليقترب نحوها أكثر ويُخبرها
بكلماتٍ رقيقة نابعة من القلب:

-أنا بحبك

عضت شفتها السفلية بحرج جعل وجهها يتحوّل إلى اللون الأحمر وبريق عينيها
يسطع في الأرجاء وهي تقول:

-وأنا كمان

قالتها بحرج بالغ تبعه نظراتهما العاشقة التي لم تدم سوى ثوانٍ معدودة قطعها داليا التي اقتحمت الحُجرة بشهقتها المصدومة وكلماتها الحانقة:

-وحياة أمك ... وأنا كمان !! ... هو ده إيلي قولتلك عليه؟

ارتبكت كوكي وارتعدت فرائسها وكأن داليا اقتحمت الحُجرة ورأتها في وضع مُخل، ابتعدت كوكي عن مُعترز لثُحاول التبرير لداليا الواثبة أمامها مباشرة:

-دا... دالـ..داليا أنا كُنت بس...

بقيت تُتهته بالحديث حتى طُفح الكيل بداليا وانقضت على كوكي لتجذبها من سُترتها وتحاول دفعها خارج الحُجرة بكلماتها الناهرة التي تُشعرك وكأن كوكي طعننها من وراء ظهرها:

-إنت لسة هتهتهي؟... دا أنا قفشاكم على السرير ... أومل لو كنت اتأخرت شوية كُنتو عملتو إيه؟

حاولت كوكي التبرير للمرة الأخيرة:

-يا داليا بس اسمعي..

قطعنها داليا لتتهتف بتهكم:

-أنا قولت من الأول إنك مدلوقة وهرجعيله ... بس ترجعيله في بيتي !! .. وعلى سريري !! ... إنتو فاكرنها سايبة ولا إيه؟... لااا .. البيت ده طاهر وهيفضل طول عُمره طاهر

أنهت حديثها تزامناً مع ترك كوكي للحُجرة تماماً ليبقى مُعترز وحده غارقاً في عالمٍ آخرٍ لا يزال غير مُصدقٍ أنها عادت إليه وسامحته بعد مُحاولاته المُستميته، لكن هيامه لم يدم طويلاً بسبب داليا التي التقت نحوه لتردف بتهكمٍ وأعينٍ مُستنكرة:

-يلا يا حلو إنت كمان من هنا ... مش إسلام خيطلتك الجرح ؟

انتبه مُعترزٍ لحديثها وحدثها بنظراتٍ بلهاء جعلتها تُعاود الحديث بصوتٍ مُرتفع:

-يلا من هنا إنت لسة هتتُح ... يلا روح للسنيورة بتاعتك

أوما مُعترزٍ برأسه ثم وثب عن الفراش ليترك المنزل بأكمله وتبقى داليا وحدها داخل الحُجرة بعد أن رحل الجميع وارتمت هي على فراشها بجسدٍ مُنهكٍ ورغبة جامحة في الاستلقاء والغرق في أحلامٍ عميقة.

استلقت على الفراش وغطت جسدها بغطاءٍ سميكٍ لأن الشتاء يطرق الأبواب، لا يزال جوفها يُتمتم بكلماتٍ مُغناظة مما حدث مُنذ قليل:

-عيال منزقة ... أومل لو إسلام شافهم كان عمل إيه

-خير ... سمعت اسمي

هكذا قال إسلام بعد أن سَمِعَ تمتتها وهو يدخل الحُجرة بمنامته التي ارتداها في المُرحاض، ارتمى جوارها على الفراش ليجدها تُحادثه بغضبٍ عما حدث مُنذ قليلٍ وتُخبره عما كان يفعله مُعترزٍ وكوكي بطريقةٍ ساخرة امتزجت باستنكارها واشمئزازها من تلك العلاقة السمجة، فإذا كان هُناك مُشتركٌ بينها وبين إسلام، فسيضحى انعدام الرومانسية هو هذا الشيء، أو بالمعنى الأدق، هو الشيء الذي اكتسبته داليا منذ أن تعرفت على إسلام الذي استطاع بسُخريته وتهكماته أن يجعلها تمقت كل ما يخص الرومانسية والعواطف الجياشة.

بعد بُرهة من الأحاديث عن هذا الموضوع، بدلت داليا نبرتها إلى الجدية وهي تسأل:

-صحيح إحنا هنعمل إيه بعد ما إن شاء الله نجيب الجهاز تاني ؟ ... عمالة أفكر في الموضوع ده من ساعة العملية الشوؤم دي

اعتدل إسلام بجلسته على الفراش وطفق يُمعن التفكير في حديثها، فهو كذلك لم يُفكر في تلك الخطوة، ولا يعلم متى كان سيُفكر بها.

-مش لما نجيب الجهاز الأول..

قالها بسُخرية لرغبته بإنهاء الحديث والنوم، لكنه يجدها تقترب بجذعها نحوه وتصرُّ على بقاءه مُستيقظاً وإجابته على أسئلتها حتى لا تئرق مضجعا:

-إن شاء الله هنجيبه بس لما نجيبه بقى إزاي هنجربه علينا إفرض حصل زي ما حصل لبطة، ومحاولة التثبيت خلينا منعرفش نرجع جسمنا تاني ؟

بقي لبرهة في حالة من الصمت حتى تنهد تنهيدة يأسه قال بعدها:

-مش عارف ... أنا كمان قلقان من الموضوع ده وخايف لتكون طريقة التثبيت دي محتاجة تعديل

حركت إصبعها قُرب شفتيها السفلية لتغرق في عالم من التفكير جعلها تبقى في حالة من الصمت قطعنها برفع سبابتها لأعلى وتقووها بلهفة:

-عرفت ... لما نجيب الجهاز ... نجربه على ناس تانيين غيرنا ... يكونو بردو مُتقلين وعايزين يتثبتو ... عشان لما التثبيت يفشل ... نعرف نساعدهم ونرجعهم جسمهم ونعرف كمان طريقة التثبيت الصحيحة وبعدها نتثبت إحنا كمان

راقت له فكرتها وجعلته يُفكر بحديثها لبرهة حتى قال بإعجاب:

-مممكن ... بس هنلاقي مُتقلين تانيين إزاي ... إحنا منعرفش غير جابر، وجابر مش عايز يتثبت

إقتربت نحوه أكثر وهي تُدلي اقتراحها:

-ممکن نكتب على الفيس تاريخ ميلادنا ونسأل مين اتولد معانا في نفس اليوم،
عشان نعرف مين تاني شبهنا.... أنا بشوف الترنده كثير

كان حديثه مُندفعًا يسخر به من اقتراحها الأحمق:

-أه ... عشان جماعة ضُرغام وإلي زيه يعرفو كل المُتقلين ويخلصو عليهم واحد
واحد .. مش كدة

ضربتُ جهبتها من شدة غبائها وعدم تفكيرها بما يخص ضُرغام وما حدث بالماضي
معهما، فعلى الأحرى، هناك من يبحث عنهما خاصة وهما يعلمان جيدًا، أن هناك
مُنظمة لا تزال تلاحق جميع المُتقلين وتسعى للوصول إليهم.

بقيت في حالة من الصمت لوهلة قطعتها بكلماتٍ خافتة:

-أنا إزاي مفكرتش في كدة ... طب إحنا هنلاقي مُتقلين مينين ؟

لم يُجيبها إسلام وقرر أن يتدثر داخل الغطاء ويحاول إنهاء الحديث معها ونسيان تلك
الليلة الصعبة:

-نامي يا داليا ولما نجيب الجهاز نبقى نشوف هنعمل إيه ؟

تنهدت داليا بخيبة أملٍ ثم تدثرت مجددًا داخل الغطاء لتستلقي على ظهرها استعدادًا
للنوم، فلا تعرف كيف سيزورها النوم طالما تلك الأفكار تدور حول رأسها وتقسم
على منع النوم من أن يدق حصون منزلها ويجعلها تنعم بالاسترخاء ولو بضع
ثوانٍ....

بدأت شذرات النهار بالسطوع، وكان مُعتز في هذه الأثناء داخل المنزل الخاص
بميجو يضرب أمتعته بسعادة بالغة لأنه أخيرًا سيعود إلى عُشه الزوجي بعد أن سامحته

كوكي وسمحت له بالعودة لها ولابنتهما الصغيرة، كان يجر حقيبة سفره الصغيرة في الرُدهة غير مُكرثًا بالفوضى التي تَعْمُ المكان والتي جعلته يقول مُستنكرًا:

-إبقى هاتلك واحدة تنضف الشقة ... إزاي عايش في الرزبية دي ؟

وجهٌ حديثه صوّب ميحو الذي يستلقي على الأريكة ومعه دفترًا وقلماً يدوّن به على ذاك الدفتر وكأنه يحل أحد الألغاز، فعادة ما يبقى ميحو مُتيقظًا حتى شروق الشمس بسبب عمله بالملهى الذي يدوم حتى آذان الفجر، والذي يعود بعده إلى المنزل ويواصل سهرته الماجنة حتى يلقاه النوم على الأريكة، إنما هذه الليلة، كانت الأوضاع مُختلفة تمام الاختلاف، فطوال اليوم لم يكن يفكر سوى بشيءٍ واحدٍ فقط، شخصٍ واحدٍ لا يعلم كيف كان قادرًا على سرقة عقله وجعله في حالة من التيه والتفكير، حتى أنه لم ينصت إلى كلمات مُعترٍ ولم ينتبه لنظراته العجيبة التي تُحدق به في غرابة، فعادة ما يراه مُعترٍ أما يُدخن من تلك اللفائف المُذهبة للعقول، أو يحتسي الخمر ويُشاهد أحد الأفلام بحالة مزرية أقرب للفوضى أو للملهى الليلي الذي يعمل به.

-بقولك إيه يا زوز ... تفكر ليه النمل بيتلم على السكر ... ومش بيتلم على الملح ؟

قطب مُعترٍ حاجبيه إثر هذا السؤال الأحمق لأنه لا يعلم لم يسأل ميحو عن النمل ؟ ترك مُعترٍ حقيبة سفره ليقترّب نحو ميحو بعوالمٍ حائرة لا يُزال يفكر بسؤاله العجيب حتى أجاب ببلاهة:

-معرفش ... يمكن دمه خفيف

حرّك ميحو القلم بين أصابعه أمام دفتر الأوراق وهو يُجيب مُعترٍ:

-بس النمل مش عنده دم

أبعد مُعترٍ حدقتيه عن ميحو وهو يهتف باستنتاج:

-أأاه ... عشان كدة بقى لما باجي اقتل النملة صاحبته مش بتعيط عليها ... أتاريها
معدهاش دم

قطب ميغو حاجبيه بغرابة تزداد أكثر حتى جعلته يسأل:

-إيه ده !! ... هو النمل ممكن يعيط؟

لؤح مُعترز بيديه وهو يُفسر بجهل:

-معرفش، ما إنت إللي بتقول معدوش دم بعدين إنت مالك ومال النمل .. أنا
مش فاهم

وضع ميغو الدفتر أمامه على الطاولة ليعتدل بجلسته ويضحى مقابلاً لوجه مُعترز لعله
يُخرج ما بداخل جعبته ويلقى بعض النصائح من مُعترز شقيقه الأكبر، أخذ نفساً عميقاً
ثم أخرجته قبل أن يقول ببعض التردد:

-الصراحة كدة البت إللي ساكنة قُدامي دي، شغلالي دماغي ... مش عارف
أصنفها ضمن أي بنت عرفتها قبل كدة...

أبعد بصره عن مُعترز ليتخيلها أمامه ويتخيل كلماتها الغريبة وحركاتها الصببانية
المجنونة أحياناً:

-حاسس كدة إنها حاجة غريبة ... عُمرها ما عدتِ عليا قبل كدة عشان كدة
عايزك تاخدلي معاها معاد

رمقه مُعترز بشكٍ جعله يسأل:

-هتروح تخطبها ولا إيه؟

نفي ميغو حديثه بإصرارٍ رغم أنه يُريد التقرب منها لكن ليس وهو على هذه الحالة:

-لا يا عم أخطبها إيه ... أنا بس عايز أتعرف عليها... بعدين إنت مش قولت إنها أخت صاحبت مراتك ... يعني ممكن تسأل مراتك لو تعزمها عندكم في الشقة، وأنا ساعتها هتعرف عليها أكثر ... وصدقتي مش هقرب منها ... أنا بس عايز أفهمها

أدرك مُعْتز مكنون حديثه وعلّم نواياه المخفية والتي يحاول تجميلها بنبرة متوسّلة وتأكيداً على أنه لن يتعرض لشمس بتاتاً، فلا يوجد رجل عاقل يُصدق أنه فقط يُريد أن يتعرف عليها ليرضي فضوله، لهذا السبب وثب عن مكانه وحاول إنهاء النقاش بنبرة صارمة مليئة بالإصرار والتهديد:

-تفهمها أواه ... لا بقولك إيه ... أنا مش متعود إني أهدد حد ... بس لحد هنا وكفاية ... مراتي وصحاب مراتي خط أحمر وشمس مش زي البنات إلكي تعرفهم ... يعني لو كسرتها فإنت هتكون بتكسر العُمارة كلها ... وصدقتي محدش فيهم هيرحمك ...

بصق تلك الكلمات بصورة حادة ثم جذب حقييته ليترك المنزل أمام نظرات ميحو المليئة بخيبة الأمل وبعض الغضب من ردة فعله، فهو قد ظن لو هلة أن شقيقه سيُساعده في التقرب منها وربما تعليقها بجبال غرامه، لكن يبدو أن شقيقه سيضحى الحائل الوحيد ما بينه وبين تحقيق حُلمه ورغبته في التعرف عليها كما يفعل مع بقية النساء.

أرعى ظهره للوراء ليُفكر بتلك المُعضلة حتى أتته فكرة أشعلت عقله وجعلته يهرع نحو الهاتف الخاص به كي يُجري مكالمة بالغة في الأهمية.....

أشرفت شمس نهارٍ جديدٍ بعد هذه الليلة الطويلة المُكللة بالأحداث والصراعات، ومع ذلك لم تمنعه تلك الصراعات من مواصلة عمله وذهابه إلى مركز الشرطة بصرامته المعهودة وكأنه لم يحاول السرقة بالأمس، بل الأسوأ أن محاولاتهم للسرقة انقلبت ضدهم وأدت إلى سرقتهم أضعافاً، وهو بطبيعته المُتحدية لن يسمح لذاك المُجرم أن يفلت بفعلته وينال منهم بتلك السهولة، فهو لا يعلم أن باقترابه منهم خاصة من أصدقائه يعني أنه سيحفر مقبرته التي سيقدفه لؤي بداخلها عما قريب.

ارتمى على المقعد الذي يترأس مكتبه بعوالم مُقتضبة وهالات سوداءٍ أسفل عينيه نتيجة أرقه طوال الليل، أجرى مكالمة هاتفية قصيرة انتهت بدلوف واحد من العساكر وتأديته للتحية العسكرية قبل أن يستمع إلى أوامر لؤي الصارمة وهو يمدُّ نحوه ورقة صغيرة دوّن عليها شيءٌ ما:

-إمسك العنوان ده وإسأل هناك عن الاسم إللي أنا كتبتهولك عايزك تعرفلي كل حاجة عنه، وتعرف مكانه فين دلوقتي

أوما الضابط إيجابًا قبل أو يؤدي التحية العسكرية مجددًا ويرحل عن المكتب تاركًا لؤي وحده بعوالمه الصارمة وتوّعه لذاك الذي يظن أنه قادرًا على خداعهم....

اندثرت الشمس مجددًا ليحل الليل عليهم ويبدأ هذا اليوم الروتيني المُرهب بالانتهاء، فتح مُعترز باب المنزل بعد أن أنهى أشغاله وها قد أتت اللحظة التي سيستريح فيها بمنزله بين أسرته الصغيرة وزوجته الحبيبة، فكان معه حقيبة بلاستيكية صغيرة ربما تحتوي على شيءٍ ما قد ابتاعه في طريقه للمنزل، أما يده الأخرى فكانت مُضمدة بسبب جرحه.

أوصد الباب قبل أن يدلف المنزل بخطواتٍ هادئةٍ وبسمة بشوشة تزداد حنانًا كلما إقترب نحو حجرة الطعام حيث تقف كوكي وحولها العديد من الحقائب البلاستيكية وكأنها أنت للتو من متجر التسوق.

أحاطها مُعترز بذراعه السليمة حول خصرها وهو يسأل بحنانٍ حمل بعضًا من تعجبه، فهذه أول مرة يرى فيها زوجته المُدلة تقف في المطبخ وتقوم بإعداد الطعام، طبع قبلة رقيقة على رأسها تكالت خُصلات شعرها البُر تقالية ثم سأل:

-عملانا إيه إنهاردة ؟ ... وإيه الأكياس دي ؟

زادت بسمة كوكي وهي تبتعد عنه ثم تلتفت لئُقابلة بعينيها الزرقاء البشوشة المُتلهفة وهي تُجيبه:

-روحت إنهاردة السوبر ماركت ... وجيبت حاجات كتير أوي

أنهت حديثها بحماسٍ طفولي وكأنها ابتكرت اختراعًا ما، فهي بالعادة لا تذهب للتبضع وتكتفي بطلب ما تُريده وهي تجلس داخل المنزل أو تُخبر حارس العقار بالتبضع بدلًا عنها.

وجدته يمسك الحقيبة البلاستيكية التي وضعها مؤقتًا على الطاولة ويمدها أمامها متفوهًا:

-دا أنا كنت لسة هقولك إني رocht وجبتك الباربيكيو إالي إنت عايزاه ... بدل ما تعمليه في البيت

قطبت كوكي حاجبها من غرابة حديثه وعينها اللتان تُحدقان بعلبة الصلصة المُدخنة التي وضعها مُعترز بين يديها.

-بس أنا مكنتش عايزة باربيكيو

وضع مُعترز عُلبة الصلصة المُدخنة على الطاولة وهو يُفسر:

-مش إنت قولتيلي نفسي أعمل باربيكيو ... أهو أنا بقى جبتهمك بدل ما تعمليه بنفسك

وأخيرًا قد فهمت مقصده وعلّمت كم أنه فهم حديثها بطريقة خاطئة تمامًا جعلتها تُصحح له بقولها:

-زيزو أنا كان قصدي باربيكيو إالي هي حفلة الشوي

أوما مُعتز رأسه مُتفهمًا ولعن كم أنه لم يفهم مقصدها كما يفعل في كل مرة، لكنه مع ذلك لم يُصدر أي تصرفات غير اعتيادية واكتفى بوضع عُلبة الصلصة المُدخنة على طاولة المطبخ متفوهًا ببساطة:

**-حفلة شوي !! ... طب خلاص أهو الباربيكيو، لما نعمل حفلة الشوي نبقي
نستخدمه**

ابتسمت ابتسامة هادئة ثم مدت يدها كي تجذبه حتى يرى ما ابتاعته بلهفة تُعادل لهفة
الأطفال حينما يبتاعون هدية لوالديهما:

-طب تعالي شوف أنا جيبت إيه

تحركت معه خطوتين حتى التفت صوب أحد الأكياس كي تُخرج منها ثمرة فاكهة
تُعادل حجم اليقطين ولكنها مُستديرة كالشهد، رفعت ثمرة الفاكهة هذه أمام مُعتر ثم
أردفت بحماس:

-بص أنا جيبت إيه ؟

عقد حاجبيه في حيرة وهو يستنتج:

-إيه ده !! ... شمام ده ولا قرع عسل ؟

تلاشت عوالم الحماس عن وجهها وهي تُكذب حديثه:

-شمام وقرع عسل إيه دا بابايا " فاكهة استوائية"

أنهت حديثها بحماسٍ ردمه هو بحديثه الأبله:

-بابايا !! ... هو أبوكي بقى يتباع في السوبر ماركت!

أخفضت كوكي ثمرة الفاكهة عن وجهها بعد أن مُحي حماسها وأضحت الآن تهتف
بوجهه بحدة:

**-أبويا إيه يا زيزو ... دا بابايا، أنا كنت بجيبها كتير أوي في أمريكا ... ومصدقش
نفسى لما لاقتها في السوبر ماركت بـ300 جنيه بس**

أنهت الحديث ببساطة وحماسٍ جعل فكه يهوي حتى حنجرته ويشعر ببوادر صدمة على وشك أن تنتابه.

-نعم!!... بقي ثمرة الشمام دي بـ300 جنيه !! ... ليه ؟ ... جواها دولارات ؟

تلاشت طفولتها للمرة الثالثة حالما شعرت ببوادر الغضب على حديثه، فهي لا تعلم ما الخطأ الذي اقترفته حتى يُقابلها بهذه الحدة.

-هو إنت اتضايقت ؟

سألته ببراعة جعلته يُدرك حدته معها ويتراجع عنها متأسفًا:

-لا يا حبيبتي مضايقتش ... سيبي أبوكي دلوقتي وتعالى نروح نتغدا في أي مطعم

انتشل منها ثمرة الفاكهة ووضعها على الطاولة ليقبض على أناملها ويأخذها لتُبدل ثيابها وتتناول الغداء معه في أي مطعم، فهو يعلم تمام العلم أنها لم تطهو الطعام، لأنها ببساطة لا تعلم شيئًا عن الطهي، فالحقيقة أن طهيه يفوق طهيها بمراحل عدة.

جذبت ذراعها بعيدًا عنه وهي تهتف باعتراضٍ فاجئه:

-لا خلينا ناكل في البيت ... أنا عملت search على النت وعرفت طريقة عمل الأومليت ... وكمان عملتهوك بطريقة هتاكل سنانك وراها

صحح لها مُعترز بعوالم الغرابة التي اجتاحتها فجأة:

-قصدك صوابي...

جذبت يده حتى يهرعا من المطبخ حيث الطاولة التي تجلس أمامها بسملة داخل مقعدها الخاص بالرُضع، فكانت تقول كوكي بحماسٍ وهي تقترب صُوب تلك الطاولة:

-مش مهم ... تعالى بس-

تبعها مُعترز بنّيه حتى توقفت قدميهما أمام الطاولة المُرتكز عليها طنجرة يفوح منها رائحة البيض المقلي، لكن رائحته لم تكن اعتيادية، بل وحجم الصفار كان أضخم بكثيرٍ من المُعتاد، ومع ذلك لم يُبالِ مُعترز وجلس بهدوءٍ على المقعد بشعورٍ من الفخر يتكلله بسبب زوجته التي تفاجئه دائماً، وتحاول بشتى الطرق أن تثبت أنها جديرة بالمسئولية.

حملت كوكي بسملة على كتفها حتى تُهددها وتُسقيها من حليبها حتى تتوقف عن البكاء، أما عن مُعترز فكان لا يزال يُحرق بصفار تلك البيضة الذي يجعل حيرته تزداد أكثر حتى سألها:

-هو إنتِ عملتي إيه في صفار البيضة؟... أصل مش معقول يكون كبير كدة

اتسعت بسمة كوكي وهي تُجيبه بحماسٍ وفخرٍ من ذاتها:

-لا... ما هي دي مش بيضة عادية

سخر مُعترز من حديثها بإجابته:

-إيه .. عندها قوة خارقة؟

نفت كوكي حديثه ثم فسّرت:

-لا ... دي بيضة نعام، لاقتهم بببيعوها في السوبر ماركت فقولت لازم نجيبها
عشان نجربها

تبلم وجهه إثر حديثها وعلم أن الإجابة القادمة على سؤاله القادم لن تكن جيدة بالمرّة، ومع ذلك سألها حتى يرضي فضوله:

-أه...وبيضة النعام دي بقى جبتيها بكام؟

اتسعت بسمه كوكي وهي تُجيبه بحماسٍ وكأنها أذكي مخلوقات العالم وأكثرهم ادخارًا
للأموال:

-مش هتصدق كان عليها offer وجبتها بـ 5000 جنيه بس

سقط فكه في صدمة وشعر وكأن قلبه سيتوقف عن النبض تمامًا، فكان يضع يده على
صدره ويقول بتقطع:

-خ..خ..خمس تلاف جنيه؟؟.... من فلوسي!؟!

أومأت رأسها بتأكيدٍ بدا بسيطًا:

-أيوة ... إنت قولتلي مأخدش فلوس من بابي

ضرب يده على الطاولة ضربة قاضية جعلت جسدها ينتفض فجأة وتتخلى عن
بساطتها أمام حديثه الذي جعلها تشعر أنه سيُغشى عليه بعده:

**-خمس تلاف جنيه عشان بيضة!!... دا أنا أجيب بيهم محل بيض بعدين إيه
بيضة نعام دي ؟ ... من قلة البيض إلكي في البلد ؟**

انفجر أمامها بتلك الكلمات مما جعلها تنكمش على نفسها وتحاول التبرير له بصوتٍ
خافت:

**-بس بيضة النعام مفيدة ... وكم ان لسة مؤرتكش أنا جبت إيه تاني... دا أنا
جبت**

قطع حديثها بكف يده الذي أشهره أمام وجهها علامة على عدم مواصلة الحديث،
ففؤاده الصغير لن يتحمل المزيد من الصدمات، لن يتحمل أن يضحى غارقًا في
الضرائب بسبب بيضة النعام والمزيد من المُشتریات التي لا أهمية لها، فقط أوقف
حديثها بنبرة متوسلة:

-أبوس إيدك كفاية ... خلينا نشوف الأول بيضة النعام دي ونشوف هنعمل إيه في أيامنا إالي جاية

أبعد عينيه عنها والتقط كسرة من الخبز ليقطعها بمساعدتها ثم يبدأ بوضعها داخل خليط من البيض الذي سيتناوله بتأني لأنه يعلم جيداً أنه لن يستطيع ابتلاع البقالة بعد هذا اليوم.

بعد فترة من الصمت، هدأت بسملة وغرقت في سبات عميق فوضعتها كوكي على سريرها المحمول الموضوع أعلى الطاولة، ثم جلست مجدداً بجوار مُعتز لتلتقط هي الأخرى كسرة من الخبز وتبدأ في تناول الطعام بجواره.

-زیزو...

انتبه إلى ندائها فالتفت ليواجه عينيها وشفاهها التي كانت تقول:

-أنا عزمت قمر ولؤي وشمس على الغدا يوم الجمعة... وكمان قولت لميجو ييجي معاهم

توقف الطعام بحلقه عند هذه الجملة التي أدارت الذكريات داخل رأسه خاصة حديثه مع ميجو قبل أن يأتي إلى هنا مباشرة.

-واشمعنا ميجو ... ومين قالك تعزميه ؟

حادثها ببعض الحدة التي جعلتها تُبرر ببراءة:

-هو إالي اتصل بيا وكان عايز يتعرف علينا أكثر دا أنا كمان اتصلت بإسلام وداليا وجابر بس هما قالولي إنهم مش فاضيين... وقولت لشمس تيجي عشان هي صاحبتنا وكدة

توقف مُعتز عن تناول الطعام كي يردف باستنتاج:

-وهو طبعًا إلهي اقترح إنك تعزمي شمس ... صح ؟

تغيّرت ألوان وجهها وحاولت إبعاد أنظارها عن عينيه وهي تقول بكذب:

-.. لا طبعًا ... أنا عزمتها من غير ما أقوله

حذق بمُنْتَصَفِ عَيْنِيهَا لِجَادِثِهَا بِنْبِرَةِ حَادَةٍ:

-ناجتس ... إحنا قولنا إن محدش يكذب على الثاني

تهدجت حصونها أمام كلماته الصارمة والتي جعلتها تخرُّ راحة وتفصح عن الحقيقة من أول صفة:

-بصراحة بقي ... هو قائل إنه عايز يتعرف على شمس ويُشكرها عشان هي عملته حاجة حلوة ... هو مقالش هي إيه ... بس هو قائل إحنا كلنا جيران، ولازم يعني الجيران يعرفو بعض وكدة

أدرك للمرة الثانية أن ميجو يستغل براءة زوجته وسذاجتها حتى يخدعها بتلك الكلمات ويُنفذ رغباته، هذا ما جعل الغضب يتغلغل داخل مُعْتَزٍ أَكْثَرَ أَثْنَاءِ قَوْلِهِ:

-بذمتك مصدقة الكلام إلهي قالهوك ده ؟

أَلَحَتْ عَلَيْهِ بِمَا تَمْتَلِكُهُ مِنْ بَرَاءَتِهَا الْأَسْرَةِ:

-مفيهاش حاجة لما كلنا نتجمع ونعمل movie night ، إحنا حتى كُلْنَا فِي نَفْسِ الْعُمَارَةِ .. بَعْدِينَ مِيجُو شَكْلُهُ غَلْبَانٍ، وَعَايِزُ يَكُونُ عِنْدَهُ صُحَابٌ

أومأ رأسه بسُخْرِيَّةٍ مِنْ حَدِيثِهَا وَتَوَعَّدَ لِهَذَا الَّذِي يَسْتَغِلُّ سِذَاجَةَ زَوْجَتِهِ، رَفَعَ مِنْ نَبْرَةِ صَوْتِهِ قَلِيلًا وَهُوَ يَدْلِي قَرَارَهُ بِحَزْمٍ:

-بلا movie night بلا هباب ميجو ده مش هيدخل الشقة فاهمة يا
ناجتس

ضرب على طاولة ثلاث ضرباتٍ تزامنت مع حديثه الصارم الجاد:

-ميجو .. مش ... هيجي هنا....

-سلام عليكم يا مرات اخوية

خرجت تلك الكلمات مع ابتسامة سمجة تشبه ابتسامة المعلم وهو يلقي الترحيب بطلابه أثناء الاختبار السيء الذي وضعه بنفسه، مدّ ميجو يده ليُصافح كوكي مصافحة اخوية قطعنها يد معتر الذي صافحه بدلاً عن زوجته بنظراتٍ مقتضبة متوعدة، فهو لا يعلم كيف وافق على هذه العزيمة بعد إلحاحها عليه لأربع أيام متواصلة وبالطبع ساعدها ميجو على هذه الإلحاحات.

أشارت كوكي بيدها نحو البهو حيث الطاولة العريضة التي أفترش عليها شتى انواع المأكولات الطيبة، حيث يوجد الدجاج المقلي والمعكرونة الحمراء والعديد من انواع السلطات والمقبلات، كانت اكلاتٍ بسيطةٍ تمتاز بلمحة اجنبية وبالطبع تم شراء جميع تلك الوجبات بسبب إصابة معتر التي تمنعه من الطهي.

وثبت قمر عن مقعدها لثُرحب بميجو من مكانها ووثبت شمس جوارها تُرحب به هي الأخرى بابتسامة هادئة جعلته يرمقها بأخرى بلهاء قال معها:

-إزيك يا أنسة شمس... والله لولا إن مرات أخوية أصرت عليا إني آجي مكنتش
جيت

ضربه مُعتر على كتفه كي يهمس بأذنه مُكذبًا إياه بنبرة ناهرة:

-وحياة تيتي !! ... مش إنت إلي اتحايلت عليا عشان العزومة دي

بادله ميجو بضربة مماثلة لضربته وهو يتوُسل له:

-بالله عليك ما تفضحني ... أنا نيّتي سليمة

تحرك بضع خطوات عازماً على الجلوس بجوار شمس لولا يد مُعتر التي انتشلتته من أحلام اليقظة و أعادته إلى المقعد الذي من المُفترض أن يجلس عليه متفوّهاً:

-لو نيّتك سليمة يبقى تترزع هنا

استجاب ميّجو لتعليماته الصارمة و ارتمى على المقعد المجاور له استعداداً لتناول الطعام، بينما كانت نظراته تتجوّل تلقائياً على حركات شمس و ابتساماتها الرقيقة، لولا نظرات مُعتر المُترقبة لما غاص في ملامحها البريئة و شهاوته اللامتناهية.

بدأت كوكي بجذب الصحون و تعبئتها بأطيب المأكولات و هي تسأل قمر بفضول:

-أومل لؤي مجاش ليه ؟

أجابتها قمر و هي تضع القليل من المعكرونة داخل صحنها:

-عنده مأمورية ... مش عارفة مأمورية إيه دي إالي يوم الجمعة

-ربنا معاه

هكذا تفوّهت كوكي و هي تمد الصحن نحو مُعتر و تساعد على تقطيع الدجاج لعدم مقدرته بسبب ذراعه المُصابة.

أخرجت شمس هاتفها و عبثت به قليلاً قبل أن ترفعه أمام طعامها استعداداً لالتقاط صورة ما، هذا ما جعل قمر تشعر ببعض الضيق و تنهرها بصوتٍ مُنخفض:

-سيبي الموبيل يا شمس

ألحت عليها شمس بصوتٍ يحمل القليل من الاندفاع:

-استني بس أصور ستريكس وهقفل تاني

هنا ولم يعد يتحمل ميجو فتدخل بحديثهما بتعليقه المُتسرّع والأبله:

-إيه ده ... إنتِ كمان ليكي في الستروكس ... دا احنا فينا حاجات مشابهة أهو

لاحت الغرابة على وجه شمس بينما أسرع مُعترز بإنقاذ الموقف قبل أن يُفهم المغذى من حديثه، فكان يضربه على كتفه محاولاً تغيير حقيقة الأمر بكلماته المُتلججة:

-ق..قصده ... الستريكس ... هو كمان بيعمل ستريكس

أنهى الحديث بابتسامة بلهاء جعلتهن يُصدقن حديثه لينحني بجذعه صوّب ميجو كي يهمس بأذنه:

-اكتم بوقك بدل ما تفضحنا

حمم ميجو باعتذارٍ ثم اعتدل في جلسته ليبدأ تناول الطعام في أجواء مرحة يتخللها بعض الأحاديث الشيقة والروتينية أحياناً...

بعد انتهاءهم من تناول الطعام، كانت قمر تُساعد كوكي بجلي الصحون وإعداد الشاي بينما كان مُعترز يؤدي صلاة المغرب في رُكنٍ من الأركان، أما عن شمس فكانت تقف أمام النافذة العريضة تُحدق في كائنٍ صغيرٍ يُشبه الفراشة لكن أجنحته خالية من الألوان وجسده طويلٍ بالنسبة لفراشة طبيعية، كانت تتفحص بعينيها هذه الحشرة العجيبة حتى أحسّت بطيف أحدهم يتحرك وراءها ويجعلها تبتعد القليل من الأمتار عن النافذة ما إن لاحظت ميجو يظهر وراءها يحاول التحديق فيما تُحدق به ويسألها بؤد:

-بتعملي إيه ؟

ابتسمت شمس بطفولية وهي تُجيبه بحماس:

-براقب حشرة اليعسوب ... أصلها حشرة نادرة جدًا بتتغذى على الناموس والذبان،
وتقريبًا من أقوة الحشرات في العالم ... مش مصدقة إني شوفتها على الحقيقة ...
عايزة آخذها معايا وأنا مروحة

همهم برأسه مُتفهمًا ثم إقترب بجذعه صُوب النافذة التي استند على حافتها وهو يسأل
بفضولٍ سبقه فترة من الصمت:

-هو في سؤال كدة محيرني إشمعنا الحشرات ؟ إشمعنا بتتهمي بيهم دونًا
عن الكائنات التانية

التفتت برأسها صُوب النافذة أثناء تنهيدة عميقة اخترقت شدقيها وأنفاسٍ حارة تخرج
من جوفها ليتبعها فترة من الصمت قبل أن تقول:

-عشان هما مظلومين كل الناس بتكرههم وعايزة تتخلص منهم، مع إن ربنا
خلقهم زي ما خلق حاجات كتير

التفتت لتستند بظهرها على النافذة وتنقل بصرها لداخل المنزل فيتابعها هو أثناء
حديثها الهاديء والمُعبر:

-تعرف ... الحشرات فيهم صفات مننا كتير ...يعني الجمال في الفراشات، التعاون
في النمل ... وحتى الزن أخذناه من الذبان

بدا حديثه هادئًا في رده عليها على الرغم من المكنون الساخر الذي يحمله بين طياته:

-شكلك شوية وتهتملي منظمة حقوق للحشرات

خرجت قهقهة خافتة من جوفها وإيماءة من رأسها تعني أنها على استعدادٍ لتنفيذ حديثه
الساخر، مرّت فترة قصيرة من الصمت قطعتها شمس بسؤالها الفضولي:

-هو صحيح إنت بتشتغل إيه؟ المرة إللي فاتت سألتك وإنت توّهت ومجاوبتش
... هو إنت بتشتغل عميل سري ؟

أنهت حديثها باستنتاج أحمقٍ وُد لو كان صحيحًا، فعميلًا سرّياً أفضل بكثيرٍ من كونه قارع الطبول في ملهى ليلي، وتاجر ممنوعاتٍ في الصباح، بعد فترة وجيزة من الصمت تحشرح صوّته وقرر مصارحتها بالحقيقة لعله ينال قلبها لفترة وجيزة كما يفعل مع بقية النساء، فإن لم يُخبرها بحقيقته فبالطبع ستعلم بها وحدها، فهو لا ينسى أن زوجة شقيقه تعلم عن حياته وبالطبع أخبرت أصدقاءها وربما إن لم يُصارحها ستعلم شمس الحقيقة وتبتعد عنه تمامًا، أما إذا ظهر أمامها بمظهر المظلوم الذي ركمته الحياة باختياراتها الظالمة، فربما ستشفق على حاله وتحاول التعرف عليه أكثر.

-الصراحة كدة ... أنااا ... بشتغل في...-

أبدى ترده بصورة واضحة ليبرز كم أنه مُتضايقٌ من هذه الحياة التي فرضت عليه، طال صمته بعد كلماته مما جعلها تسأل بفضول:

-بشتغل فين ؟-

أخذ نفسًا عميقًا ثم أطلقه ليعتدل في وقفته ويضحى مقابلًا لها مباشرة وهو يُدلي الحقيقة بقوله:

-أنا أمي رقاصة ... والظروف خلتنى اشتغل معاها في الكبارية ... والله أنا كان نفسي أبقى حاجة كبيرة ومكنتش عايز الحياة دي بس_

كاد بواصل حديثه ذا النبرة المُستعطفة وكأن الحياة تتلذذ بتعذيبه، لولا هذه الشهقة التي خرجت من جوفها عنوة مع فاهها الذي سقط مترين فغطته بيدها وهي تقول بدهشة:

-مامتك رقاصة...!!-

بقي فاهها مفتوحًا وعوالم الانبهار على وجهها مما جعله يُحرق بها بغرابة، أهي مصدومة أم متفاجئة؟

-إحلف ... إنت مامتك رقاصة بحق وحققي ؟

قالتها بعدم تصديقٍ جعل الغرابة تزداد على ملامحه وهو يوميء رأسه مؤكداً:

-أه .. واسمها تيتي كمان

شهقة أخرى خرجت من جوفها وهدمت توقعاته تمامًا خاصة مع ابتسامتها غير المصدقة التي تبعت حديثها:

-مش مصدقة نفسي ... يعني إنت بتروح night club كدة زي الأفلام ؟

نفي ميجو حديثها بصدق:

-لا أنا بروح كبارية

ولثاني مرة تهدم توقعاته بتعبيراتها الطفولية وحماسها المبالغ به أثناء حديثها:

-واو !!!... طب مااا... تاخذني معاك ... عشان خاطري، والله مش هعمل حاجة

رسم بسمة ساخرة على جوفه وهو يعترض حديثها:

-أخذك إيه بس ... دا مكان كله رقاصين وولاد حرام

ألحت عليه مجددًا بلكنة أكثر صبيانية وكأنها تلح عليه للذهاب للسينما:

-عشان خاطري ... أنا عايزة أشوف الكبارية زي الأفلام ... وعايزة أشوف مامتك...

واصلت الحاحها لتجعله يتأكد بالفعل أنها تتماثل مع الذباب في صوتها الطنان المزعج، تلك الالاحاحات جعلته يرضخ لطلباتها ويُسائر حماقتها بقوله:

-طيب .. هاخذك معايا

اتسعت بسمتها أكثر عقب موافقته التي جعلتها تُصفق بحماسٍ وتتشكره ثم تقول:

-أنا هروح أقول لقمر

ارتعدت أطرافه عقب كلماتها وقرارها الذي سيضعه في كارثة هو في غنى عنها خاصة بوجود شقيقه الذي يتربص له دائماً، لهذا السبب أوقفها بكلماته:

-لا لأ .. استني بس...

توقفت شمس عن الجراك لتستمع له:

-بلاش تقولي لحد إنك جاية معايا الكبارية ... أصل أكيد أهلك مش هيوافقو ...
خليها سُكيتي أحسن، وأنا أوعدك هنروح ونيجي بسرعة

كان الخداع بادٍ على صوته لكنها لم تستشعره بسبب سذاجتها التي جعلتها تُصدقه فوراً:

-أه عندك حق ... خلاص إحنا نروح بكرة الصُبح، عشان متأخرش بليل

أوما رأسه بموافقة لترحل هي من أمامه فور أن استمعت إلى صوت قمر تناديه كي تنقل معهما أقداح الشاي، ما إن اختفت عن أنظاره حتى عادت نظراته المخادعة وهو يقول بمزيجٍ من السُخرية والمُكر:

-هي طلعت هبلة ولا إيه؟ ... بس حلو ... كدة اللعب هيبقى أسهل....

كذب من قال أن للشر نهاية، فلطالما الإنسان على قيد الحياة، سيظل العالم يُعاني من
ويلات الظلم وانتهاكات الشرور، فنهاية الشر لن تأتي حتى نهاية العالم...ونهاية
البشر.

بقعة مُكفهرة تتكالب عليها الرمال والأتربة، تلك الأتربة التي اخترقت أفئدتهم وجعلت
قلوبهم تغرق في الوحل الناتج عن تلك الأتربة وعن القليل من قطرات عطفهم التي
جفت وتصلبت، يدٌ غليظة تُرتكن على جهاز معدني بحجم المرفق يتفرع من خلاله
العديد من الأسلاك مع شاشة صغيرة سوداء تدل على إغلاقه.

مسدت هذه اليد الغليظة على الجهاز ثم ابتعدت ليظهر معها صوتًا جعسوسًا كالذئاب:

-الحتة دي أمريكاني ... يعني لو هتتباع قطع غيار، سعرها مش هيقبل عن أربعين
باكو

خرجت تلك الكلمات صُوب رجلٍ آخر يضع اللفافة داخل فمه وينفث الأدخنة
بانسيابية أثناء إنصاته لأوامر زعيمه، فكان حمدي يقف أمامه بتبهنس الطاوس بعد
أن سرق هذا الجهاز وخدع هؤلاء الحمقى ونهب جزءًا من أموالهم.

-ولا تقلق يا معلم ... شوية والشاري هيكون هنا

قطع حديثهما صوت صافرة إنذار أوقدت العديد من الانفعالات داخلهما، قطب حمدي
عينيه بترقبٍ وهو يسأل باستفسار:

-إيه الصوت ده ؟

تلقت الرجل حوله في تيهٍ لعدم عثوره على إجابة مناسبة، أو لنكن صادقين، كان
خائفًا من استنتاجاته التي قد تضحى صحيحة.

ربت حمدي على كتفه ليُلقي أوامره الصارمة:

-إطلع شوف إيه إيلي برة ... ولو حكومة إدي إشارة عشان نلم البضاعة ونكت " نرحل"

تزايدت الأصوات حولهما مما جعل كلاهما يلتفت وراءه وتتصلب الأعين في مشهد يُقال عليه مشهداً حاسماً، نظرات الذئاب اقتحمت تلك البقعة مع العديد من الأسلحة والأصوات المرتفعة التي أحاطت المخزن وجعلته سجنًا للمجرمين.

ارتد جسد حمدي وأخرج سلاحه فوراً ليصوبه على تلك الأعين التي حدقت بعينيه مباشرة كما فوهة السلاح التي انتصبت على رأسه وتواجهت مع فوهة سلاح آخر لضابطٍ غاضبٍ يسعى للانتقام وتحقيق العدالة.

-بقي دي أصول الضيافة؟ ... عايز تسيبنا وإحنا جايين عشان خاطرك...

تبسم ابتسامة متشفية قال بعدها بتهكم:

-ولا نقول إيه؟ ... ما إيلي زيك ميعرفوش حاجة عن الأصول

حرّك حمدي زناد السلاح وهو يقول بتهديد:

-إخرجو من هنا بدل ما تخرجو بكفنكم

واجهه لؤي بقهقهة ساخرة ونظراتٍ صارمة قال معها بتحدي:

-شكلنا هنديكم الكفن بتاعنا ياا... حمدي

اتكأ على آخر حروفه مُشدداً على لمحة التهديد في كلماته ليبتعد خطوتين استعداداً للاستحواذ على المكان ونظراته تتابع الجهاز خوفاً من إصابته بخدشٍ نتيجة ما سيحدث عما قريب.

ربما مخاوف الإنسان تتحقق أكثر من أحلامه، فما إن إبتعد لؤي هذين الخطوتين
حتى شدد حمدي من ضغطه على سلاحه وبنظراته الحانقة المتوعدة، أطلق رصاصة
صدى صوتها في الأرجاء لتبدأ معركة أخرى لا نعلم كيف ستنتهي....

الفصل الحادي عشر (اختطاف جماعي)

إذا اختفت القوانين، انعدمت الضمانات... ومع ذلك يتعمد البعض اختراق القوانين بحجة أنه يدعم الحرية التي تُكبلها هذه القواعد، ولا يعلم أحدٌ هنا، هل هذه بالفعل حرية، أم جريمة...

رصاصه طائشة خرجت من جوف سلاح يملكه مُجرمٌ لا يكثرث لمن يقف أمامه، التصقت هذه الرصاصة أعلى كتف أحد الضباط الواصلون خلف لؤي الذي كان من المُفترض أن يتلقى تلك الرصاصة في مُنتصف عنقه لولا تحركه في اللحظة الأخيرة.

تلك الرصاصة كانت شُعلة البداية لمعركة جثيمة حطت على جواسر هذا المخزن وجعلته يتحوّل إلى ساحة حربٍ يتبادل فيها الرصاص بين طرفين، أحدهما يُمثل القانون، والآخر يُمثل التمرد.

اختبأ لؤي خلف سيارة قديمة تكاثرت عليها الأتربة، كان يرفع سلاحه تارة ويُطلق النيران ثم يختبئ تارة أخرى بعد أن يتأكد أن الجهاز في مكانه لم تُصيبه تلك الرصاصات، فهو قد أوصى فرقته على الحذر جيداً أثناء اشتباكهم مع تلك العصابة المُتمردة.

أخرج لؤي جهازه اللاسلكي ليضعه أمام فمه هادراً بصراحة:

-محتاجين دعم ... في اتنين مصابين، وتلات مجرمين وقعنهم حوّل

أغلق اللاسلكي بسرعة ليرفع جذعه ويطلق رصاصة أخرى ثم يختبئ مجدداً ويجول بعينه بحثاً عن ذاك الحقيير الذي لم يجد صعوبة في العثور عليه، فها هو يُحاول الهرب من بوابة خلفية كالفئران التي تفرّ فور اشتمامها لرائحة المُبيدات.

وجه لؤي بصره مجدداً نحو الجهاز لتتسع حدقتيه في صدمة، فلا يوجد أثر لذاك الجهاز وكأنه تبخر في أقل من ثانية، أو أن هذا الحقيير قد انتشله بسرعة مُقررًا أن يهرب به دون أن ينتبه له أحد.

وثب لؤي بسرعة من موضعه وبدأ يتحرك بخطواتٍ متأنيةٍ مُنخفض الجذع حذرًا من تلك الرصاصات الطائشة التي تحوم حوله، أوقفه واحد من المُلمثين لكنه لم يمهله ثانية ولكمه في وجهه لكمة قوية أطاحت سلاحه ومهدت الطريق أمام لؤي كي يُسد له المزيد من اللكمات على معدته وفكه حتى سقط الرجل مغشيًا عليه.

هرول لؤي بسرعة أكثر حتى لا يعترضه مُلثمًا آخرًا ويستطيع الولوج لحمدي قبل أن يهرب بالجهاز، توقفت أقدامه أمام البوابة الخارجية مباشرة ليرفع سلاحه على رأس حمدي من الخلف، ثم يُحرك الزناد الذي أصدر صوتًا أوقد النيران داخل حمدي وجعله ينتبه أن خطة هروبه ستبوء بالفشل هذه المرة.

-سلم نفسك

قالها لؤي بصوتٍ أمرٍ يحمل الصرامة التي لم تنجح بزعة حمدي لكنه بقي مُتصلبًا مكانه يخطو خطواتٍ بطيئةً تجاه الباب جعلت لؤي يعلم أنه لا يكثرث لتعليماته.

-قولتلك سلم نفسك

قالها لؤي بصوتٍ مُرتفع أكثر وهو يقبض على ذراع حمدي ويجبره على الالتفاف ومواجهته وجهًا لوجه، فما إن التفت حمدي حتى رماه بقهقهة ساخرة مُستفزة ثم بهدوءٍ تامٍ، وضع الجهاز على الأرض ليرفع يده باستسلامٍ وبرودٍ أمام لؤي الذي يكاد يشعر بالغضب على الرغم من انتصاره عليه.

أخرج لؤي الأصفاد من جُيبه ليُكبّل حركته لكن حمدي سبقه بركلة على معدة لؤي جعلت السلاح يسقط على الأرض؛ تقوّص لؤي من الألم لكنه جاهد ليرد عليه بركلة أخرى على وجه حمدي الذي اشتعل غضبه واشتعل معه غريزة الحرية مما جعله يقبض على ذراع لؤي المُمتد نحو وجهه ثم يقوم بلوي يده والاستمتاع بصرخات لؤي المكتومة ووجهه التي تحوّل إلى جمرّة نارية تعلوها بعض الكدمات نتيجة العراك.

ركله لؤي بقدمه فتقوّص حمدي لكن تقوّصه لم يدم طويلًا، فسرعان ما انقض على لؤي ليؤقعه أرضًا ويلكمه لكمتٍ متتالية على وجهه جعلت الدماء تنبثق بغزارة من فمه، قبض لؤي على يد حمدي بقسوة وحاول دفعه بقدمه والوثوب عليه محاولًا تكبيل

حركته لكن يبدو أن صلابة حمدي جعلته يتصدى لتلك الدفعات وينتشل سلاح لؤي الذي سقط منه ليوجهه على رأس لؤي المسجي أرضًا.

وثب حمدي عن الأرض شاهراً السلاح أمامه غير مكترثاً لكدماته التي أغرقت ملامحه، فما يكثرث إليه الآن هو الهرب بأية طريقة، حتى ولو تسبب بقتل أحدهم، تراجع خطواتٍ للوراء وهو لا يزال ينظر للؤي بصلابة حتى أحنى جذعه والتقط الجهاز بحذرٍ وواصل التراجع للخلف أمام لؤي الساكن والذي إذا تحرك خطوة فربما تُصيبه تلك الطلقات.

وعلى عكس المتوقَّع، لم يتحرك لؤي قيد أنملة وبقي يُتابع حمدي بسكونٍ تامٍ حتى....

نمت البسمة على ثغر لؤي فور استماعه لصافرة الشرطة التي أتت في الوقت المناسب وأحاطت المخزن من جميع الاتجاهات حتى هذه البوابة الخلفية، أوقف الضباط حركة حمدي وأجبرته على الخضوع والاستسلام حتى يتم تكبيله وتقديمه للعدالة.

تحرك أحد الضباط نحو لؤي لينتشله عن الأرض ويطمئن عليه، بينما كانت عينا لؤي تتأبعا الجهاز وتتسأل إلى أين ستأخذه الشرطة؟....

صدى صوت الجرس أركان المنزل فوثبت كوكي من مقعدها لتفتح الباب وتلقى داليا أمامها تفتح ذراعيها وترحب بها في حرارة.

انتهت داليا من ترحيبها بكوكي لتقتحم يسرى المجلس وتُعانق كوكي عناقًا أخويًا، كما دلف إسلام المنزل ليُصافح مُعترز ويُرحب به ثم يليه خالد الذي دلف المنزل بخطواتٍ مُتبهنسة رامقًا مُعترز بعوالم تحمل بعض الاشمنزاز، كما أنه كاد يتشاجر معه لولا يد إسلام التي انتشلته ليفض هذا الجدل ويدخلوا المنزل بعد أن وضع غُلبة الحلوة التي كان يحملها على الطاولة.

مرّت بُرهة قصيرة من الوقت كان فيها الجميع ينتصف البهو ومعهم صحونًا صغيرة تحتوي على أنواع من الحلوة الشرقية، تسامروا في شتى المواضيع حتى سأل ميجو باستفسارٍ بعد أن فهم طبيعة المُشكلة التي تواجههم:

-هو إنتو أصلًا عارفين طريقة التثبيت عشان تجيبو الجهاز؟

تقدم إسلام بجذعه كي يُجيبه بثقة:

-مش بالظبط ... إحنا أساسًا قررنا نجرب التثبيت على ناس تانيين غيرنا عشان لو نجح نجربه علينا ... ولو فشل، نحاول نعدّل الطريقة ونجرب تاني

تزايدت الأفكار داخل رأس ميجو مما جعله يسأل مجددًا:

-وهو اللي هتجربو فيهم دول هيو افقو؟

تدخلت داليا هذه المرة لتُجيبه بقولها:

-ما إحنا هنقتعهم ... ومش هنقولهم إننا بنجرب فيهم

لاحت عوالم اليأس على وجهها وهي تتراجع بظهرها للوراء وتهتف بياس:

-بس نجيب الجهاز الأول ... إحنا كل ما نقول خلاص نلاقي حاجة طلعتنا

هذه المرة هتف خالد بلكنته الحكيمة المعتادة والتي اقتحمت حديثهم على أمل أن يبيث بهم بعض العزيمة:

-الإنجاز ... إذا طال وقته، زادت جودته

ما إن أدلى تلك الجملة حتى دفعه مُعتز على كتفه ساخرًا من كلماته الحكيمة بقوله:

-إتلهي ... دا إنت إلهي ورا فكرة الحرامي ... أدي الحرامي سرقتنا ومش عارفين
هنرجع إلهي سرقة إزاي

لم يكدي ينهي الجملة حتى استمع جميعهم إلى صوت الباب الذي صدح فجأة وجعلهم
يتبادلون النظرات في تيه إلى أن تطوع إسلام ليفتح لذاك الزائر المفاجيء.

قطب إسلام حاجبيه بحيرة فور أن وجد لؤي يقف أمامه بكدماتٍ تعلو وجهه وغلبة
من الكارتون يحملها بين ذراعيه، حاول سؤاله عما حدث معه لكن لؤي لم يمهمه
الفرصة ودفعه حتى يدلف المنزل ويضع هذه الغلبة أمامهم على الطاولة.

تصلبت الأهداب وجحظت الأعين حين رؤيتهم لهذا الصندوق ولمعالم لؤي وكدماته
خاصة وهو يقول:

-الجهاز أهو...-

احتقنت وجوههم مع تلك الكلمات التي لم تخترق أذهانهم المسكينة، فكيف أتى
بالجهاز وما الذي حدث؟ كل تلك الأسئلة كانت تدور حولهم حتى وثبت قمر بسرعة
تتفقد حاله وتسال في ذعر:

-ج..جهاز إيه؟ ... هو إيه إلهي حصل؟

ابتعد لؤي عنها ليتجول أمامهم بالبهو ويبدأ بسرده ما حدث معه بدءًا من عراكه مع
حمدي حتى ذهابه بهذا الجهاز إلى المعمل مجددًا ومحاولته اللاحاح على كبير العلماء
حتى يحصل على ذلك الجهاز لفترة مؤقتة كمكافأة على عثوره عليه وتسليم المجرم
للعدالة، فقد ظهر أمامه بمظهر البطل المغوار وهو في الحقيقة أحد أسباب سرقة
الجهاز من المعمل.

أنهى لؤي حديثه بجلوسه على الأريكة مسترخيًا بظهره للوراء هادرًا بثقة حملت شفا
من العتاب:

-عشان تسمعوني بعد كدة لما أقولكم إن الإجرام مش هيفيد

أمسكت داليا الجهاز بفاهٍ مفتوح من السعادة ووجهٍ لا يُصدق أنهم تخلصوا من تلك
المُعضلة أخيراً وبقي شيءٌ واحدٌ فقط قبل تثبيتهم نهائياً، بعد فترة من التهليلات
والمباركات سأل لؤي وهو يأخذ صحن الحلوة من قمر ويبدأ في تناوله مع قوله:

**-هتبدأو بقى التثبيت إمتى ؟ ... الجهاز مش هينفع يفضل هنا كثير، أنا كاتب تعهد
على نفسي**

أجابه إسلام بثقة وهو يرتمي على أحد المقاعد:

-فاضل حاجة واحدة بس ... نلاقي مُتقلين تانيين...

مرّت العديد من الأيام كمرور السفن في بحرٍ وعرٍ يُعيقه رياحٌ عاتية، كان يتجوّل
إسلام في هذه المشفى العريقة وجواره أحد الأطباء ممن جاءوا إليه في أحد الأيام،
كان هذا الطبيب يُشير على حُجرة تحفها الجدران البيضاء وداخلها رجلٌ يبدو
بالأربعين من عُمره، فكان يتوقع على نفسه بأحد الأركان وجواره الفراش الصغير
الذي لا يختلف بياضه عن بياض الحُجرة، كان الطبيب يُشير على هذا الرجل من
خلال النافذة الزجاجية ويقول:

**-ده طه ... عنده اكتئاب من الدرجة الأولى ... وغالبًا أغلب حالات الانتحار هتكون
من عنده، عشان كدة لازم تاخد بالك منه ... وتطمئن عليه كل شوية عشان علطول
بيعوّر نفسه**

أوماً إسلام بتفهم، فهو مسئول عن تطبيب جروح المرضى في تلك المشفى بصفته
طبيباً جراحاً، واصل تجوّلَه في الرواق بين المقاعد المترامية والمرضى المتجولون
مع ممرضيتهم حتى استمع إلى جاسم صديقه الطبيب الذي كان يهتف بأسى:

**-أنا كمان كام يوم وهمشي من هنا ... هينقلوني العباسية ... عشان كدة لازم تعرف
المرضى إللي هنا كويس ... وكدة كدة هبقى آجي كل كام شهر أعمل معاينة واشقر**

على الحالات ... بس هيكون وضع مؤقت لغاية ما الدكتور إلي هيجي مكاني يتثبت

همهم إسلام بتفهم وداخله ينتظر التوقيت الذي سيرحل فيه عن تلك المشفى والذي ربما سيتمد إلى بضعة أشهر قابلة للتجديد لكنه سيعمل جاهداً حتى لا تتجدد تلك المدة ويعود إلى المشفى العمومية التي كان يعمل بها....

فتح عينيه الملتصقتان ليواجه رؤية مشوشة يُداعبها صوت جرس المنزل الذي لم يتوقف عن الضجيج حتى كادت أذنيه تنفجران، وضع أصابعه على عينيه محاولاً إزاحة الرمّص ليتمكن من الرؤية جيداً، اعتدل في جلسته ليضحى جالساً على الأريكة التي غفا عليها منذ ليلة أمس، فلا يتذكر حتى أنه نام على فراشه منذ أتى هذا المنزل، فدائماً ما يغفو وسط زجاجات الجعة ولفائف التبغ.

تجوّل داخل الرواق صوّب الباب وبداخله يسب هذا الطارق الذي يقطع سباته ويسرقه من أحلامه، وضع يده على المقبض كي يفتح الباب ببعض الحدة الناتجة عن غضبه الذي لم يشأ إظهاره لهذا الزائر الواثق أمامه يربط ذراعيه بتدمر طفولي ولكنة أصابته في مقتلٍ من شدة برائتها:

-مش بتفتح ليه ؟ ... مش قولتلي إن إنهاردة هنروح الكبارية ... إنت كل شوية بتأجل، وأنا خلاص مش قادرة استنى

أغلق عينيه ثم فتحهما بترٍ وهو يلعن اللحظة التي أخبرها فيها بهذا الملهى الليلي الذي تعمل به والدته، فطنينها يخترق أذنيه منذ تلك الليلة ويجعله يؤد لو فجر هذا الملهى حتى يتخلص من الحاحها.

تنهد تنهيدة فاقدة للصبر ثم حاول مسابرتها بلطفٍ رغبة في التمسك بقراره ومعرفة هذه الفتاة الغريبة، لهذا السبب وافق على حديثها ببعض المماثلة:

-حاضر ... ساعتين كدة وهنزل

كاد يغلق الباب لكنها منعتة بيدها التي تلمست الباب وكلماتها المليئة بالإصرار
والإلحاح:

-لأ نروح دلوقتي ... الساعة بقيت اتنين الضُهر وأنا مش هينفع أروح البيت متأخر

تنهد مجدداً بنفاد صبرٍ قال بعده مُستسلماً:

-طيب ... هدخل أُغير وأجي

اتسعت بسمتها بعد أن حازت على موافقته التي جعلت الحماسة تتغلغل كيانها فتُخبره فوراً أنها ستنتظره أمام موقف الحافلة العمومية التي من شأنها أن تقلهما حيث يُريدان...

ها قد تحققت أحد أحلامها البلهاء ووطأت قدميها هذا الملهى الذي غمرته الإضاءة الخافتة القادمة من الشمس، وجهت شمس بصرها لأسفل لتتفقد الأرضية الحمراء الناعمة كالقטיפه كما كان الجدار كذلك، تفقدت الطاولات المُستديرة والمقاعد التي وُضعت رأساً على عقب فوق تلك الطاولات حتى يستطيع العمال تنظيف المكان قبل مجيء الزبائن، كانت أذنيها تلتقطان أصوات الموسيقى الصخبية وبعض الأصوات النسائية التي ترأسها صوتٌ خليعٌ يُرتل بعض الأوامر.

تلفتت برأسها حول المكان بذهولٍ وكأنها داخل أحد المتاحف أو المناطق الأثرية، كان ميجو يسير بجوارها على بُعد أمتارٍ قليلة يُتابع عينيها البراقة دون أن تنتبه له لأنها مُنشغلة الآن بتفقد المكان، لكنها في أقل من ثانية التفتت نحوه كي تسأله بلهفة:

-أومل مامتك فين ؟

أبعد ميجو عينيها عنها حتى لا تُلاحظ مراقبته إياها وهو يُجيب:

-تيتي !! ... تلاقي عندها بروفة

ألحت عليه بطلبها:

-طب أنا عايزة اشوفها-

أوما ميجو رأسه إيجابًا وأشار بيده للأمام حتى تتحرك نحو إحدى الحُجرات التي كان يُصدر منها مزيجًا من أصوات النساء وأصوات الموسيقى الصخبية، وثب ميجو أمام تلك الحُجرة وانتظر قليلاً حتى هدأت أصوات الموسيقى وبقي بعض الأصوات النسائية الخافتة.

طرق الباب بضع طرقات حتى حصل على إذن الدخول ففتح الباب بتروٍ ليقابله مجموعة من النساء التي تتحركن أمامه بخطواتٍ مائعة وثيابٍ قصيرة تكشف عن ساقيهن، كانت نظرات النساء تتابعنه بابتساماتٍ مُدلفة جعلته يبتسم بشهوة لكنه حاول حجب شهوته حتى لا ينكشف أمام شمس التي يُحاول جاهدًا أن يظهر أمامها بمظهر الفتى الجيد.

ولج ميجو الحُجرة وولجت خلفه شمس وهي تُراقب تيتي بثيابها المُطرزة اللامعة التي تلتصق بجسدها ويلتف حول خصرها قماشة من الحرير تساعدها على الاستعراض والرقص بمهارة، أَلقت تيتي بعض التعليمات للفتيات الذين خرجن من الحُجرة ثم وضعت يدها على خصرها لتتزع قطعة القماش هذه وترتمي على أحد المقاعد بارهاقٍ جعلها تُرجع خُصلات شعرها الداكنة الطويلة عن عينيها الخضراء التي تُشبه عينا ميجو.

ابتسم ميجو وهو يُصافح والدته بقوله:

-إزيك يا تيتي...-

لم تُجبه تيتي وبقيت تترقب شمس بحيرة قطعها ميجو بتفسيره:

-دي ... شمس ... جارتني في العُمارة إللي ساكن فيها-

اقتربت تيتي بضع خطوات تفحصت معهن شمس بداية من حجابها حتى ملابسها المُحتشمة وابتسامتها البلهاء والتي جعلتها تقول بتهكمٍ وعدم تصديق:

-وانت من إمتى يا خويا بتصاحب بنات مُحترمة ؟ ... ده البت كارم_

قطعها ميجو بسرعة ببعض عوالم الإحراج التي نمت على وجهه لأن تيتي كانت على وشك سرد حقيقته أمام شمس.

-حيلك يا تيتي ... أنا وشمس مش متصاحبين، ده هي بس جاية عشان عايزة تشوفك

اتسعت بسمة شمس وهي تؤكد حديث ميجو بإعجاب:

-أيوة ... أنا بحب أوي الرقص ونفسي أوي أتعلمه

تفحصتها تيتي مجددًا بعد أن فهمت حديثها بطريقة خاطئة مما جعلها تمد يدها نحو شمس وتُمسد على كتفها ثم تهبط بيدها حتى ذراع شمس إلى أن قالت:

-وماله يا ختي .. شكلك شرعة وبرعة وهتجيبني زباين.... إنتِ تيجي وأنا اعلمك الرقص وأخليكي تنزلي النمرة كمان ... بس هتحتاجي الأول_

قطعها ميجو للمرة الثانية قبل أن تُفسد أخلاق شمس وتجرفها لطريقٍ لا مفر من بعده، فهو يعلم تمامًا أن شمس لم تكن تقصد تعلم الرقص لهذا الغرض.

-إيه يا اما إللي بتقوليه ده شمس مش هينفع تنزل نمُر

استمعت تيتي للجزء الأول من حديثه مما جعلها تفتح فاهها بشهقة مُتدمرة رقيقة قالت بعدها:

-أما لما تستتِك يا بعيد ... أنا مش أم حد .. أنا تيتي وبس

أنهت تيتي حديثها بتعنتٍ جعل شمس تُقطب حاجبيها بغرابة جعلتها تلتفت نحو ميجو وتسأله بهمس:

-هي مش مامتك ولا إيه ؟

آجابها ميجو بنفس تلك النبرة الهامسة:

-أنا والله شاكك إنها لقياني على باب جامع ... بس اكتشفت إنها مش بتروح
جوامع أصلاً

قطعت تيتي حديثهما مُستفسرة:

-بتقول إيه يا خويا إنت وهي ؟

آجابها ميجو بابتسامة بلهاء ساخرة:

-بقولها يا تيتي إنت بتحبيني قد إيه دا أنا متربي على إيدك

دعُمت تيتي حديثه بكلماتٍ رقيقة مُتذمرة:

-دا كان وكسة واتبليت بيها منه لله إلهي ما يتسمى

مال ميجو على أذن شمس كي يهتف ساخراً:

-شايقة ... بتموت فيا

اعتدل في وقفته لئِنهي تلك المقابلة قبل أن تتطور ويُفسد ما يُخطط له مُنذ البداية.

-إحنا هنمشي بقى ... فُتِك بعافية ... يلا يا شمس

لُوح بيديه لتيتي فتبعته شمس لكنها ابتسمت ابتسامة ودودة ودُعَت بها تيتي ووعدتها
بالزيارة المُتجددة وكأنها ستألف هذا المكان الماجن، ضربت تيتي كفاً على كفٍ بعد
رحيلهما وداخلها يعلم جيداً أن تلك التصرفات الحريصة والمُهذبة، لا تتبع من ميجو
أبدًا، فهي تعلمه جيداً....

استرخى بظهره للوراء وهو جالسٌ على مقعد مكتبه يُراجع بعض الأوراق المهمة ويُدوّن الملاحظات على الدفتر الخاص به، صدح صوت هاتفه لوهلة فانتشله من على الطاولة ليضعه على أذنه متفوّهاً:

-أيوة يا إس التثبيت !! ... إنتو عرفتو الطريقة ولا إيه؟ ... أأاه تمام، يعني نتجمع انهاردة بليل؟ ... ماشي يا سطا ... يلا سلام

أغلق بعدها المُكالمة بعد أن أنبأه إسلام بهذا التجمع الذي سيحدث في منزله مساء اليوم ليتناقشوا فيما يخص المُتتقلين، فهذا هو شُغلهم الشاغل حتى يتخلصوا من تلك المحنة ويستطيعوا مواصلة حياتهم دون أن تُعيقهم أي قُدراتٍ عجيبة.

على جهةٍ أخرى، وبجوار باب المكتب مباشرة، كانت تضع نرمين الهاتف على أذنيها وتحدث بصوتٍ خافتٍ يحمل الحذر خاصة مع عينيها اللتان تتلفتان حولها كي لا يكشفها أحد:

-أيوة يا بيه ... أنا سمعته بيقول انهم هيتجمعوا انهاردة ... معرفش، بس أنا سمعت حاجة عن التثبيت....

خفتت الشمس وحلّ محلها الليل وسكونه الذي غمر المكان فيما عدا هذا المنزل الذي اجتمعت فيه الفتيات بعد أن استأذن مُعترز ليجتمع هو وبقية الرجال داخل منزل إسلام حسبما ما اتفقوا، فمن المُفترض أن اليوم، سيبحثوا عن طريقة للعثور على واحدٍ من المُتتقلين ويحاولوا اقناعه بالتثبيت حتى تطمئن قلوبهم ويتأكدوا أن التثبيت آمنٌ وأن ما حدث مع بطة قديماً لن يحدث معهما.

أرخت داليا ظهرها للوراء ومعها قطعة من البرتقال تضعها داخل فمها وتلوكها أثناء انصاتها لحديث كلٍ من كوكي ويُسرى، فكانت كوكي تحمل بسملة وتُهددها بين ذراعيها، بينما كانت يُسرى تتحدث عن مغامراتها وما فعلته بالأيام الفائتة.

قطع حديثهن صوت الباب الذي صدح عاليًا فوثبت يُسرى لتفتح الباب بعد أن انتشلت حجابها ووضعتة على رأسها بطريقة عشوائية، كانت قمر تقف أمامها تحمل حقيبة بلاستيكية تحتوي على المُسليات وبجوارها تقف شمس تبتسم بؤدٍ وتُعانق يُسرى عناقًا أخويًا ثم تنتقل إلى الداخل بصُحبة قمر التي صافحت كوكي وداليا ثم جلسن جميعهن على الأريكة مُلتفتين في حلقة ينصتن لبعضهن بعضًا.

التفتت داليا نحو شمس كي تسألها باستفسارٍ بعد أن لمحتها تأتي إلى البناية برفقة ميجو مما أوقد العديد من الشكوك بداخلها.

-صحيح إنتِ كُنْتِي فين الصُّبح ... وأنا راجعة من الشُّغل شوفتك إنتِ وميجو راجعين مع بعض ... هو الواد خدك وراح فين ؟

أنهت حديثها بسؤالٍ حادٍ لمعرفتها جيدًا بطبيعة الرجال خاصة أولئك الذين يعتبرون النساء كمصادر للهو والتسلية.

ابتسمت شمس بسمة هادئة مُتحمسة وهي تُجيب ببلاهة:

-مأخذنيش في حنة ... أنا إيلي اتحايلت عليه نروح الكبارية سوا

أنهت حديثها بلهفة وسعادة جعلت الأفواه تسقط في صدمة وتتغير عوالم داليا إلى أخرى ترغب فيها بالفتك بتلك القابعة جوارها.

لاحت عوالم الصمت لوهلة مما جعل شمس تُبادل نظراتها بينهن ولا تعلم سبب صمتهن وسبب تلك الصدمة على وجوههن، فما فعلته تظن أنه أمرًا عاديًا لا يتطلب تلك النظرات.

-ي يعني إيه روحتي معاه الكبارية ؟

قطعت داليا صمتها بهذا السؤال الذي أجابت عليه شمس ببساطة:

-عادي ... خبط عليه وقولتله يلا نروح الكبارية

سقط فك داليا مجدداً ولم تمنع اندفاعها من الانطلاق في تلك اللحظة فوثبت لتقف على رُكبتها فوق الأريكة وتهتف بوجه شمس بصوتٍ مرتفع به بعض السُخرية:

-قولتيه تعالى نروح الكباريه !! مقولتيلوش ليه إنك عايزة تعملي نمره بالمره ؟

أرخت شمس ظهرها للوراء وهي تُجيبها ببلاهة:

-قولته بس هو موافقش

ازداد انفعال داليا وكادت تنقض عليها لكنها حاولت الحفاظ على ثباتها واستنجدت بقمر بقولها:

-كمان موافقش !!... ما تقولي حاجة لاختك الهبله دي ... رايحاله الكباريه كده من غير ما تقول لحد وفاكرة إنها رايحة الفُسطاط

تقدمت قمر بجذعها لتنهر شقيقتها بقولها:

-إزاي يا شمس تروحي مكان زي ده من غير ما تستأذني حد ؟...

ظن الجميع أن قمر ستتصحها لكنهن تفاجئن بحديثها الذي كان:

-على الأقل كُنّتي سألتيني ... إنتِ عارفة إني نفسي أروح كباريه

ضربتها داليا على كتفها فارتد جسد قمر لليمين أثناء استماعها لحديث داليا الحانق:

-عليا النعمة إنتو عيلة هبله ... أختك بتقولك راحت كباريه من غير ما تقول لحد_

قطعها شمس لتُبرر لنفسها:

-لأ أنا قولت لبابي ... قولته قبل ما أنزل إني هروح الكباريه وهو قالي ماشي

تدخلت يُسرى كي تسأل بحيرة:

-وافق كدة عادي ؟

أكدت قمر حديث شمس بصدقٍ أرخت معه ظهرها للوراء:

-لأ عادي .. أنا امبارح كلمت بابا قولتله أنا حرقت المطبخ قالي برافو

كانت كوكي تتابع حديثهن ولا تفهم سبب المُشكلة فسألت:

-هو فيها إيه يا جماعة لما تروح night club هما أساساً مش بيكونو فاتحين
الصُّبح، ف It s fine يعني

جادلتها داليا بنبرة حادة مُندفعة:

-فيها إن مينفِش ... مينفِش تخرج مع حد متعرفهوش في أماكن زي دي ...
افرضي خطفها ولا خضرها ولا عملها أي حاجة ... بعدين دي بتقولك كبارية...
يعني مكان أساساً مينفِش تروحه

تذمر وجه شمس وبدت تُدافع عن ميغو وكأنها تعرفه مُنذ قديم الأذل:

-متقوليش كدة عن ميغو ... هو مكنش هيعمل حاجة...

وجهت بصرها نحو السماء وهي تواصل بلكنة حاملة:

-ميغو ده عامل زي دودة القز ... بيستحمل الشرنقة لأيام وساعات عشان خاطر
يتحوّل لفراشة

("الشرنقة " : هي غشاء واقٍ مكوّن من خيوط رفيعة تنسجها دودة القز لتحتمي
بها حتى تتحوّل)

أمسكت داليا إحدى الوسادات القريبة لتضرب بها شمس على وجهها لعلها تستفيق من تلك الأحلام الواهية وتنزل إلى الواقع الأليم، فكانت تضربها بالوسادة وتهتف في نفس الوقت:

-كمان خلتيه دودة القز ... والله العظيم أنا هعمل عملية المرارة بسببك إنت وأختك

تذمرت قمر عقب حديثها ليستمر الجِدال بعدها لبرهة من الزمن متناسيين ما أتوا من أجله من الأساس.

قطع حديثهن صوت الباب الذي صدح مجدداً لتردف كوكي وهي تثب عن الأريكة ومعها بسملة تحملها على ذراعٍ واحدة وتتجه نحو الباب متفؤهة:

-دي تلاقىها ريتا ... أصل أنا قولتلها تيجي عشان تساعدنا...

خيم الليل عليهم وهم في هذا المنزل يجتمعون داخل البهو، كلٌ منهم مُنشغلٌ فيما يعنيه مُنتظرين حتى يكتمل عددهم حتى يتناقشوا فيما يُفيد، أو حتى يتمتعوا قليلاً بوقتهم سوياً كما يفعلون في كل ليلة، فها هو يجلس جابر على أريكة البهو وجواره خالد الذي يُحاول تعليمه للمرة المئة إحدى قواعد النحو مُستغلاً وظيفته كمُعَلِّمٍ للغة العربية حتى يُساعده على المُذاكرة كي يستطيع اجتياز اختبارات محو الأمية.

يجلس بجوارهم أيضاً كلاً من مُعترز الذي يتناول الفول السوداني وأمامه ميجو مُنهمكاً بتدخين لفافة تبغه ونفث أدخنتها الرمادية في الهواء حتى تخلق سُحباً كثيفة مُلوثة.

بعد المرة المئة من الشرح ألقى جابر كراسته على الطاولة متفؤهاً بيأسٍ قد لزمه بعد أن أدرك أن عقله لا يستجيب لتلك المعلومات أبداً وكأنه كتلة من الحجر.

**-الحاجات دي صعبة أوي ... أنا مش فاهم حاجة ... وشكلي مش هروحو
الاختبارات**

خرجت الكلمات من فوهه بيأسٍ تبعه تنهيدة عميقة حملت استسلامه؛ وضع خالد يده على كتفه كمحاولة لتحفيزه بطريقته المعتادة:

-لا تيأس يا عزيزي ... فحتى توماس أديسون لم ينجح سوى بعد المحاولة المئة

قطب جابر حاجبيه بحيرة من حديثه وعن هذا الشخص الذي يتحدث عنه والذي بالأحرى، لم يسمع عنه أبدًا، أو أنه استمع إلى اسمه لكن لا يتذكر متى، لذلك أرفد مُستنتجًا:

-أديسون !! ... هو ده إللي اخترع التفاحة ؟

أخفض خالد ذراعه عن جابر ليرمقه بعوالم مستهجنة قال معها ببعض الاندفاع الذي يصحب حديثه كلما اشتم رائحة الغباء.

-ماذا؟ .. ما الذي تقوله أيها الأبله ؟

تدخل مُعترز في حديثهما بعد أن قهقهه بسخرية على حديث جابر الأحمق والذي حاول تصحيحه بثقة:

-تفاحة إيه يا بني ... توماس أديسون مخترع التفاحة...

ظن خالد لوهلة أن مُعترز سينتشله قبل أن يفقد صوابه لكن ما قاله مُعترز جعله يتأكد أن لا حياة لمن تنادي.

-عشان إللي اخترع التفاحة كان اسمه نيوتن ... حتى كانت وقعت على راسه وهو نايم

قالها بطريقة علمية جعلت خالد يكاد يستشيط من الغضب، حيث أشاح بيده وهو يهتف باندفاعٍ ونبرة ناهرة:

-ما الذي تقوله أنت الآخر ؟

أخذ ميجو نفساً من لفافته ثم نفثه في الهواء قبل أن يتقدم بجذعه محاولاً انتشاراً خالد
من برائن الحماسة هذه بقوله:

-معلش يا خالد العيال دي جاهلة..

ثم وجه الحديث نحو مُعتز وجابر هادراً ببعض التوبيخ:

**-ياض يا مُتخلف إنت وهو ... إلی اخترع التفاحة مش نيوتن ومش أديسون
إلی اخترع التفاحة اسمه ستيف جوبس حتى من كُتر حُبه في الاختراع عمله
على جهاز محمول ... بس تقريباً كان جعان فكل منها قطعة**

هنا ولم يعد يتحمل خالد أكثر، فهؤلاء الحمقى يتناقشون فيمن اخترع التفاح، ولا يعلمون أن التفاح أنبته الله من الأرض، وكان يعلم أيضاً أنه إذا تناقش مع أولئك الحمقى فحتمًا سينفجر وهو جالس مكانه؛ لهذا السبب وثب عن الأريكة متقوِّهاً بغضبٍ حمل نفاذ صبره:

-لا أتحمل أكثر من ذلك...

هرؤل بعدها نحو الطاولة التي تنتصف الجزء الآخر من البهو والتي يجلس عليها كلاً من إسلام ولؤي وأمامهما كوبين من الشاي يحتسيانه بهدوء ويتناولان قطع البسكويت الموضوع على صحنٍ زجاجيٍّ بمُنتصف الطاولة.

تناول إسلام قطعة من البسكويت ثم شرُد بعينيه بعيداً مما يعني أن النزعة الفلسفية التي تزوره في كُل ليلةٍ أن أو انها الآن، فكان يُهترل أمام لؤي الذي يستمع إليه دون أن ينبس ببنت شفة.

**-تعرف يا لول لو العالم مكنش فيه شر ... الناس مش هتعرف يعني إيه خير
.... لكن لو العالم مفيهوش خير الناس هتعرف يعني إيه خير**

قطب لؤي حاجبيه ببلاهة يحاول أن يفهم المغذى من حديثه بسؤاله:

-إيه الكلام ده ؟

أرعى إسلام ظهره على مسند المقعد لينتشل كوب الشاي عن الطاولة ويُقربه من فمه ليرتشف منه رشفة بسيطة ثم يواصل الحديث مُعتبرًا نفسه أحد الفلاسفة في العصر اليوناني:

-يعني من غير الشر، مش هيكون في حاجة اسمها خير ولو العالم بقى شرّ بس ... الناس هتحتاج الخير من الآخر كدة لو العالم مفيهوش عيانيين ... الدكاترة مش هيكونو موجودين بس لو العالم كله عيانيين ... الناس هتحتاج لدكاترة

ازدادت عوالم البلاهة على وجه لؤي وأخذ يتسأل بداخله : هل هذا ما يُريدني إسلام من أجله ؟ أن استمع إلى نظرياته الفلسفية العجيبة ؟

-أيوة يعني إنت عايز إيه بردو ؟... وبعدين إيه دخل الكلام ده بالموضوع إللي إنت عايزني فيه ... إنت مش قولت عايز طريقة تدور بيها على مُتقلين ؟

آعاد إسلام كوب الشاي على الطاولة ليُجيب لؤي بؤد:

-يا لول أنا بدردش معاك ... بعدين أه .. أنا كنت فعلاً عايز اسألك على طريقة تدور بيها على مُتقلين، حاول تنخور " تبحت " كدة في السجلات وتشوف حد اتولد معانا في نفس اليوم ... إنت ظابط وتعملها

كاد يُجيبه لؤي لكن قطعه مجيء خالد بعوالم غاضبة جعلته يرتمي على المقعد المجاور لإسلام هادرًا بتدمر امترج بنبرته الحكيمة:

-هناك من يعتقدون أنهم يمتلكون العالم ... بينما الحقيقة أن ما يمتلكونه هو كتلة من الغباء

قهقه إسلام بسُخرية استنتج معها:

-هُمَا عَلِّمُوا عَلَيْكَ وَلَا إِلَيْهِ؟

آراد خالد أن يُبدي شكْوَتَه ويفصح عمَّ بجعبته لكن جرس المنزل قطع حديثه وأوقف لسانه عن الجِراك؛ أزاح إسلام جسده عن المقعد كي يبتعد عن الطاولة ثم يثب عن المقعد متفوّهاً بتقرير:

-استنى أقوم افتح الباب....

سيارة فارهة سوداء اللون من ماركة فيراري يقودها شابٌ مُطرفٌ من الطبقة المخملية في تلك المنطقة البسيطة المُتقطّعة بالمباني العتيقة والعديد من الأتربة التي لطخت تلك الطُرقات المائلة للعشوائية.

كان ينوي اصطفاف سيارته فُرب أحد المباني لولا هذه السيارة الحمراء الفارهة التي تصطف في أكثر الأماكن حُمفًا، فسيارتها تصطف في مكانٍ يسع سيارتين وليس سيارة واحدة تقف بمُنْتصف المكانين وتحجب السيارات الأخرى من الاصطفاف ورائها.

حاول مخيمر العثور على رُقعة أخرى للاصطفاف فيها لكنه وجد أن هذه الرقعة هي الأكثر استراتيجية نظرًا لكونها أمام البناية مباشرة؛ ترجل من سيارته التي تركها في مُنتصف الطريق ليتقدم نحو ريتا الماكثة داخل سيارتها تضع الهاتف على أذنها وتتحدث بلكنة غاضبة تكاد تجعلها تفقد أعصابها:

-يا ماما بقى قولتلك هروح عند أصحابي ... لأ ... مش هقابل سي رامي بتاعكم ده ... يوه بقى_

قطع حديثها طرقاتٍ عديدة على النافذة جعلتها تترك هذه المشاجرة الروتينية وتلتفت صوّب النافذة التي أظهرت خلفها شخصًا بلامح رقيقة ووجه أملسٍ أبيض البشرة مع شفاهٍ وردية وخُصلاتٍ شعرٍ طويلةٍ مُسترسلة يكاد يصل طولها إلى خُصلات شعرها، بل حتى تكوينه الجسدي به شيءٍ غريبٍ يجعلها لا تستطيع تحديد إذا كان رجلًا أم

فتاة، فما كانت تفعله هو التحديق به بغرابة وبعض الاشمزاز الذي سرعان ما تحوّل إلى الاستذكار لأن هذه ليست أول مرة ترى فيها هذا الشخص.

-إنتِ يا أنسة...-

قالها مخيمر بصوتٍ مُرتفع حتى تستمع إليه من خلف الزجاج، أعادت الهاتف على أذنها لتُحاول إنهاء المُكالمة باستئذان:

-سلام يا ماما دلوقتي ... سلام

أغلقت المكالمة لتضع يدها على مقبض السيارة حتى تفتحها بحدة أبرزت غضبها مما فعله مخيمر وطرقه على نافذتها بتلك الهمجية التي تعتقدها:

-نعم!... مش شايف إن معايا تليفون ... وبعدين إيه إللي جابك هنا؟

حافظ مخيمر على هدوءه رغم حدثها التي لا تحمل أي معنى سوى أنها فتاة مُندفعة ترغب في السيطرة وفرض آرائها على الآخرين:

-ممكن حضرتك تقدمي شوية بعربيتك عشان عايز أركن؟

قالها بتهديبٍ لا يخلو من بعض الحدة التلقائية بسبب نظراتها الحادة، ربطت ريتا ذراعها هادرة بعناد:

-ما تروح تركن في حطة تانية ... أنا مش هتحرك من مكاني

ازدادت حدة مخيمر وهو يهتف بوجهها بطريقة حافظت أيضاً على تهذيبه:

-حضرتك واخدة مكان عربيتين ... فمفيش داعي إنك تقدمي شوية عشان حد تاني يركن

أطبقت على شفثيها بعنادها الذي يزداد أكثر لأنها تمقت الأوامر وتمقت تنفيذها، فدائماً ما كانت الفتاة الطائشة التي لا تتبع أي من القواعد والنصائح حتى ولو كانت قواعداً إجبارية، لهذا السبب أصرت على عنادها متفوّهة:

-وأنا بقي مش هتحرك بعريبيتي ... واتفصل شوفلك حته تانية اركن فيها

كؤور مخيمر قبضته في غضبٍ بعد أن تأكد أن تلك الفتاة لا يُجدي النقاش معها، فهي لن تُنفذ طلباته سوى بعد أن تنال عقاباً أو تهديداً، وهذا ما دفعه ليقول بغضبٍ تسرّب إليه هو الآخر رغم شخصيته الهادئة:

-لآخر مرة هقولك ... اطلعي بالعربية بدل ما تشوفي مني وش تاني

ما إن بصق تلك الكلمات حتى قهقهت بسخرية وتهكمٍ بدا صريحاً وهي تقول:

-أشوف إيه !! ... إنت فاكِر نفسك مين ؟ ... عاملي فيها راجل وإنت شعرك أطول من شعر الستات...

أبعدت رأسها عنه وهي تواصل تهكماتها دون مراعاة لمشاعره، فغضبها اللامبرر هو الذي يسوقها إلى تلك الأحاديث:

-بقي على آخر الزمن راجل عامل نفسه بنوته هو إللي يبجي يهددني ... روح يا حبيبي اتعلم الرجولة الأول وبعدين اتكلم معايا

قبض على يده حتى ابيضت مفاصلها، كان على وشك الهتاف بوجهها وإخبارها أن حالته هذه ليست بإرادته، فهو لم يشأ أن يتم إنجابه بتلك التشوّهات الجسدية التي تجعله أقرب للنساء، فقد وجد نفسه على هذه الهيئة، يناديه الجميع مسخاً رغم أن المسخ يتكوّن داخل قلوب البشر.

بدأت شفثيه بالارتجاف وعينيه تتحوّلان إلى اللون الأحمر وكأنه على وشك البكاء، فكلماتها ذكّرتّه بتفاصيل يُحاول جاهداً أن ينساها، يقسم أنه إذا أقبل على الرد فسوف يتحوّل إلى جبلٍ ينهار بسبب عاصفة رعدية قوية، لهذا السبب اكتفى بالصمت وابتعد

عنها بهدوءٍ دون أن ينبس ببنت شفة، فكان صمته بمثابة جوابٍ لها، ونظراته المتألّمة
آعدت الأحاسيس داخل فؤادها.

استقل مخيم سيارته وانطلق بها عدوًا وبحثًا عن مكانٍ آخر بينما بقيت هي في
مُنتصف الطريق تضرب جبهتها وتردف بتأنيب الضمير:

- غبية .. أنا غبية .. إزاي قولتله كدة ؟

تمتت بتلك الكلمات بعد أن أدركت كلماتها القاسية التي بصقتها دون مراعاة لمشاعر
من يقف أمامها، فدائمًا ما تبصق الكلمات الخاطئة في لحظات غضبها وتسرعها، كم
وُدت لو تستخدم قوّتها وتعلم الحُزن الكامن داخل قلبه والذي استشعرته فور أن رماها
بتلك النظرات الموجوعة.

وضعت كوكي يدها على المقبض لتفتح الباب وتجد ريتا أمامها بعوالم مُقتضبة لا تتم
على أنها في مزاج جيد، ابتسمت كوكي ابتسامة بشوشة وهي تدعوها للدخول
وثرحب بها بحرارة ثم تستأذن لتضع بسملة داخل حُجرتها.

توُغلت ريتا المنزل لترتمي على الأريكة بجسدٍ متهوّدٍ رخوٍ كالعجينة، فكان ترحيبها
بهن ترحيبًا جافًا أبدى شعورها بالذنب.

لاحت الغرابة على وجه داليا التي سألت فورًا:

-مالك ؟ ... بوذك مترين كدة ليه ؟

تنهدت ريتا تنهيدة عميقة قالت بعدها بعوالم شاردة:

-أنا غبية ... أنا مشوفتش أغبي مني

ازدادت عوالم الحيرة على وجوههن خاصة بعد كلماتها التي امتزجت ببوادر البكاء،
اقتربت شمس نحوها كي تستفسر أكثر وترضي فضولها:

- غيبة ليه؟ ... عملتي إيه؟

حاولت ريتا الاعتدال في جلستها لتقترب نحوهن وتبدأ الحديث بإحساسٍ بالذنب الذي
يلتهم فؤادها:

**-الراجل إلي اسمه مخيمر ده ... اتخانقت معاه تحت، وتقريبًا كدة اتريقت على
خلقته ... بس والله مكنش قصدي، أنا لقيت لساني بيقول كدة فجأة**

انتبهت الأعين لحديثها فسألته يسرى مستفسرة:

-وهو أصلًا إيه إلي خلاكي تتخانقي معاه؟

رمقتها ريتا لوهلة ثم أشاحت عينيها عنهن لتجيبها بصدقٍ حمل ضيقها:

-كان بيقولي أتحرك بالعربية عشان يعرف يركن .. بس أنا مش بحب حد يؤمرني

تلقت ضربة على كتفها فور انتهاء حديثها وكانت تلك الضربة البسيطة من داليا التي
أردفت باستنكار:

-جاتك نيلة .. ما كُنتي اتحركتي بعربيتك وخلصنا لازم يعني تحُطي التاتش بتاعك

اعتدلت ريتا بجلستها مُبررة ردة فعلها باندفاع:

**-منا مش بحب حد يؤمرني ... مش كفاية ماما إلي كل شوية اعلمي كذا
ومتعمليش كذا ... أنا يا جماعة زهقت من الأوامر**

تقدمت يسرى بجذعها وهي تُحاول ارشادها بلكنة أقرب للحكمة:

-بس فيه أوامر لازم ننفذها عشان منأديش إالي حوالينا ... يعني لو لقيتي واحد
بيستجد بيكي وبيطلب مساعدتك في حاجة هترفضي عشان مش بتحبي حد يقولك
تعملي إيه ؟

زادت كلماتها من شعور الذنب لدى ريتا مما دفعها لقول:

-أكيد هساعده ... بس الموضوع كان مُختلف

نصحتها يُسرى مجدداً كونها الأكبر سنًا والأكثر نُضجًا من بينهن:

-لأ هو نفس الحاجة ... طالما الأوامر إالي هتنفذها مش هتضرك يبقى لازم
تنفذها عشان متضريش غيرك

أخفضت ريتا رأسها في خُذلانٍ وبقيت صامتة تُفكر في ردة فعلها المُتعجرفة وتُفكر
أيضًا في طريقة لإصلاح ما أفسدت باعقادها المتهوّر أن الأوامر هي عدوٌ لدودٌ لا
يُمكن الانصياع له أبدًا، لكنها تكتشف أن الأوامر هي سلاحٌ قد تستخدمه لأذية نفسها
أو للدفاع به عن غيرها.

قطعت قمر وصلة النقاش هذه باقتراحها الذي غير مجرى الحديث:

-طب بقولكم إيه ما تيجو نُخرج ؟ ... إحنا بقالنا كثير متفسحناش

أعجبت داليا باقتراحها فتقدمت بجذعها متفوّهة بلهفة:

-والله فكرة ... نروح العتبة ولا العباسية نتمشى شوية ... الساعة لسة تسعة يعني
معانا وقت

تدخلت كوكي بالحديث لتُبدي اعتراضها:

-طب وبوسي ؟

التفتت داليا نحوها لتقترح عليها:

-سيبها عند ماما ... كدة كدة ماما بتحبها ... وهي كلها كام ساعة وهنرجع تاني

أومات كوكي بموافقة لنتب بعدها قمر بحماسٍ طفولي دعتهن معها بالوثوب والتمتع
بسحر الليل والتجوُّل في الأسواق الشعبية كأصدقاء يُرفهن عن نفسهن بعد تقلبات
الحياة ومشاقها....

توغل منزل إسلام بعد أن تمت دعوته للمناقشة في أمر التثبيت، لكن عوالم الضيق
لازالت تلوح على وجهه وتجعله يدلف المنزل وكأنه يدلف عزاءً.

-إيه يا سطا التأخير ده ؟

سأله إسلام بعتابٍ لم يخلو من وُدّه لإضفاء جوٍ من الصداقة، لكن مخيم لم يُجيبه
سوى بإجابة مُختصرة جافة تبعت أقدامه وهي تقترب نحو الأريكة ويرتمي عليها
بجوار مُعترز الذي وثب للتو ليُصافحه.

-مكنتش لاقى ركنة

هكذا أُردف مخيم ليجعلهم يرمقونه في تيهٍ ورغبة جامحة لمعرفة ما يدور بذهنه؛
ارتمي مُعترز على الأريكة جواره ليضع يده على كتفه نابساً بسؤال:

-مالك يا سطا ؟

مرّت بُرهة من الصمت لم يُجب فيها مخيم وبقي مُحفظاً بعوالم ضيقه ونيران
الخُذلان التي عاودت التهامه كما كانت تفعل سابقاً.

طالت فترة صمته مما جعل الريبة تنتقل إليهم حتى سألهم ميجو بصوتٍ أقرب إلى
الخفوت والتهيه:

- هو ماله ؟

بينما اندفع لؤي كعادته وهو يسأل ببعض الحدة لعله ظن أن أحدهم قام بمضايقته
وعليهم الانتقام منه فوراً:

- في إيه يا مخيمر ؟

وأخيراً، استيقظ مخيمر من غُمره صمته وتنهّد تنهيدة مطوّلة قبل أن يبصق ما يكتنيه
بصدره:

- هو أنا مسخ ؟

تبادلت النظرات بينهم بعد سؤاله الغريب والذي رُبما يحمل ألمه الدفين، اقترب إسلام
نحوه حتى جلس بجواره من الناحية الأخرى وهو يتسأل:

- إيه إلهي خلاك تقول كدة ؟

أبعد مخيمر عينيه عنه ليخفيها إلى أسفل حتى انسدت خُصلات شعره بجوار أذنه
وكادت تُغطي ملامحه الموجوعة أثناء قوله:

- كل الناس ... كل الناس بتقول كدة ... كل إلهي يشوفني يبصلي بقرف كأنه شاف
عفريت...

التفت برأسه نحوهم ليوصل حديثه بصوتٍ ارتفع قليلاً وكاد ينجرّف نحو الخُدلان:

- أنا ذنبي إيه إن ربنا يخلقتي كدة ؟...

أشار على نفسه مع آخر كلماته حتى أحسوا بالشفقة تجاهه وكادوا يلحظون تلك
الدموع التي تآبى التكوّن على مقلتيه، فبعد فترة وجيزة من الصمت والاستماع إلى ما
بجعبته من ضروب الوجد من هذه الحياة، وضع إسلام يده على كتف مخيمر ليُرَبِّت
عليه تربينتين تبعهما بحديثٍ مُحفّرٍ حمل نُصحه وتوجيهه:

-إنت ملكش ذنب في حاجة ... بس ربنا زي ما خلق الداء ... خلق الدواء ... يعني
إنت في إيدك تتغير

قطب مخيم حاجبيه بإبهامٍ من حديث إسلام حتى سأله مُستفسرًا:

-اتغير إزاي ؟

تدخل لؤي بالنقاش ليحاول إرشاده بأصابع تُشهر نحو خُصلات شعر مخيم المُتدلية
:

-يعني شعرك ده مثلاً ... مش هيجرى حاجة لو قصرته شوية

ارتعدت فرائس مخيم وبدأ يتحسس خُصلات شعره العزيزة عليه متفوّهاً باعتراض
:

-لأ ... كله إلا شعري ... دا أنا صارف قد كدة في الـ **hair routine** بتاعي

ما إن أدلى تلك الكلمات حتى انفجر إسلام بالضحك حتى تقوّصت معدته، رفع جسده
قليلاً ليهدف بسُخرية من حديث مخيم الذي ذكره بشخصٍ يعلمه جيداً.

-يا بني إنت بتقعد مع داليا ؟ **hair routine** ... إيه يا عم دي حاجات حريم...
بعدين هو حد قالك تشيله خالص ؟

تمسك مخيم بخُصلات شعره أكثر وكأنه كنزه الثمين، فكان يُحاول الابتعاد عن
أولئك الوحوش بقوله:

-لأ ... أنا مش عايز، أنا بحب شعري كدة

تحرك ميغو ليثب خلفه مباشرة ويبدأ طمأنته بقوله:

-يا سطا متقلّش ... دا الواد عنبة عليه واحدة بومبادور هتتسيك نفسك

ابتعد مخيمر عنه وعن جميع الحاحاتهم التي تخترقه وتكاد تُفجر طبلة أذنه، وثب بمُنْتَصَف البهو هادراً بوجوههم بلكنة صارمة مليئة بالإصرار وكأن الشاب الرقيق ذو الملامح البريئة انقلب مرة واحدة إلى أسدٍ جسور:

-محدث يقولي تاني أقص شعري ... عشان شعري خط أحمر فاهمين؟ ... خط ...
أحمر...

بعد مرور بضع ساعات...

يقف مخيمر أمام المرأة يُمرر يده على خُصَلات شعره التي أضحت قصيرة للغاية تماثل خُصَلات شعر الرجال الطبيعية، فبعد العديد من الالاحاحات انتصروا عليه وأقنعوه بقص شعره ومحاولة التصرف كالرجال حتى لا يبقى للجميع حُجة للتعليق على هيئته والتحديق به بتقزز، ربما تكوينه الجُثماني لم يتغير، لكنهم اقترحوا عليه أيضاً أخذ هذه العقاقير التي تُساعد على تحفيز هرموناته الذكورية حتى تتغلب على هرموناته الأخرى.

-مش قولتلك كدة هتبقى أحلى

قالها لؤي بتشجيعٍ وابتسامة تعلق وجهه فالتفت مخيمر نحوهم ليسألهم بلهفة:

-يعني أنا كدة بقيت راجل؟

أجابه إسلام بصدقٍ وهو يثب أمامه مباشرة:

-هو شكلك يدي على مُراهق ... بس أهو أحسن من واحدة ست لا مؤاخذة

ابتسم مخيمر ابتسامة خافتة بعد أن شعر ببعض الأمل بأنه سيتخلص من تلك العلة، بينما كان ميغو في الخلفية يدفع الأموال لمُصفف الشعر ثم يلتفت نحوهم متسألًا بحماس:

-ها يا رجالة ... مش هنتقل ولا إيه؟ ... فين النسوان إلي هنجيبها

تلقى صفة خلف عنقه فور أن أنهى حديثه، ولم يفكر طويلاً في صاحب تلك الصفة الذي كان ينهره بحدة:

-نسوان في عينك يا إلهي مشوفتش ساعة واحدة تربية ... إحنا رجالة متجوزة

اعترض جابر حديثه وهو يرفع يده:

-لأ أنا مش متجوز

ابتسم ميجو وهو يمد يده لينتشل جابر من بينهم رغبة في استدراجه بطريقة مازحة:

-طب تعالى عند أخوك نسيب البؤساء دول ونسهر في الكبارية

أحاطه ميجو بذراعه بعد أن لمح بوادر اللفظة على وجه جابر الذي لم يكتشف الحياة بعد، فطيلة حياته لم يخرج من المُستنقع المُقزز الذي كان يعمل فيه بالإجبار، وما إن تركه حتى أتى على منطقة بسيطة بين أشخاص مُتزنين فيما عدا ميجو الذي أتى عليهم فجأة.

-كبارية !! ... هو إنت بتروح كبارية ؟

قهقه ميجو بسخرية على حديث جابر الذي قال بعده بصدق:

-دا أنا متربي فيه ... تعالى بس وأنا_

وقبل أن يتحرك خطوة كان يقف مُعتز كالسد المنيع بينهما قبل أن يتغلغل سُم ميجو ويُفسد يرعة صغيرة مُقبلة على الحياة التي يجب أن تضحى نظيفة، فكان مُعتز يدفع ميجو إلى الوراء هادراً ببعض الحدة:

-تعالى هنا ... واخده ورايح على فين ؟... إنت عايز تبوظه ؟

خرجت قهقهة ساخرة من جوف ميجو الذي أردف بعدها:

-أبوّظ مين يا سطا ده هو أساسًا كان حرامي

قطع إسلام وصلة جدالهم بحديثه المُقرر الذي جعل جميعهم يلتفتون نحوه:

-بقولكم إيه يا رجالة ... عايزين تتبسّطو؟

أبدا الجميع موافقته فأكمل إسلام حديثه بنفس لكنته الواثقة والمُتحمسة:

-يبقى يلا نؤلّعها....

ديجور الليل وسكونه لم يظهر في تلك البُقعة الصخرية، فالجميع هنا يتجوّل في الشوارع وبيتاع الأغراض رغم أن الساعة تكاد تدق الثانية عشر مُنتصف الليل، وبين هذه الأسواق الشعبية التي بدأ مالكوها يضبون أمتعتهم استعدادًا للرحيل، كانت هذه الفتيات يتجولن بجوار بعضهن ونوبة من الضحك الهستيري تنتابهن وهن يتذكرن بعضًا مما مررن به في هذا اليوم المجنون.

كانت قمر تحمل حقيبة بلاستيكية صغيرة تحتوي على وشاح جديد قد ابتاعته لأنها لا تستطيع أن ترى الأوشحة بألوانها الزاهية ولا تتباع منها شيئًا، فلديها من الأوشحة ما يُعادل متجرًا بأكمله.

-تعالو يا جماعة نوقف أي تُمنية ونروّح ... الوقت اتأخر أوي

وافقنها الرأي وبدأت رؤوسهن تتلفت في كل مكان بحثًا عن وسيلة المواصلات المرادة.

-أهي تُمنية أهي

قالتها شمس وهي تُشير أمامها ثم تهرول نحو عربة ذات ثمان مقاعد بالكاد تكفيهن، هرؤل البقية خلفها ليلحظن أن العربة خالية من جميع الركاب وهذا من حُسن حظهن،

فعددهن يمنعهن من البحث عن وسيلة مواصلاتٍ مناسبةٍ تحتوي على مقاعد خالية تكفيهن.

-تحرير يا سطا ؟

سألت شمس وهي تقف بجوار العربة مؤجّهة حديثها نحو السائق الذي تفحصهن بنظراتٍ جامدةٍ ولفافته التي أخذ منها نفساً وأطلقه على هيئة أدخنة قبل أن يُجيب:

-أيوّة يا أنسة

هللت الفتيات في سعادة لأن العثور على وسيلة مواصلاتٍ في توقيتٍ كهذا هو أمرٌ شبه مُستحيل، خاصةً وهن لا يُريدن إخبار الرجال أنهن تركن المنزل دون إذنٍ منهم.

-مش كُنا طلبنا أوبر ؟

قالتها كوكي بتذمرٍ وهي تستقل تلك العربة بجوار يُسرى التي اتخذت المقعد المُلصق للنافذة وطفقت تقول:

-إنتِ عارفة الأوبر ده هياخد فينا كام ؟ بـعدين ومالها التُمنية ... أهي حاجة جديدة تجرببها

بينما على جهة أخرى كانت تقف قمر أمام المقعد وجوارها شمس تهتف بجـدال:

-أنا إلي هقعـد جنب الشُباك إنتِ قعدتي وإحنا راـيحين ؟

جادلتها قمر كالعادة رغم كبر سنـها ونُضجها، فشجاراتهما السانـجة ربما ستبقى معهما طوال الأمد.

-إحنا هـنهد من أولها ... إنتِ إلي قعدتي جنب الشُباك بـآمارة القلوب إلي كُنتِ بترسميها على الإزاز

كادت تُكذب شمس حديثها بصوتٍ مُرتفعٍ قطعته داليا وهي تخترقهما وتهتف بإصرارٍ
:

-أنا إلهي هقعء جنب الشُباك ... روهي يا قمر أقعءي جنب ريتا...

ءفعت قمر بعيداً عن المقاعء متجاهلة تءمرها ورغبئها الجامحة بالجلوس بجوار
النافءة وتفقء الطريق، لكن داليا تعلم جيداً أنها إن لم تتءخل فسيستمر الجءال بينهما
لئلائ ساعاءٍ أو ربما حتى الصباص....

انطلق السائق بالعربة وبقي يتجول بين الطرقات المظلمة لساعاءٍ وساعاء، وكانت
داليا في تلك الأثناء قء غفت تماماً ورأسها استءء على الزجاج المثلج بسبب بروءة
الطقس، بينما كانت يسرى في المقعء الخلفي تفتح إءءى الروايات على هائفها
وتقرأها وجوارها كوكي تضع السماعاء على أءنها لتستمع إلى بعض الموسيقى
حالما يصل بهم السائق إلى المنزل.

وكانت قمر في هذه الأثناء تتحدث مع ريتا وتُخبرها بأهمية:

-عرفئى حاجة عن إلهي اسمه وجدان ده ولا مش عارفة إيه ؟

سألئها عن ذاك الرجل العجيب الذي أتى المركز في يومٍ من الأيام ولم يأت بعءها لكن
قمر اكتشفت بالصدفة أنه مُجرمٌ مئهربٌ من العءالة.

**-معرفش ... بس أنا شاكة إن وراه حاجة، وعايزاكي تجيبيلي التسجيل بتاع
الجلسة بتاعئكم**

أومأت قمر بموافقة قالت بعءها:

-ماشى .. بس فكريني عشان بنسى

أبءت ريتا موافئئها وبقياء في حالة من الصمت لوهلة حتى قطعئها قمر مُغيرة مجرى
الحءبئ:

-هو احنا اتأخرنا كدة ليه ... التحرير مش بعيد أوي عن هنا

قطبت ريتا حاجبيها باستفهامٍ لأنها أيضاً كادت تسأل هذا السؤال، فليس من الطبيعي أن يأخذ السائق هذا الوقت الطويل والطُّرقات خالية من السيارات.

-معاكي حق ... ما تيجي نشوف

ما كادت تُنهي حديثها حتى توقفت العربية في إحدى البقاع المُظلمة التي من شدة ظُلمتها، كانت المباني أشبه بوحوشٍ من الظلام.

هدرت قمر بأريحية وهي تثب عن مقعدها استعدادًا للترجل من السيارة.

-أخيرًا وصلنا...

ثم وجهت حديثها نحو شمس الجالسة على المقعد المقابل لها لتُخبرها:

-صحي الجُثةِ إلي جنبِ ك دي عشان وصلنا

انتبهت شمس لأوامر شقيقتها فالتفتت نحو داليا الغافية تمامًا ووضعت يدها على ذراع داليا لتَهزها هزات هادئة نادت معها باسمها لكن داليا لا تزال غافية تَأبى الاستيقاظ وتكتفي بهمهماتٍ وكلماتٍ لا معنى لها.

وثبت يُسرى وكوكي أيضاً واقتربا نحو الباب استعدادًا للرحيل، لكن ما حدث أوقف تحركاتهن وجعلهن يتصلبن واقفين في صدمة وهلع.

جموعٌ من الرجال اقتحوا العربية بهمجية جعلت أجسادهن ترتد إلى الخلف والانقباض يتغلغل في أفئدتهن..

-ه..ه..هو في إيه؟

قالتها قمر بصوتٍ متلجلج حمل ارتعادها وخوفها، حيث تذررت خلف ريتا التي كانت عوالم وجهها جامدة تحاول فهم ما يحدث قبل أن تتخذ أي خطوة.

-مين دول ؟

سألته كوكي وهي تلتصق بصديقاتها ويتراجعن للوراء أمام هؤلاء الرجال الذين أظهروا أسلحتهم مرة واحدة وجعلوا الشهقات تتعالى من جوف الفتيات، فكانت تلطم قمر على وجنتيها وتسب حظها بينما يتحوّل وجه كوكي إلى اللون الأحمر استعدادًا للُبكاء، ويُسرى في عالم موازٍ تحاول تفحص جميع التفاصيل لتدوّننها في روايتها الجديدة، وريتا تبحث عن طريقة للنجاة دون استخدام طاقتها أمام هذا الكم من الرجال حتى لا ينكشف أمرها وينقلب السحر على الساحر.

وداليا في عالم افتراضي لا تزال غافية تمامًا وشمس بجوارها تحاول إيقاظها بصوتٍ مُرتعد:

-داليا ... داليا قومي بسرعة

أنهت شمس حديثها بصوتٍ مُرتفع نجح بإيقاظ داليا أخيرًا، لكنها استيقظت بتذمر جعلها تقول:

-إيه يا جاموسة بتصحيني ليه ؟ ... هو إحنا وصلنا ؟

قالتها داليا بنعاسٍ فأجابتها شمس بصدق:

-لأ مؤصلناش ... بس في ناس تقريبًا كدة هيخطفونا

أرجعت داليا رأسها للوراء لتعاود غلق عينيها متفوّهة:

-يبقى خلاص سيبيني لحد ما نؤص...

توقفت عن الحديث لتفتح عينيها باتساع بعد أن تذكرت الشيق الآخر من حديث شمس
والذي أصابها بالصدمة:

-إيه !! ... إن... إنتِ قولتي إيه ؟

لم تُجبها شمس وأجابها صوتٌ غليظٌ وظلال الأسلحة تُشهر أمامهن وتُحيطهن من كل
حذبٍ وصُوب:

-انزلي يا بت إنتِ وهي يلا

فركت داليا عينيها بعدم تصديقٍ لما يحدث أمامها والذي جعلها تقول:

-هو أنا لسة بحلم ولا إيه ... ما تقرصيني يا شمس خليني أصحى

إقترب الرجال نحوهن أكثر ودفعوهن خارج السيارة بينما كان الجميع يرفع يديه في
استسلام وقمر لا تزال تُغمغم بحسرة:

-أنا قولت بردك إحنا ناس فقر محدش صدقتي...

لم يستمع لها أحد وحلّت الغمامة السوداء على جميعهن بعد أن نثر الرجال نوعًا من
المنومات التي جعلت أجسادهن تتهاوى على الأرض فاقدى الوعي لا يعلمن ما هو
المصير الذي ينتظرهن بين أيدي أولئك المُلثمين....

الفصل الثاني عشر (جاسوس)

كما انفلق الجبل وخرجت الناقة، ستنفلق الصخور ويخرج منها الأمل والضياء...

مطرقة صلبة من الحديد تدق على رأسها الثقيل وهي ترفعها بثقل كما لو كانت فيلاً يُصارع للوثوب عن الأرض، أحست بوجع عنقها وشعورٌ من النعاس لا يزال يغمرها ويترك أثره عليها، التفتت بوجهها لتجد داليا بجوارها غارقة في سبات عميق وجوارها شمس وقمر يكادا يفيقا من النوم ويتسألان عن ماهية هذا المكان، التفتت إلى الناحية الأخرى لتجد كوكي بجوارها تُحاول إزاحة خُصلات شعرها البُرْتقالية عن فمها لتتفحص المكان حولها إلى أن نطقت باجها:

-إيه ده what is this place ? ... !

آفاقت داليا من غفوتها لتلتفت حولها هي الأخرى وتستننح أن جميعهن يلتصقن بجوار بعضهن بعضاً وذاك الحبل الغليظ يربط أيديهن وهن جالسات على وسادة كبيرة تتوسط حُجرة عتيقة شبه مُعتمة يحفها الكراكيب من كل حدبٍ وصُوب.

-إحنا اتخطفنا ولا إيه ؟

سألت قمر هذا السؤال بذعرٍ فأجابتها شمس بسخرية وتهكم:

-لا جايين نغير جو ... مش ناقصة أسئلة غبية

أنهت شمس الحديث بحدة حملت رهبتها من هُوَل الموقف لينتشر بعدها عوالم الذعر بينهن حتى أردفت كوكي بصوتٍ يكاد يضحى باكياً:

-هما هيعملو فينا إيه ؟ " I m so scared ... أنا خائفة للغاية"

حاولت يُسرى طمأنتهن بقولها الواثق:

-متلقوش يا جماعة ... هُما ياما هيعتدو علينا، ياما هيتاجرو في أعضاءنا ...
ياما_

قطعتها قمر بتوبيخٍ وصوتٍ مُرتفع:

-بس يا حجة سيبتي رُكبي ... هو لسة فيه ياما تاني

تدخلت ريتا بعد أن فاقت من غفوتها وقررت التصرف بسرعة ومحاولة الهرب من تلك العصابة بطريقة حكيمة لا تعلم كيف ستُنفذاها مع هؤلاء الأصدقاء:

-لازم نعرف إحنا فين عشان نعرف نطلب مساعدة

علقت داليا لتستنتج بثقة:

-إحنا كُنا عند جامعة عين شمس ... يبقى أكيد إحنا قُريبين من عين شمس

قالتها لأنها لا تعلم كم من الوقت مرّ وهن في الطريق بسبب غرقها في سُباتٍ عميقٍ مما يجعل وقتها يتآكل كما الطعام الشهي، وجهت قمر بصرها نحو داليا لتُصحح حديثها بحاجبين مُقطبين:

-يا داليا جامعة عين شمس مش في عين شمس أساسًا

ازدادت داليا غرابة وهي تعترضها:

-بجد! ... أنا كنت فاكرة إنها زي جامعة القاهرة إلي في القاهرة

هنا تدخلت شمس لتُصحح حديثها مجددًا:

-لأ ما هو جامعة القاهرة مش في القاهرة أصلًا ... دي في الجيزة

نزلت المعلومات على رأس داليا كالسهام بسبب جهلها بجميع الطُّرقات، هذا ما جعلها تتقدم قليلاً بجذعها وتستفسر أكثر متجاهلة أساس المُشكلة:

-إزاي الكلام ده ؟ ... أو مل اسمها القاهرة ليه ؟

قبل أن تُجيبها قمر قطعت يُسرى هذا النقاش عديم الفائدة بقولها المُتهكم:

-إنتِ جاية تكتشفي مصر دلوقتي ... يا جدعان إحنا مخطوفين ولازم نفكر في طريقة نهرب بيها

بدت نبرتها مُحفزة أشعلت بداخلهن الرغبة بالهرب أو رُبما القليل من الرغبة مع وجود بعض الأمل بإنقاذهن، فكانت كوكي تسأل بتمن:

-تفتكرو هيعرفو إننا اتخطفنا ؟

كانت تقصد أزواجهن الذين تركوهن دون حتى إعلامهن بالرحيل عن المنزل، كم كانت تؤد إخبار مُعتر على الأقل قبل الرحيل لكنها انسأقت كالحمقاء وراء الحاحاتهن واقناعها أنهن لن يتأخرن وأن أزواجهن سيؤقفهن فرحتهن ولن يوافقوا أبدًا.

-ولا هيعرفو حاجة ... الرجالة كلها معندهاش دم أساسًا

قالتها داليا بتهكمٍ وبنبرة أبرزت مُقتها للرجال رغم أنها متزوجة، لكنها على يقينٍ من أن إسلام لا يُفكر بها ولا تزوره في مُخيلته طوال الوقت كما ترى بالأفلام.

عارضت يُسرى حديثها وهي تتقدم بجذعها تُدافع عن قرّة عينها الذي على الأحرى يكتب لها الأشعار الآن، فهي تعلم جيدًا كم يُغرقها من العشق والفتون والأبيات الشعرية التي تتغلغل في قلبها، لهذا السبب بدا صوتها مُحثدًا وهي تُكذب حديث داليا بثقة.

-اتكلمي عن نفسك ... خالدوي أكيد زمانه يفكر فيا دلوقتي وبيحاول يتصل بيا...!

انتشرت الموسيقى الصخرية على جهة أخرى داخل منزل يعتج بالأضواء الملونة والمتنقلة ما بين الأزرق والأحمر والبنفسجي، أصوات الأغنية الشعبية كادت تُحطم الجدران من ارتفاع صوتها، فلو كانت البناية تحتوي على سكان آخرين غيرهم لما تم إبلاغ الشرطة عن الضجيج منذ فترة طويلة.

كان خالد في مُنتصف الحلقة يتفاعل مع الأغنية الشعبية ويحاول تقليد إسلام الذي يتراقص رقصات شعبية ويلوح بالهواء بيديه ثم ينحني بجسده ويواصل حركاته بجوار خالد وميجو وكذلك جابر ومُعترز ولؤي الذي يُقهقه ويحاول الاندماج معهم والغناء بجنونٍ مع تلك الأغنية الصخرية.

-تلاقيه دلوقتي عايز يمشي ويرجع يقعد معايا ويقول شعر زي كل مرة

-اللجنة على الزواج

قالها خالد بصُخبٍ وصوتٍ مُرتفعٍ شجعوه عليه وبقوا يُصفقون بجواره ويُهللون بحرّية العصفور الذي بقي مُكبلاً بالأصفاد الحديدية وها هي الفرصة لكي يتحرر بعودتهم إلى حياة العذوبية مُجدداً.

أنهت يُسرى حديثها الهائم وعادت إلى أرض الواقع وإلى تلك الحُجرة المقبّية وتلك القيود التي تُكبلها هي وصديقاتها لكن الهيام لازال على صوتها حتى قطعها قمر بضيق:

-أنا مش مضايقتي إلا حاجة واحدة بس ... إني ملحقتش ألبس الطرحة إالي جيبتها

أنهت حديثها بضربة من قدمها على الأرض تبعثها داليا بحديثٍ مُستخفٍ:

-هو ده إالي فارق معاكي؟ ... أومل أنا أعمل إيه؟ ... دا أنا لسة جايبة موبيل جديد من قُريب _

قطعت ريتا حديثهن لتتهنّف بعملية قبل أن تتجرف الأحاديث إلى مواضيع أخرى تجعل اختطافهن ينقلب إلى جلسة داخل أحد المقاهي:

-خلونا نركز يا جدعان ... إحنا لازم نعمل خطة ونخرج بيها من هنا

انتبهت الحواس نحوها بعوالم مُستفهمة مُستعدة لتلقي الأوامر، فكانت ريتا تواصل الحديث بنفس اللكنة الواثقة المُستعدة:

-أنا بعرف اتواصل بالطاقة ... فهقدر أجيب واحد من الحُراس إللي برة دول عندنا ... بس لازم نقتعه يفك واحدة فينا عشان تفك الباقيين

استفسرت قمر بسؤالها:

-حد زي مين ؟

أجابتها ريتا بعملية:

-إنتو فاهمين قصدي ... حد يحاول يسايسه و...

قطعت حديثها بنظراتٍ وجهتها نحو كوكي الجالسة بجوارها تُحدق ببلاهة على نظرات ريتا وابتسامتها المُنتصرة والتي سُرعان ما جعلت بقيتهن ينتبهن لمكنون حديثها ويلتفتن نحو كوكي التي ارتابها القلق وبدأ العرق يتصبب من جبينها.

-فف...في إيه ؟ " what s wrong with you ? ... ماذا بكم ؟"

بقيوا يُحدقن بها في صمتٍ جعلها تستنتج ما يفكرن به لكن عقلها يُحاول تكذيبه بشتى الطرق:

no way ..-أنا .. مستحيل اعمل كدة

حاولت داليا اقناعها بقول:

-ليه بس ؟ ... إنتِ الوحيدة إللي تقدري تعملي كدة

عارضت كوكي حديثها باستماتة:

-بس زيزو مش هيسامحني

تدخلت قمر لتحاول اقناعها هي الأخرى:

-ما إنتِ لو معملتيش كدة مش هتشوفي وش زيزو تاني

نفث كوكي برأسها باستماتة والدموع تكاد تُذرف من عينيها لأنهن يضعنها في مازق هي لا تعلم إذا كانت تستطيع تحمله أم لا.

-لا لأ .. مش هينفع .. ووالله مش هعرف

كان حديثها مُتلججًا مُرتبًا لعدم رغبتها بخوض هذه التجربة، بل إنها تظن أن محاولتها ستُفسد كل شيءٍ وربما يضيع مُستقبلها، لهذا السبب تدخلت ريتا حتى تُطمئنها:

-متقلقيش .. إحنا كلنا معاكي ... قمر هنتوّمه مغناطيسيًا أول ما يفكك ويقولنا
العنوان

استمرت الالاحاحات تنهال عليها وتضرب رأسها حتى لم تعد تستطيع التحمل أكثر، بدأ يتغلغل إليها بعض الأمان والثقة نتيجة كلماتهن المُحفزة وخطتهن المُحكمة التي من شأنها مساعدتهن على الخلاص، لهذا السبب بعد فترة طويلة من التخطيط والاقناع قررن تنفيذ الخُطة أخيرًا لينتهين من هذا الأمر ويُعاقبن المُجرمين أو حتى يطلبن المُساعدة.

أغلقت ريتا عينيها وبدأت تُمعن التركيز وتعتصر عقلها لعلها تستطيع التواصل باطنياً مع أي طاقة قريبة تُقابلها، فقدرتها الذهنية تُمكنها من قراءة الطاقة الإنسانية وإمكانية التحكم بها مما يجعل من يقف أمامها تملكه مشاعر وأحاسيس داخلية لا يعلم سببها أبداً.

بعد فترة وجيزة وبعد أن أهلكها عقلها استمعن إلى صوت الباب الذي يتم فتحه بهدوء ليتوغل منه رجلٌ مُلثمٌ ذو قناعٍ أسودٍ وسلاحٍ سنايبرٍ يحمله بين يديه، وجد الرجل نفسه يقترب نحوه بنويه وكأنه إنسانٌ آلي لا يستطيع التحكم بجسده، فقط يسير ويسير حتى ساقته قدميه أمام ريتا مباشرة، ولأن ريتا تجلس بجوار كوكي، فكانت تضرب كوكي على كتفها حتى تبدأ مهمتها قبل أن يدرك الرجل تغيبه ويرحل عن الحجرة.

حممت كوكي قبل أن تحاول صبغ صوتها برقتها المعتادة حتى تصبغ الارتجاف الذي يُلازمها من هول الموقف:

-هـ... هاي ... إبيه...-

زاد ارتجافها أكثر ولم تكن تعلم من أين تبدأ الحديث؛ انحنت ريتا نحو أذن كوكي وهمست لها ببعض الكلمات مما جعلها تسرق أنفاساً متتالية وتحاول الابتسام بجاذبية أثناء قولها المدلل:

-هاي ... أنااا ... عايزة أروح التواليت ... ممكن please تفكني ؟

أنهت الحديث بابتسامة طفولية بريئة وأعينٍ براقه صلبت جسد المُلثم وجعلته يُمعن التحديق بعويناتها الزرقاء الخلابه.

-أرجوك فُكني ... يعني يرضيك واحده زيي تفضل قاعدة هنا من غير ما أروح التواليت ؟

قالتها ببراعة زائفة جعلت داليا تكاد تُقهقه من تمثيلها المُبتذل ودلالها المُفرط، أبعده المُلثم عينيه عنها محاولاً المحافظة على جفاهه أمام براءتها لكن يبدو أن قواه قد خارت ولم يعد يتحمل تلك العيون اللؤلؤية، لهذا السبب تنهد قبل أن يقول بغلظة:

-طيب ... هفكك وتروحي بسرعة-

لاحت الحماسة على وجه كوكي بينما اقترب نحوها المُلثم ووثب خلفها ليحلُّ وثاقها
ثم يبتعد بضعة أمتارٍ عنها لتأقظهُ عينا قمر التي تجلس بجوار ريتا من الناحية
الأخرى، فجميعهن يجلسن في حلقة دائرة بمُنْتَصَف الحُجرة.

صُوبت قمر نظراتها الثاقبة على الرجل حتى جعلته يتجمد مكانه فاقداً لمعاني الحياة
كالدمية؛ ابتسمت قمر ابتسامة خبيثة بعد نجاحها في مُهمتها لتبدأ يُسرى بسؤاله:

-هو إحنا فين؟

أجابها الرجل بتبلمٍ وتيه:

-مصنع العُمري لقطع الغيار....

تبادلت النظرات بينهما في تيهٍ حتى سألت يُسرى للمرة الثانية:

-المصنع ده فين؟

أجابها الرجل بنفس تيهه وجمود ملامحه:

-مصنع العُمري لقطع الغيار....

تبادلت النظرات بينهما مُجدداً حتى أُرذفت ريتا باستنتاج:

-شكله ميعرفش العنوان

اقتربت قمر نحوها لتسأل بهمس:

-يعني أنيمه؟

أومأت ريتا إيجاباً فالتفتت قمر نحو الرجل لتصوِّب نظراتها نحوه للمرة الثانية والتي
جعلته يسقط على الأرض كما تسقط البناية الشاهقة على أرض مدينة صغيرة.

زفرت كوكي الهواء من فمها بأريحية بعد نجاحهن بالخطوة الثانية بالخُطة، اقتربت نحوهن بسرعة البرق تحاول فك قيدهن بأقصى ما لديها قبل أن يكتشف بقية أفراد العصابة محاولتهن للهرب، فكَّت وثاق ريتا أولاً والتي بدورها فكَّت وثاق قمر حتى ساعدن بعضهن على احلال عُقدتهن والتحرر من تلك القيود.

زاغت يُسرى بعينيها حتى وجدت قطعة من الجير ملقاة على الأرض بسبب تلك البناية المُهترئة، هرعت نحو هذه القطعة لتلتقطها وتعود إليهن ليتناقشن في الخطوة التالية.

خطت يُسرى على الأرض وهي تقول بقيادية بعد أن ركعت أرضاً وركع الجميع حولها في حلقة فيما عدا كوكي التي لم ترغب بالجلوس على تلك الأرضية المُتسخة:

-لازم نعرف إحنا فين قبل ما نطلب المُساعدة...-

رسمت على الأرض مُربعين وفوق كل مُربع جُملة " مصنع العُمري لقطع الغيار "، بعدها وجهت بصرها نحوهن لتقول بثقة:

-أنا عارفة المصنع ده كويس ... كنت بعمل عنه رواية قبل كدة، أصل المصنع ده حصل فيه حادثة كبيرة أوي واتقفل...-

أشارت بقطعة الجير على أحد المُربعين وهي تواصل الشرح:

-الفرع الأول على الطريق الصحراوي، يعني تقريباً حته مفيهاش سُكان...-

أشارت على المُربع الآخر مُسترسلة:

-الفرع الثاني بقى ... في حته مقطوعة في المعادي ... يعني بردو مفيهاش سُكان

طرقت بالجير عدة طرقاتٍ على الأرض متفوّهة باصرار:

-لازم نعرف إحنا في أي فرع فيهم...-

قطبت داليا حاجبيها وهي تسأل باستفسار:

-واحنا هنعرف إزاي ... إذا كان الراجل ده ميعرفش ... وأكد محدش فيهم يعرف
غير السواق والزعيم بتاعهم

بقيت الفتيات يتناقشن بجدية بينما كانت شمس في عالم مواز تُراقب تلك الحشرة
السوداء العجيبة ذات الأزرع الست والتكوين الذي يُشبه الخُنفساء.

-ما إحنا لازم ندور على أي علامة تقولنا إحنا فين بالظبط

سئمت قمر من تصرفات شقيقتها الغربية خاصة في هذا الوقت الشائك، هذا ما جعلها
تؤبّخها بقول:

-ما تركزي معانا يا شمس هو وقت الحشرات بتاعتك دي

أبعدت شمس أنظارها عن الأرضية لتؤجّجها نحو قمر حتى تُجادلها بتذمر وصوتٍ
معارض:

-وأنا اعملكم إيه يعني ؟ ... بعدين أنا ما صدقت لقيت حشرة القبون ... دي حشرة
نادرة جدًا، اكتشفوها في صحراء ناميب، واكتشفوا انها مش بتعيش غير في مُناخ
صحراوي بسبب هيكلاها إلهي بيساعدها انها تجيب مائة من الضباب أو الرطوبة _

اتسعت حدقتا يسرى بعد أن التقطت جزءًا من حديث شمس الذي يُعد بمثابة أحجية
ناقصة في هذا اللغز، رفعت نظرها فورًا نحو شمس كي تسألها مُجددًا:

-معلش يا شمس عيدي كدة إلهي إنت قولتيه

رفعت شمس قامتها بثقة ثم أشارت على تلك الحشرة العجيبة متفوهة بطريقتها
العلمية:

-بقول إن حشرة القبون دي .. مبتقدرش تعيش غير في المناطق الصحراوية
عشان هيكلها إللي_

قطعنها يُسرى فورًا وهي تخط على الأرضية بثقة قالت معها:

-يبقى أنا كدة عرفت إحنا فين ... إحنا في الفرع إللي على الطريق الصحراوي

تبادلت الابتسامات بينهم في انتصارٍ خاصة بعد أن أدركن كيف علمت يُسرى
بموقعهن، ضربت داليا كتف شمس بتشجيعٍ متفؤهة:

-برافو عليكِ يا بت يا شمس ... طلعت الحشرات بتاعتكِ ليها لازمة

ابتسمت شمس بفخرٍ من ذاتها ثم وجهت بصرها نحو قمر لتُخبرها بتبهنس:

-عشان تعرفو بس قيمتي

رمقتها قمر ببعض الاستخفاف ثم اقتربت نحو يُسرى كي تستفسر بقولها:

-هنعمل إيه بعد كدة ؟

تدخلت كوكي بالحديث لتقترب نحوهن ومعها جهاز محمولٍ صغير الحجم عتيق
الصيحة كانت قد أخرجته من حوزة الرجل المُستلقي على الأرض بعد أن قيّدته
بمساعدة من ريتا، مدّت نحوهن هذا الهاتف متفؤهة:

guy... -أنا لقيت ده

اننشأت قمر الهاتف بسرعة من بين أصابع كوكي لتنب عن الأرض هي وبقيتهن لعل
هذا الهاتف هو طوق نجاتهن من هذا المأزق، فكانت داليا تهتف بلهفة:

-عليكي نور ... كلمي يا قمر البوليس وخلينا نخلص

أومأت قمر إيجاباً وطفقت تعبت بالهاتف لُبْرة قصيرة قطعنها بشهقة مُرتفعة نمت
عن شفيتها وجعلتهن يُحدقن بها في دعر:

-في إيه ؟

سألته يُسرى بهلع لعلها رأت اسم المُلثم واكتشفت أنها تعلمه أو أن المُلثم على علاقة
بشخصٍ تعرفه أو شيءٍ آخر من هذا القبيل، لكن قمر آجابتها بأعينٍ مُتسعة تحمل
الاذبھلال واللهفة:

-الحقي يا شمس ... ده عنده اللعبة بتاعت التعبان اللي بياكل تُفاح ويكبر

أنهت الحديث بحماسٍ طفولي بادلته شمس بحماسٍ آخر وعدم تصديقٍ لتلك الصُدفة.

-إيه ده بجد !! ... وريني كدة

مدّت شمس يدها لترى تلك اللعبة لكن داليا انتشلت الهاتف لتقطع وصلة الحماقة هذه
بقولها:

-مش وقت تفاهة إنتِ وهي .. إحنا مخطوفين

زفرت الهواء من فمها بنفاد صبرٍ ثم عبثت بالهاتف لُبْرة من الوقت استطاعت
خلالهم تدوين رقم الشرطه ووضع الهاتف على أذنها انتظاراً للإجابة.

بقيت النظرات المُترقبة تتبعها تنتظر انتهاءها من تلك المُهمة، لكن ما حدث أن
الصمت هو ما لاقته داليا من الجهة الأخرى مما جعلها تُبعد الهاتف عن أذنيها وترمق
شاشته الصغيرة التي أظهرت رسالة نصية مُفادها أنها لا تستطيع إجراء مكالمة
بسبب انقطاع الاتصال.

نفثت الهواء من فمها بخُذلانٍ قالت بعده بيأس:

-مفيش شبكة

تغلغل اليأس كيانهن وبقين يزفرن الهواء بضيق ويلتفن حول أنفسهن حتى سألت
كوكي:

-وهنعمل إيه؟

تجولت ريتا في جميع الاتجاهات وهي تُجيبها بتفكير:

-لازم ن فكر في طريقة تانية...

رفعت بصرها نحو داليا لتلقاها فكرة أخرى لا تعلم كيف أغفلتها، تلك الفكرة ربما
هي ليست جيدة، لكنها خيار هن الوحيد في تلك المُعضلة؛ أشارت على داليا وهي
تهتف بثقة:

-لقيتها ... إحنا إزاي مفكرناش في كدة

ابتعدت عن داليا بضعة أمتار كي تقص خطتها البديلة:

-ادخلي يا داليا جوة إسلام أو جابر ... قوللهم إحنا فين وخليهم ييجو ينقذونا .. أو
على الأقل يطلبو البوليس

بادت الفكرة جيدة لكن الشك لا يزال يدور حول رأس داليا مما جعلها تسأل:

-وتفتكري هيعرفو ييجو يساعدونا؟

تدخلت يُسرى لتُجيبها باندفاع:

-على الأقل يعرفو إحنا فين ويكلمو البوليس

تنهدت داليا باقتناع ثم أخذت نفساً عميقاً استعداداً لتنفيذ مُخططن بسرعة قبل أن يُفتح
الباب ويكتشف أحد المُلثمين خلاصهن من تلك القيود....

خفتت أصوات الضجة تدريجيًا وأضحت الموسيقى الخافتة تتغلغل أركان المنزل بعد أن شارفت الساعة على الثانية ما بعد مُنتصف الليل، ونظرًا لأن اليوم هو إجازة رسمية على الجميع، لهذا قرروا المبيت سويًا حتى آذان الفجر على أن يؤديوا الصلاة في المسجد ثم يعودوا إلى المنزل بخلاف مخيمر الذي سيعود إلى المنزل فورًا دون التوجه إلى المسجد معهم.

يجلس ميجو في البهو مُسترخيًا على الأريكة يتجرع المياه الغازية بعد أن منعه مُعتر من تجرع الجعة كما يفعل كل ليلة، كان خالد يجلس بجواره يحمل جهاز التحكم بحثًا عن أحد الأفلام لمواصلة السهرة بدون ملل، بينما كان مخيمر يجلس على أحد المقاعد في هدوء تام ينتظر أن يستقر خالد على أحد الأفلام لمشاهدتها، فقد أرهقتهم أجسادهم من الرقص وحانت اللحظة ليستريحوا قليلًا ويبدأوا شيئًا آخرًا من سهرتهم.

أحنى لؤي جذعه أمام قارورة المياه ليملاً كوبه ثم يعتدل مُتجرعًا ما في الكوب من مياهٍ رطبت حلقة الجاف، أحس بطيف أحدهم يقف قبالة محاولاً بدأ الحديث معه ببعض التردد:

-لؤي أنا...

قالها مُعتر ببعض الارتباك الذي جعل لؤي يضع كوب المياه الفارغ جانبًا ويلتفت نحوه متسألًا:

-مالك يا زيزو؟

أخذ نفسًا عميقًا ثم أطلقه في الهواء محاولاً ترتيب الكلمات داخل عقله قبل أن يقول:

-أنا عندي مُشكلة ... مشكلة في الشركة

قطب لؤي حاجبيه ببعض القلق وبقي صامتًا حتى واصل مُعتر حديثه بجرأة:

-أنا عايز الغي الشراكة مع اللي اسمها نرمين ... بس هي ماسكة عليا شرط جزاء
يؤديني في داهية...

أشاح وجهه بعيدًا عن لؤي ليسترسل مُستنتجًا:

-حاسس إن وراها حاجة ... يعني الأول قولت إنها بتحاول تقرب مني ... بس
دلوقتي حاسس إنها بتراقبني، خايف لتكون من شركة منافسة وعايزين يسرقو
شركتي

خرج لؤي من عُمره صمته بعد أن داهمته أسباب قلق مُعتر من تلك الحية، فبقاءها
حتى هذه اللحظة داخل شركته يعني أنها أتت لتحقيق هدفٍ آخر، وضع يده على كتف
مُعتر ليربت عليه تربيته خفيفة تبعها بقول مُطمئن:

-ابعتلي اسمها كامل وأنا هعرفك أصلها وفصلها ... ولو طلع كلامك صح هخلصك
منها

ابتسم مُعتر ابتسامة مُمتنة تشكره من خلالها على تلك الخدمة، فلا يعلم هو كيف
سيخلص من تلك الحية دون مساعدة لؤي ومركزه الذي يُساعدهم دائمًا في حل
المأزق....

وثب جابر أمام النافذة وجواره يقف إسلام يتأمل معه هذه النجوم التي تزين السماء
مع هذا القمر المُضيء، لكن الحقيقة وراء هذه اللحظة يختلف تمام الاختلاف عن
التأمل، فكان إسلام يحاول اقناعه للتثبيت حتى يرفع عنهم عناء البحث عن مُتنقلٍ
آخر.

-إنت ليه مش موافق؟

سأله إسلام بعد أن طفح كيله من اقناعه ورغبته بمعرفة أسباب رفضه للتخلص من
تلك اللعنة_ من وجهة نظره_ لكن جابر أجابه باقتناع تامٍ ولكنة تتم عن معاناته
الدائمة وشعوره بالأهمية:

-عشان مش عاوز أرجعوزي الأول... مليش لازمة

تنهد بعمق ثم واصل الحديث محنياً رأسه لأسفل:

-أنا من غير القدرة دي مكنتش هبقى هنا... مكنتش هعرف يعني إيه عيشة نضيقة وناس مُحترمين... وإنت في الآخر جاي تقولي أتخلص منها؟... القدرة دي هي الحاجة الوحيدة إلي بقيالي

تدخل إسلام ليحاول اقناعه مُجدداً:

-ما احنا هنفضل موجودين، وحياتك مش هتتغير_

قطعه جابر بإصرارٍ وبعض الحدة:

-لأ هتتغير... هرجع جابر الفاشل إلي مش بيعرف يعمل أي حاجة

سئم الشعور بالفشل الذي لازمه منذ نعومة أظافره، فالكلمات السامة المؤبخة لزمته أذنه وجعلته كالتائه في مُستنقع لا يعرف الرحمة مما حوَّله من شخصٍ طبيعي إلى آخر لا يشعر سوى بالنقص والمهانة، وما إن ظهرت تلك القدرة حتى عادت له حياته، أضحى يشعر بالتميز، يشعر أن وجوده في ذلك العالم ومولده في ذلك اليوم بالتحديد هي هبة من خالقه ولا يُمكن أن يتخلى عنها، فهو لا يزال جاهلاً بعواقبها ولا يعلم ما قد تُسببه قُدرة كهذه في أعين الطُغاة، ولن يعلم حتى دون التجربة.

فتح فاهه ليتلو كلماتٍ أخرى يقنع بها إسلام بوجهة نظره، لكن ما حدث قلب جميع الموازين، حيث انتفض جسده مرة واحدة جعلته يُطلق شهقة مدوية ثم يعاود النظر لإسلام بنظراتٍ مُختلفة يبدو عليها القلق.

بقي إسلام يرمقه بحيرة وبعض الشك الذي تيقن منه حالما تحدثت داليا التي اخترقت جسد جابر قائلة بهلع:

-إسلام الحقنا بسرعة.... أنا والبنات اختطفنا، ولأزم تكلمو البوليس....

أخبرته عن عنوانهن وما يجب أن يفعله حتى ينقذونهن أمام ملامح إسلام التي تحوّلت إلى الذعر فجأة؛ فسرعان ما هرّول سريعاً اتجاههم متفوّهاً بصوتٍ مُرتفع يشوبه القلق:

-لؤي .. زيزو ... تعالو بسرعة في مُصيبة

أتى لؤي من الداخل هو ومُعترز ليجتمعوا جميعهم بمُنْتصف البهو رامقين إسلام بوجهٍ قلقٍ مُنتظرين إخبارهم بما حدث، فقد عادت داليا إلى جسدها مُجدداً وبقي جابر داخل جسده يشعر بالغرابة مما رآه على الجهة الأخرى.

-داليا والبنات اتخطفو ... لازم نتصل بالبوليس وننقذهم بسرعة

تبادلت النظرات بينهم في ذعرٍ حتى ارتجفت خواصهم ونازعتهم الأفكار السلبية خوفاً عليهن، فكان لؤي أول من قطع هذا الذعر بكلماته المُقررة:

-البوليس ممكن ميلحقش ينقذهم... إديني العنوان بسرعة .. لازم نروحهم...-

أنفاسٌ مُتلاحقة تخرج من جوفها وهي تقف خلف الباب مُباشرة ومعها قطعة من المعدن، عيناها كالصقر الجارح وتحديقها بالباب كتحديق الاسد الذي يستعد قبل الانقضاض على فريسته، بينما وثبت بقية الفتيات في بقاع متفرقة داخل الحُجرة كقطع الشطرنج، يحسمن خطواتهن من أجل الإيقاع بالملك.

ارتفع الضجيج خارج الحُجرة ليلحقه صوت همهماتٍ غليظة لرجلٍ أقل ما يُقال عنه أنه حقير، فما الذي سيدفع أولئك الرُعاء بخطفهن سوى أنهم مجموعة من الحُثالة والمجرمين.

تحرك المقبض بضع حركاتٍ قبل أن ينفتح ويظهر سلاحٌ أسود اللون وشُعلاتٍ من الغضب نتيجة تغيب واحدٍ من المُلتئمين لفترة طويلة أفلقت رُملاءه، فهم لا يعلمون أن زميلهم الآن مُكبلاً بتلك الأحبال الغليظة وفمه مُكمماً حتى لا يُصدر الأصوات.

وطأت أقدام المُلثم الحُجرة فسُرعان ما باغته يُسرى بضربة قوية على رأسه تبعثها
بركلة من قدمها على معدته ثم ضربة أخرى على مؤخرة رأسه جعلته يفقد الوعي
فورًا؛ أطلقت قمر صافرة إعجابٍ قالت معها:

-الله عليكِ يا ياسو...

صفقت بضع صفقاتٍ جعلت يُسرى تطالعها بفخرٍ ثم تلقي القطعة المعدنية جانبًا وتبدأ
بجذب جسد المُلثم بمساعدة من ريتا، بينما تُولت داليا إغلاق الباب قبل أن يلحظهن
المزيد من المُلثمين وتتحوّل محاولة هربهن إلى معركة غير متكافئة.

-هنعمل إيه؟

سألت شمس فأجابتها يُسرى بسرعة:

-هنقلعه

احتقن وجه الفتيات بعد أن فهمنها بطريقة خاطئة تمامًا، فكانت قمر تُتمتم بقرارة
نفسها:

-استغفر الله العظيم يا رب...

صححت يُسرى حديثها بسرعة ببعض التوبيخ على تلك الحماسة:

-قصدي هناخد هدومه

رفعت قمر وجهها لأعلى دلالة على المعرفة ثم أخفضتها وهي تقول:

-أااه ... بس إحنا كتير ... مين إالي هياخد الهدوم دي؟

أجابتها ريتا هذه المرة ببعض التقرير:

-أنا وداليا هنعمل نفسنا من الحُراس وهنطلعكم كأن الزعيم أمرنا نوّديكم مكان تاني

أومأوا رؤوسهن بتفهم بعد أن سألنها عن سبب اختيارها لداليا دونًا عنهن، فأخبرتهن ريتا بأن داليا داخلها أكثر من شخصية وهذا ما سيجعلها قادرة على التمثيل ونقل الأحداث للرجال.

انتهين من تبديل أوعيتهن بتلك الأوعية الخاصة بالملثمين، حملت ريتا أحد الأسلحة وفعلت داليا مثلها ثم اتجهت كلتاهما صوب الباب ليفتحنه وتتحرك ريتا بخطوات هادئة متلفتة حولها في جميع الاتجاهات لتتأكد أن الطريق آمنًا، تحركت بعدها المزيد من الخطوات فكانت ريتا تتقدم المسيرة وداليا بالنهاية تُشهر السلاح على بقيتهن ممثلة أنها تُحاول إرهابهن وكأنها واحدة من هؤلاء المُجرمين.

قطع طريقهن وثوب أحد الملثمين واتجاهه مباشرة صوب ريتا متسألًا:

-واخدهم ورايح على فين ؟

تلعثمت ريتا قليلاً قبل الإجابة لكنها في النهاية حاولت تمثيل الخشونة وهي تُجيب:

-ال... المعلم قالي هاتهم على مكان تاني

تفحص الملثم عددهن حتى لاحظ أن العدد ناقصًا لهذا السبب قال:

-في اتنين ناقصين

تلجلجت ريتا قبل أن تُفسر بقولها:

-ما هو قالي أجيب دول الأول ... بعدها هرجع للاتنين التانيين

رمقها بنظراتٍ ثابتة لا تبدو عليها التصديق أبدًا، هذا ما دفع يُسرى للاقتراب نحو قمر كي تهمس بأذنها مُحذرة:

-معتقدش إنه صدقنا ... عشان كدة لازم نفترق، أنا هفضل مع ريتا، وداليا مع كوكي، وإنتِ وشمس تحاولو تَوَقِّعو واحد منهم تاني والبسو اللبس بتاعه

أومأت قمر إيجابًا تزامنًا مع انتهاء ريتا من الحديث مع ذلك المُلثم بنبضات قلبٍ تنتفض في هلع، فعلى بُعد بضعة أمتارٍ فقط سيتم هلاكهن بسبب أولئك المُلثمين الذين يحملون أسلحتهم ومُستعدون لسفك الدماء في أية لحظة.

أسرعت ريتا من خطواتها وأمرتهن بالتفرق فورًا وفقًا للخطة، أخذت هي طريقها برفقة يُسرى بينما هرولت كوكي مع داليا وسط متاهة هذا المصنع وتلك الكراكيب المُترامية في كل مكان.

أما عن قمر وشمس، فكانت مُهمتهما مختلفة بعض الشيء، فكان من المُفترض أن تؤمن ريتا ويُسرى المكان بينما تبحث داليا عن طريق الهروب عن طريق قُدرتها، لكن ما طُلب من قمر هو أن تستخدم قُدرتها على التنويم المغناطيسي وتعثر على المزيد من ملابس المُلثمين حتى تستطيع الهرب هي وشقيقتها في سلام.

كانت تتحرك قمر بين الطُرقات وشقيقتها تتألفت حولها لتطمئن من خلو المكان من الأسلحة والملمثين، لكن اطمئناتها لم يدم طويلًا فسُرعان ما لمحت عينا مُلثمًا نُشبه الصقر وهو ينظر لهما ويرفع سلاحه استعدادًا للفتك بهما؛ شهقت شمس شهقة مدوية ثم جذبت ذراع قمر متفؤهة بهلع:

-إجري بسرعة في واحد شافنا-

تبعتها قمر فورًا رغم فؤادها التي تشعر وكأنه سيهوي أرضًا، ظلا يركضان ويركضان حتى كادت أنفاسهما تنقطع، لكنهما في النهاية عثرا على حُجرة صغيرة بابها مواربًا يشع من داخله بعض الضوء، جذبت قمر يد شقيقتها ودلفت بأقصى ما لديها داخل هذه الحجرة خاصة بعد أن أطلق المُلثم بعض الطلقات النارية صوبهما للإيقاع بهما.

ما إن دلفت قمر الحجرة حتى اصطدمت فورًا بواحدٍ من المُلثمين مما جعلها تزفر بأريحية، فهي تعلم ذلك المُلثم جيدًا.

-داليا .. كويس إني لاقيتك، دا إحنا كنا هنروح فيها ... بس الحمد لله ... خطتنا
نجحت، وان شاء الله هوقع واحد تاني من المجرمين دول زي ما وقعنا اتنين
وربطانهم مكانا

لم يصلها سوى الصمت من الجهة الأخرى مما جعلها تنبس بأريحية أكثر:

-صحيح يا داليا هي كوكي فين .. مش المفروض تبقى معاكي ؟

أسندت قمر ظهرها على الحائط لتستمع إلى همسات شمس المُتشككة:

-قمر أنا .. مش حاسة إن دي داليا

ردت عليها قمر بثقة لا تعلم من أين اكتسبتها:

-يا بنتي لأ هي ... أنا متربية معاها وعارفة نظراتها كويس

همست شمس بأذنها مجددًا لتلقي المزيد من شكوكها:

-أومل هي ساكتة ليه ؟

أجابتها قمر مجددًا بثقة وتبرير:

-دا تلاقي بس عشان متبوظش الخطة ... أو عشان محدش يسمعها، أصل داليا

بتتقمص الدور أوي ... مش كدة يا داليا

رفعت من صوتها مع آخر كلماتها لعل صديققتها تؤكد لها شكوكها وتأخذها في عناق
أخوي تُطمئننها به في تلك المحنة، لكن ما حدث جعل قلوبهما ينبثق من قفصهما
الصدري، حيث نبس المُلثم أخيرًا بصوته الغليظ الذي آذاب عظامهما:

-أيوة كدة...

استمعا إلى صوت الباب يتم غلقه تزامناً مع إخراج المُلثم لجهازه اللاسلكي متفوّهاً:

-دُوروا عليهم ... بسرعة

أغلق الجهاز اللاسلكي ليضعه داخل جيبه ثم يرفع السلاح أمامهما ليجذب الزناد الذي أصدر صوتاً عاليًا زادهما رهبة، ابتسم ابتسامة مآكرة أسفل قناعه لكن صديدها بان واضحاً أمامهما، خاصة كلماته التي تفوّه بها بعد ذلك:

-قولتولي بقي الخطة كانت إيه؟...

أمام شعاع القمر المُنعكس عليهم يقفون كالصقر الشامخ، يتحركون بهدوءٍ قُرب المصنع المهجور المُراد حسب ما أخبرتهم داليا، عازمين على انقاذهن وتصفية الأمور بطريقة سليمة أو على الأقل يطمأنوا على زوجاتهن وأن أولئك الرُعاء لم يمسهن بشر، فصحيح أنهم يستطيعون الاطمئنان على داليا، لكنهم يخشون فوات الأوان إذا أخبرتهم داليا أنهم في مأزق.

تقدم لؤي المسيرة وجواره على كلا الجانبين كلاً من مُعتز وإسلام، بينما اتجه جابر والبقية حول المصنع من عدة اتجاهاتٍ بحثاً عن طريقة للولوج إلى الداخل سرّاً.

وثب المُلثمون قبالتهم رافعين أسلحتهم استعداداً لتصدي الغوائل، لكن لؤي حاول تصنع السلام بإخفائه لسلاحه جيداً ورفع له يديه علامة على مجيئه من أجل التفاوض، أو من أجل موعداً وهمياً هدفه الخداع فقط.

-إنت مين يا ض إنت وهو؟

قالها أحد المُلثمين بحدة أخفتها لؤي بقوله الهاديء الواثق:

-اهدى اهدى ... إحنا مش عايزين نتعارك ... الحكاية وما فيها إن في أمانة عندكم واحنا جايين ناخذها

رفع المُلثم الآخر سلاحه متفوّهاً بحدة وصوتٍ صارم:

-مفیش حاجة هتتاخذ من هنا غير بإذن المعلم

تقدم لؤي خطوة ليُحدق بمُنْتصف عين المُلثم الذي لاحظ عويناته العسلية وعينيه الواسعة التي حملت الكثير من الحقد.

-طب ولو قولتلك بقى إن المعلم بتاعكم ده هو إلیي قالي آجي

بالطبع كان يكذب عليه ويحاول استدراجه أكثر للحديث حتى يستطيع جابر وبقيتهم تنفيذ ما تبقى من الخُطة.

-إمتى الكلام ده ؟

سأله المُلثم الآخر بتيه فأجابه إسلام هذه المرة وهو يُخرج القداحة في الخفاء مُنتهزاً وثوبه خلف لؤي ليُنْفذ مُهمته التي سئُساعدهم على الولوج، وضع يده الأخرى داخل جيبه ليُخرج قُنبلة الأدخنة ويقوم بإشعالها والقاءها أمام المُلثمان أثناء قوله:

-كدة هو...

انتشرت الأدخنة في كل مكان وبدأ المُلثمان بالسُعال والالتفات حولهما بحثاً عنهم لكن الرؤية قد انعدمت مما سمح للؤي وبقيتهم بالهرولة إلى الداخل تزامناً مع صوت الطلقات النارية التي صدى طنينها خلفهم مباشرة...

أصوات أقدامهم تدعس الحشائش التي تحوّل لونها إلى الأسود بسبب عُتمة الليل، كانت أقدام جابر تتقدم مسيرتهم وعيناه تلتفتان في كل بُقعة على جُدران هذا المصنع كما يفعل بقيتهم، تلك الأمور تُذكره بماضيه المليء بالكوارث والمُطاردات، لكنها هذه المرة كوارث هدفها نبيلٌ عكس أهداف المطاردات التي كان يخوضها قديماً بلا فائدة.

توقف ميجو عن السير رافعاً أنظاره لأعلى حيث نافذة صغيرة تبدو مُظلمة ومهجورة، رفع سُبابته مُشيرًا على تلك النافذة وهو يقول:

-إحنا ممكن ندخل من هنا ... بس دي عالية أوي

اقترب خالد نحوه وكان هو الوحيد الذي معه حقيبة ظهر صغيرة يحملها للضرورة، حيث أظهر تلك الحقيبة أمامه ثم فتحها ليُخرج منها حبلًا طويلًا مُتقًا حول بعضه، كذلك كان يوجد ثلاثة كشافاتٍ وقطنٍ وشاشٍ وبعض الأدوية والمُعجمات وكأنه ذاهبٌ إلى حربٍ قومية.

-لا تقلق يا صاح ... أنا لادي الحل

مدَّ خالد هذا الحبل صُوب ميجو الذي التقطه بعوالم مُبهمة قال معها:

-واحنا هنعمل بيه إيه ده ... مش هنعرف نركبه

تقدم جابر هذه المرة ليقف بينهما هادرًا بثقة:

-أنا هعرف أطلعو ... خليكم انتو هنا

تجاهل إجابتهم التي لم تكن موجودة واقترب نحو ميجو أولاً ليأخذ منه الحبل ويلفه حول خصره ويحكم ربطه جيدًا، اتجه بعدها صُوب الجدار خاصة عند حاوية القمامة المُهترئة المُتراكم عليها الأتربة، قفز جابر فوق هذه الحاوية ليتعلق بدوره على أحد المواسير ثم يُحرك جسده للأمام والخلف حتى استطاع القفز صُوب النافذة والتشبث بأطرافها أمام نظراتهم التي ترمقه بخوفٍ وإعجاب.

استطاع بمهارة اعتادها أن يرفع جسده لأعلى حتى دلف المصنع من تلك النافذة الضيقة وأصبح الحبل مربوطًا بخصره ويتدلى بقيته أمامهم، اقترب جابر من النافذة وأشار لهم بيديه حتى يتسلقوا الحبل وألا يخافوا، ففي النهاية المسافة بين النافذة والأرضية لا تتعدى البضعة أمتار.

اقترب ميجو أولاً وتشبث بالحبل جيداً وحاول أن يرفع جسده بمُساعدة من جابر، تقدم بعده مخيمر الذي كان خفيف الوزن فكان سهلاً عليهم رفعه عن الأرضية، بينما كان خالد آخرهم وواجه بعض الصعوبة في التسلق بسبب حقيبة ظهره التي تجعله أشبه بالذين يذهبون إلى المدرسة.

وأخيراً أصبح أربعتهم داخل الحُجرة الضيقة المُعتمة وكان خالد قُرب النافذة يجذب الحبل حتى يُعيده داخل الحقيبة ثم يتحركوا ببُطءٍ شديدٍ خارج الحُجرة، فكان ميجو يتقدم المسيرة مُتلفناً حوله قبل أن يتحرك بخطواتٍ بطيئة ويُسير إليهم باتباعه.

أحس بخطوات أحد المُلثمين قريبة جداً عنهم مما جعله يُهديء من خطواته ويتحلى بالصمت لوهلة حتى لا يُلاحظهم المُلثمون.

لكن ... كما أقول دائماً، لا تبقى الحياة هادئة، خاصة وأنت تحيا وسط عالم الوحوش، فسُرعان ما داهمتهم أصوات الطلقات النارية وصوت صرخاتٍ أنثوية أوقدت العديد من الاضطرابات داخلهم خاصة خالد الذي صرخ بدوره:

يسرى...

يسمع صوتها من على بُعد أمتارٍ مما يجعل خوفه يتضاعف، فهي حُبه الأول والأخير ولن يهدأ أبداً سوى أن يُعيدها سالمة له ولأولادهما، هرول بسُرعة اتجاه الصوت فتبعه جابر ليُحاول مُساعدته بينما هرؤل ميجو ومخيمر بعيداً عن الطلقات النارية قبل أن تؤذيتهما، فيبدو أن المعركة قد بدأت الآن....

ازداد الضجيج أكثر فأكثر، وأضحى جميع المُلثمين يحاوطون المصنع من كل حذبٍ وصوبٍ عازمين على تضيق الخناق عليهم حتى لا يجدوا مفرّاً أمامهم سوى الاستسلام، فكانت الطلقات النارية تتقاذف في الأرجاء بعشوائية أو كلما لمحوا طيفٍ دخيلٍ بينهم، وكانت أصوات المُلثم قاندهم ترتفع امرأةً إياهم بالبحث عنهم مهما كان الثمن.

تزدرد ريقها في هلع وهي تتدثر خلف شقيقتها الكبرى التي تلعنها في نفس الوقت على غيابها المُعتاد، فكان ذاك المُلثم يقترب نحوهما شاهراً سلاحه عليهما بابتسامة

مريضة مُقرزة يتقاطر منها الشهوة رغم أنها مُختبئة خلف هذا القناع، ارتجفت أوصال قمر وبدأ العرق يتصبب على جبينها رغم أنهم في الشتاء، حاولت تنظيم أنفاسها وهي تستمع إلى كلمات ذاك الرجل التي كانت.

-امشو قدامي دلوقتي بدل ما أفرغ خزينه السلاح عليكم

لم تتحرك قمر وبقيت تُمني نفسها بالعزيمة والمُثابرة وأنها تستطيع استخدام قوتها ومواجهته، فدائمًا ما ترتبك في تلك اللحظات ولا تستطيع التركيز في تلك الطاقة التي لديها، لكنها ستتغلب على ارتباكها وتواجهه وتنتهي من تلك المُعضلة؛ سرقت نفسًا عميقًا ثم أطلقتته تزامنًا مع صياح الرجل فيهما ومحاولاته لبث الرُعب داخل قلوبهما، لكن رُعبه هذا لم يدم طويلًا، فسُرعان ما أطلقت قمر نظراتها النارية صوبه وحاولت الحفاظ على تركيزها جيدًا حتى...

تراخت أعضاء الرجل فجأة وأغلق عينيه ليجد جسده يرتمي على الأرض كصخرة كبيرة؛ ارتدت قمر للوراء هي وشقيقتها وبقيت تتابع هذا المُلثم بأعينٍ جاحظة ونبضات قلبٍ مُتسارعة حاولت تهدئتها.

لم تدم صدمتهما طويلًا، فصوت الطلقات النارية وصوت سيارات الشرطة اخترق الجدار وأكد لهما أن وجودهما هنا سيضحي خطرًا على حياتهما، قبضت شمس على يد قمر متفوهة برُعب:

-لازم نهرب بسرعة

جذبتها شمس خارج الحُجرة وبقيت تهزول في الرواق وأصوات الصرخات تُصدر من جوفها هي وقمر، حتى أن صرخاتهما تحوَّلت فجأة إلى البكاء والخوف الجثيم.

بعد بُرهة طويلة من الركض بين هذه الممرات وجدا بُقعة مُتدثرة على أحد الأركان تُساعدهما من الاحتماء من تلك المعركة، جلست قمر على رُكبتها بفؤادٍ يكاد يخرج من موضعه وقطراتٍ من العرق تتصبب على جبينها مع جسدها الذي لم يتوقف عن الارتجاف، أما عن شمس فكانت حالتها لا تختلف تمامًا خاصة وهي لم تخض مثل

تلك المعارك مُسبقًا عكس شقيقتها التي تنعم بحياةٍ مُعبئةٍ بالمصائب والمُطاردات، فكانت كلما تستمع إلى طلقة نارية تضرب على رُكبتها وتنعي حظها التعيس.

-إحنا شكلنا هنموت ولا إيه؟...-

قالتها شمس بحسرة ولم تُعلق قمر عليها وكأنها سلمت أمرها واعتبرت هذه نهايتهما، فكانت تتنهد بيأسٍ وهي تلتفت نحو شقيقتها التفاتة درامية أشبه بالتؤديعات:

-شكلنا مش هنطلع منها فعلاً...-

تنهدت تنهيدة عميقة ثم أطلقتها مع دموعها المكبوتة وهي تقول باعتذار:

-شمس ... أنا عايزة اعتذرلك ... أنا مش الأخت المثالية إلهي إنتِ فاكرها

خرجت شمس من نحيبها لتلتفت نحو قمر بحاجبين مُقطبين قالت معهما:

-بس أنا عمري ما قولت إنك أخت مثالية

دفعتها قمر بتؤيخٍ لإفسادها اللحظات الحميمة، فكانت تُقول لها:

-تصدقي إنك واحدة باردة ... أنا إلهي غلطانة إني كُنت عايزاكي تسامحيني عشان أخذت الكارديجان الزهري وقولتلك إنه ضاع... أصل أنا مش هقدر أعيش بالذنب ده

سقط فك شمس وهي تقول بتؤيخٍ بعد أن تناست تمامًا تلك الطلقات النارية:

-نعم ! .. إنتِ أخذتي الكارديجان بتاعي من غير ما تقولي!

دافعت قمر عن نفسها ببعض التبرير:

-فيها إيه يعني ... ما إنتِ أخذتي الطرحة النبيتي بتاعي وأنا مقولتش حاجة

قطبت شمس حاجبيها وهي تقول بغضب:

-طب على فكرة أنا كنت هرجعها لك هي والبلوفر الصوف الرمادي

شهقت قمر بصدمة عقب كلماتها المُعترفة والتي أردفت بعدها:

-هو البلوفر الرمادي عندك ... وأنا إيلي قابلة الدولار عليه وفكراني نسيته في الشقة القديمة وهو في الآخر عندك!

وهكذا استمر الجدل بينهما ليضحى صوت شجارهما أكبر من صوت الطلقات التي تتقاذف حولهما وتكاد تخترق البُقعة التي هما بها، لكن فجأة، أحسا بطيف أحدهما يُظللها ويظهر السلاح بين يديه التي يرفعها بهدوء دون أن يُلاحظا به أبداً....

صوت أقدامهما يطرق سفحات الممر الوعر وخلفهما اثنين من المُلثمين الذين يطلقان رصاصاتٍ طائشة كادت تُطيح بهما لولا أقدامهما السريعة وهرولتهما الأشبه بهرولة الفهد لما كانا الآن مُتسطحين على الأرض حولهما بركة من الدماء.

كان ميجو يتقدم المسيرة ويسبق مخيمر بعدة خطواتٍ حتى توقف مخيمر عن الركض تماماً وأحنى جذعه من شدة الإرهاق، طفق يلتقط أنفاسه بصعوبة ويضع يده على معدته التي كادت تتمزق إثر الركض خاصة وهو يُعاني من مشاكل صحية بها، رفع جذعه ليلقى ميجو الذي كان يحثه بقوله المذعور ولهيئه الحاد:

-يلا بُسرة...-

تلفت مخيمر حوله دون أن ينبس ببنت شفة، فهو قد سئم من الركض والمطاردة التي لا فائدة منها، فقط أراد إنهاء الأمر بأية طريقة كانت، وجد بجواره زجاجة خضراء من الجعة مملوء نصفها، أتته فكرة في تلك اللحظة جعلته يُهرول صوب زجاجة الجعة ويلتقطها أمام نظرات ميجو الذي لم يفهم ما يدور برأسه وكان همه فقط هو الهروب من تلك العصابة.

-يلا يا عم هو وقت شرب دلوقتي

قبض مخيمر على حافة الزجاجاة متسألًا:

-معاك ولاعة ؟

قطب ميغو حاجبيه متسألًا عن سبب حاجته للقداحة الخاصة به، لكن مخيمر لم يُعْطِه إجابة واضحة وأصر على أخذ القداحة لأنه يعلم أن ميغو يُدخن التبغ ويحمل معه قداحة في كل مكان.

صوت الأقدام لا يزال يقترب نحوهما مما جعل مخيمر يتحرك بسرعة ويُشعل تلك القداحة التي انتشلها من ميغو ثم سكب ما تحتويه الجعة على الأرض أمامهما ليقوم بعدها بإشعال الزجاجاة الفارغة التي اشتعلت فورًا لبقاء بعض آثار الكحول عليها.

ألقى تلك الزجاجاة المُشتعلة على الأرض لتنبثق النيران العالية وتُشكل خطأ مُستقيمًا يُشبه سدًا من النيران، توقف الملتزمون عن الركض ليتراجعوا العديد من الخطوات من الجهة الأخرى بينما كان ميغو يبتسم بانتصارٍ ومخيمر يسبقه بعيدًا حيث المخرج الذي سينقذهما من تلك المُعضلة....

قبل أن يتحركا المزيد من الخطوات، وجدا مجموعة أخرى من الملتمين تعترض طريقهما وتُشهر سلاحها عليهما عازمة على إنهاء ما فشل أصدقائهم بإنهاءه.

يهرول جابر بأقصى سرعة لديه في بُقعة أخرى تبتعد أمتارًا عن أصدقاءهم، كان خالد يحاول اللحاق به لكن جابر يسبقه بالعديد من الأمتار حتى بعد أن حمل الحقيبة عن خالد حتى لا تُعيق ركضه، توقف جابر عن الركض ما إن وجد أمامهما جدارًا يدل على وصولهما حافة المصنع، كانت أصوات الطلقات شبه بعيدة عنهما لكن لا شك أنها ستقترب كما سيقرب الملتزمون الغاضبون العازمون على الفتك بهم.

تحسس جابر الجدار بيده ثم التفت نحو خالد ليسأله:

-هي الشنطة بتاعتك دي مفيهاش شاكوش ؟

عقد خالد حاجبيه بحيرة وهو يستفسر ببعض الحدة:

-ولم أحمل معي مطرقة يا هذا ؟

صحح له جابر ببلاهة وجهل:

-أنا مقولتوش مطرقة ... أنا بقول شاكوكش

ضرب خالد جبهته من شدة حماقته والتي جعلته يهتف بعد أن تنهد تنهيدة فاقدة
للصبر:

-اسمع أيها الأحمق ... لا تُفقدني صوابي حتى لا أفقدك وسامتك ... ثم ما الذي
سيجعلني أضع شيئاً كهذا داخل حقيبيتي ؟

سخر جابر من حديثه بقول:

-ما إنت حاطط عصير بُرتقان وشاش وقطن وأنا مقولتوش حاجة محططش
سكينة ولا عصايا ليه عشان ندافعو بيهم عن نفسنا ؟

انتشل خالد حقيبتيه متقوِّهاً بإصرار:

-هذا لأنني لا أرب بقضاء ما تبقى من عمري بالزنزانة ... كما أنني لا أشجع
العُنف

أنهى حديثه بثقة لم تدم طويلاً بسبب هذه الطلقة التي اخترقت الجدار وصوت الهرولة
الذي انتقل بالقرب منهما في أقل من ثانية، بدأت عناصر الشرطة بالاشتباك مع
هؤلاء المجرمون، وجابر يلتصق بالحائط مُنكمشاً على ذاته وجواره خالد يلتصق به
وتتصاعد أنفاسهما برهبة مع كل طلقة نارية تمر بجوار أذنيهما.

هرول واحد من المُلثمين نحوهما وكاد يطلق النيران عليهما لكن رصاصة الشرطي
أصابته في مقتلٍ وأسقطته صريعاً أمامهما مباشرة؛ أطلق خالد صرخة مفزوعة
جعلته ينكمش أكثر ويحتضن جابر خوفاً من منظر الدماء وتلك الجثة التي تُخبرهما
أن النهاية قريبة، فكان جابر يهتف بجواره بهلع:

-مش عايز تبقى في الزنزانة ... أدينا هنبقى في المقبرة يا حيلتها....

على جهة أخرى كانت داليا تدور حول نفسها بجوار كوكي بخطواتٍ متأنيةٍ مُترقبةٍ للحركات من حولهما، توقفت داليا عن السير لتستغل مهارتها وتخترق جسد إسلام حتى تساعده على معرفة موقعها، عادت إلى جسدها مجددًا لتلقى سؤال كوكي الذي كان:

are you sure -إنه هيبجي ؟

أومأت داليا رأسها إيجابًا ثم قالت:

-أيوه .. هو أساسًا قريب

مرّت برهة من الصمت قطعنها كوكي بشهقةٍ مُتلهفةٍ أشارت معها أمامها ثم قالت:

-زيزو...

هرولت نحوه فورًا ليأخذها في عناقٍ مُحببٍ إلي كليهما ثم ينظر إلى عينيها الزرقاء متسألًا بقلق:

-كويسة ؟

أومأت رأسها إيجابًا فأكمل حديثه بهيامٍ ونعومةٍ سلبت ألب قلبها:

-تعرفي ... أنا كنت _

قطعتم داليا حديثه ياندفاعٍ قالت معه بتقرير:

-مش وقته الله يخليكم ... إحنا هنموت

تحركت أمامهما بضعة أمتارٍ وتبعتهما كوكي ومُعترز وبقيا يركضون في ممراتٍ ضيقة أشبه بالمتاهة، فهذا المصنع مكوّن من العديد من الغرف والعديد من قطع الغيار المترامية في كل مكان، قطع طريقهم هرولة إسلام الذي اصطدم بداليا وكان يبدو على وجهه الذعر، بل كان الذعر يمتلك منهم جميعاً خاصة في ذلك الموقف.

حاول إسلام التقاط أنفاسها قبل أن يسألهم عن أحوالهم ثم يجذب يد داليا متفوّهاً بتقرير:

-اتحركو بسرعة ... لازم نمشي في أسرع وقت ممكن...

عاودوا الركض خلفه في الرواق الضيق بحثاً عن المخرج من تلك المتاهة، وجد إسلام ممراً على يمينه فظن أنه المخرج والمنفذ من تلك التهلكة، كما أن أصوات الطلقات تكاثرت حولهم وكادت تُصيبهم لولا ركضهم السريع وتحركهم في عدة اتجاهات.

جذب إسلام يد داليا وهرول نحو هذا الممر وجوارهما يركض مُعترز والذي يتشبث جيداً بيد كوكي حتى تستطيع ملاحقتهم، ما إن أضخوا في مُنتصف الممر حتى داهمهم صوت طلقات نارية مفاجئة والعديد من المُلثمين يُحيطونهم من كل حدبٍ وصوب، غير إسلام وجهته ودف إحدى الحُجرات ليختبئوا داخلها من أولئك المجرمين.

التصق إسلام بالجدار وجواره مباشرة تتحرك العديد من الأقدام بحثاً عنهم، بينما كان مُعترز يهتف بجوار إسلام بلمحة من الثقة:

-الممر ده أنا عارفه كويس ... أصل أنا شوفت المُجرمين دول بيدخلوه

انتبه إسلام لحديثه لتتسع حدقتيه وهو يسأل:

-ده إمتي الكلام ده ؟

أجابه مُعترز ببساطة وبعض التعنت:

-مش كثير ... قبل ما نشوفك بالظبط

آثارت كلماته وتصرفه الأحمق حفيظة إسلام الذي أمسكه من تلايبه مؤبَخًا:

-ومقولتش ليه يا حيوان إن في حد هنا ؟

حاول مُعنز التملص من قبضته مُعللاً:

-و.. والله ما حد سألني

وضعت داليا أناملها على كتف إسلام حتى تُبعده عن مُعنز ويبدأوا التفكير في تلك المُعضلة بدلاً من تلك الترهات؛ التفت إسلام نحوها فوجدها تقول بتقرير:

-خلاص يا إسلام ... أنا هحاول ادخل جوة جابر اشوف هما فين يمكن يقدر يساعدنا...

صوت الصياح يُطلق من جابر وخالد مع بعض قطرات الدموع والعديد من الأدعية التي يتلوها خالد وكأنه على وشك أن يلقي حتفه الآن، حتى أنه أقسم أنه سيتغوّط على ذاته بسبب ضيق المأزق، تشبث جابر بذراع خالد مُردفًا بلكنة درامية مؤدعة:

-خالد ... أنا عاوز أعتذر منك ... أصل أنا علطول أقول عليك مُتكبر ومغرور ... مش عاوزك تضايق مني

أجابه خالد بنفس اللكنة الدرامية المؤدعة والتي حملت شيئاً من التبهنس:

-وأنا كنت أرغب بالاعتذار منك أيضاً لكنني لم أخطيء أبداً

أنهى حديثه بصرخة مدوية جعلت جسده ينحني على الأرض وجواره جابر الذي حاوط رأسه بذراعه بسبب تلك الطلقة التي كانت قريبة للغاية منهما.

سقط جسد واحد من الملتئمين أمامهما مع بركة من الدماء جعلت أجسادهما ترتجف من ذلك المنظر المُفجع، إقترَب صوت أقدامٍ أخرى نحوهما حتى ظهر ظل سلاح تبعه صوت لؤي نابساً بصرامة:

-يلا قومو ... لازم ندور عليهم ونمشي من هنا

جذب لؤي ذراع جابر ليرفعه عن الأرض ثم يرفع جسد خالد الذي نفض الأتربة عن جسده والتقط حقيبته مُستعداً للهرب، لكن فجأة...

انفض جسد جابر وانقبضت أوزاره فجأة ليعود بعدها إلى الحياة ولكن ليس كجابر، بل كإسلام...

تتحرك يُسرى رفقة ريتا بأحد الأركان مُلتصقتين جوار الحائط كمحاولة جاهدة للابتعاد عن تلك الرصاصات، بقيت يُسرى تتلفت حولها حتى لمحت منفذاً على بُعد بضعة أمتار؛ لُوحت لريتا بأصابعها ثم أشارت على ذلك المنفذ حتى يُهروا فوراً خاصة بعد تأكدهما أن الشرطة أحاطت بالمكان وستقضي على تلك العصابة أنياً أو فيما بعد.

أومأت ريتا برأسها إيجاباً ثم لحقت بها دون أن تنبس بنت شفة، فلا يوجد وقتٌ للاعتراض الآن، هرولت وراءها وكادا يصلان إلى ذلك المنفذ لولا هذا المُلثم الذي وثب أمامهما فجأة شاهراً سلاحه أمام ريتا التي تثب أمام يُسرى وتطالعه بنظراتٍ مُشتعلة متوعدة.

تراجعت يُسرى لتصطدم بمُلثمٍ آخر يُشهر سلاحه على كليهما من الخلف؛ ازدرت يُسرى ريقها في هلع ولم تتحرك خطوة أخرى، فقط تتقدم صوب ريتا ويتقدم وراءها هذا المُلثم عازماً على تقييدهما والهرب بهما من ذلك المصنع، حيث أمرهما برفع أيديهما والاستسلام قبل أن تطولهما تلك الرصاصات، فيبدو أنه لا يعلم مع من يلهو.

سُرعان ما استجمعت يُسرى شجاعتها وعاودت القدرات القتالية زيارتها مجدداً لتجعلها تُقطب حاجبيها بتحدٍ سافرٍ ثم بحركة انسيابية أرجعت مرفقها للخلف وضربت به يد المُلثم مما أوقع سلاحه أرضاً، انتهزت تلك الفرصة وقامت بركله بسُرعة

بقدمها على وجهه ثم ركلة أخرى آدارت معها جسدها وأضحت قبالتها ترفع قبضتيها استعداداً لتلقيه المزيد من الضربات، لكن جسده قد خار بعد ركلتها الأخيرة التي أصابت رأسه وجعلت العالم يدور من حوله ثم يسقط مغشياً عليه.

بينما كانت ريتا على الجهة الأخرى لا تنتبه لركلات يسرى وتُمعن التركيز بأعين الرجل حتى صلبته مكانه وجعلته مُنجذباً لعينيها ويبقى مُتصلباً مكانه يلتقط أنفاسه بصعوبة بالغة ليضحى صوت أنفاسه عاليًا يزداد علوًا، ما هي إلا بضعة ثوانٍ حتى انهمرت دموع المُلثم وخارت قواه ليسقط على رُكبتيه ويُلقى بسلاحه أرضاً لينفجر بالبكاء كالطفل الرضيع.

تصلب جسد يسرى أمام ما حدث وظنت أنها تشهد إحدى المُعجزات، وجدت ريتا تقترب نحو الرجل وتنتشل سلاحه ثم تعود مجددًا نحو يسرى التي سألت بفضول:

-إنتِ عملتي إيه؟

أجابتها ريتا وهي تتقدمها وتعدو قديمًا:

-رجعته لذكرى قديمة

هرؤلت بعدها وهرؤلت يسرى وراها لبضعة من الوقت حتى اصطدما بميجو ومخيم اللذان أتيا من جهة أخرى.

رمقهما ميجو ببعض القلق الذي جعله يسأل عن أحوالهما ويُجيبانه بإيماءاتٍ مُختصرة ثم يُعاودوا الهرولة صوب الباب لينجدوا بحياتهم، تحرك ميجو أولاً ووراءه يسرى تحمل معها السلاح الذي أخذته من أحد المُلثمين كما تحمل ريتا سلاحًا هي الأخرى.

تحرك مخيم بجوار ريتا محاولاً تجنب النظر إليها حتى لا يتذكر كلماتها ويشتعل غضبًا، أما عنها، فكانت تتأكل من الندم وترغب في الاعتذار منه لكنها لا تعلم من أين تبدأ، لاحظت فقط قصة شعره الجديدة التي تروقها للغاية وهذا ما جعلها تحاول بدء الحديث معه ببعض الحرج والمجاملة:

-تصريحة شعرك ...حلوة

قالتها بخجلٍ ونظراتٍ تبتعد عن نظراته حتى لا يلمح خجلها، وجدته يوميء برأسه ويهمهم بلامبالاة أخبرتها أنه لا يزال يتذكر كلماتها الأشبه بالسُّم، كم لعنت حماقتها لأنها ظنت أنه سيبدأ الحديث معها بعد تلك المجاملة، فأَي شخصٍ يرغب بالحديث مع من جرحه بتلك البساطة.

-أنااا ... أنا أسفة

قالتها بعد فترة من الصمت مما جعله يلتفت نحوها أخيرًا دون أن ينبس بكلمة أخرى، لكن نظراته سمحت لها بالإطالة في الحديث والاعتذار لعله يُسامحها ويُزيح العبء عن كاهلها، فهي لن يزورها النوم وهي تعلم أن أحدهم جرح بسببها.

-أنا مكنتش أعرف إنك transgender ، كنت فاكرة حاجة تانية ... أنا بجد أسفة
ومش عايزاك تضايق مني

خرج من غُمره صمته أخيرًا بعد أن استشعر ندمها وآراد أن يُسامحها وينتهي من ذلك الأمر، فهو أيضًا لم يعتد أن يحمل الضغينة اتجاه أحدهم، خاصة ولو كان حديث المعرفة به.

-أنا مش متضايق ... ومسامحك

أدلى كلماته بطريقة هادئة جعلتها تبتسم بسعادة وفؤادٍ مُرتاح لكن ليس ارتياحًا كاملًا بسبب تلك المُعضلة التي هُم بها.

-تعالو بسرعة ... قمر وشمس قاعدين هناك

انتبعت ريتا على حديث يُسرى فهرولت وراءها بسرعة هي ومخيمر حتى وصلا إلى تلك البُقعة التي تجلس بها قمر تتعارك مع شقيققتها كالعادة.

-يعني واخدة هدومي ومش بتقوليلي ... والله لو رجعنا من هنا منا مدياكي حاجة تاني...-

هتفت قمر بتلك الجملة تزامناً مع ظهور ظلٍ لاسلح يحمله شخصٌ بات مُعتمًا بسبب الظلام، لكن تلك العُتمة جعلت من يحمل السلاح أشبه بمُلثمٍ أتى ليُفتك بهما ويجعل جسديهما ينتفض في لوعةٍ ويعانقا بعضيهما خشية الموت، فحتى وإن كانا يتعاركا عراكاتٍ ساذجة مُنذ قليل، سيتناسيا كل هذه العراكات أمام الموت الذي يأتي فجأة.

-يلاقومو من هنا ... إحنا عرفنا هنهرب منين

قالتها يُسرى بصوتٍ جهوريٍ قيادي جعل جسد قمر يتراخى وتضع يدها على صدرها الذي كاد يُقطع من جذوره، ساندتها ريتا لتُساعدهما على الوثوب عن الأرض بينما ساعدت يُسرى شمس حتى وثبت هي الأخرى تُطالع ميجو ببلاهة وتجدّه يسألها عن أحوالها ويبادلها بنظراتٍ مُطمئنة مُرتاحة البال.

تحركوا جميعهم صُوب الباب الذي كان على بُعد خطواتٍ قليلة، فكان هناك واحد من الضباط يساعدهما ويطلب منهما التحرك بسرعة حتى لا يتعرضا للخطر، تلفتت قمر حولها بحثاً عن الجميع لتُلاحظ أن هناك العديد من العناصر الناقصة، من بينهم أكثر شخصٍ تحتاجه في تلك اللحظة، التفتت نحو يُسرى كي تسألها بقلق:

-هو لؤي فين؟....-

ينعكس ظل سلاحه على الأرض مع خطواته المُترقبة وعينيه اللتان تجولان المكان بحثاً عن تلك الحُجرة التي يقوده إليها إسلام من خلال جسد جابر الذي استعاره لفترةٍ وجيزة، كان لؤي وجابر فقط هما من يتجولان بعد أن تركا خالد مع البقية خارج المخزن، وبدأت الشرطة تتوغل أكثر داخل المصنع وتُلقي القبض على المزيد من أفراد تلك العصابة، تبقى فقط فردين يختبأن في ثكنة ويستعدان للتسلح ومُجابهة الشرطة أو ربما الهرب كغزالة تهرب من صيادها.

داهمها صوت طلقات نارية جعلت لؤي يختبئ خلف الحائط وجواره جابر الذي يتلبسه إسلام حتى الآن ويقول بين أصوات الطلقات النارية:

-تقريبًا في اثنين ... وهما محبوسين في الأوضة إلی علی اليمين

قبض لؤي علی سلاحه متوعدًا لأفراد تلك العصابة في قرارة نفسه ثم رفع سلاحه وأطلق منه رصاصة بدت طائشة لكنها استطاعت بمهارة أن تُصب قدم واحد من المُثمنين؛ وقع جسد المُثلم علی الأرض وقدمه ينحدر منها شلالاتٍ من الدماء الداكن كقلبه منذ اختار الغرق في تلك الجرائم.

أشار لؤي بيديه لجابر ثم هرول كلاهما في الرواق متجهين صوب تلك الحُجرة التي يُشير إليها إسلام، فالمُثلم الآخر اختفى من الوجود وربما هرب بعد أن أصابت تلك الرصاصة زميله.

فتح جابر باب الحُجرة ليهرع منها كلاً من إسلام، وداليا، وكوكي ومُعترز، بينما كان لؤي يقف مكانه يُشهر السلاح علی رأس هذا المُثلم حتى لا يتجرأ ويلتقط السلاح مُجددًا عازمًا علی الفتك بهم، هرول الجميع بعيدًا عن الرُدْهة بينما بقي لؤي وحده ينتظر زملاءه كي يأتوا ويُلقوا القبض علی ذاك الحقيقير.

أحس بشيءٍ يتحسس رأسه من الخلف ولم يلبث أن يعلم ما هذا الشيء حتى استمع إلى صوتٍ تعمير السلاح يطرق أذنيه ويُعطيه إشعارًا بالتهديد؛ اشتعلت نظرات لؤي وهو يلتفت بهدوءٍ صوب ذاك المُثلم الآخر الذي يُصوب السلاح نحو لؤي ويأمره بالخضوع وتركهما يهربا وإلا لقي حتفه، لكن لؤي قرر تجاهل نظراته المُهددة، فما إن التفت لؤي حتى انتهز المُثلم الراقد علی الأرض الفرصة وانتشل سلاحه المسجي ليصوبه علی رأس لؤي من الجهة الأخرى، حيث جعلاه محاطًا بالأسلحة من جميع الاتجاهات ولا يوجد أمامه سوى الاستسلام لرغباتهما.

-ابعد عن هنا

قالها المُثلم بصوتٍ جهوري جعل لؤي يبقى لفترة في حالة من الصمت وبيادل نظراته ما بين المُثمنين وأسلحتهما المصوَّبة نحوه، لكنها لحظات قليلة حتى استنتج أن لا مفر من تلك المُعضلة وأن عليه الرحيل قبل أن تخترق تلك الرصاصات صدره؛ أخفض سلاحه بهدوءٍ ليرفع يده مستسلمًا وبيتعد عنهما بخطواتٍ بطيئة، بيتعد خطوة ... ثم خطوة .. ثم...

ما إن توقفت قدميه خلف المُلثم حتى أعاد مرفقه للوراء وقبض على سلاح المُلثم
الواثب والذي أطلق العديد من الطلقات العشوائية كمحاولة للدفاع، ركله لؤي على
معدته ثم لوي ذراع الرجل مما جعله يتألم بصوتٍ مُرتفع، لم يستطع المُلثم الدفاع عن
نفسه بسبب حركات لؤي السريعة وقيامه بدفع المُلثم حتى ارتطم ظهره بالحائط
وسقط على الأرض كحمامة كُسر جناحها.

أخفض لؤي جذعه لينتشل سلاح المُلثم عن الأرض ويرمي كلاهما بنظراتٍ متوعدة
ثم يضع السلاح داخل جيبه ويترك هذا المصنع المشؤوم بأكمله....

أرخت ظهرها للوراء بمنامتها القُطنية وجوربها الذي يحمل رسمة الدُب البُني من
أحد أفلام الرسوم المُتحركة، تحمل بين يديها الهاتف الخاص بها بطريقة أفقية تمنحها
فرصة المشاهدة على أحد مسلسلاتها والاسترخاء حالما ينتهي إسلام من استخدام
المرحاض وينام كلاهما أخيراً بعد تلك الليلة الشاقة، كانت على وشك الغرق في
سُباتٍ عميقٍ لهذا السبب قررت أن تُشاهد مُسلسلها حتى لا يُداهمها النوم دون أن
تتحدث مع إسلام في أمرٍ غاية في الأهمية.

تنهدت تنهيدة عميقة ثم أغلقت هاتفها لتفرك عينيها ثم تثب عن الفراش متجهة صُوب
المرأة، فردت خُصلات شعرها القصيرة نسبياً ثم بدأت تُغلغل أصابعها داخل تلك
الخصلات التي تجعدت بسبب قلة الاعتناء، فلا يوجد وقت للاعتناء بنفسها ولا
بخصلات شعرها العزيزة.

أمسكت فرشاة شعرها وبدأت تُمررها بصعوبة بالغة لعلها تبدأ روتين اعتنائها
بشعرها مجدداً كما كانت تفعل سابقاً، خرج إسلام من دورة المياه يُجفف وجهه
بالمنشفة ثم يُتابع داليا الجالسة أمامه تُصفف شعرها وفمها يُدندن بنغمة موسيقية
خافتة.

ارتدى إسلام على طرف الفراش وهو يتابعها ويقول:

-يااه يا داليا ... شعرك ده ... بيفكرني بحياتي

ظنت أنه سيغمرها بالاطراءات لذلك أرذفت بثقة وبسمة هادئة تعتلي ثغرها:

-ليه ؟ ... حياتك حلوة ؟

-لأ ... مكلعة

هكذا أجابها بسرعة ليجعل بسمتها تتلاشى ويحل محلها بوارد الغضب الذي جعلها تلتفت نحوه وتقذفه بفرشاة الشعر أثناء حديثها:

-تصدق إن الخطف كان أريحلي من غلاستك

ابتسم لها بمشاكسة وهو يمسك فُرشاة الشعر ويثب عن الفراش ليُعيدها لموضعها بينما وثبت هي الأخرى لتجلس على الفراش استعدادًا للنوم للعديد من الساعات لعل جسدها المُتهالك إثر هذا اليوم يستعيد القليل من نشاطه.

ترك إسلام فُرشاة الشعر على السراحة ليتسطح هو الآخر على الفراش ويُغطي جسده بالغطاء الأبيض السميك ثم يلتفت ليُعلق الأضواء، لكنها في تلك اللحظة تذكرت الأمر الهام الذي تؤد الحديث فيه لذلك سألت:

-هو إنت اتكلمت مع جابر ؟

أوما إسلام رأسه إيجابًا متفوّهاً بيأس:

-موافقش ... مش عايز يتثبت

تنهدت داليا تنهيدة عميقة تحمل الأسى وفُقدان الأمل مما جعلها تسأل:

-طب هنعمل إيه ؟

أجابها إسلام وهو يرمق سقف الحُجرة التي أضحت مُظلمة لتتهيئتهما للنوم:

-معرش ... شكلنا هنضطر نجرب على واحد فينا ... ولو نجحت التجربة نجرب على الثاني

-ولو فشلت ؟

داهمته بهذا السؤال الذي جعل المزيد من الأفكار تتعقد بداخله، فهو لا يعلم إجابة هذا السؤال، ولا يعلم ما الذي سيفعلانه في حالة فشل التجربة، لكنه مع ذلك أجابها ببعض الأمل:

-هنلاقي طريقة ونخليها تنجح ... بعدين لو فشلت وحد فينا معرش يرجع لجسمه ... الثاني مش هيسيبه

رمقها مع آخر كلمة لعلها تثبت حديثه وتُخبره أنها سيخوضان تلك الصعوبات معًا كما يفعلان دائمًا، صحيح أن علاقتهما جافة لا يوجد بها ما يُسمى رومانسية، لكنهما يدُ واحدة في جميع الشدائد، يدُ واحدة حتى ولو كان العالم يرغب باقتلاعهما والقضاء عليهما.

وجدها تبادله ذات النظرة المطمئنة وتؤكد حديثه:

-أكيد طبعًا... بس إحنا مش هنستخدم الحل ده غير لما نياس خالص

أوما رأسه بتأكد على حديثها ثم التفت للجهة اليمنى وأغلق عينيه استعدادًا للنوم والتفكير في تلك العوائق في أيام أخرى، فلا يعلم أحدهما، ما الذي تحمله الأيام؟....

ازدادت عُتمة الليل ورهبتة، ومن شدة سكون تلك الليلة بدى صوت الحشاشة التي تصدرها هذه الأقدام ذات الحذاء الأسود، الذي ربما سواده أتى من عُتمة الليل، توقفت تلك الأقدام عند إحدى البقاع ليظهر أمامها ظلٌ مهيبٌ ينعي مُكر صاحبه ونظراته القاتلة.

ظهر رجلٌ آخر يقف خلف هذا الرجل المهيب ويمد نحوه حقيبة سوداء تبدو للوهلة الأولى حقيبة مُحملة بالأموال الطائلة، بعد أن أمسكت قفازات الرجل هذه الحقيبة ظهر وجهه أخيراً لنعلم فيما بعد أنه طلال، فلا تخرج تلك النظرات القاتلة ولا المهابة الطاغية سوى من أمثاله.

-ده جُزء من الحِساب خليك مراقبهم واعرقلي كل حاجة عنهم

أخرج لفافة تبغه البنية " الخابور " ليضعها داخل فمه ويستنشق منها العديد من الأنفاس التي أطلقها على هيئة أدخنة كثيفة تابع معها مساعده الذي يُعطي تلك الحقيبة للرجل الواثب أمام طلال مباشرة في تلك البُقعة المُعتمة.

أمسك الرجل تلك الحقيبة السوداء وداخله شهوة عالية للتمتع بديجور تلك الثورة، رفع رأسه قبالة طلال مباشرة ليُخبره بعينين مُحملتان بالثقة والخداع:

-متقلّش يا رياسة ... أخبارهم هتجيك أول بأول

ولم يكن هذا الرجل الذي ينقل أخبارهم ويشارك في إيقاعهم سوى ... ميجو...!!

الفصل الثالث عشر (ضربة أفقدته الوعي)

تُخبرني أن أطلب الرحمة من العالم، وأنا لا أعلم كيف أطلب الرحمة من عالم لا يعرف معناها...

قبل بضعة أيام...

وطأت أقدامه تلك البُقعة المُكفهرة وداخله بوادِر الأمل في التحرر من تلك الحياة والتخلص من تلك العصابة التي تُطارده، وضع سماعة الهاتف على أذنه متفوّهاً:

-أيوة يا صديق ... هو فين الراجل إلي قوتلي عليه ؟ ... إلي هيقولي على عنوان أخوية ... تُشكر مع السلامة

أغلق الهاتف ثم وضعه داخل جعبته ليواصل طريقه في تلك البُقعة المُظلمة باحثاً عن ذاك الرجل الغامض الذي لا يعلم كيف يعرف عنوان شقيقه وكأنه يعلمه، ربما هو من أولئك الرجال ذو الهيبة والعلاقات المُتعددة التي تجعله قادراً على العثور عن أي كائنٍ حي على وجه الأرض.

توقفت أقدامه عند البُقعة المرادة وبقي واثباً يداهمه الملل للعديد من الدقائق، رفع يده ليستطلع ساعته ويُدرك أن ذاك الرجل يُخلف ميعاده ويتعمد التأخير، فهذا ما تفعله الطبقة الارستقراطية دائماً.

ظهر أمامه ظلٌّ لرجلٍ مهيبٍ أدرك على الفور أنه الرجل المطلوب، لهذا السبب رسم بسمة بلهاء على وجهه أخفت ارتبাকে من هيئته التي تنم عن زعامته لإحدى العصابات الخطيرة.

-أنااا-

قطعه الرجل الذي لم يكن سوى طلال بكلماته الغليظة ونظراته الصارمة:

-ماجد محمد المعلوم وعايز تعرف عنوان أخوك

أزاح ميجو قطرات العرق عن جبينه وهو يوميء برأسه إيجاباً حامداً ربه على انتهاءه من تلك الخطوة بهذه السهولة.

-صديق قال إنك ممكن تدورلي عليه

أخرج طلال لفافة تبغ البنية من جيبه ليضعها داخل فمه ويبدأ بإشعالها والتلذذ بنيكوتينها، أطلق الهواء من فمه وهو يقول بثقة:

-مبقدمش خدمة من غير مُقابل ... لازم تنفذ إلي هقولك عليه لو عايز تعرف عنوان أخوك

لطخت الغرابة وجه ميجو وهو يسأل:

-أنفذ إيه ؟

تقدم طلال نحوه خطوة ليرميه بنظراتٍ مأكرة واثقة قال معها:

-تنقلي أخبارهم ... وكل حاجة عنهم

زادت عوالم التيه والغرابة على وجه ميجو خاصة بعد تلك اللكنة المُبهمة التي يرميه طلال بها وكأن شقيقه هو لُص أو فردٌ من عصابة معادية لعصابة هذا الرجل.

-وانا اعمل كدة ليه ؟ ... أخويا عمل إيه عشان اراقبه

أجابه طلال بذات النبرة الواثقة وذاك التبغ الذي يستنشق الأدخنة من خلاله أثناء الإجابة:

-أخوك ميخصنيش في حاجة ... بس إلي حوالياه يخصوني ... كمان...

صمت برهة عن الحديث ليرفع نظراته المأكرة صوب ميجو مباشرة مُنهياً النقاش بنبرة مُقنعة:

-ايك عمولة على كل خبر هتجيبه ... يعني مش بس هعطيك عنوان أخوك

لم ينبس ميجو ببنت شفة وبقي يُمعن التفكير في ذاك العرض السخي، لن يحصل على منزلٍ يهرب فيه من تلك العصابة فحسب، بل سيحصل أيضًا على أموالٍ طائلة تجعله يعيش كملك، لا يُهم أن يفشي أسرار شقيقه أو معارف شقيقه، فهو لا يعرفهم من الأساس، ما يُهم فقط هي تلك الأموال التي يتخيلها داخل ذهنه وهي بين يديه بيتاع بها العديد من الممتلكات وكل ما يرغب به في تلك الحياة، بعد برهة من الصمت والغوص في عوالم أخرى وأحلامٍ تبدو قريبة، رفع رأسه ليقابل عينا طلال ويردف بثقة:

-قشطة ... موافق...

وها هو الآن يقف مُجددًا أمام طلال بعد أن تذكر عرضهما وتذكر تلك الأموال التي يأخذها في كل مرة يفشي فيها سرًا ويحاول فيها التقرب منهم وكسب صداقتهم وثقتهم ووفقًا للاتفاق بينهما.

وجه ميجو أنظاره نحو طلال ليُخبره ببعض الاعتذار قبل أن يرحل:

-هما إلهي قالولي اساعدهم يهربو ... مكنتش عايز أوقف خطتك

رسم طلال بسمة ماكرة على ثغره مُتذكرًا أوامره لرجاله بختفهم حتى يستطيع استدراج بقيتهم ويوقع المتنقلين ويُنفذ عليهم خطته، لكن ما حدث أفسد مخططاته وجعله يتراجع خطوة للوراء، وعلى الرغم من ذلك أُردف ببيروٍ ومُكرٍ لا ينما عن غضبه أبدًا، فمن يستسلم بعد أول خسارة لم يكن يجب أن يخوض المعركة مُنذ البداية.

-خليهم يهربو ... مسيرهم هيقعو في الآخر

كان من المُفترض أن يرحل ميجو لكنه لا يزال مُترددًا لا يُريد الرحيل قبل أن يتأكد من شيءٍ واحد.

-ه.. هو سيادتك هتعمل فيهم إيه ؟

نفث طلال الأذخنة من جوفه مُجيبًا:

-في ما بينا حساب قديم ... خليك إنت وراهم وكل حاجة هتبان

تردد ميجو مُجددًا قبل أن يقول:

-ط...طب ... هو إنت عايز تنتقم منهم كلهم ؟

كان يُريد التأكد من سلامة أحدهم حتى يرتاح باله ولو قليلًا، فهو لم يكن يُريد التعلق بأي من هؤلاء الأصدقاء لكنه لا يعلم الآن لم يُريد التأكد من سلامتها.

-لأ ... مش عايز انتقم من حد غير الظابط ومراته أما المُتقلين بقي ... فدول
موضوعهم مُختلف

تقدم خطوة نحو ميجو ليرميه ببعض الشكر الذي غلف حديثه الماكر:

-كويس إنك قولتلي إن معاهم مُتقل تالت ... كدة مُهمتنا هتبقى أسهل ... التلاتة
المُتقلين دول متشيلهمش من عينيك

ربت على كتف ميجو ثم تركه ليعود أدراجه صوب السيارة ووراءه حارسين لزماء
مُنذ أتى تلك البُقعة المُكفهرة، فلا تزال الخطط والألاعيب مُتدثرة في القاع تنتظر
الفرصة المناسبة للانكشاف وتأدية مُهمتها....

دقت الساعة الثالثة عصرًا في يوم الجُمعة المُحبيب للجميع، وفي ذاك المنزل الذي من
المُفترض أن يُعم به الهدوء، كانت داليا تجلس أمام الطاولة وجوارها عبده، شقيقها
الصغير الذي أصرّ والدها أن يبقى معها بضع ساعات حتى تُذاكر له من أجل
الاختبارات المدرسية.

لم تكن داليا موافقة على هذا الاقتراح لكن والدها حاول استمالتها وأخبرها أن شقيقها المسكين لن يستطيع الإجابة وسيضيع مُستقبله لولا مساعدتها البسيطة، وبسبب سداجتها، وافقت على اقتراحه وها هي الآن تكاد تفقد حنجرتها من كثرة الشرح أمام هذا الذي يسترخي بظهره على أريكة البهو واضعاً القدم فوق الأخرى غير مبالياً لصوتها الذي يتحسّر ولا لمجهودها الذي تبذله حتى تُثبت المعلومة داخل رأسه المُتحجر.

تمسك الداليا الكتاب وتقرأ ما به من أسئلة أمام عبده الذي يلوح بالمطوة كالمروحية وينصت لها بلامبالاة.

-ما المقصود ب : حدث رفيع المستوى، يجتمع فيه قادة العالم لـ

قطع عبده سؤالها ليُجيبها بثقة وعنجهية:

-عارفها عارفها ... مهرجان القمة العربية

حاولت داليا الحفاظ على ثباتها أمام فظاظته وثقته التي لا تعلم من أين يأتي بها، فكانت تُصحح إجابته بلكنة أمرّة كما لو كانت والدته:

-اسمه مؤتمر القمة العربية

لُوح عبده بيده أمامها مُغمغماً بصوتٍ مُنخفض:

-مش فارقة كثير

رمته داليا بنظراتٍ متهكمة لكنها قررت تجاهل غمغمته والانتقال إلى السؤال الثاني حتى تنتهي من الحديث مع ذاك الفظ، أخذت نفساً عميقاً ثم أطلقتته قبل أن تسأل السؤال الثاني:

-وعد من لا يملك .. لمن لا

ولثاني مرة يقطعها ملوِّحًا أمامه مطواته وهادرًا الإجابة بثقة:

-عارفها ... وعد بيتيفور

أَلقت داليا الكتاب على الأريكة لتُصحح إجابته بسخرية:

-بيتيفور ده يا حبيبي إللي بناكله في العيد ... اسمه وعد بلفور

رماها بنظراتٍ فظة مُعتادٌ عليها لكن هذه المرة لطح الممل حديثه وهو يجذب الكتاب عنها ويردف بأمر:

-بقولك إيه ... فُكك من الأسئلة دي واعمليلي شاي بلبن

لم تُعجبها لكنته الأمرة التي لا يجب أن يُحادث بها شقيقته الكُبرى، لهذا السبب ردت عليه ببعض الحدة:

-مفيش شاي بلبن غير لما نخلص الأسئلة

وكأنها أيقظت الوحش بعد كلماتها المُعترضة، فما إن أنهت حديثها حتى تَلطخ وجه عبده بوجهٍ مجرمٍ جبارٍ جعله يفتح مطواته ويلوِّح بصلها أمام داليا متفوّهاً بتهديدٍ امتزج بلكنته الغليظة:

-بلا أسئلة بلا بتاع ... قومي اعمليلي شاي بلبن بدل ما دمك يتصفى

ازدرت داليا ريقها بهلع وهي تتبعد بجذعها للوراء ثم توافق على أوامره باستسلامٍ جعلها تثب عن الأريكة وتدلف حُجرة الطعام وداخلها تسب هذا المُجرم الصغير الذي يُسيطر على منزلها، لا تتخيل أي من الجرائم سيرتكب هذا المُراهق ذو الأربعة عشر عامًا عندما يتخطى سن المراهقة، تظن حقًا أنها ستزوره فيما بعد داخل الزنازن، أو ربما هذا البعد، قريبٌ للغاية.

وثبت أمام المنضدة تمسك إبريق الشاي الكهربائي وتملاءه بالمياه ثم تُشغله حتى غليان المياه، مدّت يدها نحو الأكواب لتنتشل كوبًا زجاجيًا وتضع داخله ملعقتين من السكر وعبوة من الشاي المُغلف بالشاش، انتظرت قليلاً أمام المنضدة تنتظر غليان المياه ليُداهما صوت إسلام زوجها الذي يبدو أنه استيقظ من نومه وبدأ يتعارك مع عبده ككل المرة، وككل مرة يُهدده عبده ويتركه إسلام غاضبًا.

- هو إيه إيلي جاب الواد ده هنا ؟

قالها إسلام بغضبٍ ما إن وثب حُجرة الطعام ووجد داليا أمامه.

-بابا قائل أذاكرله عشان الامتحان ... بعدين إحنا كدة كدة معزومين عند قمر بليل، فكلها شوية وهنمشي

حاولت تهدئته بتلك الإجابة لكن يبدو أن نيرانه لا تزال مُشتعلة وهو يقول بحزم:

-الواد ده يرجع لابه ... ولو هتذاكريله، يبقى ذاركيله في حته تانية

-مين ده يابا إيلي يرجع لابه

داهمه عبده بتلك الكلمات الحادة التي جعلت إسلام يلتفت وراءه ويجده واثبًا على حافة الباب يلوح بسلاحه الأبيض كما لو كان يلهو بإحدى الألعاب، فلا يعلم إسلام، من الذي أعطى الحق لصبي كهذا بامتلاك تلك الأسلحة.

-إنت إيلي ترجع ... وياريت تتكلم معايا بأدب .. إنت فاهم، إنت هنا مش في بيتكم

قالها إسلام بتحدٍ وسُبابة مرفوعة أمام وجهه بتهديدٍ لم يصل إلى عبده الذي بقي يُطالعه باستخفافٍ حتى انتهى إسلام من أوامره ليردف عبده بلامبالاة:

-خلصي يا داليا الشاي بلبن ... وسكتي جوزك

اتسعت حدقتا إسلام في غضبٍ أكثر جعله يتقدم نحو عبده ويرميه بنظراتٍ حانقة
مُلتهبة قال معها:

-مين ده يا حبيبي إللي يسكت، دا أنا اسكت عشرة زيك ... وبعدين مسمهاش
جوزك ... اسمها أبيه إسلام، فاهم ولا تحب افهمك ؟

ابتسم عبده ابتسامة تنم عن الاستفزاز والبرود واللامبالاة، وضع يده على كتف إسلام
ليُخبره بهدوءٍ حمل تهديده الباطني:

-إلعب بعيد يا شاطر إنت مش قدي ... ولا إنت عايزني أعلم عليك زي كل مرة ؟

حمم إسلام ببعض الارتباك الذي تذكر معه فظاظة هذا الصبي وتهديداته التي تنتهي
في النهاية بإعطاءه ما يُريد من النقود، لكن هذه المرة، لن يدع الانتصار يلوذ به، فإن
كان والده أهمل تربيته، فعليه أن يُربي هذا المُتعتن ويُلقنه درسًا؛ كبت على فكيه وهو
يقول بتحدٍ وثقة:

-وإنت فاكربي هخاف منك ... لااا... مش إسلام أبو قرقاص إللي يخاف من عيل
صُغير

رفع عبده حاجبيه ليسأله باستخفافٍ حمل التهديد:

-بقي كدة ؟

أكد إسلام على حديثه ولم يكن يعرف إذا كان هذا الحديث نابعًا من تهوره أم من
رغبته بانتهاء تحكّات هذا المُتعتن للأبد.

-وأبو كدة كمان ... إنت فاكرك نفسك يعني هتقدر عليا... أنا محدش يقدر عليا....

تركه عبده بلامبالاة وترك حُجرة الطعام ليرتمي مُجددًا على الأريكة دون أن يُعطي
بالأ لحدِيث إسلام المُهدد، ولإِغاظته أكثر كان يقول بصوتٍ مُرتفعٍ من داخل البهو:

-إخلصي يا داليا بقي ... واعمليلي معاكي ساندوتش مربى

احتدت ملامح إسلام وأراد تلقينه الدرس بأية طريقة، كاد يهرول نحو البهو عازماً على تأديبه مُجدداً لولا يد داليا التي انتشلت ذراعه متوسلة:

-خلاص يا إسلام سيبه بقي ملكش دعوة

دفع إسلام ذراعه بعيداً عنها متفوّهاً بتحدٍ وعزيمة:

**-مش هسيب ابن محمود ده يعلم عليا ... وان كان أبوكي معرفش يربيه، فأنا هربيه
وهعلمه إزاي يحترمنا**

تركها إسلام وخرج من حُجرة الطعام بينما بقيت داليا بالداخل تدعوا بقرارة نفسها ألا يتهور إسلام وينتهي بهما الأمر ككل مرة...

بعد مرور أقل من ساعة...

خرجت داليا من حُجرة الطعام ومعها صينية مُستطيلة وُضع فوقها صحنٌ أبيضٌ يحتوي على شطيرة من المُربى وجوارها كوب زجاجي يحتوي على الشاي بالحليب، تقدمت بتلك الصينية بضع خطواتٍ وهي تقول:

- عملتك الـ

تصلبت أهدابها وبترت حديثها بعد هذا المنظر الذي يتمثل أمامها والذي يجعلها تُطلق شهقة مصدومة.

-إسلام!!

وضعت الصينية على الطاولة التي تنتصف البهو لتتقدم بخطواتها قُرب إسلام الذي تم تقييده على مقعدٍ خشبيٍّ بواسطة مجموعة من الأسلاك، ما إن رآها إسلام حتى حاول الاستنجاد بقوله:

-داليا الحقيني ... أخوكي هيموتني

قالها إسلام بذعرٍ وهو يرمق عبده الذي يحمل طرف الأسلاك بيدٍ واليد الأخرى تحمل المقبس الذي ما إن يتم توصيله بالكهرباء حتى تتغلغل الشحنات الكهربائية داخل جسد إسلام وتجعله ينتفض انتفاضة المصعوق.

-بتعمل إيه يا عبده؟

ارتمى عبده على المقعد الخشبي وهو يُجيبها ببرودٍ وفضاظته المعهودة:

-هو إللي عمل فيها ذكر وفكر يتحداني

شعر إسلام بالغضب وحاول فك وثاقه متفوّهاً:

-ولاا ... والمُصحف ما هسيبك

رمقه عبده باستخفافٍ وآراد إرهابه بتقريب المقبس من الكهرباء وهو يقول:

**-شكلك كدة لسة معرفتش عبده البواب ... بس ملحوقة يا ابو نسب ... أنا
هعرفهولك**

لطح الذعر وجه إسلام وهو يتوّسل له على الرغم من الغضب الذي يشتعل داخله، يقسم أنه سيُلقن هذا المُجرم المُراهق درساً لن ينساه أبداً، لكنه لا يعلم كيف ولا يعلم حتى متى؟

-لا لا لأ ... أبوس إيديك إبعد الفيشة

تدخلت داليا لتحاول تهدئة الأوضاع بقولها:

-خلاص بقى يا عبده سيبه، ده حتى احترام الكبير واجب

رد عليها عبده بتهكم:

-وأنا مش بحب أعمل الواجب ... فابعدى بقى يا عصفورة عشان العصافير بقت
تتناكل دلوقتي

تململ إسلام في جلسته وحاول احلال تلك القيود التي لا يعلم كيف أحاطه بها هذا
المُتَعَنَت، فكان يتوَّسل لداليا بقوله:

-داليا اتصرفي ... كلمي عم محمود

رماها عبده بنظراتٍ متوَّعة جعلتها تزدرد ريقها وتهتف بقلة حيلة:

-يا إسلام ما إنت عارف إن بابا مش هيعمل حاجة_

قطع إسلام حديثها باستغائة:

-اندهي لؤي ... اندهي أي حد متسيبنيش كدة

تحرك عبده ليقف بينهما موجهًا نظراته صوب داليا حتى يُهددها:

-لو اتحركتي من هنا هتقري الفاتحة على جوزك

حمحت داليا ببعض الرهبة وداخلها مُتيقنٌ أن عبده لا يمزح أبدًا، فأخر مرة تعارك
فيها مع إسلام انتهى الأمر بانقضاء عبده على إسلام وجرحه بمطاوته حتى انبثقت
الدماء من كتف إسلام كشلالات أنجل، ولولا تدخل داليا ككل مرة لما أصابت المطواة
معدة إسلام وجعلته يرقد بالمشفى، فهذا المُتمثل أمامها ليس شقيقها وحسب، بل هو
مُجرم بكل معنى الكلمة وهذا بفضل والدها الذي أهمل في تربيته وجعله يترعرع بين
النشالين واللصوص في الشوارع والأزقة.

-طب إنت عايز إيه وإحنا نعملهولك ... لو عايزه يعتذر ... هو هيعتذر بس سيبه

رمقها إسلام بنظراتٍ متوعدة غير راغبة بالاعتذار لكنها بادلتها بنظراتٍ أخرى مفادها ألا يضع عقله الكبير بعقل شقيقها الصغير، ويحاول تقليص المشكلة قبل أن تتضخم أكثر، لهذا السبب بقي إسلام في حالة من الصمت على وشك أن يعتذر لولا كلمات عبده التي هدمت معتقدهما تمامًا.

-أنا مش عايزه يعتذر...-

اتجه نحو المقعد الخشبي ليجلس عليه مواصلاً حديثه بتعنتٍ وقدم يضعها فوق القدم الأخرى بتكبر:

-لو عايزني أفكك ... يبقى تنفذ إيلي اقولك عليه-

رمقه إسلام باستحقارٍ وسأل:

-واللي هو إيه؟-

أرعى عبده ظهره للوراء ليُجيبه بنذق:

-تقلد صوت الحمار وتنزله ستوري-

ما إن أدلى تلك الجملة حتى فتح إسلام فمه بتهكم متفوّهاً باعتراض:

-نعم...!!-

اختفت أضواء الشمس وحلّ محلها قمرٌ مُنيرٌ مع نجومه الزاهية، وفي تلك الليلة الساكنة كان مُعترٍ يحني جذعه صوب حذاءه الرياضي أبيض اللون والذي كان يعقد رباطه استعداداً لتترك المنزل هو وزوجته، حيث أن الجميع يجتمع على الغداء في منزل قمر، فدائمًا ما يضحى يوم الجمعة يوم الاحتفالات والزيارات العائلية.

-ناجتس ... خلصتي؟

سأل مُعترز بصوتٍ مُرتفعٍ حتى يصل إلى زوجته التي تتجهز بداخل الحُجرة، فعلى الرغم من أنها بدأت تتجهز مُنذ أكثر من ساعة، إلى أنها حتى الآن لم تنتهي من ارتداء جميع أوعيتها وكأنها تتجهز من أجل حفلة زفافٍ وليس عزيمة على العشاء.

زفر مُعترز الهواء من فمه بنفاد صبر ثم أرخى ظهره للوراء على أمل أن تنتهي كوكي بعد قليل ويرحل كلاهما من ذاك المنزل.

صدح صوت هاتفه ليظهر اسم لؤي على الشاشة؛ وضع مُعترز الهاتف على أذنه ينتظر لؤي أن يُخبره سبب هذه المكالمة...

كان لؤي بالجهة الأخرى يجلس على مكتبه وأمامه بعض الملفات التي يعمل عليها لأنه الوحيد الذي لا يأخذ إجازة في هذا اليوم، بل حتى أنه أكثر الأيام التي يتعرض فيها العالم إلى جرائم وحوادث.

أمسك لؤي أحد الأوراق وبدأ يتفحصها بعينه قبل أن يقول:

-الحق يا مُعترز ... البت إلي قولتيلي عليها دي ... طلعت سوابق

انتفض مُعترز في جلسته وكان صاعقة كهربائية مسته، تلطخت ملامح وجهه بالصدمة وهو يقول:

-س...سوابق !! ... إزاي؟

فسر له لؤي وهو لا يزال يتفحص الأوراق:

**-أنا عملت عنها تحريّات ... طلع عليها قضية ضرايب وتزوير ..وهربانة منهم
كمان...**

ازدادت صدمة مُعترز ولم يكن يعلم كيف يتصرف، لم يكن يتوقع أنه سيتعرض لذلك الخِداع في حياته، ولا يعلم حتى كيف وثق بها وجعلها تتغلغل شركته وتبث سُمها في كل مكان.

-طب والشهادات؟... والمشروع اللي عرضته عليا

قالها ببعض الاندفاع لعله يُكذب حديث لؤي المبني على الحقائق والتحريّيات.

-كُله مزوّر ... والمشروع ده مسروق من شركة تانية برة مصر

تصلب جسد مُعترز كالصنم لا يقدر على النُطق بكلمة ولا يقدر حتى على تصديق هذا الهُراء الذي يُتلى على مسامعه، يشعر أنه يؤد إنهال جسده بالضرب على هذه الحماقّة التي ارتكبها والتي كادت تُفرق ما بينه وبين سليلة روحه للأبد، قطع لؤي صمته بحديثه المُطمئن:

-على العموم أنا مش عايزك تقلق خالص أنا عملتها محضر ضبط وإحضار ... وكلها كام يوم وهتاخذ جزاءها ومش هتشفوف وشها في الشركة التاني....

لم ينبس مُعترز ببنت شفة وأبقى الهاتف على أذنه يستمع إلى حديث لؤي الذي بدا مُطمئناً لكنه لم يستطع إخماد نيران الغضب التي تكونت بداخله رغم كونه الشخص الهاديء طوال حياته، يشعر حقاً أنه سيفقد أعصابه في يومٍ ما، وربما هذا اليوم قريبٌ للغاية.

-زيزو I m ready ...

قالتها كوكي وهي تترك الحُجرة بسرّوالٍ أسودٍ أعلاه سُترة رمادية سميكة بسبب برودة الشتاء، لم يُرد مُعترز أن يُخبرها عمّ يحدث معه لأنه يعلم أن سيرة تلك الحية تُثير أعصابها وهو لا يُريد ذلك؛ لهذا السبب أنهى المكالمة بنبرة عادية أخفت غضبه حينما قال:

-طب سلام بقى عشان إحنا نازلين ... مع السلامة

أغلق المكالمة ثم وضع الهاتف داخل جعبته ليثب عن المقعد ثم يتقدم نحو كوكي استعدادًا للرحيل، داهم كوكي بعض الفضول الذي جعلها تسأل:

-كنت بتكلم مين؟

أحاطها مُعترز بذراعه ثم اتجه نحو بسملة التي تنام على فراشها ليرفعها مُعترز عن الأرض متفوّهاً ببسمة هادئة:

-مفيش حاجة يا حبيبي ... دا لؤي بس بياكد عليا العزومة

همهمت كوكي بتفهمٍ دون أن تسأل المزيد من الأسئلة، فالشك ليس من سمياتها أبدًا لكن الفضول يُداهمها بين الفينة والأخرى خاصة بعدما حدث في علاقتهما الزوجية....

كانت قمر داخل منزلها تجلس بجوار كوكي على طاولة البهو وتجلس شمس ويُسرى معهما يتسامرن بمرح وحولهن يزداد الهرج والمرج، فكانت بسمة والدة داليا تجلس على الأريكة تحتسي الشاي وجوارها بُثينة والدة إسلام ويُسرى، وثناء والدة لؤي، وكان ثلاثتهن يتحدثهن فيما يخص الطهو والمُسلّسات التي يتم عرضها جديدًا وكذلك في بعض الأحداث التي تحدث حولهن خاصة هذه الأيام، أما عند الشُرْفة فكان يقف سيد والد إسلام وجواره على اليمين هلال والد قمر وشمس يحمل معه كوب الشاي ويرتشف منه رشقاتٍ هادئة أثناء انصاتها إلى عبد الصبور والد لؤي والذي كان يتحدث بتهمكٍ عن الجرائم التي تحدث في البلاد والتي تُزعزع استقرار الأمن العام، وكان شهاب يتجوّل في المنزل ومعه كلٌّ من عُفران ونديم اللذان يُنفذان تعليماته الشيطانية مُنتهزًا كونهما صغيران لا يتعديا السابعة من العُمر، بينما كان هو بالرابعة عشر ولا تزال نزعَة المُكر والشغب تتغلغل في كيانه.

قطع جلستهن صوت نجمة التي أتت تَوًا من المرحاض مستنكرة بصوتٍ غاضب:

-إنتِ يا قمر ... منصفتيش الحمام ليه ؟ ... هو كل شوية الاقي الحمام بتاعك مش
نضيف

أدلت تلك الكلمات وهي تقترب نحو قمر التي أخفضت رأسها وأطلقت الهواء من
فمها بنفاد صبر، فيبدو أنها لن تستطيع التخلص من تهكمات والدتها أبدًا.

-يا ماما والله نسيت

سئمت والدتها من تلك الجملة التي تسمعها دائمًا والتي ترد عليها نفس الرد في كل
مرة..

-نسيتي !!... نسيتي تاكلي ؟..نسيتي تشربي ؟

رفعت قمر رأسها بعوالم اليأس التي غطت وجهها، فيبدو أنها أيضًا لن تستطيع
التخلص من هذا الرد أبدًا:

-يا ماما إيه علاقة الحمام بالأكل والشرب ؟

غضبت والدتها من ردها عليها وعدم احترامها لها مما جعلها تقول مؤبخة:

-مترديش عليا ... وتقومي دلوقتي تمسحي الحمام ... عيب كدة

آعادتها تلك الكلمات إلى ذكرياتها السابقة وتحكمات والدتها التي لا تنتهي، تلك
الذكريات جعلتها تندفع بعض الشيء وهي تثب عن المقعد ضاربة بكفها الطاولة أثناء
حديثها:

-يوه بقى ... هو كله تحكمات... بكرة أروح بيت جوزي ومش هتشوفي وشي هنا
تاني

أمسكت يسرى كتفها لتعيدها مكانها وتحاول إخبارها الحقيقة الصادمة دون أن
تفاجئها:

-قمر والله أنا مش عايزة احبّك ... بس احنا أصلاً في بيت جوزك

ضربت قمر جبهتها لاعة حماقتها في قرارة نفسها:

-أه صحيح ... يعني أنا كدة مش هرتاح أبداً ؟

قطع حديثها صوت الجرس الذي أخذ يصدح عاليًا؛ تركت قمر صديقاتها لتفتح للزائر الذي لم يكن سوى لؤي.

دلف لؤي المنزل ليتجه صوب حُجرة الطعام أولاً ويضع عُلبه الحلوة على الطاولة، لكنه قبل أن يخطو خطوة لداخل حُجرة الطعام تعرّكت قدمه بخيطٍ رفيع لا يعلم من قام بوضعه بتلك الطريقة أمام الباب.

اصطدم جسد لؤي بأرضية المطبخ بينما شهقت قمر خلفه في قلق وحاولت الاقتراب نحوه لمساعدته على الوثوب، كانت قهقهات شهاب تنطلق خلفهما مما أوقد الغضب داخل لؤي وأدرك فوراً من تسبب بعركته بتلك الطريقة.

-معلش يا لؤي امسحها فيا

اشتعلت نظرات لؤي وهو يثب عن الأرض يُهدم ملابسه ثم يتجه فوراً صوب شهاب ويمسكه من تلايبب قميصه متفوّهاً بحدة:

-إيه إلهي جابك يلا ... ها ؟

جذبت قمر لؤي بعيداً عن شهاب ليهزول هو بعيداً فور أن تملص من قبضات لؤي الحادة، حاولت قمر تهدئة لؤي بقولها:

-سيبك منه يا لؤي ده لسة صغير ... متحطش عقلك بعقله

أبعدها لؤي عنه متفوّهاً:

-أنا داخل الحمام ... لو أخوكي ده عمل حاجة تاني وربنا لاحبسه

أنهى الحديث بتهديدٍ ثم ترك قمر مكانها تضع أصابعها على شفتها السفلية بقلبي خوفاً من الغام شهاب التي ربما الآن تنتشر في كل مكان، كادت تعود أدراجها صوّب صديقاتها حتى داهمها صوت صُراخ لؤي الذي انطلق من المرحاض يليه صوت انفجارٍ صدى طنينه إلى أذنيها وجعل فرائسها ترتعد أضعافاً.

-شهاب-

صرخ لؤي بتلك الكلمات ما إن خرج من المرحاض ووجهه مُلطخٌ بالأتربة، لا تعلم قمر أي من المقالب افتعلها شهاب داخل المرحاض لكنها تعلم أن شقيقها لن يفلت من عقاب لؤي أبداً.

بقي لؤي يُنادي على شهاب بغضبٍ ووعيدٍ حتى هرولت قمر نحوه وحاولت تهدئته متفوهة:

-لؤي.. لؤي وحياتك عندي اهدى ... ده عيلٍ وبيهزر

أبعدها لؤي عنه ليُخبرها بصرامة ووعيد:

-أنا يعمل فيا كدة !!... وحياة أمي لاحبسه، وإنتِ عارفة إنني قد كلمتي

هذا ما كانت تخشاه طوال فترة حياتهما، فدائماً ما يُهدد لؤي شقيقها المشاكس بسجنه ومع ذلك لا يأخذ شهاب تهديداته بمحمل الجد ويواصل مقالبه وكوارثه التي لا تنتهي وتزداد حدتها يوماً بعد يومٍ حتى بات وجوده في أي مكانٍ خطراً على الجميع، ومع ذلك تمسكت قمر بأخر ذرات الأمل وهي تجذب ذراع لؤي مجدداً بتؤسّل:

-لؤي عشان خاطري سيبك منه ... ده لسة عيلٍ ... يعني يرضيك عيلٍ زي ده يدخل السجن

قالتها بشفقة لعلها تُخفف من حدته لكن حديثها أتى بنتيجة عكسية، حيث وضع لؤي يده وراء خصره ليُخرج سلاحه بشُعلاتٍ من الغضب تصبو على كيانه وهو يقول:

-صح ... ده مش وش سجون... ده محتاجله قرصة ودن

ثم تركها وبقي يهرول إلى الداخل عازماً على تلقين ذاك المشاكس درساً لن ينساه، وهو يعلم تمام العلم أن تهديداته وتوَعَداته ستذهب هباءً كما يحدث كل مرة....

صدح صوت الجرس مجدداً لتتجه يسرى صوب الباب وتفتحه نيابة عن قمر صاحبة المنزل والتي كانت مُنشغلة ببعض الأمور أولهم زوجها الذي تلطخت ثيابها كاملة وشقيقها الذي لا يتوقف عن افتعال الكوارث، عانقت يسرى داليا عناقاً أخوياً وسألتها عن تأخرها لتتحجج داليا حتى لا تُخبرهم عن المهرجان الذي حدث بالمنزل، وعن شقيقها الذي أرغم إسلام على تقليد الحمار حتى يُفك وثاقه مُستخدمًا ميوله الإجرامية التي لا يعلم من أين أخذها.

قبضت داليا على يد عبده عنوة وأدخلته المنزل ثم دلفت وراءه هي وإسلام الذي اتجه فوراً حيث يجلس كلاً من مُعترز ولؤي وخالد وكذلك جابر يتابعون التلفاز على أحد المباريات، تحرك عبده داخل المنزل ليُقابله شهاب صديقه بالمدرسة وبالبناية أيضاً.

-إزيك...-

قالها شهاب بلطف وهو يمد يده ليُصافح عبده كونهما أصدقاءً، رمقه عبده بحدة للحظاتٍ قبل أن يترك قناع الإجرام جانباً ويمد يده ليُصافح شهاب لعله ينتهي من هذا اليوم ويعود إلى أصدقاءه في الشارع بالحارة الشعبية التي كان يقطن بها فيما سبق قبل أن تلح داليا على والدها بأن يترك تلك الحارة الشعبية التي أفسدت أخلاق شقيقها ويأتي هو وزوجته إلى تلك البناية التي تقبع بإحدى الحارات الهادئة والشبه خالية من السُكان والأسواق الشعبية.

لم يكن يعلم عبده ما ينوي شهاب فعله، فما إن تلامست أنامله مع أنامل شهاب حتى

....

ضغط عبده بالخطأ على زجاجة بلاستيكية تحتوي على لونٍ أحمرٍ كان شهاب قد أخفاها بين أصابعه ليفتعل أحد مقالبه والتي للأسف وقعت على آخر شخصٍ يؤد شهاب أن يقع معه، لطح اللون الأحمر وجه عبده وأضحى منظره ينم على كونه ينزف الدماء من كل حدبٍ وصوَّب، لكن هذا اللون الأحمر لم يكن أشد من الغليان الذي بدأ يفور داخل عبده مما جعله يسب شهاب أبشع السباب بينما كان شهاب يُقهقه بحرارة وسُخرية حتى فاجأه عبده بإخراجه لمطواته وكأنه سينقض بها على شهاب متفوّهاً:

-قسماً بالله لا علم على وشك الليلاي

أمسك بتلابيب شهاب الذي انكمش مرة واحدة وأصبح كالفرخ المُبتل أمام الرجل الذي سيقوم بنحر عنقه، بينما لازال الغضب يُلطح وجه عبده عازماً على جرحه وأخذ حقه بأي ثمن لولا يد داليا التي اقتحمت المجال وجذبت عبده بعيداً عن شهاب بينما أنت قمر بسرعة وحاولت جذب شهاب بعيداً وتحذيره من العبث مع من لا يرحم، بينما كانت داليا على الجهة الأخرى تحاول التوسل لعبده بأن يتركه وشأنه رغم صلابته وتحجر عقله:

-بقولك مش هسيبه

همست داليا بأذنه مُحذرة ومتوسلة في نفس الوقت:

-أبوس إيدك في ظابط قاعد جوة ... يعني لو مسكك... هتروح الأحداث ومش هتطلع منها تاني

زفر عبده الهواء من فمه بحناكٍ وكاد يهم بالرحيل لولا تدخل تلك الصغيرة الماكرة والتي لم تكن سوى غُفران، حيث كانت تهتف بغضبٍ طفولي وحاجبين مُقضبين كذراعها المربوطتين قُرب صدرها الصغير:

-إوعى تسيبه لازم تاخذ حقك وتنتقم

أنهت حديثها بدرامية وقبضة لؤحتها أمام وجهها، لكنها ما إن أنهت حديثها حتى تدخل شقيقها نديم معارضاً بنفس طريقة والده لكنها أقرب لطريقة الرسوم المتحركة:

-لا لأ..متسمش كلامها ... يجب أن تترك روحك للقدر، لأنه لن يخذلك أبداً

كانت تلك الكلمات من رواية قرأها برفقة والديه لكن عبده بقي يرمقهما ببلاهة وبعض الاستحغار على وجهه، فحقاً لم تكن تنقصهما، يبدو أن تلك الزيارة ستستنفد الكثير من قواه العقلية....

بعد العديد من الكوارث والمشاجرات، عاودت النساء الجلوس أمام الطاولة التي تنتصف البهو ليتحدثن في شتى الأمور خاصة ما حدث معهن البارحة، فكانوا يسخرن من أنفسهن وما فعلوه في تلك الليلة المشؤومة، كان هذا اليوم قاسٍ عليهن، لكنه الآن أضحى من الذكريات المحببة إليهن والمليئة بالمغامرات التي لا يودن أبداً معاودتها مجدداً.

-أنا هموت واعرف مين إلي كشف خطتنا وقالهم إننا بنحاول نهرب ... ده إحنا كنا شوية وهنروح فيها

سألت داليا هذا السؤال الذي كان يُداهمها طوال الليلة، فهي تتذكر الهرج والمرج الذي حدث فجأة وصوت الرجل الذي كان يقول أنهم يُحاولن الهرب قبل أن يأتي إسلام والبقية.

تغيرت الألوان بوجه قمر وبقيت تحاول إبعاد نظراتها عنهن حتى لا يُدركن حقيقة أنها الفاعلة، بينما كانت شمس ترمي قمر بنظراتها ثم تعاود النظر في جميع الاتجاهات حتى لا تُسبب الحرج لشقيقتهما.

لاحظت كوكي تلك النظرات المتبادلة فسألت قمر ببعض الشك:

-قمر ... هو إنت قولتي لحد على خطتنا ؟

تحوّل وجه قمر إلى اللون الأصفر وشعرت بسخونة تجتاح جسدها وتجعلها تضع يدها على رقبتها من الخلف وهي تُتهته بالحديث حتى لا تفشي الحقيقة:

-ل.. لأ طبعًا... ه...هقول لمين يعني؟... هو أنا بس إللي بفضح الأسرار ولا إيه؟

فاجئتها داليا بتأكيدها على تلك الحقيقة بكل ثقة:

-الصراحة أه... إنتِ الوحيدة إللي بتقولي أي حاجة لأي حد

كانت كلمات داليا كالقشة التي قصمت ظهر البعير، فسُرعان ما داهم الغضب وجه قمر من تلك الافتراءات الحقيقية والتي لا تُريد تصديقها، فكانت تُدافع عن نفسها أمامهن بقولها:

-لا على فكرة مش صحيح... ده كل الموضوع إني كُنت فاكرة واحد من المُجرمين دول داليا... عشان كدة قولت قدامه إننا بنحاول نهرب... يعني مش ذنبي

أتى دفاعها عن نفسها بطريقة حمقاء للغاية، فهي بسبب حماقتها أفشت ما لا تُريد إفشاءه أمامهن، تبادلت النظرات لوهلة حتى أردفت يُسرى باستهجان:

-يعني إنتِ إللي كُنتي هتؤديننا في داهية؟

بينما كانت داليا في عالمٍ آخرٍ لا يُهمها أنها أفشت سرهن أمام حفنة من المُجرمين، فهذا الأمر قد فات أوانه، ما كان يُشغلها فقط هو شيءٌ واحدٌ ألا وهو:

-أنا شبه واحد من المُجرمين؟!... له؟ شيفاني بشنب؟، ولا شيفاني شبه الرجالة؟...

وهكذا بدأ العراك بينهن في أجواءٍ من المرح والعديد من الجدالات التي تُلطف على أفئدتهم وتُخبرهن أن الحياة لا تزال بسيطة رغم تلك الصعوبات التي تتكلمها....

على جهة أخرى، تحديداً عند الرجال، كان يجلس أربعتهم في حُجرة المعيشة يُشاهدون إحدى المباريات بانهماكٍ واضح، فيما عدا إسلام الذي يختلف عن جميع الرجال لأنه لا يهيم بكرة القدم ولا يهتم بها من الأساس، فكان في تلك اللحظة يعبث بهاتفه بأعينٍ تحمل بعض الغضب نتيجة ما فعله بسبب هذا المشاغب الصغير، وفي ظل انهماكه بتصفح الجوال، إذ يستمع إلى سؤال جابر الفضولي:

-هو إيه الفيديو إلتى إنت صورتته ده ؟

قبض إسلام على جواله مُتذكراً ما فعل والذي بدوره يُشعل الحُمم البركانية داخل صدره، فكان يُجيب جابر بغلٍ دفين:

-متفكر نيش الله يخليك ... ده كله من الصايح أخو داليا ... مش قادر أفهم الواد ده هيبقى إيه لم يكبر شوية ... حاسس كدة إننا هنلمه من الاقسام

فهم جابر مقصده لأنه قد تعرّف مُسبقاً على أفراد العائلة وأصبح جزءاً منهم، فكان يردف وهو يسترخي بظهره للوراء:

-قصدك عبده ... أنا بردو حاسس كدة

تلقت إسلام حوله بحثاً عن هذا الماكر الذي لن يتركه يخلد إلى مضجعه دون الاعتذار عمّ تسبب به، يعلم تمام العلم أنه لن ينل اعتذاره لكن على الأقل يشكوه لوالده محمود أو حتى والدته حتى يعلموا نتاج تربيتهما المُنعمة.

-صحيح الواد عبده فين ؟... مش كان معانا واحنا جايين ؟... ولا راح يعمل مصيبة تانية من مصايبه

قهقه جابر بخفة ثم ربت على كتف إسلام مُطمئناً إياه بقوله:

-متقلقش ... لسة شايفه بيتكلم مع عمو سيد أبوك

على الرغم من كلماته المُطمئنة إلى أن عينا إسلام قد اتسعتا في صدمة جعلته يعتدل في جلسته محاولاً انقاذ والده من تلك الكارثة المُتنقلة، فكان يثب عن الأريكة بسرعة وهو يقول:

-أبوية... !!

-بُص يا عمو ... المطوة دي .. سلاح ذو حدين، يعني يا تبقي إيديك حمرا، يا تلبس الاحمر... بس المثل بيقولك، الرجولة ضرب نار مش أكل فشار ... وإللي يضايقك عؤره، ترفع المطوة كده اهو...

أخرج مطواته من جعبته ولوّح بها أمام سيد وهلال اللذان يرمقان حركاته بذهول وبعض الحيرة فيما عدا هلال الذي كانت ملامحه طبيعية لكنه يدعو بقرارة نفسه ألا يأتي عبد الصبور من المرحاض في تلك اللحظة.

-لما تيجي تعور حد، إياك تغز السكينة ... شوّح بس ... ولو اتطاول معاك، خربشه بالمطوة خربوش صغيرة يلمه ... ولو بقى_

قطع إسلام حديثه وهو يجذب يده التي تلوّح بالمطواة ليحاول إخفاءها قبل أن يأتي والد لؤي ويزج به في السجن، هو يتمنى أن يُقبض على ذاك الصغير، لكن ليس الآن، يجب أن ينال منه أولاً.

-بتعمل إيه مع أبوية ؟

زجره إسلام باندفاعٍ ليجذب عبده ذراعه مُبرراً سبب وقوفه بثقة:

-في إيه يا عم إنت ... يعلمهم إزاي يغوزو " يطعنوا " حد من غير ما يقتلوه

قبض إسلام مُجدداً على ذراعه حتى يُبعده عن والديه متفوّهاً باستنكارٍ وسخرية:

-دروسك المهمة دي اديها في حتة تانية مش هنا...

وهكذا استمر الجدل بينهما حتى أتى عبد الصبور ليستفسر عما يحدث لكن إسلام جذب عبده عنوة وكان يعلم تمام العلم أنه إذا أخبره أن عبد الصبور سيقوم بزجه في سجن الأطفال فسيستمر عبده بأفعاله ولن يهتم بتلك المعلومة...

تركزت عينا مُعتر على المباراة باهتمامٍ حتى كاد آخر شوط يوشك على الانتهاء، ربت لؤي على فخذة حتى ينتبه مُعتر إلى سؤال لؤي الذي كان:

-مُعتر ... كلمت ميجو؟... مش كان المفروض يبقى معانا؟

أوما مُعتر إيجاباً وهو يقول:

-كلمته ... بس مش عارف ليه مجاش

اقترح عليه لؤي بقوله:

-ما تروح تشوف هو فين؟... إحنا قرّبنا نمشي، وأنا عمال اتصل بيه مش بيرد

داهمت شذرات القلق وجه مُعتر الذي لأول مرة يشعر أنه مسئولٌ عن ميجو بصفته شقيقه الأكبر، انتهت المباراة في تلك الأثناء لتنتبه حواس مُعتر لهذا الأمر ويلتفت بوجهه نحو لؤي حتى أظهر قلقه الواضح حينما قال:

-هيكون راح فين؟... ده النمرة بتاعته مش دلوقتي

لم ينبس لؤي ببنت شفة وبقي في حالة من الصمت وجميع الأفكار تتعارك داخل رأسه، منها الأفكار السيئة والجيدة، انتهت معارك أفكاره ليجد مُعتر يثب عن مكانه استعداداً للاطمئنان على شقيقه، فيبدو أن أفكاره السلبية انتصرت على الايجابية وأوهمته أن شقيقه في مأزقٍ ويحتاج لمساعدته، فقد حدث هذا سابقاً.

-أنا هروحله البيت أشوف هو فين ... مش هتأخر

قالها قبل أن يترك المنزل بأكمله مُتجهًا صوب الطابق الرابع حيث يقبع شقيقه....

إن كانت رائحة الأموال عطرًا لأضحت من أزهي العطور، فلا شيء أروع من تلك الثروة التي تأتيك دون عناء، تتغلغل رائحة أمواله العديدة أرنية أنفه لتصيبه بالانتشاء كما المُسكرات، يجب أن تُضاف الأموال لقائمة الممنوعات، فهي أيضًا تُذهب العقل، وتجعل الإنسان يرتكب أمورًا لم يكن ليرتكبها بدون الأموال، وهي كذلك تُصيب المرء بالإدمان.

وضع رُزمة النقود مكانها داخل الحقيبة البنية المصنوعة من الجلد ثم أخفى الحقيبة أسفل الأريكة بجوار حقيبة أخرى سوداء اللون، وثب بعدها ليستنشق الهواء داخل شدقيه ثم يُخرجه على هيئة نسماتٍ تحمل الراحة، فما هي إلا بضعة أيامٍ فقط حتى يجمع المبلغ المطلوب ويبدأ عمله الخاص وحياته الجديدة المُطرفة.

تمطأ بجسده حتى طقطقت عظامه ثم توجه صوب الحُجرة لينتشل أوعيته ويدخل بها المرحاض لعله يأخذ حمامًا ساخنًا قبل أن يذهب إلى تلك العزيمة...

بعدها ببضع دقائق، كان مُعترز يقف أمام المنزل الخاص بميجو يطرق عليه العديد من الطرقات وينادي اسم ميجو دون أن يأتيه الرد، فحتى وإن كان نائمًا، كان ليستيقظ بعد هذه الطرقات، ثم من الذي ينام بالتاسعة مساءً؟ خاصة أشخاصٌ ليلية مثل ميجو.

-ميجو ... يا ميجو...

بقي ينادي بصوتٍ مُرتفع ويطرق على الباب ثم يُلصق أذنيه لعله يستشعر بعض الضجيج الصادر من الداخل، فهو لا يعلم أن ميجو بالمرحاض يُغني بصوتٍ واضح لن يسمعه مُعترز بسبب بُعد المسافة بين المرحاض والباب.

طرق مُعترز الباب حتى احمرّت يديه من كثرة الطرق، كما أن الأفكار السوداوية عاودت العبث بعقله حتى جعلته يعتقد أن هناك مجرمًا اقتحم المنزل وقتل شقيقه وأنه الآن غارقًا في دماءه لا حول له ولا قوة، ما إن وصلت أفكاره لهذه الدرجة حتى أخرج مفتاح المنزل من جعبته والذي قد أخذه من إسلام قبل الرحيل، فإسلام يملك مفاتيح المنازل جميعها لأنها بالأساس إرثٌ له ولوالده.

أخرج مُعْتز حافية المفاتيح وبدأ يعبث بها حتى عثر على المُفتاح المُراد، فتح الباب بهدوءٍ وقلبٍ مُرتبكٍ يزداد ارتبائه كلما ولجت أقدامه المنزل أكثر، فكأنه يطيء موقع جريمة وليس منزل شقيقه.

-ميجو...ميجو...

وصل أخيرًا نداءه إلى مسامع ميجو الذي أوقف الغناء ليُلطخ وجهه عوالم الحيرة، فما الذي أتى بشقيقه داخل المنزل؟

-نعم يا مُعْتز ... أنا في الحمام

تنهد مُعْتز براحة بعد أن اطمأن قلبه وتأكد أن شقيقه سالمٌ معافى، اقترب نحو المرحاض وهو يقول بعتاب:

-يا أخي خضتني ... دا انا بقالي ساعة بخبط برة

-معلش مسمعتش

هكذا أخبره ميجو وهو لا يزال يتحمم ويفرك خُصلات شعره المليئة بالرغاوي، ابتعد مُعْتز عن الباب قليلاً وهو يردف بتقرير:

-أنا هستناك برة لحد ما تيجي ... قايلهم إني مش هنزل من غيرك

وافق ميجو بلا مبالاة ثم واصل التحمم على أمل أن ينتهي في أسرع وقتٍ ممكن، بقي مُعْتز لعدة ثوانٍ يتجوّل بمللٍ داخل المنزل الفوضاوي، مرر عينيه في كل مكانٍ ما بين زُجاجات الجعة الفارغة ورائحة التبغ التي تكاد تُصيبه بالاختناق، ولأنه لا يطيق البقاء في منزلٍ كهذا وبسبب شعوره بالملل، قرر أن يشغل نفسه بتنظيف القليل من هذه الفوضى حالما ينتهي ميجو من الاستحمام.

تقدم نحو حُجرة الطعام لينتشل كيسًا بلاستيكيًا كان يُستخدم للتبضع، أمسك هذه الحقيبة بكلتا يديه ليتجه بعدها صوب البهو الذي تجمع داخله كل ما يتسبب بدخول

الجحيم، التقط لفائف التبغ التالفة بتقززٍ ليضعها داخل الكيس البلاستيكي ثم اتجه صوب زجاجات الجعة الفارغة وأمسك واحدة منهم ليضعها داخل الحقيبة وشفتيه تُتمتتان بالاستغفار والدعوة لهداية شقيقه.

أحنى جذعه ليلتقط المزيد من الزجاجات المتناثرة على الأرض والقريبة من الأريكة، اتسعت حدقتيه باستفهامٍ ما إن وجد هذه الحقيبة السوداء أسفل الأريكة لا يعرف سبب وجودها هنا، داهمه الفضول حيال هذه الحقيبة العجيبة مما جعله يجذبها من أسفل الأريكة ويضعها على الطاولة.

حدق بها لعدة ثوانٍ وداخله يُخبره أن يُعيدها مكانها لأنه لا يجب أن يعث بممتلكات غيره، لكن هناك شخصٌ آخر يُخبره أن من واجبه أن يعلم المزيد عن حياة شقيقه لعله يستطيع إصلاح حياته، يكفي أنه يعلم أن شقيقه يُدخن التبغ ويتجرع الجعة وهو لا يستطيع مساعدته، تلك الأفكار جعلته يفتح الحقيبة دون أن يكثرث لما تحتويه من أسرار....

أتعلم إحساس الشلل الذي يأتيك دون الإصابة بمرضٍ ما، هكذا كانت حالته وهو يلمح هذا الكم من الممنوعات أمامه، ألم يُخبرهم ميجو أنه لم يعد يتاجر بتلك الأشياء؟ ألم يطلب مساعدتهم لأنه تاب ويحاول جاهداً أن يبدأ حياة جديدة؟ أم أنه يخدعهم طيلة هذه الفترة؟

تحسست يده تلك المادة البنية السميكة ونيران الغدر تشتعل داخله، كيف يبقى هذا الكم من الممنوعات في منزلٍ بنفس بنايتهم، فإن داهمت الشرطة المكان فسوف تُلقي القبض على من بالبيت فوراً بتهمة حيازة الممنوعات والإتجار بها، وهو كذلك لن يسمح أن يبقى مُجرماً معهم بنفس المنزل، حتى ولو كان شقيقه، لا مزيد من التهاون معه بعد الآن...

وقبل أن يهم بأية حركة، كان صوت الباب يُباغته وظهور ميجو قبالتة بشعرٍ مُبلٍ وثيابٍ نضيفة لن تمنع مُعتر من إطلاق نظراته المُشتعلة صوبه.

تحرك ميجو صوبه بطبيعية قال معها:

-أنا خلصت أهو ... شوية وهـ-

تصلبت أهدابه فور أن لاحظ نظرات مُعترز الحمراء وتلك الحقيبة السوداء التي لا يعلم كيف وصلت إلى يدي شقيقه، اختفت ألوان وجهه وبدأت السخونة تجتاح جسده وهو يقترب خطواتٍ بطيئةٍ مُترددة صوّب مُعترز الذي ما إن رآه حتى أطلق شُعلاته النارية على هيئة كلماتٍ حادة وأصابع تُشير على تلك الحقيبة الماجنة مع كلماته:

-إيه ده؟

صبغ سؤاله ببعض الهدوء الذي أربك ميغو أكثر وجعل الحروف تهرب من جوفه والحُجج تختفي من عقله مرة واحدة، فلطالما كان يُخبر أخيه أنه سيتوقف عن تدخين التبغ المُذهب للعقول تدريجيًا، لطالما أخبره أنه لا يُتاجر بتلك الممنوعات ولا يمتلك كمية كهذه داخل منزله، لطالما ظهر أمامهم بمظهر الضحية التي تشكلت بسبب الظروف الصعبة، لكنه الآن، يشعر أن الأكاذيب التي بناها ستطير مع أسراب الطيور، فما هو أول سرٍ ينكشف ولا يعلم كيف ستضحى ردة فعلهم، فما بالك ببقية الأسرار؟

-إنت ... إن..إنت فاهم غلط .. أنا كُنت-

بقي يُتهته بالحديث حتى ازداد مُعترز غضبًا وانفجر بوجهه كقنبلة نووية موقوتة:

-إنت إيه؟ ... هتكذب تاني؟ ... هتقولي تاني إنك عايز تتوب؟ ... أنا خلاص تعبت منك ومن كذبك

دفعه مُعترز مع آخر كلماته وقد أضحى وجهه الآن أحمرًا ككرة من اللهب، بينما كان ميغو أمامه يزدرد ريقه بخوفٍ من نظرات شقيقه التي لأول مرة يراها، فيبدو أنه تسبب بانفجار بناية راسخة كانت تنسم بالسكينة والهدوء.

اللقط مُعترز أنفاسه قبل أن يردف بحدة رغم صوته الذي بدا هادئةً مُحملاً بالعتاب:

-وانا إللي كُنت فاكِر إنك هتَنصِف وتبقي بني آدم ... فضلت أقول سيبه يمكن يعقل
ويبطل عوق...

تقدم أكثر نحو ميجو ليرميه بنظراتٍ مُشمِزةٍ أعربت عن استحقاره ومُقته من أفعاله:

-بس إزاي؟... هتوقع إيه أنا من ابن رقاصة؟

بدأ الغضب ينتقل إلى ميجو تدريجيًا وإحساس بالمهانة يتسرب إليه خاصة بعد ذكر والدته، فليس ذنبه أن يترعرع في ملهى ليلي بين المجون والفجر، ليس ذنبه أن والدته كانت تُلقنه على الخطأ وتُخبره أن يبيع الجميع من أجل مرحة ومُتعة؛ خرجت الكلمات من جوفه مُتجهمة حاول معها مواجهة تلك الاتهامات والتبرير لفعَلته ولو قليلاً:

-هو كل حاجة تجيب سيرة أمي؟... وبعدين أنا كنت هقولك إن_

قطعه مُعتر مُجددًا قبل أن يبدأ تحججاته الواهية التي يعلمها تمام العلم، أشار بسبأبته على ميجو متفوهًا بتهديدٍ لطح كلماته الهادئة:

-أنا مش عايز اسمع تبريرات إنت كل يوم بتثبتي أكثر إنك لا يُمكن تتغير ...
وأنا مش هقبل إن واحد زيكَ يعيش وسطينا ... حتى لو كان اخويا

رفع حديثه مع آخر كلماته مما جعل ميجو يواجهه بنفس تلك اللكنة المُندفعة والمُقررة
:

-يعني إنت عايزني أمشي؟... أنا معنديش مانع، أنا أصلاً مش محتاجك في حاجة

رسم مُعتر قهقهة ساخرة على جوفه بدت شيطانية بالنسبة لميجو، فهو لم يتوقع أبدًا أن تخرج مثل تلك التصرفات من شقيقه الذي ينعته دائمًا بالحماقة، فيبدو أن قناع الحماقة قد تبدل الآن بقناع المُكر الذي سيُصيبه في مقتلٍ.

-ده كان زمان ... إنما دلوقتي أنا مُستحيل أُسيب مُجرم زيكَ يبطلع في الراححة وفي الجاية

احتقن وجهه ميجو بعد تلك الكلمات القاطعة والتي جعلت الأفكار تتخابط برأسه، يريد أن ينفي ما يعتقد من تلك الكلمات التي بصقها مُعترز أمامه بكل ما يعتمره من غضب؛ تابع مُعترز وهو يتحرك صُوب الباب بخطواتٍ مُندفعة فتبعه ميجو ليجذب ذراعه لعله يتأكد من شكوكه بقلب يضرب من الخوف:

-هتعمل إيه؟ ... إن... إنت هتبلغ عن أخوك؟

دفع مُعترز ذراعه بعيداً وهو يُجيبه باستحقار:

-أنا ميشرفنيش إن مُجرم زيكَ يبقى أخوية...

تقدم خطوة ليقف أمام ميجو مُباشرة يُحدق بعينيه بتحدٍ جارِفٍ جعله يتأكد أنه لا يمزح هذه المرة، يقسم أنه سيُلقته الدرس الآن ويُعلمه عاقبة الإِجرام الوخيمة، يُعلمه أن يردخ للقانون بالقوة لأن اللين لم يُجدِ نفعًا.

-لو كُنت فاكِر إنك هتتحدى القانون ... فإنسى ... لأنني مش هشوف حاجة غلط وهسكت عنها ... وإياك تقولي هتغير عشان مُستحيل اصدقك

بصق تلك الكلمات بقسوة ثم استدار ليوصل السير صُوب الباب ووراءه ميجو يحاول التوسل له والاعتذار منه دون أن يلتفت مُعترز نحوه، فيبدو أنه سيُنفذ كلماته جديدًا هذه المرة مما يعني أن اسطورته ستندمر وسيقضي ما تبقى من عُمره خلف القُضبان الحديدية، ما إن داهمته تلك الأفكار حتى بدأ الغضب يزوره، رغبته في الدفاع عن حُرِيته جعلت ندمه يتحوّل إلى مُقتٍ يكفي لتدمير دولة بأكملها.

راقب مُعترز وهو يمسك مقبض الباب وعلى وشك الرحيل مُنفذاً خطته وتهديده بالقضاء عليه وعلى أحلامه، فكيف له أن يقضي عليه بتلك البساطة؟ كيف يعتقد أنه ولي أمره وله الحق بالسيطرة والتحكم بحياته، لم يكن يعلم حتى أنه شقيقه الأكبر سوى مُنذ بضعة أيامٍ ليس إلا، ولن يتركه يُدمر ما بناه بتلك السهولة مهما حدث.

صبغت الحُمرة القانية عيناه المُشتعلة ليقبض بيده على مزهرية من الخشب السميك
موضوعة فوق خزانة صغيرة، تحرك بخطواتٍ سريعة ووجهة لا يعلوه سوى غضبه
الذي جعله يرفع تلك المزهرية ويهوي بها بقوة على جُمجمة مُعتز من الخلف حتى
استمع لصوت تهشم الجُمجمة وتناثر الدماء في كل مكان.

كان مُغيبٌ عن العالم لا تُحركه سوى نزع الحُريرة والتحدي، لم يفق من هذا التغييب
سوى بعد أن هوى جسد مُعتز أمامه مغشياً عليه غارقاً في بركة دماءه...!!

الفصل الرابع عشر (عصيان نتيجته الدمار)

من يُدافع عن الحق، هو فقط من يتم عقابه... هذه هي قوانين الحياة.

طغى اللون الأبيض على المكان، لكن الأبيض هنا ليس رمزًا للسلام، بل هو رمزٌ للمكائد التي تزحروم بها الحياة، رمزٌ للموت والإعياء، الأبيض هنا يرمز إلى لون كفن الموتى، وليس لحمامة تُرفرف بحرية فوق الوُديان.

شلالات من الدموع تنهمر من عينيها ووجهها الذي أخذ من اللون الأحمر وشاحًا، مجموعة من الأيدي تُربت على كتفها تحاول تهدئتها وإخبارها أن زوجها سيخرج منها سالمًا معافى، فقد آتاهم الخبر وهدم جلستهم الودودة ليجعلها تتحوّل إلى ذكرى مُكفهرة يجب نسيانها، لأن تذكرها سيُصيبهم بالعذاب.

تذكروا سماعهم لصافرة الإسعاف وهي تتوقف أمام البناية ليترجل منها مجموعة من المُسعفين مُتجهين صوب الطابق المُراد والذي كان الطابق الرابع، تذكروا جسد مُعتر المسجي ودماءه الغزيرة التي غطت ظهره وجمجمته، تذكروا وجهه الشاحب وجسده المتهاك لتتحوّل تلك الذكرى إلى مشاهد مُرعبة من أحد الأفلام، فلا يريدوا تصديقها ولا يريدوا ترك آخر أملٍ يجعلهم يؤمنون أن صديقهم وزوجها الحبيب سالمٌ مُعافى.

جلست داليا بجوار كوكي التي صدح صوت بكاءها حتى كاد قلبها الرقيق ينخلج من موضعه، مسدت على ظهرها الساخن بكلماتٍ هادئة لا تخلو من ضيقها ورغبتها بالبكاء هي الأخرى، فلا يجب أن يضعف الجميع في مثل تلك المواقف، يجب أن يتحلّى البعض بالصمود لإمداد الآخرين بالأمل والمثابرة.

-خلاص بقى يا كوكي ... والله هيبقى كويس-

خرجت تلك الكلمات من جوف قمر التي جلست بجوار كوكي من الجهة الأخرى تحاول مواساتها كما يفعل البقية، لكن كوكي لم تُصدق أحاديثهن وبقيت الأفكار السوداء تُهاجمها ومشهد زوجها ودماءه يتمثل مرارًا وتكرارًا أمامها.

-أنا عايزة زيزو ... أنا عايزة زيزو...-

أدلت تلك الكلمات بطريقة مُتقطعة واصلت بعدها البكاء الحاد حتى كادت عينيها الزرقاوتين تُقتلعا من جذورهما، حاولت استجماع أنفاسها والتقاط مخاطها حتى أعطتها يُسرى حفنة من المحارم لثُجف دموعها، جذبتها داليا لتستكين على صدرها وبقيت تُربت عليها بحنانٍ جارفٍ كما لو كانت طفلتها الصغيرة، بعد برهة من البكاء حاولت كوكي استجماع أنفاسها والعودة إلى واقعها رويدًا رويدًا، ابتعدت بضع أمتارٍ عن داليا لتجول بعينيها في كل مكانٍ بحثًا عن جُزءٍ منها لا تعلم كيف أغفلت عدم وجوده، أو أن عقلها يُصيبها بالتشتت.

-بوسي ... بوسي فين ؟

هدأتها يُسرى بإجابتها هذه المرة والتي كانت:

-متقلقيش ... أنا قولت لماما تخليها عندها هي وغُفران ونديم .. وكمان طنط بسمة معاهم

كان الرجال جميعهم داخل المشفى، فكان سيد وعبد الصبور يحاولان معرفة سبب الواقعة بينما كان هلال مع جابر وخالد يجلسان على المقاعد يدعوان له في قرارة أنفسهم، أما عن ميجو، فلم يعرف أيهم أين ذهب بعد أن اتصل بالإسعاف وأتى معهم المشفى كونه شاهدًا على تلك الواقعة التي حدثت في منزله!!

يقف لؤي فُرب حُجرة العمليات بعوالم مُقتضبة تحمل الشك والغضب، فبطبيعته البوليسية يعتقد أن ما حدث لصديقهم ليس مجرد حادثٍ كما أخبرهم ميجو، يقف إسلام بجواره بمعالم تُقطر حُزنًا ونظراتٍ تائهة لا تُصدق ما حدث وكيف حدث حتى.

-أنا متأكد إن إلي حصل لزيزو ده مش حادثة

قالها لؤي بحدة ويقينٍ مُتدثرٍ بداخله، فأى شخصٍ يُصدق تلك القصة التي حبكها ميجو وأخبرهم أن مُعزز انزلقت قدماه وسقط على الأرض بعد أن أصاب مؤخرة رأسه بتلك الإصابة الحادة، يكاد يكون مُتيقنًا أن تلك الإصابة القوية مُفغلة ومُتععدة أيضًا، لكن ما سببها ؟ هذا ما لا يعلمه حتى الآن.

-قصدك إيه ؟

سأله إسلام بتيه فأجابه لؤي بنفس هذا اليقين:

-القصة إالي قالها ميغو دي مش داخلة دماغي ... حاسس إن في حاجة أكبر

التفت إسلام برأسه نحو لؤي ليُحادثه بجدية وقد بدأت تلك الكلمات تنال نصيبها في
عركلة تفكيره:

-وهو هيكذب علينا ليه ؟

إجابة هذا السؤال تتلخص في كلمة واحدة.. الخوف، فهو الوحيد الذي يجعل صاحبه
يهم بالكذب والتلفيق، ومع إن لؤي كان يعرف الإجابة جيداً، فضل عدم الإفصاح
عنها حتى تتأكد جميع شكوكه ويعلم السبب الحقيقي فيما حدث، لذلك أنهى الحديث
بنظراتٍ ثاقبة وكلماتٍ متحدية قال معها:

-معرفةش ... بس كل حاجة مسيرها تتكشف

قطع حديثهم صوت الباب وهو يفتح ليخرج منه طبيب يرتدي قفازاتٍ بيضاء وغطاء
شعرٍ تناسق مع رداء العمليات السماوي، هرول الجميع نحوه بقلوبٍ مُضطربة
ورغبة بسماع ما يُضنيهم عن تلك الأفكار السوداء، لكن ملامح الطبيب الباهتة
ونظراته التي لا تحمل أي من المعالم جعلت أفئدتهم تضطرب أكثر وأقدامهم لم تعد
قادرة على احتمالهم.

خلع الطبيب قفازاته وهو يستمع إلى أسئلتهم المُتعددة التي تخرق أذنه كالأمطار
الهائلة، تلك الأسئلة آجاب عليها بنبرة علمية فاترة حاول فيها طمأنتهم رغم أن
الحقيقة هي أبعد ما يكون عن الطمأنينة.

-للأسف المريض اتعرض لنزيف حاد في المُخ ... والضربة خلّيته يدخل في غيبوبة

مش عارفين هيقوم منها إمتى....

تنبعث الأدخنة السامة من جوفه لتملاً عُتمة الليل وسواد السماء بسُحبٍ رمادية لا تحمل سوى غصة قلبه وندمه، يستند بظهره أمام المشفى التي يقبع شقيقه بداخلها، شقيقه الذي لا يعلم كيف أدخله هذا المكان ولا يعرف كيف ارتكبت يداه جُرمًا كهذا، يتجاهل خُصلات شعره الرطبة وملابسه البسيطة التي لا تتناسب مع برودة الطقس، فكيف لبرودة الطقس أن تُلطف النيران التي تتغلغل داخله.

العام الماضي فقط، كان في تلك الأوقات يجلس بالمهوى الليلي يتسامر مع هذه ويتجرع ما يرغبه من الجعة بفخرٍ أمام الملاء، لا أحد يهتم به ولا أحد يُخبره إذا كان يسلك الطريق الصائب أم لا، يعيش حياة الحُرية التي أدرك الآن أنها حُرية فانية تُكبل مبادئه وتؤذي ضميره، قبض على يده حتى ابيضت مفاصله وبدأ يضرب بها الحائط كما لو كان يُريد قطع تلك اليد التي كادت تقتل شقيقه، أو أنها قتلته حتماً بعد تلك الضربة...

تزايدت الأفكار على رأسه وأدت إلى ارتجاف جسده ورغبته العارمة في الصُراخ، ماذا إن أخبروه أن شقيقه لقي حتفه؟ ماذا إن علم الجميع أنه السبب فيما حدث؟ ماذا إن فُيِّض عليه وحُكم عليه بالإعدام شنقاً... ماذا وماذا وماذا والعديد من الأسئلة التي لم ترأف بحاله وبقيت تُعذبه عذاباً أقسى من عذاب السوط حينما يلتحم بجسد الإنسان.

قطع تفكيره المطوّل اشتغاله لرائحة عطرٍ ناعمٍ داعب أرنبه أنفه، تلك الرائحة الأنثوية الرقيقة يعلمها جيداً، فظهورها كفيل بالتربيت على جوارحه مهما كانت صعوبتها، نفث الهواء من فمه ثم ازدد ريقه وهو يُطالع شمس التي تركتهم في الخفاء حتى تعثر عليه، فلا تعلم لم تهتم بوجوده ولا تعلم حتى لم ترغب بالاطمئنان عليه وكأنه من أقاربها.

بقيت في حالة من الصمت لا تعلم ماذا تقول وكيف تُخبره بحالة شقيقه دون أن توقد انقباضة بصره، لكن لهفته وقلقه جعله يسأل ببعض الهلع:

-مُعترفين؟؟ ... هـ.. هو كويس؟

تردد مع آخر سؤاله محاولاً مقاومة ارتجافة جسده الذي يُخبره أن الأخبار ليست جيدة، ظنّت شمس للوهلة الأولى أن تردده وحالته المزرية سببها خوفه على شقيقه الوحيد، فهي لا تعلم بعد حقيقة ما حدث مثل جميعهم، اقتربت لتقف بجواره على بُعد أمتارٍ تلتصق بظهرها على الحائط مثله وتُخبره بنظراتٍ شاردةٍ أمامها حتى لا تبعث القلق بداخله:

-الدكتور قال إنه دخل في غيبوبة ومش عارفين هيصحى منها إمتى ... ممكن أسبوع، شهر شهرين ... لسة مش عارفين... بس يارب يقوم بالسلامة

تنهد براحة بعد حديثها رغم أنها لم تُخبره أنه آفاق بسلام، على الأقل لم تُخبره ما هو أسوأ، عاود النظر للأمام ليسرق أنفاساً من لفاقته ثم يُطلقها في الهواء ويظل في حالة من الصمت حتى قطعها هي لتسأل مُستفسرة:

-مش قاعد معانا ليه؟.. كلهم بيسألو عليك

نمت قهقهه ساخرة متألّمة على جوفه قبل أن يعاود النظر أمامه متفوّهاً بحسرة:

-أقعد معاكم ليه؟... محدش فيكم شبهي

خرجت تلك الكلمات بسبب خوفه من أن يلّمح أحدهم نظرات الندم في عينيه ويُدرك أنه السبب فيما حدث، ففي النهاية، هو لا يُعتبر فرداً منهم، حتى وإن أثبتوا له أن أمره يعينهم، لا زالت هناك أجزاء بداخله تُخبره أنه غريبٌ عليهم ولن يجد مكاناً بينهم أبداً، قطعت شمس هو اجسه بحديثها الدافئ الرقيق:

-محدش شبه التاني ... إحنا بنقعد مع بعض عشان إحنا محتاجين بعض، مش عشان إحنا شبه بعض

تنهد بيأسٍ وهو يُجيبها للمرة الثانية بحسرة وشعور بالغربة والتهيه:

-مش محتاج حد فيهم ... ومعتقدش إن حد فيهم محتاجني

-أ.. أنا محتاجك

هكذا أخبرته بسرعة وتهوّر جعلها تبتعد بأنظارها عنه حتى لا يُلاحظ احمرار وجهها وعرقها الذي بدأ ينصهر على وجنتها من شدة الخجل، كيف خرجت هذا الكلمات من جوفها ؟ هي لا تعلم أبدًا، هناك معلومة تقول، أن ما يخرج من الكلمات عنوة، هو ما يُريد الفؤاد قوله لولا تحكّات العقل الذي يمنعه في كل مرة، وهي للأسف، يبدو أنها فقدت السيطرة على قلبها الساذج الآن.

-أ..أنا... لازم أدخل بقي عشان الجو برد... أتمنى تدخل إنت كمان...

أدلت كلماتها بسرعة وتهتهته زادت من إعجابه ببرائتها وارتباكها الذي لا يراه سوى نادرًا، ففي تلك الأيام، أصبح من الصعب العثور على فتاة لا تزال تحتفظ ببرائتها، هرولت شمس بعيدًا عنه لئلا تُرسم على ثغره ابتسامة اعجاب بسيطة قطعها وهو يعاود النظر بشروء أمامه لئلا يفكر بمُستقبله وما ستؤول إليه الأيام....

من قال أن النسيان دواءٌ لكل داء ؟ فهناك آلامٌ لا تُشفى سوى بحلولِ صريحة، وهناك أشخاصٌ لا يؤد المرء نسيانهم أبدًا حتى ولو اختفى عن العالم بأكمله، وهذا بالضبط ما حدث معهم في الأيام التي مرّت، فقد مرّ عليهم عدة أسابيع انتهى معها فصل الشتاء القارص وبدأ الربيع ثم الصيف، ويبقى الحال كما هو بين جفاء وجمودٍ وهدوء، حتى أنهم توقفوا عن البحث عن المزيد من المتفقلين وقرروا أن يُركزوا حياتهم بالدعاء والتضرع لعل صديقهم يتخلص من تلك المحنة، فقد مرّت ستة أشهرٍ كاملة وهو لا يزال مُحترجًا داخل حُجرة مليئة بالأجهزة ورأسه مغطى بالكامل بشاشٍ أبيضٍ وجواره جهازٌ يعرض مؤشراتهِ الحيوية، حتى أن الزيارة لا تزال ممنوعة بسبب حالته المُتقلبة وحُجرة العناية المُركزة التي لا يزال مُحترجًا بها، لكن الطبيب أخبرهم أنه على وشك تركها بعد بضعة أيامٍ فقط.

وقبل أن تنتهي تلك الأيام، بل وقبلها بكثير، كان إسلام وزوجته وجابر كذلك يأتون لزيارته عن كُئيب، فهم فقط القادرون على ذلك، أو بالمعنى الأدق، يتواجدون بجواره بروحهم التي تُسافر للعديد من الأماكن دون أن يُلاحظهم أحد، فهي ميزة من تلك

اللجنة التي تطاردهم وتتلبس بهم وتجلعهم يخوضون العديد من المشاكل، لكن بعد ما حدث، أدركوا تمامًا أن الكوارث تُحاوِطهم حتى بدون هذه اللجنة.

قُرّب إسلام أنامله لتتلامس بأنامل مُعترز التي لم يشعر بها لكن روحه شعرت أنه بتلك الطريقة سيمنحه بعض الأمان والصبر، أخبرهم الطبيب أنه ورغم غيبوبته إلى أنه قادرٌ على سماع أحاديثهم جيدًا دون أن يُبدي رأيه فيها، وفي جميع الأحوال لن يستطع مُعترز سماعه، لا هو ولا زوجته لأنهما الآن مُجرد روحين طائفتين تنتهز الفرصة للإقتراب منه مهما منعهم الأطباء.

-مُعترز ده أول صاحب يكمل معايا ... كلهم بيمشوو.. بيختفوو، ظروف الحياة بتلهيهم... هو الوحيد إلهي فضل جنبي لحد الآخر... مع إن كل واحد فينا من عالم مُختلف عن الثاني

كان يتحدث بشوقٍ وجواره داليا تقف وراءه مباشرة وتنصت لأحاديثه المشتاقة وداخلها رغبة عارمة بمعرفة كيف التقت المياه مع النيران، آحاطت إسلام بذراعها كي تسأله بابتسامة متلهفة وكلماتٍ هادئةٍ احترامًا للمريض الذي لا يسمعهم من الأساس:

-اتعرفتو على بعض إزاي ؟

داعبت الذكريات رأسه بعد سؤالها هذا الذي أعاده إلى العديد من السنوات الماضية، أرخى ظهره للوراء مع ابتسامة مُشتاقة لفحت وجهه وجعلته يتنهد تنهيدة عميقة بعينان ترمقان السماء وكأنه يُعاود مشاهدة شريط سينمائي عفا عليه الزمن...

عاد بذكرياته إلى أحد الأحياء الشعبية العشوائية البسيطة داخل المنيا، المنطقة التي ترعرع بها بطفولته قبل أن ينتقل إلى القاهرة، كان وقتها طفلًا بالتاسعة من عُمره يجلس أمام بنايته المُتهالكة بقميصٍ أبيضٍ باهتٍ وبنطالٍ بُنيٍ نَمٌّ عن كونها ثياب المدرسة التي كان يذهب إليها، يمسك بأنامله الصغيرة كراسة مدرسية يكتب عليها بعض فروضه بشغبٍ واضح، فلطالما أحب الدراسة في صغره رغم عدم تحمله للمسئولية بشكلٍ كامل، اعتمد على ذكائه الفطري في تأدية أغلب فروضه المدرسية ودائمًا ما كان يتفوق على أقرانه بالصف حتى أصبح طبيبًا جراحًا فيما بعد.

لم يكن من أولئك الأطفال مُحبي الكُرة واللّهُو، فكانت مُتعتة الوحيدة هي مشاهدة التّلفاز ومشاكسة زملاءه بالصف بمُزاح، لذلك كان يجلس دائماً أمام البناية ينتهي من فروضه المدرسية قبل أن يدخل منزله حتى يتسنى له مشاهدة التّلفاز ومباريات المصارعة متى أحب ذلك.

ازداد صُخب الأطفال من حوله وتحوّلت أصواتهم المرححة إلى أخرى تبدو مُتنمرة عابثة؛ رفع عينيه عن كراسته بفضولٍ داهمه وجعله يؤد معرفة سبب توقّف الأطفال عن لعب الكُرة وتجمعهم حول صبيّ صغيرٍ يبدو أنه ليس من هذه المنطقة، وضع إسلام كراسته داخل حقيبته المدرسية، وتقدم بخطواتٍ واثقة صوب هذا الجمع ليجد صبيّ يبدو بالثانية عشر من عُمره يرتدي قميصاً أزرقاً نظيفاً وحذاءً أسوداً لامعاً مع بنطالٍ أزرقٍ داكنٍ أكد له أنه ينحضر من عائلة راقية، لكن ما الذي أتى به إلى تلك الحارة البسيطة؟ هذا ما لم يكن يعلمه ولن يترك هؤلاء الصبيا يسخرون منه قبل أن يعلم ماهية هذا الفتى.

كان الصبية يحاولون انتزاع أغراضه وأخذ مُتعلقاته الباهظة بينما كان هذا الفتى يحاول التملص منهم ودفعهم بعيداً عنه حتى ألجمتهم كلمات إسلام الصارمة رغم صغر سنه، فقد كان يتمتع بطبيعة قيادية تجعلهم يحترمونه ويُنفذوا تعليماته:

-بس يلا إنت وهو ... محدش يقرب منه...

اقتحم إسلام جمعهم وبدأ يدفعهم بيده الصغيرة وكلماته المُهددة:

-لو حد قرّب ناحيته ... والله لاقول للمعلم بُرعي وهو يتصرف معاكم

كان المعلم بُرعي يُمثل أبيه الروحي، فدائماً ما كان يجلس معه في الإجازات ويستمتع إلى حكاياته ونظرياته الغريبة التي جعلته يتحدث مثله بالضبط بعد أن تقدم به العُمر، علم الصبية أن إسلام لا يمزح بحديثه، فجميعهم يخافون هذا المدعو ببرعي ولا يستطيعوا مجابته، ويعلموا كذلك مدى تقرب إسلام بهذا الرجل ومدى استعداد بُرعي لتنفيذ جميع رغباته مهما كانت.

انتهى بهم الأمر بابتعادهم عن هذا الفتى ليتقدم إسلام نحوه ويُحاوِطه بذراعه رغبة في تخفيف هالة الخوف التي تلبسته، ولأن إسلام كان طويل القامة، فكانت يده تُحيط ذراع الفتى الذي كان الأقصر رغم كبر عُمره.

-محسوبك إسلام

قالها إسلام بطريقة قُلد معها أحد الأفلام مما جعل ثلوج الفتى تنصهر ويبدأ التفاعل معه بصوتٍ مُنخفضٍ ومُرتبك:

-وأنا ... مُعتر

تحرك إسلام معه بضعة خطوات اتجاه منزله وهو يسأل بفضولٍ وبعض الاستنتاج:

-هو إنت ساكن في الفيلى إلي جنب الحارة ؟

أوما مُعتر إيجاباً فسأله إسلام مجدداً رغبة في إرضاء فضوله:

-وايه إلي جابك هنا ؟... دنا لو مكنتش موجود كانوا هيسرقوك

توقف مُعتر عن السير ليخفض بصره أرضاً لتلوح على وجهه عبارات الحُزن التي كاد يُقطر معها بعض الدموع، فكان حديثه مكلوماً خافتاً ظهر معه كم أنه يُجاهد حتى يتحمل مع ما يحدث معه بسبب ثروته والتي بالنسبة له أكبر نقمة بحياته:

-ماما متضايقة ... بابا ضايقها تاني ... وأنا كُنت عايز أجبلها هدية عشان متبقاش زعلانة ... بس مش عارف أجبلها منين

اتسعت بسمة إسلام وداخله يهتف : لقد أتيت للشخص المناسب، أحاط مُعتر بذراعه مُجدداً وعاود السير بجواره وهو يقول بؤد:

-بس كدة ... طلبك عندي...

واصل مُعتر السير بجواره متسألًا ببعض الشك:

-إنت تعرف محل هدايا؟

ابتسم إسلام بتعنتٍ قال معه:

-عيب عليك ... أنا أحسن واحد بيجيب هدايا...

عاد إسلام من تلك الذكرى على صوت داليا المازح:

-دا التكبر طلع عندك من بدري ... وأنا إلهي كُنت فكراك اكتسبته

قهقه بسُخرية على حديثها وقد تناسي للتو هذا المأزق وبقي يغوص في ذكرياته المُحبة إلى قلبه داعيًا ربه بين الفينة والأخرى أن يتخلصوا من تلك المُعضلة كما تخلصوا من جميع مُشكلاتهم السابقة، فالأوقات الصعبة، أما أن تنتهي، أو نتناسي وجودها، أما في حالتهم، لا يعلموا متى ستنتهي، ولا يعلموا كيف يتناسوها...

لطالما ظن أن الذكريات لا فائدة منها، أم أنها هواء ملوَّث لا يتسبب سوى باختناق الأنفس والشعور بالانقباض، أو حتى مرضٌ يُشعره بسكرات الموت، فذكرياته لم تكن أبدًا جيدة، لم تكن ذات فائدة، وكلما عاد إليها زاد شعوره بالتقرز حيال نفسه.

غلغل أصابعه بين خُصلات شعره تزامنًا مع تنهيدة حارقة خرجت من جوفه وكادت تجذب معها دموعه، يجلس على مقعدٍ حديدي في مكانٍ لا يرغب التواجد فيه حاليًا، فأصبح وجوده في تلك الأماكن ثقيلًا على قلبه، لا يعلم ما الذي حدث له في تلك الأيام، لكنه مُتيقنٌ أن الشعور بالندم يلتهمه بالبطيء، يجعله فاقدًا لمعاني الحياة، فاقدًا لشغفه ورغبته بالتلذذ بمتاع الدنيا، لأول مرة يقضي ليلته قعيدًا على أريكة منزله يضرب عقله بالسُّياط وكأنه ينتقم من ذاته.

أخرج لفافة التبغ سميكة وأخرج قداحته لعله يُشبع جوعه للنيكوتين المذهب للعقول، ليست رغبة في المتعة فقط، بل رغبة في النسيان، نظر للفاقة التبغ قبل أن يضعها داخل جوفه لبضع دقائق، تُداهمه تلك الذكريات مُجددًا وصوت شقيقه اليأس بعد أن اكتشف أن لا أمل به، لا أمل بأن يضحى انسانًا حتى، تلك اللفاقة ذكرته بدماء شقيقه التي لطخت جدران منزله وجسده يرتمي قبالتها في منظر يُرهب الأنفاس، فإن كانت رؤية الدماء مُفزعة، فروية دماء المُقربين منك أكثر فزعًا.

ألقي لفافة التبغ على الأرض ليدعسها بغلٍ عبّر عن غضبه وشعوره بالذنب، أرخى ظهره للوراء رامقًا السماء محاولاً طرد تلك الذكريات ومواصلة حياته بطبيعية، فما الذي يحدث إن آفاق شقيقه من تلك الغيبوبة؟ هل سيُخبر الشرطة أنه الفاعل؟ حتى وإن أخبرهم، هو لا يستحق العفو والمغفرة، لقد هدر بغباءه جميع الفرص التي أتاحت له حتى أصبح الآن غارقًا في غياهب الندم.

حاول تنظيم رباطة جأشه عندما داهمته كلماتها الرقيقة ومواساتها له بين الفينة والأخرى، لم ينسى تصريحاتها أمام المشفى بأنه يُمثل أهمية بالنسبة لها، لا يعرف حتى سبب تعاملها معه بتلك الطريقة، ما يعرفه فقط، أنه يُريد رؤيتها والارتقاء بأحضانها رغم رفضها، يحتاج احتواءها وكلماتها البسيطة البريئة التي تخترق ضلوعه وتُمسد على جروحه، فقط يحتاجها الآن وفي كل الأوقات.

قطع وصلة شروده أنامل رقيقة تُحيط رقبتة وصوتٌ مُدللٌ رقيق يعرفه جيدًا، فتلك الأصوات تغمر أركان هذا الملهى الليلي خاصة بعد أن يرحل الزبائن:

-شكلك مش في المود

تنهد ميجو بضيقٍ لأنه لا يتمنى وجودها الآن، فلا رغبة له بالتؤدد مع أي فتاةٍ وهو بتلك الحالة؛ رفع يده ليدفع يدها بعيدًا محاولاً عدم إظهار حنقه أمامها، فقد كانت كلماته تخرج من جوفه بصورة جافة جعلتها ترمقه بحيرة وهو يقول:

-فكك مني يا كارمن ... أنا أصلًا مش طايق نفسي

تجاهلت رغبته بالبقاء وحيداً وانتهزت أنوثتها وحديثها المُدلل حتى تُرضي شهواتها،
آعدت وضع يدها حوّل رقبتة مع ابتسامة رقيقة وقحة زينت ثغرها وهي تقول:

-يعني إنت مش طايفتي؟... دا أنا حتى كنت عايزة افرشك

تنهد ميجو بنفاد صبرٍ ليثب بعدها عند المقعد آخذاً دربوجته ليضعها جانباً بجوار
المقعد لرغبته الجامحة بترك هذا المكان، خرجت كلماته مُحتدة بعض الشيء وهو
يدفعها للمرة الثانية:

-قولتك سبيني يا كارمن... أنا مليش تُقل على الكلام ده دلوقتي

قطبت كارمن حاجبيها بغضبٍ من تصرفاته ورفضه لها، فمُنذ متى وهو يُعاملها بهذا
الجفاء؟ وما الذي طرأ عليه فجأة؟ تلك الأفكار جعلتها تربط ذراعيها بنذقٍ قالت معه
باستنتاج:

**-ملكش تُقل عليا ولا عشان خاطر السنيورة؟... أنا شوفتك معاها قبل كدة لما جات
هنا... وحقيقي مش قادرة افهم ازاي تبص لواحدة زي دي... دي متجيش قد
صُباع رجلي الصُغير**

أنهت حديثها بمزيج من التعنت والتقرز اللذان جعللا الغضب يتدفق تدريجياً بداخله،
فلو كانت أخطأت بحقه، لما شعر بهذا الغضب الذي يشعر به الآن، تلك الفتاة التي
تتحدث عنها جعلته يُدرك حقارة بقية النساء اللاتي عاشرهن بحياته.

قبض على كف يده حتى لا ينفجر بوجهها ويصفعها كفاً يجعلها تترنح وتسقط أرضاً،
أنهى معها الحديث بنبرة مدافعة مُرتفعة أوشكت على بث انفجاراً هائلاً بوجهها:

**-البتت إلي بتتكلمي عنها دي أشرف منك ومني... ولو جبتي سيرتها تاني ورب
الكعبة لامسح بيكي بلاط الكبارية**

بصق تلك الكلمات بتهديدٍ صريح ثم تركها وهرؤل بعيداً تجاه الباب حتى يرحل من
هنا، تغاضى عن نظراتها المتوعدة وغمغماتها الحقودة وتشبث بشيءٍ واحدٍ فقط، ما

الذي قاله للتو؟؟... ولم يُدافع عنها بتلك الطريقة ؟ فعلاقتهما حتى لم تصل إلى الصداقة، بل هي مزيجٌ من المشاعر المُختلطة التي لا يعلم إن كانت إشفاقًا أم مساعدة أم إعجاب ... وربما هي شيءٌ آخر...

مرّت ثلاثة أيامٍ أخرى وها هو يضرب أمتعته استعدادًا لتترك هذه المشفى أخيرًا، فقد سئم البقاء في مشفى الأمراض العقلية لا يسعه خوُص عملياتٍ جراحية كبيرة ولا حتى التعامل مع أشخاصٍ من شتى البقاع، فقط يتعامل مع المرضى النفسيين والتي تضحى أغلب حالاتهم أما حوادث غير مقصودة بعد الرحلات تحديدًا، أو محاولاتٍ للانتحار باتت قليلة بسبب تشديد الأمن حول المرضى، أي أن تواجهه بهذا المكان لم يعد ذا أهمية، وحين الوقت للعودة إلى المشفى التي بدأت أحلامه من عندها.

أغلق حقيبته الجلدية وحملها بيده استعدادًا للرحيل، ما إن فتح باب العيادة حتى تلاقت عيناه بجاسم الذي اعتاد المجيء من فترةٍ لأخرى حتى يطمئن على المرضى، تعانق هو وإسلام في حرارة ثم جذبه جاسم ليسير بجواره في رواق المشفى ويتشارك بعض الأحاديث المتبادلة، فكان إسلام يردف بارتياح:

-مش أنا خلاص هسيب المُستشفى... أخيرًا القرار طلع

ربت عليه جاسم مُهنئًا ثم قال:

-ألف مبروك ... وأنا كمان هسيب المُستشفى ... بس هسيبها بالبلد كلها

توقف إسلام عن السير ليرمق جاسم بحاجبين معقودتين ورغبة جامحة بالحصول على تفسيرٍ لهذا الحديث:

-يعني إيه الكلام ده ؟... إزاي هتسيب البلد ؟

طمأنه جاسم بحديثه حتى لا يعتقد إسلام أنه سيرحل للأبد وتنتهي صداقتهما إلى هنا:

-متقلّش .. ده لفترة مؤقتة... عندي بعثة في انجلترا... كلها كام شهر كدة وهرجع تاني

زفر إسلام الهواء من فمه بارتياح ليعاود السير بجواره ويسأله عن تفاصيل رحلته ويُخبره جاسم أن طائرته ستقلع فجر اليوم، واصل كليهما السير حتى اقتربا من باب الخروج، لكن في هذه اللحظة، وجدا فتاةً تبدو بأواخر العشرين تتحرك بين مرضتين وعلى وجهها إمارات الاعتراض، فكانت تصرخ بهم وتُخبرهم أنها ليست مجنونه ولا أحد يُصدقها كالعادة رغم أن صوتها بات طبيعياً لا يوجد به أي خلل.

توقف إسلام عن السير أمام هذا المشهد ليتنقت نحو جاسم الذي بدا في حالة طبيعية كونه يعلم جميع المرضى بهذه المشفى.

-هما بيعملو إيه؟

سأله إسلام ببعض القلق لعل هذه المشفى تُجري التجارب الخطيرة على المساكين كما يرى بالأفلام، لكن جاسم طمأنه بحديثه قبل أن ينجرف عقل إسلام إلى أمورٍ أخرى.

-هينقلوها مُستشفى تانية ... أصل في دكتور هناك فاهم في حالتها ... وللأسف الدكتور مش هيقدر يبجي هنا يعالجها عشان هو صاحب مستشفى ... عشان كدة قررنا ننقلها عنده، وطبعاً أخذنا موافقة حد من قرايبها

ازداد فضول إسلام حيال تلك المريضة مما جعله يسأل وهو يواصل السير بجوار جاسم:

-وهي مالها يعني؟ ... إزاي مفيش غير الدكتور ده اللي هيعرف يعالجها؟

أجابه جاسم بعلمية وهو يسير بجواره:

-أصله دكتور شاطر أوي ... وحالة المريضة دي معدتش علينا قبل كدة

قطب إسلام حاجبيه بغرابة أكثر وهو يسأل:

-ليه يعني؟... هي عندها إيه؟

-مفيش يا سيدي ... فاكرة إنها تقدر تبقى عفريته وحاجات غريبة كدة ... دي عمالة تقول إنها ممكن تدخل جسم حد تاني...

بقي جاسم يتحدث عن تلك المريضة بينما توقف إسلام عن السير لتتسع حدقتيه بعدم تصديق، هل كان ما يبحث عنه طيلة هذه الفترة يقبع بجواره وهو لا يعلم؟، لم لم يسأل عن جميع المرضى هنا؟ كان من الممكن أن يُنفذ خطته منذ وطأت قدميه هذه المشفى.

التفت مرة واحدة نحو جاسم ليقطع حديثه متفوّهاً:

-بقولك إيه؟ ... إنت عارف هما هيودوها على فين؟

لاحت الغرابة على وجه جاسم وهو يُطالع إسلام ولا يعلم سبب سؤاله، لكنه في جميع الأحوال أوماً رأسه متفوّهاً بثقة:

-أيوة طبعا... دا أنا إللي قايلهم على الدكتور

تهللت أسارير إسلام رغم عدم إظهاره لذلك حتى لا يُثير الشكوك حياله فها هو على وشك تنفيذ أمنيته ورغبته بالتحرر من تلك اللعنة، ها هو على وشك العثور على عينة تجريبية يُجري عليها التثبيت حتى يتأكد من سلامته ويستطيع تنفيذه هو وزوجته أخيراً، أخرج هاتفه فوراً ومدّه نحو جابر مُردفاً بلكنة أمره:

-طب اكتبلي العنوان بسرعة...

أن تعيش بمرضٍ مُزمنٍ أفضل ألف مرة من أن تعيش بشعور الندم الذي يُسيطر على كيائك وأفكارك، فلا تقدر على مواصلة حياتك بصورة طبيعية، ولا تقدر على الابتسام وكأن شيئاً لم يكن، تسحبك دوامة من النيران تقسم على جعلك تزحر وكأنك

تتلوى بلهيب الجحيم، وهو رغم أن مرّ ستة أشهر، لا يزال مُستسلمًا للشعور بالذنب، لا يتذكر سوى صورة شقيقه الغارق في دماؤه وتلك المزهريّة القابعة بين يديه، لا يتذكر سوى عودته إلى المنزل وتهشيمه لتلك المزهريّة رغم كونها صلبة صعبة التهشيم، لا يتذكر سوى الدماء التي بقي العديد من الأيام يُنظفها ويُنظفها رغم جهله بأمور التنظيف، فقط أراد أن يمحي هذه الذكرى عن عقله، يمحي أنه كاد يتسبب بقتل أقرب الأشخاص إليه في الأيام السابقة.

لم يتحدث مع من يقطن معه بالبناية طيلة هذه الأيام، بل حتى يتحاشى نظرات لؤي المُتشككة ونظرات إسلام المتسائلة، يعلم أن تصرفاته في الأيام السابقة زادت الشكوك نحوه، لكنه لم يعد يكثرث الآن، ما يشغل باله فقط هو شقيقه، يريده أن يستيقظ من هذه الغفوة ويُخبره أنه لن يُغضبه مجددًا، كأنه يطلب العفو من والده عمّ ارتكبه من ذنوب، وإن جننا للحق، فمُعتر كان أقرب له من والده الذي لا يعلم عنه سوى اسمه فقط.

وطأت أقدامه تلك الحجرة التي يقبع فيها مُعتر مُتصلة يداه بالعديد من الأجهزة، وعيناه مُغمضة مع جسده الواهن الذي لا يشعر بما حوله، أو ربما يشعر.

جذب ميغو أحد المقاعد ليُقربه نحو الفراش ويجلس عليه يعوالم باهتة تتم على قلة تناوله للطعام وامتناعه عن مواصلة الحياة بصورة طبيعية، كان يمتنع كل مرة من المجيء لهذه الحجرة وزيارته كما يفعل بقيتهم، يخشى أن تلتقي نظراته بجسد مُعتر ويزداد شعوره بالندم، فهو من تسبب بإبقائه بتلك الكومة للعديد من الأشهر ولا يعلم متى سيفيق منها، لا يعلم حتى إن كان سيفيق منها أم لا، ما يعلمه فقط، هو أنه يجب أن يطلب العفو والمغفرة حتى يتخلص من شعور الندم الذي لأول مرة يُسيطر عليه.

تنهد تنهيدة عميقة يستجمع كلماته ويكبت حُزنه حتى يردف بصوتٍ واهن:

-كان عندك حق ... أنا فعلاً صايح ومفيش مني فائدة ... كل إللي بعمله إني بأدي
إللي حواليا ... لغاية ما آذيت أقرب الناس ليا....

توقف عن الحديث ليلتقط أنفاسه ويكبح دموعه قبل أن يسترسل بتلجج:

-عُمرِي ما عرفت يعني إيه عيلة؟... يعني إيه صُحاب؟... يعني إيه حد يُقف جنبك
ويسندك في محنتك طول الوقت عايش وسط ناس ضالة متعرّش ربنا...
فاكرين إن محدش هيحاسبهم، إن محدش مُهم في الدنيا غيرهم وأنا للأسف
بقيت زيهم...

أخض نظراته لبيتسم ابتسامة متألمة أكمل بعدها الحديث بندمٍ أكثر:

-عشان كدة أول إيد اتمدتلي عضتها كنت فاكر إن محدش هيعاقبني، بس
للأسف طلعت بعاقب نفسي...

اضطربت أنفاسه وتحوّل وجهه إلى اللون الأحمر بسبب تلك الدموع التي يكتبها حتى
خارت قواه وبدأت قطراتٌ ساخنة من دموعه الحارقة التي يمنعها مُنذ نعومة أظافره،
ها قد بدأت تلك القطرات تتساقط رويداً رويداً على وجنتيه وهو يتقدم بجذعه قُرب
جسد مُعنز هادراً بأنفاسٍ مُتهدجة:

-أنا إنسان حقير، وندل وزبالة، وكل إلي إنت قولته ... بس أنا مُستعد اتغير، والله
مُستعد أتغير بس عايزك جنبي ... أنا محدش عرفني الصبح من الغلط، محدش قالي
أنا لازم اعمل إيه ومعملش إيه ... أنا إنسان ضايع، ومحتاجك تُوّجهني

انهمرت الدموع على وجنته أكثر فحاول ككفتها ومواصلة الحديث بين دموعه:

-أُوّعدك إني هسمع الكلام، أُوّعدك إني مش هتاجر في الزفت ده تاني ولا هعمل أي
حاجة تضايقك بس بالله عليك لاترجع، أبوس إيدك اصحى ... أنا مش عايز
أرجع لوحدِي تاني ... مش عايز أرجع لوحدِي تاني....

واصلت دموعه بالانحدار ويدها مُنبسطتان أمامه يُحرك شقيقه حتى يفيق ويُخبره أنه
يُسامحه، ينتظر تعليماته وأوامره التي كان يتهرب منها سابقاً لأنها تتعارض مع
مصالحه، لكنه يعلم الآن أن وجوده بينهم هو فقط ما يُريده في تلك الحياة.

ابتعد بجذعه ليعتدل بجلسته مُكفكفاً دموعه محاولاً تنظيم أنفاسه وشعوره بالارتياح
بعدما أطلق العنان لدموعه، فتلك الدموع ليست فقط بسبب جريمته، بل أنها دموعُ

ترسخت مُنذ الطفولة حينما لم يجد صدرًا دافئًا يحتمي به، حينما لم يجد أصدقاءً يُساندونه في محنته، فجميعهم يتلذذون بطعنه من وراء ظهره وتركه حينما تنتهي مصالحتهم، كانت هذه الدموع، دموع القهر على حياته التي فناها هباءً دون أن يعلم فائدته بتلك الحياة، يعلم فقط أنه مُجرد دُبابة هدفها فقط إزعاج الآخرين بأي طريقة كانت....

شفتاها تتحركان بدندنة خافتة وهي تتجول داخل حُجرة الطعام تُقطع القثناء على لوح خشبي حتى تُعد العشاء، ففي الصباح كانت تزور مُعتر هي وكوكي وبقيتهم ثم اتجهت إلى وظيفتها بالعيادة لتعود بعدها إلى المنزل وتبدأ بإعداد العشاء قبل أن يأتي إسلام من عمله، فدائمًا ما يتأخر إسلام بسبب طبيعة وظيفته التي تُحتم عليه ذلك، لكن اليوم، يبدو أنه تأخر قليلًا عن المُعتاد.

ما كادت تتسأل عن سبب تأخره حتى استمعت إلى صوت الباب يتم فتحه ليُعلمها أن زوجها ها قد أتى أخيرًا، ولأنها زوجة صالحة تُحب زوجها، واصلت تقطيع القثناء والدندنة بتلك الأغنية دون الاكتراث لمجيئه حتى.

اقتحم إسلام حُجرة الطعام وعلى وجهه ابتسامة واسعة زادتها غرابة، حتى أنها ظنت أن مُعتر آفاق من غيبوبته بسبب تلك الابتسامة التي تراها على وجهه، لم تجد فُرصة لسؤاله عن سبب سعادته لأنه بادر الحديث بابتسامته الواسعة ولكنته البشوشة:

-داليا أخيرًا-

قطعت حديثه برأسها الذي يتمايل مع كلمات تلك الأغنية التي داهمتها فور أن أدلى بتلك الكلمة.

-وأخيرًا جيه اليوم أبقى معاك .. شوف كام سنة بستناك...-

واصلت الغناء بصوتٍ مسموع جعل ابتسامة إسلام تتلاشى ويحل محلها بعض الغضب لأنها تقطع حديثه:

-يا داليا اسمعيني...-

توقفت داليا عن الغناء ووجهت بصرها نحوه لتتصت إلى حديثه الذي عاود ادلاءه بعوالمه المُتلهفة والمُتحمسة:

-بقولك أخيراً_

قاطعته مُجدداً لثُشاكسه بكلمات تلك الأغنية التي علقت بذهنها:

-وأخيراً جيه اليوم أبقى معاك.....-

تزمز إسلام بسبب مشاكستها والتي يبدو أنها ترد على مشاكساته الدائمة، تلاشت عوالم اللهفة من عينيه وهو يقول مُنهياً الحديث بغِيظٍ:

-تصدقي إنك واحدة مُستفزة ... طب مش قايلك بقي الخبر إلي عندي

كاد يهم بالرحيل لولا يدها التي قبضت على معصمه بابتسامتها المشاكسة والتي أرادت بها الاعتذار رغبة بإرضاء فضولها ولأنها لم تكن تقصد إغضابه:

-خلاص خلاص تعالى...-

عاد إسلام داخل حُجرة الطعام ليجدها تسأله بفضول:

-ها قول .. وأخيراً إيه؟

ابتسم ابتسامة ماكرة وهو يرد عليها بمشاكسة ويدان تُصفقان أمامها بصوتٍ خافت مع حاجبين يتراقصين أمامها بغِيظٍ:

-وأخيراً جيه اليوم أبقى معاك

أشارت عليه بأصابع الاتهام وهي تقول:

-أهو .. إنت إلی بتلاوع أهو-

قهقه بمزاح بعد حديثها ثم عاود الاعتدال في وفقته محاولاً صبغ حديثه بالجدية وهو يقول:

-خلاص كفاية بقى هزار ... خليني أقولك الخبر المهم إلی عندي

همهمت بموافقة ثم صلبت حدقتها عليه باهتمام حتى تنصت إلى حديثه الذي كان:

-إنهارة كان آخر يوم ليا في مستشفى الأمراض العقلية ... وتخيلي بقى شوفت مين هناك

لاح على وجهها ابتسامة مذهولة وهي تقول باستنتاج أبله:

-متقولش ... شوفت أحمد عز ؟

تلاشت لهفته بسبب حماقتها التي جعلته يلتقط ثمرة من الطماطم ويقذفها عليها بتوبيخ :

-أحمد عز إيه إلی هيجيبه مستشفى الأمراض العقلية ؟

التقطت ثمرة الطماطم التي ألقط عليها وهي تُبرر ببلاهة:

-عادي يعني، يمكن بيصوّر فيلم ولا حاجة

أغلق عينيه ثم فتحهما حتى لا ينفجر بتلك الحمقاء القابعة أمامه، تجاهل استنتاجها الأبله وقرر أن يُخبرها الحقيقة مباشرة حتى لا تفاجئه بالمزيد من استنتاجاتها الحمقاء:

-لا يا داليا ... أنا شوفت حد أهم بكتير .. شوفت _

ولثاني مرة قطعه بنظراتها المذهولة واستنتاجها الأحمق:

-شوفت رئيس الجمهورية؟ ... يلهوي، إزاي؟

كاد ينفجر أمامها بتلك اللحظة لكنه قرر أن يُعاقبها ولا يُخبرها حتى تتوقف عن قطعه مجدداً؛ فكان يتجه خارج حُجرة الطعام متفوّهاً:

-طب تصدقي بقي مش هقولك ... خليكي بقي كدة على عماكي... أنا إللي غلطان
إني عبرتك أساساً

ولثاني مرة تتشبث بمعصمه وتُعيده داخل حُجرة الطعام متفوّهة بتؤوسل:

-خلاص مش هفتح بوقي ... قولي بقي شوفت مين؟

كانت نظراتها تكاد تتأكل من كثرة الفضول الذي ينهش بصدرها، استغل إسلام تلك النظرات وقرر أن يدلي الحقيقة بسرعة قبل أن تقطعه للمرة المئة وتجعله يعود إلى تلك المشفى الخاصة بالأمراض العقلية، لكن ليس كطبيب، حاول تنظيم أنفاسه قبل أن يعاود الحديث بأهمية ازدادت أكثر هذه المرة وامتزجت أيضاً مع حدته واندفاعه:

-شوفت واحدة من المُتقلبين ... اسمها سُمية، ومحجوزة في مُستشفى أمراض
عقلية

سقط فكها بذهولٍ بعد حديثه غير القابل للتصديق، فكيف بهذه البساطة يعثر على واحدة من المُتقلبين وهم طيلة هذه الفترة يبحثون عنهم، ربما قلّ بحثهم قليلاً هذه الأيام بسبب ما حدث لمُعتر، لكنهم أيضاً لم يتوقفوا نهائياً.

-إحلف!!... وإيه إللي وداها مُستشفى المجانين؟ وعرفت مينين إنها متقلبة؟ مش
يمكن مجنونة وبتخرف؟

آجاب إسلام على أسئلتها بطريقته الواثقة والعلمية المُعتادة:

-أولاً اسمها مُستشفى الأمراض العقلية ... ثانيًا أنا متكلمتش معاها، ده الدكتور جاسم هو إيلي شرحلي حالتها ... ثالثًا بقى وده الأهم ... إحنا بُكرة الصبح بدري هنروح نسأل عليها ونتلکم معاها عشان نتأكد إذا كانت واحدة مننا ولا لا ... وساعتها هنعاول بقى نخرجها ونجرب عليها التثبيت...

أنهى حديثه وهو يترك حُجرة الطعام دون أن ينتبه لملامحها المذهولة وغير المُصدقة لما حدث، وجدته يقف على حافة الباب مُنهيًا الحديث بتقرير:

-اعملی حسابك بكرة الساعة تسعة الصبح هنتحرك من هنا...

أحيانًا يتشبه الندم بالجروح، فهو لا يأتي سوى بعد إصابة المرء، ولا يُخلف وراءه سوى الآلام...

بات منزله الصغير باهتًا خالٍ من الحياة، لطخ الندم جُدران المنزل حتى تشقق الحائط كما تشقق فؤاده، يتجوّل بضياح بين زجاجات الجعة المتناثرة التي تراكم عليها الأتربة من قلة اعتناؤه بالمنزل.

داهمته كلمات شقيقه وهو يُخبره دائمًا أن يُنظف المنزل ويتخلص من تلك الفوضى؛ قرر أخيرًا أن يستمع إليه لعله يفيق من غيبوبته ويتأكد أنه بالفعل تغير، عندما يدرك المرء أنه على وشك الخسارة، يبدأ بإعادة ترتيباته وأفكاره حتى يمنع التعثر بويلات الفشل.

أحنى جذعه ليلتقط الزُجاجات ويضعها داخل كيسٍ أسودٍ كي يتخلص منها تمامًا، اتضح أن المتعة لا تتمثل في تلك المُسكرات والممنوعات، فالمتعة الحقيقية تتمثل بوجوده بين الأصدقاء والأقارب، بوجوده بين أناسٍ يهتمون لأمره ويساعدونه في محنته، حتى وإن لم يجد أشخاصٍ كهذه، يكفي أن يبدأ حياة جديدة بصحة جيدة ونفسٍ راضية.

انتهى من جمع الزجاجات وحاول جاهداً تنظيف المنزل لكن بسبب انعدام خبرته اكتفى فقط بجمع القمامة ووضعها داخل حُجرة الطعام على أمل أن يُلقِيها خارجاً حينما ينتهي تماماً، توقف بمُنْتَصَف حُجرة الطعام لِيطْطَق ظهره الذي يُمزقه من شدة الإرهاق، فبسبب إهماله لنفسه ولصحته، باتت تحركاته البسيطة تُرهقه كما لو كان يركض لأميال.

أحس بالصداع يداهمه ويكاد يُفْتِك برأسه، بل وجسده بدأ يحكه بطريقة لا إرادية جعلت الهواجس تتكوّن بذهنه مُجدداً، لم يعد يتحمل هذا الصداع الذي يجعل الرؤية تتشوش أمامه، بل لم يعد يتحمل الشعور بانعدام الرغبة في الحياة الذي يُداهمه منذ أوقف تدخين الماريجوناً لبضعة أيام فقط.

سيطر شيطانه عليه ودفعه نحو البراد ليفتحه ويجد أمامه المزيد من زجاجات الجعة المُثلجة التي جعلته يتصلب أمامها بشهوانية، يشعر بجفاف حلقه وكأنه بصحراءٍ مُكفهرة، يشعر بصداع يلازمه حتى أوهمه عقله أن تلك الزجاجات هي دواءٌ لعذابه، فدائماً ما يأخذ عهداً على نفسه بأن يتوقف لكنه يعود ويزداد ضعفاً حتى يتجرع المزيد والمزيد، لكنه هذا المرة، قرر أن يتحامل على نفسه أكثر، ليس فقط من أجله وبسبب ندمه، لكنه أيضاً بدأ يُفكر بها، يُفكر بكلماتها الرقيقة وأحاديثها البريئة معه، يُفكر بمُستقبلهما سوياً وأطفالهما الذين يحملون براءتها وابتسامتها الرقيقة، لن يقدر على تحمل مسوئليتها وهو لا يستطيع تحمل مسوئليته.

تلك الأفكار والخيالات جعلته يُغلق البراد بغضبٍ ويتحرك بعيداً عن حُجرة الطعام وبعيداً عن ذاك المنزل المُدنس، فتح باب المنزل عازماً على الرحيل لكنه توقف أمام الباب ليُعيد ترتيب أفكاره، أين سيذهب في هذا الوقت المتأخر من الليل؟ هل تظن أن العالم قطعة من الجنة؟ لن ينقذه العالم من التهلكة والانسحاق خلف شيطانه، بل ربما سيضحى العالم سبباً في تراجعته بدلاً من الخطوة مئة.

توقفت حركته أمام السلم لا يرغب بالعودة للمنزل ولا بالرحيل عنه، يشعر وكأنه عالماً بين رغبته بالتحرك وبدء حياة جديدة ورغبته بالعودة كالسابق، لظالما أخبروه أن السعي وراء الأحلام صعباً، لكنهم لم يُخبروه عن الماضي الذي يركض وراء تلك الأحلام حتى يلتهمها.

تهدلت أقدامه على السلم ليجلس عليه دائرًا وجهه بين قبضتيه محاولاً تشتيت عقله عن تلك الأفكار التي تتوقف عن إصدار ضجيجها، قرر أن يبقى هكذا لعل النوم يُداهمه ويُنسيه آلامه، فهو لم يذق النوم لأيامٍ ولا توجد لديه حتى شهية لتناول الطعام، هذا فقط لأنه قرر أن يتخلّى عن إحدى ملذات الحياة التي ظن أنها ستُحرره من مشاق العالم، لكنها كانت تُحرره لتُكبله مجددًا حتى يُصبح عبدًا لها.

قطع وصلة أفكاره صوت باب المنزل المجاور وهو يتم فتحه يليه صوت شمس التي كانت تتحدث مع والدتها باعتراضٍ ثم تخرج من المنزل مُرتدية اسدال الصلاة ومعها كيس القمامة الذي تُلقيه داخل الحاوية.

انتبهت لوجوده يجلس على السلم ويبدو عليه الإعياء حتى ظنّت أن به مرضًا ما، لا تعلم سبب اهتمامها به لهذه الدرجة، فهي تذهب دائمًا لتطمئن عليه وتُعطيه طعامًا مما تطهوه بالمنزل، بل وحتى تحاول مواساته وإخماد ضيقه حتى لا يشعر بالذنب عمّ اقترفه بأخيه، فلا تنسى أنه اعترف لها مُسبقًا عمّ فعله وهي أكدت له ألا تُخبر أحدهم وأنها ستُساعدته حتى يتخلص من هذا الذنب الذي بات يُلازمه لعل مُعترز سيعود إليهم ويستطيع هو طلب العفو منه.

تقدمت نحوه بخطواتٍ هادئةٍ مُترددة تشعر أن فؤادها يسوقها، وقفت قبالتها مباشرة تناديه بصوتٍ هاديٍّ رخيم:

-ميجو ... ميجو إنت كويس ؟

انتبه على صوتها الحاني والذي ربت على نيران قلبه، رفع وجهه ليطالع عينيها البراقة ثم ينتهد بحرقة ويُعيد رأسه لأسفل غارقًا في تردداته وندمه، لم ينبس ببنت شفة فاستنتجت أنه لا يزال شعور الندم يلازمه بل يزداد كلما طالت فترة غيبوبة شقيقه التي تسبب بها هو، إقتربت نحوه لتجلس بجواره على السلم بالمصاطب السفلية، فكان يفصل بينهما بضع مصطباتٍ كفيّلةٍ بعدم التصاق جسديهما.

رغم أنها تعلم أن ما تفعله يكاد ينافي مبادئها لكنها لا تعلم لمّ اعتبرته ابنها ويجب أن تنصحه وتُربت على أحزانه، وبطبيعتها البريئة والعفوية كانت تسأله بصوتٍ هاديٍّ

:

-لسة بردو متضايق ؟

كان يريد بإفراغ ما بجعبته أمامها لكنه لسبب ما وجد لسانه مُنقعداً لا يقدر على الحديث، تحلّى بالصمت لو هلة حتى شجعته هي بكلماتٍ بريئة:

-ماما دائماً كانت تقولي ... لو في حاجة مضايقاكي، قولها على طول ... كانت بتقولي بلاش ترمي ورا ضهرك عشان ضهرك مش هيستحمل

ألحت عليه ببراءتها حتى يتحدث وبقي هو صامتاً أمام الحاحها حتى وثبت عن السلم هادرة بيأس:

-خلاص إنت حر ... بس لو عايز تتكلم أنا موجودة

كادت تتجه نحو المنزل لثداهما كلماته المُبهمة:

-كنت فاكر إني حر ... أعمل إالي أنا عايزه من غير ما حد يوجهني... بس اكتشفت إني مش عارف أنا عايز إيه

توقفت عن الجراك لثطالعه ببعض الشفقة وهو أمامها جالس على السلم يبصق ما يدور بجعبته:

-حاسس إني كل ما أقدم خطوة، في قطر هيعدي وهيشلني من على وش الدنيا

زاد شعورها بالشفقة اتجاهه ولا تعلم أهذه شفقة أم شعورٌ آخرٌ لا تدري ماهيته، وجدت قدمها تُعاودان الجلوس على السلم أسفله بعدة مصطباتٍ لثطالعه بوجه مُستنيرٍ حمل معه بعض الإرشاد أثناء قولها:

-فكرتني بقصة النمل مع سيدنا سليمان...

اعتدلت لتقابل عينيه التي تلاقت مع عينيها العسلية وبدأت تسرد القصة وكأنها تُحاكي طفلاً صغيراً:

-جيش سيدنا سليمان عليه السلام كان داخل مملكة النمل، وكان وقتها النمل
بيشتغل وبيسعى ... لغاية ما نملة منهم حسّت بالخطر، عرفت إن الجيش داخل
عليهم وبدل ما تنفد بجلدها، فضلت مكانها تساعد بقية النمل إنه يهرب، كانت
فأكرة إن الجيش هيدوسها، بس كانت راضية عشان أنقذت أصحابها بس تعرف
بقي إيه إلهي حصل؟ ...

زادت لهفتها وإرشادها وهي تواصل الحديث بعد أن وجدته مصوّبًا حواسه عليها
بتركيز:

-سيدنا سليمان سمعها ... وأمر جيشه إنه يقف لغاية ما النملة تعدي

تتهدت بعُمقٍ ثم أعادت بصرها نحوه لئُخبره المغذى من حديثها:

-القطر إلهي إنت فأكره هيدوسك وهيمنعك تكمل ... هتلاقيه فجأة وقف ومقدرش
يقرب منك ... وحتى لو داسك، لازم تكمل وتسعى لغاية آخر نفس، على الأقل تكون
حاولت، بدل ما تهرب وتنسى إنت عايز توصل لإيه

كلماتها كانت كالدواء بالنسبة له، رغبته بالتغيير زادت أكثر بعد حديثها، خوفه من
التراجع تقاعس بسبب كلماتها، فوجودها أحدث فرقًا لم يكن يعلمه أبدًا بحياته، لم يعد
يتحمل حتى رؤيتها أمامه دون احتواءها داخله حتى تبقى بجواره أبد العمر.

ظنّت أنها أدت مهمتها فوثبت فورًا حتى تعود لمنزلها قبل أن تلاحظ والدتها غيابها.

-أنا همشي بقي عشان ماما متزعقش

كادت تهم بالرحيل لولا كلماته التي قطعت سيرها:

-شمس

توقفت عن السير لتلتفت نحوه وتجده قد وثب عن السلم يرمق قسمات وجهها وداخله
يُخبره أن يعترف لها ويطلب يدها للزواج، قلبه يطالبه بالإفصاح عن مشاعره وعقله

يطالبه بالتراجع، فهذا ليس وقته أبدًا، وأمام هذه التناقضات، قرر أن يستسلم لعقله ويقول:

-شُكْرًا

كلمة واحدة عبّرت عن جزءٍ فقط من امتنانه، ورغم أنه أراد أن يُغرقها ببحور الأشعار إلى أن لسانه لم يسعه قول سوى هذه الكلمة البسيطة، اتسعت بسمتها البريئة وهي توميء برأسها دون أن تنبس ببنت شفة، فكان قلبه يضطرب أضعاف ما يضطرب قلبه، لكنها اكتفت بتلك الإيماءة وعادت إلى منزلها تاركة إياه يسب نفسه لعدم مقدرته على الاعتراف، أين ذهب وقاحته وهو يغازل النساء؟ حقًا لا يعلم ما الذي فعلته به هذه الفتاة.

صدح صوت هاتفه داخل جعبته فأخرجه وحقق به لتتغير عوالم وجهه إلى أخرى مُقتضبة غاضبة، فتح سماعة الهاتف ووضعها على أذنه هاتفًا بجفاء:

-نعم

أتاه الرد من الجهة الأخرى وكان طلال يتحدث معه بعوالم تفوقه غضبًا، فهو لفترة طويلة لم ينقل لهم الأخبار ولا يرد حتى على اتصالاته.

-شكلك نسيت الاتفاق إليّ بينا

داهمه طلال بتلك الكلمات مُذكرًا إياه بأنه نذلٌ وخائن، هذه المرة لم يتحمل ميجو وقرر أن يبدأ صفحة جديدة، قرر أن يمحي من كان سببًا بإبعاده عن عائلته الحقيقية، ورغم علمه بطلال وقوّته، إلى أنه لم يكثر له وهتف بصرامة:

-لأ منسيتش ... بس أنا خلاص ... مش لاعب تاني

احتدت نظرات طلال وإذا كان ميجو أمامه الآن لما هشم رأسه لقطع صغيرة، فكانت الشُّعلات تتقاذف من عينيه وهو يقول:

-يعني إيه مش لاعب؟... والفلوس إللي بتأخذها؟

حافظ ميجو على صرامته ولا مبالاته وهو يقول:

-مش عايزها

لم ينتظر إجابته وأغلق المكالمة فوراً وداخله شعورٌ بالارتياح، فكونه خائناً كان يضعه في دائرة الندم والقلق دائماً.

على الجهة الأخرى، كان طلال في حالة من الغضب يكاد يقذف ما أمامه بعدما تفوه به هذا الأحمق، ارتدى على المقعد الخاص بمكتبه داخل المشفى الخاصة به والتي أضحت خالية تماماً بعد رحيل الجميع، ما كاد يتحدث حتى وجد داغر شريكه يقول ليزيده غضباً:

-البت إللي بعثها اتقبض عليها ... شكلهم قفشوها

كان يتحدث عن نرمين التي ألقى القبض عليها بعدما انكشفت حقيقتها، لم يبدو أن طلال يستمع إليه وبقي في حالة غضبه حتى سأله داغر:

-إيه أخبار العميل إللي بعته؟

كان هذا السؤال كالعقشة التي قصمت ظهر البعير، فسرعان ما عاود الغضب زيارته وعاود الانفعال يُلطخ حديثه الذي كان:

-الخاين الحقير ... شكلهم ضحكوا عليه

التقط طلال أنفاسه وترك مكتبه ليتجول داخل الحُجرة محاولاً تهدئة روعه والتفكير مجدداً، بقي داغر وراءه يسأله باستفسار:

-والعمل؟

امتنع طلال عن الإجابة وواصل السير داخل حُجرة المكتب حتى توقفت أقدامه
بمُنْتَصَف الحُجرة وعيناه تنضبان بشراراتٍ من اللهب والوعيد والمُكر، كل تلك
الصفات اجتمعت بحديثه الذي كان:

-مفيش ... شكل اللعب المرادي هيبقى على المكشوف...

الفصل الخامس عشر (مشفى المجاذيب)

كذب من قال أن البشر يفهمون بعضهم، فتلك الكلمات التي نتواصل بها سويًا، ما هي سوى جرامًا صغيرًا مما تكنيه أفئدتنا، ولو استطعنا قراءة ما بجحروننا، ربما تقل الانقسامات بيننا، أو تتزايد...

فقد اتصاله بالواقع ولم يجد أمامه سوى الماضي الذي أضحي غارقًا به، تعود ذكرياته إلى كونه مرافقًا بالرابعة عشر من عمره يتدثر خلف الستار بقلبٍ مكلومٍ وغصةٍ مريرة تتكوّن بصدرة، يرمق والده بعينين تشتعلان لهبًا عازمًا على الفتك به، لكنه كالعادة، يبقى ضعيفًا مذلولًا، يرى تلك اليد المُدلة الوقحة بالنسبة له وهي تعبت بعنق والده وتلتصق بجسدها العاهر على صدر ما رسم نفسه والدًا عليه، من يحمل اسمه ببطاقته ويرغب بتغييره دائمًا، فوالده ما هو سوى زيرٌ نساءٍ حقير.

تزداد نظراته اشتعالًا حتى انقبض صدره وبدأت دموع الحسرة تترقرق على عينيه خاصة وهو يُتابع والدته المُنهارة أمام والده وزوجته الراقصة، فكان صوتها مبحوحًا امتزج بدموعها الحارقة وهي تقول:

-بعد كل إلمي عملته معاك يا محمد ... عايز ترميني أنا وابنك في الشارع ؟

كذب والده حديثها بوضاعة:

-وأنا قولت إن حد فيكم يمشي ... أنا بقولك إن تيتي بقت مراتي، وليها حق في البيت ده زي ما ليكي...

استمر الجدل بينهما وصوت تلك العاهرة يخترق أذنه ويجعل الرغبة بقتلها وقتل والده تتغلغل بداخله أكثر، انتهى جدال والديه بكلمات محمد القاسية التي أخبر بها زوجته أنه سجل جميع ممتلكاته باسم زوجته الجديدة حتى يستطيع تزوجها، ممتلكاته التي كانت والدته سببًا بها....

تلك الحقائق كانت ثقيلة على والدته المسكينة والتي سقطت مغشياً عليها بعد أن داهمها قلبها الضعيف بسكتة قلبية لعدم تحملها ما حدث؛ هرول مُعترز نحوها بصدرٍ مكلوم وجوفه يصرخ باسم والدته تارة ودموعه تتهمر تارة أخرى...

بقي شريط الذكريات يُعرض أمام عينيه حتى انتقل إلى بضعة أيام بعد تلك الواقعة، أياماً كانت سوداء بالنسبة له، فبعد وفاة والدته وهو يقبع بحُجرتِه مُحْتَضِناً ركبتيه مُتَذَكِّراً كلماتها الحنونة، ومُتَذَكِّراً أيضاً السبب فيما حدث لها، اشتعلت النيران بعينيه مما جعله يثب عن الفراش بنيرانٍ مُتقدِّة ورغبة عارمة بالصُّراخ، فلم يعد يتحمل الصمت أكثر، خاصة وهو يرى والده يتصرف بطبيعية ويُداعب زوجته الجديدة دون أن يكثر لتلك التي أفقدها حياتها بدمٍ بارد.

تحركت قدميه صُوب والده بأعينٍ حمراء مُلتهبة حتى توقفت أقدامه أمام والده الجالس على أريكة البهو مُحْتَضِناً تلك التي تزوجها، بقي مُتصلباً أمام هذا المشهد ونظرات الاشمئزاز تلوح على وجهه وتجتمع مع غضبه الخثيم، لاحظ محمد وثوبه فأشار عليه متفوّهاً:

-مالك يا بني واقف كدة ... تعالى اتفرج معانا على الفيلم-

قالها بطريقة بدت ودودة لكنها بالنسبة لمُعترز أشبه بسكاكين حادة تجعله يزداد غضباً، دعمت تيتي حديثه بقولها المائع:

-ما تيجي يا عنيا ... ولا هتفضل لابسلنا وش الخشب ده علطول-

كانت كلماتها كالقشة التي جعلت فُنبَلته تنفجر أمام كليهما، كبت على شفثيه بغلٍ دفين حتى اندفع كالليث يُلقي وعاء البوشار على الأرض بعُنف أدى إلى تهشم الصحن للعديد من القطع، انتفضت أجسادهما بسبب صوت التهشم الذي تبعه مُعترز بصُّراخ غاضب:

-إنت قتلت ماما أنا بكرهك-

تذمرت تيتي من تصرفاته الوقحة _ بالنسبة لها _ وهذا ما دفعها لتتحدث مدافعة عن زوجها من اتهاماته الباطلة:

-في إيه يا حبيبي ... أمك ماتت قضاء وقدر_

قطعها محمد بإشارة من يده حتى تصمت ثم تَوَّجه بحديثه صَوَّب مُعترز محاولاً تهدئة غضبه الكفيل بإحراق الأخضر واليابس:

-مُعترز ... إنت دلوقتي راجل و عارف إن مامتك ماتت بأزمة قلبية_

قطع مُعترز حديثه بصُراخٍ ازدادت وتيرته وامتزجت بدموعه المُنهمة:

-كذاب ... إنت السبب ... إنت عارف إن عندها القلب ومش هتستحمل إلی عملته ... إنت السبب...

انسابت عبراته على وجنته لكن والده كانت ملامحه جافة لا تحمل أيًا من الندم وكأنه لا يعنيه ما حدث، ولا يهتم بما يشعر به حتى، كل ما آرادهُ هو الحصول على المُتعة واللهو ولن يسمح لأي أحدٍ أن يعبت بمزاجه حتى ولو كان ابنه؛ جذب ذراع تيتي حتى تثب عن الأريكة استعدادًا لدخول الحُجرة، أدلى آخر كلماته بجفاء أمام نظرات مُعترز ودموعه المُنهمة:

-لآخر مرة هقولك ... أمك ماتت موة ربنا ... ولو لسة فاكِر إن أنا السبب ... فاتفلق .. مش عيل زيك إلی هيجي يعلمني الأدب...

التفت برأسه نحو تيتي ليهدر بدلالٍ وكأنه بدّل شخصيته إلى أخرى عابثة لعوبة:

-يلا تيتي نكمل سهرتنا في الأوضة...

ابتسمت تيتي بميوعة وتبعته ليصعدا السلم تزامناً مع هتاف محمد بصوتٍ أمر:

-هيا تم ... تعالي لمي إلی وقع...

تابعته نظرات مُعتز المُشتعلة خاصة مع تبدل مشاعره وعدم اكترائه لما فعل، صحيح أن والده لم يُعنفه ولم يعامله بقسوة، لكنه كان يفعل الأسوأ، كان يقتله يوميًا بالبطيء، وكما قُتلت والدته بسببه، سَيقتل هو الآخر بسبب هذا الإهمال والعذاب، يرى والده يوميًا مع تلك الراقصة التي لا تهتم بوجوده ولا تهتم سوى بالثروة التي ستجنيها، أخذت مكان والدته وسرقت جميع ممتلكاتها بسبب والده الحقير، كل تلك الأفكار زادت غضبه وجعلته يتجه صوب حُجرة الطعام بخطواتٍ سريعة مُنتهزًا عدم وجود الخادمة في الجوار، انتشل السكين الموضوع على الطاولة وقبض عليه عازمًا على الانتقام لوالدته وتخليصه من هذا العذاب، كل ما آراد هو نحر عُنق والده الذي تسبب مرارًا ببكاء والدته وتسبب كذلك بتدمير حياته.

تحرك خطوة واحده خارج حُجرة الطعام لكن قدماه توقفتا مرة واحدة وكلمات والدته بدأت تزوره وهي تجلس معه في حُجرتة حينما كان بالتاسعة من العُمر.

زيزو ... مهما حصل، إياك تأدي حد، حتى لو هُما آذوك... خليك أحسن منهم، دافع عن نفسك أه ... بس إياك تأدي حد، ربنا هو إلي هيحاسبهم مش إنت

ارتجفت يداه وهو يحمل السكين وانزلت الدموع على وجنتيه مع تلك الكلمات التي تتردد بعقله، أدرك أن شيطانه كاد يسوقه للتهلكة لولا طيف والدته وكلماتها التي أنجدته، عِلِم وقتها أن لا مكان له هُنا، فوجوده يزيد من غضبه، ربما استطاع التحكم بنفسه الآن، لكنه لن يستطيع فعل ذلك فيما بعد؛ سرعان ما ترك السكين مكانه على الطاولة ليهرول بسرعة خارج حُجرة الطعام مُتجهًا لحُجرة نومه، أخرج الحقيبة الجلدية ووضعها على الفراش ليملاها بأوعيته ومُسلتزماته، كانت حركاته سريعة حتى توقف عند صورة والدته، بقي يتطلع لتلك الصورة لبرهة من الوقت انتهت بوضعها داخل الحقيبة وإغلاقها جيدًا.

استمع لقهقهاتٍ مائعة تنبعث من حُجرة والده لكنه تفادها وحاول الحفاظ على هدوءه وهو يرحل عن المنزل بخطواتٍ سريعة قبل أن يلاحظه والده، لم تُلاحظه سوى الخادمة والتي أخبرها أنه سيرحل دون أن يُخبرها عن وجهته، فهو حتى لا يعرف أين سيذهب.

وجد قدماه تتوقفان أمام بناية بسيطة كانت هي حله الوحيد في تلك اللحظة، دق الجرس بضعة دقائق قطعها إسلام الذي فتح الباب مُرتدياً منامته الكاستور وعيناه تطالعان صديقه بغرابة خاصة هذه الحقيبة التي تبدو كحقيبة السفر.

-ي..ينفع أدخل؟

سأله مُعترز بتقطع وحرص فلم يجد من إسلام سوى إيماءة من رأسه وابتعاده عن الباب ليفسح له المجال، دلف مُعترز منزل صديقه البسيط الذي لا يخلو من الدفء، هذه أول مرة يستشعر بها هذا الدفء الذي لا يجده بمنزله الكبير، جلس على الأريكة بتيه بينما استأذن إسلام ليلبي معه واجب الضيافة.

بقي مُعترز يجول بعينه في كل مكان كونها أول مرة تطيء أقدامه هذا المنزل، فلم يكن يلتقي بإسلام سوى بالشوارع والأزقة، لكنه لم يتقابل معه مُنذ وفاة والدته وامتنع حتى عن الاتصال به كما يفعلان دائماً.

عاد إسلام ومعه زجاجتين من المياه الغازية ليُعطي واحدة منهما لمُعترز وأخذ الثانية ليتجرع منها القليل ثم يبدأ الحديث ببعض الضيق:

-البقاء لله ... كنت عايز آجي العزا، بس مكنش معايا دعوة فمعرفةش أدخل الكمباوند

أوما مُعترز بجفاء وبقيت عيناه تُحدقان للأسفل لا يعلم ما الذي يفعله، فلا يشعر الآن سوى بالضياح، وما أسوأ هذا الشعور، قطع إسلام صمته ليسأله بفضول:

-إنت ليه معاك شنطة سفر؟ ... هو إنت سيبت البيت؟

أنهى حديثه باستنتاج ولم يجد من مُعترز سوى الصمت وإيماءة بسيطة برأسه أكدت له ظنونه، تفاجأ إسلام مما سمع فسأله بقلق:

-سيبت البيت ليه؟ ... كدة والدك ممكن يقلق عليك

كانت عينا مُعترز شاردة وهو ينفى برأسه ويردف بألمِ دفين:

-مش هياخد باله أصلاً إني مشيت... هو أساساً ميعرفش عني حاجة

شعر إسلام ببعض الإشفاق تجاهه فأقترب نحوه محاوِّطاً إياه بذراعه لعله يُخفف من أحرانه ويحاول إرشاده وفك عُقدته.

-يعني إنت هتفضل هنا معنا ؟

سأله إسلام بلهفة لينفي مُعترز برأسه مُجدداً ثم يقول بقلة حيلة:

-مينفعش ... عشان أختك

لاحت عوالم اليأس على وجه إسلام لأنه يعلم أنه حديثه صائباً، فشقيقته لا تزال بالثالثة عشر من عُمرها ومُعترز بالرابعة عشر، أي أنهما ناضجان بما يكفي لألا يبقيا سوياً دون رابطٍ يجمعهما، لكنه أيضاً لا يعلم ما الذي ينوي صديقه على فعله مما جعله يسأل:

-هتروح فين ؟

زاد اليأس على وجه مُعترز وهو يقول بتيهٍ وضياح:

-مش عارف

حالت بينهما فترة من الصمت قطعها إسلام بكلماته المُتلهفة وكأنه وجد الحل أخيراً:

-عندي فكرة ... بابا ممكن يتكلم مع البواب ويديك أوضة السطوح، وأنا هبقى أقعد معاك طول اليوم عشان متبقاش لوحدك...

وهكذا انتهت مُعضلته بسبب صديقه وعائلة صديقه التي بقيت تُسانده بدفئها وحنانها الذي لم يستمده من عائلته، علم محمد باختفاء ابنه لكنه لم يكثرث للأمر رغم أن شقيق

والده أصرَّ على عودة مُعترز وبقاءه معه بدلاً من والده، ولأن مُعترز يعلم عمه جيداً ويعلم أنه لا يختلف عن والده، رفض هذا العرض وقرر أن يبقى بتلك الحُجرة البسيطة ويتخلى عن أمواله وثروته، كذلك أخبر عمه أنه لا يحتاج لمساعدتهم وأنه سيُسافر القاهرة ويبني مُستقبله بنفسه.

توالت عليه الذكريات مجدداً خاصة وهو بالثانوية العامة وبعد أن حصل على نتيجته التي كانت مُرتفعة وأهله لدخول كلية الحقوق بالقاهرة، كانت هذه بذرة الأمل بالنسبة له، لكن حتى هذه البذرة تم اقتلاعها قبل أن تنبت، سرعان ما داهمته تلك الذكرى اللعينة والتي كان فيها مع خطيبته بالسنة الثالثة من الجامعة، فهو قد أحب هذه الفتاة وتقدم لخطبتها بعد أن أنبأ صديقه إسلام وطلب منه أن يأتي إلى الزفاف الذي شاء القدر بالألأ يتم من الأساس.

تذكر كلمات خطيبته السابقة ودموعها المُنهمة وهي تطلب منه الانفصال بعد أن نُشرت فضائنها بالجامعة، فضيحة خطيبته التي اعتدى عليها العميد، لكن ما نُشر أن خطيبته هي من سلّمت جسدها لهذا الرجل اللعين، وقتها تدفقت الدماء بعروقه وأقسم على استعادة حقها والبقاء بجوارها، لكن يبدو أن خطيبته لم تتحمل هذا الكم من الإهانات، فما هي سوى بضعة أيام حتى أتاه خبر انتحارها وانتشر بين جميع الطلاب.

فقد آخر ذرة تعقلٍ لديه في تلك اللحظة، فتراكمات الماضي على ما حدث جعلته يرغب بالفتك بالجميع خاصة من ينتهكون أعراض النساء كما يفعل والده، وجد جسده ينساق إلى مكتب العميد بغضبٍ تصاعد ووصل لذروته، لم يشعر بجسده وهو ينقض على العميد ويلكمه العديد من اللكمات التي أدت ببقاء العميد لفترة طويلة بالمشفى، كما أدت أيضاً إلى انفصاله من الجامعة وتدمير حلمه للأبد.

توالت المزيد من الذكريات لتنتقل بين بحثه عن وظيفة وعمله كسائقٍ لفترة طويلة حتى تلاقى مع تلك التي أعادت الحياة إلى وروته الذابلة، فقد قرر أن يسير بجوار الحائط ويحافظ على هدوءه مهما كانت الأسباب، فما يُريده فقط هو العيش بسلام، لا التلوى بويلات العذاب.

انتهت ذكرياته بضحكاتها الرقيقة وعبثها مع ابنتهما والذي كان واقعًا يتمثل أمامه،
فها هي كوكي تجلس على مقعدٍ بجواره وعلى قدميها ابنتهما بسملة، تمسك كوكي
بيدي صغيرتها برقة وتحركها وكأنها ترقص، كانت تُحرك قدميها وتُغني بصوتٍ
رقيقٍ وكلماتٍ أجنبية تتلوها بطريقة طفولية وهي تلعب مع صغيرتها وتطمئننها بأن
والدها سيعود لهما، فكانت الصغيرة تُقهقه ببراعة وتتجاوب مع كلمات كوكي وكأنها
تفهمها.

وبين هذا كله، كانت عيناه تُفتحان بوهنٍ وثقلٍ جعل الرؤية تتشوش أمامه لفترة،
استطاع تمييز طيفها وخصلاتها البرتقالية التي لا يستطيع العيش بدونها، بل ولا
يستطيع العيش بكل ذرة بجسدها وروحها، وجد شفثاه تبتسمان بتلقائية وهو يُتابع
زوجته تُلاعب صغيرته ببراعة أسرته، لم يكن يعلم إذا كان ما يتمثل أمامه حُلماً أم أنه
أخيراً عاد إلى أرض الواقع، حاول تحريك شفثيه حتى تنتبه زوجته لكن جسده لا
يزال واهناً لا يستطيع الحراك، بقيت محاولاته تزداد أكثر حتى خرج صوته واهناً
مُتقطعاً:

-نا.. ناج.. تس-

جحظت عينا كوكي بعدم تصديقٍ لهذه الكلمة التي اخترقت أذنها وظننتها وهماً من
أوهامها، فلا أحد يُناديها بهذا الاسم سوى شخصٍ واحدٍ فقط؛ رفعت رأسه نحوه
بنبضات قلبٍ تتسارع رويداً، فما إن استشعرت أصابعه التي تحاولان التحرك وعيناه
المفتوحة نصف فتحة مصوّبة نحوها، حتى وجدت نفسها تشهق بصدمة كاد قلبها
ينخلج من موضعه، فبعد مرور ستة أشهرٍ ونصف، ها هو أخيراً يفتح عينيه ويناديها
بهذا الاسم الذي افتقدته، ها هو يعود لها بعد هذا الغياب الطويل.

وثبت عن المقعد فوراً بنبضات قلبٍ تتصاعد وصوتها يخرج من جعبته بسعادة بالغة
:

-ز..زي..زو...

ترقرقت دمعاتها بسعادة جعلتها تعدو خارج حُجرة المشفى وتصيح بغير تصديقٍ
لأصدقائها الذين ينتظرون دورهم خارج حُجرة المشفى.

-زيزو فاق ... زيزو فاق يا قمر... زيزو فاق يا شمس...

بقيت تُردد هذه الجملة بعدم تصديق انتقل إليهم ومن ثم إلى الأطباء الذين هرعوا فوراً داخل الحجرة ليطمئنوا على المريض الذي آفاق من غيبوبته أخيراً....

-يووه ... الموبيل فصل شحن

قالتها داليا بتذمرٍ بعد أن اصطفت سيارة إسلام أمام المشفى المرادة عازماً على السؤال عن تلك المُتنقلة ومحاولة إخراجها من هنا كي يتأكدا أنها واحدة منهم، كان إسلام يتحرك جوارها صوّب باب المشفى يطمئنها بحديثه الذي كان يحمل شيئاً من عدم الاكتراث:

-هي كلها ساعة زمن وهنمشي ... لما نرّوح إبقى اشحنيه في البيت

تأففت بضيقٍ وبقيت تتجول بجواره وتساله بالحاح:

-معاك الموبيل بتاعك ... أصل ماما ممكن تتصل بيا

تنهد إسلام بنفاد صبر ليتوقف عن السير مُلبياً طلباتها المتوَسلة، بقي يعبث بجعبته ويُحرك يديه على بنطاله دون أن يستشعر الهاتف بين تلك الأقمشة، قطب حاجبيه بحيرة في البداية لكن حيرته تحوّلت إلى استنتاجٍ حينما قال:

-مش عارف فين ... تقريباً نسيته في البيت

زفرت الهواء من جوفها بخيبة أملٍ قطعها إسلام بحديثه الواثق:

-يا داليا بقولك كلها ساعة زمن وهنرجع ... الدنيا مش هتخرب يعني في الساعة دي...

اعتجت الحُجرة بالجميع بعد أن تركها الطبيب مُطمئنًا على مُعترز وحالته بعد هذا الإغماء، كانت كوكي تقف بجواره وبسملة ترتكن على قدميه ليقوم هو بمُداعبتها بمرح واشتياق، لا يعلم كم بقي نائمًا على فراشه لكنه يُلاحظ كم كبرت صغيرته وبرزت عينيها الزرقاء التي نُشبهه عينا والدتها وشعرها الأسود الذي بدأ ينمو، كانت تجلس قمر على الأريكة وجوارها شقيقته شمس، بينما يجلس لؤي على المقدم المجاور لمُعترز من الجهة الأخرى وجواره جابر، وجميعهم يطمئنون عليه ويتحدثون معه بمرح حتى سألهم مُعترز بتيه:

- هو أنا نائم بقالي قد إيه ؟

تدخلت قمر لتجيبه بمرح:

-ست شهور ... يعني مش هتقول عايز أنام تاني لآخر السنة

قهقهوا بمرح على دُعابتها لتستمر الأحاديث بينهم حتى فُتح الباب ودلف ميجو بهدوءٍ بعد أن اتصلت به شمس وأخبرته عن إفاقة شقيقه، بقي يتحرك داخل المشفى بهدوءٍ ونظراتٍ تتجنب النظر لأعينهم، لم يبدو على وجهه السعادة بقدر ما بدا عليه الندم والحرص، فكيف يُظهر سعادته وهو من تسبب في بقاءه قعيدًا طيلة هذه الفترة.

توقفت أقدامه أمام فراش مُعترز مباشرة ليرفع رأسه قليلاً ويُخبره بنبرة باهتة حاول معها إخفاء شعوره بالذنب:

-حمد الله على السلامة

أدرك مُعترز مكنون نظراته وعلم ما يكنيه داخل صدره، لكنه مع ذلك حافظ على هدوءه واكتفى بإيماءة رأسه وكلماته الخافتة الخالية من معاني الاشتياق وحتى الغضب:

-الله يسلمك

في تلك اللحظة، انفتح باب الحُجرة ليدلف من خلاله رجلين من رجال الشرطة يحملان حفنة من الأوراق لاستكمال القضية، فتلك الواقعة هي جريمة يُعاقب عليها القانون، اضطرب ميحو وتصبب العرق من جبينه، أراد الهرب والرحيل بسرعة، لكنه ظنُّ أنه بتلك الحركة سيزيدهم شغًا، تسمرت أقدامه مكانها وبقي جالسًا على أحد المقاعد يسب نفسه على مجيئه، فكان الأجدر أن تلقي الشرطة القبض عليه وهو مُتدثرًا ببيته حتى لا يقع بشُرزمة المواجهة.

-حمد الله على السلامة يا أستاذ مُعتر...-

قالها الضابط بعملية ابتسم مُعتر على إثرها ورد عليه بوُد، استكمل الضابط حديثه بذات الصرامة أخذًا الأوامر من لؤي الذي أوصاه بالاهتمام بتلك القضية، فهو لن يهدأ قبل أن يُعاقب الفاعل.

**-احنا جالنا بلاغ إن في حد اتهجم عليك وضربك على دماغك ... تقدر توُصفلنا
بالظبط مين إللي عمل كدة**

ظهر الارتباك على وجه مُعتر بعد أن أدلى الضابط كلماته، لا يعلم لمَ ينعقد لسانه ويمتنع عن الإدلاء بالحقيقة، فهو يتذكر آخر شجارٍ بينهما ورغبته بإلقاء القبض على شقيقه حتى يُعاقب، وعندما أتت الشرطة، وسنحت له الفرصة بالانتقام منه، وجد لسانه ينعقد ويمتنع عن الإجابة، لا يعلم إن كان هذا بسبب شعور الأخوة الذي يُداهمه، أم بسبب نظرات الندم التي يلقاها على عيني ميحو لربما هي إشارة لتغيره للأفضل.

تحلَّى بالصمت لبُرهة من الزمن يُبادل فيها حدقاته ما بين نظرات لؤي المُترقبة الصارمة ونظراتهم المُتلهفة ونظرات شقيقه الحرجة التي آحالت لون وجهه للون الأصفر، انتهت نظرات مُعتر أمام الضابط كي يُخبره بتردد:

**-..لا يا حضرة الظابط...م...مفيش حد اتهجم عليا ... أنا اللي اتكعبت ووقعت
على دماغي**

تفاجأ ميجو من حديثه وبدأت الألوان تعود إلى وجهه مُجددًا، أعاد الضابط سؤاله لعل الغيبوبة أثرت على ذاكرته وجعلته ينسى بعض الحقائق، فالغيبوبة بالفعل أثرت عليه، لكنها جعلته يُدرك بعض الحقائق وليس يفقدها.

-حضرتك متأكد يا أستاذ مُعتر ؟

أخذ مُعتر نفسًا عميقًا ثم أطلقه وهو يُوّجه نظراته نحو الضابط ليُخبره بثقة:

-أه متأكد ... محدش ضربني ... أنا إللي وقعت

أوما الضابط إيجابًا ليتشكر مُعتر بعدها ويطلب من زميله أن يُغلق المحضر، كانت نظرات لؤي تزداد اشتعالًا في تلك اللحظة وقد بدا أنه يود الفتك بمُعتر وتوبيخه على هذا الجبن، فهو يكاد يكون مُتيقنًا أن ميجو وراء ما حدث لسببٍ جهله، لكن الواقعة كانت بمنزله، وهو قد لمح من بعيد تلك المزهرية التي اصطدمت بجسد مُعتر، لمح الدماء عليها مما أكد له أن هذه الضربة مُفتعلة عمدًا.

ما إن رحلت عناصر الشرطة حتى تقدم لؤي من فراش مُعتر هادرًا ببعض التوبيخ:

-مُعتر ... مين إللي عمل كدة؟... الفيلم إللي قولته ده مش داخل دماغي

أكد مُعتر على حديثه الكاذب بثقة:

-أنا إللي وقعت يا لؤي ... وبعدين خلاص جات سليمة، مش عايز افتح بقى في الموضوع ده

زفر لؤي الهواء من جوفه بغضب ثم وثب عن المقعد ليترك الحُجرة قبل أن يُفجر رأسه، لكنه قبل أن يرحل، إقترب نحو ميجو ليهمس بأذنه متوعدًا:

-حسابك لسة مخلصش

بصق تلك الكلمات ثم ترك الحُجرة وتبعته قمر وشقيقتها بعد أن ألقيا السلام على مُعترز، تبعهم جابر كذلك ليحضر الطعام ويتناولوه سوياً بينما قررت كوكي الرحيل هي الأخرى لتُبدل الحفاضة الخاصة بابنتهما، كان ميجو على وشك اتباعهم لولا كلمات مُعترز التي أوقفته وجعلته يبقى لبعض الوقت حتى يتحدثنا سوياً، فهناك الكثير من الأحاديث يُريد أن يقولها ميجو لكنه لا يستطيع بسبب ندمه، وهناك أيضاً العديد من الحِسابات التي يُريد مُعترز غلقها كي يبدأ معه صفحة جديدة.

مرّت بُرهة طويلة من الصمت بينهما وكل منهما لا يدري كيف يبدأ، اختصر ميجو هذه المسافات بسؤاله:

-ليه مشتكتش عليا؟... مش كُنت عايز تعاقبني؟

قالها ببعض الاندفاع الذي ذكرُ مُعترز بأخر جدالٍ بينهما، فهو حتى الآن لا يعرف سبباً منطقياً على عدم إخبار الشرطة عنه، ومع هذا السبب ترك العنان لفؤاده بأن يُجيب أسئلته بدلاً من عقله الذي أضحى لا يكثر له مؤخرًا:

-سمعتك... سمعتك وإنت ندمان

تذكر في تلك اللحظة هذه الكلمات التي قالها ميجو مؤخرًا وهو راقدٌ على فراشه، لم يتذكر سوى آخر كلماتٍ قيلت له وهو في غيبوبته منها كلمات ميجو التي بقيت محفورة في صميم قلبه وكم أراد الرد عليها لكنه وجد جسده يمنعه من الحديث كما يمنعه من الحراك أيضاً.

انفجرت بينابيع الندم مجدداً داخل ميجو مما جعله يهرع ليجلس بجوار مُعترز ويبدأ الحديث معه متأسفاً:

-أنا آسف... أنا معرفش عملت كدة إزاي، أنا عُمري ما كنت عايز آذيك... أنا

بس...

لم يدري كيف يفصح عن حقارته وخوفه من خسارة أمواله، كيف يُخبره أن طمعه ووضاعته جعلته يرتكب جرماً كهذا وينتقص ستة أشهرٍ من حياة شقيقه هبَاءً، بقي في حالة من الصمت حتى قطعه مُعتر بعاطفة أخوية تعكس ما يدور بخُله:

-خائف تخسر كل حاجة ... عارف الإحساس ده

حاول الاعتدال بجلسته وتجاهل هذا الصُداغ الذي يُداهمه رغم التئام جرحه، ساعده ميغو على الاعتدال ليؤججه مُعتر نظراته نحوه محاولاً إرشاده عن طريق اقتطاف بعضاً من قراراته الماضية:

-وأنا عندي 14 سنة كنت عايش في عز وأبهة ... بس في لحظة واحدة قررت أرمي كل ده ورا ضهري وأبدأ من الصفر ... مكنتش خايف من الخسارة، رغم إني عانيت كتير ... بس في الآخر وصلت للي أنا عايزه

أخفض ميغو رأسه مُبتعداً بنظراته عن مُعتر ليُعيد ترتيبات عقله ويُفكر بحديثه جيداً، فعادة ما يحتاج المرء أن يتخلى عن حياته القديمة حتى ينعم بحياة أخرى أفضل، عاود النظر إلى مُعتر ليُخبره آخر قراراته وما حدث معه بتلك الأيام الصعبة، فكان صوته يحمل العزيمة والثقة التي لن يتراجع عنها أبداً:

-الأيام إالي فاتت خلنتي اكتشف حاجات كتير خلنتي أكتشف إنك مُهم بالنسبالي، وإن لو خلوني اختار أخ، فانا مش هلاقي احسن منك

اتسعت بسمة مُعتر بامتنانٍ لحديثه حتى رفع يده ليُربت بها على كتف ميغو وهو يرشده بأبوة:

-طول ما إنت عايز تتغير ... فاتأكد إني هفضل في ضهرك

بادلته ميغو بابتسامة أخرى ربتت على جروحه الداخلية وآزاحت غُمة الندم التي طغت على حياته، بدلتها باحساسٍ آخرٍ لم يشعر به من قبل، شعور الحياة النظيفة الخالية من الذنوب والتي سيسعى جاهداً للوصول إليها رغم العوائق، وفي النهاية، ترك حُجرة مُعتر بأملٍ مُتجددٍ داخله وابتسامة عريضة مرتاحة تُلطخ وجهه.

تقابلت عينيه بشمس التي كانت جالسة أمام الحُجرة تنتظر شقيقتها التي كانت تتحدث مع لؤي وتحاول التهدئة من روعه، ما إن لمحت نظراته حتى بادلتها بابتسامة هادئة ونظراتٍ تحمل بعض الخجل الذي لا تعلم سببه، بادت ترتبك بالفترة الأخيرة كلما لمحته أمامها، أما عنه، فكان يعارك فؤاده يوميًا حتى يعترف لها، كان ينتظر فقط أن يفيق شقيقه ويتأكد أنه بخير، فهو يُصارع للوصول إليها خاصة بعد أحاديثهما الأخيرة.

-مُعترِ سامحك؟

سألته بفضولٍ لأنها من ألحت عليه بالمجيء وطلب العفو منه، فهي الوحيدة التي تعلم الحقيقة ولا تُخبر بها أحدًا، بل تسعى جاهدة لإصلاح الشروخ التي نبتت بينهما.

أومأ رأسه إيجابًا على حديثها لتتسع ابتسامتها بسعادة لأجله ثم تبتعد بنظراتها عنه لكنه لم يكتفي بهذا الرد، فهو الآن في قمة سعادته ويرغب باحتضانها والطيير بها عاليًا، ولأنه يعلمها جيدًا، حاول إخفاء وقاحته بعض الشيء وهو يقول بامتنانٍ نابع من فؤاده:

-شُكرًا يا شمس ... حقيقي معرفش كنت هعمل كدة إزاي من غيرك

لم يبدو على وجهها سوى نفاذ الصبر من تلك الكلمات التي يقولها دائمًا، فهي قد سيّمت من شُكره وامتنانه الذي يحجب به ما يُريد قوله بالفعل.

-يووه .. إنت هتفضل تشكر كدة لحد إمتي؟

خرجت إجابتها بعفوية بدت حمقاء بالنسبة لها، فهي الآن تتدرج بثوب الخجل وتسب نفسه على انزلاق الحديث من جوفها ككل مرة، ربما الاندفاع والتهوّر بالحديث هي صفة متوارثة في عائلتهم، سرعان ما أدركت اندفاعها وطريقها الوقحة في الحديث مما جعلها تعتذر بقولها:

-أنا أسفة مكنش قصدي ... أنا بس يعني_

قطعها بسُرعة لأنه لم يعد يطيق الصبر أكثر، قرر أن يُهدم السد الذي بناه بينهما حتى لا يجدها ترحل عنه، فأخفاء المشاعر الحقيقية هي أصعب ما يقوم به الإنسان.

-بحبك-

كانت تلك الكلمة النابعة من شفثيه كفيلة بضخ الدماء لأوردتها وإصابتها بشللٍ جُثماني، فكانت تطالعه ببلاهة ووجهٍ خالٍ من الألوان لا يُصدق ما يُقال أمامها، بقيت نظراتها تطالعه ببلاهة حتى واصل هو حديثه بنفس ذات اللهجة الحميمية:

-بحبك يا شمس وعايزنا نتجوز، عايزنا نفضل مع بعض طول العمر ... نفسي
أحضنك وأضمنك جوايا

عادت لواقعها بعد أن عبثت كلماته بعقلها وجعلتها تسأله ببعض الحدة:

-تحضني !! ... عايز تتجوزني عشان تحضني ؟

حقًا ؟ أهذا ما وصل إليه عقلك ؟ هذا ما كان يُفكر به وهو يستمع إلى سؤالها والذي أجاب عليه فورًا دون أن يُرتب حديثه:

-لأ طبعًا .. عايز أبو... عايزك .. عايزك تبقي علطول معايا

حمد ربه أنه لم يُكمل الكلمة وأمسك لسانه باللحظة الأخيرة، لا يعلم حقًا كيف يعرض عليها الزواج بطريقة خالية من الوقاحة، فهو يُجاهد حتى لا يفصح عمَّ يُريد قوله بالفعل.

بقي يُتهته بالحديث يحاول العثور على الكلمات المناسبة حتى قطعها بلكنة مباشرة غير قابلة للنقاش:

-بصراحة بقي، أنا خلاص هكلم عمو هلال وهطلبك منه ... مش قادر اشوف
الشفاف دي وما..ما...

قطع كلماته للمرة الثانية وهو يسب نفسه بقرارة نفسه، فتلك الكلمات لا يجب أن يقولها لفتاة كشمس، بل لا تنفع سوى مع الفتيات التي يتعرف عليهن بالمهلى الليلي.

بقي يُتهته بالحديث حتى لاحظت شمس تلغثمه فاتسعت بسمتها بمرح وخجل ثم قررت الانصراف قبل أن يظهر خجلها للعيان.

-أنا هروح أشوف قمر...

تركته وكادت تتحرك بعيداً تُللم شتات نفسها، لكنها قبل أن تبتعد استدارت نحوه وأخبرته بكلماتٍ قرعت الطبول بفؤاده:

-ميجو ... أنااا...موافقة

اكتفت بتلك الكلمات البسيطة ثم التفتت لتتحرك بعيداً عنه وهي تعض على شفتها السفلية بحرج وسعادة بالغة تعتمرها، فإن كان هذا حُباً، فهي تعترف به الآن، هي أيضاً تُحبه، وتهتم لأجله لا بدافع الصداقة، بل بدافع الحُب الذي تُغطيه بالصداقة.

كان قلبه يتراقص فرحاً في تلك اللحظة، يشعر أن آمانيه تحققت دون أن يبذل مجهوداً، يشعر بفرحة انتصارٍ جيشٍ على عدوه بعد صراعاتٍ مريرة، أسند ظهره على الحائط وبدأ يغوص بأحلام اليقظة مُتخيلاً حياته معها وأطفالهما الصغار يعبثون بالمنزل ويُصدرون الضجيج حولهما.

عاد إلى الواقع مرة واحدة ليتذكر تهوُّره بالحديث وتلك الكلمات التي كاد يتقوُّه بها والتي جعلته يسب نفسه بقول:

-شفايف !!... حد يقول كدة يا مُتخلف؟...

مهما ضاقت بك الحياة، وتأزمت أحوالك، تذكر أن اللحظات الصعبة تُشبه الحمى، تشعر أنها تأذيك، لكن أذيتها تنتهي في النهاية...

ها هُم يجتمعون مرة أخرى بعد أن أتى جابر ومعه العديد من الشطائر التي تقاسمها بينهم وبدأوا يتناولونها داخل حُجرة المشفى حتى تنتهي الفحوصات ويعودوا إلى منازلهم، صوت قهقهاتهم كاد يخترق الجُدران ووجوههم المرححة أكدت أن العُمة انزاحت وعادت إليهما بسماتهم المُختفية.

استأذن ميجو وعاد إلى منزله حتى لا تتلاقى عينيه بعيني لُوي مُجددًا، أما عن شمس، فكانت في عالمٍ آخرٍ لا تنسجم مع أحاديثهم ولا تُفكر سوى في تلك الكلمات التي اخترقت أذنها مُنذ دقائق، حتى أن وجهها بدأ يتخذ من الأحمر وشاحًا، وقلبها يتراقص من السعادة التي لا تعلم كيف تُعرب عنها في وقتٍ كهذا.

انتقلت مُخيلاتها إلى عدة أعوامٍ قادمة تتخيل فيهم نفسها برداء زفافها وأصوات البهجة والسعادة تموج حولها، تتخيل صوت المأذون وهو يُعلن زفافهما وصوت الزغاريد تصدح بجوار أذنيها، بل وصلت تخيلاتها حتى إلى كعكة الزفاف وما سيتم تناوله من الطعام، فربما جوعها اختلط مع ذكرياتها في تلك اللحظة.

قطع وصلة المرح صوت مُعتر الذي تلفت حوله متسألًا:

- هو إسلام وداليا فين؟ ... هما ميعرفوش إني فوقت؟

سألهم ببعض التيه لأنه يعلم جيدًا أن صديقه لن يتركه في وقتٍ كهذا، بل سيطير من السعادة إن علم أن صديق طفولته وحياته استيقظ من غيبوبته التي لازمته لعدة أشهر.

-داليا مش بتُرد ... وإسلام كمان زيها

قالتها قمر وهي تمسك هاتفها وتتصل بداليا للمرة التي لا تعلم عددها، حتى أنها أخذت الرقم الخاص بهاتف إسلام من زوجها واتصلت به هو الآخر وأيضًا لا يُجيبها.

أدت إجابتها إلى تفاقم القلق بأفئدتهم، فهذه أول مرة لا يُجيبها فيه على هواتفهما، خاصة وأن الساعة قد شارفت على الحادية عشر صباحًا وإسلام وداليا لا يناما أبدًا بهذا الوقت خاصة بأقوات الدوام.

تبادلت الأسئلة بينهم لفترة إلى أن وجه مُعترز رأسه اتجاه جابر ليطلب منه:

-ما تدخل جوة حد فيهم تشوفلنا هما فين ... أحسن يكون حصلهم حاجة

ظهر القلق واضحًا على حديثه مما جعل جابر يوميء برأسه موافقًا ويتقدم بمقعده إنشآتٍ قليلة ليأخذ بعدها نفسًا عميقًا حوّل نظراتهم المترقبة والقلقة.

كان إسلام بهذا التوقيت يقف بجوار داليا أمام موظف الاستقبال الذي سيدلهم على حُجرة المتنقلة، حمم إسلام قبل أن ينصب قامته ويتسأل بتهذيب:

-المريضة إللي اسمها سُمية عبد العظيم في عنبر كام ؟

تفحص الموظف حفنة من الأوراق قبل أن يعاود النظر صوب إسلام ليسأله:

-حضرتكم من معارفها ؟

توتر إسلام قليلًا وبادل نظراته لداليا ثم عاود التحديق بالرجل مؤكدًا على حديثه بكذب منعًا للشكوك التي من الممكن أن تتلبسه إذا انكشف أمرهما.

-إ..أه أه ... إحنا من معارفها

همهم الرجل مُتفهمًا ثم أخرج ورقة ما ليضعها على الطاولة ثم انتشل القلم وبدأ يدوّن على تلك الورقة تنفيذًا للإجراءات:

-اسم حضرتك ؟

انتفض جسد إسلام مرة واحدة ليحل جابر محله والذي استمع إلى سؤال الرجل وأجابه بتلقائية:

-اسمي جابر-

همهم الرجل بلامبالاة وهو يدوّن الاسم بالورقة ظانًا أن الذي يقبع أمامه يدعى جابر بالفعل، بينما كانت داليا بالجهة الأخرى ترمق إسلام بحيرة ليس لخطأه بل لأنها تعلم أن جابر الآن حلّ محله لسببٍ لا تعلمه.

وجه الرجل سؤاله لداليا استكمالًا للاجراءات فسألها:

-واسم حضرتك؟

وقبل أن تُجيبه داليا، وجدت جسدها ينتفض ليحل محلها إسلام، فيبدو أن إسلام لم يُرد ترك جسده في تلك اللحظة ولن يستطع العودة لأن جابر هو من قام بالتنقل، فلا يوجد أمامه سوى الانتقال إلى جسد داليا حتى يُخبر الرجل اسمه الحقيقي.

غفل تمامًا عن كونه بجسد داليا وظنّ أنه عاد إلى جسده وهو يُجيب الرجل على سؤاله ببلاهة:

-إسلام .. إسلام سيد

توقف الرجل عن الكتابة وبقي يُطالع إسلام الذي اخترق جسد داليا بغرابة جعلته يسأل:

-حضرتك اسمك إسلام!؟

لم تستطع داليا العودة إلى جسدها فبالتالي اخترقت جسد إسلام لتُجيب الرجل بحماسة جعلته يزداد تيهًا:

-لا لا لأ ... اسمي داليا ... وهو إسلام

قالتها وهي تُشير على جسدها دون أن تدري أنها الآن داخل جسد إسلام وليس جسدها، فسرعان ما وجهت بصرها نحو جسدها حتى تلعثمت بالحديث وحاولت

العودة مجددًا وإصلاح ما فسد، لكن جابر كان يصرُّ على اختراق إحداهما فوجد نفسه داخل داليا بينما كان الرجل أمامهما يكاد يفقد صوابه وهو يسأل:

-يعني حضرتك اسمك إيه دلوقتي؟

ولثاني مرة أجابه جابر بتلقائية أوقعتهم في كارثة:

-اسمي جابر

تدخلت داليا لتُصحح حديثه وداخلها يسب جابر على حماقته هذه:

-لأ لأ ... هو مش اسمه جابر

قطب الرجل حاجبيه بحيرة وهو يسأل متجاهلاً كونها تُشير على فتاة وتتعتها بفتى، مما جعله يجاريها بالحديث بسؤاله:

-أومل اسمه إيه؟

اخترق إسلام جسد داليا في محاولة منه للعودة إلى جسده مُجددًا، لكنه ما إن عاد حتى استمع إلى سؤال الرجل وظن أنه يتحدث عن جسده مما دفعه للإجابة بثقة:

-اسمه إسلام

تدخلت داليا للمرة التي لا تعلم عددها لعلها تُصحح الموقف، لكن توترها أدى إلى المزيد من الإجابات المُتسرعة الحمقاء:

-أيوة أيوة .. هو إسلام وأنا داليا قصدي هو داليا وأنا إسلام

بقي الرجل يرمقهما بحيرة حتى ترك القلم على الطاولة مستنذنا، عادت داليا أخيرًا إلى جسدها وعاد إسلام إلى جسده هو الآخر وبقي يتعارك مع داليا ويسب جابر بنفس الوقت:

-مش وقته ييجي دلوقتي وبعدين لما تدخل جسمي قولي إن اسمك إسلام مش داليا

غضبت داليا من نبرته الاتهامية فوضعت يدها على خصرها كي تعاتبه مثلما عاتبها:

-يا سلام ... دا على أساس إنك كُنت بتعمل كدة، ما إنت كمان اتلغبط

تنهد إسلام بنفاد صبرٍ وقرر إنهاء هذا العِراك حتى لا يستمع إليهم أحد، فكان يقول
برجاء:

-حصل خير ... ادعي بس أنهم يكونو مخادوش بالهم من العك إلي حصل ده

ردت داليا عليه بثقة لا تعلم من أين أتتها:

-وهياخدو بالهم من إيه ... إحنا مش شكلنا مجانيين

بينما كان الرجل موظف الاستقبال على الجهة الأخرى يضع الهاتف على أذنه
ليُجري تلك المكالمة بالغة الأهمية:

-أيوة يا دكتور شادي ... في اتنين واقفين قدامي شكلهم كدة مجانيين ... طيب تمام

أنهى الرجل تلك المكالمة ليتجه صوب إسلام وداليا ويُشير لهما على أحد المقاعد
متفوّهاً:

-اتفضلو اقعِدو على بال ما آجي

رمقه إسلام ببعض الحيرة والشك بينما وثبت داليا مكانها لم تتحرك قيد أنملة ولم تُنفذ تعليماته، أو بالأحرى، لم تلحق تنفيذها، فسُرعان ما داهمتها أذرع العديد من المُرضيين مُرتدين الملابس البيضاء ويحاوِطونهما من كل حدبٍ وصوبٍ وكأنهم يُلقون القبض عليهما أو اختطافهما.

بدأت داليا بالهتاف مُعترضة بينما كان إسلام يحاول دفعهم بعيدًا عنهما مُخبرًا إياهما
أنهما ليسا بمجاذيب، ولكن كالعادة، لم ينصت إليهما أحد وقرروا عرضهما على
الطبيب حتى يُقرر هو رغمًا عنهما....

بدأت السماء تنحدر إلى أسفل لتُعانق الأرض في مشهد غروبٍ تشرئب له الأذهان،
تتلطخ السماء بلونٍ بنفسجيٍ مُختلطًا مع برتقالي جعل السماء كلوحة فنية خلاقة، وفي
تلك الأجواء الهادئة، كان مُعترز داخل منزله أخيرًا بعد أن أذن له الأطباء بشرط
حصوله على بعض الراحة والتزامه ببعض الأدوية حتى يعتاد جسده على الحياة من
جديد، قرر أن يرتاح بمنزله ويرفض عزيمة الغداء التي من المُفترض أن تُقام بمنزل
قمر مع البقية.

كان ميجو معه بالمنزل يتحدث معه فيما حدث بتلك الأيام السابقة ويُخبره أيضًا عن
القرارات التي أخذها وأهم قرارٍ وصل إليه في تلك الأيام، يسترخي على أريكة البهو
بعد أن أخبر مُعترز عن قرار زواجه بشمس وعن محاولته للتغيير، فكان حديثه أشبه
بمن يُريد الذهاب إلى أحد الأماكن ولا يعرف الطريق.

-فيها إيه يعني لما اتجوز؟... دا أنا حتى بطلت السجاير عشانها

قالها وهو يضع لفافة التبغ داخل فمه وينفث دُخانها في الهواء تزامنًا مع نظرات مُعترز
المُستنكرة وعدم تصديقه لما يقول، فكان يستطرد بسُخرية:

**-أه ما هو واضح... بعدين إنت هتقول لأهلها إيه لما يسألوك عن شُغلك...
هتقولهم طبال!!**

أحس ببعض الغضب من لكمة السُخرية الطاغية على حديث مُعترز؛ اعتدل بجلسته
ليهدف بمدافعة عن وظيفته العزيزة:

**-وفيها إيه يعني طبال؟... ثانيًا أنا مش ذنبي إني اتولدت في كباريه، ومش ذنبي
إني طلعت حشاش... ومش ذنبي إني طلعت طبال**

قالها بطريقة عاطفية درامية جعلت مُعترز يواصل سُخريته مُقلدًا حديثه:

-ومش ذنبك كمان إنك حبيتها

أوماً ميجو رأسه موافقًا ببلاهة ليسترخي بظهره للوراء مُجددًا في فترة الصمت التي قطعت حديثهما وقطعها صوت مُعترز الذي حمل في طياته القليل من الإرشاد والتساؤل:

-مبدئيًا كدة ... إنت لازم تشوفك شُغلانة تانية ... شُغلانة الطبال دي متاكلش عيش

اعتدل ميجو في جلسته ليسأله بأهمية:

-شُغلانة إيه ؟

أجابه مُعترز بنفس طريقته الإرشادية:

-أي حاجة ... مفيش أي حاجة بتعرف تعملها غير الطبل ؟

فكر ميجو هنيهة قبل أن يقول بثقة:

-لا في ... بعرف الم نُقطة ... دا أنا عليا لمة نُقطة ياض يا زيزو ... مقولكش بقى، بتلم كدة في أقل من تانية

حرّك أصابعه ممثلًا كلماته مما أصاب مُعترز بخيبة الأمل وجعله يُغلق عينيه لفترة ثم يفتحها مُطلقًا تنهيدة قصيرة تبعها بقولٍ يحمل القليل من الحدة:

-نُقطة إيه ؟ ... وهي النُقطة دي هي إالي تاكل عيش ... أنا بقولك أي شُغلانة تانية برة الكبارية ... أهلها لو عرفو إنك شغال في كبارية الجواز هتبول

أوقدت كلماته القليل من الهلع داخل صدر ميجو، فهو لم يفكر أبدًا بهذه المُعضلة، ولم يكن يعرف أن والدة شمس صارمة ولن تقبل بهذه الزيجة إذا انكشفت حقيقته أمامهم، لهذا السبب يجب عليه أن يتغير بأقصى سرعة قبل أن تتسنى له الفرصة بطلب يدها، ولأنه أعطى موعدًا بالفعل لو الذا شمس، فعليه أن يبدأ التغيير فورًا.

-طب إنت دراستك إيه؟... ولا إنت مدرستش أساسًا

كانت نبرة مُعترز تهكمية جعلت ميجو يرفع سُبابته لأعلى مُكذبًا حديثه بتكبر:

**-مين ده إيلي مدرسش دا إيلي قدامك ده خريج من الكاستر فوار بتقدير جيد
جداً مع مرتبة الشرف**

رمقه مُعترز باشمئزازٍ وداخله يُكذب حديثه مئة بالمئة، فهو حتى لا يستطيع نُطق اسم معهد الموسيقى بشكلٍ صائب، فكيف له أن يحصل على شهادة منه؟ يكاد يجزم أنه تخرج بعد عدة سنوات، أو ترك الدراسة بعد أول عام.

دفعه دفعة بسيطة قال معها بتهمك:

-مش لما تعرف تقول اسمها الأول

توقف عن الحديث بُرهة لينتقل إلى نُقطة أخرى في محاولة منه لتغيير جذوره، أخذ نفسًا عميقًا ثم أطلقه ليسأل بعدها:

-سيبك من الشُغل دلوقتي لازم قبل ما تتقدملها، تكون شخص مُلتزم، أو على الأقل شبه مُلتزم يا سيدي ... يعني تكون بتصلي، تقرا قرآن، كدة يعني ... كل ما تقرب من ربنا كل ما هتكبر في نظرهم ... وأهو بالمرّة تكفر عن ذنوبك

قطب ميجو حاجبيه بغرابة يكاد يتيقن أنه لا يفهم أي كلمة مما يقولها مُعترز، أو ربما يفهم ولا يفهم طريقة التنفيذ، لهذا السبب سأل ببعض التيه:

-ودي أعملها إزاي دي يا سطا؟

وضع مُعْتز يده على ظهره بعاطفة أبوية تُعرب عن دور الأب الذي يتخذه اتجاه
ميجو، فكان يقول بنبرة هادئة مُوجهة:

-خلينا الأول في الصلاة والباقي بييجي واحدة واحدة-

استرجع ميجو بعض الذكريات وهو يقول:

-يااه، إنت عارف أنا آخر مرة صليت فيها كانت إمتي؟ ... كنت في تانية تالت، وكنا
بنلعب كرة في الشارع لغاية ما الجمعة أذنت، كنت هطنش زي كل مرة بس الواد
مايكل قالي إني لازم أروح أصلي معاهم...

زادت عوالم الغرابة على وجه مُعْتز وهو يُطالعه ويشفق على حاله، فهو مُنذ نعومة
أظافره ولم يَقم أحدهم بتوجيهه.

-مايكل !! ... إنت روحت صليت في الكنيسة؟

سأله بتشككٍ وبعض السُخرية التي تبعت حديثه الأشد غرابة، يكاد يجزم أن ميجو لا
يعلم قيد أنملة عن دينه، ولا يستخدم دينه سوى بالجلفان، أي أنه مُسلمٌ بالبطاقة فقط،
وهذا ما يجب عليه تغييره الآن، لكنه على الأغلب سيأخذ العديد من الوقت والجُهد.

انتهى الحديث بينهما عندما مدَّ مُعْتز يده لينتشل لفافة التبغ ويُدثرها بمطفأة
السجائر ثم يطلب من ميجو أن يتوضأ ليُساعدَه هو فيما سيفعله بعدها مؤدياً دُور
الشقيق المثالي على أكمل وجه....

على جهة أخرى، كانت الفتيات تجتمعن بحُجرة المعيشة التي أغلق بابها حتى يتسنى
لهن إزاحة غطاء رؤوسهن، حيث كان الرجال يجلسون بالبهو منهم لُوي وخالد
وجابر فقط، بينما كانت كوكي وابنتها ويُسرى وقمر وشمس يجلسن سويًا بهذه
الحُجرة.

تولت قمر زمام الحديث بقولها بجدية:

-صحيح مقولتكوش التحقيق إلي عملناه مع الناس إلي خطفونا

انتبهت النظرات نحوها لأنها وأخيراً ستُخبرهن عمّ حدث بتحقيقها مع أولئك المُجرمون واستخدامها للتنويم المغناطيسي لاستخراج الحقيقة من أفواههم، دائماً ما تُقرر أنها ستُخبرهن لكن ذاكرتها الضعيفة وتلك الظروف التي يمرّوا بها تجعلها تتغافل عن إخبارهن بتلك الواقعة التي مرّ عليها أكثر من ستة أشهر.

-لقينا حاجة غريبة أوي ... تقريباً كدة حادثة الخطف دي كانت متدبرة

قطبت كوكي حاجبيها وهي تسأل:

-يعني إيه متدبرة؟... ومين أساساً إلي هيكون عايز يخطفنا؟

تنهدت قمر لتستجمع كلماتها ثم تُعاود الحديث بجدية وتفسير:

-معرفش ... الراجل إلي انا حققت معاه كان بيقول إنه واخذ أوامر من واحد اسمه ... اسمه تقريباً جلال .. طلال حاجة كدة

استطردت يُسرى ببعض الاستنتاج:

-وده مين ده كمان؟.... تفكري ليه علاقة بالمُنظمة إلي كانت بتلاحقنا من كام سنة؟

لوت قمر شفنيها بجهلٍ قالت بعده:

-الله أعلم ... بس أنا حاسة إن في حد قاطرنا

بدأ الشك يتغلغل بينهن ويجعل الحديث بينهن يتواصل ويُرهب عقولهن التي تتمنى لحظة من الراحة، لحظة واحدة فقط دون أن يقطعها أية كارثة.

انتبهت يُسرى لتحديق شمس وشرودها غير المُعتاد، فهي الوحيدة التي لم تُشارك بأي من أحاديثهن وبقيت في عالمها الآخر الذي جعل التوتر يظهر على وجهها وربما جميع أنحاء جسدها، دفعتها يُسرى بمرحٍ لتنتشلها من تلك العُزلة بكلماتها:

-ما تقول حاجة يا كابتن ... ولا إنت ملكيش إلا في الحشرات ؟

كانت تتوقع أن تستمع إلى مدافعات شمس المُستميّة عن حشراتنا وتبدأ بسرد معلوماتها العلمية الغربية، لكن ما حدث أن الصمت كان هو إجابة شمس مع نظرة الشرود التي لم تُحى من عينيها، تلك النظرة جعلت القلق يغتابهن حتى تقدمت كوكي لتسألها:

- what s wrong with you ? -

دُعمت يُسرى سؤال كوكي بسؤالها لعل شمس تفصح عما يجول بخُلدها:

-مالك يا شمس ؟... حد ضايقك في حاجة ؟

نفت شمس برأسها ثم حاولت ترك مُستنقع عُزلتها وشرودها وهي تتوّجه بأنظارها نحوهن وترسم ابتسامة هادئة غطت قلقتها حتى لا يفهمنها بطريقة خاطئة:

-محدث عملي حاجة ... بس أنااا...

بترت حديثها في محاولة مُستميّة للعثور على الكلمات المُناسبة دون أن يظهر حرجها وارتباكها من الأمر بُرمته، زاد صمتها من فضولهن وبقيت الأعين تتربص لها حتى أُرذفت أخيرًا بعد نفسٍ عميقٍ أخذته وأطلقتها في الهواء:

-ميجو متقدملي

ما إن بصقت تلك الكلمات حتى أطلقت قمر شهقة غير مُصدقة بينما بُهتت عوالم يُسرى لأنها لا تعلم إن كان هذا الخبر جيدًا أم لا، فجميعهن يعلمن ميجو جيدًا ويعلمن

أيضاً كم تغيرت أحواله بالفترة السابقة، لكنهن لا يعلمن أن شمس تكاد تكون سبباً في هذا التغيير وهي لا تعرف هذا من الأساس.

-يا بت مش تقولي من بدري ... ألف مبروك، أو مل مالك مقلضة كدة ليه ؟

سألته يسرى ببعض المُرَح بعد خروجها من دوامة حيرتها؛ تلاشت بسمة شمس الزائفة وهي تُجيبها بارتباكها الذي كانت تُخفيه حتى لم يعد جسدها قادرًا على احتمالها:

-منا خايفة أوي ... مش مُتخيلة إني هتجوز وافتح بيت وابقى مسئولة عن حد...
ومش عارفة ماما هتوافق إني اتجوز ميحو أصلاً ولا لأ، أنا مُستحيل أقولهم إنه بيشتغل في كبارية، ولا إن مامته رقاصة

أحاطتها قمر من الجهة الأخرى في محاولة منها لبث الطمأنينة داخلها كونها مرّت بهذه التجربة من قبل:

-إن شاء الله ماما وبابا مش هيعرفو حاجة عن الماضي بتاعه، بعدين إنتِ مش قولتي إنه اتغير ؟

أومأت شمس إيجاباً فتدخلت كوكي لتُجيبها بحالمة تعادها:

-يبقى أكيد اتغير عشانك ... ولو إنتِ وقفتي جنبه، هيبقى أحسن بكتير من زمان

بثتها كلماتهن ببعض الطمأنينة لتتدارك بعدها الأحاديث ما بين التهنئات والتشجيعات والطمأنينات حتى استطردت يسرى بسُخرية:

-عارفة لو داليا كانت هنا ... كانت هتكرهك في الجواز على المتجوزين وهتقولك نظريات ومعلومات تخليكي متجوزيش وتقعد في بيتكم

أكدن على حديثها بسُخرية حتى استنتجن أن داليا لا تزال خارج منزلها لا يعلم أحد مكانها حتى هذه اللحظة، هذا ما دفع قمر لتسأل:

-إلا صحيح هي داليا فين؟... أنا كلمتها تاني وبردو مش بترد، لا هي ولا إسلام...
تفتكرو حصلهم حاجة؟

سألتهن ببعض الشك فأجابتهن كوكي باستفهامٍ وجهل:

-جابر قال إنهم في مكان عامل زي company وقال إنهم كويسيين

أنهت يسرى حديثهن باقتراح:

-طب ما تيجو نطلع نقول لجابر يدخلهم تاني ونشوف هما اتأخرو ليه، يمكن
معرفش يحدد هما فين آخر مرة، بعدين متنسوش إن كلهم كانوا عمالين يدخلو في
بعض وكانهم مش عايزين يسيبو جسمهم لحاجة معينة...

بقيت المناقشات تدور بينهن حتى استقرن على الذهاب إلى مجلس الرجال والطلب
من جابر للمرة الثانية أن يخترق جسد إحداهما ليعلما سبب هذا التأخير.

ارتدت يسرى حجابها وكذلك قمر وشمس وأضحيا الآن يقفان أمام التلفاز يطلبان
بتقريرٍ وبعض القلق أن يخترق جابر جسد إسلام مُجددًا، وبعد المزيد من المُناقشات
بينهم، وجدوا جسد جابر يغلق عينيه مُقررًا الانتقال إلى أي منهما....

أعلم أنك ترغب بحياةٍ هادئةٍ خالية من العوائق، لكن يبدو أن الحياة لا تُريد ذلك...

انتهى مصيرهما أمام الطبيب الذي أشارت اللافتة إلى اسمه الذي كان " شادي سمير
"، طبيبًا نفسيًا من أمهر الأطباء وأكثرهم فصاحة، يجلس أمام كلٍ من داليا وإسلام
يتفحصهما بعينيه العسلية وعويناته السوداء، كان يُحاول استقراء ما يدور بخُدهما
من خلال لغة جسدهما التي أشارت إلى كونهما في حالة من التيه والتوتر، وربما
القلق أيضًا، لكنه لاحظ نظرات الثقة على وجه إسلام وكأنه يُدرك تمامًا أنه سيرحل
عن هنا، فمن ذا الذي يحتجز طبيبًا في مصحة للأمراض العقلية؟

-يا دكتور والله العظيم إحنا عاقلين يعني دا منظر ناس عندها أمراض نفسية

قالتها داليا بالباح وهي تُشير على نفسها وتُشير على إسلام أيضاً الذي دُعِم حديثها بقوله:

-أيوة أيوة ... دا أنا دكتور زي زيك مقعولة دكتور يبقى عنده أمراض نفسية ؟

خرج شادي من صمته بكلماته التي بدت مُقنعة:

-الدكاترة أكثر ناس مُعرضة للاضطرابات النفسية ... لأن أغلب حياتهم بين المرضى والعيانين وساعات الأموات ... ده غير ضغط الشغل والذاكرة الحاجات دي كلها ممكن تتسبب في اكتئاب حاد وساعات هلوسة سمعية بصرية .. أو ممكن اضطراب ما بعد الصدمة لو المريض اتعرض لصدمة عصبية نتيجة ظروف عمله

بدت نبرته علمية أصممت إسلام تماماً وجعلته يُدرك أن لا مجال من اقناع هذا الطبيب بسلامة عقليهما، علم الآن شعور زوجته التي تتناقش معه وينتهي نقاشهما دائماً بمثل تلك الحقائق العلمية.

أرعى شادي ظهره للوراء وانتشل الدفتر الخاص به وكذلك القلم ثم بدأ يُعدل عويناته ويتطلع إليهما متسألًا بعلمية:

-اسمائكم إيه ؟

أشار إسلام على نفسه وهو يقول اسمه بطريقة صائبة طبيعية تبعته بعدها داليا وأشارت على نفسها بثقة وهي تقول اسمها دون أن تتلعثم كما المرة السابقة، حاول كلاهما الظهور كالأشخاص الطبيعيين حتى يُنفض شادي عن رأسه تلك الشكوك التي تُساوره حيالهما.

همهم شادي بلامبالاة ثم انتقل إلى نُقطة أخرى من فحوصاته ليسألها باستفسار:

-أومل مين جابر ؟....

تردد إسلام قبل الإجابة التي جعلها طبيعية صادقة قدر الإمكان:

-جابر ده واحد معرفة

-طب ليه لما مُنير سألكم على اسمائكم جبتمو سيرة إلهي اسمه جابر ده ؟

هنا تدخلت داليا لثجيبه بصدقٍ ضرب بتوقعاتهما عرض الحائط:

-أصل هو كان جوة جسمنا ساعتها

ما إن بصقت تلك الكلمات حتى تقدم شادي بجذعه للأمام بحاجبين مُقطين ورغبة عارمة في فهم حديثها الغريب:

-جوة جسمكم إزاي ؟

آراد إسلام إخفاء الحقيقة حتى لا ينكشف أمرهما ويتأكد الطبيب أنهما بالفعل أحمقان، لكن داليا تقدمت بجذعها وبدأت الحديث جاهرة عن الحقيقة بحذافيرها.

-عشان إحنا_

قطعها إسلام وهو يجذب ذراعها للوراء محاولاً اصماتها بشتى الطرق:

-داليا .. يا داليا...

جذبت داليا ذراعها وهي تؤبّخه وتُبرر بثقة:

-استنى يا إسلام لازم نقوله الحقيقة عشان ميفتكرناش مجانيين

يقسم أنه في تلك اللحظة آراد أن يصفعها كفاً حتى تصمت عن الحديث، لكن ربما أن لا حياة لمن تنادي، حيث كانت داليا تفصح عن الحقيقة وشادي أمامهما يوميء برأسه بتفهم لحالتهم لكن بعدم تصديقٍ لما تقول:

-يا دكتور إحنا اتعمل علينا تجربة خليتنا نبدل جسمنا بأي حد اتولد معنا في نفس اليوم ... يعني أنا أقدر أبقى إسلام وأقدر أبقى جابر ... وإسلام يقدر يبقى أنا ويقدر يبقى جابر بردو ... والله أعلم ممكن نبقي مين كمان...

بقيت تسرد تفاصيل الحكاية وجوارها إسلام يكاد يفقد صوابه وشادي يوميء برأسه ويُغمغم بكلماتٍ خافتة وهو يدوّن على دفتره:

-اضطراب الهوية التفارقية...

بينما كانت داليا تواصل الحديث متفوّهة:

-وبس كدة ... عرفنا بقى إن في بوابة بتوصلنا للعالم الآخر...

قطع شادي حديثها ليردف بذهولٍ وبعض السُخرية:

-بوابة؟!!

أكدت داليا حديثه بلهفة وهي تواصل الحديث رغم اعتراض إسلام وتوّعه لها:

-أيوة بوابة ... إحنا بس إللي نقدر نفتح البوابة دي...

واصل شادي تدوينه على الدفتر مُغمغماً:

-سكيزوفرنيا...

أنهت داليا الحديث أخيراً بقولها الوثائق:

-وبس كدة ... قدرنا بقى نتخلص من إللي اسمه ضُرغام ده هو وبطة ورجعنا لأجسامنا تاني

أنهت الحديث كما لو كانت تُنهي حكاية تحكيها للأطفال بالروضة، بينما كانت نظرات شادي هذه المرة تنم عن تصديقه الكامل لكونهما أحمقان من الدرجة الأولى، فلا أحد يُصدق هذا الهُراء الذي تقوله تلك السيدة.

أغلق الدفتر الخاص به ووضع داخل جعبته ليثب بعدها عن المقعد متفوّهاً بعملية:

-خليكم هنا ثواني...-

استأذن شادي ليرحل عن الحُجرة بينما بقي إسلام مع داليا يُوّجه لها الحديث بتؤبّيح:

-إيه إلهي نيلتيه ده؟... إحنا كدة هنتحجز في السرايا الصفرا

طمأنته داليا بثقة العالم الذي قدم بحثاً عن مُستحضرات التجميل وينتظر الدعم من بقية العلماء:

-متخافش... أكيد هيصدقنا، ما أصحابنا كلهم صدقونا

تنهد تنهيدة عميقة حتى لا ينفجر بوجهها وهو يقول مُغيراً مجرى الحديث إلى آخر بالغ الأهمية:

-خلينا في المُهم... ادخلي دلوقتي جوة جابر واسألينه هو كان عايزنا في إيه؟

أومأت داليا برأسها موافقة لعلمهم يستطيعون مساعدتهم في تلك الكارثة؛ أخذت نفساً عميقاً ثم أطلقتها مُغلقة عينيها مُركزة على تلك الطاقة المُتدثر داخلها، لكن قبل أن تُبادر هي بالانتقال حدث ما لم تتوّقع...

انتفض جسدها مرة واحدة ليحل جابر محلها وتتغير نظرات داليا إلى أخرى مليئة بالتيه جعلته يتلفت حوله لمعرفة ماهية هذا المكان الذي يُشبه عيادة لكنه في نفس الوقت يُشبه مكتبا عادياً.

-هو في إيه؟... إنتو فين كل ده؟

لم يتحمل إسلام كبت غضبه من جابر الذي تسبب في شك الطبيب بهما، فما إن استشعر روح جابر داخل جسد زوجته حتى تغافل عن كونها زوجته وقرر أن يُلقن هذا الذي يُدعى جابر درساً يُعلمه كيف يتصرف فيما بعد:

-إنت يا غبي ... مش قولتك قبل كدة لما تدخل حد فينا تتصرف وكأنه إنت ...
خليتهم يشكو فينا...

أمسكه إسلام من ياقة ملابسه، أي ياقة ملابس زوجته، ليُقربه نحوه ويجعله يضطلع على نظراته الغاضبة التي زادت ربهة وهلعاً:

-لا مؤاخذة يا إس ... أنا بس اتلغبط ومعرفتش اعملو إيه

ترك إسلام ياقة قميصه ليتنهد مُجدداً يحاول استعادة هدوئه كي يسأل:

-كنت عايز مننا إيه ؟

تذكر جابر ما أتى لأجله فأجاب بسرعة:

-كنت جاي اقولكم إن مُعتر فاق وبيسأل عليكم ... كمان لؤي بيه حقق مع المُجرمين إللي خطفو جماعتك والباقيين، وعرف إن حادثة الخطف كانت متدبرة

اجتاحت الحيرة وبعض الهلع نظرات إسلام وهو يقول:

-متدبرة إزاي ؟..

أجابه جابر بجهلٍ:

-الله أعلم ... بس لؤي بيه بيقول إنه هيققق في الحوار ده وهيقولكم

أوما إسلام رأسه موافقاً ثم وضع يده على كتف زوجته التي اخترقتها روح جابر، وجه نظراتٍ جادة صُوب جابر ليُخبره بتقرير:

-اسمع يا جابر لما ترجع قولهم إن أنا وداليا في مُستشفى الأمراض العقلية
وتقريبًا كدة فإكرنا مجانين، بس ان شاء الله هنخرج منها ... تمام ... يلا بسُرعة
هات داليا قبل ما إلي اسمه شادي ده يجي

أوما جابر بموافقة لأنه من بادر بالنتقل في نفس اللحظة التي أرادت فيها داليا الانتقال
إلى جسده، وكان يعلم إسلام هذا لأن جسد داليا انتفض قبل أن تُبادر بحركة الانتقال.

عادت داليا مُجددًا إلى جسدها وعادت ملامحها الهادئة ونظراتها المُختلفة تمامًا عن
نظرات جابر، كانت الأوضاع تبدو في حالة من الروتينية قبل أن يتجها ببصرهما
صُوب شادي الذي يقف بينهما بملامح حائرة وتأكيداتٍ عديدة لما يدور بذهنه، فكانت
نظرات الشك تتبادل بينهما لأنه واثب مُنذ فترة طويلة وشاهد ما حدث بحذافيره، أي
شاهد إسلام وهو يتحدث مع زوجته على أنها جابر.

ارتبكت نظرات داليا وإسلام وأضحى موقفهما في مآزقٍ يؤكد لهما أنه لا مجال
للخروج من هذا المكان، فكانت داليا تسأل بتوتر:

-ه..هو ... شافني وأنا جابر ؟

آجابها إسلام بحسرة:

-ده شاف وسمع....

انتفض جابر على الجهة الأخرى ليعود بين أصدقاءه ورفاقه داخل منزل لؤي، كانت
النظرات مُوجهة نحوه في ترقبٍ، فكان لؤي يُحدجه من اليمين وخالد من اليسار،
ويسرى تثب أمامه مباشرة بجوارها قمر تعقد ذراعيها وتستطرد في تهكم:

-قولنا هما فين بقي عشان داليا لما جات هنا قعدت تشتم فيك ومفهمناش منها
حاجة

بقيت الأسئلة تنهال عليه من كل حدبٍ وصوبٍ حتى تقدم جابر بجذعه ليُبادل حدقاته
بينهم بحثًا عن طريقة مُناسبة لإدلاء الحقيقة، فما سيقوله الآن سيُضاف إلى سجل
كوارثهم التي لا تنتهي.

-أنا تقريبًا عرفت هُما فين ؟

لطخت الحدة والاندفاع وجه لؤي وهو يقول وكأنه يستجوب أحد المُجرمين:

-هما فين ؟.. انطق...

محمد جابر قبل أن يقول مؤجهاً الحديث لجميعهم:

-إسلام وداليا محجوزين في مستشفى المجانين....

الفصل السادس عشر (النصف الآخر)

يومًا ما، سنكتشف أن من حولك هم مجموعة من المجاذيب والأوغاد...

انتهى مصيرهما داخل حُجرة عريضة داخلها أكثر من عشرة أسرة يحتوي كل منهم على سيدة يتراوح عُمرها ما بين الثانية والعشرون حتى الأربعون، جميعهن يرتدين ثيابًا بيضاء وعلى وجوههن ابتسامات طفولية ومنهن من تجلس في شروءٍ على فراشها تُحدق في الجِواء، تتلفت داليا حولها في تيهٍ لا تعلم ماذا تفعل، تتحسّر على حالتها وحياتها التي وضعتها في مكانٍ كهذا، أحقًا سينتهي بها المطاف وهي مُحْتَجزة داخل مشفى للأمراض العقلية!!

بقيت تسب ذاتها وتسب هاتفا الذي منعها من الاتصال بأصدقائها وأوقعهما في مأزقٍ كهذا، بل بدأت تسب حتى هذه اللحظة التي قررت فيها أن تأتي مع إسلام إلى هنا، هي حتى لا تعلم أين تلك المُتنقلة وإذا كانت مُتنقلة من الأساس كما يقول إسلام أم لا.

لم تكذ تغوص أكثر داخل بحر أفكارها حتى باغتتها فتاةٌ تبدو بالثلاثين من عُمرها، كانت تربط خُصلات شعرها جديلتين وتضع يدها برقة على فخذ داليا حتى تسألها بصوتٍ بدى طفوليًا للغاية:

-إنتِ قاعدة كدة ليه؟... تعالي العبي معايا

قطبت داليا حاجبها في حيرة من تصرفاتها لكنها سرعان ما قررت مسايرتها لعل هذه الفتاة لديها خللٌ ما بعقلها كما هو المُعتاد في مكانٍ كهذا، حاولت داليا تقليد نبرتها الطفولية وهي تقول:

-ألعب إيه؟

اتسعت بسمه السيدة بطفولية وهي تهتف بحماس:

-نلعب صلح ... أنا هلف ضهري وانتِ ابدأي

أغلقت داليا عينيها محاولة الحفاظ على هدوءها ومراعاة عقلية تلك السيدة التي تبدو بعمر أكبر منها، وضعت يدها برفقٍ على كتف السيدة متفؤهة:

-طب بوصي ... ممكن نلعب مرة ثانية عشان أنا مصدعة وعايزة أنام

قطبت السيدة حاجبيها بتذمرٍ بدا واضحًا للغاية وهي تربط ذراعيها وتلوي شفيتها ثم تقول:

-لأ ... سرسورة عايزة تلعب دلوقتي

تنهدت داليا بنفاد صبرٍ حتى لا تغضب على هذه الصغيرة والكبيرة بالوقت ذاته، حاولت المحافظة على هدوءها وهي تلح عليها للمرة الثانية وكأنها أم تُحادث طفلتها:

-معلش يا سرسورة ... ممكن تسيبيني دلوقتي وشوية كدة وهبقي العب معاكي

لم تُبدِ السيدة ردة فعلٍ وبدا وكأن ملامحها تتحوّل مئة وثمانون درجة، ففي أقل من ثانية ظهرت عوالم الحنق على وجهها الذي كان طفوليًا، لكنه الآن يتحوّل إلي ملامح سيدة تتعارك في إحدى الحارات الشعبية، فكانت تلوّح بيدها وتلوي شفيتها مع شهقة سبقت حديثها وهي تقول:

**-سرسورة مين يا ام سرسورة ... وبعدين مالك يا ختي معوجة علينا كدة ليه ؟
لتكونيش فاكرة نفسك جاية جاردن سيتي...**

احتقن وجه داليا وارتم جسدها للوراء خوفًا من تلك السيدة التي كادت تنقض عليها، بسطت داليا ذراعيها في محاولة عارمة لتهدئة غضبها وهي تعتذر:

-أنا أسفة ... أنا أسفة والله

ولثاني مرة تجد ملامح السيدة تتغير لتنتب على وجهها ابتسامة مُدللة تبعثها بضحكة رقيقة ثم يدها التي جذبت إحدى جديلتها وبدأت تتلاعب بأطرافها وهي تقول بميوعة لاذعة:

-متخافيش يا عينيا ... أنا مش أذي حد خالص خالص...

حركت شفتيها وكأنها تلوك علكة وهمية، اقتربت بجسدها نحو داليا التي ارتدت للوراء وعلى ملامحها عوالم الرعب من تصرفات تلك السيدة ومزاجها المُتقلب، حيث وجدت يد هذه السيدة تمتد لثُمس على خُصلات داليا وتواصل حديثها المائع:

-بيكي مش تضايق حد ... بيكي تفرفش، وتدلع، وتهشيتك وبس

تبعث حديثها بقهقهة رقيقة مُرتفعة جعلت داليا تزداد انقباضاً وتدفع يد هذه السيدة الوقحة وهي تستغفر ربها وتهتف بحدة:

-ابعدي عني يا ست إنتِ

هرؤلت داليا بعيداً عن هذا الفراش وبعيداً عن تلك السيدة لتجلس على فراشٍ آخر يستوطنه فتاة أخرى تبدو بمُقتبل العشرين أو مُنتصفه، كانت هذه الفتاة تجلس بهدوءٍ على فراشها وتُسلط عينيها للأمام وكأنها لا تكثرث لما يحدث حولها، جلست داليا جوارها وهي تضع يدها على صدرها محاولة أن تُهديء من روعها، ودون أن تدري كان جوفها يُغمغم بما يعتمره صدرها:

-هي الست دي ملبوسة ولا إيه؟

ما إن أنهت سؤالها حتى وجدت الفتاة المجاورة لها تقول وكأنها إنسانٍ آلي:

-رصيدك خلص بس الكلام لسة مخلصش ... كمل المكالمة لمدة ثلاث دقائق مع خدمة عالنوتة بستين قرش ... أو إنهي المكالمة تيت

قطبت داليا حاجبيها للمرة الثانية بحيرة لكنها هتفت بعدها بمُعارضة:

-رصيد إيه ... أنا لسة شاحنة امبارح

ولثاني مرة تجد الفتاة تُجيبها وكأنها إنسانٌ آلي:

-دلوقتي تقدر تستمع بعروضنا الشهرية ... لو عايز عرض المتكدرة اضغظ واحد
... لو عايز عرض الملبوسة، اضغظ اتنين، أما لو عايز عرض الموكوسة ...اضغظ
.. ثلاثة

أشارت داليا بإصبعها وهي تُجيبها ببلاهة وصدق:

-أيوة أيوة ... أنا عايزة عرض الموكوسة ده

لم تكذ الفتاة تُجيبها حتى وجدت فتاةً أخرى تبدو بمُنْتَصَف العشرين من عُمرها، كانت
تحمل البشاشة على وجهها وهي تقترب من داليا تمدُّ يدها للمصافحة وانتشالها أيضًا
من تلك البقعة، فكان حديثها هادئةً طبيعيًا جعل داليا تتعجب لأمرها، فربما هذه أول
فتاة تتحدث معها بطبيعية منذ وطأت أقدامها هذا المكان.

-هو إنتِ المُستجدة ؟

تنهدت داليا بارتياح وهي تثب عن الفراش وداخلها يحمد ربه بوجود عاقلٍ واحدٍ في
هذا المكان، فكانت توميء برأسها وهي تقول:

-أيوة أنا هو الست دي مالها ؟

قالتها وهي تُشير على تلك الفتاة التي تتحدث بألية لتجد الفتاة الأخرى تجذبها من
ذراعها وتُجيبها بصدق:

-إنتِ قِصْدِكِ نور ؟... دي كانت بتشتغل كول سنتر في شركة اتصالات ... ومن كُتر
الشغل لسانها علق على الكام جُملة دول... أصلها كانت شيفت صباحي ومسائي

همهمت داليا بتفهمٍ وشفقة أيضًا على حال تلك الفتاة التي فقدت عقلها بسبب وظيفتها،
واصلت السير بجوار تلك الفتاة التي أخبرتها فيما بعد أن اسمها علياء، حيث كانت
علياء تجذبها نحو فراشها وتقول بلهفة:

-تعالى تعالى أما اعرفكِ على فيروز

تبعثها داليا بتيهٍ وداخلها بعض الشك حيال تلك العلياء، لكنها لم تتبين حتى الآن حقيقتها، فربما الحقيقة مُتدثرة أسفل قناعٍ من التعقل.

جلست داليا على فراشٍ أبيضٍ لا يختلف عن بقية الأسرة، وكانت علياء أمامها ترسم ابتسامة واسعة على شفثيها زادت من الغرابة على وجه داليا.

-أهي فيروز

قالتها علياء بلهفة جعلت داليا تتلفت حول نفسها حتى تعلم أين هي تلك الفيروز.

-هي فين دي ؟

سألتها داليا وهي تتلفت حول نفسها فأجابت علياء وهي تُشير بيدها على بُقعة خاوية وتقول:

-أهي فيروز أهي...

ثم التفت برأسها نحو هذه البُقعة الخالية وبدأت تتحدث بصوتٍ خافتٍ أقرب للهمس ولكن داليا استطاعت سماعه بوضوح:

-معلش يا فيروز ... أصل أول يوم ليها انهاردة...

راقبت داليا حديث علياء مع تلك البُقعة الفارغة مما جعلها تكاد تفقد صوابها وهي تهتف بخيبة أمل:

-أنا شكلي هتجنن بجد ولا إيه؟...

وطأت أقدامه ذات الحجرة التي تقبع بها زوجته، لكن حُجرته لا تختلف في شيء سوى أنها تحتوي على الرجال، فلا يجوز للرجال والنساء أن يختلطا بنفس الحُجرة

خاصة وهم يُعانون من خللٍ عقلي، علمُ إسلامٍ للوهلة الأولى ما سيُقابله نظرًا لعمله لفترة داخل إحدى المصححات النفسية، فهو يعلم تمامًا طبيعة المرضى وحالاتهم التي قد تكون غريبة، لهذا السبب قرر أن يرتكن على فراشه ويلتزم الصمت حتى يعثر على طريقة تُنجده من هذا المكان.

جلس على فراشه وأرخی ظهره للوراء، أغلق عينيه حتى يغرق داخل أفكاره ويُحافظ على هدوءه حتى يعثر على طريقة للخروج أو ربما الهرب، والأهم من هذا كله، أنه أراد الذهاب إلى تلك المدعوة بسُمية لأن هذا ما أتى من أجله مُنذ البداية.

يبدو أن الحياة لن تمنحه ما يُريده للمرة التي لا يعلم عددها، فما إن أغلق عينيه حتى انتفض جسده مرة واحدة إثر هذا الرجل الذي انقض عليه وبدأ يُحركه في فزع؛ اعتدل إسلام في جلسته ليرمق ذاك الرجل الذي استحال لون وجهه إلى الأصفر من شدة هلعه.

-قق.. قوم بسرعة ... فف.. في حد في الحمام ... تت... تعال.. تعالی بسرعة ساعدني

بقي الرجل مُتشبثًا بذراع إسلام الذي علم للوهلة الأولى أنه لن يستطيع البقاء بهدوء في مكانٍ لا يحتوي سوى على المجاذيب، وبعد العديد من الإلحاحات التي أطلقها هذا الرجل، قرر إسلام أن يترك موضعه على أمل أن يُساعد ذاك الرجل كونه طبيبًا يُساعد المرضى، وكوّنه إلى حدٍ ما، العاقل الوحيد في تلك الحُجرة.

جذب الرجل ذراع إسلام حتى توقف أمام المرحاض، وقف الرجل أمام الباب ليُشير إلى الداخل ويقول بنبرة مُرتجفة:

-أنا شوفته .. شش...شوفته جوة ... بالله عليك خلصني منه أنا مش عارف ادخل الحمام

رمقه إسلام بحيرة ثم ربت على كتفه واعدًا إياه بتخليصه من هذا الذي يُرهبه، اخترق بجسده المرحاض ليجده مرحاضًا عاديًا متوسط الحجم لا يوجد به أي شيء يُصيب بالذعر، أو ربما هذا الرجل يخشى المرحاض.

هذا ما استنتجته إسلام في البداية وجعله يمد ذراعه صوب الرجل محاولاً تشجيعه بقوله:

-تعالى متخافش ... أنا جوة أهو ومحصلش حاجة ... تعالى بس...

بقي يلح عليه إسلام بنبرة حنونة دفعت الرجل للتحرك بخطواتٍ هادئةٍ داخل المرحاض وجسده لا يزال يرتجف وكأنه داخل برادٍ شديد البرودة، دلف المرحاض بهدوءٍ وبقي يتحرك بأنفاسٍ مُضطربة حتى توقف بمُنْتَصَف المرحاض، ظنَّ إسلام أنه نجح بعلاجه وشعر بالفخر لوهلة كونه يستطيع تأدية ما يؤديه الأطباء النفسيون، فكان يهتف بفخرٍ ونبرة تحمل بعض التشجيع:

-شوفت ... مفيش حاجة أهو

اطمأن الرجل له لوهلة فرفع رأسه لأعلى في محاولة جاهدة منه للتهديئة من روعه، لكن فجأة...

انتفض جسده مُجددًا وأطلق صرخة مدوية ما ان آدار وجهه جهة المرأة وتلاقت عيناه مع انعكاس صورته، قفز جسده في زعرٍ ثم هرؤل بسرعة خارج المرحاض وهو لا يزال يصرخ بهلع وكأنه شهد عفرينًا، لاحظ إسلام ما أصابه من زعرٍ، فوجه نظراته نحو المرأة ليجد قطعة من القماش أسفلها يبدو أن أحدهم قام بانتزاعها، أمسك قطعة القماش وغطى بها المرأة ثم ترك المرحاض على أمل أن يعثر على هذا الرجل مجددًا ويحاول مساعدته لمرّة ثانية.

ترك المرحاض ليبحث بعينه عن ذاك الرجل الذي يبدو وكأنه اختفى بين بقية المرضى، وجد إسلام رجلٌ آخرٌ يجلس على طرف الفراش وعيناه مصوّبتان للأمام بشرود، ظنَّ إسلام لوهلة أن هذا الرجل ربما يُساعده في البحث عن ذاك الذي يرتعد من المرأة؛ جلس بجواره على الفراش ليضع يده على كتف الرجل متسألًا:

-بقولك إيه يا أخينا ... متعرفش الراجل إلي جري برة الحمام ده راح فين ؟

دون أن ينتبه له الرجل، كان يُجيب وهو يرمق الخواء بنبرة صوتٍ أشبه بمُذيع يُعلق على فيلمٍ وثائقي:

-في ظل درجات الحرارة هذه ... يبحث هؤلاء المتمرسون عن مخابيء ليتواروا فيها وينتظروا مرور العاصفة...

بقي يُقلد صَوْت العصافير والرياح حتى ربت إسلام على كتفه مرة أخرى وهو يسأل :

-يا أستاذ أنا بقولك على..

وقبل أن يواصل حديثه وجد الرجل يقطعه بنبرة إخبارية:

-أوضح المركز الإعلامي- في بيان اليوم - أنه توّصل مع وزارة التربية والتعليم والتعليم الفني، مؤكدة أنه لا صحة لتغيير نظام امتحانات الثانوية العامة خلال العام الدراسي....

واصل ادلاء الأخبار مُقلدًا طريقة المُذيع وجواره إسلام يُراقبه بغرابة ويُقرر لمسّه مُجددًا لعل شكوكه التي تساوره تتأكد، وبالفعل ما إن لمسّه للمرة الثالثة حتى وجد نبرة الرجل تتبدل إلى نبرة تحمل الهيبة وربما المبالغة أيضًا، فهو الآن أصبح يتحدث كما يتحدث أحد الممثلين المشهورين بصوتٍ جهوري:

-سيرة إيه يا فاطمة؟..

ثم بدّل صَوْتَه إلى صوت سيدة وهو يقول:

-إنت جيت؟

عاد مُجددًا إلى الصوت الجهوري وهو يُجيب نفسه:

-إيه .. مالكم؟ بتزعقوا كدة ليه؟

عاد مرة أخرى إلى صوت تلك الفتاة وبدأ يلوح بيده وهو يقول:

-يا أخويا لا ينزعق ولا حاجة ربنا ما يجيب زعيق ولا حاجة

ولآخر مرة عاد إلى صوت الرجل الجمهوري وهو يهتف بغضب:

-إيه يا عبد الوهاب ... بتزعق لأمك ليه يا بني...

قبل أن يواصل المشهد وضع إسلام يده على ذراعه وكأنه يلهو بأحد الألعاب، فما إن وضع يده حتى تبدلت نبرة الرجل للمرة التي لا يعلم عددها وأصبح الآن يُغني بصوتٍ جهوري:

-أنا إللي كان شاغلني .. وأنا إللي كان قاهرنى... اديتهم كل حاجة ... هما استغنو عني ... هما استغنو عني...

واصل الغناء بصوته الجمهوري المبالغ به حتى ترك إسلام فراشه وعوالم الغرابة لا تزال على وجهه، كان على الفراش المجاور رجلاً يبدو بالثلاثين من عُمره، يحمل معه كتابًا مفتوحًا على إحدى الصفحات، كان يرتدي عويناته ويرتخي بجسده للوراء واضعًا القدم فوق الأخرى، لاحظ الرجل حيرة إسلام فأخبره عن حالة هذا الرجل العجيبة:

-متلمسهوش تاني ... أصله فاكر نفسه تلفزيون .. فلما تلمسه هيغير المحطة

لاحظ إسلام كلماته التي تدل على القليل من الغموض على التعقل، لهذا السبب قرر أن يبقى جواره حتى لا يُصاب بالجنون ولا يستطيع الخروج من هنا أبدًا، لكنه قبل أن يتحرك خطوة واحدة قُرب هذا الرجل الغامض حتى انقض عليه رجلٌ ثالثٌ لا يدري من أين أتى، فكانت نظرات هذا الرجل لا توحى بالخير أبدًا، كان يضع يده على كتف إسلام بنعومة أدرك إسلام مغزاها جيدًا مما جعل الرهبة تتقاذف إلى عينيه خاصة مع حديث الرجل الهائم:

-مها ... حبيبتي يا مها ... أخيرًا جيتي

بقي الرجل يقترب نحوه بابتسامة هائلة جعلت إسلام يرتد للوراء، فعن أي مها يتحدث هذا الغريب؟

-إبعد عني يا جدع إنت أنا مش_-

قطعه الرجل الغامض بسرعة وهو يثب عن الفراش ويضع يده على فم إسلام متفوّهاً
بتحذير:

-ششش.. أوعى تقوله إنك مش مها ... لاحسن آخر مرة انهار ومعرفناش نفوقه

أنزل يده من جوف إسلام كي يُفسر له بصوتٍ هامسٍ:

-أصل خطيبته إللي اسمها مها دي ... خانتة مع واحد صاحبه، وهو من ساعتها
مُخه اتلحس، وبقي أي حد مُستجد يفكر إنه مها وإنها جات عشان تصالحه

جال الصمت على وجه إسلام وهو يتفهم حديثه دون اعتراضٍ، فيبدو أن ذاك الرجل
بحاجة جامعة للمساعدة ويجب أن يُسايره حتى لا ينهار ويقع هو في كارثة، بينما كان
الرجل يضع يده على كتف إسلام ويُمسد عليه مع كلماته الهائلة:

-حبيبتي يا مها ... أنا كُنت عارف إنك هتيجي ومش هتسيبيني

حاول إسلام حجب اشمئزازه وهو يُغمغم:

-دا انت ملزق أكثر من الواد مُعتر

لم يكثرث الرجل لغمغمته وأخرج من جعبته طوق للشعر يحمل شكل تاج فضي
اللون، رفع هذا الطوق أمام إسلام ليعطيه له متفوّهاً:

-بوصي يا حبيبتي جبتيك إيه ... عشان تبقي أميرة في الحقيقة وقُدام الناس ... زي
ما إنت أميرة بالنسبالي

قرب هذا الطوق نحو رأس إسلام الذي ارتد للوراء حتى التصق جسده بالحائط وهو يهتف باعتراض:

-لا بقولك إيه؟... ابعده البتاع ده عني-

لاحت عوالم الضيق على وجه الرجل وكانت بواذر الانهيار على وجهه حتى تدخل الرجل الغامض وهو يقترب نحو إسلام مُحذراً إياه:

-وافق الله يخليك ده ممكن يروح فيها لو انهار تاني

تنهد إسلام بنفاد صبرٍ حتى قرر أن يُجاري هذا الرجل عنوة حتى لا يؤدي نفسه بسببه؛ رسم البسمة الهائمة المزيفة على وجهه وهو يقول:

-ميرسي أوي يا حبيبي ... دي .. دي حلوة أوي

كان الرجل قد وضع الطوق أعلى رأسه ليجعل صورته أشبه للفتيات، أو أشبه للحمقى، فهذا التاج النسائي أكد على كونه مجنوناً بالفعل، كاد يواصل الرجل الحديث لولا إسلام الذي قطعه متوسلاً ومُقلداً صوت المرأة الذي لم يتماشى معه بتاتاً:

-معلش بقى يا .. يا حبيبي .. لازم أمشي بقى وهنبقى نتكلم بعدين...

بصق تلك الكلمات ثم هرع من أمامه صوب الرجل الغامض الذي جلس على أحد الأرائك، كان لا يزال التاج على شعره لكنه نزع فور أن جلس بجوار الرجل الغامض الذي يحمل معه كتابه ويقرأ منه بنهم، فكانت هيئته لا توحي بأنه مجذوب، بل ربما توحي بعبقريته أيضاً.

-الحمد لله خلصت منه هو إنتو إزاي يعني متعودين على الجو ده ... دا أنا بقالي أقل من ساعة وحاسس إن عقلي هيشت

ابتسم الرجل الغامض ابتسامة متشفية قال بعدها بطريقة علمية:

-الكاتب وليام شكسبير قال : التدقيق في أتفه التصرفات قد يهوي بك إلى الجنون،
لذا تغافل مرة، وتغابى مرتان

ازدادت حيرة إسلام حول هذا الرجل لكنه لا يعلم لم يناهزه إحساسًا بأن هذا الرجل
يخفي أمرًا ما وعليه أن يعرفه الآن، فربما هو من أولئك الذين يدعون الجنون حتى
يتهربوا من أحد الجرائم.

-إلا صحيح يعني، اسم الكريم إيه؟... أصلي شايفك يعني ماسك كتاب ومثقف
ومش وش مستشفيات أمراض عقلية خالص

قهقه الرجل بتشفي قبل أن يغلق الكتاب ويضعه جانبًا ثم يقترب بجذعه صوب إسلام
مستطردًا:

-أنا هقولك اسمي بس بشرط ... أوعي تقول لحد

رفع إصبعه مع آخر كلماته لتزداد الحيرة على وجه إسلام، لكنه يتحلّى بالصمت أمام
ذاك الرجل الذي اقترب بجذعه صوب أذن إسلام متلفتًا برأسه يمينًا ويسارًا قبل أن
يردف بصوتٍ خافتٍ:

-اسمي رأفت

لم ينصت إسلام لحديثه الخافت فسأله مُجددًا:

-إيه؟

تلفت الرجل مجددًا حوله مما زاد إسلام غاربه.

-رأفت... اسمي رأفت

تعجب إسلام من صوته الخافت الذي تبع اسمه، وكان اسمه هو سرٌّ من الأسرار
الحربية، وهذا ما دفع فضوله لسؤال:

-إنت مؤطي صوتك ليه ؟

أحنى الرجل جذعه مجدداً وعاود التلفت حوِّله ثم أجاب بصوتٍ هامس:

-عشان محدش فيهم يسمعنا

قطب إسلام حاجبيه في غرابة وهو يسأل:

-هو مين دول إللي يسمعونا ؟

أجابه رأفت بنفس ذاك الصوت الهامس:

-الفضائيين...

زادت حيرة إسلام وهو يسأل:

-فضائيين مين ؟

أجابه رأفت مُجدداً بصوته الهامس ونظراته المُتلفتة حوله وكأن هناك من يُراقبه
ويترصد له:

-الفضائيين إللي عايزين يبجو الأرض و ... ويدمرو العالم...

تبع حديثه بقهقهة شيطانية جعلت إسلام يضرب كفاً بالآخر وهو يُغمغم بخيبة أمل:

-يا حول الله يا رب ... أنا قولت بردك فين الخازوق

وجه نظره بعيداً عن رأفت وهو يواصل غمغمته اليأسية:

-هي شكلها ليلة مش معدية....

مرّت أكثر من ساعة عليهم وهم داخل المنزل يفكرون بتلك المُعضلة بعد أن أتى
ميجو ومُعترز وأضحى الجميع يتوسّط البهو يحاول اعتصار عقله لعله يستطيع
انقاذهما، كان الأكثر ضجرًا هو لؤي، حيث كان يتجوّل بمُنْتَصَف البهو ذهابًا وإيابًا
بعقلٍ يكاد ينفجر، فما الذي أوقعهما بمكانٍ كهذا؟ هذا ما يُحاول فهمه كما يفعل البقية.

-إحنا لازم نروح نجيبهم ... أكيد مش هنسيبهم محجوزين في مُستشفى المجانين

!!

قالتها قمر باندفاع وكأنها على أهبة الاستعداد لتخليص رفيقة دربها وزوجها
وإعادتهما سالمين، أوقف لؤي اندفاعها بكلماتٍ زادت من إحباطها:

-هنطلعهم إزاي؟ ... بعدين هو إيه إلهي وداهم هناك أصلًا؟

كان صوته مُفعّمًا بالغضب والذيران تتقاذف من عينيه بسبب أولئك الغيبان اللذان
يتعمدا الغرق في المصائب، وكما يعلم لؤي وجميعهم، تلك المصائب التي يقعون بها
لا تنتهي سوى بمصائب أكبر وأكثر دمارًا.

-ما لازم نطلعهم من هناك ... إن شاء الله حتى نهربهم

قالها مُعترز بحدة رافقت رغبته الصارمة بانقاذ صديقه، تلك الكلمات أنبتت بعض
الأفكار داخل ذهن لؤي، مما جعله يتوقف عن السير بُرْهة ويتجه بجسده ليثب أمام
جابر متفوّهاً بتقرير وثقة:

-أنا عرفت هخرجهم إزاي ... جابر...

نادى على جابر فاستجاب له لأنه سيكون بداية هذه الخطة وحلقة الوصل بينهم وبين
إسلام وداليا، ما إن وجه جابر نظراته المُنتبهة صوّب لؤي حتى قال لؤي:

-ادخل جوة إسلام دلوقتي وخليه بيحي هنا عشان أقوله الخطة....

على الجهة الأخرى، حيث الهرج والمرج يعُمان المكان، فها قد انقلبت الحجرة إلى ملعب كُرّة القدم وإسلام يقف في المُنتصف بعد أن تغافل عن عثوره على طريقة للهرب وأضحى الآن يستمتع بوقته ويُمّرر الكُرّة لأحد المرضى الذي بدوّره يتحرك بها حتى أحد الأسرة التي انقلبت إلى مرمى، وكان صوت أحد المرضى يصدح في الأرجاء مُقلدًا صَوْت مُعلقٍ رياضيٍّ وهو جالس على الفراش كعادته، فهو ذاك المريض الذي يعتقد نفسه تلفازًا.

-وهياخذ الكُرّة ... ويباصي ... يلا يا رأفت ... يلا وجوون ... جون... ينهار
أبيض ينهار أبيض....

ارتج جسد إسلام مرة واحدة أثناء قفزه مع بقية المرضى واستعداده لمواصلة اللعب مجددًا، وجد نفسه فجأة يترك هذه الحُجرة لينتقل إلى منزل لؤي وحوّله العديد من النظرات التي تُحدق به في إمعان، ما إن انتقل إسلام إلى هذا الجسد حتى أخذ يهتف بتذمرٍ ويضرب فخذه:

-يخسارة ... كنت خلاص هجيب جون

كان صَوْتُه خافتًا وحمدًا لله أن لا أحد سمِعَه وإلا ظنوا أنه لم يكن بمشفى الأمراض العقلية وإنما كان بساحة رياضية، أو أنه فقد عقله بالفعل.

-هو إنت إسلام؟

قطع شروده هذا السؤال الذي انبثق من ميجو الذي حتى هذه اللحظة يشعر بالذهول حينما ينتقل أحدهم إلى جسد الآخر، انتبه إسلام إلى نظراتهم واسئلتهم فأوماً رأسه إيجابًا ولا تزال بوادِر الضيق على وجهه.

-أيوة أنا ... لسة فاكرين إن...-

قطع جُمَلته ما إن لمح مُعترزٍ يجلس جواره مباشرة بعد أن أفاق من غيبوبته، فما إن رآه حتى اتسعت بسمته وعانقه عناقًا أخويًا ليطمئن عن حاله ويُعرب عن مدى سعادته برؤيته سليمًا مُعافى:

-زيزو !!... عامل إيه؟... كدة يا عم تغيب عننا كل ده؟

كان حديثه مُعَاتِبًا بعض الشيء فأجابه مُعْتَرٍ بُوْدٍ حتى كاد الحوار ينشب بينهما لولا
كلمات لؤي التي قطعتهما:

-مش وقته إنت وهو ... عايزين نعرف دلوقتي إنت وداليا بتعملو إيه في
المُسْتَشْفَى دي؟

اعتدل إسلام في جلسته وهو يُجِيب:

-كنا رايعين نجيب واحدة من المُتَنَقِلِينَ ... أصلي عرفت بالصدفة إنها محجوزة في
المُسْتَشْفَى

تدخلت يُسْرِى بالحديث كي تسخر منه:

-يعني إنتو كُنْتو عايزين تطلعو واحدة من مُسْتَشْفَى المجانين روحتو اتحجرتو
معاها

نهرها إسلام ببعض الاندفاع وكأنه يُبِرر لنفسه أمام القاضي:

-أولاً اسمها مُسْتَشْفَى الأمراض العقلية ... ثانيًا، كل ده بسبب إيلي اسمه جابر ...
هو إيلي دخل فينا في وقت غلط وخلاهم يفتكرونا مجانين

قطع لؤي هذا الجِدال مُجددًا ليردِّف بصورة أمره وقاطعة:

-خلينا في المهم ... أنا عارف طريقة اخرجكم بيها من هناك... بس لازم تركز معايا
عشان أي غلطة هتؤدينا كلنا في داهية....

أشرفت الساعة على الحادية عشر مساءً وفي هذا اليوم الشاق المليء بالأحداث والكوارث، كانت داليا تجلس على فراشها مُستلقية على ظهرها على أحد الجانبين، وكعادتها تتحسر على حالها كما تفعل كلما تواجهها مُشكلة، أي دائماً.

-يعني على آخر الزمن هبقى مجنونة ... على آخر الزمن هعيش بقية حياتي في المُستشفى دي منك لله يا إسلام، هفضل أدعي عليك ليوم الدين_

-هدعي على مين ؟

قطعها هذا الصوت المماثل لصوت إسلام، بل هو صوت إسلام بالفعل بعد أن شرع بتنفيذ الخُطة وانتقل بروحه في طرقات المشفى بحثاً عن الحُجرة التي أُحتجرت زوجته بداخلها، وبسبب ذكاهه الفطري استطاع بنجاح أن يعثر على الحُجرة ويعثر أيضاً عن تلك الحُجرة التي أُحتجرت بداخلها تلك المُتنقلة.

اعتدلت داليا على فراشها تتلعثم قليلاً لتحجب ما كانت تقوله بغُلافٍ من الحيرة والدهشة من مجيئه:

-إنت إيه إيلي جابك؟ ... وإزاي عرفت مكاني ؟

ابتسم إسلام بثقة وهو يُجيبها بفخر:

-عيب عليكى .. فكراني أي حد ولا إيه ؟

قطع حديثهما مجيء تلك الفتاة المدعوة بعلياء والتي لاحظتها من بعيدٍ وهي تتحدث مع الخِواء، دفعها فضولها للجلوس بجوار داليا على فراشها حتى تسألها:

-بتكلمي مين ؟

ترددت داليا قليلاً قبل أن تُقرر مصارحتها وكان هذا القرار اسوأ قرارٍ تتخذه، فطالما حذرتها والدتها من الكذب حتى باتت تقول الحقيقة دائماً دون التفكير في العواقب:

-لا مفيش حاجة ... ده واحد أعرفه، اسمه إسلام

ما إن أدلت تلك الجُملة حتى شهقت علياء بدهشة ليستقط فكها أمتارًا لأسفل ويدها تُغطيه لفترة قبل أن تردف بحماس:

-إنتِ كمان عندك صُحاب زي فيروز...!!

سُرعان ما تشبث ذراعها بذراع داليا وبدأت تلح عليها بطفولية:

-طب ممُكن تخليه يتعرف على فيروز...

بقيت تلح على داليا بطفولية حتى تنهدت داليا بنفاد صبرٍ لتتوجه نظرها نحو إسلام وتُخبرها:

-ماشى ... إسلام ... دي فيروز صاحبة علياء

قطب إسلام حاجبيه بحيرة وهو يرى زوجته تُشير إلى الفراغ وتطلب منه أن يتعرف على فتاة ليست موجودة، فكان يسألها بحيرة:

-فيروز مين؟

غمزت داليا بعينها اليسرى وهي تعض على شفتها السفلية بمعنى ألا يكثرث لحديثها، زادت بسمة علياء وهي تتلفت برأسها يسارًا ثم تُقهقه قهقهاتٍ خافتة وكأنها تُحادث زميلتها وتُخبرها أحد أسرارها الحرجة:

-بس بقى يا فيروز عيب كدة ... إنتِ لسة عرفاه

انحنت بجذعها قُرب داليا كي تهمس بأذنها ببعض الحرج:

-فيروز مُعجبة بإسلام...

لا تعلم داليا سبب اندفاعها في تلك اللحظة، لكنها وجدت لسانه يتنحى عن هدوئه
وينفجر بوجه علياء:

-مُعجبة بمين ... إسلام ده جوزي

بينما كان إسلام يُتابع حديثهما ويُفهقه بتبهنس وذهولٍ أيضاً.

شهقت علياء بذهولٍ عقب كلمات داليا للمرة الثانية، ثم أخبرتها ببعض الشماتة:

-هو إنتو عرفتو تتجوزو ... طب اشمعنا أنا

ربطت ذراعها بتذمرٍ فقطبت داليا حاجبيها وهي تسألها بشكٍ وحماسة:

-هو إنت و فيروز كُنتو عايزين تتجوزو !!؟

نفت علياء حديثها الأحمق بسُرعة حتى لا تفهمها بشكلٍ خاطيءٍ على الرغم من أن
فيروز لا وجود لها من الأساس:

-لأ طبعًا ... أنا كُنت بتكلم عن فوزي

تغافلت داليا عن وجود إسلام وانجرفت بحديثها مع تلك الفتاة حتى سألتها بفضول:

-فوزي مين ؟

اقتربت علياء من أذن داليا وهي تقول بصوتٍ مُنخفض:

-أخو فيروز ... أصل إحنا كُنا بنحب بعض وكلهم مكنوش عايزنا نتجوز

أدركت داليا في تلك اللحظة أنها لن تنتهي من تلك الفتاة وأصدقاءها الخياليين، لذلك
قررت إنهاء الحديث حتى تستمع إلى إسلام وما يُريد قَوْلُه؛ وضعت يدها على كتف
علياء وبدأت تُحادثها بنفس طريقتها لعلها تقنعها بالرحيل:

-طب ممكن تسبيني مع إسلام شوية ... أصل إحنا عايزين نتكلم في موضوع حساس ... وأنا أوعدك إن بعدها هقولك إنت وفيروز تيجو تقعدو معانا

اتسعت بسمة فيروز وهي توميء برأسها بطفولية ثم تبتعد عن فراشها على أمل أن تعود مُجددًا، لهذا السبب قررت داليا انهاء الحوار مع إسلام بسرعة.

وجدت إسلام لا يزال يتذكر عراكها مع تلك الفتاة ويسترخي بظهره للوراء ليستند على باطن كفه متفوّهاً بتبهنس:

-بتغيري !! ... ياه، عيشت وشوفتك بتغيري عليا

لاح الغضب على وجه داليا وهي تنتشل ورقة من دفترها الذي أعطته إياه الطبيبة، جعدت الورقة وألقته على طيف إسلام لتخرقه لكنه بصورة لا إرادية وجد جسده يرتد بعيداً، فغريزة البقاء تجعله يتفادى الضربات حتى وإن لم يكن سيشعر بها.

-يعني يوم ما هغير عليك هغير من واحدة مش موجودة!!

اعتدل إسلام بجلسته وهو يقول مُحذراً:

-طب اسكتي احسن تسمعك

تتهدت داليا لتستجمع هدونها ثم تُعدل من وضعية جلوسها حتى تسأله باهتمامٍ ورغبة عارمة بالرحيل من هنا:

-إنت جاي ليه؟ ... عرفت هنطلع من هنا إزاي؟

أوما إسلام رأسه إيجاباً وهو يقول:

-كُنت جايك عشان كدة ... لازم تخرجي من جسمك دلوقتي عشان نروح لسُمية نتكلم معاها ونتأكد إنها مننا ... عشان لو كدة نهرب كلنا سوا

هممت داليا بتفهمٍ ثم سألته لتتأكد:

-يعني إنت عايزني أخرج من جسمي ؟

أوما إسلام إيجابًا وتأكيدًا فوجدها تُخرج ورقة من دفترها وتكتب بها بعض الكلمات ثم تضعها بجوارها على الفراش استعدادًا لتنفيذ ما أمرها به إسلام.

قطب إسلام حاجبيه بحيرة وهو يُقرأ ما دوّنته في تلك الورقة بصوتٍ مسموع لم تسمعه سوى داليا:

-أنا مش ميتة .. دا روعي هي إلي خرجت

رفع رأسه ليواجه داليا وبداخله يلعن هذه الحماقة:

-إنت عبيطة يا داليا؟... ما روعي خرجت هي هي ميتة

فكّرت داليا في حديثه لبرهة لتكتشف أنه على صواب، هذا ما جعلها تنتشل الورقة مُجددًا وتدوّن كلمة أخرى وهي تقول:

-تصدق عندك حق...

وضعت الورقة مُجددًا على الفراش ليلتقطها إسلام بعينيه ويسخر منها بصوتٍ مسموعٍ بالنسبة لها فقط:

-أنا مش ميتة ... دا روعي هي إلي خرجت في مشوار!!

ضرب كفّ على الآخر وهو يواصل حديثه بحسرة:

-يا حول الله يارب ... البت مخها اتلحس من كام ساعة هنا

نهرته داليا وهي تُدافع عن نفسها وتُبرر موقفها:

-الله ... مش إنت إلهي قولتلي إن ميتة يعني روجي خرجت ؟

-تقومي إنتِ حظيتي خرجت مشوار ... على أساس إنها كدة هتفرق يعني ؟

كان يُحادثها بسُخرية منها لكنه يجدها توميء برأسها ببلاهة وتُبرر مجددًا مُتذكرة ما حدث بالماضي:

-ما لازم يعرفو إن أنا مش ميتة احسن يدفنوني زي ما حصل قبل كدة

وضع إسلام كفه على يدها كمحاولة لطمأنتها بحديثه:

-يا داليا يا حبيبتي ... مفيش حد أساسًا هياخد باله، هي كلها كام دقيقة هنروح نشوف فيهم سُمية وهترجي لجسمك تاني عشان ننفذ الخطة الأساسية

تنهدت داليا بخيبة أملٍ وبعض التردد فيما هُما مُقبلان عليه، فأخر مرة، أخبرها أنهما سيقضيان بضع ساعاتٍ في هذه المشفى وها هُما الآن أصبحا مُحتجزان لُمدة غير معلومة، والآن يُخبرها أن تترك جسدها لوضع دقائق لا تعلم ما الذي سيحدث فيهم، فدائمًا ما تترك جسدها وهي وحدها بالمنزل حتى لا يعتقد أحدهم أنها فقدت رُوحها ويقومون بدفنها كما حدث بالماضي، ومع ذلك قررت أن تستجيب لحديثه على أمل أن ترى تلك المُتنقلة وتعلم من وضعها بمكانٍ كهذا....

أطيافٌ تتحرك في طيات رُدهة المشفى كسرب الطيور الذي يُحلق دون أن يُعيّره أحد أي انتباه، أطياف تتحرك بهمسٍ لا تُرى ولا تُسمع ولا تُشكل فارقًا في مساحة هذه الرُدهة الضيقة، فالأجساد المادية تخترقها كما لو كانت غير موجودة.

تحركت هذه الأطياف الخاصة بروح إسلام وروح داليا، اللتان تركتا جسديهما بحثًا عن ضلعهم المُختفي والذي سُميساعدهما على تنفيذ حُلمهما، أشار إسلام بأصابعه على أحد الحُجرات المعزولة ثم يُشير على داليا حتى تتبعه، قبل أن تخترق أجسادهما هذا

الجدار الأبيض، التفت إسلام صوّب داليا كي يُخبرها بصوتِ هامسٍ تحسبًا لمقدرة تلك الفتاة على سماعهما:

-إحنا هندخل ومش هنفتح بوقنا لو هي شافتنا ... يبقى هي واحدة مننا

أومأت داليا رأسها ولاظت بالصمت حتى اخترقت أجسادهما هذه الحُجرة بهدوء....

فتاة شاحبة الملامح تجلس على فراشها الوثير بخُصلات شعرٍ بُندقية مموجة تنسدل على كتفها بعشوائية نمت عن قلة اعتناءها بتلك الخُصلات الطويلة، عيناها السوداء الغائرة أظفرت عن مدى يأسها من تلك الحياة، تلك الجفون الحمراء دليلاً على بُكاءها بالساعات في تلك الحُجرة التي سجت خُريتها وكبلت أحلامها.

تحمل معها دفترًا ورديًا وقلماً ترسم به دوائر وخطوطٍ لا فائدة منها، ربما تلك الدوائر تُعرب على تيهها وتلك الخطوط المُتعرجة تُعرب عن صعوبة طريقها، فلا أحد يمر بما مرّت به ويزال مُتلعقًا بأحبال هذه الحياة.

استطاع إسلام وداليا اختراق جدران تلك الحُجرة ولا تزال هذه الفتاة تُخط على هذا الدفتر وكأنها لا تنتبه لوجودهما، بقي إسلام يتحرك بتأنٍ حتى وثب مباشرة أمام فراشها، ولا تزال هي على وضعيتها وكأنها لا تراهما.

-شكلها مش شايفانا ... أنا كُنت حاسة من الأول إنها مش مننا

بصقت داليا تلك الكلمات بصوتٍ مسموعٍ أعرب عن خيبة أملها، فاحتجازهما في مكانٍ كهذا ذهب هباءً بلا أية فائدة.

توقفت عن الرسم بذاك الدفتر لتنتسح حدقتها في زهول ما إن اخترقت تلك الكلمات أذنها، تركت القلم ببطء لترفع رأسها بتلك الأعين المُتسعة التي وجهتها مباشرة صوّب إسلام وداليا، وبشفاهٍ مُرتجفة مُترددة أخذت تسأل:

-إن... إنتو مين ؟ ...ووعايزين مني إيه ؟

قالتها بصوتٍ مُرتعدٍ تظن أنهما زوجين من الأطباء جاء من أجل علاجها كما يحدث دائماً، فلطالما تهربت من العلاج وأخبرتهم أنها ليست مجذوبة.

نمت بسمة واسعة على ثغر إسلام وهو لا يُصدق أنها تسمعهما، كانت اللفظة تُلُطخ صوته وهو يقترب أكثر نحوها ليجلس على حافة الفراش يُريد أن يتأكد من شكوكه بسؤاله:

-إنتِ شايفانا ؟

لاحت الحيرة على وجهها وهي تبادل حدقتيها بينهما في غرابة ولا تفهم لم يسألها إذا كانت تراهما أم لا ؟ فهما أمامها وكأنهما حقيقيين، جلست داليا على حافة الفراش من الجهة الأخرى لتتأكد هي الأخرى بسؤالها المُتلّف:

-إنتِ سامعانا وشايفانا كدة عادي ؟

تصاعد التوتر داخل سُمية وهي تُبادل نظراتها بينهما وسخونة تجتاح جسدها وهي تقول بخوف:

-ه... هو في إيه ؟... إنتو عايزين مني إيه ؟... ووليه بتسألو إذا كُنتِ شايفاكم ؟

حاولت داليا التهدئة من روعها وهي تقول:

-متخافيش ... أنا داليا ... وهو إسلام

أشارت على إسلام مع آخر حديثها ثم واصلت الحديث بنبرة ودودة:

-إحنا الاتنين محدش يقدر يشوفنا عشان إحنا مُتقلين ... وطالما إنتِ قادرة تشوفينا يبقى إنتِ واحدة مننا

تقاذفت عليها المعلومات كحجارة صلبة تُقذف على رأسها من مسافة عالية، وضعت كلتا يديها على أذنيها تُغطيها وكأنها تحاول منع هذه المعلومات من اختراق عقلها

والعبث بها مُجددًا، فهذا هُراءٌ ولا وجود له من صحة، هذا ما أخبروه بها وما يجب أن تُصدقه حتى تترك ذاك المكان.

-لأ..لأ..إنت...إنتو كدا بين ... إنتو مش حقيقيين ... إنتو موجودين في دماغي بس ... أنا مش متنقلة، أنا واحدة عادية ... إبعدو بقى عني

كانت نبرتها مُرتعدة وبعض القطرات تنبثق من عينيها جعلت الشفقة تغمرهما، حاول إسلام تسلم ضفاف الحديث لعله يُهديء من روعها ويشرح لها بهدوء:

-متخافيش ... إنتِ كمان تقدري تبقي زيينا تقدري تتحركي بروحك من غير ما حد ياخذ باله... حاولي بس _

كان يُريد إرشادها على طريقة تتبعها حتى تتحدث معهما بروحها، لكنها فاجئته بقطعها لحديثه بنبرة باهتة واثقة:

-عارفة ... عارفة إني ممكن أبقى زيكم ... وجربت كثير ... بس...

صمتت بُرهة لتأخذ نفسًا عميقًا وتُخرجه لعلها بتلك الطريقة تحجب هذه النيران المتأججة داخلها، بقيت تلتقط أنفاسها وتُغلق عينيها ثم تفتحهما وسط نظرات التيه المتبادلة منهما، وجدا سُمية تُطيل إغلاق جفنيها ثم تسترخي بظهرها للوراء عازمة على الحديث معهما بأريحية قبل أن يراها أحد الأطباء ويُطيل من مُدة بقاءها هنا، فما هي إلا بضع ثوان حتى وجدا طيفها يترك جسدها الذي ارتمى على الفراش كجثة هامة.

ابتعدت سُمية عن جسدها تمامًا وأخذت تتحرك داخل الحُجرة حتى توقفت أقدامها على أريكة صغيرة ملاصقة لفراشها الصغير، ارتمت على تلك الأريكة مُكملة ما تبقى من جُملتها المُعلقة:

-عايزة أعيش طبيعية ... مش عايزة أعمل كدة تاني ... مش عايزاهم يفتكرو إني مجنونة

بقيت داليا تُراقبها بشفقة وداخلها يضرر بعض السعادة لسهولة اقناعها بالثبوت، فيبدو أنها شهدت الكثير من وراء تلك اللعنة كما شهدت هي وزوجها، لكن فضولها هذه المرة انتصر على لهفتها كالعادة وجعلها تسأل:

- هو إيه إيلي جابك هنا ؟

تحلّت سُمية بالصمت لفترة وجيزة قبل أن تشيح بأنظارها عنهما وتُجيب بنبرة فاترة متألّمة :

-مرعي ... مرعي أخوية هو إيلي خلاهم يحجزوني هنا

تحرك إسلام من موضعه ليجلس بجوار داليا أمام سُمية مباشرة بأعينٍ جاحظة لا تُصدق ما يُتلى على مسامعه، كيف لشقيقٍ لا يحمل في قلبه ذرة شفقة أن يُلقي بشقيقته في مكانٍ كهذا ؟ كيف له أن ينعته بالجنون وهي أعدل منه ألف قيراط ؟ فهو الذي يستحق أن يبقى هنا بعدما فعل.

-أخوكي !! .. إزاي ؟... وإزاي أهلك سابوه ؟

سألها إسلام بصوتٍ مُندفع لتسرق سُمية بعض الأنفاس ثم تطلقهم في الهواء مُقررة أن تُزيح هذا الهم عن كاهلها وتفصح عن معاناتها:

-أهلي ماتو من وأنا صَغيرة ... ماتو في حادثة بالقطر ... وأخوية مرعي هو إيلي رباني بس هو مُتشدد شوية

تنهدت تنهيدة عميقة قبل أن ترفع رأسها لتواجهها مُسترسلة:

-في يوم صحيت لقيت نفسي في جسم ثاني كان واحد اسمه إحسان...

اتسعت بسمتها وهي تواصل هذا الشيق من الحكاية أمام نظرات إسلام وداليا المُستفهمة:

-فضلنا نبدل جسمنا لغاية ما عرفنا نقابل بعض ... عرفنا إن احنا الاتنين نقدر
نعمل حاجات محدش يعملها ... درّبنا نفسنا إننا نستخدم قدرتنا ... لغاية ما عرفنا
نتحكم فيها كويس روح إحسان كانت علطول تقابلني، كُنت بقعد أتكلم معاه وقت
ما أنا عايزة وأنا كمان... كنت ساعات بسبب جسمي واسافرله لما اكون
محتاجاله بس...

أخضت وجهها لتتلاشى عوالم اللهفة وتحوّل في أقل من ثانية إلى أخرى مُتخمة
بالضيق والألم:

-مرعي شافني قبل كدة وأنا بكلم روح إحسان قعد يز عقلي وقالي متكلميش
نفسك تاني كان بيلاحظ كمان تصرفاتي الغريبة إللي بيعملها إحسان لما بيدخل
جسمي ... كل ده أكدله إن فيا حاجة ... مع إني حاولت أقوله الحقيقة، حاولت أقوله
إللي أقدر أعمله، أنا حتى وريته إزاي بخرج من جسمي....

رفعت رأسها مع آخر كلماتها بعد أن انسجمت بالحديث مُتذكرة كل ما حدث في تلك
الأيام الأليمة، أخضت رأسها مجدداً لتواصل بنبرة خافتة تكاد الدموع ترافقها وتعانق
وجنتيها:

-مصدقنيش ... وقال عليا مجنونة، وكان بيز عقلي، ده حتى افكر إني ملبوسة
وحبسنني في البيت ... ساعتها اتضايقت وقولت لإحسان لما روحته بروحي ...
إحسان قال إني هيطلب إيدي ... وفعلأ عملها...

نمت بسمه هادئة على ثغرها سرعان ما تلاشت ليحل محلها العبوس مُجدداً وهي
تواصل:

-بس مرعي رفضه ... وقاله إني مجنونة ... وإنه مش هيخليني أتجوز قبل ما
اتعالج ... بعدها لقيته كلم المُستشفى وخلاهم ياخدوني على الخانكة ومن وقتها
معرفش أي حاجة عن إحسان ... ومعرفش إيه إللي حصله بقالي ثلاث سنين
هنا، حاولو يكهربوني كتير، بس أنا كُنت بسبب جسمي واوهمهم إني ميتة أو اغمي
عليا ... عشان كدة مكنوش عارفين يعالجوني

قطعت داليا حديثها بسرعة رغبة في ملئها بشعلات الأمل حتى تُثير عُمتها؛ تركت الفراش لتقترب نحوها وتركع على رُكبتها كي تُحادثها بثقة:

-إحنا هنعرف نعالجك ... إحنا نعرف طريقة للتثبيت ... ولو جيتي معنا هنخلصك من اللعنة دي تمامًا

وجهت سُمية نظراتها نحو داليا بعوالم اليأس التي لاتزال مُلاصقة لوجهها:

-آجي معاكم إزاي؟ ... وأنا عارفة أخرج من المكان ده

هنا تسلّم إسلام ضفة الحديث بوثوبه عن الفراش مُحادثًا كليهما في ثقة:

-هنعرف كمان نخرجك من هنا، وهنُخرج معاكمي ... بس تنفذو إلي هقولكم عليه....

باليوم التالي حيث بداية خطتهم للرحيل من هنا، تُعانق الشمس سفوح الأرض مُخلفة وراءها خليطٌ من الألوان البنفسجية والبرتقالية وغيرهم من الألوان المُبهرة، ووسط تلك النسومات العليلة والرطوبة العالية، كان الأطباء يجتمعون داخل حُجرة فسيحة حيث المرضى يلتفون حولهم في حيرة أمام جسد إسلام المسجي على الفراش بشفاهٍ زرقاءٍ كالبحر الميت، ووجهٍ أبيضٍ كلون مُعطف الطبيب الذي يضع سماعته على قلب إسلام يتحسس نبضاته بتوتر، فما أمامه لا يدل سوى على فُقدان هذا المريض لحياته، وفُقدان المريض لحياته لا يعني سوى مسألة المشفى قانونيًا وربما تُرفع دعوة قضائية تتهمهم بالإهمال.

تؤثر الطبيب ولم يكن يعلم ما يفعل، يتصبب العرق من جبينه وهو يطلب من بقية الممرضين بإزاحة هذا الجسد إلى حُجرة أخرى لتتسلمه مشفى عامة وتدعي أنها حاولت إسعاف المريض حتى لقي حتفه وبالطبع سيدفع الثمن لتلك المشفى، هكذا يحاول حجب حقيقة مؤته داخل مشفتهم العريقة، وفي نفس الوقت يتخلص من تلك الجثة.

وكان إسلام يقف بين هذا كله يُتابع ما يحدث من بعيدٍ وعلى وجهه ابتسامة مأكرة....

أسدلت السماء ستارها وكانت هذين السيارتين تتحركان بسرعة على الطريق وراء سيارة الإسعاف مباشرة، صوت احتكاك السيارتين لا ينفك سوى على سرعة تحركهما وإصرارهما على تأدية تلك المهمة على أكمل وجه.

بعد بضع أمتار، توقفت سيارة الإسعاف نتيجة هذه السيارة التي عرقلت طريقها الذي يبتعد عن مشفى الأمراض العقلية ببضع أمتارٍ فقط، ترجل لؤي من سيارته كما يترجل زعيم العصابة وهو يُوقف سيارة حتى يسرقها، فلطالما كان ضابطاً طوال حياته، لكنه منذ أن تعرّف على أولئك الأصدقاء وهو يرتكب جميع انواع الجرائم التي لم يتوقع أنه سيرتكبها يوماً، ولا يعلم حتى لم يفعل هذا من أجلهم.

أشهر لؤي سلاحه على سائق سيارة الإسعاف الذي رفع يديه مُستسلماً أمام هذا المُلثم الذي لا يعرف أنه ضابطاً، كان ميغو من الجهة الأخرى يُمثل دور المُجرم الذي يليق عليه كونه مُجرماً سابقاً، أشهر سلاحه على الأطباء وأجبرهم على الترجل من السيارة رافعي الأيدي راعين على الأرض حتى يستطيع خالد ومُعتر تكبيلهما، فكان خالد يعتذر لهما وهو يُكبلهما.

بعد أن انتهوا من أمر هؤلاء الأطباء، خرج بقيتهم من السيارات بعد أن تلطخت السماء بُعتمة الليل، تذرروا بظلال الأشجار التي اكتنفت ملابسهم وجعلتهم كالأشباح بالنسبة للمارة، فلا أحد بالعادة يمر بجوار هذه المشفى التي تقع في بُقعة خالية من السُكان، وهذا لحسن حظهم.

يقف لؤي أمامهم مباشرة يُلقي عليهم التعليمات بينما كان ميغو يحرس الأطباء كما المُتفق، أزاحوا الأقنعة عن رؤوسهم وارتدوا بدلاً منها معاطف بيضاء مُدعيين أنهم أطباء سيدخلون المشفى وينتشلون تلك الجُثث.

-شمس وقمر هيروحو لداليا ... كوكي ومُعتر هيروحو عند إسلام خالد ويُسرى وجابر هيروحو عن المُنتقلة الجديدة، وطبعاً جابر هو إلي هيعرف يحدد مكانها بالضبط ... وانا وميغو هنفضل هنا نراقب الدكاترة دول عشان ميفضحوناش التصاريح المُزيفة إلي عملتهاكم هتساعدكم تاخذوهم وكأنهم جُثث... مش عايز أي

غلطة ... ومش عايز أي مصايب، الموضوع سهل وبسيط، كل إللي هتعملوه هو
إنكم هتجيبو الجُث من جوة تنقلوهم عربية الإسعاف... إتفقنا؟

أومأوا رؤوسهم إيجابًا عازمين على تنفيذ تلك الخطة على أكمل وجه، أو على الأقل
نصف وجه....

تتحرك قدما مُعتز في جميع الاتجاهات بحثًا عن الحُجرة المُرادَة، الحُجرة التي من
المُفترض أن يجد فيها إسلام، كانت كوكي بجواره تتفحص بعينيها جميع الحُجرات
بينما كان طيف إسلام يقف على مقربة منهما يُريد إرشادهما لكنه لا يعلم كيف، فلا
يستطيع حتى الانتقال إلى جابر حتى لا يُعركل اتصاله بسُمية ومعرفة عن مكانها.

بعد العديد من المحاولات والكثير من البحث الشاق، خرجت كوكي من إحدى
الحُجرات وعلى وجهها عوالم اللهفة والانتصار أثناء قولها:

-زيزو I found him ...

عادت مُجددًا داخل الحُجرة ليتبعها مُعتز نحو هذا الجسد المُغطى بملاة بيضاء، وضع
مُعتز يده على الملاة ليرفعها ويتفقد وجه إسلام الشاحب الأشبه بالموتى، لكنه يعلم
جيدًا أنه لا يزال على قيد الحياة، كما يعلم أيضًا أن زوجته استطاعت بذكاءها
وفطنتها أن تعثر على الحُجرة المُرادَة.

لاحت بسمة الإعجاب على وجهه وهو يُغطي وجه صديقه مُجددًا ليلتفت ببسمته نحو
كوكي التي تبادلته نفس تلك البسمة وتستمع إلى حديثه بخجلها المُعتاد:

-الله عليك يا أحلى ناجتس في حياتي...

تناسى ما أتيا لأجله والتفت نحو كوكي ليُغازلها بطريقته كما اعتاد أن يفعل في تلك
الأوقات العصبية، أو في كل الأوقات.

-تعرفي يا حبيبيتي إيه وجه الشبه بينك وبين الأرض ؟

عضت كوكي على شفتها السفلية وهي تسأل بصوتٍ خافتٍ خجل:

-إيه ؟

أجابها بنفس هيامه وحدقتاه مصؤبتان على خاصتها:

-إنتو الاتنين عندكم جاذبية

ما كاد يستمع إلى ردة فعلها حتى أتته صفة مدوية على رقبتة من الخلف جعلته يتأوه بألمٍ ويستمع إلى صوتٍ إسلام الغاضب الذي لم يتحمل هذه الرومانسية المفرطة التي لا وقت لها وعاد إلى جسده حتى يزره:

-إخلص يا حيوان بدل ما أجيبك مكاني هنا بحق وحقيقي

ملس مُعتر على رقبتة بألمٍ بينما ارتدت كوكي إلى الخلف حتى لا تنال من غضب إسلام شيقاً، ترك إسلام جسده مُجدداً بعد أن انتقل على فراشٍ مُتحركٍ ليحركه مُعتر ويترك به الحجرة، أغلقت كوكي الباب وراءها وطفقت تسير بجوار مُعتر على رُدهة المشفى استعداداً لنقل تلك الجثة وفق التصريح المزور والذي يقول أنهما تابعان لتلك المشفى الخاصة الصغيرة التي ستسلم الجثث وتدعي معالجتها بعد أن حصل مُديرها على مبلغٍ جيدٍ من المال.

استوقفهما واحدٌ من كبار الأطباء حاملاً معه مجموعة من الأوراق، لم يكن يدري ما الذي يفعلانه هذين الغريبيين بتلك الجثة، وأراد أيضاً أن يتأكد أنهما من تلك المشفى، لذلك سأل بحدة وطريقة رئاسية:

-بتعملو إيه ؟

حمم مُعتر وهو يبتعد بيديه عن الفراش محاولاً استجماع كلماته والمحافظة على هدوءه أثناء الإجابة:

-إحنااا ... إحنا من مُستشفى رحيم ... كنا متفقين إننا ننقل الجُثث عندنا في
المُستشفى

همهم الطبيب بتفهم ولا تزال نظرات الصرامة تلوح على وجهه وهو يسأل:

-فين التصريح ؟

أوما مُعترز رأسه بثقة حاول معها إخفاء ارتبائه، فنظرات هذا الطبيب تجعله يعتقد أن
أمرهما سينكشف أو أنه سيكشفهما بسهولة، مع ذلك حافظ على هدوءه وهو يُخرج
ورقة التصريح المطوية من جعبته ويمدّها نحو ذاك الطبيب الذي انتشلها وبسطها
أمام عينيه ليتفحصها ويتأكد من هويتهما.

ربتت كوكي على يد مُعترز لثهديء من روعه وتُخبره أن الخطة تسير على قديم
وساق، لكن اطمئنانهما ذهب مع أسراب الطيور حينما لاحت عوالم الغرابة على وجه
الطبيب وهو يقرأ ما بالورقة بصوتٍ مسموع:

-جبنة رومي ... مربى فراولة ... عيش فينوو_

قبل أن يواصل القراءة انتشل مُعترز تلك الورقة بعرقٍ يتصبب من جبهته لهذا الخطأ
الذي ارتكبه:

-لا لأ ... مش دي الورقة ... ثانية واحدة

طوّى الورقة مُجددًا وأعادها داخل جعبته ليُمّرر يديه على بنطاله ويتفقد جميع جيوبه
بحثًا عن تلك الورقة التي أدرك الآن أنه لن يجدها أبدًا.

-في إيه يا زيزو ؟

سألته كوكي بارتباكٍ وصوتٍ خافتٍ فأجابها بارتباكٍ يفوقها أضعافًا:

-أنا شكلي كدة جبت ورقة السوبر ماركت بدل التصريح

زادت كلماته من ارتباكها فسألته بصوتٍ خافت:

-طب وهنعمل إيه؟

-معرفش ... معرفش يا ناجتس

هكذا أجابها مُرتبًا والعرق يكاد يتصبب كقطرات الندى الساخنة، رفع رأسه ليواجه نظرات الطبيب المُترقبة لعله يستطيع استخدام أية حيلة للتخلص من تلك المُعضلة:

-أنا تقريبًا نسيت التصريح ... ممكن ناخذ الجُثة وبعدين نبقي نشوف موضوع التصريح ده بعدين؟

سأله بعوالم مُستعطفة لم تُزعزع هذا الطبيب ولا نظراته المُرهبة، فكان عقله صلبًا كصلابة الجبال وهو يرفض طلبهما بصرامة:

-للأسف مش هينفع ... اتفضل رجع الجُثة مكانها وإلا هطلبك الأمن

تبخرت جميع الحلول السلمية من أمامه ولم يتبقى سوى آخر حلٍ لم يُرد أبدًا اللجوء إليه؛ أعاد ظهره للوراء وهو يقول بخفوتٍ مُؤجهاً حديثه نحو كوكي:

-إحنا كدة مُقدمناش إلا حل واحد...

أنهى حديثه تزامنًا مع دفعه للفراش دفعة قوية اصطدم على إثرها هذا الطبيب المُتعجرف وجعلته يسقط على ظهره، هرؤل مُعتز بسرعة داخل المشفى مُستمعًا إلى صياح ذاك الطبيب الذي يأمر رُملاءه باللاحاق بهما...

على جهة أخرى كانت قمر تجر الفراش الذي تقبع فيه صديقته داليا وجوارها شمس شقيقتها تتحرك بجوارها حتى تركا تلك الحُجرة، كانت شمس تلتصق بشقيقتها عازمة على جرّ الفراش وهي تقول بجِدال:

-يا قمر بقى سيبي السرير أنا إلی المفروض أجره

دفعتها قمر بعيداً عنها باعتراضٍ وجدالٍ:

-لأنا الكبيرة ... أنا إلهي هجره

زادت شمس من نبرتها المُجادلة وهي تدفع قمر بعيداً عن الفراش:

-إنتِ جريتي السرير وإحنا داخلين المُستشفى، يبقى المفروض ده دوري...

وهكذا أخذت الشقيقتين تتجادلان على من منهما تُحرك الفراش بينما كانت روح داليا تُتابعهما من بعيدٍ وتضرب يدها بجبهتها متفوّهة بخيبة أملٍ وتؤبّخ:

-يعني ملقتوش إلا الاتنين دول ؟

زادت حدة الجدال بينهما حتى تناسيا أنهما داخل مُهمة يجب عليهما تنفيذها دون ارتكاب الكوارث، أرادت شمس أن تنتصر بتلك المعركة فجذبت الفراش عنوة لتدفعه بسُرعة داخل رُدْهة المشفى؛ استشاطت قمر غضباً من تلك الحركة فانقضت على شقيقتها لتجذب منها الفراش وتُحركه هي.

لكن ما حدث، أن نتيجة هذا العراك لم تكن بصالحهما، فعندما دفعت قمر شمس بعيداً عن الفراش حتى وجدته ينقلب ويسقط على الأرض جهة اليمين، هوى جسد داليا على الأرض ليرتطم ارتطامة قوية دفعت داليا للعودة إلى جسدها مُجدداً، فما إن يتألم الجسد المادي تفقد الروح قُدرتها على التنقل بأريحية.

عادت داليا إلى جسدها عنوة تضع يدها على ظهرها بألمٍ نتيجة هذه الارتطامة، بقيت تتألم بصوْتٍ مُرتفعٍ وتسبّهما بغضب:

-أبو شكلك إنتِ وهي فاكرين نفسكم بتتخانقو على عربية بورش

توقفت داليا عن السباب والألم حالما استنتجت هذا السرب من الأطباء والمرضين الذين تركوا أعمالهم فجأة ليُطالعوا تلك الجثة التي عادت للحياة مُجدداً!!

تجهمت وجوههن واحتقن وجه داليا وهي تُدرك أن خروجها من هنا، سيضحى ضرباً من الخيال، اتكأت على ذراع قمر حتى تثب عن الأرض تزدرد ريقها في خوفٍ بينما كانت شمس تقول بارتباك:

-شكلنا مش هنعرف نخرج من هنا

تراجعت قمر بضع خطواتٍ للوراء وهي تقول بصوتٍ خافتٍ مُقررٍ:

-إحنا كدة هنلجأ للى إحنا مكناش عايزينه ... إجرو...

رفعت صوتها مع آخر كلماتها مما دفع كُلَّ من داليا وشمس للركض بأقصى ما لديهما داخل رُدهة المشفى ووراءهن سربٌ من الممرضين والأطباء وبعض رجال الأمن أيضاً...

بنفس تلك اللحظة وداخل جحافل هذه المشفى الواسعة، كانت يُسرى تجرُّ فِراشاً فارغاً داخل الرُدهة بجوارها خالد يتفحص معها عوالم المشفى الخاصة بالأمراض العقلية بينما كان جابر على مَقربةٍ منهما يتلفت يميناً ويساراً لعله يعثر على طيف تلك المُنقلة.

-المُستشفى دي ... بتفكرني بآدم إللي في الجزار ... تفكر هنلاقي هنا حد زيه

قالتها لخالد الذي فهم مقصدها فوراً وأكد عليها بلهفة:

-نعم هذا صحيح ... هذه الحُجرة تُشبه تلك التي كان يتم علاجه داخلها...

بقيا يُثرثران حوّل تلك الرواية بينما التقطت عينا جابر طيف فتاةٍ ذات ملابس بيضاء وبسمة تنم عن البراءة والقلق خاصة بتلك الحُصلات البُنديقية المُنسدة على وجهها كشلالات أنجل؛ اتسعت بسمة جابر ما ان تقابلت عينيها وخطا نحوها خطواتٍ قليلة قبل أن يسألها بصوتٍ خافت:

-إنتِ سُمية؟

لم تنبس ببنت شفة واكتفت بالإيماء برأسها إيجاباً والإشارة بإصبعها على تلك الحُجرة التي يلتصق ظهرها ببابها، فهم جابر فوراً أنها الحُجرة التي يقبع جسدها داخلها فأشار على كُلِّ من يُسرى وخالد مستطرداً:

-تعالو بُسرعة ... أنا لقيت الأوضة-

كانت تلك الحُجرة هي نفسها التي سُجنت بها مُسبقاً، فلم يُكلف الأطباء أنفسهم حتى ينقلونها إلى حُجرة أخرى حتى تأتي المشفى الأخرى وتنقلها من هنا، اقتحموا الحُجرة بروية واتجهوا فوراً صُوب جسد سُمية المسجي على الفراش لترفعها يُسرى بمساعدة من خالد وينقلونها إلى الفراش المُتحرك ثم يتركوا الحُجرة في هدوءٍ لا يُعكره شائبة.

تحركوا مُجدداً على الرُدهة عازمين على ترك المشفى كما اتفقوا عليه، إلى أن جابر استوقفهما وهو يتلوّى كدجاجة مُبنتلة، كانت قدماه تضربان على الأرض أثناء قوله:

-بقولكم إيه ... أي محسور ومحتاج أفك مائة ... خليك هنا دقيقتين وهاجي

أومأت يُسرى برأسها هي وخالد وبقيا على حافة الرُدهة بجوار دورة المياه التي دخلها جابر، أغرق الفضول كيان يُسرى حتى دفعها لرفع الغطاء عن وجه تلك المُتنقلة حتى تراها، كانت ملامحها شاحبة وشفتيها زرقاء ومع ذلك لا تزال مُحفظة ببرانتها.

-تفتكر روحها موجودة حوالينا ... أنا عايزة اتعرف عليها أوي

قالتها يُسرى بتمنٍ ورغبة عارمة بالحديث معها ولو بضع ثوانٍ، كانت سُمية قد استمعت لها ورأت أن الوقت مناسبٌ حتى تعود إلى جسدها ولو لبضع ثوانٍ فقط قبل أن يُلاحظها أحد، فالردهة خالية تماماً من الجميع.

عادت سُمية إلى جسدها لتعود إليه نضارته وتُزهر شفتيها لتُصبح وردية اللون بدلاً من زرقاء، فتحت سُمية عينيها بهدوءٍ لتلقى نظرات يُسرى المذهولة والمُتلهفة في نفس الوقت، حاولت الاعتدال بجسدها قليلاً حتى تواجههما وتقول بلطافة:

-إزيكم ... أنااا ... بجد مش عارفة أقولكم إيه...ش..شكرًا عشان بتساعدوني

كانت نبرتها خجلة ودودة جعلت يسرى تُمسد على كتفها بحنانٍ جارفٍ محاولة
إخبارها أنها الآن فردًا منهم.

-ولا يهَمِك ... أنا بس مش مصدقة ليه واحدة زيك تيجي هنا

آحاط خالد ذراعه حول زوجته كي يُجيبها بحكمته المعتادة والتي وجهها نحو سُمية
لعله يواسي جراحها:

-لا بأس يا عزيزتي ... هكذا هو العالم، من يقول الحقيقة يتم نعته بالجنون

خرج جابر من دورة المياه في تلك اللحظة تزامنًا مع اختراق أذنيهم لصوتٍ مُعداتي
ترتطم بالأرض مُخلفة وراءها صوتًا أذعر النفوس، تركت سُمية جسدها مُجددًا
ليرتمي على الفراش وتُغطيه يسرى بأصابع مُرتجفة ونظرها مصوبٌ أمام هذا
الطبيب الذي يُحدق بهم بعيونٍ جاحظةٍ وجسدٍ مُتصلب، هل رأى بالفعل جُثة تتحدث
؟!

-إل...إيه ده ؟

قالها الطبيب بأصابع مُرتجفة تُشير على الجُثة التي رآها تتحرك على الرغم من
سكونها؛ التصقت يسرى بذراع زوجها بينما التصق جابر بخالد ويدها تقبضان على
الفراش استعدادًا لأية حركة مفاجئة.

-شكله شافنا ... شكله شافنا

قالتها يسرى بذعرٍ وصوتٍ هامسٍ هدائه خالد بنبرته الحكيمة:

-لا تتحركوا ... حافظوا على هدوءكم وثقتكم ... فالحكمة تقول : إذا أردت أن
تستحوذ على عقل شخصٍ آخر ... فاجعله يبدو مجنونًا

فهم جابر مقصده فسُرَّ عان ما وجه نظراته صَوَّب هذا الطبيب ليسأله مُدعيًا البلاهة:

-في إيه يا دكترة ... إحنا جاينين ننقلو الجثة

بقيت أصابع الطبيب مُنبسطة أمامه وهو يقول بارتعاد:

-الجج...الجثة ... أنا شوفتها...!

بقيت جملته مُعلقة وشفته لا تستطيعان الحديث وعقله أبيعًا للتصديق، أكملت يُسرى
جُمَلته تنفيذًا لتلك الخُطة الماكرة:

-بتتحرك !!... شوفتها بتتحرك ؟

أوماً الطبيب رأسه إيجابًا والخوف بادٍ على ملامحه، بينما انبثقت قهقهة ساخرة من
خالد تبعها بحديثٍ واثق:

-ما الذي تقوله يا هذا...

بقي يُقهقه بسُخرية حتى أضاف جابر على حديثه بنفس تلك السُخرية الزائفة التي
أخفت حقيقتهم:

-جثة إيه إلهي بتتحرك ... هو حد يصدقو الكلام ده بردو

توالت مسرحيتهم أمام أعين الطبيب الذي جعلوه يبدو مجذوبًا، انتشل الطبيب أمتعته
عن الأرض وتقدم نحوهم خطوة وهو يقول بثقة:

-والله شوفتها بتتكلم ... أنا متأكد

رفع جابر الغطاء عن وجه سُمية لُيري الطبيب شحوب وجهها مؤكدًا على كلامه:

-شوفتها إزاي ... ما هي قدامك أهي قاطعة النفس

اقترب الطبيب نحو الجثة بأنامل مُرتعشة وضعها على رقبتها ليتحسس نبضاتها
المُخفية ويتأكد من مفارقتها للحياة، بقي يُحدق بتلك الجثة الشاحبة بينما كان جابر
خلفه يُشير بعينيه على طيف سُمية لتساعدهما بتلك الخطة الماكرة.

انفتحت عينا الجثة مرة واحدة أصابت الطبيب بالذعر وجعلته يرتد للوراء خوفاً
وهلعاً، عادت الجثة مرة أخرى إلى شحوبها وعادت كلماتهم الساخرة تُكذب أحاديث
الطبيب الذي تحوّل وجهه إلى اللون الأبيض، ثم في أقل من ثانية، كان يهرول بعيداً
عنهم كما الذي رأى عفريئاً.

قهقهت يسرى بسُخرية حقيقية هذه المرة، لكنها قالت بعدها بشفقة:

-والله صعب عليا-

تحرك جابر بالفرّاش نابساً بقيادية:

-إلي يصعب عليك يفكرك ... خلونا نمشي من هنا قبل ما نتقفشو تاني-

ما إن تحرك بالفرّاش بضع أمتارٍ حتى اخترق آذانهم أصوات صياح وهتافٍ وكأن
ساحة المشفى انقلبت إلى ساحة عروضٍ استعراضية، فكان الأطباء يركضون في
العديد من الاتجاهات وصوت الإنذار يصدح في كل مكان.....

خارج المشفى حيث يقف كلٌ من لؤي وميجو أمام مجموعة من الأطباء يستلقون على
الأرض غارقين في سباتٍ عميق، فقد خدّرهم لؤي حتى لا يُزعجونهما بتوسلاتهم
وصياحهم المُستنجد، يقف ميجو مجاوراً له يتجاهل نظرات لؤي المقبته ويُخرج
زجاجة معدنية صغيرة بحجم الكف، يفتح هذا الزجاجة ويتجرع منها أثناء سؤاله:

-تفكر هينجحو؟-

بقيت نظرات لؤي ترمقه بحنقٍ حتى اقترب نحوه ليجذب تلك القنينة الصغيرة بعد أن
ارتشف ميجو منها رشفة واحدة، مرر لؤي تلك القنينة على أنفه لتخرقه تلك الرائحة
الكريحة والتي زادته مُقتناً وهو يقول:

-إيه ده ...!! خمرة!!-

بسط ميجو يداه وهو يتؤسل بما لديه من قوة:

-بالله عليك استر عليا ... دا انا قايل لمُعترز إني مبطل، بس والله النفس غلابة

لم يكثرث لؤي لتؤسلاته وأفرغ ما بتلك القنينة على الأرض متفوّهاً بصرامة:

-خليك قد كلمتك ولو لمرة واحدة ... مش كفاية إني سيبتك رغم إني عارف إن إنت
إلي ضربت مُعترز...

لم يقدر على النبوس ببنت شفة بسبب شعوره بالخذي الذي بدأ يُغلفه، تنهد بعدها بيأس
ليستند بظهره على عربة الإسعاف بينما التقت لؤي بأنظاره على جهة أخرى مُخرجًا
هاتفه من جعبته ليعبث به قليلاً ثم يضعه على أذنه مُنتظرًا زوجته لعلها تُطمئنه
وتُخبره أن الخطة تسير على قدمٍ وساق...

انتشر الصياح والهتافات وكان مُعترز يهرول بالعربة مُخلفًا وراءه عاصفة من الرياح
نتيجة حركاته السريعة، كان يدفع كلاً من يقابله أمامه بتلك العربة حتى أسقط الكثير
من الأطباء على الأرض وألقي العديد من قصيصات الزرع والأثاث المترامي على
الأطراف، توقفت حركته أمام سلّم عريض يفصل بين المشفى والعالم الخارجي، ومن
شدة حركته انفلتت زمام الأمور وهوى الفراش المُتحرك من السلّم ليتقلب جسد إسلام
كحبة بازلاءٍ تندرج من فوق صحنٍ مُستدير.

عاد إسلام إلى جسده عنوة ليجد الفراش المُتحرك فوقه وجسده يأن من الوجع، حاول
الاعتدال عن وقفته وهو يسبُّ مُعترز بأبشع السبابات ويمتزج حديثه بالتأوهات
والسبَاب، هرع مُعترز نحوه ليرفعه عن الأرض بسرعة ويدفع الفراش بعيدًا حتى
يتركها تلك المشفى.

-أيوة يا لؤي...-

قالتها قمر وهي تهزول بُردهة المشفى بجوار شمس وداليا التي عادت إلى جسدها
كي تنفذ بجلدها من هاتين الحمقاوتين، كانت أصوات الضجيج تنبعث من حولها
تزامناً مع سؤال لؤي على الهاتف من الجهة الأخرى:

-إنتو كويسين؟... عرفتو تجيبوهم؟

واصلت قمر الهرولة وهي تقول:

-أه أه إحنا كويسين وداليا معنا

-حد قالكم حاجة؟... حد عرف إنكم بتهربوها؟

سألها لؤي بقلقٍ فالتفتت قمر حولها حيث أصوات الأطباء التي تنادي عليها وتُهدد
بمهاينة الشرطة.

-لأ محدش قالنا حاجة ... كل حاجة تمام

التقط لؤي أصوات الضجيج حولها فسألها:

-أومل إيه الصوت ده؟

توترت قمر وتلعثمت بالحديث لكنها في النهاية أردفت بكذب:

-ده .. ده..ده تلاقىها واحدة مجنونة هربت فهُما بيجرو وراها ... لؤي اقفل دلوقتي
وهكلمك بعدين

أغلقت المكالمة بسرعة لتواصل الركض حتى استوقفهما رجلٌ ضخّم من رجال
الأمن، كان يُشهر سلاحه عليهما لكن نظرات قمر الثاقبة اخترقت كيانه وجعلته
يرتمي على الأرض كبناية شاهقة، جذبت قمر يد داليا ثم يد شقيقتها لترك تلك
المشفى التي تركت بها بصمتها وأحدثت فيها الكوارث كما تحدثها في أي مكانٍ تذهب
إليه.

وعلى جهة ثالثة، كان جابر يتحرك بالعربة بهدوءٍ مُستغلاً تلك الفوضى التي منعت الأطباء من التركيز عليهم مما سهل عليهم ترك المكان بهدوءٍ وكأنهم ينقلون جُثة بالفعل.

شارفت الساعة على الحادية عشر مساءً، وأضحى القمر البازغ يتوسط السماء المُعتمة ليُخبرها صراحة أنها لن تجعل للعثمة مكاناً، فها هم يجتمعون بأجسادٍ تننٍ وجعاً وكدمات تُغرق جسد إسلام الأكثر تضرراً مما حدث، يتحرك لؤي أمامهم ذهاباً وإياباً ونظرات الغضب تنبثق من عينيه، فكما يحدث دائماً، ارتكب جريمة من أجل رفاقٍ يُعانقون الكوارث والمصائب وكأنها جزءاً منهم.

-إلى حصل ده مش هيعدي بالساهل ... كلكم هتعرضو على النيابة ... تقدمو اعتذار وكفالة على إالى عملتوه في المُستشفى... وبالنسبة للدكاترة إالى جودة عربية الإسعاف إالى وقفناها، فأنا اديتهم قرشين ومشيتهم، يعني مش هيفتحو بوقهم وكدة كدة إسلام وداليا متكبتش عنهم تقرير إن عندهم مرض نفسي ... بس سُمية هي الوحيدة إالى اتكتب عنها... عشان كدة هتفضل هنا لغاية ما نجيب قرار خروجها من المُستشفى...

أدلى تلك المُحاضرة عليهم وعاتبهم على استهتارهم وعن الكوارث التي تسببوا بها، انتقل بعدها الحديث إلى الشق الأكثر أهمية، الشق الذي بسببه مروا بكل هذا؛ وثبت داليا عن مقعدها لنتجه صوب سُمية لعلها تحاول اقناعها بقولها:

-إحنا ممكن نساعدك تاخدي إذن خروج من المُستشفى ... بس الأول لازم تعلمي التثبيت

أضاف إسلام على حديثها دون أن يُظهر الحقيقة:

-أنا كلمت مخيمر وحسن وهما قالولي إن التثبيت مش هيعملك حاجة وهيخلصك كمان من اللعنة دي

بقيت سُمية تبادلِ حذقيها بينهما في شكٍ جعلها تسأل:

-هو إنتو ليه عايزني اتثبت ؟

احتقن وجهيهما بعد هذا السؤال الذي يكاد يُفشي سرهما، فلا يجب أن يُخبرانها أنهم يستخدمانها كفأرة تجاربٍ حتى يتأكدا من سلامة التثبيت، لهذا السبب تلعثمت داليا قبل أن تخفي الحجة بكذبتها:

-عشان عشان إحنا عايزين نساعدك ... إسلام لما شافك في المُستشفى حس إن اللعنة دي أثرت على حياتك ... عشان ... عشان كدة قولنا لازم نساعدك... بما إننا الوحيدين إلي معانا الحل

أومات سُمية إيماءة بسيطة ولاتزال تعابير وجهها لا تُصدق ما قالتها داليا، فرائحة الكذب تفوح من عينيها، ومع ذلك بقيت تُفكر ملياً في حديثهما، ماذا لو كان الحلُّ بيديهم بالفعل؟ وحتى وإن لم يكن، فحياتها لا أهمية لها من الأساس، الموت أفضل لها من البقاء في تلك المشفى مُجدداً، وربما إذا كان كلامهم صائباً، تتخلص من تلك اللعنة التي دمّرت حياتها.

-موافقة ... موافقة اعمل التثبيت

قالتها لتنتشلهم من غياهب القلق، فما إن أدلت تلك الكلمات حتى غمرتهم الלהفة ونبئت داخلهم بذرة الأمل، الأمل من تخلصهما هُما أيضاً من تلك اللعنة إذا تأكدا من سلامة التثبيت.

وثب إسلام بتناقلٍ من مقعده متفوقاً بتقرير:

-يبقى خلاص ... أنا هكلم مخيمر اخليه ييجي هو وحسن عشان يركبو الأجهزة...

كاد يهم بتنفيذ ما قاله لولا كلمات سُمية التي أحبطت شيقاً من آمالهم:

-بس أنا عندي شرط

تلاشت عوالم اللففة وحلّ محلها الفضول والحيرة وهم يلتفتون صوب سُمية التي
أدلت شرطها:

-أنا عايزة إحسان ... عايزة أشوفه ... ومش هتثبت قبل ما اشوفه

تبادلت النظرات بينهم في صمتٍ من صعوبة مطالبها، فكأنهم سيبحثون عن إبرة في
كوّمة من القش، وبعد فترة وجيزة من الصمت والتحديق، أرفف لؤي بعزيمة وثقة
تبعث وثوبه أمام سُمية مباشرة:

-يبقى تمام ... هندور على إحسان....

الفصل السابع عشر (ضيوف غير مُرحب بهم)

وتظن أن الجبل سينفلق ويخرج منه شعاع الأمل، لكن الحقيقة أن ما سيخرج منه هو مياه هاجرة مُندفعة تُدمر الأخضر واليابس...

شرطاً واحداً فقط، هو ما وقف حائلاً ما بين تحقيق أحلامهم، شرطاً إذا استطاعوا تنفيذه لن يتبقى أمامهم أي ضائقة من تجربة التثبيت لأول مرة، تبقى الصعوبة الآن في تنفيذ هذا الشرط، فربما تنفيذه أصعب مما يتخيلون.

-عارفة طيب أي حد يوصلنا باللي اسمه إحسان ده ؟

قالتها داليا بتسألٍ بعد أن انفض الجمع ولم يتبقى سواها هي وإسلام وكذلك لؤي وقمر وسُمية بالطبع.

-أه عارفة إحسان كان بيقولي إنه عايش في بيت لوحده بس مرعي لما زارني في المُستشفى قالي إنه اتكلم مع الحج ميلاد أبو إحسان وقالي إن إحسان بقي عايش مع عيلته ... ومرضيش يقولي على عنوانه أصل مرعي أخوية اتعرف على الحج ميلاد لما إحسان جيه طلب إيدي

لاحت فترة من الصمت عليهم وهم غارقون في بياق الأفكار محاولين العثور على منفذ آخر للوصول إلى إحسان، تولى لؤي ضفة الحديث بسؤاله الصارم:

-فين مرعي أخوكي ؟

أجابته سُمية بتبلمٍ وجهل:

-معرفش هو فين بالظبط بس هو عطلول بيكون في الجامع، ياما في عزا ... أصله شيخ

وثب لؤي عن مقعده مُنهيًا الحديث بثقة اختلطت بصرامته المعهودة:

-تمام ... يبقى هنروح لمرعي...

أشرفت شمس يومٍ جديدٍ على أمل أن تنتهي مشاقهم ويصلوا إلى البر الأمان، فكلما إقتربوا نحو خط النهاية وجدوا بر الأمان يبتعد أكثر فأكثر حتى بدأ يتلاشى عن مرمى البصر، كان من المفترض في ذلك اليوم أن يتقدم ميجو لخطبة الفتاة التي دق قلبه لها، أو على الأقل تتم قراءة الفاتحة ويتعرف أكثر عليها وعلى أهلها.

رافقه إسلام ومُعترز في هذه الخطوة لعلهما يمدّانه ببعض الشجاعة ويُعاونانه على تلك الزيجة الصالحة والتي سَتُبدد ولو جزءًا بسيطًا من ماضيه المُتعتز، فطريق تغييره للأفضل بات أصعب بكثير مما كان يتوقع، فكلما تُداهمه أعراض الانسحاب يعود إلى تجرع الخمر واستنشاق الماريجوانا، ربما ما تغير داخله فقط، هو ابتعاده تمامًا عن تجارة تلك الممنوعات وابتعاده بعض الشيء عن مجالسة النساء، حتى أنه لم يعد يذهب إلى الملهى الليلي سوى فترة مداومته حتى يجني المال لأنه لا يجد وظيفة أخرى تناسبه.

أحاطه إسلام بذراعه وهم يقفون أمام عتبة المنزل، كان يملي عليه نصائحه قبل أن يفتح هلال الباب وتبدأ الخطوة الجادة.

-عايزك تحط النصيحة دي في ودنك خليك ثقيل، ومش مرة واحدة تغرقها في أشعارك ومعاكساتك....

ربت على كتف ميجو وهو يتكئ على حروف جملته التالية:

-حبة حبة ... وهتزيد المحبة

أوما ميجو رأسه إيجابًا وما هي إلا لحظاتٌ وجيزة حتى فتح هلال الباب ليستقبلهم بابتسامة هادئة ثم يُشير إليهم بدخول المنزل حيث تجلس نجمة بملابس أنيقة وحجابٍ يليق برُقيها وصرامتها المعهودة، رحبت بهم بابتسامات ودودة قبل أن تستأذن منهم لترى ابنتيها وتستعجلهما.

نال التوتر من ميگو وجعله يتلفت حوله في ارتباكٍ وفي قرارة نفسه يسترجع تلك المحذورات التي حفظها عن ظهر، لا يذكر ماضيه، لا يذكر والدته، ولا يذكر وظيفته، فالماضي صفحة وانطوت تمامًا، ووالدته لم يختارها، ووظيفته سيغيرها حالما يجد الفرصة المناسبة، أي أن هذه المحذورات لن يضحى لها فائدة من الأساس.

في عُمره شروده وتركيزه، داهمه صوتٌ نحيلٌ أجشٌ ينبعث من فوهة مراهقٍ بالرابعة عشر من عُمره، فكان هذا شهاب شقيقهما يؤدي وظيفته المعتادة ألا وهي مشاكسة كل من يأتي منزلهم أو كلٌ من يقترب منه، ربت شهاب على كتف ميگو ليسأله بابتسامة واسعة:

-بقولك إيه قول طاسة

قطب ميگو حاجبيه بغرابة لكنه استجاب لطلبه بتيه:

-طاسة

-أمك رقاصة...

هكذا أجابه شهاب بمزاح سمج قهقه بعده بسخرية، لكن عوالم ميگو بدت مُصدقة لما يقول، خاصة وهو يتفق مع حقيقته؛ التفت نحو مُعتر مباشرة يرميه بنظراتٍ متوعدة لعله من أفشى سره:

-هو الواد ده عرف منين إن أمي رقاصة؟

تسرّب الرُعب من جنباته وهو يقول هذا الجملة لكن مُعتر طمننه بقوله:

-ميعرفش ده تلاقيه بيهزر

زفر ميگو الهواء من جوفه بأريحية واعتدل في جلسته تزامنًا مع مجيء هلال مُجددًا برفقة نجمة وكذلك قمر التي أتت خصبًا حتى تقف بجوار شقيقته في يومٍ كهذا.

حمم إسلام برزانه قبل أن يبدأ الحديث بقوله:

-إحنا جايين نطلب إيد الأنسة شمس ... لأخونا وصاحبنا ميجو...-

بقي يسرد تفاصيل حياة ميجو وإمكانيته بمبالغة بعض الشيء، فقد بالغ في خصال ميجو الحسنة التي ليست موجودة من الأساس، لكن يكفي أن ميجو مُخلصًا بعشقه وعلى أمل أن يتغير في سبيل الوصول إليها، هذا ما تؤكد منه كلُّ من إسلام ومُعترز وما عزما على بناء عوامد تلك الزيجة عليه لعل خصاله الحميدة تبدأ بالتكوّن داخله قبل أن يتم زواجهما رسميًا.

**-طب وفين والدتك ولا والدك يا أستاذ ميجو؟... بعدين هو إنت اسمك ميجو
بصحيح**

سألته نجمة بتملّق فتلعثم ميجو قليلاً قبل أن يقول:

-لأ أنا اسمي ماجد ... بس كلهم بيقولولي ميجو...-

بادل نظراته بمُعترز قبل أن يقول:

-وأبوية طلق أمي ومعرفلوش طريق ... وأمي بقى عندها شُغل مش فاضية

أنهى الحديث بابتسامة هادئة حاول من خلالها تغطية ارتباكها، لكنه لم يكن يعلم أن ذاك الحديث سيفتح عليه بابًا لن يستطع إغلاقه أبدًا، فما إن ذكر أن والدته بالعمل بصورة تلقائية حتى سألت نجمة بفضول:

-شُغل يوم الجمعة!!... ليه؟ هي شغالة إيه

أجابها ميجو بتلقائية دون أن ينتبه لحديثه، أو انتبه فيما بعد:

-رق... فنانة .. بتشتغل فنانة

أكمل إسلام على حديثه بكذبٍ لينجده من هذا المأزق:

-قصده يعني إنها رسامة ... عندها معرض يعني بتبيع فيه رسومات وكدة

أرخت نجمة ظهرها للوراء وهي تواصل أسئلتها الفضولية المُتملقة:

-وعلى كدة بقي بتكسب ؟

هنا تؤولي مُعترِ ضفة الحديث لُجيبها بابتسامة ودودة:

-أكيد طبعا بتكسب ... ده ناس كتير بتروحها

تقدم هلال هذه المرة بجذعه ليسأل بنبرته الهادئة:

-وانت بقي بتشتغل إيه ؟

زاغت عينا ميجو في كل مكانٍ قبل أن يقول بتوتر:

-طبال.. أقصد مُدرس طبلّة ... مُدرس موسيقى

حمد ربه أنه أنقذ الموقف في آخر لحظة لتُمر بعدها المزيد من الأحاديث التقليدية المُتعارف عليها حتى طلبت نجمة من قمر أن تذهب لمناداة شقيقتها من الداخل، استجابت قمر لحديث والدتها دون أن تنبس ببنت شفة، يكفي أنها كانت تكبت ضحكاتها طوال هذه الجلسة حتى لا تفضح حقيقة ميجو وتُدمر تلك الزيجة.

عادت قمر إلى مكانها لتأتي شمس من الداخل حاملة معها صينية مُستديرة تحتوي على ثلاثة أكوابٍ من الشاي، كانت تتحرك ببطءٍ وحذرٍ شديدٍ وكأنها تسير على قشر بيض، وفجأة...

انفجرت واحدة من الأكواب بسبب رطوبة الطقس واجتماع المياه الساخنة مع الكوب الزجاجي البارد مما يُسبب انفجارًا، تناثرت شظايا الزجاج في كل مكان وانتفضت

شمس بدورها لتسقط الصينية على الأرض وتتهشم بقية أكواب الشاي كما تهشمت الأولى.

انفجرت قمر بالضحك على هذا الموقف بدلاً من أن تنهض وتُساعد شقيقتها، بينما كان العرق يتصبب من جبهة شمس التي كانت تلعن حظها وتحاول مُداراة خجلها، ساعدتها قمر بحمل الزُجاج وطلبت منها أن تجلس حتى الرؤية الشرعية دون أن تكثرث لما حدث.

جلست بارتباكٍ على الأريكة بعد أن رحل الجميع وبقيت وحدها بالبهو تجلس على طرف الفراش بابتسامة متلهفة وقلبٍ يضرب في هلع، وبطبيعتها الطفولية كانت تلوّح بيدها وترحب به كما لو أنه أتى للزيارة وليس لطلب يدها للزواج.

مرّت بُرهة طويلة من الصمت قطعها ميجو ليسألها بمشاكسة:

-طب إيه؟ ... هنفضل ساكتين كدة؟

همهمت شمس بتفكيرٍ قبل أن تُجيبه بنفي:

-لأ...

اعتدلت في جلستها لتواجهه بلهفة تُحيط بها أثناء سؤالها:

-قوئي اسم حيوان بيبدأ بحرف الشين

قطب ميجو حاجبيه بغرابة وهو يُجيب:

-شمبزي!!

هللت أساريرها وهي تنثني على إجابته بقولها:

-برافو ... طب لو إنت في سباق ... وسبقت المتسابق الثاني، هتبقى إنت المتسابق
الكام ؟

زادت حيرته و غرابته من حديثها مما جعله يقول بسخرية:

-هو أنا ليه حاسس إني دخلت من سيربح المليون

تلاشت عوالم اللهفة من عليها ليحل محلها عوالم اليأس أثناء قولها:

-ما هي قمر قانتلي كدة

-قانتلك إيه ؟

سألها بفضولٍ ليجدها تُجيبه ببلاهة:

-قالتلي إن في الروية الشرعية بنسأل بعض أسئلة

فهم فورًا ما وصل إليه عقلها الساذج مما جعله يقول:

-وهي مقاتلكيش نوع الأسئلة إالي بنسألها إيه ؟

نفت برأسها وهي تُجيبه ببراءة وصدق:

-لأ ... أصل قمر مكنش عندها روية شرعية ... أصل شهاب وقتها عمل مقلب ابن
لزيانة، خلانا كلنا نصرخ ونصوت عشان الفار إالي جابه وطلقه علينا _

لم تكذ تُنهي حديثها حتى دوى صوت انفجارٍ جعل كليهما ينتفض في هلع، فكان
أحدهم فجّر بالقرب منهما مفرقاتٍ أحدثت شرارة من اللهب مع دُخانٍ قليل، وهما
يعلمان جيدًا من هذا الأحدهم...

كان شهاب يُراقب ما يحدث من بعيدٍ ومعه كيس المُفرقات لعلها بداية خُطته الماكرة، أحس بشخصٍ يجذبه من قميصه ليتضح بعدها أنه إسلام الذي شاهده وهو يُلقي المُفرقات عليهما وتلك الابتسامة الشيطانية تُزين ثغره.

دفعه إسلام للوراء مُتشبثاً بياقته من الخلف وهو يقول:

-إنت عايز تبوظ قراية الفاتحة !! ... إنت يلا مش هتكبر أبدًا

-استني بس يا أبيه المقلب ده بس وخلص

تُوصل إليه شهاب بتلك الكلمات التي لاقاها إسلام بحدة وصرامة:

-مقلب مين يلا إنت فاكِر نفسك في برنامج رامنر جلال ... إنت تدخل الأوضة دي ومتطلعش منها .. إنت فاهم

قالها إسلام وهو يدفعه داخل الحُجرة ويُغلق عليه الباب بمُساعدة من مُعتر الذي أخذ مُفتاح الحُجرة من قمر، فامر هي من أخبرتهما بمراقبة شقيقها الماكر ومنع خطئه.

بقي إسلام بجوار الحُجرة يلتصق بظهره على الباب بعدم اكتر اثٍ لطرقات شهاب ولا لتؤسلاته.

-والله لو عملت إيه ... مش هتخرج من هنا قبل ما نمشي

أتى مُعتر ليقف بجوار إسلام بالهاتف الذي يمسه بين ذراعيه وكأنه كان يُجري مكالمة ما.

-إسلام ... لؤي كلمني وقالي إننا هنروح للشيخ مرعي انهاردة بليل....

نعيق الغربال يخرق صفوح هذه الليلة السرمدية، خيمة كبيرة انتصبت على
أحراش هذه المنطقة ليكتنفها العديد من الرجال بملابس تتشح بالسواد كما السواد
أسفل أعينهم، سجادة حمراء افترشت على الأرض لتتحرك عليها الأقدام حتى تجلس
على المقاعد الخشبية المجاورة لبعضها بعضًا، فكان المعازيم يجلسون عليها بوجومٍ
وانتظامٍ أشبه بانتظام النمل وهو مُنهمكٌ بالعمل.

كان لؤي يتوغل هذه الخيمة بين أصوات الهمهمات وصوت القرآن الذي داعب
أذانهم، يرتدي ملابس سوداء كما يرتدي مُعتز وإسلام اللذان أتيا معه عازمين على
العثور عن ذاك المدعو بمرعي وسؤاله عن إحسان.

صافح لؤي أحد الرجال بوجهٍ يدُعي الحُزن ليتماشي مع تلك الأجواء منعًا للشكوك،
صافح مُعتز رجلًا آخرًا من معارف الفقيد وهو يقول له بمواساة:

-شد حيلك

لم يستطع إسلام منع طبيعته المازحة وهو يُصافح نفس الرجل ويقول:

-بس خُد بالك لا يتقطع

انفجر إسلام بالضحك على دعابته السمجة ليشاركه مُعتز هو الآخر ويتضارب
كفيهما متناسيين تمامًا أنهما بعزاء، وجدا يد لؤي تجذبهما بحدة ليؤبخهما بصوتٍ
هامس:

-اسكت يا حيوان إنت وهو إحنا في عزا

توقف إسلام عن الضحك مُعتذرًا كما توقف مُعتز هو الآخر، جذبهما لؤي ليجلسا
على أحد المقاعد وهو يأمرهما كما لو كان يُمارس تعاليم التربية على أبناءه:

-مرعي هناك أهو...

أشار على الشيخ الذي يتوسط القاعة يتلو آياتاً من القرآن بصوتٍ عذبٍ رخيمٍ وينتقل بعدها إلى الأدعية، واصل لؤي الحديث بنفس تلك النبرة الحادة الأمرة:

-لما يخلص العزا هنروح نسأله عن إحسان وساعتها هتصل بقمر وصحابها
عشان ييجو من فوق...

كان الوضع هنا مُختلفًا تمامًا عما يحدث بالأسفل، فالرجال يتكتمون على أحزانهم ويلوظون بالصمت والوجوم، لكن النساء، فلم يتركن مجالاً لصوت الأدعية والآيات القرآنية بالولوج إلى المنزل، حيث كان نحيبهن وبكاءهن يكاد يُهشم الرُجاج من شدة ارتفاعه.

عانقت داليا ذراع قمر وهي تقترب من أذنها حتى تسألها قبل أن يدخل المنزل
بثيابهن السوداء ووجوههن الخالية من مساحيق التجميل:

-قمر بقولك إيه هما بيقولو إيه في العزا ؟

أجابتها قمر بجهل:

-معرفةش والله دي أول مرة اروح ... ما تسألني كوكي... أكيد راحت عزا مامتها

اعترضت داليا اقتراحها بتبرير:

-كوكي مامتها كانت خواجاية وعزاها اتعمل في أمريكا... فأكيد كان مُختلف

بقيا يتهامسان في صمتٍ حتى سبقتهن كوكي بمصافحة إحدى السيدات وتزييف
الحُزن على وجهها أثناء قولها:

- sorry for your loss

حدقت السيدة بكوكي بعوالم تحمل الشك والغرابة، فيبدو أنها لم تفهم ما قالت، واكتفت بالايحاء برأسها والتركيز على حُزنها.

مدّت داليا يدها لمصافحة تلك السيدة محاولة الاندماج مع تلك الأجواء الجديدة عليها، جديدة لدرجة جعلتها تردف ببلاهة وهي تُصافح السيدة:

-ربنا يخليكي

زادت عوالم الغرابة على وجه السيدة وهي تتابع هذه الضيوف غريبة الأطوار، بينما جذبت قمر ذراع داليا بسرعة بعد أن لاحظت نظرات السيدة التي انقلبت إلى المُقت:

-أنا معتقدش إننا بنقول كدة في العزا

واصلت داليا السير بجوارها وهي تُبرر بحماقة:

-ما أنا قولت ربنا خلاص أخذ المرحوم فُكُنت بدعي إنه يخليها

تجاهلت قمر تبريرها الأحق وجذبتها لتجلس على أحد المقاعد متفؤهة:

-طب تعالي نقعد لغاية ما لوي يتصل بيا....

من كثرة ما يكذب المرء على الآخرين، بدأ يُصدق أكاذيبه...

يسترخي بجسده المُتهالك على الفراش مُحدقًا في السقف وبين أصابعه يحمل لفافة تبغ التي يتصاعد دخانها في السماء، تتشكل غمامة سوداء أمام عينه ليست أكثر سوادًا مما داخله من تخبطاتٍ وعُقد لا حسر لها، بجواره على الفراش، يقبع هذا الصندوق الذي يحتوي على كمية لا بأس بها من الممنوعات، تلك التي كان يُتاجر فيها سابقًا، إلى أنه الآن لا يعلم ما الذي يجب أن يفعله بتلك الكمية، إذا ألقى بها، سيعثر عليها أحد ويُسيء استخدامها، ولا يعلم حتى كيف يترك المنزل بهذه الكمية من

الممنوعات حتى يُشعل بها النيران ويتخلص منها للأبد، هو يخشى حتى إخراجها من المنزل حتى لا يراه لؤي ويعلم أن معه هذا الكم من الممنوعات.

وبين هذا كله، يبقى هناك صوت شيطان يُدغدغ حواسه ويُخبره ألا يتخلص من هذا الكنز الثمين ويبيعه لعلها آخر مرة يُتاجر بها بتلك الأشياء، لكنه لا ينصت أبدًا لهذا الصوت، يعلم الآن أن ما يأتي بالباطل يذهب بسرعة كأسراب الطيور، وهو لن يدخل هذه الدائرة التي يُحاول الخروج منها يكل الطرق.

قطع شروده صوت الهاتف الذي صدح فجأة وجعله يدثر لفافة تبغ بمطفاة اللفائف ليعتدل بعدها عن الفراش جاذبًا هذا الهاتف الذي يُشير إلى رقم عجيب جعله يرمق الهاتف بحيرة ثم يُجيب بالنهاية:

-نعم ... مين معايا؟

سأل ببعض الحدة، فأتاه الصوت من الجهة الأخرى بطريقة بثت الرعب بداخله:

-الظاهر كدة إن حياتك الجديدة نسيك إنت كنت إيه

انتفض جسد ميجو واتسعت حدقتيه في صدمة وغضب، فهو يعلم ذاك الصوت المقيت جيدًا:

-إنت عايز إيه؟... أنا قولتك خلاص مش لاعب

صدح صوت قهقهة طلال الشيطانية وهو يُجيب ميجو من داخل المشفى الخاصة به:

-وانت فكرك يعني إني هسمحك تسبب اللعب كدة عادي...

رفع طلال غلبونه ليستنشق منه نفسًا طويلًا ثم يزفره في الهواء كي يسترسل بتهديد:

-طالما دخلت برجليك وسلمت نفسك ليا أول مرة ... يبقى مش هتخرج غير بمزاجي

اشتعلت النيران بعين ميجو وهو يثب عن الفراش هادرًا بغضب:

-أنا اخرج زي ما أنا عايز ... وإنت مش هتقدر تعملي حاجة

عادت تلك القهقهة الماكرة تخترق الهاتف ليردف بعدها:

-وإنت مين قالك إني هعملك حاجة ... مش يمكن اعمل للي حواليك

تصاعدت ضربات قلبه في رُعب وداخله العديد من الأفكار السلبية التي بدأت تعتصر عقله وهو يسأل:

-قصدك إيه؟

أخذ نفسًا آخرًا من غليونه ثم أطلقه في الهواء عندما آجاب:

-قصدي على حبيبت القلب إللي قراية فاتحتها كانت انهاردة ... كان اسمها إيه يا ربي كان اسمها إيه... أه .. شمس_

قطعه ميجو بجمهرة و غضبٍ جثيم:

-إياك تقرب منها إنت فاهم؟

تجاهل طلال نبرته الغاضبة، بل كان سعيدًا حتى لسماعها وكأنها الدواء الذي يُنفذ به سطوته، آجابه بنفس تلك النبرة المُهددة عازمًا على إنهاء الحديث بانتصاره:

-مش أنا إللي اسمع كلام واحد زيك ... وأظن إنت عارف كويس أوي أنا ممكن اعمل فيها إيه لو منفذتش إللي هقولهوك

تصاعدت ألسنة اللهب من ميجو وأضحى لون وجهه أحمرًا كالدماء، يعلم جيدًا أن طلال لا يمزح، يعلم جيدًا حقارة هذا الرجل ومدى مُكره وطُغيانه، بل يعلم حتى أنه لا يستطيع مواجهته ولا يستطيع إخبارهم أنه كان يعمل لصالحه ويخونهم في وقتٍ

من الأوقات، بقيت الأفكار تتعارك داخل رأسه وخوفه يزداد أكثر على تلك التي احتلت فؤاده، بقي يتنفس الصُعداء لا يعلم أيختار الخيانة أم الخسارة، هذا الاختيار أصعب اختيارٍ بحياته.

-هاا ... قولت إيه ؟

سأله طلال مُجددًا ما إن طالت فترة صمته، أخذ ميجو نفسًا عميقًا ثم أطلقه وعوالم الحدة على وجهه أثناء قوله:

-موافق ... قولني إنت عايزني اعمل إيه ؟....

زادت عُثمة الليل واضحى سوادها وقتامتها يعادل سواد ثمرة الباذنجان وقتامة القلوب الخالية من الإنسانية، أوشكت الساعة على الثانية بعد مُنتصف الليل ولا يزالوا داخل هذا العزاء الذي دام لأكثر من خمس ساعاتٍ حتى بدأ النُعاس ينهشهم، يفرك مُعتر عينية مُزيلاً هذا الرمق الذي يُصيبه بالنُعاس خاصة مع تلك الرتابة وصوت القرآن الذي يُهيئهم للنوم.

يجلس إسلام جواره يتشاءب من كثرة الملل ويقول بنفاد صبر:

-وبعدين ... ده لو حفلة لام كلثوم مش هتقعد كل ده ... هما ناويين يخلصو العزا على الصُبح ولا إيه

كانت قدما لؤي تضربان على الأرض بنفاد صبر وغضبٍ بدأ يتسلسل إليه، بل بدأ ينتصر عليه حتى قال:

-أنا زهقت ... ومش هستحمل اكثر من كدة

لم يفهم إسلام مقصده حتى وجده يُخرج سلاحه ويثب عن المقعد بغضبٍ عارم بعد أن طُفح كيله من هذا العزاء الذي لا ينتهي، رفع سلاحه في أقل من ثانية ليُطلق

رصاصتين في الهواء أصابت الذعر في قلوب الحضور وجعلتهم يثبون ويلوظون بالفرار، بينما كان لؤي يصرخ بحدة وتهديد:

-كله يخرج من هنا-

عمّت الفوضى بالمكان كعادة أي مكانٍ يذهبون إليه، بدأ الرجال يلوظون بالفرار بينما إسلام ومُعترز اتجها فوراً نحو مرعي لينتهيها من تلك المُعضلة...

قبل هذا الهرج ببضع دقائق، كانت داليا تجلس بين قمر وكوكي تراقب المعازيم كعادتها الفضولية، مضى أكثر من خمس ساعاتٍ وهن لا يزالن داخل هذا المنزل بين أصوات البكاء والنحيب.

-يا بنات ... إنتو مش ملاحظين حاجة؟

سألتهن داليا وهي تبصر شيئاً أمامها يُثيرها بالرغبة، لكن قمر آجابتها ببلاهة:

-أيوة طبعاً بقالنا خمس ساعات قاعدين ومحدش نزلنا فنجان قهوة حتى

نهرتها داليا وهي تُكذب حديثها:

-مش قصدي ... أنا قصدي على الست إلي هناك دي... تقريباً منزلتش عينها من علينا من ساعة ما دخلنا ... وعمالة تبُصلنا بصات غريبة ولا كأننا عاملين عاملة

لم تُعر قمر أهمية لحديثها فقالت بلامبالاة:

-يا ستي فُكك ... إحنا مالنا ومالها...

ما كادت تنهي جُملتها حتى وجدن تلك السيدة تترك موقعها وتقترب نحوهن بنظراتها المُتشككة التي حفرت الريبة بنفوسهن، جذبت السيدة أحد المقاعد كي تجلس أمام

كوكي مباشرة تتفحص خُصلات شعرها البُرْتقالية الناعمة وبشرتها البيضاء
وملامحها الأجنبية التي زادت من شكوكها، ومن شكوكها أيضاً حول بقيتهن، فكانت
تهتف بوجوهن بحدة:

-إنتو مين؟... وتقربو إيه للمرحوم؟

ارتبكت داليا وهي تُبادل نظراتها بينهن ثم تُجيب بتوتر:

-إحنا... إحنا .. إحنا زمايله في الشغل

بقيت نظرات السيدة مصوّبة عليهن كصاعقة كهربائية وهي تقول بعدم تصديق:

-جوزي مش بيشغل حريم انطقي يا بت إنتِ وهي وقولو إنتو مين

زاد الهلع داخلهن خاصة من نظراتها النارية التي جعلت قمر تردف برُعب:

-أنا هقولك على كل حاجة _

قطعت داليا حديثها بسرعة حتى لا تفضحهن وتوقعهن في كارثة كبرى:

-إحنا فعلاً مش زمايله في الشغل ... بس _

قطعت السيدة حديثها وهي تجذب خُصلات شعر كوكي التي أطلقت صرخة مُستنجدة
بينما ارتدت داليا للوراء بذعرٍ من تلك السيدة التي رُبما فقدت صوابها:

-إنتِ اللي مرحوم خاني عشانها مش كدة ؟ ...وأكيد إنتو مراتتاتو...

بقيت تهز خُصلات كوكي بغلٍ وهي تقول بحسرة:

-أه يا موكوس ... طول عُمره عينه زائغة ونفسه هفاه على الأمريكاني ... بس
و ديني ما هرحمك يا خطافة الرجالة إنتِ وهي

واصلت كوكي الصُراخ ومحاولة تخليص نفسها من تلك المجنونة بينما تدخلت داليا
لثبرئهن بتؤسل:

-يا مدام والله العظيم إحنا منعرفش جوز حضرتك أصلاً ... دا احنا حتى متجوزين

رفعت داليا يدها حتى ترى السيدة ذاك الخاتم الذي يُزين بنصر اليد اليسرى، ظنّت أن
الأمور ستتحسن، لكن ما حدث قلب جميع الموازين؛ وضعت السيدة يدها على
صدرها بعد أن أطلقت شهقة مُتَحسرة قالت بعدها:

**-إنتِ كمان بتقوليلي في وشي إنكم متجوزين جوزي !! ... أه يا حرباية يا إلهي
نهايتك هتبقى على أيدي**

انتقلت يد السيدة إلى داليا لتجذب خُصلات شعرها القصيرة المُجعدة التي كادت
تقطعها بين أصابعها، تراجعت قمر للوراء حتى لا تُطالها يد هذه السيدة وتنتزع
حجابها، ازدادت صرخات كوكي المُستنجدة وامترجت بصرخات داليا وهي تُحاول
جذب قمر وطلب المساعدة منها.

-تقريباً كدة مفيش غير حل واحد

قالتها قمر باستسلامٍ وهي تحاول تهدئة نفسها حتى تتخلص من تلك السيدة المجنونة،
أخذت نفساً عميقاً ثم أطلقتته لثُحدق بعينيها الثاقبتين على تلك السيدة لتتقابل نظراتها
أخيراً مع نظرات السيدة الفاقدة لصوابها والتي همدت حركتها مرة واحدة استطاعت
بهم داليا التملص من قبضتها هي وكوكي التي ابتعدت بسرعة لئلمس على شعرها
وتحاول ترتيبه وهي تتأوه بخفوتٍ بسبب تألم رأسها.

فقدت السيدة وعيها مما جعل جسدها السمين يرتطم بالأرض مُحدثاً لصوتٍ مسموع
جعل بقية النساء يفتحن أفواههن بصدمة، هؤلاء النساء الذين أشعلن ضغينتها
وأخبرنها بمُكرٍ أن هؤلاء الغُرباء كانوا على علاقة بزوجها، بل أخذن حتى يُتابعن
هذا الجدل بسعادة وغلٍ دفين، ها هُن الآن ينظرن لما حدث بوجهٍ شاحبٍ ثم يُمررن
نظرهن لهؤلاء الغُرباء الذين تسببن بفُقدانها للوعي عن طريق السِحر كما أخبرهن
عقولهن الساذجة.

ما هي إلا بُرْهة قصيرة حتى تحوَّلت صدمتهن إلى غضبٍ عارم، عزم على تلقين هؤلاء الفتيات درساً وربما معاقبتهن أيضاً، فكانت هناك سيدة خمسينية تُشير عليهن بنظراتٍ متوَّعة قالت معها بصوتٍ جهوري:

-امسكو البنات دي واحبسوهم في الزريبة ... يلا يا بت إنتِ وهي بسرعة

استجابت لها بقية الفتيات بينما تقاذف الرُعب داخلهن حتى سبَّت داليا قمر قبل أن تثب بسرعة وتهول بأقصى ما لديها خارج المنزل وخلفها كلاً من قمر وكوكي يحاولن الهرب من هذا الجمع من النساء ويستمعن أيضاً إلى صَوْتِ طَلقاتِ نارِية بث الذعر بقلوب الجميع فيما عداهن.

صدح صوت الهاتف الخاص بقمر لتجد اسم لؤي يُزين الشاشة وكأنه كان المُنقذ في تلك اللحظة، فسُرَّعان ما جذبت داليا وكوكي ليهرعا إلى حيث يجلس مُرعي وسط إسلام ولؤي الذي كان يقبض على ياقته ويستجوبه بغضب:

-انطق يلا ... إحسان ميلاد فين ؟

تصيب العرق على وجه مرعي وهو يُبادل حدقاته بينهم ويقول بذعر:

-إن...إنتو مين ؟

اخترقت قمر حديثهم ودفعت لؤي بعيداً عن مرعي متفؤهة بثقة:

-سيبه ... أنا هتصرف معاه

ابتعد لؤي عن مرعي حتى تستطيع قمر الوثوب أمامه والتحديق بعينه لبضع ثوانٍ أدت إلى تعيُّب مرعي عن العالم وغرقه في اللاوعي، ما إن تأكدت قمر من تيهه وغيابه عن العالم حتى سألت بهدوء:

-إحسان ميلاد عايش فين ؟

أجابها مرعي بتيه وهو لا يدري ما الذي يقوله:

-في عمارة الحج ميلاد إلى في شبرا الخيمة...-

أخذ يسرد لهم العنوان بالتفصيل حتى اخترق آذانهم صوّت سيارة الشرطة التي يبدو أنها أتت بعد أن أبلغ أحدهم عن الطلق الناري الذي حدث؛ تدفق الارتباك بينهم حتى قالت كوكي في دعر:

-إحنا لازم نمشي بسرعة...-

قالت هذا تزامناً مع ازدياد صوّت صافرة الشرطة التي أتت للقبض عليهم....

هناك ثلاثة أسباب تدفع المرء لارتكاب المعاصي، أما الخوف، أما الانتقام ... وأما الرغبة في السيطرة، تلك الرغبة التي تجعل صاحبها يرتكب كل ما طالته يده من جرائم وشدوذٍ دون مراعاة للإنسانية ولا الضمير، فقد قتل ضميره قبل أن يستيقظ ويُخبره أن يتوقف، قتلت إنسانيته قبل أن تقبض يديه وتلقنه درساً، أفسح المجال لشيطانه بالاقتراب منه ونشر سُمه حتى أصبح حاقداً على الجميع يرغب فقط باستعبادهم، والأهم من هذا كله، هو الانتقام لصديقه ضُرغام الذي فقد حياته بسبب حِفنة من الحمقى، الانتقام لمنظمتهم التي كادت تتعثر بسبب هؤلاء الذين يتبعونهم ويحاولون الإيقاع بهم، وهو قد أقسم على تحطيم كُلِّ من يقف أمام أحلامه ويُعركل خططه الماكرة لتدمير العالم وتولي السُلطة.

قطع شروده وتفكيره صوّت داغر الذي وطأ الحُجرة ومعه حِفنة من الأوراق يضعها أمام طلال متفوّهاً بكلماتٍ ماكرة وعينانٍ أكثر خباثة من الثعلب:

-أنا عرفت طريقة نجيبهم بيها-

لم يفهم طلال مقصده في باديء الأمر وانتشل منه الأوراق ليجدها بحثاً مُستفيضاً عن إسلام وداليا وكذلك جابر، وكأن حياتهم أضحت مدوّنة بتفاصيلها في تلك الأوراق.

-يعني إيه؟... أنا قولتلك أنا مش عايز أجرب في دول

ارتكن داغر على أحد المقاعد محاولاً تفسير مقصده بنبرته الخبيثة:

-مش قصدي على دول ... أنا عارف إنك سايبهم للآخر، عايز تسويهم على نار هادية الأول

ازدادت حيرة طلال وهو يسأل:

-أومل قصدك مين؟

تقدم داغر بجذعه ليُجيبه بمُكر:

-قصدي على المُتقلين إسلام وداليا وجابر... هما الشعرة إلي هيوصلونا لبقية المُتقلين... ساعتها هنقدر نسحبهم لينا واحد ورا التاني ... لغاية ما نُوصلهم ... وقتها مش بس داليا وإسلام وجابر إلي هيكونو تحت طوعنا ... هيبقى المُتقلين
كُلهم

رماه طلال بابتسامة شيطانية ما إن فهم المغزى من حديثه، رغبتهم بتجنيد المُتقلين لمصالحهم لا تزال تنبت بداخلهم وسيعقدوا العزم حتى يُحققوا تلك الرغبة ويستخدموا تلك القدرات الفريدة لتحقيق آمالهم ورغباتهم.

بعد بُرهة من الصمت، أرخى طلال ظهره للوراء أثناء انصاته لسؤال داغر:

-نفذت إلي قولتلي عليه؟

كان طلال قد أخبره بمهاتفته بميجو وطلبه الذي لم يفصح عنه حتى الآن بسبب طبيعته الغامضة وعدم رغبته في الإفشاء عن المفاجآت، ما إن أوماً طلال رأسه إيجاباً حتى سأله داغر بفضول هرة تصر على معرفة ما بأكياس القمامة:

-طلبت منه إيه؟

نمت بسمة مُتشفية على ثغر طلال وهو يسترخي على المقعد مُجيباً إياه بابهام حمل
الوعيد داخله:

-مش قولتك قبل كدة إني هسويهم على نار هادية؟... أهو ده بداية التسوية...-

أطلت عليهم شمسُ يومٍ جديدٍ وسماء زرقاءٍ تُزينها سُحبًا كثيفة ونسماتٍ عليلة تُعرب
عن اقتراب فصل الخريف، كان لؤي داخل مكتبه يتفحص بعض أوراق القضايا
بانهماكٍ قطعه دلوف أحد العساكر بعد أن استأذن وأدى التحية العسكرية ليردف
بعدها:

-لؤي بيه ... اللوا عبد الصبور طلبك عنده

لطخت الحيرة وجه لؤي وهو يُطالع هذا الضابط ثم يوافق على طلبه ويترك مكتبه
مُتجهًا صوب مكتب والده ورئيسه بالعمل، لكن إن جننا للحق، فعبد الصبور لا يكون
بالمنزل كما يكون بالعمل، ففي المنزل هو رجلٌ هاديءٌ حنونٌ بينما في العمل هو
شخصٌ صارمٌ لا يرحم من يقترف خطأً خاصة إذا كان الخطأ في حق مهنتهم.

توقفت أقدام لؤي أمام مكتب عبد الصبور مباشرة ليؤدي التحية العسكرية ثم يحني
رأسه لأسفل احترامًا وتقديرًا لمكانته العالية:

-نعم يا حضرة اللوا

كانت عوالم الغضب تكاد تنبثق من عيني عبد الصبور وهو يهتف:

-أهلاً أهلاً يا حضرة الرائد تقدر تقولي إيه إلهي حصل إمبراح ده ؟

قالها وهو يرفع أمامه الهاتف الذي يعرض مُقطعاً ظهر فيه لؤي وهو يرفع سلاحه
ويطلق منه طلقاتٍ نارية في مراسم العزاء مُسبباً الذعر بين قلوب المواطنين العزل
كما لو كان يتزعم عصابة إرهابية.

احتقن وجه لؤي واغتابه الحرج من هذا الموقف، هو يعلم أن ما فعله البارحة كان ضرباً من الجنون، لكنه وقتها لم يكن يعلم ما الذي يفعل، وكأن ملل الانتظار اجتمع مع نفاذ صبره وأنتجوا شُعلة من الغضب جعلته يفقد صوابه ويُمارس سُلطته على مواطنين عُزل.

ما إن طالت فترة صمته حتى باغته عبد الصبور بكلماتٍ حادةٍ معاتبةٍ اخترقت صدره
كرشقات الصاروخ:

-مالك يا حضرة الرائد ... ساكت ليه، ولا تكونش القطة كلب لسانك...-

بقيت عينا لؤي تُحدقان بالأرض محاولاً التبرير بكلماتٍ متلعثمة:

-أنا..أنا_

قطعه عبد الصبور بقبضته التي ضربت على مكتبه بحدةٍ ليهتف بعدها بصوتٍ مُرتفع
غاضب:

-إللي عملته ده نوع من الإرهاب يا حضرة الظابط ... إنك تستغل سلاحك عشان
تخوِّف الناس دي جريمةٍ ويُعاقب عليها القانون

رفع لؤي رأسه في تلك اللحظة التي أراد فيها أن تنشق الأرض وتبتلعه حتى لا يواجه
غضب والده الذي يكاد يسحقه:

-يا بابا أنا_

قطعه عبد الصبور للمرة الثانية بكلماته القاسية الصارمة:

-اسمها سيادة اللوا يعني من كام يوم تعملي مُشكلة في مستشفى الأمراض
العقلية وعدتهاك عشان مكنش ليك يد في إللي حصل... لكن المرادي لا يُمكن
اسمحك تستغل سُلطتك بأي شكل من الأشكال، حتى لو كان إيه السبب...

رفع سبابته أمام لؤي لينهي حديثه بوعيد:

-اتفضل حضرتك قدم اعتذار رسمي لأهالي المرحوم ولكل إلهي كانوا في العزا ...
واحمد ربنا إني هكتفي المرادي بإنذار ولفت نظر... عشان الموضوع ده لو اتكرر
تاني هيبقى فيها تحقيق وھتتوقف عن العمل

أوما لؤي رأسه في صمتٍ ثم ترك المكتب وداخله نيرانٌ من الغضب، ليس غضبًا من
كلمات والده فحسب، بل غضبًا أيضًا من ذاته، وغضبًا من والده أيضًا، فسابقًا
تغاضى عن كؤن والده كان شريكًا في جريمة كبيرة حتى لا تنتهي مسيرة والده
المهنية، أما الآن، ورغم أن والده أضحى بريئًا من تلك التهمة، إلى أنه مُستعدٌ لمعاقبة
ابنه على أي جرمٍ حتى ولو كان صغيرًا، وربما يسمح أيضًا بإيقافه عن مهنته مُطبقًا
لتلك العدالة التي تُرغمه على عدم التفرقة بين المرؤوسين، لم هذه العدالة لا يُمكن
تطبيقها على الرؤساء من مرؤوسيهم؟....

أوشكت الشمس على المغيب مُخلفة وراءها أجواءً ساحرة وسماءً بُرتقالية خلابة،
كانت داليا في تلك اللحظة قد أنهت عملها هي وإسلام ليذهب كلاهما إلى تلك البناية
العتيقة التي من المُفترض أن يعثرا داخلها على ضالتهم، توقف إسلام أمام بوابة
عريضة من الحديد الأسود الصديء الذي يحفه الأزهار الذابلة والحشائش الخضراء
الفاقدة لمعاني الحياة بسبب قلة الاهتمام بها، تجاهل إسلام ما حول البناية ليؤججه
نظراته لحارس العقار الذي يرتدي جلبابًا كلؤن الفئران مع تلك العمامة البيضاء على
رأسه والتي جعلته يُشبهه مطاريد الجبل.

وقف حارس العقار أمامهما بابتسامة عريضة سمجة لفحت وجهه الأسمر، وقد بدا
ودودًا وهو يقول:

-أونمر يا باشا؟

حمم إسلام قبل أن يصبح صوته بالثقة وهو يسأل بجهل:

-إنت المسئول عن العُمارَة دي ؟

أوما حارس العُقار ولا تزال البسمة على وجهه وهو يمدُّ يده مصافحًا إسلام بُود:

-أيوة يا باشا ... عيد سعيد

لاحت الغرابة على وجه إسلام وهو يُبيادله المصافحة ويقول:

-هو إحنا في العيد ولا إيه ؟

جذب حارس العُقار يده وهو يُفسّر حديثه بتلك الابتسامة السمجة على وجهه:

-لأ ... أنا اسمي عيد سعيد... بواب العُمارَة

همهم إسلام بتفهم قبل أن يسأل مُجددًا بجديّة:

-أه... طب الحج رمضان موجود

أجابه عيد بلكنة صعيدية:

-جصدك الحج رمضان كريم؟ ... لا مش موجود

تدخلت داليا لتسأل:

-طب الحج شعبان موجود ؟

-لا مش موجود ... والحج رجب كمان مش موجود كلهم في المصنع

هكذا أجابهما عيد حتى سأله إسلام بسُخرية:

-طب شوال موجود

لاحظت داليا سُخريته فضربته على كتفه لأن هذا ليس وقتاً للمُزاح، فكان عيد يُطالعه في غرابة يُحاول التفكير في سؤاله بينما حمم إسلام قبل أن يسأل مجدداً ببعض السُخرية:

-هو النتيجة دي مفهاش حد موجود خالص ؟

اتسعت بسمة عيد مُجدداً وهو يوميء رأسه ويقول:

-لأ في ... الحج ربيع موجود

-ربيع أول ولا تاني ؟

هكذا سأل إسلام بسُخرية فضربته داليا مُجدداً على كتفه ليُعدل حديثه ويقول بجدية وتقرير:

-أقصد ... هو ساكن فين عشان إحنا عايزينه ضروري

أوما حارس العقار إيجاباً بعد أن سألهما عن بعض التفاصيل التي تتعلق بطبيعة العلاقة التي بينهما وبين من يقطنون هذه البناية، والتي آجاب عليها كلاً من إسلام وداليا باختصارٍ شديدٍ دون التطرق إلى تفاصيل لا أهمية لها، اكتفيا فقط بقولهما أنهما من طرف مرعي الذي كان على علاقة بكبير العائلة ميلاد والذي انتقل إلى رحمة ربه منذ فترة وجيزة حتى أصبح مرعي على علاقة وطيدة بابنه الأكبر رمضان.

دلف إسلام وداليا هذا المصعد العتيق ليُساعدهما عيد بتشغيله حتى يصعدا إلى الطابق الثالث، تركهما عيد وقتها بعد أن أخبرهما أن المنزل على جهة اليسار لأن لا أحد يقطن بالشقة الأخرى، كانت الرُدهة صغيرة تتكوّن من مُربعاتٍ بيضاء باهتة عفا عليها الزمن وجدارٌ بلون البشرة تشقق بعضه حتى ظهر الجير الأبيض وبعض الفتحات التي ينسل منها الجرذان والحشرات.

تغاضا عن عتاقة البناية وواصل السير حتى توقفت أدراجهما أمام بابٍ من الخشب وجرسٍ يُصدر صوت العصفور، دق إسلام الجرس وانتظرا لبرهة من الوقت ولم

يفتح لهما أحد، دق إسلام الجرس مُجددًا وبقي مُنتظرًا لنصف ساعة كاملة ولا أحد يفتح الباب، أخبرته داليا أن يرحلًا ويأتيًا في وقتٍ آخر وكان إسلام على وشك تلبية طلبها لولا استماعهما إلى صوت الباب الذي يتم فتحه بواسطة شابٍ يبدو بالعشرين من عُمره.

رمقهما بعوالم مُقتضبة وهو يسأل:

-إنتو مين؟

تبادلت نظرات داليا وإسلام قبل أن يتولى إسلام ضفة الحديث بسؤاله:

-هو الحج ربيع موجود؟

بقيت عوالم الشاب مُقتضبة وهو يُجيب بجفاء:

-بابا نايم ... وقالي محدش يصحيه

تدخلت داليا كمحاولة لإقناعه ببعض التوسل:

-طب ممكن بس تسأله على مكان إحسان؟

صوب الشاب نظراته المُتجمهرة نحوهما في صمتٍ حتى سأل:

-قصدك عمي إحسان؟

أوما إسلام رأسه إيجابًا دون أن يتأكد أنه يقصد إحسان الذي يُريدانه، زادت عوالم الحيرة على وجه الشاب حتى أرفد مُستندنًا:

-ثانية واحدة...

أغلق الباب وعاد إلى الداخل لُبُرْهة من الوقت حتى فتح الباب مُجددًا ومعه فتاةٌ
حسناً الوجه تبدو بمُقتبل شبابها، كانت ترتدي إسدال الصلاة وتبادل نظراتها بينهما
في حيرة حتى سألت:

-هو إنتو تعرفو عمو إحسان ؟

تدخل إسلام ليُجيب بثقة:

-إحنا جايين من طرف سُمية ... هي إلتنا عليه

ما إن أدلى هذا الاسم أمامهما حتى جحظت عينا الفتاة وتبادلت نظراتها مع أخيها
وكأن هذا الاسم له تاريخٌ بهذه البناية، تاريخٌ أدى إلى كوارث وأوجاع بعدها.

-ه... هي سُمية خرجت من المصححة ؟

سألتهما الفتاة بلهفة فأجابتها داليا بابتسامة هادئة:

-أيوة خرجت ... وبتسأل على إحسان ... ممكن تقولولنا هو فين ؟

تبادلت نظرات الشقيقين لفترة جال فيها الصمت والتفكير الذي قطعته الفتاة بلهفة:

-تعالو ورايا...

التفتت نحو شقيقها لتُخبره بأمرٍ:

-خليك هنا يا أنيس ... هروح معاهم ساعة زمن وهاجي

قبض أنيس على ذراعها بحدة ونظراته المُقتضبة صُوبها نحوها متفوّهاً:

-رايحة فين ؟ ... وإنتِ فكراني يعني هسيبك تروحي مع ناس غريبة

جذبت الفتاة ذراعها وهي تُطمئننه:

-متخافش، مش هيلحقو يعملو حاجة ... بعدين أنا مش هخرج برة العُمارة

ترك أنيس ذراعها ليرفع سُبَابته أمامها مُشترطًا عليها قبل أن تذهب معهما:

-هي نُص ساعة ... لو اتأخرتي هقول لبابا

وافقت الفتاة على شرطه ثم تركت المنزل لتتحرك قبالة داليا وإسلام نحو السُّلم المُهتريء، صعدت درجات السُّلم حتى الطابق الرابع وتبعها حيث هذا الباب الأسود ذو اللافتة التي تُشير إلى رقم المنزل، أخرجت الفتاة مفتاحًا من جعبتها كانت قد أخذته قبل أن تترك المنزل، أثناء إدخالها للمُفتاح داخل هذه الفوهة، كانت تقص عليهما بتفسير:

-أنا اسمي إيناس ... وعمو إحسان يبقى أخو بابا الصُغير ... بس من أم تانية

فتحت الباب بهدوءٍ وأدخلتهما المنزل البسيط المكوّن من قطع أثاثٍ مُتفرقة بها نزعة كلاسيكية بسيطة والكثير من الأتربة في كل مكان، واصلت إيناس سيرها داخل المنزل الهاديء حتى أوصلتهما إلى حُجرة تتوسط الرُدهة، وضعت يدها على المقبض لتفتح الباب بهدوءٍ ويتبعها إسلام وداليا بالعديد من الأسئلة التي تدور بذهنيهما، تلك الأسئلة توقفت تمامًا ما إن وجدا جسدًا مسجياً على الفراش وحوله العديد من الأجهزة والمؤشرات الحيوية، فبالطبع هذا الجسد لم يكن يُخص سوى... إحسان.

اتسعت حدقتا داليا في صدمة ما إن رأت إحسان في هذا الوضع مما جعلها تسأل:

-هو إيه اللي حصل ؟

توقفت إيناس بمُنْتصف الحُجرة لتُفسر لهما بمعالم مُتضايقة:

-عمو في غيبوبة بقاله سنتين ونُص ... ومحدث عارف هيفوق منها إمتى، ولا حد عارف حتى سببها

عُقْب إسلام ليسألها بفضول:

-انتو عرفتو منين إن هو في غيبوبة ؟

آجابته إيناس بصدقٍ ونفس هذه الملامح المُقتضبة:

-من حوالي ثلاث سنين، عمو إحسان جيه يسكن في العُمارة، وكان بيقول لجدو ميلاد إنه عايز يتجوز واحدة اسمها سُمية ... كلنا فرحناله ساعتها وعمو رمضان راح معاه عشان يخطبها له ... بس...

توقفت عن الحديث ليغتابها الضيق حتى كادت دموعها تنحدر وهي تواصل:

-اتفاجئنا لما رجعو وعرفنا إن إحسان اترفض... وعرفنا كمان إن إلي كان عايز يخطبها بيقولو عليها مجنونة وفي حاجة في دماغها ... وطبعًا عمو إحسان انهار، واتخانىق مع عمو رمضان وعمو شعبان وعمو رجب وحتى بابا وجدو... كلهم كانوا عايزينه يسبها ويتجوز غيرها... بس عمو إحسان قال إنه مش هيسبها، ومش هيسمح لحد يقول عليها مجنونة وبعدها قطع علاقته بينا، فضل في الشقة بتاعته مش بيخرج منها لمدة إسبوعين... ولما حبسته طوّلت، بابا راح يشوفه بعد ما أخذ المُفتاح من جدو....

تقدمت خطواتٍ نحو جسد إحسان وهي تسترسل بعوالم يآسة:

-لما بابا فتح الباب لقيناه مرمي على الأرض، كان وشه أبيض زي الميتين، ده حتى نبضه كان واقف وكنا فاكرينه ميت... بس الحمد لله النبض رجعله واحدة واحدة ... بس إحسان لسة مرجعش، حتى الدكاترة لما كشفو عليه معرفوش هو عنده إيه

تبادلت النظرات بين إسلام وداليا يحاولان نسج خيوط هذه القصة مع ما يمتلكه إحسان من قُدرات والتي على الأحرى لا يعرف أحدهم عنها شيئاً، بعد بُرهة من الصمت تقدمت داليا هي وإسلام صوّب إيناس ليُشاهدا عوالم إحسان الخالية من الحياة عازمين على عودته مُجدداً ولمّ شمله مع نصفه الآخر.

بعد بُرهة من الأحاديث القصيرة استأذن كلاهما وتركوا المبنى ليدلّفا سيارة إسلام استعداداً للعودة إلى المنزل، فهناك ما يجب عليهما إخبار الآخرين به قبل الإقدام على الخطوة التالية.

-يعني كدة النبض بيرجع للجسم لو سبناه لفترة طويلة... ده لو اكتشفو ان إحسان فقد وعيه بدري عن كدة كان ممكن يدفنوه حي

قالتها داليا باستنتاجٍ ليعقب إسلام على حديثها بعلمية:

-النبض ده ممكن ميبقاش حقيقي ... يمكن ده من نشاط العقل عشان يحافظ على الجسم من غير الروح المعنوية

ربطت داليا حزامها وهي تسأل:

-إحنا هنعمل إيه؟... أنا متأكدة إنه موجود في مكانٍ ما بروحه المعنوية إللي محدش هيشوفها غير المتنقلين، يعني إحنا بس إللي نقدر نرجعه

آدار إسلام مُحرك السيارة وهو يُنهى معها الحديث بدعاء:

-ربنا يسهل....

لطح اللون الأسود ديجور السماء المُزينة بالنجوم اللامعة والقمر المُستنير، كانوا في ذاك المنزل الخاص بإسلام يجتمعون ليتحدثوا بأمرٍ هامة تخص آخر التطورات، أخبرهم إسلام عما حدث وأخبرهم كذلك أنهم سيبدلوا قصارى جُهدهم ليعثروا على

روحه الطائفة، ولم تكن سُمية معهم لأنها تمكث عند والدته داليا ولم يُريدوا إخبارها عما حدث لإحسان خشية من قلة تفتها بهم ورفضها للتثبيت تمامًا، لهذا اتفقوا على إخبارها حالما يعثروا على روح إحسان الضائعة ويُعيدونها إلى جسده.

تبادلت الأحاديث بينهم في جدية وبعض المرح تارة أخرى، كان ميجو يجلس بينهم يمتنع عن مشاركتهم الحديث ليبقى شاردًا في عالمٍ آخرٍ يملئه الخوف والضعينة، الخوف من أن يتسبب بأذية جزءٍ من فؤاده، والضعينة من هذا الذي يُهدده ويُرغمه على تنفيذ أوامره، لم يكن يعلم أن الجرائم كالرمال المُتحركة، تجذب صاحبها حتى يُصبح جزءًا منها ولا تسمح له أبدًا بالتقاط يد العون والنفاد بجلده.

-ميجو...-

قطع شروده هذا الصوت الرقيق التي أطلقتته شمس بعد أن انتبهت على شروده؛ التفت إليها بعوالم باهتة تدّعي الثبات أثناء استماعه لحديثها البريء كالبسم الذي يُشفي السقم:

-إنه ردة رئيسة القسم قالتلي إنها موافقة على رسالة الماجستير بتاعتي ... أنا بجد مش مصدقة نفسي

قالتها بسعادة بالغة كطفلٍ حصل على شهادته الابتدائية تَوَّاء، حاول جاهدًا أن يرسم البسمة على ثغره حتى لا تُلاحظ اضطرابه.

-برافو يا حبيبتي

بصق تلك الكلمات بجفاء حاول حجبه قدر الإمكان، لكنه في النهاية استسلم من المحاولة وقرر أن يتحرر من هذا القفص أو على الأقل يأخذ قسطًا من الراحة، فهو لا يُريد مواجهتهم حتى لا يتذكر أنه يجب أن يطعن ظهورهم حتى لا يفقد قرة عينه.

-أنا... أنا هروح الحمام ثواني

قالها باستئذانٍ ليثب بعدها عن المقعد مُتجهًا إلى الداخل...

على جهة أخرى، كان لؤي يجلس على الأريكة بنظراتٍ غاضبةٍ تبعت حديثه عما حدث معه صباح اليوم، فكانت الكلمات تخرج من جوفه بسكاكين حادة تخترق أبدانهم:

-أجبرني اقدم اعتذار رسمي وأخذت إنذار بسببكم... بقي أنا على آخر الزمن اتهدد

أحاطه إسلام بذراعه لعله يُهديء القليل من روعه بطبيعته المرححة:

-رؤق يا لول ... فيها إيه يعني لما تاخذ إنذار، ما إنت إيلي عملت فيها السقا وضربت نار على الفاضي وعلى المليان... بعدين ده أبوك يعني، أكيد مش هيضع مُستقبلك

قهقه لؤي قهقهة ساخرة بدت متألّمة عندما تذكر واقعه المرير:

-أبوية !! ... قصداك إيلي مريني...

أبعد نظراته عنهم ليوجهها أمامه وهو يسترسل ببحورٍ من الأوجاع تكتنفه:

-كل ما بتعدي الأيام ... كل ما بحس أكثر بالقهر... بالقهر على أمي ماتت ومعرفتش اشوفها... كل إيلي عايزه إني الاقي إيلي عمّل فيها كدة عشان النار إيلي جوايا تنطفي وأخلص من الصراعات دي

رماه مُعتر بنظراتٍ قلقة قال بعدها:

-هتعمل إيه لما تلاقيه ؟

لم ينبس لؤي ببنت شفة بالبداية ليُمعن التفكير في ذاك السؤال، ما الذي سيفعله بذاك الحقير الذي اعتدى على والدته ؟ ما الذي سيفعله بمن كان السبب بفقدانها لحياتها وتركه مع هذين الزوجين اللذان ربيانه كابنهما ؟ ما الذي سيفعله بوالده ؟؟

-معرّش هعمل إيه ... بس أكيد إللي هعمله مش هيفرق كثير عن إللي عمله في
أمي

قالها بتهديدٍ مُبطنٍ لم يشأ أي منهم بترجمته، فقد ازدادت عوالم القلق داخلهم لم سيفعله
لؤي والذي ربما سيتسبب بنهاية حياته للأبد...

يتحرك ميجو داخل رُدْهة المنزل بعد أن ترك المرحاض، أو أنه لم يذهب إلى دورة
المياه من الأساس، فقط يتجوّل داخل المنزل يبحث بعينه عن ضالته وتارة يُراقب
تحركاتهم حتى لا يُلاحظه أحد، توقفت أقدامه أمام خزانة صغيرة خشبية عليها
مزهرية كلاسيكية تحمل العديد من النقوش والأزهار الصناعية، أمسك أحد الأدراج
بهدوءٍ ليفتحها ويُداهمه بريق هذه القطع المعدنية الخاصة بمجموعة من المفاتيح.
تلفت يمينًا ويسارًا ليتأكد أن لا أحد يراه وهو ينتشل هذه المفاتيح ويضعها داخل
جعبته بالخفاء...

دقت ساعة الصفر، وها هُما على فراشهما الوثير يستلقيا عليه وجسدهما مُغطى بملاءة
رقيقة تُناسب فصل الصيف والهواء الذي يبعثه المُكيف، كانت الحُجرة مُظلمة تُهيئهما
للنوم والغرق في تلك الأحلام التي تفصلهما عن الواقع، لكن يبدو أن النوم لم يستطع
النيل من داليا وجعلها تستلقي على ظهرها ترمق سقف الحُجرة بمللٍ يجعلها ترغب
في ترك الفراش ومشاهدة التلفاز حتى يأتيتها النوم، لكن عقلها يُخبرها أن عليها النوم
باكرًا بسبب وظيفتها وبسبب ما تنوي فعله بالغد؛ لهذا السبب قررت أن تجلس على
الفراش لعل النوم يأتيتها فجأة.

زفرت الهواء من فمها بنفاد صبرٍ لتلتفت نحو إسلام وتجدّه بجوارها يتقلّب بهدوءٍ
لعله يُهيئ جسده على نومة هنيئة أوقفها هي بقولها:

-إسلام ... يا إسلام...

همهم إسلام وهو لا يزال مُغلقًا عينيه ليجدها تسأله بدلالٍ زائفٍ لا يليق بها أبدًا:

-إيه أكثر حاجة بتحبتها ؟

كانت داليا تنتهز ذاك الملل لثُجرب حظها وتنال قِسطاً من الرومانسية التي لم تنالها بحياتها، فهي قد شاهدت إحدى مُسلسلاتها الهندية ورات كم أن البطل يُغازل حبيبته ويُغرقها بكلماتٍ معسولة جعلتها تؤد اقتحام المشهد والزواج منه بدلاً من البطلة، لكنها قالت، ربما تستطيع تنفيذ تلك اللقطات الرومانسية بالواقع، أو على الأقل تحاول، ربما يحمل إسلام شيقاً رومانسياً هائماً اكتسبه من صديقه المُقرب مُعترز.

-يا إسلام ... قولي بقي إيه أكثر حاجة بتحبتها ؟

سألته مُجدداً حتى يستيقظ من النوم ويُلبي رغباتها، وجدته بلتفت ليواجهها وعلى وجهه إمارات الحنق لأنها قطعت نومه، لكنه مع ذلك حافظ على هدوءه وهو يُجيبها بعفوية وصدق:

-يا داليا ما إنتِ عارفة إيه أكثر حاجة بحبها أكيد يعني البشاميل بالسُجق

حسناً، تلك الإجابة الجافة كانت متوقعة من شخصٍ مُتبدل المشاعر كإسلام، لكنها مع ذلك استجمعت طاقتها واستجمعت شُعلات غضبها وهي تسأله مُجدداً بطريقة أخرى ودلالٍ مُفتعلٍ آخر.

-طب إيه أكثر حاجة قُريبة لقلبك ؟

رماها إسلام بنفس ابتسامته الواثقة المُتبهنسة قبل أن يُجيبها بعلمية:

-بس كدة، بسيطة... أقرب حاجة لقلبي هي الغشاء الوقائي إلي بنسميه " التأمور " والقلب أساساً موجود جوة القفص الصدري إلي عند الرئتين، فممكن كمان القفص الصدري يكون أقرب حاجة للقلب ... بعدين إنتِ ليه بتسألني السؤال ده ؟

ضربت داليا جبهتها بنفادٍ صبرٍ جعلها تُغلق عينيها وتُغمغم بصوتٍ مُنخفض:

-أدي أخرت إلي تتجوز دكتور

مدّت يدها نحو إسلام لتدفعه بغيظٍ حتى يعود إلى نومته قبل أن تنفجر بوجهه:

-نام يا إسلام نام... أنا غلطانة إني بتكلم مع واحد زيك

استجاب إسلام لحديثها ونظرات الحيرة والبلاهة على وجهه، فهو حتى الآن لا يعلم لمَ تسأله هذه الأسئلة العجيبة، لكنه على أي حال، استلقى مُجددًا على الفراش وتركها تُحدق في السماء تحاول جاهدة الغرق في النوم.

بعد مرور أقل من ساعة بدت كالدهر بالنسبة إلى داليا، فالنوم أقسم على ألا يأتيها أبدًا في هذه الليلة، ومن شدة مللها بدأت الأفكار الغريبة تجتاح عقلها وتجعلها تقول:

-إسلام... يا إسلام

همهم إسلام مُجددًا بنفادٍ صبرٍ ليحدها تسأل بتفكيرٍ وعيناها تُحدقان في السماء:

-إسلام هو إحنا ليه عايشين؟... يعني إيه المغذى من وجودنا يعني؟ ... اشمعنا اتخلقنا في الجسم ده بالذات؟

غمغم إسلام بنفادٍ صبرٍ وهو يتقلب على الفراش:

-استغفر الله العظيم يا رب...-

رفع بعدها صوته حتى تسمعه:

-نامي يا داليا ومش وقت فلسفة

علمت داليا فورًا أنه يُحاول إصماتها لكنها عزمت على ألا تنام قبل أن تعثر على إجاباتٍ لأسئلتها التي لا إجابات لها، فبعد فترة وجيزة من الصمت أخذت تسأل نفسها مجددًا بتلك الطريقة الفلسفية الأشبه بفلسفة اليونانيين:

-طب تفتكر إن التنقل ده موجود عند الحيوانات كمان ... يعني الحيوانات إللي اتولدت معنا في نفس اليوم تقدر تسبب جسمها هي رُخرى؟....

صممت برهة ليزداد تفكيرها تعمقاً وحماقاً حتى سألت:

-يعني أنا كدة ممكن أصحى الاقي نفسي جوة جسم قطة ولا كلب؟ ... يا خوفي لو صحيت لقيت نفسي خنزير

مدت يدها لتُحرّك إسلام حتى يستيقظ ويستمع إلى سؤالها عنوة:

-يا إسلام ... هو إنت هتعرف تتعامل معايا لو أنا بقيت حيوان؟

آجابها إسلام هو يستلقي مكانه:

-ما أنا بتعامل معاكي أهو يا داليا

زمرت داليا بغضبٍ من سُخريته منها مما جعلها تقول مؤبخة:

-تصدق إنك واحد مُستفز ... أنا غلطانة إني بشاركك أفكارى

طُح الكيل بإسلام في تلك اللحظة وآرادها أن تتوقف عن التثرثرة بأية طريقة حتى تتركه ينام نومة هنيئة، فكان يُحدثها ببعض التوبيخ أثناء قوله:

-كويسة إنك عارفة غلطك ... سيبيني بقى أتخمد عشان ورايا هم ما يتلم بكرة

زفرت الهواء من فمها بضيقٍ ولازالت تسترخي بظهرها للوراء محاولة تنفيذ هذه الأفكار حتى يصفو ذهنها وتستطيع النوم، لكنها بعد برهة من الصمت وجدت لسانها يسأل بفضول:

-يا ترى أرناف هيعمل إيه في الحلقة إللي جاية؟

ما إن أنهت سؤالها حتى وجدت تلك الوسادة ترتطم بها من جهة اليمين، أي الجهة التي يجلس بها إسلام بعد أن طفح كيبله ولم يعد يتحمل ثرثرتها في مُنتصف الليل، تأوهت تأوهُاً خافئاً وهي تُبعد تلك الوسادة عنها وتقول:

-خلاص هنام...-

زفرت الهواء من جوفها مُجددًا وهي تحاول الاستلقاء على أحد جوانبها حتى يستطيع جسدها النوم بأريحية، ويستطيع عقلها تنفيض هذه الأفكار الحمقاء بعيدًا، لكنها ما إن استلقت وكادت تُغلق عينيها حتى استمعت إلى هسيس يُصدر من خارج الحُجرة مباشرة، هذا الهسيس تحوُّل مرة واحدة إلى صوْت أقدامٍ وأثاثٍ يتم تحريكه.

انقبض فؤادها ذعرًا وتسارعت دقات قلبها وهي تهزُّ إسلام باستنجاد:

-إسلام ... إسلام..-

غمغم إسلام بنفاد صبرٍ ما إن تلقى هزاتها التي سبقت غرقه في النوم مباشرة:

-يادي أم إسلام على إلهي جابو إسلام...-

اعتدل في جلسته ليلتفت نحوها ويسألها بحدّة:

-نعم-

استمرت تلك الأصوات تضرب أذنيها وهي تقول بارتعاد:

-في صوت برة يا خوفي ليكون في حرامي ... أنا قولتلك من الأول بلاش الدور الأرضي

أنهت حديثها بعتابٍ ونظراتٍ مذعورة لتجد إسلام يتحلّى بالصمت لو هلة ثم يسأل:

-صوت إيه ؟-

لم يكد يتلقى الإجابة منها حتى داهمه نفس ذاك الصوّت الذي يُشير إلى أن هناك دخيلاً يتجوّل بالمنزل، لكن الصوّت ارتفع مرة واحدة ليُجعل ارتعاد دالياً يزداد أضعافاً وهي تقول:

-أهو .. سمعته ؟

رفع إسلام الغطاء عن جسده ليترك بعدها الفراش رافعاً سُبَابته اتجاهها وهو يقول بصرامة:

-خليكي هنا متحركيش

استجابت داليا لأوامره وبقيت على فراشها تُراقبه يترك الحُجرة بنبضات قلبٍ مُتسارعة.

ترك إسلام الحُجرة وبدأ يتحرك بخطواتٍ هادئةٍ فوق الرُدْهة حتى التقطت يداها العصا الخاصة بالممسحة، قبض على هذه العصا بنظراتٍ حادة صارمة خالية من معاني الخوف رغم أن قلبه ينبض هلعاً وذعراً، بقيت خطواته تتحرك ... وتتحرك .. وتتحرك ... حتى...

صوّت الزناد داهمه مرة واحدة ما إن وصلت قدماه لمُنْتَصَف البهو؛ ازدرد ريقه في ذعرٍ وهو يرى تلك الأسلحة الموجهة على عينيه مباشرة وتلك النظرات المُرعبة المصوّبة نحوه لتجعله كالفرخ المبلول، ألقى بعصاته المسكينة على الأرض ليرفع يده مُستسماً لهذا السلاح المصوّب على رأسه، وهؤلاء الضيوف الذين لم يتم دعوتهم إلى منزلهما...!!

الفصل الثامن عشر (بداية المعركة)

إذا صدقت الخرافات، تُصبح مجنونًا، وإذا صدقت الحقائق ... تُصبح مذعورًا

انقبضت أوزاره واحقن وجهه وهو يرفع يديه المُرتجفتين في السماء داعيًا ربه في قرارة نفسه ألا يطلق الرجل تلك الرصاصات عليه وينفجر وجهه مُلطحًا أرجاء المنزل بدماءه، بقي مُتصلبًا كالصنم حتى أمره المُلثم بالتحرك في هدوءٍ دون اعتراضٍ حتى لا يُلقيه سريعًا؛ نفذ إسلام أوامره مُجبرًا وبدأ يتحرك بضع خطواتٍ هادئة حتى داهمه المُلثم بسؤاله الحاد:

-مراتك فين؟

محمد إسلام بارتباكٍ مانعًا تلك القطرات من الانسياب على جبهته وهو يجيبه بكذب:

-م...مش هنا ... مش في البيت، أنا لوحدى

لم يشأ أن يُعرض داليا للخطر لأنه لا يعلم ما الذي سيفعله أولئك المُجرمون به والذي على الأحرى لن يضحى جيدًا أبدًا، لهذا السبب أخفى حقيقة أن زوجته بالمنزل لعلها تبقى بمأمنٍ بالداخل، لكن هذه الغيبة أفشت كذبه بصوتها المُرتفع من داخل الحُجرة:

-مين إلبى برة يا إسلام؟

أغلق إسلام عينيه وهو يسبها بخفوتٍ في قرارة نفسه، حيث وجدها تترك الحُجرة بعد أن ارتدت سُترة مُحتممة لترى من الذي يزورهما في وقتٍ متأخرٍ كهذا.

ما إن تركت الحُجرة حتى انتفض جسدها بذعرٍ إثر هذا السلاح الذي انتقل ليصوب على رأسها ويجعلها تكاد تهوي على الأرض هلعًا، أمرها المُلثم أن تتحرك بجوار إسلام وما كان أمامها سوى أن تُلبي رغباته دون اعتراضٍ حتى لا تلقي حتفها؛ أخذت تسير بجوار إسلام الذي ينهرها بصوتٍ هامس:

-إنتِ إيه إلبى خرجك من الأوضة؟

بررت له داليا بذات الصوت الهامس وهي تسير بجواره اتجاه البهو:

-ما انت تأخرت وأنا قلقت عليك-

لم يكد إسلام يواصل حديثه معها بتؤبّيح حتى داهمه دفعة قاسية من المُلثم دفعته للأمام حتى الأريكة، فيبدو أن ثرثرتهما كانت تُصيّبه بالإنزعاج.

اندفع إسلام بجسده صوّب الأريكة لتتسع حدقتيه بذهولٍ من رؤيته لجابر يجلس هو الآخر في منزلهما وعلى وجهه إمارات الذعر والإجبار، جلس إسلام بجواره كما جلست داليا بجوار إسلام تحاول الاحتماء به من نظرات المُلثمين المصوّبة نحوهم مع تلك الأسلحة التي تُصيّبهم بالذعر.

-إنت إيه إيلي جابك هنا ؟

سأل إسلام ذاك السؤال بصوّت هامسٍ ووجهه نحو جابر الذي أجابه بنفس ذات الهمس:

-لقيتهم دخلو عليا البيت وجابوني على هنا

إقتربت داليا نحوهما لتُشاركهما الحديث بسؤالها الهامس:

-هما دخلو إزاي أصلاً ؟

أجابها إسلام بجهل:

-معرفةش... بس شكلهم دخلو من الباب

قطع حديثهم أقدامٌ مهيبة وبزة شديدة السواد مع نظراتٍ مأكرة تُشبه نظرات ناظر المدرسة الغليظ وهو يُعاقب الطلاب، فلم يكن هذا الرجل سوى طلال الذي أتى منزلهما عازماً على بدء معركته وتجنيد المُنتقلين لصالحه، كذلك الانتقام لصديقٍ عزيزٍ عليه تم القضاء عليه بسبب هذين الأرعنين ورفاقهما.

-مش مهم تعرفو أنا جيت إزاي ... المهم تعرفو أنا جيت ليه ؟

بدأ الحديث بتلك الكلمات الافتتاحية المبهمة التي جعلت ثلاثتهم يلتصقون ببعضهم موجهين نظراتهم نحو هذا الغريب المهيّب الذي لا يبدو أنه يضر لهم الخير أبداً، جذب طلال أحد المقاعد ليجلس عليه أمامهم مُسترخياً بظهره للوراء مُخرجاً لجليونه الذي يُلازمة أينما ذهب، أشعل ذاك الغليون ليستنشق منه نفحاتٍ من السموم ويُطلقها على هيئة أدخنة كثيفة كادت تُصيبهم بالاختناق.

-عرض عليكم اتفاق تنفذو إلي هقولكم عليه ... مقابل مبلغ كويس يعيشكم العيشة إلي تتمنوها

توقف طلال بعد هذه الجُملة التي جعلت نظراتهم تتبادل في حيرة قطعها إسلام الذي تحدّث خوفه ليسأل بتوتر:

-نفذ إيه ؟

وثب طلال من مقعده وأخذ يطوف حولهم وهو يقول بنبرة مهيبية واثقة:

-أنا عارف إنتو بتعرفو تعملو إيه ... عارف إنكم مُتقلّين، عشان كدة بعرض عليكم تشتغلو معانا....

واصل السير حولهم وهو ينفث من جليونه ثم يُطلق الأدخنة في الهواء ويقول:

-إحنا شبكة أعمال سرية هدفها خدمة المواطنين والقضاء على إلي يخرج برة طوعنا وبما إنكم بتعرفو تنتقلو بروحككم ... وتروحو أماكن سرية من غير ما حد يشوفكم ... فمُهمتكم هتكون مراقبة المجالس الدولية والمُنظمات ... عشان لو فيه خلل في نظام الدولة ... نلحق نصلحه

قطب إسلام حاجبيه بحيرة محاولاً تذكر أين سمع هذه الكلمات من قبل ؟ يتذكر من أخبره سابقاً أنه يقوم بخدمة للأبحاث العلمية وفي النهاية يتضح أن مكنون تلك

الأبحاث شيطانيًا هدفه تدمير العالم، لن ينسى أبدًا تلك الذكريات التي جعلته يُبادل نظراته مع داليا حتى تبدأ هي الأخرى بالتفكير فيما يقول وتندفع بنبرة صارمة واثقة:

-أأاه... هو الفيلم بيعيد نفسه ولا إيه؟... إنتو فاكرينا عبط؟ عايزين تغرونا وفي الآخر تدونا على قفانا... لا بعد إذتك، إحنا شوفنا الفيلم ده قبل كدة.... ومش هنقبل بالعرض ده

دعم إسلام حديثها بكلماتٍ مُندفعة واثقة:

-أيوه... واتفضل يا أخينا لم رجالتك من هنا عشان فيه لوا وظابط فوق لو قولنا له عليكم هياخدكم في دوكا

لم تؤثر أي من هذه الكلمات على طلال الذي أخذ يُقهقه بسخرية على ثقتها الواهية، تلك القهقهة الشيطانية جعلتهم يرتعدون في خوفٍ ويُدركون جيدًا أن تحديهم له ولأفراد عصابته لن يمر مرور الكرام.

توقف طلال عن الضحك ما إن وثب خلفهم يمتد بجذعه للأمام حتى يهمس بأذني داليا وإسلام اللذان ظنا أنهما يتحدّيانه:

-ومين قالكم إني باخد رأيكم؟

ازدردت داليا ريقها بخوفٍ بينما تحلّى إسلام بالصمت حتى تدخل جابر مُستفسرًا:

-يعني إيه؟... هو إحنا هنعملوها بالعافية ولا إيه؟

انتقل طلال بأنظاره نحو جابر ليُربت على كتفه تربيته متوعدة قال معها بتهديد صريح:

-حاجة زي كدة.... عشان لو منفذتوش إلي بقول عليه.... تقولو مع السلامة لواحد واحد من سُكان العمارة دي... وإلي أنا عارف إن كلهم أصحابكم وحبابكم

أخرج سلاحه الأسود من جعبته ليُعمّره جيداً ثم يُلصقه برأس إسلام حتى يُنهي تهديده بهسيسٍ أشبه بهسيس الحية:

-ولو فكرتو تفتحو بوقم وتبلغو عن إلي حصل ... فلازم تعرفو إني لما بقول
حاجة ... بنفذا

كاد إسلام يهوي على الأرض من شدة هلعه لكنه تمالك قدر الإمكان محاولاً نسيان ما يحدث حوله حتى لا ينفجر باكياً كالرُضع، أعاد طلال سلاحه داخل جعبته ليُخرج بطاقة من الورق المقوى ويضعها على الطاولة كي يُنهي الحديث بتقرير:

-ده الرقم إلي تتوصلو بيه معايا ... يومين بالكثير وتكونو جايينلي الأخبار إلي أنا
عايزها...

بصق تلك الكلمات بوجههم ثم تحرك ليترك المنزل ووراءه المثلثين الذين تركوهم غارقين في كهف هلعهم وأنفاسهم المُنقبضة، ما إن تأكدوا من رحيل طلال وأفراد عصابته عن المنزل حتى زفر إسلام الهواء من فمه بأريحية وكأنهم كالفيل الذي جلس على صدره ثم تركه لتعود أنفاسه.

لازال الهلع على وجوههم خاصة بعد تلقيهم هذا التهديد الصريح، أمسكت داليا البطاقة وهي تسأل بحيرة:

-هُما عرفو منين إننا مُتقلين؟ ... ده مفيش حد يعرف غيرنا ... و..

لم تواصل حديثها بسبب تلك المعلومة التي داهمتها كما داهمت إسلام هو الآخر أثناء قوله:

-الْمُنْظَمَة ... المنظمة إلي كانت بتلاحقنا ... أنا شاكك إن الراجل ده تبعهم

قالها إسلام بيقينٍ لتسأله داليا بتيه:

-بس المنظمة عارفاني أنا وإنت بس ... عرفو منين إن جابر هو كمان مُتنقل؟

فكرُ إسلام في حديثها لُبْرهة من الزمن لم تُساعده على معرفة الإجابة، فكانت نظراته مصوَّبة للأمام وهو يُجيبها بجهل:

**-مش عارف ... بس شكلهم كدة لسة ملاحقتنا... ومش بعيد كمان يكونو بيراقبونا
وبيراقبو كل المُنتقلين**

تدخل جابر بحديثهما ليستفسر:

-هنعملو إيه ؟ ... مش كدة ممكن يعرفو إن سُمية كمان مُتنقلة ؟

ربت إسلام على كتفه مُطمئنًا:

**-إن شاء الله مش هيعرفو ... إرجع إنت على البيت وبُكرة الصُبح نبقي نشوف
الموضوع ده**

أوما جابر إيجابًا وترك مقعده بجوار إسلام ليترك المنزل عازمًا على أخذ قِسطًا من الراحة والتفكير في تلك المُعضلة بالصباح الباكر، لا يعلم حتى إن كان سيستطيع النوم وحده في تلك الليلة بعدما حدث، يجزم أنه سيبقى مُتيقظًا طوال الليل خوفًا من أن يقتحم أحدهم منزله مرة أخرى.

ما إن ترك جابر المنزل حتى بقي إسلام وحده يحني جذعه للأمام مُكثفًا رأسه بكلتا يديه محاولًا إضمار كُتلة الأُصداع التي تُداهمه وتكاد تُمزق رأسه إربًا، لم يكن متأكدًا إذا كان سبب صُداعه هو الرغبة في النوم أو نتيجة الهلع مما مرُّ به، أو من ذاك التهديد الذي رُبما يضحى حقيقياً، فأخر مرة تعرضا بها للتهديد انتهى بهما الأمر وهُما على شفة حُفرة من الموت.

لم تختلف حالة داليا عنه، بل رُبما كانت أسوأ، تبا لهذا النوم اللعين الذي لم يُرد زيارتها وكأنه يعلم بتلك الزيارة المشئومة، فما هي الآن لن تنام ليلتها ليومين مُقبلين بسبب ما حدث.

مدَّت يدها لتضعها على كتف إسلام متسآلة بقلق:

-هنعمل إيه يا إسلام؟... أكيد مش هنفذ إيلي الراجل ده بيقوله

تنهد إسلام تنهيدة حارقة وهو يرفع رأسه لأعلى بنظراتٍ صارمة قال معها:

-لازم نتثبت بأسرع وقت ... ولازم كمان نقول لجابر إنه يتثبت

-هنتثبت إزاي وإحنا لسة مش لاقيين إحسان ومش ضامنين إن التثبيت آمان؟

بقي لبرهة من الزمن في حالة من الصمت والتخبط حتى استلقى على أحد جانبيه متفوّهاً بتقرير:

-بسيطة .. هندوّر على إحسان دلوقتي

ما إن أنهى كلماته حتى انتقلت روحه العابرة تطوف في الأرجاء بعيداً عن جسده، كاد يتحرك بعيداً عن المنزل بحثاً عن إحسان لولا داليا التي استوقفته وهي تستلقي على إحدى جانبيها لتتطلق هي الأخرى بروحها لعلها تُساعده بالبحث، تركا جسديهما مُستلقيان على الفراش لتبدأ بعدها رحلة البحث عن تلك الروح الضائعة....

ظلام دامسٌ حاوُط هذه البُقعة التي لم تخلو من نعيق الغربال وهسهسة الأشجار مما أضفى أجواءً مُرعبة أكثر مما هي عليه، العديد من الصخور تترامى حولهما والتي نُقش عليها أسماء الموتى أسفل هذا الثرى، لم يكن يوجد بتلك المُقبرة سوى الظلام والقتامة التي قد تتسبب بانخلاج الفؤاد عن الصدر من شدة الهلع، تلك المقبرة لم تكن سوى أول مكانٍ يبدأ البحث بداخله عن إحسان، ولم يكن هذا من أفضل الحلول أبداً خاصة بهذا الوقت المتأخر من الليل.

مع اشتداد صوّت الهسهسة ونعيق الغربال، اكتنف الرُعب طيّات داليا وهي تتشبث بذراع إسلام وهي تهمس بأذنه بهلع:

-إسلام ... أنا خايفة لا يطلعنا شبح ولا حاجة

رسم إسلام بسمة ساخرة على شفتيه وهو يردع حديثها:

-والله يا داليا أنا مش عايز اصدك ... بس إحنا أصلاً أشباح

تذكرت داليا صدق كلماته مما جعل فؤادها يهدأ وتقول:

-أه صح...-

تبدلت نبرتها إلى اللفظة وهي تلتفت نحو إسلام كي تطلب منه بصبيانية:

-طب بما إننا أشباح ما تيجي نروح للبت الخديجة إلي كانت معايا في المدرسة ونخوفها ... أصلها كانت بت رخمة أوي كانت بتتمر عليا وأنا صغيرة

أنهت حديثها بحنقٍ وهي تتذكر طفولتها المأساوية والمُتشردة ورغبتها من الانتقام من تلك الفتاة عدوة طفولتها، لكن إسلام أوقف طموحاتها وطلباتها الصبيانية بنبرة جادة:

-هو وقته يا داليا ... إحنا لازم نعرف إحسان فين

زفرت داليا الهواء من فمها بضيق وواصلت السير بجواره حتى أرذفت بنفاد صبر:

-أنا زهقت ... شكله مش موجود هنا ... تعالى نروح ندور في مكان تاني....-

وهكذا بدأ البحث مُجددًا في شتى البقاع، بحثًا في الأسواق والمراكز التجارية وحتى ملاهي الأطفال والمطاعم والمُستشفيات العمومية والخاصة، طالت مدة بحثهما لأكثر من ثلاث ساعاتٍ متواصلة حتى داهمهما اليأس والاستسلام، كما أن الصباح بدأ يصبو عليهما، فليس من السهل أبدًا أن يعثرا على شخصٍ واحدٍ دون أي خيطٍ يدلّهما عن موقعه، فكانهما يبحثان على إبرة وسط كومة من القش....

انتهى بهما المطاف وهما يتحركان في شارع خالٍ من المارة ووراءهما الشمس تبدأ بالشروق مُخلفة وراءها نسائمٍ هادئةٍ علية لم تُلطف ولو قليلاً من تلك العُمة

بداخلهما، فكان وجهيهما عابساً يأساً وأجسادهما المعنوية تكاد تفيض من الملل
والرغبة العارمة بالعودة والتنعم ببعض الراحة.

بدأت الطُرقات تعتج بالقليل من الناس ممن يذهبون إلى دوامهم في الصباح الباكر،
فمنهم من استقل سيارته ومنهم من قرر أن يجلس على ذاك السور الذي يطل على
نهر النيل مباشرة رغبة بمشاهدة الشروق وتلقي بعض الطاقة الإيجابية كما يفعل ذاك
الرجل الذي جلس إسلام بجواره وجلست داليا هي الأخرى كي تُخبره بنفاد صبر:

-أنا بجد تعبت ... إحنا لو مسكنا مصر حته حته مُستحيل نلاقي اللي اسمه إحسان

ده

حاول إسلام بثها بعض العزيمة التي لم تكن عنده من الأساس مما جعله يُخبرها
ببعض الحدة:

-اعمل إيه طيب يا داليا ... ما هي سُمية دي لو عملت التثبيت وهي ساكتة كُنا
خُلصنا بس نقول إيه ... لازم نجبلها حبيب القلب إلي منعرفش هو راح فين

-مش هتلاقوه هنا

داهمهما هذا الصوّت الغليظ الذي لم ينتبه إسلام له في بادئ الأمر مما جعله يواصل
الحديث بنفس اندفاعه:

-منا عارف إننا مش هنلاقيه هنا إحنا دوّرنا في كل حته_

قطعت داليا حديثه بعينين جاحظتين مصوّبتين نحو ذاك الرجل الذي يجلس بجوار
إسلام، فكانت تُربت على كتف إسلام وتتحدث ببعض التوتر:

-استنى يا إسلام ... ه...هو .. حضرتك بتكلمنا ؟

التفت الرجل نحوهما لتظهر ملامحه الغليظة وتلك العُصبة السوداء التي يُغطي بها إحدى عينيه لتجعله أشبه بالقراصنة خاصة بملابسه السوداء ونظراته التي تبتث الرُعب في النفوس أثناء قوله الواصل:

-أيوة بكلمكم ... وبقولكم مش هتلاقوه هنا

بصق تلك الكلمات ثم عاود النظر نحو مياه النيل بعد أن ترك حيرتهما مُعلقة في الهواء، فيبدو أنهما وجدا مُتنقلاً آخرًا عن طريق الصدفة هذه المرة.

اعتدل إسلام ليووجهه وبعض اللفة تغتمه أثناء سؤاله:

-هو إنت شايفنا وسامعنا؟

رماه الرجل بنظرة ساخرة قال معها بنبرة جافة خالية من المشاعر:

-أومل هكون بكلم نفسي

تدخلت داليا بالحديث قبل أن تُعقب بتساؤلٍ وفضول:

-هو إنت مين؟

رسم الرجل بسمة مُرعبة على ثغره وهو يُجيبها:

-عزرائيل

ازدردت داليا ريقها بهلعٍ لئتمسك بكتف إسلام متفؤهة:

-ي...يلا يا إسلام نمشي من هنا... ده بيقولك عزرائيل

جذب إسلام ذراعه بعيدًا عنها مُستطرذًا:

-استني يا داليا ... أكيد ده مش اسمه، بعدين إحنا مش بنشوف غير مُتقلين

ثم وجه نظراته نحو ذاك الرجل متسألًا:

-هو إنت اسمك عزرائيل؟

آجابه الرجل بجمودٍ يحمل بعض المهابة:

-اسمي حرب ... بس بيقولولي عزرائيل ... ملك الموت

أنهى حديثه بابتسامة مُرعبة جعلته يبدو كمُختلاً عقليًا جعل داليا تتشبث مَّجددًا بذراع
إسلام كي تهمس بأذنه:

-يلا يا إسلام بقولك

جذب إسلام ذراعه للمرة الثانية محاولًا التهدئة من روعها رغم أن الخوف بدأ يرتابه
حيال هذا الرجل العجيب:

-اصبري يا داليا شكله يعرف إحسان

همست داليا بأذنه مُكذبة حديثه:

-وهيعرفه منين يعني_

لم تكذ تُنهاي حديثها حتى وجدت حرب يقطعها بثقة:

-إحسان ميلاد، إللي ساكن في شُبرا مع عيلته، وإللي بيحب واحدة اسمها سُمية...
أنا عارفه كويس ... وعارف كمان هو فين

اتسعت حدقتيهما في لهفة جعلت إسلام يسأل باندفاع:

-فيه ؟ .. بالله عليك لتقولنا عشان إحنا عايزينه ضروري

بقيت عوالم حرب جامدة مُتصلبة و هو يلتفت بنظراته صُوب النيل مُستطرّدًا
باشتراط:

-متعودتش أدي لحد حاجة من غير مُقابل بس لو عايزين تعرفو إحسان فين ...
يبقى تنفذو إلي هقول عليه

ظنّ إسلام أن ذاك هو طُوق النجاة الذي سيصلهما لبر الأمان، لهذا السبب قرر أن
يتنازل بعض الشيء في سبيل البحث عن إحسان، ففي النهاية، من يطلب منهما تنفيذ
شروطه ما هو سوى مُتنقّلٌ مثلهما، فما يعلّنه يستطيع هو الآخر أن يفعله، لهذا
السبب شروطه لن تكن بهذا العُسر وربما تكون أبسط مما يتخيلا حتى.

-وإحنا موافقين ... ننفذ إلي إنت عايزه ... وإنت تقولنا على مكان إحسان....

انتهى العرض مع شروق شمس يومٍ جديدٍ داخل هذا الملهى الليلي الذي ينتهي الدوام
فيه صباحًا، طفق ميجو يُزيح دربوجته جانبًا ليضعها داخل حُجرة المُعدات ثم يتحرك
فوق الرُدْهة المحفوفة بسِجادٍ أحمر من القطيفة، تجاهل اغوائت النساء وهمساتهن
ونظراتهن المصوّبة نحوه، فهو لا يُعيرهن انتباهًا بالفترة الأخيرة ولا يبقى طويلًا
بالملهى، فهو حتى بات يشناق للمنزل أكثر من ذي قبل، ولا يزال ينتظر الفرصة
التي سيجد فيها عملاً آخرًا وينتقل من هنا للأبد.

توقفت أقدامه أمام بابٍ أبيضٍ يحمل لافتة عريضة مُزركشة يبرق لمعانها من تلك
المُلصقات التي تحمل شكل نجومًا، وضع يده على المقبض كي يفتح الباب بهدوءٍ
ويترجل إلى الداخل حيث تجلس تيتي أمام المرأة تنزع ما تبقى من مُستحضرات
التجميل ولا تنتبه له بُتاتًا، فحديثها معه بات نادرًا بالفترة الأخيرة، أي بالفترة التي
توقف فيها عن المتاجرة بتلك الممنوعات التي يبتاعها لها.

-نعم يا موكوس ... عايز إيه ؟

قالتها تيتي بنبرة مُتجهمة أبدت معها مُقتها من الذي يُفترض أن يضحى ابنها الوحيد،
علم ميجو للوهلة الأولى سبب غضبها اتجاهه لكنه أصرَّ على إعادة أوصار العلاقة
بينهما، ففي النهاية هي والدته أيًا كانت وظيفتها.

-أنا عارف إنك قافشة مني ... بس أنا جاي أقولك إنني مش هؤقف إيلي بعمله ...
حتى لو هتفضلي مش راضية عني

تركت تيتي ما تفعله لتلتفت نحوه مُحادثه إياه بتهكم:

-يا عيني عليكي يا تيتي وعلى المنيل إيلي خلفتيه ... بقى يا ناقص عشان حته
عيلة لا راحت ولا جات، تخليك تنسى أصلك وفصلك

احتدت ملامح ميجو وهو يُدافع عنها وعن قراره:

-أنا مش بعمل كدة عشان حد... أنا من ساعة ما سببت الكبارية وأنا حاسس
بالحرية ... قبل كدة أنا كُنت محبوس هنا، لازم أبقى و** عشان أرضيكي وأرضي
إيلي حواليا ... بس أنا خلاص تعبت، تعبت من توب الإجمام إيلي كُنت لابسه وهو
مش على مقاسي

صمت بُرهة عن الحديث ليستجمع شتات نفسه ويُنهي الحديث بهدوءٍ وتقرير:

-أنا خطبت شمس، وقُريب أوي هنتجوز ... ولو عايزة تيجي الفرحة أهلاً وسهلاً

بصق تلك الكلمات بجفاء وكاد يرحل بعدها، لولا تيتي التي استوقفته متفوهة:

-استنى خُد عندك...

التفت ميجو نحوها ليجدها تقترب نحوه بخطواتٍ هادئةٍ أوقفتها حينما وثبت أمامه
مباشرة تُحدق بعينيه لأقل من ثانية حتى رسمت بسمة هادئة على ثغرها وهي تقول:

-ألف مبروك يا عريس

تفاجأ ميجو من ردة فعلها وبقي مُتصلباً أمامها يعتقد أنها تمزح معه أو ربما تسخر منه، لكنه يجد ابتسامتها تزداد اتساعاً بعد أن لاحظت عوالمه المصدومة والتي جعلتها تقول مؤكدة على حديثها:

-مالك؟... فاكرنى مش هوافق على الجواز دي ولا إيه؟ ... وأنا مالي أساساً ...
اعمل إللي تعمله، إنت بقيت شحط ومسئول عن نفسك

تصلبت عوالم ميجو في ذهول قطعه بحديثٍ مُتشكك:

-يعني إنتِ مش هتعايريني ومش هتقوليلي إنتِ ابن كبارية وكلام من ده

قهقهت تيتي قهقهة رقيقة ساخرة من حديثه وهي تقول مُكذبة:

-لا تعايرني ولا اعايرك الهم طايئني وطايئك ... كل واحد يشيل شيلته، وطالما
شمس من اختيارك يبقى أنا مليش فيه

تراقص قلبه من السعادة التي ظنُّ أنه لن ينالها أبداً، فقد كان يتوَّقع أن تلك اللحظة سيقطع فيها علاقته بوالدته ولن يراها مُجدداً، التفتت تيتي نحو السراحة لتُزيح ما تبقى من مُستحضرات التجميل بينما كان ميجو يردف بسعادة بالغة:

-تيتي ... هو ... هو ينفع احضنك؟

لا يتذكر آخر مرة عانق فيها والدته لهذا السبب كان يسألها ليعبر لها عن مدى سعادته.

التفتت تيتي نحوه مُجدداً وهي توافق على حديثه بقهقهتها البسيطة والتي قالت بعدها بموافقة:

-احضن يا خويا منا بحضن الغريب مجتش عليك يعني

قالتها وهي تقترب نحوه لتضمه لعناقها الأموي الذي ما كاد يتلذذ به حتى داهمته
دوامة من الغيرة والغضب إثر حديثها.

-إيه ياما الكلام ده ... حد يقول كدة لابنه ؟

أكدت على كلماتها دون مبالاة لغيرته الطاغية:

-يا خويا ما إنت عارف إلي فيها

زادت غيرته وهو يهتف:

-أيوة يا تيتي متفكرنيش بقي ... ما تخلينيش أحس إني قرني...!

وهكذا دار الحديث بينهما ما بين مُزاح وجدية دون أن ينتبها لتلك الوائية بجوار الباب
والتي تُدعى كارمن، كانت تسترق السمع جيداً لحديثهما حتى تأكدت أن ميجو على
مشارف الزواج بتلك الساذجة من وجهة نظرها، تلك التي سرقت فتى أحلامها ولا
يجب أن تدعها دون أن تُلقنها درساً...!

لا زالت روحهما العابرة تجوب المكان حتى توقفت أمام منزلٍ كبيرٍ يبدو عليه الثراء،
فكانت أمامه حديقة واسعة يحفها سورٌ عريض من الحديد الأسود الصلب، لكنهما
اخترقا هذا السور بسهولة ليتوقفا داخل الحديقة أمام المنزل مُباشرة وأمامهما حرب
يقص عليهما مُهمتهما والتي سيُخبرهما عن مكان إحسان بعدها، فكان يُشير على
المنزل وهو يقول بطريقة قائد الحربية الذي يشرح لفريقه خطتهم:

-في واحد ساكن هنا لوحده ... عايزكم تراقبولي كل حاجة بيعملها هو دلوقتي
مش في البيت، فعايزكم تقوليلي مداخل ومخارج البيت كلها ... وتعرفو كمان هو
هيرجع من برة إمتي بالظبط... مفهوم ؟

أنهى حديثه بصرامة ليعقب إسلام متسألًا:

-بعد إندك يعني ... ما إنت ممكن تعمل كدة بنفسك، ليه إحنا بالذات نعمل كدة ؟

آجابه حرب بلكنته الغليظة ومنكبيه العريضين كجدار برلين، والذي جعل من هيئته أكثر مهابة خاصة مع ثيابه القاتمة المُتدرجة ما بين الرمادي والأسود:

-أنا عندي مشوار مُهم ... هخلصه تكونو إنتو خلصتو المراقبة هنا

كاد يرحل لكن داليا استؤفته بسؤالها المُستفسر:

-وهو إحنا هنراقب الراجل ده ليه ؟

أخذ حرب نفساً عميقاً ثم أطلقه قبل أن يُجيبها:

-عشان الراجل ده معرفة قديمة، أنا وهو صاحب من الطفولة ... وعايز اعمله عيد ميلاد مفاجيء... عشان كدة عايز اعرف هيرجع البيت إمتى عشان اعرف المفاجئة تبقى على إمتى

نزلت عليهما كلماته كسيلٍ من الأمطار الباردة التي تُرطب من قيظ الأجواء، فالطلب اتضح أنه أبسط مما اعتقده تماماً، بل أن كلماته زادت من حماسهما وجعلتهما يتحمسان لمراقبة هذا الرجل جيداً حتى يُنفذ صديقه أفضل عيد ميلادٍ ومفاجئة على الإطلاق.

هكذا انتهى الحديث بينهم ليرحل حرب ويتركهما يدلّفان المنزل الفسيح لثداهما تلك الأرائك العصرية والصيحة الأوروبية، العديد من اللوحات التشكيلية مُعلقة على الجدار مع القليل من المزهريات البسيطة الخالية من الأزهار، كان المنزل نظيفاً لدرجة أنه لا يوجد ولو ذرة تُرابٍ واحدة، كما أن كل شيءٍ بمكانه المناسب كما لو أنه تم تنظيفه مُنذ ساعاتٍ قليلة.

تجوّلت داليا بأركان المنزل بعوالم مذهولة جعلتها تتوقف عند حُجرة الطعام خاصة أمام هذا البراد الرمادي العريض الذي يمتاز بخاصية تحديد الحرارة ويوجد تلفازٌ صغير على الباب، مُسّت داليا على هذا البراد وهي تقول:

-الله ... إسلام بالله عليك هاتلنا تلاجة زي دي

جذبها إسلام لتترك حُجرة الطعام مؤبَخًا:

-هو وقته ... خلينا نخلص من الحوار ده

زمجرت داليا بضيقٍ لكنها في النهاية اتبعت إسلام حتى توقفا بمُنْتَصَف البهو يتفحصا كل شبرٍ به لعلهما يلتقطان شيئاً عجيباً يُخبرهما عن شخصية مالك المنزل حتى يستطيع حرب ابتياع الهدية المناسبة له.

يتحرك إسلام داخل البهو مُتفحصاً الشاشة العريضة والطاولة الرمادية وتلك اللوْح التشكيلية التي لا تبدو ذات أهمية، فيبدو أنها للزينة فقط ولا تُشكل أهمية بالنسبة لمالك المنزل، إلى أن داليا كانت تتفحص حُجرة النوم حتى وجدها تنطلق من الحُجرة هادرة بلهفة:

-إلحق يا إسلام ... أنا لقيت مُسدس وكاتم صوت جوة شكله كدة مُسدس حقيقي

التفت إسلام نحوها ليتقدم صُوبها بضع خطواتٍ كي تستمع إلى ثناءه:

-قشطة ... يبقى كدة بيحب المُسدسات

-وفي حاجة كمان

هكذا أخبرته بلهفة حتى استدار لها مُجدداً ووجدها تقول:

-لقيت بيجامة عليها سبونج بوب

قطب إسلام حاجبيه بحيرة وهو يُغمغم:

-سبونج بوب ومُسدس !! ... ده إيه الراجل الغريب ده ؟

ثم رفع رأسه نحو داليا متفوّهاً:

-دوري كمان يمكن نلاقي حاجة تاني ... وأنا هدور هنا

استجابت داليا لحديثه وبقيت تبحث داخل الحُجر بينما كان يتحرك هو بهدوءٍ داخل المنزل إلى أن داهمه بابٌ صغيرٍ يقبع خلف المدفئة ويطل على الخارج مباشرة، فربما هو خندقٌ صغيرٌ لإلقاء النُفيات وإلقاء شيءٍ آخر، فهذا الباب الصغير يقع أسفل السلم ورُبما هو أقل من مستوى السطح بعدة طبقات، لكن هذا لا يُهم، ما يُهم أنه مُناسب للغاية لدخول المنزل سرّاً وتهيئة المكان لتلك المفاجئة.

استمع إلى صوّت خطواتٍ تصدح وراء أذنه ولم يكن صعباً عليه معرفة هذا الصوت الخاص بزوجته:

-لقيت حاجة ؟

أوماً إسلام رأسه وهو يُشير على الباب متفوّهاً بلهفة:

-أيوة ... لقيت باب سري ممكن حرب يدخل منه ويعلق زينة المفاجئة....

وهكذا استمرت مراقبتهما للمنزل حتى أوشك الليل على المجيء ودقت الساعة السادسة مساءً، فقد تجاهلا أشغالهما اليومية وبقيتا في ذلك المنزل عدة ساعاتٍ حتى عاد صاحبه في تمام الساعة الخامسة والنصف، ها هُما الآن يقفان أمام حرب مُجدداً وأمام ذلك المنزل الأنيق.

لم يتخلّى حرب عن صرامته وهو يسألهما عن نتائج المراقبة ويُجيبانه بصدقٍ وصراحة حتى أخبراه عن كل ما يخص هذا المنزل بما فيهم المُقتنيات والمداخل والمخارج وحتى الحُجر من الداخل، لم يبدو على حرب أي من عوالم اللهفة أو الامتنان، بل أن عوالم الجفاء لم تُزل عن وجهه حتى أخبره إسلام مُنهياً تقريرهما:

-رجع البيت الساعة خمسة ونص بالثانية

همهم حرب بتفهمٍ وكأنه يُمعن التفكير بحديثهما وكيف سيتطابق مع ما يُريده، بعد
بُرهة من الصمت سأل إسلام:

-فين بقى إحسان؟... إحنا بقائنا اتناشر ساعة بنراقب الراجل جوة زي ما اتفقنا
و_

لم يكذ يُنهى تدمره حتى قطعه حرب بكلماتٍ جافة واثقة:

-في السيرك ... صاحبكم في السيرك الإيطالي

بصق تلك الكلمات ثم رحل بعيداً على أمل ألا يراهما مُجدداً، التفتت داليا نحو إسلام
لُخبره بعدم تصديقٍ عن تغافلها عن هذا المكان، فقد سألا إيناس عن الأماكن التي
يُحبها إحسان وكذلك سألا سُمية، لكن أثناء البحث، تبخرت تلك المعلومات التي
حصلا عليها وبدأا يبحثان في أماكن أخرى ربما يمقتها إحسان من الأساس.

-أيوة صح ... ده سُمية كانت بتقول إنهم كانوا بيروحو السرك سوا

قبض إسلام على يدها وهو يتحرك معها للأمام متفوّهاً:

-طب يلا بينا عشان منضيعش وقت اكر من كدة...-

العالم أشبه بسيركٍ كبيرٍ يقوده زعيمٌ يتولى سير الأمور ويُنبئ الجميع بالعروض
المتاحة، قد تجد من يواجه الأسود بصدرٍ رحبٍ حتى باتت تلك الأسود كالقطط
الوديعه، تجد من يلهو بالنيران رغبة بسماع شقعات الجميع المذهولة، وتجد كذلك من
يُخلق في الهواء مؤدياً حركاتاً متناغمة متناسقة جعلته ينسى ما حوِّله ويُركز على تلك
الهالة التي تُغرقه في عالمٍ ساحرٍ خلاب، وبين هذا كله، يوجد من اختار ارتداء
الألوان المُبهجة والقيام بحركاتٍ بسيطةٍ هدفها فقط رسم البسمة على الوجوه، تلك هي
الحياة أيها القاريء المغوار، من يتحدى الصِّرعات بصدرٍ رحب، ومن يسلك
المخاطر رغبة في الحصول على انتباه، ومن يكتفي بالسفر بعيداً بعقله ونسيان ما

يحدث من كوارث، ومن يُسخر حياته لإضفاء السعادة على الوجوه، ومن يختار المشاهدة من بعيد والتعليق على أداء الآخرين.

لم يجد ذاته بين تلك الشخصيات التي تُقدم عروضها أمامه يومياً، لا يرى أنه يواجه الصعوبات، بل أن الصعوبات هي ما تتغلب عليه، لا يستطيع الاقتراب من المخاطر لأنه أوجسًا وسيظل هكذا طوال حياته، لا يقدر حتى على الهرب لأن عوائقه تتحرك ورائه ولا تتركه وشأنه، بل أنه لا يجد من يسعد أو يبتسم حتى لرؤيته حتى بات كخُرْدة بالية لا قيمة لها، لا يجد هدفًا من هذه الحياة، ولا يجد سببًا للمواصلة، اختار الهرب مؤقتًا حتى يُفكر بماضيه وحاضره وحتى يعلم كيف يتصرف، لكن هربه قد امتد طويلاً حتى اعتاد الهرب ولم يعد قادرًا على المواجهة الفعلية.....

خلا السيرك من العروض بعد انتهاءها ورحيل الجمهور، بقي جالسًا مكانه مُستقبلًا هذه الإضاءة المؤقتة التي سيتم انطفاءها حالما ينتهي مؤدوا العروض من جمع أغراضهم، تتأرجح قدماء في الهواء نتيجة جلوسه على مقعدٍ يفصله عن الأرض بضعة أمتارٍ فقط، بدأ يتشدق بنغماتٍ ناشزة وصوتٍ مُرتفع لم يكثر له بُتاتًا، فلا أحد سينصت له من الأساس.

-كتاب حياتي يا عين ما شوفت زيه كتاب... الفرح فيه سطرين ... والباقي كله عذاب....

بقي يُغني بصوتٍ مُرتفع أعرب عن حالته المزرية واعتياده على تلك الحالة، فقد بات يتحدث مع نفسه ويُغني بصوتٍ مُرتفع حتى يظن المرء إذا أدركه أنه مجذوبًا يتجول بين الجميع.

في تلك اللحظة، دلفت داليا السيرك أولاً وجوارها إسلام، كلاهما يبحثان بعينيهما عن تلك الروح الضائعة حتى سألت داليا:

-هنلاقيه إزاي ؟

لم يُجبها إسلام وبقي يُمعن التركيز بتلك الأغنية الناشزة التي اختلطت بصوتٍ مؤدوا العروض أثناء ضبهم لأمتعتهم، رفع كف يده ليوافه داليا وهو يقول:

-استني كدة ... تعالي ورايا

آشار لها أن تتبعه حيث مصدر هذه الأغنية التي لا يظن أبدأ أنها لإحدى مؤدوا العروض، فهو يقسم أنه اذا استمع لمثل هذا الصوت الناشز لما تركه يواصل الغناء لثانية أخرى، فهذا الصوت يكاد يفجر أذنيه من شدة الانزعاج.

رسم إسلام بسمة واسعة على ثغره ما إن تقابلت عينيه بإحسان الذي يجلس على مقربة منهما لا ينتبه لما حوله ويواصل الغناء وتحريك رأسه بعوالم درامية تتماشى مع تلك الأغنية، أشار إسلام عليه وهو يقول بثقة:

-أهو

وجهت داليا بصرها اتجاه ما يُشير إليه لتتسع حدقتها بصدمة وعدم تصديق جعلتها تقول:

-أيوة صحيح ده هو ... إللي اسمه حرب طلع مش بيكذب

جذب إسلام ذراعها وهو يتجه صوب إحسان متفوهًا:

-تعالي نروحله...

كان إحسان لايزال بعالمه الآخر يتشوق بتلك الأغنية العابسة حتى أحس بأحدهم يجلس جواره من جهة، وشخص آخر يجلس من الجهة الأخرى على بُعد بضعة أمتار، في بادئ الأمر، لم يكثر لوجودهما وقال أنهما مجرد شخصان يجلسان بجوار بعضهما بعضًا، وربما تركا المساحة التي يجلس فيها فارغة حتى لا تلتصق أجسادهما، فهو لا يعلم أنهما مُتزوجان، ولا حتى أنهما يرياه ويسمعه أيضًا.

-بعد إذنك يا فنان ... إحنا عايزينك في حوار

بادره إسلام بتلك الجملة المرححة الودودة لعله يتجاذب معه أطراف الحديث بأريحية، وما كان من إحسان سوى أنه توقف لوهلة عن الغناء وبقي يُحدق في وجه إسلام

بعوالم مذهولة لا تُصدق أنه يتحدث معه، فقد بقي إسلام يُحدق بنظراته وإحسان يبادلها تلك النظرات ويبقى في حالة من الصمت لعل إسلام لا يتحدث معه من الأساس، فكيف يتحدث معه وهو روحٌ عابرة؟

-مالك متح كدة ليه ... أنا بكلمك إنت

ازدرد إحسان ريقه بارتباكٍ وبدأ يُشير على نفسه بإصبعه متسألًا بتقطع:

-إن.. إنت .. إنت..

لم ينبس بأكثر من تلك الكلمات حتى تدخلت داليا لتُفسر له قبل أن يزداد ذعره، فهو لم يكن يعلم أن هناك مثله، ولم يعلم أيضًا كيف يعرفانه.

-إحنا متقلين زيك ... يعني بنشوفك وبنسمعك وأصلًا محدش شايفنا دلوقتي

ازداد إحسان تيهاً وبقي يُبادل نظراته بينهما حتى سأل في ذعر:

-إنتو مين؟ ... وعايزين مني إيه؟

وضع إسلام يده على كتف إحسان حتى يُربت عليه عازمًا على التهدة من روعه قليلاً:

-رؤق يا سي إحسان ... إحنا مش جايين نعضك ... كل الحكاية إننا جايين من طرف حد عزيز عليك ونفسه يشوفك

هدأ الذعر داخل إحسان وبدأت عوالم الحيرة تُلطخ وجهه وهو يقول:

-مين؟

آجابته داليا هذه المرة بلهفة:

-سُمية ... وهي إلی قالتنا ندور عليك

توقعا فيضاً من الحنين الجارف والكلمات المُتلهفة التي تسألها عن حالتها، لكن ما حدث كان عكس توقعاتها تماماً، فقد كان الصمت هو إجابته الوحيدة وعوالم الخزي واليأس تكتنف جنباته وهو يُبعد نظراته عنهما ويوجهها على الأرض بعينين تُقطران ندمًا.

-سُمية !! ... هي ليه بتدور عليا ؟

باتت عيناه تُقطران دمعاً وهو يواصل بلكنة مجروحة:

-عايزة إيه من واحد فاشل زيي؟ ... ده أنا حتى معرفتش أعملها حاجة... معرفتش أطلعها من المصحة_

قطع إسلام حديثه وهو يقول بلهفة وصدق:

-بس هي خلاص طلعت ... وبتسأل عليك وعايزة تشوفك دلوقتي

كان يحاول إسلام اقناعه لكن ما لاقاه هو الرفض والمزيد من الكلمات النادمة التي ارتفع طنينها:

-بس أنا واحد جبان... ومستاهلش حُبها ... سيبتهم كلهم يقولو عليها مجنونة وأنا واقف اتفرج عليهم تقدر تقولي أنا إزاي هحافظ عليها بعد كدة؟....

هدأت نبرته قليلاً وهو يوجه بصره لأسفل ويُنهى الحديث بنبرة تزداد ألمًا وخفوتًا:

-أنا حتى مش قادر اواجه ... خايف لحد يجبلي واحدة ويجبرني اتجوزها عشان انسى سُمية ... وخايف حتى ابص في عينيها وهي بتتعذب ومش قادر اعملها حاجة ... عشان كدة الأحسن إنها تبعد عني ... الأحسن إنها تنساني، أنا مش مُستعد اخزلها تاني

أحسنت داليا ببعض الشفقة اتجاهه وقررت أن تُساعده مُستخدمة دراستها المُتعلقة بالعلاقات الزوجية، فكان حديثها هادئاً رخيماً يحمل بعض الحكمة والإرشاد:

-ومين قالك إنها هتقدر تختار حد غيرك ؟ مين قالك إن هروبك ده هيحل مشاكلك ؟... إحنا لما بنبعد عن مشاكلنا بنكون فاكيرين إننا هربنا، بس الحقيقة إن محدش يقدر يهرب من مشاكله ... لأن الحل الوحيد إلی نهرب بيه من مُشكلاتنا هي إننا نواجه...

صمتت بُرهة عن الحديث لتُوجه بصرها نحو قاعة السيرك الفارغة لعلها تستمد منها بعض الحكمة لمواصلة حديثها:

-تعرف مين أكثر حد مُهم في السيرك ده ؟

حرك عينيه نحوها في صمتٍ لم يدم طويلاً لأنها أجابت على نفسها بسرعة:

-مرؤض الأسود ... عشان كدة العرض بتاعه بيكون في الآخر، لأن الناس بتيجي عشان تشوفه تشوف المُدرب وهو بيتعامل مع الأسود بكل شجاعة ... يشوفوه وهو بيخلي الأسود تنفذ إلی هو عايزه ... عارف الناس بتحب العرض ده ليه ؟... عشان نفسهم يبقو كدة ... نفسهم يتعاملو مع مشاكلهم زي ما مرؤض الأسود بيتعامل مع الأسود ... عايزين يقولو لمشاكلهم تعالي يمين فتروح يمين ... تعالي شمال فتروح شمال ... بس عشان يعملو كدة لازم يقابلو الأسد الأول، لازم يفهموه كويس عشان يعرفو يتحكمو بيه

حالت بينهم بُرهة طويلة من الصمت حاول فيها إحسان التفكير في كلماتها العميقة والحكيمة التي باتت مناسبة لوضعه تماماً، الفرق أنه لا يستطيع مواجهة هذه الأسود ولا حتى الاقتراب منها، بعد بُرهة من الصمت وجد نفسه يسأل بنبرة مُشتتة لا تزال ضائعة:

-وأنا إيه إلی هعمله يعني أنا مبقتش فارق مع حد

هنا تدخل إسلام ليقبض على ذراعيه حتى يجذبه عن المقعد متفوّهاً بثقة:

-ومين قالك الكلام ده ؟ ... أنا هثبتك إن الناس كلها مستنينك ... مش بس سُمية..

وهكذا أخذهُ إسلام ليطوف معه بجوار داليا مُخترقين الطُرقات المُظلمة عودة إلى تلك البناية التي آلفت العديد من الحكايات، بقيا يتحركان معه حتى المنزل الذي يقطن به، اخترقوا الباب بأجسادهم المعنوية والتي جعلت حركتهم سهلة للغاية.

كان المشهد يتمثل أمامهم كالتالي، جسد إحسان المسجي على الفراش وحوله الأجهزة، شقيقه الأكبر رمضان يجلس بجواره على المقعد يقرأ آياتاً قرآنية كما يفعل شقيقه الثاني شعبان، ورجب، وربيع، وأبناء أشقائه، جميعهم يتجمعون في تلك الحُجرة في كل ليلة يقرأون أمامه القرآن ويُطيلون الدعاء له حتى يستيقظ من تلك الغُمة ويعود إليهم سالمًا، جميعهم اتفقوا على عدم تركه والحفاظ على صبرهم وتمسكهم بذاك الأمل بعودته مُجددًا، لا يعلموا أنه أمامهم طوال هذه المُدة يأبى العودة إليهم خشية المواجهة.

أشار إسلام على هذا الجمع مستنظرًا:

-شايف ... كلهم مستنينك ... كلهم عايزينك ترجع وسطهم ... ولو مش عشانهم يبقى على الأقل ارجع عشان سُمية ... وأنا وعهد الله هعملكم فرح يسمع في مصر كلها

ربت إسلام على كتفه مع آخر كلماته، لكن عوالم الشك لم تُحى من على وجه إحسان وهو يسأل بتردد:

-طب .. طب وإللي عندنا؟ ... ما ممكن اخوها يوقف_

قطعته داليا وهي تهتف بثقة وابتسامة واسعة:

-إحنا عندنا الحل ... نقدر نوقف اللعنة دي

أكد إسلام على حديثها رغم أنهما أراداه فقط أن يضحى فأر تجارب، إلى أن ما يحدث بحياته ورغبته العارمة بالتنبؤ هو وسُمية جعلتهما يتأكدان أن اقناعهما بهذا الأمر سيضحى أسهل من المتوقع.

سرق إحسان نفساً عميقاً قبل أن يتشكرهما ويبتعد بخطواتٍ هادئةٍ مُترددة بعض الشيء حتى وثب أمام جسده مُباشرة، طالع وجهه الشاحب ثم طالع حزن أخواته وأبناء أخواته قبل أن يُبادل نظراته نحو إسلام وداليا مُجدداً اللذان شجعاها على المواصلة، رسم بسملة واثقة على ثغره قبل أن يلتقط شهيقاً وزفيراً للمرة الأخيرة، ويُغلق عينيه ويفتحهما حتى...

انتفض جسده مرة واحدة وباتت أنفاسه تُلتقط بصعوبة، حرك أصابعه أولاً ليجدها باتت مُتخشبة كالحديد الصُّلب، كان يشعر بالغرابة وكأنه من عالم الجن واخترق جسداً غريباً من البشر، حاول تحريك جسده بخمولٍ حتى انقض عليه أشقاءه وأبناء أشقاءه مُحاوطينه من كل حذبٍ وصوبٍ بأعينهم التي تنبض بالسعادة وعدم التصديق :

-عمو إحسان ... عمو إحسان إنت كويس ؟

سألته إيناس بلهفة ولم ينبس هو ببنت شفة، فالحديث أيضاً يبدو ثقيلاً وغريباً عليه، شعر بتربيئة أحدهم ولم تكن سوى يد رجب الذي ربت على كتفه متفوهاً بسعادة ومرحه المُعتاد:

-قلقتنا عليك يا راجل ... بقى عشان واحدة تنام النومه دي كلها...

هرؤل رمضان نحوه مُردفاً بصرامة وهو يُحادث أحد أبناءه:

-واد يا فتحي ... انزل بسرعة نادي الدكتور...

استجاب ابنه له وكاد يرحل إلى أن إحسان أشار إليه أن يتوقف وهو يُحاول الاعتدال بمُساعدة منهم.

-خليك يا فتحي متروحش في حتة ... أنا أصلاً لازم أمشي من هنا

اعترض ربيع حديثه بغضبٍ معروف به بينهم، فهو سريع الغضب وسريع الاندفاع أيضاً.

-تمشي تروح فين؟؟... إنت لسة قايم من غيبوبة بقالك فيها سنتين

حاول إحسان الوثوب بثقلٍ عن فراشه حتى لامست قدميه الأرض وكم كان هذا الإحساس غريباً، ملمس الأرضية الباردة أوقد قشعريرة في جسده لم يعلم أنه سيشعر بها، فجسده المعنوي كان يمنعه من التمتع ببعض الأحاسيس التي يراها الآن فريدة من نوعها.

اتكأ على ذراع أنيس وهو يبتعد عن فراشه، شعر في البداية أن جسده غير قادرٍ على حمله وأنه سيسقط على الأرض فوراً، لكنها لحظاتٍ قليلة حتى اعتاد المشي مُجدداً وبدأ يُجاوب أسئلتهم التي انهالت عليه بنبرة مُقررة:

-هروح عند سُمية...

لم تكن تلك الإجابة مُوجهة لعائلته بالمعنى الأدق، بل كانت مُوجهة صوب إسلام وداليا اللذان يطالعان ما يحدث من بعيدٍ ببعض الأمل، واجهه إسلام بابتسامة مُشجعة كانت داليا هي الأخرى تُبادله مثيلها، فأخيراً نجحت خُطتهم واستطاعا إعادة تلك الروح الضائعة إلى نصفها الآخر، بقي فقط آخر جزءٍ على تنفيذ رغبتهما المُلحة...

لا أحد ينسى الماضي، بل هناك من يُمثل النسيان حتى يستعد جيداً لمواجهة تلك الصفحات القديمة...

العديد من الأوراق المتناثرة حوله أمامها عيناه الجاحظتان الحادثان وهي تتفحص تلك الأوراق، هذا الاسم الذي لم يرحل عن باله ولن يتوقف حتى العثور عليه، من هدم حياته وقتل والدته وهي في ريعان شبابها، من كان السبب باقتحامه هذه الحياة

وباليته ما اقتحمها بتلك الطريقة، هذا الحقير الذي ينام ليلته حالماً بأنه سينتقم منه ويراه أمام المحكمة يُحاسب على جرائمه، هذا الذي يُدعى ... " داغر خليل الرفاعي "

قطع انهماكه بالعمل صوت الباب الذي فُتح على مصراعيه ليُدلف منه واحد من الضباط مؤدياً التحية العسكرية ثم يقول بصرامة:

-المتهمة مستتية جوة...-

علم لؤي لوهلة عمن يتحدث فأغلق الدفتر الذي كان أمامه ليضعه داخل الخزانة ثم يثب عن المقعد متقوِّهاً بتقريرٍ و عوالم حادة مقبّية:

-محدث يقرب منها ... أنا إلي هحقق معاها...-

حُجرة صغيرة مُعتمة لطح الرُعب جُدرانها، فهي حُجرة يجتمع فيها الإنسان مع ضميره وحقارته في آنٍ واحد، تجلس نرمين على أحد المقاعد مُرتدية ملابس بيضاء ووشاح أبيضٍ أظهر العديد من حُصلات شعرها الداكنة، يداها مُكبّلتان بالأغلال ووجهها شاحبٌ كالموتى، بقيت في حالة من الصمت والنظرات الشاردة التي قطعها لؤي وهو يجلس أمامها على المقعد متقوِّهاً:

-ها يا أنسة نرمين مش ناوية برودو تنطقي وتقولي مين إلي حرصك

رفعت نرمين رأسها بأعينٍ يتقاطر منها الدموع وهي تقول بترج:

-والله يا باشا أنا قولت كل حاجة...-

أصمتها لؤي بضربة على الطاولة التي تنتصف جلستهما، بدى عليه عدم التصديق والغضب أثناء قوله:

-قولتي إيه؟ ... عايزاني اصدق إنك روحتي شركة مُعتر بمزاجك؟ ... عايزاني اصدق إنك روحتي زورتي ورق وشهادات عشان تنصبي على واحد بطولك ... ما تقولي يا بت مين إلكي محرّضك...

تقدم بجذعه نحوها يُنشدّها بنظراتٍ متوّعة وأعينٍ مُتسعة انطلق منها قذفات من اللهب وهو يقول بتهديد:

-أنا لحد دلوقتي حنين معاكي ... بس أنا صبري بدأ يخلص ... فهتجيبني من الآخر وتقولي مين إلكي محرّضك ... والإـ

ازدردت ريقها في رُعب وهي تُفكر في حديثه وتُفكر فيما يُمكن أن يحدث إليها إن بقيت صامته، وما الذي سيحدث لها أكثر من هذا، فهي بتلك الحُجرة المُنعزلة لأكثر من ثمانية أشهرٍ حتى باتت عُزلتها تُصيبها بعذابٍ نفسي لن تستطع تحمله مُجددًا، وجدت نفسها تقطع حديثه وتقول باستسلام:

-خلاص خلاص يا باشا هقول...

أبعد لؤي جذعه عنها مُسترخيًا بظهره للوراء وهو يستمع لها بتشفٍ:

-مُعتر كان معايا في الجامعة ... وكُنْتُ يعني .. كُنْتُ ... كُنْتُ مُعجبة بيه لا مؤاخذه... بس هو مكنش شايفني، وراح خطب واحدة تانية ... بس والله يا باشا وما ليك عليا حلفان أنا سيبتته بعدها وبطلت أجيب سيرته حتى ... ده كمان من ساعة ما ساب الجامعة وأنا مش بشوفو خالص

قطعها لؤي كي يسألها بصرامة:

-أومل مين إلكي قالك على الشركة بتاعته؟ ... ومين إلكي قالك تروحي تشتغلي هناك وتحاولي تقربي منه؟

أخفضت بصرها لأسفل وهي تلوّظ بالصمت لوهلة قبل أن تُجيبه بتزددٍ ظهر عليه الخوف:

-ف..في واحد جالي المحل إالي كُنت بشتغل فيه ... وقالِي يعني إن فيه سبوبة وكدة وهكسب من وراها ياما ... وأنا مكنش حيلتي حاجة وكنت عايزة قرشين يستتوني ... فاضطريت اوافق، بس والله لولا الحوجة مكنش عملت كدة أبدًا، لولا_

عادت إلى نبرتها المترجية حتى طفح الكيل بلوي الذي أوقف حديثها بحدة:

-مش عايز كلام كثير ... مين الراجل إالي وزك، وكان عايز إيه من مُعتر؟

أجابته نرمين بثقة حملت شيئاً من ترددها الذي بات يختفي تدريجياً:

-مكنش عايز حاجة منه يا باشا ... كان بيقولي إن مُعتر زي ما يكون كدة الخيط إالي هيوصله لحد تاني ... كان بيقولي اراقبه وأقرب منه عشان ... عشان ادخل وسط بيته وعيلته واعرف معلومات عنهم ... كان بيقولي إن في حد باين اسمه ... اسمه، تقريباً كدة اسمه إسلام ... أه أه اسمه إسلام، وواحدة تانية كدة تقريباً مراته بس مش فاكرة أوي اسمها كان إيه

بقيت تعتصر عقلها لعلها تتذكر تلك الأوامر التي أقيت عليها بينما اتسعت حدقتا لوي في ذهولٍ وهو يواصل حديثها مُستنتجًا:

-داليا؟؟

رفعت نرمين نظراتها نحو لوي لتؤكد على حديثه بثقة:

-أيوة صح كان اسمها كدة ... الباشا الكبير قالي إني ادخل وسط عيلته وراقب الاتنين دول، والله معرفش هو كان عايز منهم إيه، وأنا الصارحة مسألتوش .. بس_

قطعها لوي مجددًا بجذعه الذي امتد للأمام ورغبته المُلحة لمعرفة هذا الأرعن الذي يترصد لهم:

-اسمه إيه إالي حرصك؟

آجابته نرمن بجهلٍ صادقٍ هذه المرة:

-معرفةش والله يا باشا ... بس إلی اعرفه انهم كانوا اتنين ... كُنت باخذ أوامر من الاتنين، وكُنت بتواصل مع واحد من رجالتهم عشان آخذ عمولتي ... والأخبار بقى كُنت بنقلهاهم على المحمول ... ومحدثش قالي هما مين...

بقي لؤي في حالة من الصمت والتفكير العميق في ذاك الذي يترصدهم ويكني لهم العداء، في ذاك الذي يُريد التقرب من رفاقه وربما يُريد النيل منه هو الآخر، بدأ يُنسج خيوط الماضي مع الحاضر والمستقبل عازماً على سبر أغوار هذا الحقيقر والنيل منه قبل أن يتمادى أكثر....

أسدلت السماء ستارها وباتت العُتمة هي رفيقة دربهم ومصدر سكونهم، هذا اليوم كان شاقاً عليهم جميعهم، خاصة مع اختفاء إسلام وداليا المفاجيء واتصالهما بهم على آخر الليل حتى يطلبوا من الجميع أن يجتمعوا داخل المنزل الخاص بمُعترز ومعهم سُمية لأمر بالغ الأهمية، فنادراً ما يجتمعون في هذا الوقت الذي بات مُتأخراً...

كان الجميع يجلس بالبهو مُنتظرين إسلام وداليا وتلك المفاجئة التي أخبرتهم داليا عنها، تجلس يُسرى على أحد الأرائك ومعها دفترها الذي تُخطط فيه لروايتها الجديدة، فكانت تسأل قمر التي تجلس بجوارها تعبت بجهاز التحكم بحثاً عن أي شيء يشاهدونه على التلفاز اضماراً للملل.

-قمر ... تفتكري أموت مين في الرواية؟ أصل مش هينفع كدة انهيا من غير ما حد يموت

قطبت قمر حاجبيها وهي تقول باقتراح:

-مش عارفة ... مؤتي البطل

نفت يُسرى اقتراحها بقولها:

-لأ خلاص مؤته من بدري، أنا قصدي حد تاني

-البطلة؟

هكذا اقترحت قمر مُجددًا لتتني يُسرى اقترحها للمرة الثانية بقولها:

-ما دي مؤتها مع البطل ... أنا قصدي حد تاني

فكرت قمر هنيهة قبل أن تقترح للمرة الثالثة:

-خلاص يبقى أبو البطل أو امه

-البطل يتيم، والبطلة كان ابوها قتال قُتلة وقتل مامتها، فأكيد كان لازم أموته

طفح الكيل بقمر وهي تقول بسخرية:

-انت بتكتبي رواية ولا بتكتبي مذبحه القلعة؟ هو مفيش حد عايش في الرواية دي
؟

أجابت يُسرى على سؤالها بصدق:

-لأ في ... عمت البطل ... أموتها هي كمان ولا اسيبها مشلولة؟ أصل خالد بيقولني
اسيبها عشان القراء وكدة، بس مش عارفة ليه حاسة من جوايا إني عايزة اقتلها

ربتت قمر على كتفها وهي تقول بسخرية:

-موتيتها يا حبيبتي موتيتها وأنا اقول البت عُفران طالعة كدة لمين_

قطع حديثها صوت الجرس الذي طفق يصدح مرة واحدة، كانت سُمية في تلك الأثناء
تجلس بينهن على الأريكة تُداعب بسملة هي وكوكي، لكنها ما إن استمعت إلى صوت
الجرس حتى وثبتت عن المقعد متفوهة بتقرير:

-خليكي ... أنا هروح افتح

لكنها لم تستطع حتى فتح الباب لأن مُعتر كان قد سبقها ووراءه جابر وخالد اللذان شاركوهم هذه الجلسة، بينما كان لؤي لا يزال بالعمل وميجو كذلك لم يكن موجوداً، فكلاهما يعملان لوقتٍ متأخرٍ من الليل، فيما عدا ميجو الذي يبدأ عمله في ذلك الوقت المتأخر من الليل.

فتح مُعتر الباب لتقابل عيناه بإسلام الذي أخذ يُصافحه بحرارة ثم ابتعد إسلام عنه ليُشير على ذلك الضيف داعياً إياه للدخول بقوله:

-تعالى ادخل ... هي قاعدة جوة

تردد إحسان قبل أن يدلف المنزل مُتلفناً يميناً ويساراً لكنه في النهاية وطأ بأقدامه إلى الداخل وفؤاده يضربه بارتعاد، ماذا إن لم تُسامحه عمّ فعله؟ ماذا إن كانت تكني له العداء مُنذ تخليه عنها بسبب جُبنه؟ ماذا إن كانت تُريد رؤيته فقط لتعاتبه على ما قاسته بحياتها دون وجوده بجوارها ليُطيب خاطرها؟ العديد من الأسئلة تجوب عقله وتجعل تردده يزداد أضعافاً، لكن نظرات داليا وإسلام المُشجعة حثته على المضي قدماً والمواجهة مهما كان الثمن، فهو لن يبقى هارباً طوال حياته.

ارتدت سُمية إلى الخلف بوجهٍ مصعوقٍ وكأن الكهرباء مسّته، عيناها تصلبتا مرة واحدة وأنفاسها بدأت تتهدج من هؤول هذه المفاجئة، هل هو أمامها بالفعل أم أنها تتوهم؟ هل أتى من أجلها أم أنها فقط روحه العابرة التي بدأت تسكن كيانها؟ لم تقدر على الحديث ببنت شفة وبقيت تُحدق بوجهه في صمتٍ بعد أن عجزت الكلمات عن الإعراب عمّ يكنيه صدرها.

بقي يتقدم بخطواتٍ هادئةٍ نحوها رغم رغبته العارمة باحتضانها والتأسف لها بدموعه، لكن الأسف حتى لم يعد قادراً على النطق به، بعد بُرهة طويلة من الصمت والتحديث بينهما قالت هي بدموع تترقرق على وجنتها لا تعلم إن كانت دموعاً معاتبة أم دموعاً سعيدة.

-إنت إنت ... هي.. هو إنت...

لم يستطع لسانه النطق بأكثر من تلك الكلمات حتى قطعها إحسان بشوقٍ جارف
ورغبة بتحديٍّ جوفه الصامت:

-أنا آسف ... آسف عشان سيبتك واتخليت عنك أنا واحد نذل وجبان .. بس ...
بس لسة بحبك

ترقرقت عينيها بدموع لأمعة جففتها بسرعة بابتسامتها الهادئة وكلماتها الخافتة
الحرجة:

-وأنا كمان بحبك

تدخل إسلام في ذاك الحديث الحالمي الذي يُصيبه بالغثيان، رأى أن عليه إيقاف هذا
الفيلم الرومانسي والعودة إلى واقعهم المرير، لهذا السبب اقترب نحوهما متفوّهاً
بجدية كادت تُصيبهما بالاحباط:

-لسة الموضوع مخلصش ... ولسة المُستشفى بتدور على سُمية ... وعشان
نخلص من ده كله لازم تعملو التثبيت

تبادلت نظرات إحسان وسُمية لوهلة وبقيا في حالة من الصمت حتى وجه إحسان
نظراته صوّب إسلام كي يُخبره قراره:

-وأنا موافق...

ثم نقل بصره نحو سُمية ليواصل حديثه بحالمية:

-عايز نعيش مع بعض في هدوء ... من غير أي لعنة_

قطع حديثهم صوّت الباب الذي أخذ أحدهم يطرق عليه فجأة طرقاتٍ حادة قطعت
حديثهم وجعلتهم يتلفتون نحو هذا الزائر غير المتوّقع....

الشر هو صفة متأصلة في الإنسان، ومع مرور الزمن وزيادة السلطنة، يزداد الشر ويتناقل من شخصٍ إلى الآخر، فبدون الشر، لن نجد ما يُسمى بنهاية العالم.

مقعدٌ كبير انتصب هذه الحُجرة البيضاء المُلطخة بشراراتٍ من الغموض، قدمانٍ تتحركان جيئةً وذهابًا داخل هذه الحُجرة التي تبدو كحجرةٍ للعمليات أو أنها حُجرةٌ للتجارب، فحول هذا المقعد الأقرب إلى مقاعد الأطباء النفسيين، يوجد جهازٌ كبير بحجم الخزانة الصغيرة، يتفرع من هذا الجهاز مزيدًا من الأسلاك والمؤشرات الحيوية التي لم تظهر بسبب انغلاقه، كذلك هناك طاولة صغيرة تحتوي على زُجاجاتٍ صغيرة الحجم، كل زجاجةٍ منهم تحتوي على تركيبةٍ مُعينة من نوع من الأدوية.

تحركت قدما هذا الرجل بسُترته الرمادية وبنطاله الأسود، بقي يتجوّل داخل الحُجرة حتى توقفت أقدامه قُرب النافذة ليستند عليها بظهره مُوجهاً بصره نحو هذه الأجهزة، أخرج من جيبه لفافة تبغ ليضعها داخل فمه ويبدأ بإشعالها واستنشاق كمًّا من النيكوتين الكافي لإضمار حريق شهوته، نفث الأدخنة من فمه وهو يقول بانجليزية تحمل لكنةً أخرى بها بعض القساوة، فيبدو أنها ليست لُغته الأولى، ويبدو أن لا أحد هنا سيتفهم لُغته الثانية.

-ما الذي ستنوي فعله بتلك الحُجرة ؟ ... أهكذا ستُجند المُتقلبين ؟

أنهى سؤاله ببعض السُخرية والتهكم ليُجيبه طلال بنبرة واثقة وهو يقترب نحوه:

-يختلف العالم هنا عن بلدتك فلا أحد هنا سريع التصديق، جميعهم شكاكون لا يستطيعون العيش بدون الانتقاد

همهم إيزاك بلا مبالاة ثم أردف بعدها:

-هذه الطريقة نستخدمها مع المتطرفون لكن ليس لتغيير مُعتقداتهم بل لمحوها تمامًا حتى يتسنى لنا العبث بما تحويه عقولهم

رسم طلال بسمة شيطانية على ثغره وهو يُخرج غليونه من جعبته ويقول أثناء إشعالها:

-ومن أخبرك أنني لا ابتغي فعل هذا؟

أدرك إيزاك لوهلة مكنون حديثه الماكر لكنه لم يجد الوقت الكافي ليُعقب، فصوّت الطرقات قطعت حديثهما، أعقبها دلوف رجلٍ من رجال طلال الذي دلف الحُجرة بعوالم مُتلفهة بدت صارمة وهو يقول:

-معلم طلال ... رجالتنا خطفو واحد من المُتقلين....

الفصل التاسع عشر (تبادُل)

سيأتي اليوم الذي ستُحاسب فيه على صمتِك، كما يُحاسب المجرمون على جرائمهم....

انهمار المياه على يديها لم يُشكل فارقاً لما يَكْنِيه فؤادها، فالنزاعات الناشئة داخل رأسها لا تُرطبها المياه ولو كانت مُثلجة.

وضعت الصحن الذي قامت بجلبه على مصفاة من المعدن ليتقاطر المياه حتى يجف وحده، أغلقت صنبور المياه لتُجفف يدها بمريولها ثم تنزعها لأنها أخيراً انتهت من جلي الصحون، فهي بالأساس تقوم بهذا حتى يتوقف عقلها عن التفكير في ذلك التهديد الذي يلاحقهم أينما ذهبوا، تقسم أنها أكثر سذاجة من أن تُهددها مُنظمة لعينة من أعتى المُنظمات وأقواهم، فقط لو أدركوا كم أنها حمقاء لما نعتوا أنفسهم بالحمقى لمُجرد تخيلهم أنها ستستطيع مُساعدتهم.

عادت بذكرياتها لبضع ساعاتٍ ِ تخص اليوم المُسبق، اليوم الذي كان من المُفترض أن يتم به التثبيت، أو تجربته على الأقل.

لكن تأخر الوقت وازدياد حدة الليل جعلتهم يؤجلون تلك الفكرة باليوم التالي، الذي هو اليوم، فكان هذا اقتراح لوي الذي أتى المنزل متأخراً وعوالم وجهه تُنظر بالتخبط، لكنه كعادته الدائمة، أخفى حقيقة ما يَكْنِيه وطلب من قمر أن تأتي معه حتى لا تتأخر أكثر من هذا.

لا يوجد فرقٌ إن كان التثبيت سيتم الآن أو البارحة، فهو سيتم أخيراً في جميع الأحوال، وهذا ما يجعلها تتحمس أكثر، فهي على وشك التخلص من تلك اللعنة نهائياً...

قطع تفكيرها صوت الباب الذي يتم فتحه بهدوءٍ ليُدلف إسلام المنزل وصوت الحقائب البلاستيكية يتخبط بين يديه كأجراس الفنادق قبل التسعينات، وجدت إسلام يقترب نحوها ويضع الحقائب البلاستيكية على الطاولة ببعض العرق الذي ينساب على جبهته، فهو يتبضع لأكثر من ساعة حتى يأتي بطلبات المنزل.

ترك إسلام حُجرة الطعام ليستريح على أريكة البهو مُسترخياً بظهره للوراء لا يقدر حتى على تبديل ثيابه، أو أنه لا ينوي تبديلها من الأساس، فهما سيستقبلان ضيوفاً بعد قليل لتنفيذ تلك المهمة.

فتحت داليا الحقائق لتتفقد ما أحضره إسلام كعادتها، فكانت تقول وهي تُنقب عن محتويات الحقائق بيديها:

-جبت كل حاجة؟...-

أجابها إسلام بصوتٍ مُرتفعٍ استطاع اختراق نافذة حُجرة الطعام المُظلمة على البهو:

-هتلاقي كل حاجة عندك-

التقطت يدها زُجاجة من الحليب تفوح منها رائحة جوز الهند المُحلى؛ أدركت على الفور ما تحتويه تلك الزجاجة والذي لم يتوافق مع ما كانت تُريده وهذا ما جعلها تهتف بغضب:

-إيه يا إسلام ده؟... أنا مش قولتلك تجيب لبن جوز الهند جايبلي سوبيا ليه؟-

أجابها إسلام بتبريرٍ وهو ينتشل جهاز التحكم ويبدأ بفتح التلفاز:

-ما هي السوبيا لبن وجوز هند، مش هو ده إلكي إنت عايزاه؟-

زفرت داليا الهواء من جوفها بنفاد صبرٍ وهي تُفسر ببعض الحدة:

-يا إسلام أنا كان قصدي اللبن إلكي بيبقى معمول من جوز الهند-

قطب إسلام حاجبيه وهو يهتف بحماقة:

-إيه ده؟... هو جوز الهند بيتحلب؟-

لم تشأ أن ترد على حماقته حتى لا تفقد صوابها وقررت أن تتفحص بقية المحتويات حتى التقطت قناعاً للأطفال يحمل شكل أميرة الثلج، هذا القناع زاد من غرابتها وجعلها تتسأل:

-وايه ده كمان؟

رفعت يدها بهذا القناع نحو إسلام حتى يراه من خلال النافذة ويتسنى له التبرير بقوله:

-ايه؟! ... ده الماسك إلي إنت قولتيلي عليه

ما إن أدلى تلك الكلمات حتى كادت بالفعل تفقد صوابها، فهي عندما أخبرته أن يجلب لها قناعاً، لم تقصد هذا القناع.

-ماسك !! ... يا إسلام أنا قولتلك تجبلي الماسك إلي بيفتح البشرة... مش ماسك عيد ميلاد!!

رفع كتفيه بلامبالاة وهو يقول بتهكم:

-وأنا اعملك إيه يعني إنت محدديش

تجاهلت تبريراته الحمقاء وقررت التغاضي عن تلك الأخطاء الجهنمية التي يفعلها في كل مرة يذهب فيها للتبضع، فهي لا تتذكر أنه أحضر لها ما تريده ذات مرة، آخر مرة عندما طلبت منه عصير بُرتقال، وجدته يأتيها بفقص من البرتقال ويُخبرها أن هذا سيؤفر لهما الكثير من المال، لكنه لا يعلم أنها أكسل من استخراج العصير من كل هذه الكمية من البرتقال مما أدى إلى فساد مُعظمه وإعطاء بقيته لوالدتها، فإسلام لا يُحب تناول البرتقال من الأساس.

داهمتها عُلبة زرقاء عليها طفلٌ رضيعٌ أشعرها أنهما ينتظران مؤلوداً، أو أن مُشتريات مُعترز اختلطت بمُشترياته، أمسكت تلك العُلبة وهي ترفعها نحو إسلام متسائلة:

- هو السريلاك ده بتاع مين ؟

التفت إسلام نحوها ملوِّحًا بيده حتى تترك تلك العُلبَة وهو يقول:

-سببيه ده بتاعي

لا زالت عوالم الحيرة على وجهها وهي تخفض يدها عازمة على وضع هذه العُلبَة جانبًا متغاضية عن كوْن زوجها يُحب طعام الأطفال، فهو غريبٌ لدرجة تجعلها تتوَقّع أي شيءٍ يفعله.

بقيت تضع الأمتعة مكانها حتى انتهت أخيرًا وتركت حُجرة الطعام لتُلبّي نداء إسلام الذي طلب منها أن تجلس بجواره كي يتحدثا في أمورٍ مُهمّة، فما إن جلست بجواره حتى بدأ هو الحديث بجديّة:

-أنا كلمت حسن ومخيمر وهما قالولي هيجو كمان ساعتين يركبو الأجهزة

قابلته بجسدها وهي تسأل بفضول:

-هو إحسان فين ؟ ... قوئلته إنه مينفّش يبات لوّحده في البيت ؟

أوما إسلام برأسه إيجابًا وهو يقول:

-قوئلته ... وسألني ليه بس مرضتش اقوله ... أكيد يعني مش هقوله إن في حد بيهددنا وقاطر المُتقلّين كُلهم...

ربت على كتفها لئِنهي الحديث بطمأنينة:

-قالي هيقعد عند أخوه ... هو كدة كدة اخواته مش سايبينه من ساعة ما فاق

لم تنبس ببنت شفة وبدا وجهها ذابلًا يتقاطر منه الخوف الذي استشعره إسلام فورًا فسألها:

-مالك ؟

تحلت بالصمت لفترة قبل أن تُجيب:

-مش عارفة ... حاسة إننا المفروض نقولهم إن في حد بيهددنا واحتمال يكون من
المنظمة

ارتجفت أوصالها وهي تتحدث لأن الخوف والقلق يلتهمانها، تُريد طلب العون لكن
في نفس الوقت، تخشى أن يضحى هذا العون سببًا في هلاك أصدقاءها، فهي لا تنسى
كيف هددتها طلال وأخبرهما ألا يُخبرا أحدًا عن مجيئه.

اقترب إسلام نحوها ليُحيطها بذراعه وهو يقول بنبرة هادئة رخيمة أراد من خلالها
إغمارها بالأمان لكن يبدو أن خوفه منعه من تلك الرغبة:

-الناس دي مش سالكة ... ومش ضامين يعملو إيه ... عشان كدة إحنا لازم نتثبت
بسُرعة قبل ما يوصلونا تاني...

زاد من تربيته على كتفها وهو يقول مُطمئنًا:

-متقلقيش ... إن شاء الله هنتثبت قبل ما يعملو أي حاجة

لا تعلم سبب عدم اقتناعها بحديثه، ليس لأنها أحست أنه يواسيها فقط، بل لأنها أيضًا
تتذكر ما مرَّ به مُسبقًا وكيف انتهى بهما المطاف على عتبة الموت، تخشى أن تتكرر
تلك الأحداث مُجددًا وتتسبب لهم بخسائر جنيمة، تخشى أن تواجه الموت مرة أخرى
ولا تعلم كيف تُبدد هذا الخوف، فهي مُجبرة على مواجهة ما لا تُريد مواجهته دائمًا.

قطع تفكيرها عينيها التي التقطت هذا الخبر المُذاع على التلفاز؛ تجهمت ملامحها
واحتقن وجهها حتى سقط فاهها في صدمة، فهذا الخبر كان بمثابة سكينه نحرت
عُنقها.

-إسلام .. إسلام الحق

قالتها بذعرٍ وهي تُربت على فخذ إسلام الذي كان يعبث بهاتفه غير مبالياً بما يُعرض على التلفاز، لكن ربّاتها جعلته يلتفت نحوها بعوالم متسائلةً أجحمتها هي بسبابتها المُشارة على التلفاز مع كلماتها المذعورة:

-بُص بسرعة ... مش .. مش الرجل ده إيلي احنا كُنا بنراقبه امبارح ؟

جحظت عينا إسلام وهو يُمعن التحديق بهذا الخبر الذي يُعلن عن مقتل رجل أعمالٍ شديد الثراء داخل منزله الفسيح باستخدام سلاحه الخاص مما أوهم الجميع أنه مات مُنتحراً، الجميع عداهما...

-إيه الكلام ده ؟... إزاي ينتحر في نفس الوقت إيلي قولنا لحرب عليه ؟

غرقت داليا في صدمتها وسمتها حتى تُفكر فيما حدث وتبدأ بربط الأحداث داخل ذهنها، المخرج السري، السلاح المجاور للفراش، عيد الميلاد!!

انتهت أفكارها مع تهدج أنفاسها واحتلال السخونة لوجهها، لطمت بيدها على وجنتها بحسرة هتفت بعدها بشعورٍ من الندم والرغبة العارمة بقتل نفسها من شدة حماقتها:

-يعني إحنا كُنا بنساعد قتال قُتلة !! ... ده أنا أمي هتروح فيها لو عرفت

رفعت من نبرتها مع آخر كلمة لها وهي تكاد تنفجر في البُكاء، فحماقتها أدت إلى مقتل رجلٍ في ريعان شبابه، صحيح أنهما خارج دائرة الشبهات تماماً، لكن يكفي شعور الذنب الذي يلتهمها من الداخل.

كان إسلام في حالة من التلبم والتخبُّط هو الآخر، لكنه يرغب بالفتك بذاك المُخادع وتلقينه درساً، طفق يقول بأعينٍ شاردة نادمة تتحسر هي الأخرى على حالها:

-ياريتني ما قولتله على الباب السري

أضافت داليا على حديثه بنفس تلك الوتيرة:

-ياريتني ما قولتله على البيجامة السبونج بوب

بقيا على تلك الحالة لفترة وجيزة قطعها إسلام بجدية وحزم:

-إحنا مش هينفع نسكت ... لازم نبغ عن قتال القُتلة ده

باتت نبرته غاضبة جعلت داليا تُضيف عليها ببعض الاستنتاج:

-أيوة فعلاً ... أساساً كان شكله مُختل عقلياً، تحسه كدة من الناس إلي شافت ابوها
وأما بيتقتلو قدام عينيهم فلما كبرو بقو عايزين ينتقمو ويقتلو في خلق الله _

قطع حديثها المندفع صوتاً مؤكداً على حديثها بغلظة:

-هما فعلاً اتقتلو قدام عيني...-

انتفض جسد كل من إسلام وداليا ليرتدا للوراء أمام هذا الرجل الغامض ذو العصاوية
السوداء والنظرات المرعبة، وجداه يقف وراءهما مباشرة، لا يعلم من أين أتى ولا
من أين يعلم عنوانهما، ما يعلمانه فقط، أن هذه روحه المعنوية التي لا يراها أحدٌ
سواهما، وياليتهما ما رأياها يوماً.

ازدردت داليا ريقها بهلع وهي تتابع ابتسامته الشيطانية التي تبعت استرساله
بالحديث:

-بس أنا إلي قتلتهم

زادت بسمته اتساعاً مما أكد لهما أنها أمام مُختلٍ عقليٍ بمعنى الكلمة، اقترب إسلام
من داليا وهو يهمس بأذنها بهلع يتقاطر من عينيه:

-يعني قتال قُتلة وقولنا ماشي ... إنما عاق كمان

تجاهل حرب همساتهما ورفع قامته ليوصل حديثه الذي حمل لمحة من التهديد:

-عارفين قتلتم ليه ؟....-

لم ينبسا ببنت شفة فواصل حرب بلكنته المُختلة وهو يصُوب عينه نحوهما مباشرة حتى تنطلق شُعلاته النارية وتخرق أفئدتهم:

-كانو عايزين يبلغو عني بس ملحقوش

تصعب العرق من جبهة إسلام ما إن أدرك تهديده المُبطن، فهو مُستعد لقتل أقرب الأشخاص إليه إذا كان الأمر يعترض حُرَيْته.

تصابت أجسادهما كالصنم وهما يُتابعان حرب وهو يبتعد عنهما تدريجياً مُشهرًا أمامهما إصبعيه الاثنين مؤكداً على تهديده قبل أن يرحل:

-أنا مراقب كل تحركاتكم ... فلو حد فيكم فُكّر يفتح بوقه ويقول حاجة ... أظن عارفين إللي ممكن يحصل

بصق تلك الكلمات ليختفي تدريجياً كسرب الرياح، ما إن اختفى حتى وضعت داليا يدها على صدرها لثُهديء من روعها بينما كان إسلام يقول باستنتاجٍ بدا يقينياً:

-عليا النعمة شكله شيطان وعامل فيها بني آدم

بينما أكملت داليا على حديثه بحسرة والدمع يتقاطر من عينيها:

-هو إيه الهم ده ... هو احنا لحقنا نخلص من التهديد الأولاني عشان يطلعنا

التاني... !!

يجلس على الأريكة والوجوم يُلُطخ وجهه، يحاول ترتيب هذه الأفكار والمعلومات داخل ذهنه لعله يعثر على لُغز هذه المُعضلة، كان الاختطاف فيما سبق مُدبرًا، والآن علم أن نرمين تم القائها عنوة بينهم حتى تُدمرهم، بل أن الأمر حتى يتعلق بأصدقاءه.

يعلم أن أصدقاءه ليسوا مُخبرين أو سياسيين مرموقين، بل هم حفنة من السذج مهاراتهم الفكرية تكاد تكون أقل من مهارات الانسان الطبيعي، إلى أن قدراتهم الذهنية تفوق أي شخصٍ بمراحل، ربما هذا ما يجعلهم عرضة للخطر دائماً، وبما أنه الوحيد القادر على حمايتهم، لذا عليه أن يبذل أكبر جهدٍ حتى يعثر على ذلك الذي يتعقبهم ويضمر العدااء لهم.

قطع شروده مجيء قمر من داخل الحُجرة بعد أن بدلت ثيابها إلى أخرى أنيقة تحمل من البساطة ما تحمله من الجمال، كانا على وشك الرحيل من المنزل استعداداً للذهاب إلى إسلام وداليا حيث ستبدأ عملية التثبيت، فكانت تقول وهي ترفع الحقيبة على كتفها:

-يلا يا لؤي أنا جهزت

لم يبدو أن لؤي استمع لها، حيث بقي على حالته الشاردة والساكنة بتلك العينان الحادثان، أدركت لوهلة أنه هناك أفكاراً تضايقه ولا يُريد إخبارها بهم، لهذا السبب تركت حقيبتها جانباً لتجلس بجواره على الأريكة متسائلة بقلق:

-لؤي ... في إيه؟

انتبه لؤي لحديثها فأجابها بتيه وهو يزيغ بعينه بعيداً:

-في حاجات كثير أوي ... في خطر بيحوم حوالينا واحنا مش واخدين بالننا منه

قطبت حاجبها بحيرة من نبرته الغامضة وحديثه المُبهم الذي جعلها تسأل:

-خطر إيه؟ ... هو إنت ... هو إنت عارف حاجة ومش عايز تقولها؟

أنهت حديثها بقلقٍ ما ان اخبرها عقلها أنهم على وشك الاحتراق بنيران الحقد والشر التي كادت تحرقهم سابقاً، وجدته يتنهد تنهيدة عميقة قبل أن يُقرر مصارحتها بعد فترة وجيزة من الصمت:

-يمكن اكون عارف ويمكن لأ... لسة مش متأكد

زادت نبرته الغامضة من شعورها بالقلق مما جعلها تقول باندفاع:

-يا لوي قول دوغري فيه إيه وإلا هستخدم معاك التنويم المغناطيسي

ما إن داهمته بتلك الكلمات حتى لطح وجهه الغضب وهو يقول بتهديد:

-عارفة لو التنويم المغناطيسي ده استخدمتية عليا هعمل إيه؟ _

قطعت إجابته بكلماتٍ مُرتعدة متأسفة تراجعت بهما عن قرارها، فهي بالأساس لم تكن لتستخدمه أبدًا، خاصة معه، فهي تعهدت على عدم استخدام التنويم المغناطيسي مع أي من أفراد عائلتها حتى لا تُفقد ثقتهم بها:

-عارفة... أنا أصلاً مكنتش هستخدمه، بس كلامك ده خلاني أقلق، وإنت قولت إن مفيش أسرار بينا، فياريت بقى تقولي فيه إيه من غير لف ودوران

سرق نفسًا عميقًا ثم أخرجه كمحاولة للتهدئة من روعه وهو يقول بمباشرة:

-أنا حققت مع نرمين.... وقالت إن في حد محرّضها

زادت حيرتها بسبب حديثه مما جعلها تقول باستنتاج:

-حد مين؟... هو ده ليه علاقة بموضوع الخطف؟

أبعد عينيه عنها وهو يؤكد على استنتاجها بشك:

-أنا بردو حاسس إن الاتنين ليهم علاقة.... بس الراجل إلي حققنا معاه قال على واحد اسمه طلال... ونرمين بتقول إنهم اتنين مش واحد... يعني ده معناه إن طلال ده معاه شريك تاني بيساعده، أو يمكن طلال هو إلي بيساعده

بقيت تُحرق به وهي تقول بصراامة:

-إحنا لازم نقولهم ... أكيد إلهي اسمه طلال ده هيفضل وراهم تاني وهيعوز يعمل
حاجة اكبر

تقدم لؤي بجذعه ليضع راحة يديه على يديها الباردتين نتيجة القلق، حاول التهدئة من
روعها وهو يقول بنبرة واثقة مُطمئنة:

-هما خلاص هيعملو التثبيت وهنخلص من ده كله ... وأنا هعمل كل إلهي اقدر عليه
عشان الاقي إلهي اسمه طلال ده وإلهي معاه....

جسدٌ مسجِيٌّ على أريكةٍ طويلةٍ يتفرَّع منها العديد من الأسلاك، جسدٌ تم توْصيله
بجهازٍ عريضٍ بحجم الخزانة، هذا الجهاز يستعرض مؤشراتهِ الحيوية وما يدور
بعقل هذا المُنتقل الذي سيتم التجربة عليه، تجربة غير آدمية هدفها إرضاء شهوات
السُّلطة والمجد.

يتحرك طلال حول هذا الجسد المسجِي الذي عثُر عليه بعد أن تتبع سجلات من وُلدوا
بنفس اليوم الذي وُلد به إسلام وداليا وغيرهم من المُنتقلين، تلك الطريقة التي ستسمح
له بالعثور على مزيدٍ من المُنتقلين غير هؤلاء الحمقى، لكن البحث لم يكن سهلاً كما
توَقَّع، فأغلب من وُلدوا بنفس اليوم أما لقوا حتفهم أو مجهولي الهوية أو هاجروا من
البلاد، قلة قليلة منهم فقط هُم من تبقوا ليُشكل بهم مجموعة من المُخبرين السريين
لعلهم يستطيعون العثور على وثائق الدولة السرية، مما سيسمح له بتنفيذ بقية خطته
الماكرة بسهولة ويُسر.

يقف بجواره أحد الأطباء يحمل معه قنينة زجاجية صغيرة من المياه ليُدثر بداخلها
نصلٌ رفيعٌ ثم يجذبه حتى يدخل هذا السائل جوف هذه الحُقنة، قرَّب النصل على
ذراع الرجل متجاهلاً ارتجافه جسده والعرق المُتصبب من جبينه نتيجة الخوف،
متجاهلاً حتى دموعه المُنهمرة وحركاته العشوائية التي خمدت مرة واحدة بسبب هذا
المُخدر الذي من شأنه تسكين حركة الجسد وإصابته بالشلل لفترة.

ابتعد الطبيب عن جسد المُتنقل لِيَتَجَهَّ صَوْبَ الجهاز ويُعْمِن التحديق بأزراره مُتَنظِرًا تعليمات طلال الذي بدأ يدور حول جسد المتنقل الذي كان يتوسل بدموعٍ مُنهمرة:

-إنتو عايزين مني إيه؟... والله هعملكم إلی انتو عايزينه بس سيبوني

رماه طلال بقهقهاتٍ مأكرة أنهاها بيديه اللتان ربتتا على كتف الرجل المسجي أثناء قوله:

-ما إنت هتعمل ... بس بمزاجنا

لم يفهم الرجل المغزى من حديثه حيث بدأ جسده بالانتفاض والاهتزاز إثر هذه الشحنات الكهربائية التي تغلغت كيانه، بقي جسد الرجل ينتفض وينتفض حتى أشار طلال على الطبيب أن يتوقف كي يسأل بصوتٍ جهوري:

-اسمك إيه؟

حاول الرجل التقاط أنفاسه وهو يُجيب بتقطع:

-زي.. زياد الدهش... الدهشوري

لاح الغضب على وجه طلال وهو يُشير مُجددًا للطبيب لِيُنْفِذ تعليماته ويضغط على مكابس هذا الجهاز مُجددًا؛ انتفض جسد الرجل وبدأت أصوات الألم تنبعث من جوفه بكُتْمَان، تحوّل وجهه إلى كُتلة من اللهب من شدة احمراره وسخونته، برزت عروق وجهه وازدادت قطرات العرق على جبهته نتيجة هذا الألم المُميت، كان البارحة يجلس بسلامٍ بين أصدقاءه، يمزح معهم ويسخر من المارة دون أن يعلم أن الحال سينتهي به في تلك الحُجرة وهذا العذاب.

أوقف الطبيب ما يفعله ما إن تلقى إشارة أخرى من طلال الذي ازدادت الحدة على وجهه وهو يسأل بنبرة متوجسة مُرتفعة:

-اسمك إيه؟

لم ينبس الرجل ببنت شفة وبدأت الدموع تنهمر على وجنتيه تلقائياً، يخشى أن يخبره باسمه فتزداد حدة هذه الكهرباء التي لا يعلم ماهيتها ولم يحدث معه هذا؟ فهو يعلم أن له قُدرات خارقة، لكنه يقسم أنه لم يستخدمها لأذية ولو نملة.

تصاعدت أنفاسه بنتاقلٍ وبدأت حرارة جسده بالارتفاع وكأن الطاقة تكاد تجعله ينفجر، بقي جسده في حالة الارتجاج ودموعه لا تتوقف عن الانهمار وهو يُطالع طلال بُرعب ويستمتع لسؤاله دون أن ينبس ببنت شفة:

-اسمك ... إيه؟

حاول الرجل التهدئة من روعه وهو يصرخ بنفاد صبر:

-إبعد عني ... إنت عايز مني إيه؟

أكدت كلماته على أن ما يُريده طلال لم يحدث بعد؛ هذا ما زاد غضبه أضعافاً مما جعله يقبض على يده حتى ابيضت مفاصله ويتجه بعدها صوب الطبيب هاتفاً بأمر:

-شغل ... وعلي الفولت

تابع الطبيب المؤشرات الحيوية بقلبي جعله يقول:

-بس يا طلال بيه مش هــ

قطعه طلال بنبرة صاحبة امرأة:

-قولتك علي الفولت

استجاب الطبيب لأمره عنوة وعاد ليجلس أمام الجهاز مُحركاً أصابعه بإرغام حتى رفع المقبس لآخر درجة؛ عادت الاهتزازات تغمر الرجل وصوت تألمه قد ازداد أكثر، يحدث كل هذا أمام نظرات الطبيب القلقة والخائفة ونظرات طلال الحادة الخالية من أي مشاعر، فهو على استعداد لتنفيذ رغبته دون أن يكثر بالآخرين.

بقيت الاهتزازات تزداد وتيرتها حتى اختفت أصوات الألم وحلَّ محلها السكون التام؛
أغلق الطبيب الجهاز بسرعة لتخمد حركة الرجل تمامًا ويتحوّل وجهه إلى الشحوب،
وضع الطبيب يده على رقبة الرجل ليتحسس نبضه ويرى سبب سكونه واختفاء
معاني الحياة من وجهه.

زادت ضربات الطبيب وهو يبتعد عن الرجل متقوِّهاً بخوف:

-م..مات

ما إن بصق تلك الكلمات أمام طلال حتى شعر وكأن القنبلة ستنفجر تَوَّاهًا، قبض
طلال على يده أكثر حتى كادت الدماء تخرج منها، ضرب بيده على الحائط ضربة
كادت تُحدث فجوة تتسبب بتهشُّم عظامه، بقي يسب ويلعن هذا الحظ بغضبٍ ثم التفت
نحو الطبيب باصقًا آخر أوامره بغلظة وعدم اكتراثٍ لهذا الذي فقد حياته بسببه.

-قول للرجاله يرمو الجُثة في أي مُكنة

ترك الحُجرة بعدها ليُصفع الباب وراءه حتى كاد ينفصل عن جدار المنزل، بقي
يواصل العدو في ممرات المعمل السري حتى اقتحم حُجرة كان يجلس شريكه بداخلها
يحتسي فنجانًا من القهوة بهدوء.

لاحظ داغر تلك العاصفة الهوجاء التي اقتربت نحوه وآراد أن يفهم سبب غضبه؛
وضع فنجان القهوة جانبًا ليتسأل بفضول:

-حصل إيه؟... هي الرجالة لسة ملقش مُتقلين؟

لم يكن طلال قد أخبره بما ينوي فعله حتى ينسب الإنجاز لنفسه فقط، وحتى لا يسخر
منه داغر بسبب فشله، هذا ما جعله يتحلَّى بالصمت تاركًا المجال لغضبه وشعوره
بالفشل أن يُسيطر عليه.

اعتدل داغر في جلسته مُردفًا بتهكم:

-ما أنا قولتلك خودهم وخلص ... لازم يعني تسويهم على نار هادية

زادت كلماته من غضب طلال مما جعله يهتف بتحدٍ وأعينٍ تزيغ بعيداً في عالمٍ آخرٍ
حقق فيه آماله:

-كُنت عايز اديلهم فرصة ... بس شكلهم مش عايزين الفرصة دي

أنهى حديثه وهو يُخرج جواله على أحد الأرقام حتى يُجري مُكالمة شديدة الأهمية،
وربما تُساعده على تنفيذ مُخططاته....

انعكست صورته على المرأة وهو يُصفف شعره بعناية كما لو كان يتجهز لزفافه،
وضع مُصفف الشعر جانباً ليُغلغل أصابعه بين خُصلات شعره الكثيفة البُنديقية حتى
يُعيدها للوراء بحركة أشبه بحركات الممثلين الأتراك بمُسللاتهم، رسم بسمه
مُتبهنسة على المرأة قبل أن ينثر العطر على قميصه ويستعد لترك المنزل حتى يذهب
إلى وظيفته، فهو قد وجد وظيفة أخرى بخلاف وظيفته في الملهى وكان هذا أول يومٍ
له، ربما ليست وظيفة مرموقة أو مُناسبة، لكنها تقضي الغرض حتى يعثر على
غيرها.

قطع حركته صوّت الهاتف الذي أخذ يهتز داخل جعبته؛ توقف عن السير ليلتقط
الهاتف ويُجيب على ذاك المُتصل الذي أصابه بالغضب، هذا الصوّت الذي اخترق
أذنه من الجهة الأخرى كان كفيلاً بجعله مُقبلاً على تدمير دولة بأكملها.

-عايز إيه ؟

سأله ميجو بوجومٍ وغلٍ ليُجيبه الطرف الآخر بجحافلٍ من الشيطانية والمُكر الذي
اعتادهما دائماً:

-قدامك أربعة وعشرين ساعة تنفذ فيهم إالي هقولك عليه ... وإلاا_

قطعه ميجو بجرأة تلبسته نتيجة رغبته العارمة بالتححرر من ذاك السجن الذي وضع نفسه بداخله، فكان يهتف بحدة ونبرة تُزلل أي أحدٍ فيما عدا طلال:

-والإ إيه؟... لتكونش فاكِر إني عيل سيس وهخاف من التهديدات بتاعتك!!

رسم بسمة ساخرة ومُستخفة بذات الوقت، فهو أدرك تَوًّا أن الطريقة المُثَلَّة لمجابهة أمثاله، هي أن يتصرف بنفس الطريقة التي يتصرف بها، أي يمتن الاستخفاف بعدوّه كلما سنحت له الفرصة، كاد يشتعل طلال من حديثه لكنه لم يُبدِ قيد أنملة من غضبه وقرر المحافظة على لكنته الهادئة المُهددة وهو يقول:

-شاكلك كدة مستغني عن روحك ... ومستغني عن الـ

قطعه ميجو مُجددًا قاصدًا إظهار عدم الخوف في صوته وهو يقول بصرامة وصوتٍ زلزل الجبال من قوته:

-أنا مبخافش غير من إلي خلقتي ... وتهديداتك دي ولا تسوّى عندي بنكلة ويكون في علمك بقي المكالمات إلي بينا كلها متسجلة، يعني لو أي حاجة حصلت لشمس ولا لأي حد اعرفه هيكون آخر يوم في عُمرِك وياريت تنسى الرقم ده بعد كدة عشان دي آخر مرة هحذرك فيها

أدلى تلك الكلمات ببعض الاندفاع الذي حَمَل كتلة من غضبه، فما إن أفضى ما بجعبته حتى شعر وكأن جَملاً ثَقِيلاً انزاح عن كاهله، أصبح الآن حُرًا كالعصفور الطليق، لكنه مع ذلك يُداهمه بعض الندم وكأن تلك الكلمات كانت نتيجة غضبه ليس إلا، داهمته أفكارًا متعاركة تُخبره أن ما فعله ضربًا من الجنون، فمن هو حتى يتحدّى شخصًا كطلال؟

سُرعان ما نفّض هذه الأفكار عن ذهنه وقرر نسيان ما حدث ومواصلة حياته بهدوءٍ دون أن يخشى نعته بخائنٍ.

أما على الجهة الأخرى، حيث جمراتٍ من اللهب تتقاذف من عيني طلال التي اشتعلت بنيران التوعد، كان يقبض على الهاتف بقوة كادت تجعله يتهشم، من يظن

نفسه هذه الحشرة حتى يُفكر بعصيان أوامره ؟ وكيف يجرؤ على مُهاتفته بتلك الطريقة الوقحة ؟

لاحظ يدانٍ جافتان توضعان على كتفه من الورااء يليها صوتٌ داغر المُتهكم:

- واضح إنك عارف تظبط أمورك

اندفع طلال بوجهه وكان تهكمات داغر كانت كالقشة التي قصمت ظهر البعير:

- هدفعهم التمن ... هؤريهم يعني إيه يعصو أوامري ... مش أنا إلهي حبت عيال زي دول يتفرعونو عليا

ربت داغر على كتفه محاولاً مؤساته وهو يتذكر ما حدث في ماضي ورغبة طلال المُستميئة للقضاء عليهم، فهو لا يسعى فقط للسلطة، بل هناك شيء آخر يجعله يضرر العدااء لهؤلاء الرُعاء من وجهة نظره.

- عارف إنك عايز تنتقم لضرغام وتحافظ على المنظمة ... بس الموضوع مش بييجي كدة لازم تتعلم الهدوء عشان تقدر توقعهم واحدة واحدة

أبعد يده عن ظهر طلال كي يُنهي الحديث بشرٍ دفينٍ ومُكرٍ ظاهرٍ للعيان:

-ولو على الجاسوس بتاعك إلهي سابك في النص ... فمتقلقش ... أنا هدفعه التمن

....

ها قد أتت تلك اللحظة المُنتظرة، لحظة تجمّعهم داخل المنزل استعداداً لبدء تجربة التثبيت، كانوا ينقسمون إلى مجموعة من الفرق، داليا ورفاقها يجلسن على الطاولة يتحدثن في شتى الأمور حالما ينتهي إسلام ومخيمر والحسن بوضع الأجهزة وتثبيتها بمساعدة من مُعتز ولؤي، وإحسان يجلس على إحدى الأرائك يتسامر مع سُمية بمرح وابتساماتٍ مُتلهفة، كما انفرد جابر بعيداً ليشرُد في عالمٍ آخر مليء بخيبات الأمل

والضيق، فهو لا يُريد التثبيت ويريد الاحتفاظ بتلك القدرة، لكن هذه التهديدات التي باتت تُهاجمه ستدفعه عنوة لإجراء عملية التثبيت حتى تسري حايته في سلامٍ ويُسر.

أحس بأحدهم يجلس بجواره على الأريكة يحاول إخراجهم من تلك العُزلة وتشجيعه ليضحى جاهزاً، فلم يكن هذا سوى خالد الذي بدأ حديثه بطبيعته المُتملقة والحكيمة:

-ما بكِ أيها الفتى؟

بقيت نظرات جابر تزيغ بشرودٍ حتى آجاب بنبرة باهتة:

**-مفيش ... أنا بس معاوزش أعمل كدة ... معاوزش اتخلى عن الحاجة الوحيدة
إللي اقدر اعملها**

أنهى حديثه بيأس ليرد عليه خالد بصوته الهاديء:

-كيف لا تقدر على شيءٍ آخر وأنت تُدير متجر بقالة وتقفز كالقردة؟

أنهى حديثه بمزاح مُتعمدٍ لم يؤثر بجابر ولو قيد أنملة، فهو لا يزال يشعر وكأنه عديم الفائدة حتى بعد أن هجر حياته السابقة وافتتح متجراً للبقالة بمُساعدتهم، أي أنه بدونهم كان ليبقى كالأخردة البالية التي لا أهمية من وجودها، فكان يقول بخزي:

**-بس أنا كُنت عاوز أكون حاجة كبيرة ومُميزة هعملو كدة ازاي من غير ما
تكون عندي حاجة تميزني؟**

همهم خالد بتفهمٍ ليبقى في حالة وجيزة من الصمت الذي قطعه مُستنتجاً:

-إذا ... أنت تُريد النجاح أليس كذلك؟

لم يُجبه جابر واكتفى بإيماءة هادئة أعربت عن تأكيده لاستنتاج خالد.

أحس بذراع خالد تُحاوِطه بؤد تبع كلماته الحكيمة:

-إذا فلتستمع لتلك النصيحة إذا أردت الفِلاحة ... فلتتحمل المِلاحة

قُطِبَ جابر حاجبيه وهو يُمعن التفكير بتلك الحُكمة التي عُلِقَ عليها بسؤالٍ:

-الفِلاحة دي إلی جاية من الفُلح ؟

ما كاد يُجيبه خالد حتى داهمهما صَوْتُ إسلام الذي نادى على جابر حتى يدلف الحُجرة استعدادًا للتثبيت...

داخل الحُجرة كان يجلس الحسن على الأرض يُحاول حلَّ عُقد الأسلاك وتثبيت الأجهزة بطريقة صائبة، كان يُساعده في ذلك مُعترز بينما كان مخيمر يقرأ بعض التعليمات ويحاول تطبيقها في ذهنه قبل أن يُطبقها فعليًا، وكان لؤي على جهة أخرى يحاول ضبط المقاعد التي ستؤصل بأجهزة التثبيت، حيث يوجد بالحجرة مقعدين كافيين لمن سيقوم بعملية التثبيت.

يقف إسلام على آخر ركنٍ بالحُجرة يُراقب ما يفعلونه في صمتٍ وتبهنيسٍ كما لو كان ملكًا يُشاهد رعيتَه ينهمكون بالعمل لأجله.

-في إيه يا حسن ؟... كل ده بتفك في الأسلاك ؟

سأله بتهمك لبيتعد الحسن عما يفعله حتى يؤبخه بغضب:

-يا بني آدم أنا قولتلك مليون مرة إن اسمي .. الـ..حسن

كادت النيران تنبثق من عينيه مع كلماته مما جعل مُعترز ينتبه لغضبه ويُحاول التهدئة من روعه بقوله:

-معلش يا حسن سيبك منه

زادت كلمات مُعترز من زمجرة الحسن وغضبه حتى التفت نحو مُعترز لينقل غضبه بأعينٍ أشبه بعيني التنين المُجنح وهو مُقبل على نثر النيران من جوفه:

-يووه ... أنا اسمي الحسن ... الحسن

ألقى الحسن ما يحمله من أسلاك على الأرض بغضبٍ تزامناً مع ارتداد جسد مُعتز
للوراء خوفاً من نبرته الصارخة والتي انتهت بنزيفٍ حادٍ من أنف الحسن بسبب
مرضه؛ وثب بعدها عن الأرض ليُجفف أنفه ويأخذ أدويته بينما كان مخيمر يقترب
نحو إسلام كي يُخبره بثقة:

-كدة خلاص كل حاجة جاهزة ... سُمية وإحسان هيبداو الأول مش كدة ؟

أوماً إسلام إيجاباً وهو يقول:

-أيوه ... وبعديهم جابر، وأنا وداليا هنكون في الآخر

أوماً مخيمر بموافقة ليطلب منه أن يأتي بسُمية وإحسان وكذلك جابر وداليا ويطلب
منهم ولوج الحُجرة...

صوّته الناشز غير المُتناسق كاد يجعل جُدران المنزل تتهدم والحشرات تفر مذعورة
من هذا الصوّت، فكان هذا إحسان يتغني بصوّته الناشز كما لو كان مُطرباً مشهوراً،
وأمامه سُمية تستمع إليه عنوة وتُغني معه من فترة لأخرى حتى تُغطي على صوّته.

**-سحرتني ولا سحرتلي ... سحرتني ولا سحرتلي ... وعيون مش محتاجة
تسحرتلي ... وعيون مش_**

قطع غناءه صوّت إسلام الذي وثب ليقف جواره منادياً:

-إحسان ... يلا ادخل إنت وسُمية

ضمّ إحسان أنامله وهو يرفعها نحو إسلام متفوّهاً برجاء:

-ثواني بس اكملها الكوبلية

ثم التفت مجدداً صوّب سُمّية ليوصل غناؤه الناشز:

-مش عايزة تسبني بس سابتنِي ... نسيتنِي وفـ

ولثاني مرة قطعه إسلام وهو يجذبه عنوة ويقول ساخرًا:

-اخلىص يا عم عندليب ... أو مل لو كان صوتك حلو كنت عملت إيه؟

كان سيعارضه إحسان لكنه اكتفى بالزمجرة والصمت أثناء دخولهم لُحجرة التثبيت استعدادًا لمرحلة حاسمة وتجربة نهايتها مصيرية....

مقعدان وثيران انتصفا الحُجرة وعليهما تجلس سُمّية وكذلك إحسان على المقعد المجاور لها، تُحرك سُمّية نظراتها حتى تتقابل مع إحسان لترسم له ابتسامة هادئة مُتلهفة كما كان يُبادلها هو الآخر حتى أتى الحسن ليؤصل الأجهزة برأسيهما وأصابع أيديهما.

تقف داليا بجوار إسلام تُقربُ كفيها نحو فمها بضربات قلبها المُتصاعدة وفمها الذي لم يتوقف عن الدعاء كما يفعل جميعهم، جلس الحسن أمام الأجهزة ووثب مخيمر وراءه حتى يُملي عليه التعليمات، حرّكت سُمّية رأسها بعيدًا عن إحسان لتؤججها نحو السقف وتبدأ بأخذ أنفاسٍ طويلة لعلها تُهديء من روعها وتُزيح هذه الأفكار السوداء التي بدأت تنازحها.

أغلقت عينيها بهدوءٍ كما فعل إحسان هو الآخر أثناء دعائه المُنخفض بمرور تلك التجربة على خير...

ضغظ الحسن على أحد الأزرار وبدأ يعبث ببعض المُحركات حتى أصدر الجهاز صوتًا خافتًا يُشبه صوت الرياح العاتية، كان الوضع هادئًا في بادئ الأمر حتى بدأت أجسادهما بالاهتزاز تباغًا وكأنهما يتعرضان لصاعقة كهربائية...

لم يبدو أنهما يشعران بالألم، فكانت أصواتهما ساكنة وأنفاسهما تبدأ بالانحدار والخفوت تدريجيًا حتى....

بعد بضع ثوانٍ، خفت حركة جسديهما تمامًا، أضحيا كجثة هامدة لا حياة بها، بل وشُحبت وجوههما أيضًا مما أوقد نيران القلق داخل بقيتهم، فهذا بالضبط ما حدث لبطة في أول تجربة للتثبيت، هكذا انتهى بها المطاف مسجونة في عالم الأرواح لعدم مقدرتها على العودة إلى جسدها مرة أخرى بسبب تجربتهم للتثبيت عليها.

شُحبت وجوههم واختفت الألوان من معالمهم وهم يقتربون بخطى مُرتجفة صُوب إحسان وسُمية لعلهما يستشعرا بصيصًا من الأمل، لكن ما وجداه وما خيب آمالهم هو الصمت ... الصمت والسكون التام حتى....

انتفض الجسدان مرة واحدة لتستيقظ سُمية أولاً وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة كما فعل إحسان هو الآخر؛ عادت البسمة على وجوههم وبدا أن تجربة التثبيت هذه المرة بعد أن أجري عليها بعض التعديلات كانت ناجحة؛ اتسعت بسمة داليا وعادت ضربات قلبها تنتظم بعد أن شعرت وكأنها ستتهار باكية، هرول الجميع نحو إحسان وسُمية حتى يسألانها بلهفة ورغبة في الاطمئنان عليهما:

-إنتو كويسين؟

كان هذا سؤال قمر الذي أجابه إحسان ببسمة واسعة:

-أه كويسين....

أغلق إحسان عينيه ليحاول التحرر من جسده ليتأكد أن التجربة قد أتت ثمارها، بقي يضغط على ذهنه وجسده لعله يتحرر كما يفعل سابقًا، لكن لحسن حظه، كان التنقل هذه المرة مُستحيلًا، أي أن التجربة ناجحة...

اتسعت بسمة إحسان وهو يقول بلهفة وسعادة:

-نجحت ... التجربة نجحت، مبقش مُتنقلة أخيرًا

قالها بسعادة وهو يرفع يديه لأعلى بانتصارٍ رغم النظرات الحائرة المصوّبة نحوه،
فلماذا يُحادث نفسه كفتاة ؟

أما عند سُمية، فكانت نظراتها واجمة جاحظة وهي تُحدق بجسد إحسان وتقول بقلق:

-س.. سُمية ... يا سُمية

ما إن قالت هذا الاسم حتى التفت إحسان نحوها لتزداد عوالمه وجومًا ما إن راقب
وجهها؛ بدأ يتحسس عوالم وجهه بذهولٍ والصدمة تكتنفه، بل تكتنفهم جميعًا.

-هو إيه العك ده أنا إزاي دخلت هنا ؟؟

تبادلت نظراتهم في تبهٍ وقلقٍ حتى قطعت داليا هذا الصمت بذعر:

-هو إنتو ... اتبدلتو!!

كان الصمت سيد الموقف وكلاهما يُبادلان نظراتهما في صمتٍ قطعه إسلام هذه
المرة باقتراح:

-طب جربو كدة ترجعو تاني ؟

حاولت سُمية التي اخترقت جسد إحسان الاستجابة لحديثه فأغلقت عينيها وأخذت نفسًا
عميقًا، بقيت تضغط على جسدها بكل ما أوتيت من قوة إلى أن تحوّل وجهها إلى
اللون الأحمر، ولازالت بعد هذه المحاولات المُستميّة داخل جسد إحسان، رفعت
رأسها نحوهم وهي تقول بخيبة أملٍ وحسرة على حالها:

-مش عارفة ... مش عارفة ارجع لجسمي تاني....

الفصل العشرون (كشف المستور)

يُشبه الخُذْلان هذا البئر في الصحراء الجرداء... تظن أنه سيروي ظمأك، لكنك
تكتشف أنه خالٍ من المياه....

ساعات من السكون اعتمرت أركان هذا المنزل، الجميع يجلس في البهو يضع يده
على ذقنه وعوالم الوجوم لا تترك وجهه وكأنهم فقدوا فقيداً، وكان فقيدهم في هذه
اللحظة هو الأمل...

بعد بُرْهة طويلة من الصمت قررت قمر أن تقطع وجومهم وهي ترفع من نبرة
صوتها لعلها ترفع من عزيمتهم:

-ايه يا جدعان؟... هفضل ساكتين كدة زي الولية المتطلقة... ما تقولو هنعمل ايه
في المصيبة دي

لُوحت بكفها المبسوط أمامها وهي تُعرب عن تدمرها بما حدث، ففشل عملية التثبيت
سيُقربهم أكثر من التهلكة، بل ربما يقف عُثرة في سبيل حمايتهم من تلك التهديدات.

-هو أنا هفضل كدة علطول؟

قالتها سُمية بضيقٍ وهي داخل جسد إحسان تنعي حظها بسبب ما حدث، كم لعنت
نفسها على الوثوق بهم بأنهم سيستطيعوا إنقاذها، بل يبدو أنهم هُم من بحاجة إلى
مساعدة وليست هي.

-لأ... إن شاء الله هنلاقي حل

قالتها داليا بهدوءٍ رغم النيران المُتأججة داخلها، وما كان هدوئها سوى سبباً لاشتعال
سُمية أكثر حتى بدأت تُلقي عليهم أسهم العتاب:

-إنتو السبب في إللي حصل... يارتنى ما صدقتكم

ارتمت على أحد المقاعد تحني جذعها ليتقابل رأسها مع فخذها وتستطيع إثارة بين كفيها وكأنها على وشك البكاء بحسرة، إقترب إحسان نحوها والذي كان داخل جسد سُمية لكنه لم يكن مُفعلاً مثلها، بل أنه قرر أن يتحلّى بالهدوء حتى يستطيعوا التفكير بتلك المُعضلة، وضع كفه على ظهرها وبدأ التربيت عليه بحنانٍ بالغٍ قال معه:

-متخافيش ... أكيد في طريقة هنرجع بيها لجسمنا تاني

لم تنبس ببنت شفة وبقيت في حالة من الصمت والتبلم حتى هتف إسلام مؤجهاً حديثه نحو مخيمر:

-ما تقول حاجة يا عم العالم ... مش قولت إنك عدّلت طريقة التثبيت ؟

كان التهكم جليّاً على حديث إسلام ومع ذلك أجابه مخيمر بهدوءه المُعتاد أثناء اعتصاره لعقله محاولة أن يعثر على سببٍ لم يحدث:

-أنا متأكد من الأبحاث إللي عملتها قبل ما اكتشف الطريقة ... بس مش عارف إيه إللي حصل

عُتبت كوكي لتستفسر:

-هو مفيش طريقة يرجعو بيها تاني ؟

أجابها مخيمر بعلمية:

-الهيئة النجمية اتشالت خالص، ودي إللي كانت بتخليهم يتنقلو بروحهم وعشان يرجعو لجسمهم، لازم نرجع الهيئة النجمية تاني...

رفع رأسه ليواجههم أثناء انهائه للحديث:

-والأبحاث إللي بتساعدنا نزرع هيئة نجمية جوة أي حد ... حرقناها

زادت خيبة أملهم بعد حديثه الذي ذكرهم بتلك الأبحاث التي قاموا بحرقها سابقًا حتى لا يستخدمها ضُرغام بأعماله الشيطانية، لكن يبدو الآن أنهم بحاجة ماسة إليها.

-وهي الأبحاث دي مينفَعش تتعمل تاني؟

كان هذا سؤال مُعْتز المُستفسر والذي أجاب عليه مخيمر:

-الموضوع ده هيجتاج أجهزة أكثر ومش هينفع غير في معمل

لاحت بينهم عاصفة هوجاء من الصمت جعلتهم ينكبون على خيبة أملهم وفُقدانهم لآخر ذرة في الوصول لهدفهم، قطعت داليا هذا الصمت بكلماتها اليأسَة:

-يعني كدة خلاص ... مفيش أمل؟

وثب مخيمر من مقعده عازمًا على الرحيل وبدء البحث عن طريقة أخرى، فكان يُطمئنهم بحديثه أثناء الرحيل:

-أنا هحاول اتواصل مع ناس كانت شغالة في المعمل القديم واشوف لو معاهم نسخة ولا حاجة شايلنها في مكان ... ولو وصلت لحاجة هقولكم

ترك المنزل بعدها تاركًا إياهم غارقين في وحلٍ من الفشل والخوف على ما سيحدث فيما بعد، ما إن رحل مخيمر حتى تَوَلَّى لؤي ضفة الحديد ليردف بأمر:

-سُمية لازم تبات مع جابر لحد ما نشوف هنخرجها من الجسم ده إزاي ... مش هينفع ترجع لبيت إحسان عشان محدش يحس بحاجة غريبة

وثبت سُمية عن مقعدها باعتراضٍ جامٍ تبع حديثها المُندفع وشهقتها الرادحة بعض الشيء والتي لم تتناسب مع هذا الجسد:

**-مين دي إللي تروح عند جابر؟.... إنتو عايزيني اقعِد في بيت راجل غريب !! ..
إنتو أكيد اتجننتو**

وثبت داليا هي الأخرى لتحاول تهدئتها واقناعها:

**-سُمية إنتِ دلوقتي في مقام راجل ... يعني أكيد جابر مش هيبُصِكَ ... بعدين جابر
الوحيد إلي عندو مكان فاضي وعارف إلي فيها**

زفرت الهواء من جوفها بتذمرٍ وعوالم الغضب لم تتركها، فهي الآن داخل جسد رجل، بل وأيضًا ستيبت مع رجلٍ غريب!!... لكنها في النهاية حاولت التهدئة من روعها ورحلت عن المنزل دون أن تنبس ببنت شفة، تبعها جابر هو الآخر ليحاول تهدئتها وإخبارها أنه لن يتحدث معها حتى وهي داخل منزله، بل سيُشعرها حتى أنها وحدها بالمنزل.

أما عن إحسان الذي اخترق جسد سُمية، لم يبدو مُتذمرًا مثلها، بل كان يعبث بخُصلات شعر سُمية الطويلة ويُفكر في الأغنية التي سيتشدد بها بهذا الصوت الجديد، فسُمية لديها صوتٌ رقيقٌ يُطرب مسامعه في كل وهلة، وبما أنه يُحب الغناء ويظن نفسه مُطربًا مشهورًا، فسوف ينتهز تلك الفُرصة ويُغني طوال الليل والنهار.

استقروا على ذهاب إحسان إلى منزل والدتها والتصرف وكأنه مجرد فتاة حتى لا تشك بسمة بشيء، قررت كوكي أيضًا العودة إلى منزلها بسبب بسمة التي لم تتوقف عن البكاء لأنها يجب أن تُبدل حفاضتها، أما عن الحسن، فكان أول من ترك المنزل بعد أن ازداد نزيف أنفه وكان يجب عليه أن يذهب إلى المشفى لنقل الدماء.

لم يبق بالمنزل سوى إسلام وداليا وكذلك لؤي وقمر، حيث أراد لؤي تحذيرهما قبل أن يرحل حتى لا يتصرفا بطريقة حمقاء تُوَقِّعهما في الكوارث ككل مرة؛ وثب عن المقعد ليقترّب نحو إسلام متفوّهاً بتحذير:

**-لازم تاخدو بالكم كويس أوي ... التحقيقات إلي عملتها مع نرمين والناس إلي
خطفو داليا والبنات، بتقول إن في حد واقفلكم بالمرصاد ومستني الفُرصة
عشان يضرب ضربته**

فهم إسلام تحذيره بسرعة ولم يبدو عليه الصدمة أو الخوف حتى، بل كانت عوالم التوتر تلوح على وجهه وهو يبادل حذقيه بداليا التي استمعت إلى ذاك التحذير هي الأخرى.

جحظت عينا داليا وهي تُحدق بإسلام ولا تدري ماذا تقول أو بماذا تُجيب، فيبدو أن الأمر لن يظل مخفياً إلى الأبد...

لاحظت قمر توترهما فَوَّجَته نظراتها بينهما متسألة:

-هو في حاجة؟... هو إنتو... عارفين إن في حد بيهددكم

زادت عوالم التوتر على وجه إسلام وأحس بانعقاد لسانه وعدم قُدرته على الحديث مما جعله يتحلّى بالصمت مؤكداً لهم على معرفته بتلك التحذيرات جيداً، وهذا ما أوقد النيران داخل لؤي عندما قال:

-يعني إنتو عارفين ومقولتوش لحد؟

خرجت داليا من دوامة صمتها وهي تقول مُبررة:

-إحنا كنا خايفين ... أصل الراجل ده قالنا لو قولتو لحد هيقطع رقبتنا_

قطع لؤي تبريرها بسؤالٍ صارم:

-راجل مين؟

تدخل إسلام ليُجيبه بصدقٍ بدلاً من داليا:

-من كام يوم كدة في واحد اتهجم علينا في البيت ... كان .. كان عايزنا نشتغل معاه جواسيس، بس إحنا رفضنا وشكله كدة مش هيهدي غير لما نشتغل معاه بجد ... ده حتى هددنا وادلنا رقم نتواصل فيه معاه لو غيرنا رأينا

تجمهرت عوالم لؤي وهو يمدُّ يده متفوّهاً:

-الرقم ده فين؟... هاتو بسرعة

أوما إسلام إيجاباً وبدأ يبحث بالخرانة الصغيرة الموجودة بالبهو حتى أخرج بطاقة من الورق المقوى مدوّن عليها بضعة أرقام، انتشل لؤي هذه الورقة بحدة وأمرهم أن يبقيا أماكنهما ويُنبئانه بأي تفصييلة يمران بها، رحل بعدها هو وقمر ليبقى إسلام أمام داليا بعوالم الذعر والخوف التي بدأت بزيارته كما بدأت بزيارة داليا هي الأخرى، فالخوف إذا قدّم أحد المنازل، لا يتركها إلا بعد تدميرها.

-أنا خايفة أوي الموضوع شكله جد ... الراجل ده طلع ورانا من بدري

بقي إسلام في حالة من الصمت والشرود حتى قطعتة بكلماتها المذعورة:

-إحنا هنعمل إيه؟... أكيد مش هنفضل محبوسين في البيت لغاية ما الراجل ده يطب علينا تاني ... على الأقل نجيب حاجة ندافع بيها عن نفسنا

ما إن أنهت تلك الكلمات حتى رفع إسلام رأسه بأعينٍ مُتسعة وكان كلماتها كالنور الذي أنار عقله وجعله يقول:

-لقيتها ... إحنا نطلب مساعدة من حد حد ثقيل، بنفس قوة إيلي ورانا

قطبت داليا حاجبيها بحيرة من حديثه المُبهم والذي جعلها تسأل:

-قصدك على مين؟

ربت إسلام على كتفها ليُنهي الحديث بقوله:

-هتعرفيه ... نامي دلوقتي وبكرة نبقى نروحله....

صباح اليوم التالي، وأثناء تغلغل أصوات الطيور وحفيف الأشجار، كانت قمر داخل المركز تقرأ بعض الكتب تارة وتحاول تقوية قدراتها الذهنية تارة أخرى حتى لا تفقدها، فكانت تجلس على أريكة وردية مريحة والكتاب على فخذيها ورأسها ممدٌ للوراء بأعينٍ مُغلقة وسكونٌ تامٌ يكتنفها.

قطع انسجامها دخول ريتا ومعها حفنة من الأوراق يبدو أنها أوراقاً مُهمة، جلست بجوار قمر على الأريكة ودعّتها للالتفات نحوها حتى تُحدثها في أمرٍ بالغ الأهمية.

تركت قمر الكتاب جانباً واعتدلت في جلستها لتُقابل عينا ريتا التي كانت تقول بأهمية :

-أنا عرفت حاجة مُهمة جداً تخص الحالة إليّ جات هنا قبل كدة ... إليّ اسمه وهدان

زادت عوالم الأهمية على وجه قمر وهي تقول:

-عرفتي إيه ؟

بدأت ريتا الحديث بمقدمة افتتاحية لتؤكد على صدق ما ستقول:

-إنتِ قولتي إنك لما حاولتي تقري إليّ جواه حسيتي بكهربا وصوت زعيق وضرب وضلّة ... وقولتي كمان إنه مكانش فاكّر حاجة عن نفسه ... وبتقولي إنه بعدها اكتشفتي إنه قتال قُتلة، صح كدة ؟

أومأت قمر إيجاباً لتواصل ريتا حديثها وهي ترفع الأوراق قليلاً أمام عينيها:

-أهو ده بقى نفس إليّ حصل سنة 1730 مع حالة اسمها حسن صباح في قلعة الموت إليّ في إيران الراجل ده كان بيعت اتباعه في عمليات اغتيال انتحارية، وكان بيسيطر على عقلمم بالتنويم الإيحائي أو الحشيش عشان ينفذو إليّ بيقوله وفي سنة 1950 اكتشف الأمريكيان إن الأسرى إليّ رجعو من الصين، كانوا كلهم بيأيدو الشيوعية ... وده إليّ خلى عالم اسمه هنتر يبدأ يفكر في الموضوع

ده ... يبدأ يسأل إزاي الناس بتنسى نفسها وممكن تتبنى أي مُعتقد أو ترتكب أي جريمة من غير ما تكون حاسة باللي بتعمله...

كانت عوالم قمر جاحظة تحاول استيعاب ما يُتلى على مسامعها بينما كانت ريتا تواصل حديثها بعلمية:

-الموضوع ده بيحصل لما يعزلو الشخص في أوضة ضلّمة ميقدرش يهرب منها، يبدأو يعرضوه لأنواع مُختلفة من التعذيب أهمها التعذيب النفسي والكهربا إلي ممكن تعمل تلف في الذاكرة وأضرار تانية كتير

بعد بُرهة من الصمت والتفكير استنتجت قمر:

-يعني إنتِ قصدك إن ... وهدان اتعمله غسيل دماغ؟....

انتشر الضباط في كل مكانٍ حول حاوية القمامة التي جاورها جُثة رجلٍ يبدو بمُنْتصف شبابه، الخُبراء في كل مكانٍ يتفحصون البصمات والأدلة بينما كان لؤي يركع على الأرض قبالة الجُثة ذات الوجه الشاحب والشفاه الزرقاء، مسدً على جُمجمة الرجل ممرراً أصابعه على تلك الندبات التي تحوّل لونها إلى البُني، أنزل يديه بأعينٍ مُقطبة تُدقق برسغ الضحية حيث يوجد كدماتٍ زرقاء تُحيط برسغه كالسوار.

رفع سُترة الضحية لتتجهم معالمه أكثر حينما لمح المزيد من الكدمات والجروح على جسده، إذا هذه الجُثة تعرضت للتعذيب، وربما كانت تقاوم حتى لقيت حتفها، تعجب من عدم وجود هوية للمتوفي لكنه يتوقع أن يعثر على عائلته عن طريق تفحص حالات الاختفاء هذه الأيام.

-لؤي بيه مفيش أدلة تانية ولا في كاميرات مراقبة تخلينا نعرف صاحب العربية

قالها أحد الضباط بعملية ليُجعل لؤي يثب عن الأرض متفوّهاً بصرامة:

-اعرفلي مين الراجل ده وخلي الطبيب الشرعي يخلص الفحص بسرعة

قالها بوجه جامد وملامح تبدو غاضبة لرغبته الشديدة بمعرفة هذا القتل ومن الذي تسبب بقتله بهذه الوحشية؟....

العديد من المقاعد الوثيرة ترتص بجوار بعضها البعض في تلك القاعة الكبيرة حيث المسرح الكبير والعديد من العازفين من بينهم ميجو.

يوجد من يعزف الجيتار بمهارة ومن يعزف على القانون والمزيد من الآلات الموسيقية التي تنطلق أصواتها بتناغمٍ ورُقِي، أصوات تجعلك تغرق بداخلها وتتناسى العالم وما به من متاعب.

كانت شمس تجلس على أحد المقاعد الخالية من الجمهور، فكانت هي الوحيدة التي تجلس وتُشاهد تدريباتهم بحماسٍ طفوليّ كاد يجعلها تُصفق من الانبهار، فقد أخبرها ميجو أنه ترك الملهي للأبد وانتقل إلى العزف مع فرقة راقية تؤدي عروضاً رائعة أمام الجمهور، أخبرها كذلك أن هذه الوظيفة مؤقتة حالما يعثر على أخرى دائمة، وهذا ما يعمل عليه جاهداً من أجلها.

لا يُصدق أن حياته تبدلت مئة وثمانون درجة، ترك الخمر نهائياً وكذلك بدأ يُقل من استنشاقه لتلك المواد المُخدرة، يحاول حتى التخلص من الكمية التي لديه تدريجياً، يشعر وكأنه كالزهرة التي عادت إلى الحياة بعد أن انتقلت من حُجرة مُظلمة إلى شعاع الشمس الزاهي.

انتهى ميجو من عرضه ليترجل من أعلى المسرح متوجّهاً لها بابتسامة واسعة تُزين ثغره، فهو لم يُبعد نظراته عنها وهو يُؤدي تدريباته حتى ظن أنه سيتعثر ويُخطيء بسبب جمال عينيها وابتسامتها.

-واو ... كُنْتُ تُحْفَةً

قالتها بحماسٍ وتشجيعٍ جعل ابتسامته تتسع وهو يتشكرها:

-ده من ذوقك....

وضع دربوجته أرضًا ليقف بجوارها مُستندًا على أحد المقاعد وعيناه لا تنفك تترك عينيها الطفولية حتى جعلها تتدرج في حُمره من الخجل خاصة مع صمته المُفاجيء.

-فف...في إيه؟

قالتها بصوتٍ مُتلجلج ما إن لاحظت صمته وتحديقه بها، تحمحم هو أثناء طرده لتلك الأفكار السوداء بعقله حتى لا تنتهي علاقتهما قبل أن تبدأ، فهو قد عاهدتها بعدم مُغازلتها مُغازلاته الوقحة سوى بعد أن يتم عقد قرانهما، يجب أن يُحافظ على احترامه معها أيامًا قليلة فقط.

-لأ مفيش ... أنا بس...

تبسم بسمة هادئة وهو يواصل:

-سرحت في عينيكي

انهمرت قطراتٌ من العرق على جبهتها وشعرت بالارتباك والخجل يغمرانها ويجعلانها تقول:

-إييه.... لازم أروّح

كادت ترحل لكنه قبض على رسغها حتى تتوقف وتنصت إلى حديثه، تعجبت في بادئ الأمر على مسكه ليدها دون إذن لكنه تركها فورًا وحمحم باعتذار قبل أن يقول بجدية:

-أنا... اتفقت مع عمي هلال إن كتب الكتاب هيبقى بعد بُكرة ... إحنا كدة كدة مش محتاجين حفلة خطوبة

توقفت الكلمات في حلقها ولم تعد قادرة على إبداء أي من التعبيرات رغم الفراشات التي تتراقص بداخلها، فهي أخيراً ستقترن بأول من دق قلبها له وستبني معه أسرة صغيرة لطالما كانت تحلم ببناءها، لكن لسانها الأحق الذي لا يستطيع التعبير عما تكنيه من مشاعر هائمة جعلها تقول بجفاء:

-ك..كويس

تعجب ميجو من ردة فعلها لكنه يعلم جيداً أن حرجها يطغي على كلماتها ويجعلها تترج في تلك الحُمرَة وتلك الكلمات المُختصرة:

-كويس !! ... أنا كُنت فَاكر إنك هتتبسطي

زادت قطرات العرق على جبينها وهي تنفي حديثه بتلجلج:

-منا.. منا مبسوطَة هو مش باين عليا ؟

بقي ساكنًا مُحدقًا بها مُتلذذًا بارتباكها ومحاولاتها لاستجماع شتات نفسها، يعلم أنها ستنفجر في لحظة من اللحظات لكنها تُحاول قدر الإمكان أن تُحافظ على صورتها الهادئة الرزينة أمامه، لا تعلم حتى أنه لا يراها هادئة ولا حتى رزينة، بل هو يُحب عفويتها وحديثها الطقولي.

-هو ... كتب الكتاب إمتى بالظبط ... يعني الساعة كام ؟

حافظ على ملامحه الجافة وهو يُجيب:

-على ستة، ستة ونُص كدة

همهمت بلامبالاة زائفة ثم حدقت لأسفل لفترة وجيزة من الصمت لترفع من نبرتها وهي تسأل مُجددًا:

-طب هو بعد كتب الكتاب يعني هكون متجوزة رسمي؟... يعني .. يعني هنمسك إيد بعض وهتقولي إنت مراتي والجوده؟

قطب حاجبيه بحيرة من سؤالها العجيب الذي حاولت تبريره بلجلجة:

-أنا بسأل عادي يعني مش حاجة ... أنا بس إيه .. بس إيه

بدأت تلتقط أنفاسها بصعوبة بمحاولة مُستميتة لتهدئة ضربات قلبها المُتصاعدة، لكنها في النهاية انفجرت تاركة المجال لسعادتها باحتلال الساحة:

-أنا مش مصدقة نفسي ... إحنا خلاص هنتجوز !! ... ياس...

واصلت الهتاف بحماسٍ والتصفيق بطفولية وفرحة عارمة جعلته يبتسم عنوة ويتابعها خارج المسرح، لم تتوقف عن الحديث عن سعادتها بينما كان هو يبتسم لها تارة ويُفكر بمُستقبلهما تارة أخرى، لا يعرف حقًا كيف سيواصل حياته مع فتاة تحوي بداخلها طفلة رضية....

تعانق الشمس المياه في مشهد غروبٍ تهيج به الأنفاس، وفي تلك الأجواء الرائقة، كان يتحرك إسلام بروحه المعنوية وجواره داليا التي أمرها أن تخرج من جسدها لغرض هام، وثبا أمام السور المُطل على نهر النيل وهناك رجلٌ يجلس على أحد الأركان بكنزته السوداء وهدوءه الساكن.

تحرك إسلام نحو الرجل ليجلس بجواره بهدوءٍ حتى لا يُصيبه بالانزعاج، رغم أنه يعلم أن هذا الرجل الغامض المدعو بحرب، لن يُصاب بالانزعاج أبدًا، ولا يُصاب بأي من المشاعر من الأساس.

-توقعت إنكم هاتيجو-

قالها حرب ما إن استشعر جلوس إسلام بجواره وداليا بجوار إسلام تختبيء خلفه ولا تُريد مواجهة هذا الرجل من الأساس، هي حتى لم تُشجع على هذه الفكرة بطلب المساعدة منه.

تعجب إسلام من معرفته لمجيبهما فسأله بحيرة:

-يعني إنت عارف إحنا عايزين إيه؟

أجابه حرب وهو لا يُعيره أي انتباه، فقط يُحدق بالنيل أمامه ويُجيب بجمود:

-عايزين مساعدة ... أو عايزين تخلصو من حد ومش عارفين...

التفت نحو إسلام لِيُنهي كلماته بنظراتٍ ثابتة آذابت عظامهما:

-ها... عايزين تخلصو من مين؟

كانت السعادة تبدو على وجهه وهو يسألها ذاك السؤال وكأنه يتلطف لمُتعة ما؛
حمم إسلام لِيُجلي حنجرته قبل أن يُصح ما فهمه:

-لا لأ... الموضوع مش كدة... إحنا مش عايزين نخلص من حد، إحنا عايزين
نحمي نفسنا مش أكثر

أبعد حرب عينيه عنه بخيبة أملٍ لم يُظهرها وهو يقول:

-من مين؟

تدخلت داليا لتُجيبه هذه المرة:

-مش عارفين لسة ... بس في حد بيراقبنا وعايز يأدينا ... وكمان عايز ياذي
الْمُتَنَقِّلِينَ كُلَّهُمْ ... يعني احتمال حياتك إنت كمان تكون في خطر

ما إن أنهت حديثها حتى قهقهه قهقهة ساخرة بدت مُختلة وهو يقول:

-خطر !! أنا إلي بخلي حياة الناس في خطر ... مش العكس

قالها بكبرياءٍ ولكنة شيطانية جعلت إسلام يتأكد أنهما أتيا للشخص الصحيح، فمواجهة
المُجرمين تحتاج إلى مُجرمين آخرين، ولن يجدو مُجرماً أفضل منه خاصة وهو
مُتَنَقِّلٌ مثلهما، لهذا السبب سأل إسلام:

-طب إحنا عايزين أسلحة ... عشان لو اتعرضنا لحاجة نقدر ندافع عن نفسنا

عُتبت داليا لتطلب منه هي الأخرى:

-وعايزين كمان نعرف مين إلي مراقبنا ... إحنا عارفين شكله بس لسة مش
عارفين اسمه ولا عارفين الراجل إلي معاه

-طلال ... اسمه طلال ... والراجل إلي معاه اسمه داغر

داهمها بتلك الكلمات التي ألجمت أفواههما، فمن أين يعرفه هذا ؟ ولم لم يُخبرهما
مُنذ فترة طويلة ؟ ولم سيُخبرهما من الأساس، هو حتى لا يكثرث لأمرهما ولا
لأمر الْمُتَنَقِّلِينَ غيره.

-يعني إنت عارفه ؟

قالها إسلام بدهشة أردعها حرب بكلماتٍ جامدة مُتبهنسة:

-المُجرم بيعرف المُجرم إلي زيه... خصوصاً بقي لما يكون عزرائيل

أنهى حديثه بمُكرٍ لتطلب منه داليا:

-تقدر تقولنا على مكان نجيب منه أسلحة ؟ ... واحنا هندفعلك إلهي إنت عايزه

آجابها حرب وهو شارّد في مظهر الغروب:

-مفيش إلا إبليس ... هو الوحيد إلهي هيفيدكم

قطب إسلام حاجبيه وهو يقول بتعجب:

-إبليس!!

فسرّ حرب حديثه بقوله:

-اسمه إدريس ... بس مشهور بإبليس ... سيد الشياطين

صمّت بُرهة عن الحديث أمام نظراتهما الواجمة ورغبتهما الداخلية بالفرار، يتعاملان الآن مع ملك الموت، وسيتعاملان فيما بعد مع سيد الشياطين، كم هذا عظيم!!

-قولوله إنكم تبع عزرائيل ... وهخدمكم في السعير

قالها وهو يحاول الوثوب عن السور حتى يعود أدراجه، لكن إسلام استوقفه كي يُعيد طلبهما بقوله:

-وظلال وداغر؟ ... مش هتعرف تجبلنا أدلة ضدهم؟

آجابه حرب بنبرة قاطعة مهيبية:

-مجبش أدلة ضد حد عشان إلهي بيضايقني بخلص عليه عطلول...

بصق تلك الكلمات بوجهيهما ورحل بعد أن ترك لهما عنوان من يريدان ابتياع الأسلحة منه أو على الأقل تأجيرها، كم يشعرا بالراحة بعد أنتهائهما من تلك

المُعضلة، لكن الطريق أمامهما لا يزال طويلاً مليئاً بالصعاب التي سيتخطياها مهما كانت....

هائماً على وجهه مُكبّاً على تلك الأوراق التي تداخلت معلوماتها ونسجت العديد من العُقد داخل عقله، فتلك القضايا أشبه بالأحجية الناقصة التي لا يوجد لبقيتها أثرٌ بأي مكانٍ أو زمانٍ حتى، كان الوجوم بعينه التي جفت دموعها بسبب كثرة التحديق، وكانت يده لا تتوقفان عن مراجعة الأوراق ومشاهدة صورة هذه الضحية.

قطع وصلة شروده دلوف أحد الرجال مُرتدياً زي الأطباء ويحمل معه حفنة من الأوراق التي تبدو مُهمة، حمم الطبيب ببعض الاحترام قبل أن يُشير لؤي على أحد المقاعد حتى يجلس.

ما إن جلس الطبيب حتى رفع الأوراق قبالة وجهه عازماً على تفسير سبب وفاة الضحية بعد أن رفض كتابة التقرير، فما يوجد بتلك الورقة لن يفهمه أحد سواه.

-تقرير الطب الشرعي يقول إن كان فيه تقلص في العضلات وتلف في الأعصاب، وده بيدل على إن الدماغ تعرضت لصدمة كهربائية بقوة 50 لـ 60 أمبير.... وكمات وجود الكدمات السطحية معناها إن الضحية اتعرضت لضرب مُبرح قبل ما يتم تعريضها للصاعقة الكهربائية.... وأثناء التحاليل اكتشفنا انخفاض ضغط الدم بشكل غير طبيعي وبؤبؤ العين كان مُتقلص ... ده غير إن نشاط الجهاز العصبي مكنش مُنظم وده بيدل على إن الحالة كانت واخدة نوع من الممنوعات، بس مش لدرجة الوفاة

همهم لؤي بتفهم وتركيز جام حتى صمت الطبيب تماماً وتغيرت معالم وجهه إلى التيه، فهو لا يعرف طريقة مناسبة ليُفسر بها ما يُريد تفسيره، فقد ظن أنه يستطيع التفسير، لكن الحقيقة أنه لا يُصدق تلك التحاليل حتى يستطيع تفسيرها.

-و...في حاجة كمان

انتبه لؤي لحديثه وأمعن التحديق بالطبيب الذي أردف ببعض التيه:

-التحاليل والأشعة إلي عملناها على المٌخ خلتنا نلاحظ حاجة غريبة أوي

تقدم لؤي بجذعه بأعينٍ مُقطبة وكلماتٍ تزداد رغبة في المعرفة:

-غريبة زي إيه ؟

مرر الطبيب عينيه على التحاليل مُجددًا ثم وجهها نحو لؤي متفوّهاً:

-لقينا جسم مُشع غريب وكأنه هالة... حاجة مشوفنهاش قبل كدة في أي حالة
تانية

بدأت الشكوك تُساور لؤي حيال هذا الأمر مما دفعه لسؤال:

-وده معناه إيه ؟

أجابه الطبيب باستنتاج:

-إلي اعرفه إن الهالة دي أكيد بتأثر على نشاط المٌخ ... وطبعًا المٌخ مسؤل عن كل حاجة بتدور في الجسم ... يعني وجود هالة زي دي بيأكدلي إن الضحية مكنتش شخص عادي ... كانت شخص عنده قُدرات، عنده حاجة مش عند أي حد تاني

زادت كلمات الطبيب من الشكوك التي تساور لؤي وجعلت القلق أيضًا ينهش كيانه، ماذا لو كانت هذه الضحية مثل أصدقاءه ؟ ماذا لو انتهى مصيرهم مثلما انتهى مصير هذه الضحية ؟ تلك الأفكار ما فتأت تنهش بعقله وتجعل أعصابه تتلف ببطء، فهو عاجز عن الامساك بهذا الرجل، وعاجز حتى على حماية رفاقه والتخلص من تلك الشكوك.

لاحظ الطبيب صمته فتفوّه مُستندئًا:

-حضرتك تؤمر بأي حاجة؟

خرج لؤي من دوامة شروده متفوّهاً:

-لا خلاص ... روح إنت سلم التقرير للمعمل الجنائي

أوماً الطبيب إيجاباً ليترك لؤي وحده غارقاً في شروده وقلقه وتلك الأحجية التي تزداد تعقيداً ورهبة....

مرّ يومين بسرّعة كالبرق ويبقى الحال كما هو، ما تبدل فقط، أن في هذا اليوم سيتم كتب الكتاب الخاص بشمس في منزلهم البسيط، تم تزيين المكان بشتى أنواع الزينة ليصدح صوت الأغاني الهادئة التي لم تُغطي على حديث المعازيم، فكان بعضهم يرتشف الشاي ويتحدث بالبهو، والبعض الآخر يُقهقه بسعادة ويلتقط العديد من الصوّر، وهناك من تتحدث مع شمس وتُهنئها بحرارة.

كانت قمر تُساعد والدتها بتوزيع أكواب الشاي والترحيب بالمعازيم، لم يأتي منزلهم سوى أقاربهم المُقربون وجميع جيرانهم بما فيهم عبده شقيق داليا الذي يقف أمام الباب يرفع مطواته أمام المعازيم بتهديد:

-طلع يا حلو إلمي في جيبك

حمم الرجل بذهولٍ من تصرفات هذا المُراهق الجعسوس، تلفت حوله بتيهٍ لعل الحديث لا يُوجه له، أو أنها مزحة من ذاك الفتى الذي يبدو على ملامحه الوقاحة.

-إنت لسة هتبلق؟...بقولك هات إلمي معاك بدل ما تترحم على روحك

لُوح بالمديّة أمام وجهه بتهديدٍ جعل الرجل يخضع ويُخرج حفنة من الأموال من جيبه لينتشلها عبده بسرّعة ويفسح له المجال بدخول المنزل، استند بعدها على حافة الباب

مُخرَجًا بقية الأموال التي جمعها ويبدأ بحصيتها والابتسامة المُفتخرة على وجهه
وكانه أحرز هدفًا ما ولم يُهدد أحدًا أو يأخذ أمواله عنوة...

أما بالبهو فكانت سُمية تجلس على الأريكة وجوارها إحسان الذي تلبس جسدها
وأصبح هو الفتاة الآن، لكنه مع ذلك لا يتصرف على هذا الأساس وواصل التحديق
بها بهيامٍ قال معه بتمني:

**-نخلص بس من إلهي احنا فيه ده وأنا هعملك فرح ... مش هتسيه لآخر يوم في
عُمرِك**

رسمت بسمة خجولة على ثغرها بدت بلهاء وهي داخل جسده خاصة وهي تقول
بدلالٍ لا يتناسب أبدًا مع جسد الرجل الذي تلبسه:

-بجد يا حاسونتي ؟

رد عليها إحسان بنفس ذلك الهيام وتلك العينان المصوّبتان نحوها:

-بجد يا قلب حسونتي

كانت نظرات داليا المُشمئزة تتابعهما من بعيدٍ وتشعر وكأنها على وشك التقيؤ؛ مالت
بجذعها نحو يُسرى التي جلست جوارها تراقب هي الأخرى تلك الرومانسية المُفرطة
غير المتناسقة بالمرّة.

-حاسة إني هرجع من الرومانسية المعكوسة دي

ردت يُسرى عليها بنفس همسها:

-ومين سمعك ... ده لو حد شافهم هيفتكرهم مُختلين عقليًا....

بنفس ذاك البهو، كان يجلس جابر وعيناه تُحدقان بتلك الفتاة الغريبة ذات الشعر
الأصفر والأعين الزرقاء الواسعة، لا ينكر أنها لفتت انتباهه وجذبتة ناحيتها من أول

وهلة، لذلك قرر أن يتحدث معها ولو قليلاً، ولأنه لا يتحدث أبداً مع الفتيات ولا يعرف كيف يفكرن حتى، قرر الاستعانة بخالد وإسلام لعلهما يُساعدانه بتلك المُعضلة.

-هي إلی هناك دي اسمها إيه ؟

قالها وهو يُشير على تلك الفتاة ليجيبه إسلام بصدق:

-أأاه... دي قريبة كوكي.. اسمها ساندي باين، بس إنت بتسأل ليه ؟

تلعثم بالحديث وهو يقول مُرتبگًا:

-..لأ ولا حاجة ... عادي يعني

تبادلت نظرات إسلام مع خالد بخُبت حتى انتهى الأمر بجلوس إسلام بجوار جابر من جهة وخالد من الجهة الأخرى لعلهما يستطيعا نصيحته، فكان إسلام يقول ببعض المُكر:

-إنت وقعت ولا إيه ؟

تصيب العرق على جبين جابر ليُجففه وهو يقول باستنكار:

-وو.. وقعت إزاي يعني ؟

ربت خالد على فخذة ليُطمئنه:

-لا تخف من مشاعرك فإنكار القلوب، كالموت في الحروب

لاحظ إسلام أنه لن يفهم حكمته العميقة نسبياً فأمسك ذقن جابر ليؤججه عيناه نحوه عنوة حتى يستمع إلى نصيحته:

-سيبك منه وركز معايا ... عشان تكلمها، لازم تتقل عليها ... عشان الستات بتحب
الراجل الثقيل، إللي مش بيعبرها ... إللي مصدرلها وش الخشب علطول، إللي _

كاد يواصل الحديث لولا خالد الذي قطعه باندفاعٍ وبعض السخرية:

-والذي يضربها بالسياط يوميًا وينتظر منها أن تُسامحه

ظنَّ إسلام أنه يتحدث بصدقٍ فقال ببلاهة:

-مش للدرجة ... بس ممكن _

قطعه خالد مُجددًا ببعض الحدة:

-توقف عن الهدب يا هذا لا أحد يُعامل المرأة هكذا

قطَّب إسلام حاجبيه بحيرة بعد أن تغافل عن ما يكنيه حديث خالد وركز على شيءٍ
آخر:

-توقف عن الهدب !! ... إنت جبت الكلمة دي منين ؟ هو جابر أثر على دماغك ؟

تدخل جابر ليُصمت إسلام بصوتٍ هامسٍ قبل أن يفضحه:

-ششش... إكتم الله يخليك ... دا أنا قايله إن هبد دي كلمة بالفصحى وإني أخذتها
في درس العربي

لاحظ خالد همسهما فأردف بتساؤل:

-ماذا تقولان ؟

تنحج إسلام قبل أن يبتعد عن جابر متفوهًا بمرح:

-ولا حاجة ... كنا بنتناقش في الكلام العربي الجديد إلي جابر أخده في درس
العربي

لاح الفضول على وجه خالد وهو يعتدل في جلسته متسآلاً في حماس:

-وما هذه الكلمات ؟

تبادلت نظرات إسلام وجابر في مُكرٍ مع ابتساماتٍ حاولا إخفاءها عندما قال إسلام:

-كلمة جديدة كدة اسمها مُزة...-

داخل حُجرة النوم حيث ابتعدت قمر عن المعازيم وقررت دلوف الحُجرة مع زوجها
الذي يبدو على وجهه التخبط كما لو كان هناك عنكبوتٌ يُحيطه بشباكه ويرفض
تحريره وتركه وشأنه، كان يجلس بوجومٍ على الفراش حتى لا يُلاحظ أحدهم تيهه
ويُعركل تلك الأجواء السعيدة؛ جلست قمر جواره على الفراش حتى تسأله بقلق:

-مالك يا لؤي ؟

بقي لؤي في حالة من الصمت حتى قطعها متفوّهاً بوجوم:

-أنا عرفت إلي اسمه طلال ده ... طلع دكتور في مُستشفى كبيرة وليها مكانة ...
بعث ناس يراقبوه ويشوفو وراه إيه

رغم أن الخبر يبدو سعيداً أو به بعض الأمل، إلى أن طريقة حديثه جعلتها تستشعر
القلق وكأنه يُخفي شيئاً آخرًا:

-طب حلو ... إيه إلي يضايق في كدة ؟

تنهد تنهيدة عميقة قبل أن يقطع صمته بكلماتٍ صادقة، فهو لا يُخفي عنها شيئاً خاصة
فيما قد يتعلق برفاقهما:

-الفكرة إن إنهاردة الصَّبْح لقينا جُثَّة مرمية عند صفيحة الزبالة ... وتقرير الطب الشرعي بيقول إنها ماتت بصدمات كهربائية ... بس الغريب بقى إنهم لاقو جسم غريب في دماغ الضحية ... جسم مُشع شبه هالة أو....

بتر كلماته عند تلك النقطة مما جعل القلق يطغي على قمر كليًا بعد أن بدأت شكوكها تزداد مع قلقها:

-هيئة نجمية؟؟ ... هي الهالة دي ممكن تبقى هيئة نجمية؟... زي إلي شوفناها في تحاليل داليا وإسلام إلي ضُرغام عملها؟

سألته بشكٍ وهي تتذكر تلك التحاليل قبل أن تقوم بحرقها هي ولؤي، بقي هو في حالة من الصمت لُبُرهة من الوقت حتى قال بجهل:

-الله أعلم ... أنا بردو شكيت في كدة ... وشكيت إن الضحية دي من المُتقلين ... يعني ممكن أي حد تاني يكون مكانه

فهمت مقصده فورًا وهذا ما جعلها تغرق في دوامة من القلق، ماذا لو كان أحد أصدقاءها مكان هذه الضحية المسكينة؟ ماذا لو كان هذا الذي يُدعى طلال يُجري تجاربًا قاسية عليهم دون أن يكثرث لحياتهم، أوقف لؤي شرودها بتحذير:

-المهم ... أوعي تقولي لأي حد عن إلي قولتهولك ... مش عايزين حد يقلق كفاية إلي احنا فيه

رمته بنظراتٍ واثقة قالت معها:

-متقلقش ... أنا عُمري ما قولت أسرارنا لحد

لم يُصدق لؤي حديثها أثناء قوله المُتهكم:

-وحياة أمك !!... دا أنا لما بنظلونى اتقطع فى نص الشارع من حطة وحشة ...
روحتي عرّفتي الناس كلها وكان ناقص تعملي فيديو وتفضحيني على السوشيال
ميديا

تذكرت قمر هذا الموقف المُحرج الذي تعرّض له زوجها وكيف كان غضبه حينما
توارى بأحد المتاجر حتى يبتاع بنطالاً آخرًا، وهي بدلًا من أن تخفي سره، وجدت
نفسها تقص ما حدث لوالدته أولاً ثم أصدقاءها حتى امتد الأمر لرفاقه وبعض زملاءه
بالعمل، حممت بحرج وهي تقول بتبرير:

-أيوة بس دي كانت حاجة صغيرة ... إنما دي حاجة كبيرة

بقي يُطالعها بعدم تصديق ويعلم جيدًا أن الخبر سينتشر في أقل من ساعة زمن،
حاولت هي تغيير الموضوع بجذبها لذراعه وإيصاله حتى الخزانة كي يرى صورها
وهي صغيرة مُعلقة على الخزانة، أشارت بإصبعها على إحدى الصور حيث كانت
ترتدي رداءً ورديًا وتحمل معها دُمية كبيرة تصل حتى قدميها وشعرها مُشعث
كالقنفذ، كانت تبدو بالثامنة من عُمرها وكانت ابتسامتها الواسعة الطفولية تُعرب عن
مدى سعادتها بتلك الدُمية.

-الصورة دي كانت يوم عيد ميلادي ... كان وقتها أمنية حياتي أجيب عروسة
كبيرة، وأول لما جبته اتصوّرت بيها علطول عشان احتفظ بيها ذكري

رسم بسمة هادئة على ثغره وهو يُطالع صورتها وبرائتها الطفولية التي لا تزال
تحتفظ بها حتى الآن، أشارت قمر على صورة أخرى وهي تواصل الحديث عن
طفولتها البريئة والمُتشردة، حيث كانت تلك الصورة تضمها هي وشقيقتها عندما
كانت كل واحدة منهما تجذب خُصلات الأخرى، وكان وراءهما شهاب وهو رضيع
يشاهد عراكهما بوجهٍ مثبلم، كانت تُقهقه بسُخرية وهي تشرح تلك الصورة:

-دي بقى كُنت أنا وشمس بنتخانق كالعادة ... راحت ماما هددتنا وقالتنا والله
العظيم لاصوركم واوريها لكل الناس

قهقه لؤي بخفة على حديثها الذي علق عليه:

-الواضح إن طفولتك كانت هادية أوي-

لم تكن تعلم كيف تُجيبه على ذلك الاستنتاج، فحياتها كانت روتينة هادئة، فهي في أسرة متوسطة الحال لم تتعرض للتشرد أو المعاناة حتى، ومع ذلك لا تعتبر حياتها مثالية ودائمًا ما تقارنها بحياة غيرها المُطرفة.

-مش أوي ... بس عارف...-

صممت بُرهة عن الحديث لتزورها هالة من الرضا وهي تقول:

-رغم إن أسرتنا تحس إن فيها حاجة غلط ... بس أنا مش هقدر اتخلى عنهم ...
وحاسة كمان إنني محظوظة بيهم، كفاية إننا أسرة بسيطة مش بتعمل_

انتفض جسديهما مرة واحدة إثر اندفاع باب الخزانة ليصدح صَوْت انفجارٍ مع أوراق الزينة التي ألقيت عليهما فجأة، تصاعدت أنفاس قمر في رُعب جعل ضربات قلبها تضرب بهوادة من شدة الفرع، بينما كان الغضب حليف لؤي وهو يزيح أوراق الزينة عن ثيابه ويتابع شهاب الذي لم يتوقف عن القهقهة بشيطانية وهو يقول ومعه تلك الأداة التي نثرت أوراق الزينة عليهما:

-أنا بحب صحابي ... أنا بحب صحابي...-

زادت كلماته من غضب لؤي مما جعله ينقض على شهاب ويرفعه عن الخزانة كي يحمله من قدميه بينما جذعه العلوي يتدلى على ظهر لؤي، فكان لؤي يهتف بتوعد:

-تعالى بقى هنا عشان وحياء اللي خلقتي منا سايبك الليلا دي-

حاول شهاب التملص من قبضته وهو يستغيث بشقيقته:

-قمر .. ساعديني يا قمر ... يا قمر أنا أخوكي..-

التفت لؤي نحو قمر ليسألها:

-عايزة الواد ده؟

حركت قمر رأسها نفيًا وهي تقول بشماتة ورغبة عارمة بالانتقام:

-لأ-

ابتسم لؤي ابتسامة خبيثة وهو يواصل السير بشهاب الذي لم يتوقف عن الاستغاثة...

لا نعلم كيف تنقضي الأوقات السعيدة بسرعة، فعندما يخترق الشقاء الأجواء يجعل الثانية تمر كالدهر...

هدأت أصوات الموسيقى وحلّ محلّها صمتٌ مؤقتٌ يعتليه عوالم السعادة والتهنئات، تجلس شمس على الأريكة برداءٍ أبيضٍ هاديءٍ ومُستحضرات تجميل بسيطة لم تغطي على برائتها، كانت عيناها تلتصقان بالأرض ووجهها أحمرًا يشع منه حرارة تكاد تجعلها تبكي فرحًا، فهي لا تُصدق أن حياتها ستتغير في أقل من لحظة، ستتحول من امرأة عاذبة إلى سيدة متزوجة، ستتحول من فتاة وحيدة إلى أخرى ترتبط حياتها بحياة شخصٍ آخر لم تتوقع أبدًا أنه سيعترض طريقها.

حرّك ميجو حدقتيه نحوها يحاول الاعراب عن لهفته بكونه سيتزوجها ويجعلها ترتدي خاتمها بيدها اليسرى، لكن ما منعه من الإعراب عما يكنه هو والد شمس الذي جلس بينهما تاركًا مكانًا للمأذون الذي سيعقد قرانهما.

أفسح الجميع المجال للمأذون الذي جلس بين هلال وميجو بوقارٍ فتح معه دفتره وأخرج منديله القماشي ليبدأ عمله، ربت إسلام على ظهر ميجو بحنانٍ جارف يواسيه على تلك الخطوة بكلماته المرحة المُشجعة:

-خليك دكر ... عشان بعد اللحظة دي هتشوف أيام ما يعلم بيها إلا ربنا

كان يقولها بسخرية جعلت داليا تضربه على كتفه بزمجرة بينما قهقه البقية بمرح، رفع ميجو يده نحو هلال ليضع المأذون المنديل على كفيهما حتى يبدأ عقد القرآن.

توقفت الأفواه عن الحديث وتصاعدت ضربات القلوب استعداداً لاطلاق التهنئات
والزغاريد، لكن ما حدث هُدم جميع آمالهم وطموحاتهم...

تلاشت عوالم السعادة من الوجوه ليحل محلها عوالم الحيرة ما إن لمحووا خطوات
أنثوية مُدلة تقتحم الجلسة بعوالم تنضب بالغضب، فقد كان باب المنزل مفتوحاً تمهيداً
لاستقبال المزيد من المعازيم.

احتقن وجه ميجو وهو يرمق كارمن تقف أمامه بشُعلات من النار تنطلق من عينيها،
رداءها القصير اللامع ومُستحضرات تجميلها المبالغ بها جعل الشك يتغلغل بجميع
الحضور، رسمت بسمة ماكرة ومُتهكمة على ثغرها أثناء حديثها الذي أوقف كلمات
المأذون:

-مالكم ... وقفوا ليه ؟ ... ما تكمل يا شيخنا عايزين نفرح بي....-

اتكأت على حروف كلماتها وهي تُحدق بميجو:

-ابن الرقاصة

أخفض ميجو يده بوجهٍ أحمرٍ كجمرة نارية، اطبق على أسنانه بغلٍ وكاد يصفع تلك
الفتاة التي يبدو من حديثها أنها تعابره وتحاول فضح حقيقته.

-اطلعي برة يا كارمن

قالها ميجو بتهديدٍ وصوتٍ مُرتفعٍ لعله يُحاول انقاذ الموقف، لكن كلماته أدت نتيجة
عكسية تماماً، فما إن أظهر معرفته بتلك الفتاة حتى زادت شكوك المعازيم من بينهم
شمس التي كانت في حالة من الخوف لأنها تعلم تلك الفتاة جيداً، كما تعلم ماضي
ميجو أيضاً، لكن والديها خاصة والدتها لا تعلم عمّ تتحدث تلك العاهرة، وما علاقتها
بميجو ... الذي سيضحى زوج ابنتها، لهذا السبب سألت ببعض الحدة التي وجهتها
نحو كارمن:

-مين ده إيلي ابن الرقاصة ؟

التفتت كارمن صوب نجمة مُنتهزة تلك الفرصة لتبث سُمها وتنفذ ما أتت لأجله،
كانت تفهقه قهقهة بسيطة ساخرة ثم قالت:

-إلا هو إنتو متعرفوش؟...

وجهت نظراتها نحو ميجو وهي تواصل الحديث باتكاءٍ على حروف كلماتها:

-متعرفوش إن اللي هيكون زوج بنتكم المصون يبقى ابن رقاصة وبيشغل في
كبارية!!

الفصل الحادي والعشرون (مُكَبَّلًا بِالْأَغْلَالِ)

يُصْبِحُ الْعَالَمُ حُجْرَةً صَغِيرَةً مُعْتَمَةً حِينَمَا تَتَكَشَّفُ الْحَقِيقَةُ وَيُدْرِكُ الْجَمِيعُ أَنَّ مَا كَانُوا يَظُنُّونَهُ طَوَالَ حَيَاتِهِمْ مَا هُوَ إِلَّا خَدْعَةٌ كَبِيرَةٌ...

تَجْمَهَرَتِ الْوُجُوهُ وَاقْتَضَبَتِ الْأَوْزَارُ، لَطَخَتِ الصَّدْمَةُ وَجُوهُ الْحَاضِرِينَ بَيْنَمَا كَانَ الْغَضَبُ وَالْقَلْقُ يَنْتَشِرَانِ بَيْنَ مَنْ يَعْلَمُونَ الْحَقِيقَةَ، وَثَبَ مِيجُو مِنْ مَقْعَدِهِ بِعَوَالِمِ مُشْتَعَلَةٍ يَرِغِبُ بِصَفْعِ تِلْكَ الْعَاهِرَةِ وَطَرْدِهَا خَارِجَ الْمَنْزَلِ، يَعْلَمُ أَنَّ حَقِيقَتَهُ كَانَتْ لُنُكْتَشَفِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ لَكِنَّهُ لَمْ يُرِدْهَا أَنْ تَتَكَشَّفَ بِتِلْكَ الطَّرِيقَةِ، لَمْ يُرِدْ أَنْ يَنْتَسِبَ بِحَرَجٍ لِمَنْ دَقَّ قَلْبُهُ لَهَا، يَشْعُرُ أَنَّ الْعَالَمَ يَضِيقُ بِصَدْرِهِ رَغْمَ رَغْبَتِهِ الْجَامِحَةِ بِإِنْقَاذِ الْمَوْقِفِ.

-اطلعي برة ... اطلعي برة من هنا

قَالَهَا بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ كَادَ يُهْدِمُ الْجُدْرَانَ مَعَ وَجْهِهِ الَّذِي أَضْحَى كَجَمْرَةٍ نَارِيَةٍ عَلَى وَشَكِّ نَثْرِ الْأَدْخَانِ مِنْ أذْنِيهِ، كَانَ يُشِيرُ بِسُبَابَتِهِ تَجَاهَ الْبَابِ وَكَارِمْ تَقْفِ أَمَامِهِ تَرْتَبِطُ ذِرَاعِيهَا بِتَمَلُّقٍ وَغَلٍّ جَعَلَهَا تَقُولُ:

-وَعَلَى أَيِّ أُسَاسٍ بَتَقُولِي اِطْلَعِي بَرَّةَ؟ ... هُوَ إِنْتِ صَاحِبُ الْبَيْتِ وَأَنَا مَعْرِفُشْ؟ ...
وَلَا تَكُونُشْ...

تَقَدَّمَتْ بِجَذْعِهَا نَحْوَهُ لِتُوَاصِلَ بَلَكَنْتِهَا الْخَبِيثَةَ وَصَوْتِهَا الْأَشْبَهَ بِفَحِيحِ الْحَيَّةِ:

-بِتَضْحَكِ عَلَيْهِمْ

أَطْبَقَ عَلَى أَسْنَانِهِ بَغْلًا كَادَ يُهْشِمُ مَعَهُ رَأْسَهَا لَوْلَا نَجْمَةُ التِّي تَتَابَعُ مَا يَحْدُثُ مِنْ بَعِيدٍ تَحَاوَلُ أَنْ تَفْهَمَ حَقِيقَةَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي تَرِغِبُ ابْنَتَهَا بِالزَّوْاجِ مِنْهُ؛ كَانَتْ تَقْتَرِبُ نَحْوَ كَارِمْ لَتَسْأَلَهَا بِشَكِّ حَمَلٍ مَعَهُ الْحِدَّةِ:

-إِنْتِ بَتَقُولِي إِيهِ؟ ... إِنْتِ تَعْرِفِي إِيهِ يَا بَتِ إِنْتِ؟

أنهت حديثها بحدة قابلتها كارمن ببرودٍ وهي تُخرج هاتفها وتعبث به قليلاً حتى أظهرت مقطعاً مصوراً لها وهي بأحضان ميجو على فراش النوم عندما كانت تلتقط له تلك الصورة وتتحدث بدلالها المعتاد.

اتسعت حدقتا نجمة في ذهول واضطربت الأجواء حتى زادت همسات الحاضرين، ضربت نجمة على صدرها مع شهقة أخرجتها من فمها وهي تُشاهد تلك اللقطات لأقل من ثانية لأنها لم تقدر على المواصلة، وجهت نظراتها النارية صوب شمس التي تكبت دموعها بجهدٍ وضربات قلبها تقرع الطبول بهوادة.

-ومش بس كدة يا طنط ... جوز بنتك المصون كان حشاش...-

وجهت نظراتها نحو ميجو وهي تواصل:

-وكان الديلر بتاع الكبارية

لم تعد تتحمل شمس وأرادت هي الأخرى أن تجذبها من خُصلات شعرها، فهي تعلم بتلك الحقائق وتعلم أيضاً كم تغير ميجو لأجلها، فهي التي أخرجته من الطريق المظلم وأرشدته إلى طريقٍ آخر، فكيف لها أن تتركه بمُنْتَصَف الطريق؟؟

حاولت الاقتراب نحو والدتها وهي تحاول الدفاع عنه بترج:

-يا ماما متصدقياهاش الكلام ده كان زمان ... ميجو والله العظيم ات-

قطعت نجمة حديثها بصراخٍ غاضب:

-إنتِ تخرسي خالص ... عايزة تتجوزي واحد حشاش وبتاع نسوان !! ... يعني اختك يبقى جوزها ظابط وإنتِ تروحي تتجوزيلي مُجرم!!

تدخل هلال ليُحاول التهدة من روعها كما تدخلت قمر هي الأخرى بقولها:

-يا ماما اهدي مينفesch كدة قدام الناس

ردت نجمة بنفس صراخها:

-لأ مش ههدى ... والجوازة دي وحياة إلي خلفوني ما هنتم ويلا كل واحد
على بيته يلا

كان صوتها مُرتفعًا أكثر وهي تُشير نحو الباب حيث انطلق المعازيم إلى الخارج
وهمساتهم لم تتوقف، منهم من يشفق على شمس ومنهم من ينعنها بأبشع السُّباب
كُونها تعلم حقيقته ومع ذلك وافقت عليه زوجًا لها، مال هذا العالم لا يغفر الذنوب
مهما حاول الفرد إصلاحها ؟

تركت كارمن المنزل بابتسامة خبيثة مُنتصرة وداخلها يُفكر بالأموال التي ستجنيها
جِراء ما فعلت، فهل ظننتم أنها تغار منها وحسب ؟ هي تنام بالأساس مع العديد من
الرجال، وعدم وجود ميجو لن يُشكل لها فارقًا، لكن تلك الأموال التي ستجنيها هي
التي ستُبدل حياتها.

كان ميجو ثاني المعازيم الذين تركوا المنزل، وكانت خطواته تضرب على الأرض
حتى كاد يجعلها تتشقق، انطلق الغضب من عينيه وهو يرحل ويتبعه بقية الرجال من
بينهم إسلام وجابر، ولؤي ومُعترز وخالد، أما إحسان وسُمية، فقد رحلا مع البقية إلى
مضاجعهم، كما استأذنت يُسرى وكوكي حتى يرعيا ابنائهما بعيدًا عن تلك الأجواء.

انخرطت شمس بالبكاء بينما كانت نجمة لا تتوقف عن الصراخ وإلقاء اللوم عليها:

-يعني كُنْتِ عارفة وبتقرطينا ؟ عايزة تتجوزي مُجرم ابن كبارية !! ... دي
أخرت تربيتي

تدخل هلال ليُهدئها بنبرته الرخيمة:

-يا نجمة خلاص بقى هتلمي علينا الجيران

انفجرت نجمة بوجهه وهي تقول:

-ما تخليهم ييجو يا خويا ... خليهم يشوفو اختيارات بنتك

هنا ولم تعد تتحمل شمس فهبت من مكانها لترد على إهانات والدتها والدموع تُغرق وجهها:

-مالها يعني اختيارات بنته؟ ... ميجو راجل وجدع، وعمل حاجات كتير عشاني ...
وأنا مش هتجوز غيره ... حتى لو إنتِ مش موافقة...

كادت حنجرتها تنمزق إثر صراخها الذي بصقته بوجه والدتها لتنتطلق بعدها كالإعصار صُوب حُجرتها وتصفع الباب وراءها صفة قوية كادت تُهشم المنزل معها، تحدّثها نجمة بحديثها المُتجمهر الغاضب:

-عَلِي صوتك كمان يا بنت هلال ... ما هو إللي تتشعقلي في واحد صايح تقدر تعلي صوتها على أمها ... بس وديني يا شمس ما هتجوزي الواد الصايح ده ...
وهنشوف كلام مين فينا إللي هيمشي...

على جهة أخرى كانت تستأذن داليا لترحل هي الأخرى لتتركهم يتناقشون بتلك الأمور العائلية، وقفت أمام قمر قبالة الباب تقوم بتوصيتها:

-خليكي معاها ... وأنا والبنات هنجي بكرة الصبح نشقر عليها

أومأت قمر إيجاباً والحُزن يتكالب عليها، لا تعلم كيف انقلب أسعد الأيام بالنسبة لشقيقتها إلى يومٍ تعيسٍ مليئٍ بالشقاء والدموع، حزينه على شقيقتها التي على الأخرى غارقة في دموعها الآن، وحزينه بسبب هذا القدر الذي لا يرتاح دون أن يُسبب لهم المآسي...

كالإعصار تتحرك أقدامه نحو منزله المقابل لمنزل شمس، فتح الباب بقوة وكاد يصفعه صفة ترتج لها الجدران لولا يد مُعتر التي أوقفته وبقي يدفع الباب بكل ما

أوتي من قوة حتى استطاع أن يذلف المنزل رغماً عن أنف ميجو الذي أراد أن ينفرد
بخيبة أمله و غضبه العارم.

-سيبني لوحي-

قالها ميجو بغضبٍ دفينٍ آجاب عليه مُعترِ بمواساةٍ وصوتٍ مُندفعٍ محتدٍ قليلاً:

-مش هسيبك في الحالة إلي إنت فيها-

تدخل إسلام بالحديث والذي كان يقف على مقربةٍ منهما، اقترب خطوة نحو مُعترِ
وميجو ليردف باطمئنانٍ ومحاولةٍ للتهدئةٍ من روعه:

-أنا هتكلم مع عمي هلال وافهمه الموضوع ... وأكد هنوصل لحل-

انفلتت زمام الأمور وانفجر ميجو أمامهما كالقنبلة الموقوتة التي انتهزت الفرصة
للانفجار، فكان يقول بحسرةٍ وألم:

-لأ مش هنوصل لحل ... خلاص انتهينا...-

رمقه مُعترِ بضيقٍ جعله يقول باندفاع:

-يعني إيه انتهيتو ... بعد كل ده تقولي انتهيت ... دا أنت اتغيرت عشا_

قطع ميجو حديثه بنبرته المتألّمة ووجهه الأحمر:

-وهيفيد بإيه لما اتغير؟... ما كلهم هيشوفوني ابن الرقاصة اللي مشفش ساعة تربية

صمت ليلتقط أنفاسه ثم يواصل الحديث بنبرة هادئةٍ مُنكسرةٍ:

-أمي كانت بتقولي إن الزبالة بيفضل زبالة ... حتى لو رشيت عليه ريحة
والظاهر كدة إن الحياة دي مش ليا ... ولا شمس حتى تنفع تبقى ليا....

جفف دمعاته التي بدأت تترقرق على وجنتيه وهو يتذكر ابتساماتها البريئة وعفويتها التي يهيم بها، ثم يعود إلى أرض الواقع المرير الذي يفرض عليه أن يتركها عنوة، فعلى أي أساس يقرن حياته بحياتها، هو لا يُريد أن يُلْطخ براءتها بسوداويته، لا يُريدها أن تراه كالملاك البريء وهو في الأصل شيطانٌ أرعن، أوقعها في شباك حُبه واستنتج أنها هي من أوقعته وليس هو، ومهما كانت حدة الشباك، يجب أن يتحرر منها، ويجب أن يُحررها هي الأخرى.

دفع مُعترز بهدوءٍ بعيداً عن منزله وهو يغلق الباب كي لا ينفجر أمامهما، أغلق الباب أمام نظراتهما المُشفقة وقلة حيلتهما، ربت إسلام على كتفه وهو يقول بمواساة:

-هو محتاج شوية وقت

أوما مُعترز بقلة حيلة ولا تزال نظراته المُشفقة الحزينة على وجهه حتى عاد أدراجه وذهب إلى منزله على أمل أن تداوي الأيام جروحته....

أحياناً تدفعنا الحياة للتهلكة، وأحياناً أخرى تدفعنا نحو الإجرام....

توقفت السيارة على بُعد بضعة أمتارٍ من رُقاقٍ ضيقٍ محفوفٍ بالمازل المُهترئة التي على الأغلب خالية من السُكان، تحركت أقدام إسلام بذاك الممر الضيق المليء بالأتربة والرائحة المُعبقة ببقايا الخمور مع رائحة مياهٍ عكرة اعتمرت أركان هذا الرُقاق الضيق.

واصلا السير بحذرٍ وحدقتانٍ تتلفتان حولهما خشية من مجيء أحد اللصوص أو المُجرمين، وعلى الرغم من بذوغ الشمس وسطوعها، إلى أنها لن تقف أمام اللصوص الذين ينتهزون الفرصة للسرقة.

وقف إسلام أمام بناية مُهترئة وأشار بإصبعه نحو داليا التي تبعته لأعلى البناية، كانت المصاطب مُتعرجة تجعلك تعتقد أنك ستسقط على الأرض إذا تعثرت فجأة، فصعود هذه السلالم أشبه بصعود الجبال.

لم تكن بقية المنازل شاغرة بالسكان وهذا ما جعل ذهولهما يزداد أكثر، لكنهما مع ذلك واصلا العدو حتى وصلا الطابق الثالث حيث المنزل المُراد؛ طرق إسلام الباب بضع طرقاتٍ حتى فتح لهم رجلٌ يبدو بمُنْتَصَف الأربعين، كان يرميهم بنظراتٍ حادة صارمة كما لو كان رايخًا ألمانيًا في فترة النازيين.

محمد إسلام وهو يتجاهل نظراته القاسية متفوّهاً:

-إحنا... تبع عزرائيل-

تلاشت عوالم القسوة عن وجه الرجل وهم بفتح الباب أكثر حتى يتوّغلا داخل المنزل، تلفتت داليا حولها لتستطلع المنزل البسيط بديكوراته المليئة بالأتربة وزُجاجات الجعة الفارغة في كل مكان، وجدت طفلاً صغيراً يبدو بالعاشرة من عُمره يتجرع زجاجة من المياه الغازية وهو يُتابع مسيرهما داخل المنزل بنظراتٍ باردة تماشت مع ثيابه الداخلية وبنطاله المُهتريء.

آشار إدريس على الأريكة كي يجلسا عليها وهو يقول بوْد:

-اتفضلو اقعِدو ... واد يا عطوة ... هات حاجة ساقعة للضيوف-

قالها بصوتٍ مُرتفع حتى يسمعه هذا الصغير الذي نفذ أوامره بازدراء، تلفت إدريس مُجددًا نحو إسلام وداليا ليستمع إلى طلباتهما التي كان يعلمها مُسبقًا، بعد فترة وجيزة من الصمت استجمع إسلام كلماته قبل أن يقول:

-المعلم عزرائيل قالنا إن_-

قطعه إدريس فورًا ليُخبره أنه يعلم حقيقة الأمر:

-عارف ... تحبو تاخذو الحاجة دلوقتي ولا تاخذو نُصها والنُص الثاني بعد الدفع ؟

تدخلت داليا لتُجيبه:

-لأ إحنا عايزين دلوقتي ... والفلوس أساسًا معانا، يعني مش هندفع عربون

أوما إدريس رأسه ثم سألهما:

-عايزين AR-15 ولا beretta 92 ؟

تبلم وجههما أمام كلماته المُبهمة التي لا معنى لها بالنسبة لهما، تبادلًا النظرات بتيهٍ أمام هذا الذي يعتقد أنهما خُبراء بمجال الأسلحة والإجرام، فهو لا يعرف أن اللذان أمامه لم يختارا اللجوء إلى هذا الحل.

-عايزين AR-15

هكذا قال إسلام بثقة ليبدو كزعيم عصابة يعرف الفرق بين الأسلحة جيدًا؛ أوما إدريس برأسه مُجددًا ثم التفت نحو الصبي ليرفع صوته وهو يقول:

-واد يا عطوة هات علبة الـ AR-15إللي جوة الدولاب ... هتلاقيها تحت بضاعة الهرويين

اتسعت حدقتي داليا في ذهولٍ من كلماته التي يُلقبها هكذا أمام الصبي دون مُراعاة لسنه حتى، لكن ذهولها لم يدم طويلًا، فهذا الرجل تابعٌ لعزرائيل، فكيف له أن يكون من الأختيار ؟

عاد الصبي ومعه حقيبة خشبية كبيرة بالكاد حملها ووضعها أمامهم على الطاولة وهو يقول:

-أهي يابا

فتح إدريس الصندوق الخشبي ليظهر بداخله مجموعة من البنادق تُعادل ثمانية،
لاحت الدهشة على عوالم كلِّ من إسلام وداليا تزامناً مع إدريس الذي كان يقول:

-آدي الاسلحة ... فين بقى الفلوس؟

لم يكن هذا ما يُريدانه أبداً، تلك الأسلحة لا تُستعمل إلا بالحروب والغارات، لكنهما
فقط يُريدان بعض الأسلحة للدفاع عن أنفسهم؛ نفي إسلام برأسه وهو يتراجع عن
الحديث بقول:

-لا لأ ... إحنا مش قصدنا على كدة ... إحنا عايزين مُسدسات عادية

تفهم إدريس حديثه فأغلق الصندوق متفوّهاً:

-يعني عايزين الـ beretta؟

أوماً رأسيهما بجهلٍ ليُغلق الصندوق ويُمرره نحو عطوة متفوّهاً:

-خد يا عطوة ... رجع الصندوق ده مكانه وهات صندوق الـ beretta

أمسك عطوة الصندوق وهو يستسفر:

-ألاقيه فين ... تحت شنطة الترمادول؟

نفي إدريس برأسه وهو يُجيب:

-لا يا حبيبي تحت شنطة الآثار ... بس بسرعة عشان الضيوف

اقتربت داليا نحو أذن إسلام لتُعلق ببعض السُخرية:

-ده عنده سنتر إجرام ... ده الواحد لو عايز يكفر بيحي عنده

أصمتها إسلام ببعض القلق:

-طب اكنمي احسن لو فتحنا بوقنا عزرائيل مش هيرحمنا

أومات داليا وبقيت في حالة من الصمت حتى أتى عطوة مُجددًا وأعطاهما صندوقًا خشبيًا يحتوي على ثمانية أسلحة من تراثٍ إيطالي حديث، حملَ إسلام الصندوق بعد أن دفع مبلغًا قدره أربعون ألف جنيه مُقابل أن يُعيدا هذه الأسلحة مُجددًا، اضطر لتسليم نسخة من بطاقته الأصلية والإمضاء على وصل أمانة قدره مئة ألف جنيه ثمن الأسلحة التي تم تأجيرها في حالة تأخرهما عن اعادتهم مُجددًا، يقسم أنه سيُعلن إفلاسه بسبب تلك الأشياء التي يفعلونها بالأونة الأخيرة، فنحن في عالمٍ نضطر فيه لدفع أموالٍ طائلة من أجل حمايتنا.

وضع صندوق الأسلحة داخل السيارة ليستقلها ويبدأ العدو بها مع داليا، ربط الحزام وبدأ بتدوير السيارة بينما كانت داليا تهتف بأريحية:

-الحمد لله خلصنا ... دا أنا كُنت حاسة إننا مش هنخرج من المنطقة اللبش دي...

على جهة أخرى وداخل سيارة سوداء فاخرة الصُنع لامعة المظهر يجلس داخلها مجموعة من الرجال يترأسهم رجلٌ غليظٌ ببزة سوداء أنيقة ونظارة شمسية سوداء قاطمة، وضع الهاتف على أذنه وهو يقول:

-أيوة يا ريس ... الهدف قُدامي

أجابه داغر من الجهة الأخرى ببسمة ماكرة وأوامر شيطانية:

-جميل ... اتحرك إنت والرجالة وهاتوهم

أغلق بعدها المُكالمة وهو يُغمغم بغلٍ:

-أما نشوف يا طلال من فينا إللي هيجيبهم ويعلمهم الأدب...

تحركت سيارة إسلام بضع أمتارٍ كادت معهم داليا تستلقي للوراء وتغُط في نومٍ عميق، لكن صرير السيارة الذي بدأ يضرب أذنيها جعلها تستيقظ وتتألفَت حولها في ذعر:

- هو إيه الصوت ده ؟

أجابها إسلام ببساطة وهو يواصل القيادة:

- عادي يا حبيبي ده تلاقي واحد بيخمس

حاولت داليا التهدئة من روعها والعودة مُجددًا إلى حالة الاسترخاء والنوم، لكن فجأة، تحوّل صرير السيارة إلى اصطدامٍ بهما جعل داليا تُطلق صرخة مذعورة.

حاول إسلام إبعاد سيارته عن تلك السيارة السوداء التي تتعمد الاصطدام بهما بينما كانت داليا تتشبث جيدًا وهي تهتف بذعر:

-إجري بسرعة يا إسلام...

تشبث إسلام جيدًا بعجلة القيادة وضغط أكثر على المكابح حتى تنطلق السيارة كالصاروخ ووراءها تلك السيارة السوداء التي تُطاردهما عازمة على النيل منهما بأية طريقة....

جرس الباب جعلها تترك مضجعها وتتجه لفتحه حيث تقف أمامها يُسرى بوجهٍ مُقتضب يحفه القلق على شمس، فبعد ما حدث وهي داخل حُجرتها لا تتوقف عن البُكاء والنحيب، جميع الفتيات كانوا حولها فيما عدا داليا التي أخبرتهن أنها ستأتي للزيارة بعد قضاء حاجتها ويُسرى التي للثو أنت بعد أو أوصلت أبناءها إلى والدتها حتى ترعاهما لفترة وجيزة.

جذبت قمر يد يُسرى من الداخل وهي تستمع لها:

-هي لسة بتعيط؟

أومأت قمر رأسها بضيقٍ أجابت معه:

-أيوة .. وكمان_

قطع حديثها صوتُ شهقةٍ مدويةٍ صُدرت من يُسرى التي اغتابها شعورٌ بالرُّعب، اتسعت حدقتيها وهي تُشير على بقعة حمراء تُلطخ الجدران وكأن جريمة قتلٍ حدثت بالمنزل.

-ياللهوي إيه ده!!

هكذا هتفت يُسرى في ذعرٍ لتنفجر قمر بالضحك على الرغم من ضيق الموقف، جذبت يُسرى إلى الداخل وهي تقول باطمئنان:

-تعالى متخافيش ده دم

قالتها ببساطة تعجبت لها يُسرى، فكلماتها زادت من رُعبها وليس العكس:

-دم !! ... وبتقولها كدة عادي!!

قهقهت قمر بخفة وهي تواصل السير معها داخل المنزل:

-متخافيش ده مش دم بني آدمين ... أصل شهاب بيحب يهزر إنتِ عارفة فييجيب دم خرفان ويرعبنا بيه

واصلت يُسرى سيرها وهي تُعلق على تصرفات شهاب بصدق:

-هو إنتو إزاي عايشين معاه؟

أجابتها قمر ببساطة:

-عادي ... متعودين...

وهكذا أخذ الحديث يدور بينهما حتى توقفا داخل الحُجرة حيث تقبع شمس على الفراش تتقوّس كالسلحفاة داخل مضجعتها، تضم رُكبتها نحو صدغها ووجهها أحمرٌ ككتلة من اللهب، جفت عينيها من الدموع وكادت حدقتيها تتركان محجريهما من كثرة الانتفاخ، جلست جوارها كوكي وهي تُربت عليها برقة حاولت معها إغراقها بالمواساة.

-شمس خلاص don t cry

كانت ساندي بجوارها من الجهة الأخرى تحاول مواساتها بعد أن جاءت مع كوكي:

-إيه المشكلة يعني لما تسبيه ... على فكرة أنا سببت عصام وعادي جدًا still ...
breathing

قطبت قمر حاجبيها بحيرة وهي تُعلق:

-عصام مين؟ ... هو مش كان اسمه فريد؟

التفتت ساندي نحوها وهي تُجيب بصدق وبساطة:

-لأ فريد ده إيلي قبله ... أنا بتكلم عن عصام اللي اتصاحبت عليه بعد فريد

تجاهلت قمر إجابتها والتفتت مجددًا نحو شمس التي كانت تقول بنحيبٍ وحسرة:

-ماما مش راضية إننا نتجوز ... وميجو مش بيرد عليا...

انهمرت دموعها وهي تواصل الحديث بقلبٍ مكلوم:

-أنا السبب كان لازم اقولهم الحقيقة

ربتت يُسرى على ظهرها وهي تواسيها:

-متحمليش نفسك الذنب ... هما في الحالتين مكانوش هيوافقو

هتفت شمس باعتراضٍ ودموعها بدأت تُحرق جسدها من شدة لهيبهم:

-بس أنا مش هتجوز غير ميجو

بقيت رأسها مُتدثرة بين فخذيهما حتى تدخلت قمر لتواسيها لكن طبيعتها المُندفعة
العفوية جعلتها تقول:

-والله ما فاهمة إيه إلهي عجبك في إلهي اسمه ميجو ده ... ده توكسيك وبتاع
نسوان وابن رقاصة وحشاش وفيه كُله العبر ... إنت يا بت عندك ستوكهولم؟

طالعتها شمس بازدرأءٍ أجابت معه بصدقٍ نابع من فؤادها المجروح:

-لأ ... ميجو كمان بيحبني ... وكمان اتغير عشاني ... وبعدين ميجو مش بيعمل
حاجة وحشة ... ده عامل زي دودة القز

تدخلت قمر ببعض السخرية:

-دودة القز !! ... يعني إنت في الآخر بتدلعيه وتقوليله دودة القز !! ... دا كويس
والله إن ميجو سابك

زادت كلماتها من غضب شمس التي تعلم جيداً أن شقيقتها تُشاكسها وتستخف
بمشاكلها، فلا أحد يعلم عذاب القلب المكلم الذي يعجز عن الوصول إلى نصفه
الآخر، وكيف لها أن تعلم، فزوجها ضابط بالشرطة من عائلة متوسطة بسيطة تُناسب
عائلتهما، ليس مثل ميجو الذي ارتكب كل ما يجعله شخصاً سيئاً لا يُناسبها، ومع ذلك
لن تستطيع التخلي عنه أبداً.

واصلت دموعها بالانحدار كالشلالات حتى مسدت يُسرى على ركبته وهي تقول
بتشجيع:

-متز عَليش نفسك ... ميجو لو بيحكبك هيحاول عشائك ... هو بس محتاج شوية
وقت، صدقيني الحاجات دي كلها هتعتدي وتهككيها لعيالكم لما تكبرو

رطبت كلمات يُسرى القليل من نيرانها الهاجرة حتى قَلت دموعها وبدأت تستعيد
هدوئها تدريجيًا خاصة مع مواصلة مواساتهن ورغبتهن بعودتها لطبيعتها العفوية
المُتفائلة، بعد فترة من الحديث بينهن أُرذفت قمر بتسأل:

-فينك يا داليا ... كان زمانها قعدت تتكلم في نظريات وحقوق المرأة لغاية ما
تكرههم الاتنين في بعض

عَلقت كوكي لثُجبيها بصدق:

-أنا كلمتها ومردتش عليا ... المفروض كانت جات دلوقتي مش عارفة اتأخرت ليه
....؟

صَوّت الصُراخ الذي يُطلق من جوفها يكاد يصم الأذان، جسدها يرتعد وضربات
قلبها تتصاعد تزامنًا مع انطلاق إسلام بالسيارة كالصاروخ وهو يتخطى السيارات
الأخرى ووراءهما تلك السيارة السوداء التي لا يعرفان ماهيتها وما يُريده صاحبها
منهما، تخطى إسلام سيارة حمراء كادت تصطدم به تزامنًا مع كلمات داليا المذعورة
وهي تصرخ بجواره وتُشير بأصابعها:

-حاسب يا إسلام

استجاب إسلام لحديثها وتجنب العمود الذي كاد يصطدم به مع انحدار السيارة لجهة
اليمين، بات التحكم بالقيادة أمرًا عسيرًا خاصة وهو يسير على سُرعة تُعادل المئة،

ولازالت تلك السيارة اللعينة تتبعهما حتى خرج منها رجلٌ مُلثمٌ ومعه سلاحٌ ناري أطلق به على سيارتهما رصاصة طائشة أدت إلى وجود نُقبٍ بحقيبة السيارة.

واصل المُلثم إطلاق النيران لعل رصاصة من الرصاصات تُصيبهما أو تُصيب الإطارات حتى يتوقفا عن القيادة، وكان الذعر ناشب بينهما والعرق يتصبب من جبهة إسلام وهو يتحرك بالسيارة يمينًا ويسارًا حتى كادت داليا تتقيأ.

انطلقت رصاصة أخرى من جوف السلاح أصابت زجاج السيارة من الخلف وأصابته بشرخ كاد يهشم الزجاج بأكمله، حاول إسلام تجاهل تلك الطلقات قدر الإمكان ومواصلة القيادة على الطريق الشبه خالٍ من السُكان لعله يستطيع النجاة هو وزوجته.

تلقت داليا وراءها لنتابع تلك السيارة ثم تعود إلى إسلام وتهتف بذعر ودموع على وشك الانهيار:

-إسلام بسرعة

ضغط إسلام أكثر على المكابح فارتفعت سرعة السيارة إلى آخر درجة، كادت السيارة تحترق من شدة سرعتها وهي تنطلق على سفحة الطريق ولا تزال تلك السيارة تركض وراءهما عازمة على النيل منهما.

تلقت إسلام وراءه ما ان استشعر اقتراب السيارة السوداء من الجهة التي يجلس بها، لكن التفاته لم يدم سوى أقل من ثانية واحدة عاد بعدها بنظرته للأمام ليواصل التركيز بالقيادة التي باتت صعبة للغاية مع هذه السرعة.

انطلقت صرخة مدوية من جوف داليا وأصابعها تُشهران على تلك الشاحنة الكبيرة التي ظهرت أمامهما فجأة من الطريق المُتقاطع:

-إسلام

كان هذا آخر ما قالته قبل أن تقترب الشاحنة من سيارتهما المُندفعة حتى....

ربما الموت هو أصعب ما يُلاقيه الإنسان ... لكن، هل جربت شعور الموت وأنت على قيد الحياة؟...

زُجاجاتٌ فارغة من الجعة ملقاة على الأرض بعشوائية تحفها أعقاب السجائر وغيرها من مُذهبات العقول، جسد ثقيل مسجي على الأريكة تفوح منه رائحة مُقززة ببزته التي لم يُبدلها منذ البارحة، ما فعله فقط هو أنه خلع سترته وبقي مُرتدياً لقميصه الأبيض الذي فتح أزراره لينكشف جزء من صدره.

كتلة كبيرة من الصخر تتمركز بجمجته وتجعل رأسه يزن أطناناً، فقد أوشكت الساعة على السادسة مساءً وهو لا يزال مُستلقٍ بتلك الوضعية يأبى التحرك من موضعه، بل يأبى العودة إلى الواقع مُجدداً، يُفضل العيش في عالمه الموازي الخالي من العوائق، يُفضل أن يحيا بين السُحب وأسراب الطيور الوهمية بدلاً من التلوي بعذاب الواقع الذي يعيشه.

أيقظه من غفوته صوت طرقات الباب التي أخذت تصدح بصوتٍ مُرتفع كان كفيلاً باستيقاظه من تلك الغفوة برأسٍ ثقيلٍ وجسدٍ يزن أطناناً، حرك قدميه بوهنٍ على الأرض كما لو كان يجر فيلاً أفريقيًا، فرك عينيه ليحمو بعض آثار النُعاس ويبقى الشحوب الذي لم يزل عن عوالمه، فتح الباب ليجد أمامه مُعتز وعوالم وجهه تتم عن القلق:

-إيه يلا ... بقالي ساعة بخبط

دفعه مُعتز ليقتمح المنزل عازماً على الاطمئنان عليه بعد ليلة البارحة، لكن أقدامه تصلبت أمام زُجاجات الجعة الفارغة وأعقاب السجائر التي صاحبها رائحة قوية كفيلاً بشعوره بالاختناق.

تحرك ميجو بلا مبالاة داخل المنزل حتى ارتمى على الأريكة بعدم اكتراثٍ لمُعتز الذي يكاد يرفع صوته بغضبٍ من تصرفاته وهو يُشير على هذا المنظر:

-إيه ده !! ... إنت رجعت للزفت ده تاني؟

مسندٌ ميجو بأصابعه على جبهته وهو يقول ببرودٍ وصوتٍ خافتٍ يحمل ما تبقى من
نُعاسه وانتشاءه:

-امشي دلوقتي يا مُعتز أنا مش فايفك

ازداد غضب مُعتز من تصرفاته وبدا صوته مُرتفعًا وهو يهتف:

-لأ مش همشي ... مش هسيبك تضيع نفسك زي ما كُنت هتعمل قبل كدة

أبعد ميجو يده عن جبهته ليُطالع مُعتز بنظراتٍ مُقتضبة قال معها بما يعتمره من ألمٍ
وانكسار:

-وهتفرق في إيه؟ ... ما أنا كدة كدة مش فارق مع حد ... فخليني اعمل إلهي انا
عايزه

تنهد تنهيدة عميقة وهو يواصل حديثه بنظراتٍ تتحرك لأسفل ورغبة جامحة بالبكاء
تُقاتله عازمة على الانتصار:

-إنت عارف أنا ليه محاولتش أنكر وأقول إن كارمن بتكذب؟ ... عشان...

صمت بُرهة ليواصل بنبرة أكثر خفوتًا:

-عشان كلامها صح ... شمس متستاهاش واحد زيي ... حتى لو عملت إيه

طالعه مُعتز وداخله يُريد أن يُطمئنَه ويرشده لطريق الصواب، جلس بجواره على
الأريكة يُربت على كتفه بنظراتٍ تُحرق بخاصته وكلماتٍ حنونة أشبه بحديث الوالد
لأبناءه عندما يهتم بنصحتهم:

-أنا عارف إنك حاسس إنك مكسور ومش هقولك تنسى إلهي كارمن قالتة ...
ولا هقولك تحاول ترجع لشمس، ولا هقولك تحاول تتكلم مع مامتها

حرُّك ميجو عينيه نحو مُعترز لِيُطالعه بغرابة سأل معها:

-أومل هتقولي إيه ؟

ازدرد مُعترز ريقه بتوترٍ داهمه بسبب هذا السؤال، حقًا أراد أن يُغرقه بكلماتٍ عميقة
والعديد من الإرشادات لكنه تذكر أن علاقته بالكلمات العميقة أشبه بعلاقة قطٍ أليفٍ
بأدغال الأمازون، أي لا توجد علاقة من الأساس.

تلعثم بالحديث وهو يقول بصدقٍ:

-معرفةش ... أصل أنا بشوفهم في الأفلام ببداو الكلام العميق كدة

ضرب ميجو جبهته بخيبة أملٍ وداخله يُغمغم باستجداء:

-يعني يا رب يوم ما ترزقني بأخ ... ترزقني بأخ اهيل

لم يستمع مُعترز إلى غمغمته المُنخفضة بسبب صوَّت الجرس الذي صدح فجأة وبقي
صوِّته يغمر أركان المنزل وكأن من يضغط على هذا الزر يظن أنه سيحصل على
الذهب إن لم يُبعد أصابعه عنه.

أشار مُعترز بيده نحو ميجو وهو يقول بتقرير:

-خليك، أنا إلهي هفتح ... ولم الكركبة دي

تقدم ميجو بجذعه للأمام بثقلٍ عازمًا على إزالة أعقاب السجائر وتنظيف القليل من
هذه الفوضى، بينما اتجه مُعترز صوَّب الباب ليفتحه ويتصلب مكانه من هذا الزائر...

كان أمامه مجموعة من الضباط بعضهم يرتدون ثياب الشرطة البيضاء وواحد فقط يرتدي ثياباً داكنة ويضع على رأسه تلك القبعة التي تميزهم، الاقتضاب والحدة لطخا وجهه وهو يسأل بنبرة صارمة:

-ماجد محمد المعلوم هنا ؟

بقيت عينا مُعتز جاحظة وهو يوميء برأسه إيجاباً و ضربات قلبه تزداد في هلع خاصة وهو يجد عناصر الشرطة تقتحم المنزل صوّب ميحو ليُكلوه بالأغلال، ارتد جسد مُعتز وهو يراقب عناصر الشرطة داخل المنزل بأمرٍ من هذا الضابط الذي سأله مُعتز في ذعرٍ:

-ه.. هو في إيه يا حضرة الظابط ؟

أجابه الضابط بلكنته الصارمة:

-معانا أمر بالقبض عليه ... بثُهمة التعاطي وتجارة الحشيش....

الفصل الثاني والعشرون (عفریت !!)

تَبَّأ لك أيها قدر، أعطيتني هدية رائعة، لأفتحها وأجدها سُما قاتلاً...

العديد من الأقدام تتهاود على المنزل وتبحث في كل شبر به إلى أن أخرجت حقيبة جلدية مليئة بتلك الممنوعات المذهبة للعقول، كان مُعترز كالصنم وهو واقف مكانه لا يسعه التحرك أمام هذا المشهد الذي حوَّله إلى صنمٍ يكاد يتحطم لأجزاء، يشعر بالخُذلان يُسيطر على جنباته، يشعر بالحرقة داخل أحراشه، يشعر وكأنه يُريد أن يصفع ذلك الذي خدعهم أكثر من مرة حتى بات كالأبله، هو بالفعل أبله، لم يكن يجب أن يُسامحه بهذه البساطة، تَبَّأ لهذا القلب الذي ظنَّ لو هلة أن شقيقه تغيَّر وأصبح شخصاً جيداً.

كبلت الشرطه رسغ ميجو وبدأت تدفعه خارج المنزل أمام مُعترز الذي حافظ على سكونه حتى لا ينفجر، كان يتلفت ميجو بعينيه نحو شقيقه محاولاً تكذيب ما قالته الشرطه بصوتٍ متوَّسل بدا لأول مرة صادقاً بالنسبة لمُعترز:

-أنا بريء يا زيزو ... وربنا أنا بريء ... أنا مش بتاجر في حاجة ... وحياة
المُصحف ما بكذب...

بقي يتوَّسله بعينيه وصوته الأَجش الأقرب للبكاء والانهيار، وما كان من مُعترز سوى الصمت والوجوم، لا يعرف كيف يُصدق هذه المرة على الرغم من كلماته المتوَّسلة، فإن كان صادقاً لما ترك تلك الممنوعات بمنزله؟ ومع ذلك قلبه اللعين يجبره على اللحاق بأقرب شخصٍ يُساعده في تلك المُعضلة...

فتحت عينيها بوهنٍ على ضوء المصباح فوقها، أصوات صافراتٍ تُطلق بجوار أذنها تجعلها تتأكد أنها لا زالت على قيد الحياة، نعم ... فقد أهدتها الحياة فُرصة أخرى لا لأن الحياة تُحبها، بل لأن الحياة لا تزال تحمل لها المزيد من المفاجآت السارة، وربما الشاقة...

حركت جسدها بصعوبة بالغة أحست معها وكأن عظامها تتهشم كزجاجة بالية، رأسها يزن أطناناً وهي تُحرك عينيها جهة اليمين إلى أن أبصرت إسلام يستلقي على الفراش بجوارها ويداه مؤصلتان بأجهزة تعرض مؤشرات الحيوية، ترى رأسه المُضمدة وملامحه الواهنة التي يبدو عليها الإعياء.

التفت للجهة اليسرى حتى بصرت ذراعها المُضمّد بأكمله والذي يبدو أنه تهشم واضطرت لتركيب الشرائح والمسامير، تجاهلت ذراعها وبدأت تتحسس جبهتها بذراعها السليمة إلى أن أحست بوجع طفيفٍ سببته تلك الندبة أسفل عيناها والتي تم تغطيتها بضمادة لاصقة، ورغم أنها لا تتذكر ما حدث بعد رؤيتها لتلك الشاحنة، إلى أن جميع شكوكها تُشير إلى أن الأمر لم يكن هيناً، فقد كانت رؤيتها لتلك الشاحنة في الصباح، وها هما الآن في المساء تكاد تقترب الساعة من التاسعة مساءً.

-إسلام ... إسلام..

كانت تنادي بوهنٍ على إسلام لعله يستفيق من تلك الغفوة ويُطمئنّها أنه بخير، وجدته يتململ في نومته ثم يتأوه بوجع وهو يفتح عينيه بصعوبة جعلته يستشعر ما آلت إليه الأمور... أي تلك الحادثة التي انتهت معها مطاردتهما.

حاول تحريك ذراعه ليشعر بحروقٍ تكاد تقتله حياً، كان ذراعه مليئاً بالضمادات التي تركت بعض آثار الدماء، أو ربما آثار ذلك الدواء السائل الذي يوضع على الجروح، والذي يحمل نفس لون الدماء.

لا يزال يشعر بشظايا الزجاج الذي تهشم على ذراعه وترك بعض الآثار على رقبتة، ناهيك عن رأسه التي اصطدمت بقوة جعلته يُضمده بأكمله، حمداً لله أنهما نجيا من تلك الحادثة رغم هذه الإصابات، فتلك الحادثة لم تكن هينة أبداً، فقد انقلبت سيارتهما ما إن داهمتها تلك الشاحنة على ممرٍ سريع.

حاول أن يعتدل بجلسته بصعوبة لتتقابل عينيه مع داليا التي كانت تقول بحمد:

-الحمد لله عدت على خير ... الناس دي معرفتش توصلنا

جحظت عينا إسلام ما إن أدرك تلك الكارثة التي هُم بها:

-الأسلحة ... إحنا سيبناها في العربية

تلك الأسلحة التي جاهدا للعثور عليها، ها هما الآن يفقدانها في حادثٍ أليم جعل سيارتهما تختفي عن الوجود، وربما تم أخذها للصيانة، أي سيتم تفتيشها، وسيعرف الجميع أن تلك الأسلحة معهما!!

ما هي إلا لحظاتٍ قليلة حتى أدركت داليا تلك الكارثة وحاولت الاعتدال في جلستها وهي تهتف بذعر:

-يا وقعة سودا ... دا لو حد اكتشف إن في أسلحة في العربية مش بعيد يفكروننا
تُجار سلاح

عَلق إسلام على حديثها بسُخرية:

-يعني نعدي من سرقة وخطف ومُخدرات ونيجي عند السلاح ونعطل ... أدي دي
هتبقى آخرتنا

أنهى الحديث بحسرة وهو يتذكر تلك المصائب التي تَوَرطوا بها بدءًا من اختطاف داؤد سابقًا، وسرقة المعمل مرتين والاشتراك في الإيقاع بعصابة تباع الممنوعات وغيرها من الكوارث التي نفذوا منها بصعوبة بالغة، حتى أتت تلك المُعضلة التي سنُنتهي حياتهما ومُستقبلهما.

بقيت نظرات القلق تتناقل بينهما إلى أن سألت داليا بذعر:

-والعمل ؟ ... هنرجع الأسلحة إزاي واحنا متكسحين كدة ... إحنا لازم نلحقهم قبل
ما يبدأو يصلحو العربية ويشوفوها

أبعد إسلام نظراته عنها وهو يُغمغم بتفكير:

-لازم نشوف حد يعمل كدة بدالنا

مسد بيده السليمة على ذقنه لتمرُّ برهة من الصمت قطعها داليا باقتراح:

-نقول للوي ؟

نفي إسلام اقتراحها بتبرير:

-لوي هيجبنا

-خالد ؟

هكذا اقترحت مُجددًا ليعترض اقتراحها بقوله:

-محترم بزيادة وهيبغ عننا

-يبقى مُعتر ؟

نفي للمرة الثالثة وهو يقول:

-غبي وهيجبنا بردو

فكرت هنيهة ثم رفعت إصبعها وهي تقترح:

-يبقى ميجو ؟

نفي إسلام للمرة التي لا يعلم عددها وهو يقول:

-دا بقى ندل ومش بعيد ياخذ السلاح يتصرف فيه ... أو يذلنا بيه حاجة من الاتنين
... بعدين هو ناقص

زفرت داليا الهواء من فمها بنفاد صبرٍ وقد اغتابها اليأس من تلك المُعضلة، فلا أحد يصلح لتلك المُهمة، جميع معارفهم وأصدقائهم لا يمتلكون سوى كُتلة من السذاجة والحمافة الكفيلة بدفعهم نحو الهاوية، وكأن من يقترب منهم يُصاب بعدوة تجعله يرتكب الكوارث والحماقات.

انتهت فترة صمتها بإسلام الذي اقترح بطريقة بدت وكأن هذا الاقتراح هو الحل الوحيد مع الأسف:

-كدة مفيش غير جابر ومخير ... هما بس إلي يقدرو يعملو المُهمة دي

أضافت داليا على حديثه بعد تفكير:

-وأنا ممكن اتصل بقمر وريتا يساعدهم ... هما كدة كدة عندهم قُدرات ذهنية وهيقدرو يعملو أي حاجة

استحسن إسلام فكرتها، وتبقى فقط أن يتصلوا بهم ويُخبرونهم عن تلك المُعضلة، هما بالأساس لم يُخبرا أحداً أنهما سيبتاعا الأسلحة، فكيف يُخبرانهم أن الأسلحة التي ابتاعها _ بطريقة غير قانونية _ تقبع الآن بين أيدي أشخاص لا يعرفانهم وربما ينتهي بهما المطاف خلف قُضبان السجن بثُمة الاتجار بالأسلحة.

-تمام ... يبقى أنا هكلم قمر وريتا وإنت كلم مخير وجابر

وافق إسلام على اقتراحها وبقي يتلفت حوله بحثاً عن جواله حتى سأل:

-هو فين الموبيل ؟

تلفتت داليا حولها هي الأخرى حتى اردفت باستنتاج:

-معرفش ... شكلهم أخذوه ... يارب ما يكون حد فيهم اتصل بماما وقالها إني عملت حادثة ... ده لو شمت خبر مش بعيد الأقيها بتحضر لعزايا

كان ميجو على الجهة الأخرى يتم دفعه بعيداً عن الحُجرة مُكبلاً بالأغلال وربما يتم جذبُه نحو الزنزانة.

- هو في إيه ؟

هكذا سألت قمر بفصولٍ وقلقٍ فأجابها لؤي باطمئنان:

-متقلقوش ... مفيش دليل يثبت إنه كان بيتاجر في الممنوعات، كمان كمية الحشيش إلي لقوها مش كبيرة ... بس التحاليل ممكن تثبت إنه كان بيتعاطي ... وده معناه إنه هياخد سنة سجن وغرامة كام ألف جنيه

عارك مُعتر صمته وقرر أن يسأل رغبة في اجحام شكوكه:

- هو ينفع أشوفه ؟

يريد فقط أن يعلم سبب ترك ميجو لتلك الممنوعات في منزله، يريد أن يثبت لعقله أن فؤاده على صواب، وأنه لم يرتكب خطأً حينما قرر مساعدة شقيقه، لكن لؤي أحبطه بإجابته:

-لأسف مفيش زيارة دلوقتي

صمت بُرهة عن الحديث ثم قال مستنذناً:

-هروح اكمل الاجراءات...

قطع جمعهم ليتحرك أمامهم ويُباشر أعماله، ربتت كوكي على كتف مُعتر لثُهديء من باله وتُخبره أن كل شيءٍ على ما يُرام، بينما كانت قمر تُخرج هاتفها وتحاول الاتصال بداليا التي لا تُجيبها أبداً حتى بدأ القلق يُداهمها.

انتهى بها المطاف وهي تتصل بوالدة داليا لعلها تعرف مكانها، أو أن داليا ذهبت لزيارة أحد أقاربها مع والدتها وتناست هاتفها كما تفعل دائماً، وضعت هاتفها على أذنها وبدأت تقول بهدوءٍ حتى لا تُصيب والدتها بالذعر:

-ألو يا طنط ... معلى أنا بز عج حضرتك بس...

بترت كلماتها ما إن داهمها صوتُ البكاء والولولة من الجهة الأخرى مما جعل فؤادها يهوي أرضاً، لكنها تذكرت فوراً أن والدة داليا تُضخم الأمور وتخلق من الحبة قبة كما يقولون.

أنهت المكالمة وعوالم الخوف والقلق على وجهها، ربما صديققتها لم تلقي حثفاً كما أوحت لها والدتها، لكن ما حدث لها أيضاً ليس هيناً، لاحظت كوكي عوالمها القلقة فسألتها فوراً:

-كلمتي داليا ؟

أجابتها قمر بهلعٍ وهي تستعد للرحيل:

-في مصيبة ... داليا وإسلام عملو حادثة بالعربية... أنا لازم اروحلهم

استمع جابر إلى حديثهما مما جعله يسأل بذعر:

-ده إزاي الكلام ده ؟... وهما عاملين إيه ؟

كان مُعتز قد ترك تجمعهم ليتجه صوب أخيه ويُتابع الإجراءات مع لؤي، بينما كانت قمر تتحدث بجهلٍ وقلق عمٍ يُمكن أن تخلفه تلك الحادثة التي تعرضا لها، حقاً لا تعرف لِمَ المصائب تأتي كلها مرة واحدة، ألا يكفيهم أن صديقهم تم القبض عليه ؟

-تعالو معايا ... أنا هوصلكم المُستشفى

قالها جابر باقتراح على أمل أن يطلبوا سيارة أجرة تقلهم إلى تلك المشفى، وبما أن الوقت متأخرًا، فركوب سيارات الأجرة الآن، ربما هو ليس حلًا جيدًا خاصة وهما فتاتان، أما بوجود جابر، فالوضع سيضحى أبسط مما يتخيلا.

وافقت قمر على حديثه هي وكوكي وقرروا الذهاب إلى المشفى والاطمئنان على أصدقائهم، كانت كوكي تطلب منها بتحذير وهي تسير بجوار قمر:

-إوعي تقولي لمامت داليا ... إنتِ عارفة إنها over protective

وُدت قمر لو تُطمئنها وتُخبرها أنها بالطبع لن تفعل ذلك، لكن ما حدث، هو أنها ازدرت ريقها بخوفٍ وهي تُدلي الحقيقة بصدق:

-لأ ما هو ... مامت داليا هي إلي قانتلي إنها عملت حادثة....

صوت ولولتها بدأ يخترق الجُدران وهي تضرب على فخذها بدموعها المُنهمرة ووجهها الذي جفت دموعه من كثرة البُكاء والنحيب وكأنها في عزاء ابنتها:

**-ليه يا رب كدة يارب ... يارب دي كانت بت هبلة وغبانة ... آاه، يا قلبي آاه ...
أعيش أنا إزاي من غيرها ... آاه**

بقيت تنتحب أمام داليا التي تجلس على الفراش تحاول إيقافها وإعادتها للواقع:

-ماما ... يا ماما والله أنا لسة عايشة

وكالعادة، لم تنصت لها بسمة وبقي نحيبها يخترق الجُدران وهي تقول:

-يا عيني عليكى يا بنتي ... يا عيني عليكى وإنتِ لسة زهرة مفتحة ... دي كانت هبلة وعبطة والله متستحقش إلي جرالها ده....

انفجر إسلام بالضحك على حديث والدة داليا بينما اشتعل وجه داليا حتى بدأت نيرانها تُحرق الأخضر واليابس، ألا يكفي أنها تبكي على رثائها وهي تجلس بجوارها، بل والآن تنعتها بالحمقاء والغيبة ولا تستحق مثل هذه الميته ... مهلاً، أنت لم تموتي بعد أيتها الغيبة.

كادت تثب داليا من موضعها كمحاولة لإصمات والدتها لكن أوجاعها جعلتها تتأوه بألمٍ أخرج بسمة من غمرة نحيبها وجعلتها تترك موضعها وتهرع نحوها حتى تُساعدتها على الاعتدال وهي تقول بحنانٍ جارف كما لو أنها تناست عزاء ابنتها الوهمي الذي أقامته داخل رأسها وانقلب الوضع إلى مشهدٍ درامي من أحد المُسلسلات الهندية:

-حبيبتي يا بنتي ... خليكي مكانك وأنا اعملكِ إلي إنتِ عايزاه

ابتسمت داليا على كلمات والدتها بينما كان إسلام يُطالعها ويُطالع والدتها التي تعني بها بمبالغة جعلت داليا تلتفت له وتبتسم له بمشاكسة وغيظ، بل وربما كادت تُخرج لسانها له لأنها تتلقى الرعاية والاهتمام وهو لا يتلقاه.

ما هي إلا بُرهة وجيزة حتى انفتح باب الحُجرة ودلف منها سيد والد إسلام وبوادر القلق على وجهه، لكن طبيعته المرحة أدت إلى نتيجة عكسية وهو يقول:

-إيه يا إسلام مالك ... كدة تعمل حادثة من غير ما تقولنا؟

تحرك سيد ليجلس على المقعد المجاور لفراش إسلام بينما كان إسلام يرد عليه بسُخرية:

-معلش يا بابا، المرة الجاية قبل ما اعمل الحادثة علطول هتصل ابلك

تدارك سيد سُخريته وبقي في حالة من الصمت لفترة وجيزة قطعها إسلام بسؤاله الفضولي:

-إلا صحيح هي ماما فين؟

رسم سيد بسمة مرحة على ثغره وهو يُجيب:

-أمك يا سيدي في البيوتي سنتر ... أصلها عايزة تصبغ شعرها، فقالتلي اروح
اطمن عليك وابقى اطمئنها

همهم إسلام بنفاد صبرٍ من والدته التي تهتم بنفسها كما لو كانت أميرة بريطانيا، تلفت
نحو داليا الجالسة بكنف والدتها تنتعم بحنانها ثم التفت نحو والده الذي بقي يُحادثه
ويُخبره بعض الدُعابات السمجة لعلها تُلطف على وجعه.

بعد مرور أكثر من ساعة استأذن سيد ليُباشر بعض أعماله تزامناً مع مجيء رفاقهما
لللاطمئنان عليهما، ألحت داليا على والدتها كي تعود إلى منزلها ولا تُرهب جسدها
الواهن معها، فأصدقاءها سيتولن رعايتها، وبعد العديد من الالاحات، ارضخت
بسمة لكلمات ابنتها وصديقاتها قمر وكوكي وقررت الرحيل على أمل العودة في
الصباح الباكر.

جلست كوكي على المقعد المجاور لفراشها وعلى قدمها تقبع ابنتها بفراشها الذي
يُحمل، كما جلست قمر على طرف الفرّاش الخاص بداليا وبدأت باللاطمئنان عليها
وإخبارها بما حدث معهم وكيف تم إلقاء القبض على ميجو.

بعد بُرهة من الأحاديث بينهم قرر إسلام وداليا أن يُخبرونهم عن هذا الأمر الطاريء
الذي هُم بصدده، فكلما تأخروا أكثر، كلما كانت فُرصة نجاتهما من جريمة أخرى
تكاد تكون معدومة، لهذا السبب بدأت داليا الحديث بقولها:

-احنا... عايزنكم في حاجة مُهمة

هكذا بدأت الحديث بمباشرة جعلتهم يتبادلون النظرات في حيرة، فيبدو أن الأمر له
علاقة بكارثة ما، وما الذي سيتوقعوه غير ذلك، فحياتهم لا تخلو من الكوارث من
الأساس.

-في أسلحة في العربية ... والعربية دلوقتي راحت الصيانة بعد الحادثة... يعني فيه
احتمالية كبيرة إن حد يفتح شنطة العربية ويشوف الأسلحة ويبلغ عنا

أدلى إسلام الحقيقة بمباشرة جعلتهم يزدادون حيرة وتفاجؤًا إلى أن هتفت قمر:

-أسلحة !! ... وإنتو إيه إللي يخليكم تجيبو أسلحة ؟

أجابتها داليا بتبريرٍ حمل قلقها:

-كنا خايفين للناس اللي بيلاحقونا دول يعملونا حاجة ... فقوانا نأمن نفسنا

تدخل جابر بالحديث ليستسفر:

-وهو إيه إللي خلاكم تعملو حادثة ؟

سأل هذا السؤال لأنه يعلم جيدًا أن إسلام شديد الحذر بالقيادة ونادرًا ما يتعرض لتلك الحوادث الصعبة، آجاب إسلام سؤاله بعد ترددٍ ونظراتٍ متبادلة مع داليا وكأنه يُخبرها أن لا سبيل من الكذب أو الإخفاء، يجب أن يُشركا أحدهم في تلك المصائب التي تقابلهما.

-كان في حد بيلحقنا وفجأة ظهرت عربية نقل ومعرفش إيه إللي حصل بعد كدة

لم تترك داليا المجال ليتفاجؤوا مجددًا من كم هذه المفاجآت وقررت أن تُسرع بتنفيذ ما يبتغيانه لأن الوقت ينفد، لهذا السبب أُرذفت بجدية:

-مش مُهم دلوقتي عملنا حادثة إزاي ... المهم نجيب الأسلحة قبل ما حد يشوفها

تقدمت كوكي بجذعها لعلها تُساعدهم بتنفيذ الخُطة رغم أنها تعلم جيدًا أنها لن تشترك بها، فهي بخلاف ابنتها الرضيعة التي تتولّى رعايتها، هي ليست جيدة أبدًا بالمُطاردات، وكلما تعرضت لواحدة منهم تنقلب إلى عصفورٍ صغيرٍ لا يفعل شيئًا سوى التغريد والصياح.

-أنا ممكن اعرفلكم العربية راحت فين

هكذا اقترحت كوكي لتُضيف قمر عليها:

-وأنا هكلم ريتا اخليها تيجي تساعدنا ... بس محتاجين حد يكون معاه عربية غير ريتا عشان هي هتدخل معانا

هنا تدخل إسلام وكأنه أعد كل شيءٍ مُسبقًا:

-مفيش غير مخيمر ... هبقى اتصل بيه وأقوله بس لازم تنفذو دلوقتي قبل ما الأمور تتعقد....

في غُمرَة الصِعب، تجد الكوارث، وإن لم تجدها، فستقلعها بنفسك....

وطأت أقدامهم مركز صيانة السيارات الذي عثرت عليه كوكي بالقليل من مهاراتها، فبالطبع تم إعلام إسلام عن المكان الذي ستذهب إليه السيارة ليتم تصليحها بعد هذا الحادث، كانت تقف ريتا خلف الباب مباشرة وجوارها قمر تُراقب المخزن من بعيدٍ هي وجابر الذي أتى لمعاونتهما وترك مخيمر بسيارته الفارهة ينتظرهم بالخارج ويستعد للتدخل إذا تأزم الموقف.

كانوا يُراقبون توافد العُمال على العديد من السيارات التي يتم نقلها إلى مخزنٍ أشبه بالمرأب لكنه يحتوي على العديد من مُعدات الصيانة التي لم يعرفوا ماهيتهم بسبب جهلهم بتلك الأمور.

ما جعل طيات قلوبهم تتخفض هو تلك السيارة الخاصة بإسلام والتي وجدوها خارج المرأب بوضع مُهتريٍّ يجعلك تشعر وكأن فيلاً دهسها بأقدامه، ناهيك عن تلك الثقوب التي نتجت عن تبادل النيران، لا يعلمون كيف سيتم تصليحها بعد كل هذا، فحتى وإن قرروا بيعها كقطع غيارٍ لن يربحوا من وراءها ولو عُملة واحدة، والأهم من هذا كله، ما حال تلك الأسلحة المُتدثرة داخل السيارة والتي على الأحرى سيجدونها مُهشمة الآن.

قطعت ريتا هذا الشرود باقترابها نحو المركز الذي لم يكن حديثاً لكنه مناسباً لما
تحتويه جيوبهم من أموال.

-يلا ندخل...-

قالتها بتقريرٍ لتدخل بعدها المركز ووراءها كلُّ من قمر وجابر الذي أخذ يتلفت
حواله حتى وجد واحد من العُمال يقترب نحوهم رغبة بمعرفة ما سيطلبونه، ما إن
وثب الرجل أمامهم حتى بادر جابر بالسؤال:

-سلام عليكم ... بعد إذناك إنا بندور على عربية واحد صاحبنا... هو عمل حادثة
قبل كدة وقالنا إن في آمانة في العربية لازم ناخذها بداله

بادل الرجل نظراته بينهم في شكٍ وداخله يعتقد أنهم مجموعة من اللصوص أتوا
لسلب ما تحتويه تلك السيارة المُهشمة، لاحظت قمر شكه فأخرجت هاتفها لتُظهر
صورة من البطاقة الخاصة بإسلام ومررتها قُرب الرجل متفوهة:

-أهو ... ده صاحب العربية، اسمه إسلام ... وإنا جايين بداله عشان هو عمل
حادثة

بقي الرجل في حالة وجيزة من الصمت حتى أردف بعوالم شكٍ لا تزال على وجهه
وربما اجتمعت مع بعض المُكر:

-مفيش حاجة في العربية

بصق تلك الكلمات بصورة بدت واثقة لكنها زادتهم تعجباً، فإسلام أكد على وجود تلك
الأسلحة وعلى ضرورة استعادتها، فكيف يُخبرهم هذا أن لا شيء بالسيارة، أو ربما
هو...

قطعت ريتا أفكارها بنظراتٍ مُترقبة قالت معها:

-هو حضرتك متأكد صاحب العربية أكدنا إن في صندوق فيه حاجات مهمة في العربية

رمقها الرجل بنظراتٍ مقتضبة أنهى معها الحديث بقطع:

-زي ما قولت قبل كدة العربية مفياش حاجة، ولو عايزين تشوفو ... فلأسف مش هينفع عشان بتصلح

رماهم بتلك الكلمات المؤكدة ورحل بعدها تاركًا عوالم الشك والابهام على وجوههم خاصة ريتا التي وجهت بصرها نحوهما بحدة تزامناً مع قمر التي هتفت بيأس:

-إزاي الكلام ده ... إسلام قال إن كان في أسلحة

بقيت نظرات ريتا ثاقبة كالصقر وهي تقول بثقة وصوتٍ مُنخفض:

-الراجل ده بيكذب ... ميعرفش هو واقف مع مين

قالتها بتحدٍ وهي تعدو صؤب الرجل مجدداً وتناديه بصوتٍ مسموع:

-لو سمحت يا أسطا

التفت لها الرجل مرة أخرى ليجد قمر قد اقتربت من ريتا وجابر وثب بجوارها من الناحية الأخرى وثلاثتهم يُحدقون بهذا الكاذب بحنقٍ إلى أن وجهت قمر نظراتها نحو الرجل وبقيت تُحدق به بإمعانٍ حتى خارت قواه وأصبح مُغيّباً عن العالم، في تلك اللحظة تشدقت ريتا بصرامة وهي تعقد ذراعيها وكأنها تستجوب أحد المُجرمين:

-الصندوق إللي كان في العربية راح فين ؟

ودون أن يدري الرجل، وجد نفسه يُجيبهم بنيه:

-وفيق وعبد الله أخذوه على المخزن وقالو هيسترزقو منه

ازداد حنقهم بعد تلك الكلمات وأدركوا وضاعة هذا الرجل ورفاقه المُخادعون اللصوص، تبادلت نظراتهم لوهلة حتى بادر جابر بالسؤال الذي وجهه نحو هذا الرجل المُغيب:

-فين مُفتاح المخزن ؟

-مع عبد الله

هكذا أجابهم الرجل قبل أن تُعيده قمر إلى واقعه ويرحل من أمامهم بعوالم الريبة التي لا تزال على وجهه، فهو لا يتذكر أي من الكلمات التي قالها ولا يتذكر أي كارثة أوقع نفسه ورفاقه بها.

وقبل أن يرحل الرجل، كانوا قد سألوه عن سمات هذا الذي يُدعى عبد الله حتى يسهل العثور عليه، فقد أخبرهم أنه أسمر البشرة كثيف اللحية وحليق الرأس ودائمًا ما يضع اللفافة داخل فمه خاصة وهو يعمل، وبما أن المركز لم يكن به سوى بضعة أشخاص، فكان سهلًا عليهم العثور على ذلك الذي يُدعى عبد الله والذي كان يرتدي ثيابًا زرقاء مليئة بالأتربة ويقف أمام سيارة شبه مُهشمة واللفافة داخل فمه أثناء توجّيهه لذلك الصبي ذو العشرة أعوام.

-أسطا عبد الله ؟

هكذا سأل جابر ليترك عبد الله ما كان يفعله ويلتفت نحو ثلاثتهم بغلظة لا تترك وجهه أبدًا:

-أيوة ... نعم يا أخينا

وجه جابر نظراته نحو الصبي لأقل من ثانية ثم أعادها نحو عبد الله وهو يقول بجدية:

-عاوزينك في حوار مُهم

لاحظ عبد الله نظراتهم فحدق بالصبي وأخبره بصوتٍ أمر:

-واد يا سعد ... رُوْح إنت دلوقتي وابقى تعالى كمان ساعة

وثب الصبي عن الأرض يُنفِض الأتربة عن ثيابه قبل أن يستجيب إلى تعليمات عبد الله ويترك المركز بأكمله، عادت نظرات عبد الله الغليظة تُحدق بجابر وريتة وقمر لكن جابر حاول الوثوب أمامهما حتى لا تُتداهمهما نظراته الوقحة.

-نعم ... حوار إيه إلهي عايزني فيه؟

سألها بتهمك فآجابه جابر بهدوءٍ وأدب:

-عايزين مُفتاح المخزن ... في أمانة جوة عايزين نستردها

استند عبد الله بجذعه على السيارة وهو يسأل بصوتٍ جهوري:

-أمانة إيه؟

تبع حديثه بأخذه لنفسٍ من لفافته وأطلقه في الهواء لتلفح أدخنته وجه جابر وتجعله يبتعد عنوة، فلطالما كانت رائحة السجائر تُذكره بحياته السابقة وتجعله يُصاب بالاشمئزاز، ومع ذلك منع ظهور هذا الاشمئزاز وهو يسأل:

-صندوق كبير كان جوة عربية من العربيات اللي جات الصُبح ... والصندوق ده مُهم ولازم ناخده

همهم الرجل بتفهيم بعد أن فهم المغذى من حديثهم، وعلم كذلك أنه لن يُعطيهم هذا الكنز الثمين لآخر نفسٍ بحياته، فهو ليس أي صندوقٍ وحسب، ما يحتويه هذا الصندوق إذا قام ببيعه فسوف يربح أضعاف ما يربحه لو عمل لسنوات، لهذا السبب أنهى الحديث بصرامة:

-مفيش مفتاح ... واتفضل يا شملول خُد حريمك واتكل على الله

كانت نبرته وقحة دفعت الادريينالين داخل ريتا التي آرادت أن تضربه برأسها، وهذا ما جعلها تتقدم خطوة للأمام وتقول باندفاع:

-يعني إيه مفيش مُفتاح بقولك الحاجة دي بتاعتنا ولازم ناخذها

تحداها الرجل أكثر بكلماته الجهورية:

-وأنا قولت مفيش مُفتاح والحاجة إالي بتدخل المخزن مش بتخرج تاني

وجهت ريتا نظراتها صوب قمر تُخبرها بإشارات عينها أن ذاك الرجل قد جنى على حاله، وما كاد يرحل عبد الله من أمامهم حتى داهمته ريتا بوثوبها أمامه مباشرة والتحديق بعينه بنظراتها الثاقبة والغاضبة التي جعلته يرمقها باستخفافٍ في باديء الأمر حتى....

اقشعر بدنه وبدأ يشعر بارتجافة تسري بجسده، خارت قواه مرة واحدة وجعلته يرتمي على الأرض واللفافة تسقط من يده، بقي يُطالعها بنظراتٍ مُستنجده ودموعه تنهمر لا إرادياً وكأن هذه الفتاة مارست عليه نوعاً من أنواع السحر، فهو لا يعلم أن بقُدرتها العجيبة جعلته يعود إلى ذكرى أليمة وأسرار مدفونة حتى بكى كالطفل الرضيع وهو يهتف باستنجاد:

-لأ لأ ... أنا آسف... أنا آسف يا فوقية ... والله ما قصدي أقتلك أنا آسف...

بقيت دموعه تنهمر بكثرة حتى انتهزت قمر الفرصة ونفذت تعليمات ريتا الصامته والتي كانت أن تُخرج هاتفها وتبدأ بتسجيل كل كلمة يقولها هذا الرجل الذي يجد نفسه يفصح عن أسراره دون أن يدري:

-أنا بحبك يا فوقية مكنش قصدي اقتلك ... إنتِ إالي مكونتيش عايزة عملي كدة بمزاجك ... أنا آسف...

انهمرت دموعه أكثر أمام نظرات ريتا المُستحقرة والمُنْتصرة في نفس الوقت، فهذا الرجل أحقر مما كانت تتخيل بمراحل، وبما أنه أفصح عن أسرارهِ بعد أن تحكمت بطاقته وعقله، قررت إنهاء تلك اللعبة وإعادت الصندوق بسرعة.

توقفت ريتا عن العبث بعقله وأعادته كما كان، حقيراً وضيعاً؛ أفاق الرجل مما كان يفعله ليجد نفسه مُسطحاً على الأرض وأثار الدموع لا تزال على وجهه، وثب عن الأرض والحيرة لا تزال تُداهمه حتى وجد ثلاثتهم يقفون أمامه كسور الصين العظيم، يرمقونه بنظراتٍ مُحْتدة حاقدة خاصة مع كلمات ريتا:

-فين المُفتاح؟

تنهد عبد الله بنفاد صبرٍ وهو يُعيد عليهم قراره بحدة:

-أنا قولت مفيش مُفتاح

تدخلت قمر هنا لنُخرج هاتفها وتفتح هذا المقطع الذي التقطته له وهو يعترف بجريمته، فكانت نظراتها الماكرة مصوّبة نحوه وهي تقول:

-خلاص ... نبقى ناخذ المُفتاح لما البوليس يطب علينا ... أو ناخده في الزيارة وإحنا معانا العيش والحلاوة

أنهت حديثها بمزاحٍ وضحكة ساخرة تبعها جابر بحديثٍ مُهدد:

-وليه بس نفول على الأسطا ... مش يمكن يعطينا المُفتاح قبل ما نُودي التسجيل

ازدادت زمجرة الرجل الذي تحوّل إلى ذئبٍ مُفترسٍ وهو يمد يده بوقاحة صوّب قمر رغبة في انتزاع هاتفها وتهشيمه إلى العديد من القطع لولا يد جابر التي منعتهُ متفوّهاً باستفزاز:

-حيلك يا أسطا ... هو ضرب الحريم في سلوكم عادي ولا إيه؟ ... إحنا كل إللي عايزينه مفتاح ... وبعدها مش هتشوف وشنا تاني

هدأت النيران قليلاً داخل عبد الله وهو يقول:

-وأنا إيه إلهي يعرفني إنكم مش هتمسحو التسجيل بعد ما عطيك المفتاح

تدخلت ريتا لتجيبه:

-خليك معنا وإحنا بنجيب الأمانة ... وإحنا هنمسحه قدام عينيك

زفر الهواء من فمه كشعلات نارية قبل أن يرضخ لهم عنوة وداخله يؤد الفتك بثلاثتهم، فهو حتى لا يعلم كيف عثروا على اعترافٍ منه بتلك الطريقة.

ساروا خلفه صوب المخزن حتى وقفوا قبالة مباشرة ليُخرج عبد الله المفتاح من جعبته وينخفض بجذعه حتى يُدثره في القفل ثم يرفع باب المخزن عاليًا حتى يستطيعوا الدخول، كان المخزن مليئًا بالأغراض البالية والمليئة بالأتربة ناهيك عن الظلام الذي لم يترك إنشًا بالمخزن حتى جعلك تعتقد أنك داخل تابوت أحد الأموات.

فتح عبد الله الإضاءة التي كانت خافتة لكنها كفيلة بالسماح لهم برؤية هذا الصندوق الذي تحدث عنه إسلام، صندوقًا صلبًا من الخشب الذي تشقق قليلاً بفعل الحادثة، لكنه لا يزال متينًا يستطيع حماية ما بداخله.

اقتربت قمر نحو هذا الصندوق وفتحته لتتأكد أنه هو، وجدت بداخله ثمانية أسلحة ذات تراثٍ إيطاليٍ فاخر، أغلقت الصندوق مُجددًا وحاولت رفعه لكنه كان ثقيلًا لدرجة جعلت عروقها تبرز ووجهها يتلخخ باللون الأحمر وهي تُحاول رفعه عن الطاولة.

-ده ثقيل أوي

لم تبدو الحيرة على وجه ريتا، لأنها تعلم كم أن الأسلحة ثقيلة، وتعلم أيضًا أن قمر هزيلة لا تقدر على حمل تلك الأشياء، بدأت تعثر بعينيها عمّ يمكن مساعدتهم حتى وقعت نظراتها على صندوقٍ خشبيّ كان يحتوي على قطعٍ غيار، أحنت جذعها لتلتقط

هذا الصندوق وتبدأ بإلقاء محتوياته على الأرض بلا اكتراثٍ ثم ترفعه بجوار
الصندوق الآخر وتبدأ بتقسيم الأسلحة على الصندوقين ليسهل حملهما.

أصبح الصندوق أخف وزناً فحملته ريتا كما اقترب جابر نحو الصندوق الآخر ليقوم
بحمله لولا هذا الظل الذي غطا عليه مع كلمات قمر المُحذرة:

-جابر حاسب-

ترك جابر الصندوق مرة واحد وانتفض جسده ليبتعد عن البقعة التي يقف بها ما إن
وجد نصل المدينة يهوي بالقرب منه، تحوّل عبد الله إلى وحشٍ كاسر مرة واحدة
جعلته يُخرج مديته ويحاول الفتك بثلاثتهم حتى لا يفضحوا سرّه.

انتشلت قمر الصندوق وقررت أن ترحل عن المخزن لتكتشف بعدها أن المخزن
مُغلق، هذا الحقير أغلق عليهم المخزن واستغل انشغالهم حتى يُنفذ جريمته، ركلت
الباب بقدمها بغضبٍ حتى داهمها ذاك الرجل مُجدداً ورفع مديته نحوها عازماً على
قتلها لولا انقضاض جابر عليه وإحاطته بذراعه.

بقي يتحرك جابر يميناً ويساراً وهو يُحيط هذا الرجل المجذوب ويصرخ بقمر:

-نيميه بسرعة-

كان يعلم جابر بقدرتها لذلك أخبرها أن تُنفذ عليه تنويمها المغناطيسي ويتخلصوا من
تلك المُعضلة، أخذت قمر نفساً عميقاً لعلها تُهديء من روعها وهي تُمعن التحديق به
لفترة وجيزة إلى أن غفى الرجل وهمدت حركته ثم سقط على الأرض مغشياً عليه
مُلقياً لمديته أرضاً.

أخفض جابر جذعه ليبحث عن المفتاح حتى أخرجه من جعبة عبد الله واستطاع فتح
الباب بينما كانت ريتا تحمل أحد الصناديق وقمر تحمل الآخر وكلاهما ينتظران جابر
وهو يفتح الباب حتى يرحلوا من هنا بسرعة، لكن، ربما الحياة لن تدعهم وشأنهم
أبدأ، فما إن فتح جابر الباب حتى وجد عدد غفير من الرجال يقفون قبالة المخزن
مباشرة بعد أن استمعوا إلى صوّت الشجار والصياح.

تصلبت أهداب العاملون وهم يجدون هؤلاء الغُرباء يتركون المخزن بوجهٍ أصفرٍ
كقُرص الشمس، تغلغل الغضب حصون الرجال وهم يرمقون كبيرهم مُستلقٍ على
الأرض فاقداً للوعي تمامًا حتى بدا كجُثة فاقدة للحياة فاقدة للحياة بسببهم!!!

وظيفة القلب بدأت تتداخل مع الأقدام، فهو أيضًا يسوق الجسد إلى أماكن عديدة، لكن
الفرق أن الجسد لا يعلم سبب ذهابه لتلك الأماكن....

دخلت مركز الشرطة وهي لا تعلم ماذا ستفعل، فقد عاندت والديها وعصت أوامرهما
رغبة برؤيته والترطيب على هذا القلب المكلوم، جلست داخل حُجرة النيابة بعد أن
توسط لها لؤي حتى تستطيع رؤية نصفها الآخر وإضمار تلك النيران المتأججة
داخلها.

ما هي إلا برهة قصيرة من الزمن حتى انفتح باب الحُجرة وأطل منه ميجو بثيابه
المُهترئة وشعره المُشعث، فهو لم يتم عرضه على النيابة بعد، لكن جميع المؤشرات
تُشير إلى أنه سيبقى هنا لعامٍ من حياته، فهو قد تم إلقاء القبض عليه مُتلبسًا.

جلس بهدوءٍ على المقعد أمامها مُكبلاً بالأغلال، لا يرغب بالنظر في عينيها البريئة
وإغراقها في وحل قذاراته، أراد أن تتشق الأرض وتبتلعه حتى لا يتقابل معها مجددًا،
فهي لا تستحق أن تكون مع شخصٍ مثله، ولم تكن علاقتهما صحيحة مُنذ البداية،
وبعد ما حدث، زادت الفجوة بينهما وأصبح من الصعب أن يُبرر لها.

-ميجو ... أنا ... جيت اظمن عليك

قالتها بهدوءٍ وصوتٍ مُرتجف لم يستطع إخفاء حُزنها الذي تقاطر مع كلماتها، لم يشأ
أن ينظر في عينيها وهو يُجيبها بجفاءٍ رغم ما يعتمر فؤاده من نيران:

-أنا كويس

لاحظت تهربه من نظراتها ومحاولاته المُستميّة لتجاهل قلبه والابتعاد عنها، لكنها آبت أن تتركه يفعل ما يُريد وأصرت على الحديث معه ومواجهته حتى تتخلص من تلك الحروق ويهدأ بالها:

-لؤي قال إنك مش هتاخذ أكثر من سنة إن شاء الله وأنا هجيك في كل الزيارات عشان متحسش إنك لوحدك

حاولت صبغ كلماتها بالأمل حتى يتخلّى عن جفافه ويردخ لبرائتها، لكنها وجدته يرفع حدقتيه الذابلتين نحوها ليُخبرها بقسوة:

-هاتيحي ليه ... أنا مش عايز حد يجيلي ... بالذات إنتِ

كم وُد أن يصفع نفسه على تلك الكلمات القاسية التي يقولها بوجهها، كم أراد أن يتنحّى عمّ يفعله ويعود إليها كما يحدث دائماً، لكنه وجد أن هذا أنسب قرارٍ عليه اتخاذه، فلا مزيد من هذه العلاقة غير المتكافئة، لا بأس من شعوره ببعض الألم الناتج عن وجع الفراق، لكنه أفضل مئة مرة من أن يجعلها تتعلق بأمالٍ واهية ويتسبب بكسر قلبها الرقيق.

-مش عايزني ليه؟ ... ه... هو أنا عملت حاجة؟ ... أنا والله قولت لماما إنني مش هتجوز غيرك، وكمان جيت هنا من وراهم ... وو..

تجمعت الدموع بعينيها وما كادت تواصل حديثها المكثوم حتى قطعها هو بنبرة أليمة :

-إرجعي يا شمس ... وجودك هنا غلط، وجودك معايا غلط من الأول أنا مش مناسب ليكي، ولا عمري هكون مناسب ... أنا كل حاجة في حياتي غلط ... أنا ذات نفسي جيت الدنيا بالغلط ومش عايزك تغلطي إنتِ كمان معايا بالله عليك ارجعي، ارجعي وشوفي حياتك من غيري

ازدادت شهقاتها وبدأ وجهها يتلخخ باللون الأحمر ودموعها تنهمر كالأمطار الغزيرة، كل تلك الدموع لم تمنعها من التشدق بوجع وصوتٍ بدا مُرتفعًا:

-بس أنا مش عايزة اشوف غيرك ... أنا معرفش حد غيرك أصلاً ... ومش عايزة
أمشي

استجمعت قواها وهي تواصل الحديث بآلم:

-صحابي في الجامعة كانوا بيقولولي إن محدش هيجبني عشان أنا واحدة غريبة..

زادت دموعها حتى قطعت نُياط قلبه وهي تقول:

-طلع كلامهم صح ... أنا مفيش حد هيجبني، حتى إنت كمان

لم يتحمل رؤيتها بهذا المنظر، شعر أنه يؤذيها ويجعلها تفقد ثقتها بنفسها، كان يظن أنه يتركها من أجلها، لكنه اكتشف الآن أن عليه مواصلة الحرب معها، لن يترك هذا الملاك البريء يحمل السلاح وحده.

ركع على ركبتيه أسفل رُكبتهما وبقي يُحدق بعينيها ودموعها المُنهمرة والتي جعلته يقول بأسف أراد معه نفي حديثها:

-صحابك كُلهم كدابين وأنا لو رجع بيا الزمن هحبك بدل المرة ألف ومش
هسيبك والله ما هسيبك تاني

رفعت وجهها نحوه لثُجف دموعها المُنسابة كي تُحدق بابتسامته الهادئة الأشبه بالبلسم الذي يُرطب على الجروح، وجدته يرفع أنامله ليُجفف دمعته الواهنة برقة تبعت كلماته:

-خلاص متعيطيش ... أحسن لو دخلو علينا دلوقتي مش بعيد يزودو على قضية
الحشيش قضية دعارة

قهقهت بخفة على دُعابته وهذا ما آراه بالضبط، آراد ألا يرى دموعها ووجهها البريء الذي يتحوّل مرة واحدة إلى وجهٍ ذابلٍ أرهفته تعثرات الحياة، آراد فقط أن

يرى ابتسامتها البريئة ووجها الصافي وكلماتها السانجة البسيطة التي تخترق حصون قلبه، رماها بابتسامة أخيرة قبل أن يعود إلى مقعده ويواصل حديثه بهيام:

**-حَقِّكِ عليا ... إنْتِ متعرفيشِ إنْتِ بالنسبالي إيه ... دا إنْتِ النورِ إلي نورلي حياتي
يا شمس**

اتسعت بسمتها بحرج وهي تُضيف على كلماته بنفس طريقته الهائلة:

-ولا إنْتِ عارف بردو إنْتِ بالنسبالي إيه ؟

ازداد فضوله وهو يسألها:

-بالنسبالكِ إيه ؟

رفعت وجهها نحوه ليرى ابتسامتها وهي تُجيبه بلهفة:

-دودة القز

تلاشت بسمته مرة واحدة وحلّ محلها الغرابة والسُخرية أثناء قوله:

**-دودة القز وأنا إلي عمال أقول إنْتِ نوري ونيني عيني ... وفي الآخر أنا
بالنسبالكِ زي دودة القز!!**

داهمتها وصلة الدفاع عن حقوق الحشرات مُجددًا وهي تهتف:

-ومالها يعني دودة القز ... مش كفاية إنها بتتعب وبتشقى عشان تتحوّل لفراشة

قهقه بمرح على حديثها مُتذكرًا تلك الأحاديث السانجة التي كانت تدور بينهما فيما سبق، لكنه هذه المرة قرر مجاراتها قبل أن تنتهي مُدة الزيارة ولن يستطيع رؤية وجهها مرة أخرى، فكان يُحدق بعينيها بابتسامته المُتأملة وكلماته المسائرة:

-ماشي يا ستي ... خليني أنا دودة القز... وإنتِ الفراشة إلی أنا عايز أوصولها

أحنت رأسها بخجلٍ ما إن داهمتها كلماته الرقيقة ليتحوّل مجرى الحديث بينهما إلى آخرٍ يحفه الهيام والمرح حتى انتهت فترة الزيارة وانتهت معها تلك النيران التي لم تترك قلبيهما وشأنه، لا تزال الرحلة بينهما طويلة، لكنهما سيبدلان قصارى جهدهما حتى يتخلصان من تلك العواقب ويستطيعا الفوز في النهاية....

أن تتخلص من الوحش في مُنطقة عادية، أفضل مئة مرة من أن تتخلص من نفس ذاك الوحش في بُقعة مليئة بالوحوش...

أحاطهم العاملون من كل حدبٍ وصوّبٍ وأمامهما جابر يبسط ذراعيه لحماية ريتا التي تقف خلفه ومعها الصندوق وقمر تحمل الصندوق الآخر وجميعهم يُراقبون هذا الجمع من الرجال الغاضبون العازمون على الانتقام لكبيرهم.

تقدم جابر بضع خطواتٍ لعله يستطيع التبرير لهم بصوتٍ مُرتعد:

-بُصو يا رجالة ... الموضوع مش زي ما إنتو شايفين ... الراجل ده عايش ... حتى.. حتى روجو شوفوه وهتلاقو إن هو عايش عادي

تجاهل أحد الرجال تبريراته وبقي يرمقه بنظراتٍ حادة قال معها:

-رجع الصناديق

لم يكن يعلم الرجل أن تلك الصناديق تخصهم، بل ظنهم مجموعة من المُجرمين يقومون بسرقة قطع الغيار من المخزن، خاصة وهم يحملون صندوقًا يحمل شعار مركز صيانتهم.

تدخلت قمر وهي تتقدم بضع خطواتٍ لعلها تنجدهم من تلك المحنة:

-الصناديق دي فيها حاجتنا ... حتى بُص..

كادت تفتح الصناديق وتُريهم الأسلحة لولا تدخل ريتا بآخر لحظة لتقطع ما تفعله قمر قبل أن تُدمر كل شيء.

-أيوة فيها حاجتنا ... ومن فضلك ابعِدِ إنتِ وهو وسيبونا نمشي من هنا

هكذا قالت ريتا بتحدٍ ليداهمها الرجل بكلماته الأكثر تحدياً وهو يقول:

-وأنا قوت محدش هيمشي من هنا بالصناديق ... طالما الصناديق خارجة من المخزن يبقى تُخْصنا ... ومحدش لو دعوة بيها

تراجع جابر بضع خطواتٍ حتى تَوَقَّفَ أمام الصندوق الذي تحمله ريتا، طالعه ريتا بحيرة لكنه تجاهلها وهو يفتح الصندوق بهدوءٍ ويُخرج أحد الأسلحة مُغمغماً:

-هي الأسلحة دي فيها رصاص ؟

قطبت ريتا حاجبها بحيرة ثم آجابهت بجهل:

-معرفش

أخرج جابر واحد من الأسلحة وهو يقوم بتعميرها مُستخدماً مهاراته الإجرامية التي اكتسبها قديماً.

-يبقى فيها

قالها جابر وهو يرفع السلاح أمام أوجه الرجال الذين ارتعدوا في رُعبٍ وظنوا أن الذي يقف أمامهم ما هو إلا مُجرِّمٌ هارب من العدالة، صبغ جابر صوته بالقيادية التي لا تليق به وهو يقول:

-إبعِدِ يا ضِ إنتِ وهو ... إبعِدِ

رفع الرجال أيديهم باستسلامٍ أمام نظرات جابر الحادة، تحركت ريتا وقمر بخطواتٍ مدروسة خلف جابر اتجاه الباب، بقي السلاح مُشهرًا على أوجه الرجال حتى تأكد جابر أن ريتا وقمر تركتا المركز ومعهما تلك الصناديق، ما إن تأكد من هذا حتى وضع السلاح داخل جعبته استعدادًا للهروب هو الآخر.

-متأخذونيش بقى ... ورانا مشاوير

بصق تلك الكلمات ثم انطلق بأقصى ما لديه داخل المركز وخلفه أولئك الرجال يحاولون اللحاق به والنيل منه، واصل جابر الركض بسرعة حتى قفز بمهارة على سيارة بالية عتيقة ليقفز على المزيد من السيارات مُستخدمًا مهاراته في المطاردة، لم يتوقف الرجال عن الركض ورائه والعدو بين السيارات وداخلهم شُعلات من الغضب من ذاك الأرعن والفتاتين اللتان نفدا بجلدهما.

قفز جابر قفزة مُرتفعة ساعدته على الإمساك بحافة السور ليرفع جسده لأعلى استعدادًا للقفز من الجهة الأخرى، فهو يعلم أن مجموعة من الرجال ركضت صوب الباب حتى تمنعه من الرحيل، لا يعلمون أن الذي أمامهم يُسابق القردة في التسلق على الجدران.

-سلام يا أفندينا...

قالها جابر بشماتة قبل أن يقفز من الجهة الأخرى ويتشبث بأحد الأشجار ثم يقفز على الأرض ويواصل الركض حتى وجد سيارة مخيم تنتظره على قارعة الطريق، فتح جابر باب السيارة واستقلها لينطلق مخيم بأقصى ما لديه قبل أن يجد واحد من عُمال المركز يقطع طريقه....

زفرت قمر الهواء من فمها بأريحية قالت معها:

-الحمد لله ... نجحنا ... ياريت بقى إلي حصل ده ميروحش للوي ... ده ممكن يطلقني لو عرف، كفاية القضايا إلي دخلناه فيها...

أضاف جابر على حديثها بسخرية:

-دا لو قبض علينا مش بعيد ياخذ ترقية

ابتسمت قمر على سُخريته لتتدخل ريتا بالحديث كي تسأل بقلق:

-وهما كدة مش هيبلغو عنا؟

آجابتها قمر كي تُطمئنهما وتذكرها في نفس الوقت:

-إنتِ نسيتي التسجيل ولا إيه ... أكيد إيلي اسمه مش عارفة إيه ده هيكون خايف
مننا

أضاف مخيمر على حديثها ليزيدهم اطمئننا:

-ده غير إنكم مسرقتوش حاجة من المخزن ... دي حاجتنا ... وأنا كمان هتدخل
وهحاول انقل عربية إسلام من المركز ده قبل ما يعملو حاجة....

مرّت عدة أيام حتى اختتم شهرٌ كاملٌ لم يتغير به الأحوال، لا يزال البحث قائماً على
طريقة للتثبيت ولا تزال المطاردات والتحذيرات تغتابهم حتى اعتادوا عليها
وأصبحت جزءاً من حياتهم.

في هذا اليوم وبعد أن اسدلت السماء ستارها وتشدقت بُعتمة الليل والنجوم اللامعة،
كانت داليا ترتمي على أريكة البهو بجسدٍ أنهكته الحياة، قامت اليوم بإزالة ضمادة
يدها أخيراً بعد العديد من المعاناة والعديد من العمليات الجراحية، بقي فقط بعض
جلسات العلاج الطبيعي حتى تعاود استخدام يدها بصورة طبيعية تماماً، فهي لا
تستطيع حمل المواد الثقيلة ولا تستطيع تحريك يدها بمرونة بسبب تلك الإصابة.

كان إسلام جوارها يقرأ من كُتبه الدراسية بإنهاكٍ لا تراه عليه كثيراً، تعلم أنه مُجتهدٌ
بدراسته ووظيفته لكنه لا يُظهر هذا كثيراً أمامها، ربما يخشى أن يتم نعته بالمُجتهد،
وربما لا يُريدها أن تقطعه كما تفعل كل مرة، وكما ستفعل الآن.

-إسلام ... إسلام

نادته بصوتٍ مسموعٍ بدا مُزعجًا بالنسبة له وهو يُغلق الكتاب ويلتفت لها متفوقًا بنفاد صبر:

-نعم يا داليا

رسمت داليا بسملة مُتلهفة على ثغرها وهي تقترب نحوه حتى جلست بجواره لعله يستطيع رؤية نظراتها المتوسلة وهي تقول:

-ما تيجي نروح السينما إحنا مروحناش خالص من أول ما اتجوزنا

اعترض إسلام اقتراحها بقوله:

-هو إحنا مش شوفنا كل الأفلام إلكي في السينما ؟

كانت تعلم داليا أنه سيتحجج بتلك الحجة لأنها دائمًا ما تطوف بروحها وتُشاهد العروض السينمائية دون أن تدفع ثمن التذكرة ودون أن يُلاحظها أحد، وعادة ما كان يُرافقها إسلام حتى تتسنى لها التعليق معه على أحداث العروض ويسخران منها كما يفعلان دائمًا، فلا أحد سيتذمر من حديثهما الذي لا يسمعه أحد من الأساس.

-يا إسلام أنا عايزة اروح السينما بحق وحقيقي ... عايزة احس بملمس الكرسي المريح ... أكل فشار، يبقى ليا كرسي أقعد عليه، كدة

تقدم إسلام بجذعه وهو يحاول تلبية طلباتها بطريقته الخاصة:

-يا ستي لو عايزة فشار ... أنا هقوم اعملك بس تسبيني اذاكر

زمجرت داليا بغضبٍ من حديثه حتى انقلبت توّسلاتها إلى نبرة هجومية وهي تهتف بوجهه:

-قوم بقى بطل سخافة إحنا متفسحناش خالص من أول ما اتعرفنا على بعض

كذب إسلام حديثها حتى لا تنتصر عليه بتلك المعركة:

-ليه وأنا مش جبتيك قبل كدة أيس كريم؟ ... وروحت قعدتك في كوكي بارك؟

ازداد الحنق على وجه داليا وهي تتشوق ببعض السخرية:

-يا إسلام هو إنت فاكرنى بنت أختك أنا عايزة اتفسح فسح كبار ... فسح متجوزين

تجمع الهواء داخل جوف إسلام ليُطلقه على هيئة أنفاسٍ مُحملة بنفاد الصبر من تلك التي لا تتوقف عن اللاحاح، لا يعلم من عبث بعقله وأخبره أن الزواج هو الحل الوحيد للحياة السعيدة، يقسم أنه سيذهب إلى مشفى الأمراض العقلية بسببها.

-ماشى يا داليا ... ادخلي البسي وتعالى نروح السينما

قالها مُجبرًا حتى يتخلص من الحاحها وتتركه فيما بعد يواصل المذاكرة بهدوء، أما عن داليا، فكانت تُصفق بحماسٍ وطفولية وهي تبتعد عن الأريكة وتهرع نحو حُجرتها لتتجهز، لكنها قبل أن تخط خطوة بعيدة عن زوجها حتى سألته بفضول:

-هنروح فيلم إيه؟

فكر إسلام هنيهة في ماهية ما سيُشاهدانه، وأدرك أنهما شاهدا مُعظم الأفلام التي يتم عرضها وهما مُجرد أرواح عابرة، انتهت أفكاره بابتسامة ماكرة وكلماتٍ مُطمئنة جعلها واضحة حتى تثق به وبإختياراته:

-هندخل فيلم كوميدى ... وأنا إللى هختاره....

صوت صُراخها كاد يخترق الجدران وهما في تلك القاعة السوداء وحولها العديد من الأشخاص المُنهَمكون بمشاهدة الفيلم، ارتعدت أطراف داليا وهي تُشاهد شاشة العرض التي تعرض فتاةً وجهها مليءٌ بالدماء وملامحها مُتدثرة لا يظهر منها شيئاً، تجد تلك الفتاة المُخيفة تدثر أصابعها في عين رجلٍ مسكين يطالعها برعبٍ لا يختلف عن الرعب الذي لا يترك وجه داليا بعد أن أدخلها إسلام هذا الفيلم الـ " كوميدي."

-يا إسلام وحياتك خalina نخرج من هنا

قالتها وهي تنكمش على نفسها بجوار إسلام الذي كان يُشاهد العرض بابتسامات واسعة بدت مُختلة بالنسبة لها، وحفنة من البوشار يُدخلها فمه كما لو كان يُشاهد عرضاً كوميدياً بالفعل:

-إيه يا حبيبتي ما الفيلم حلو أهو دا لسة هتاكل دراعه

أخفت داليا عينيها حتى لا ترى تلك المرأة المخيفة وهي تبقر بطن الضحية وتنتشل فؤاده، كادت الدموع تنهمر على وجه داليا وهي تهتف بتؤسل:

-يا إسلام أبوس إيدك خalina نُخرج من هنا

زادت قهقهات إسلام الشامتة وهو يراها مُنكمشة على نفسها تستمع إلى كلماته اللامبالية:

-مش إنتِ إالي عايزة تدخلي السينما ... أهو ده الفيلم الوحيد إالي مشوفنهاش

غضبت داليا من لامبالاته فهتفت بصوتٍ مُرتفع:

-أنا مش عايزة اشوفه ... خalina نمشي بقي

أدت كلماتها المُرتفعة لغضب الرجل الذي يجلس خلفها والذي نهرها:

-لو سمحتي يا مدام خalina نتفرجولو عايزة تمشي اتفضلي من غير إزعاج

تنهدت داليا بضيقٍ ورغبة عارمة داخلها بصفع إسلامٍ وتلقينه درسًا على تلك الخديعة، فهو لم يُخبرها باسم الفيلم ولم يجعلها تأتي معه وهو يقطع التذاكر حتى يُفاجئها بهذا الفيلم الذي لا يتمتع به سوى الراغبون بجلد الذات، أو المختلون عقليًا.

عاد كليهما إلى المنزل ولم تتوقف تدمرات داليا وسبابها لإسلام طوال الطريق حتى فتح إسلام باب المنزل:

-تاني مرة .. أنا إللي هقطع التذاكر وأنا إللي هختار الفيلم ياما هروح بقي السينما من وراك ولوحدى

لم يهتم إسلام لحديثها المُهاجم وبقي يُحادثها بهدوءٍ وبرودٍ وهو يدفع الباب ويستعد لدخول المنزل:

-ماشى يا حبيبتي ... روحى السينما لوحدك، أنا مش هقولك حاجة

كادت ترد على بروده حتى تُثير حنقه كما يفعل معها دائمًا، لكن جسدها تصلب مرة واحدة كما تصلب إسلام هو الآخر أمام هذا الذي يجلس على أريكة منزلها بأريحية ويوليها ظهره كما لو كان منزله.

خرجت شهقة نابية من جوف داليا وعاود جسدها بالارتعاد مُتذكرة هذا الفيلم الذي كان عبارة عن شيطانية تتجسد بجسد إنسان وتدخل البيوت دون إذن صاحبها حتى تلتهم من بالمنزل، هذا الفيلم اللعين جعل مخاوفها تزداد أضعافًا وهي ترى أمامها هذا الغريب الذي يبدو أنه لا يُلاحظ وجودهما من الأساس.

تجهمت ملامح إسلام وهو يتقدم فورًا نحو هذا الرجل ثم يهتف بغلظة:

-إنت مين ؟... ودخلت هنا إزاي ؟

ارتعدت فرائس الرجل وهبٌ واقفًا يُبادل نظراته بينهما في تيهٍ ووجهه ينم بالتعجب، بينما كان إسلام يُطالعه بغضبٍ عارمٍ وكان على شفة جرفة بالاتصال بالشرطة حتى تُلقى القبض على ذلك اللص.

-إنطق يا جَدع إنت ... ولا عايزني أكلم البوليس

كان إسلام يُحادثه كما لو كان شرطياً يقوم بالقبض على أحد المُجرمين، بينما كان الرجل لا يزال في عُمره تيهه ونظراته المتبادلة بينهما حتى انتهى به الأمر بسؤال:

-هو إنتو ... إنتو شايفني ؟

تعجبت داليا من سؤاله فأخذت تُغمغم بسُخرية:

-هو شايفنا عُمي ولا إيه ؟

انتبه إسلام لغمغمتها لكنه لم يكثر لها وهو يقترب أكثر نحو هذا الرجل لِيُحادثه بنبرة غليظة أكثر:

-ولاا... انطق وقول إنت تبع مين بدل ما البوكس بييجي يلمك

كانت عوالم الرجل هادئة وهو يقول مُطمئناً:

-متخافوش أنا محدش يقدر يشوفني

تهكم إسلام من حديثه الذي لم يُصدقه:

-ليه إن شاء الله ... عندك قوة خارقة ؟

اتسعت بسمة الرجل وهو يُجيب بهدوء:

-لأ أنااا... أنا زي عفريت كدة ... مش كل الناس تقدر تشوفني ... ناس مُعينة

بس

كان يُلمح على شيءٍ ما لكن تلميحاته لم تصل إلى داليا وإسلام اللذان كانا شبه متيقنان أنه لصٌ ويقول تلك الكلمات حتى يتركانه وشأنه، ازدادت حدة إسلام وهو يقول باستهجان:

-إنت فاكِرنا عُبَط ولا إيه ... عايز تقولنا إنك عفريت، عشان نسيبك تسرق الشقة وتنفد بجلدك وتطلعنا مجانيين في الآخر لا يابابا، دا إيلي قدامك صايع ومعديها ... وعارف الشغل ده كويس

تلاشت بسمة الرجل وحاول طمئنتهما مُجددًا بنبرته الهادئة:

-لا والله أنا مش حرامي وممكن تتأكدو بنفسكم إن محدش تاني يقدر يشوفني

أحنى إسلام جذعه لينزع حذائه وهو يقول باستنكار:

-ماشى يا خويا ... لما نشوف مين فينا إيلي عفريت

أنهى الحديث وهو يُلقي الحذاء بقوة على الرجل، لكن الحذاء اصطدم بالخطأ بالتلفاز وكان الاصطدام قويًا أثر على شاشة الجهاز وجعله يسقط على الأرض.

أطلقت داليا شهقة مرتفعة كادت تؤدي إلى توقف قلبها عن تأدية وظائفه، فتلفازها العزيز لا تعلم إن كانت ستستطيع استخدامه مُجددًا أم لا، هرعت فورًا نحو جهاز التلفاز وخلفها إسلام يطمئن على أمواله التي دفعها بهذا الجهاز ذو الشاشة العريضة.

-إيه يا إسلام إيلي عملته ده التلفزيون باظ....

قالتها داليا بصوتٍ غاضبٍ وهي ترفع الجهاز عن الأرض بمساعدة من إسلام الذي كان يُحاول تبرير فعلته:

-مكنش قصدي أجيبها في التلفزيون أنا كنت بحدقها على....

قطع حديثه وهو يتلفت جهة هذا الرجل الغريب الواثق أمام التلفاز مباشرة ويبدو أنه لم يتحرك أثناء تلقيه تلك الضربة، اتسعت حدقتا عينيه في ذهولٍ كما اتسعت حدقتا داليا هي الأخرى وتحوّل غضبها مما فعله إسلام، إلى تفاجئها من هذا الرجل الذي ظهر فجأة وجعل كلاهما يقولان بدهشة:

- عفريت...!!

الفصل الثالث والعشرون (البوابة !!)

عليك أن تحذر السعادة والراحة، فلا يأتي بعدهما سوى شوطاً من المشقة والأزلام....

تبيست أجسادهما على الأرض وتصلبت نظراتهما أمام بعضهما، ربما تلك ليست أول مرة يتقابلان فيها مع مُتنتقلٍ آخر، لكن هذه المرة هي الأصعب، فدائمًا ما يذهبان إلى المتنقلين بأرجلهم، تلك أول مرة يأتي المُتنتقل منزلهما، بل ويجلس معهما وكأنه على صلة بهما.

مرّت بُرهة وجيزة من الصمت والتحديق حتى قرر إسلام إنهاء الأمر والتحدث مع ذاك المُتنتقل الذي على الأحرى سيجد صعوباتٍ بحياته وربما تُطارده تلك المُنظمة المُختلفة إذا لم ينصحه بالثبوت... سينتهي بهما المطاف وهم ينصحان جميع المُتنتقلين بالثبوت وهما بالأساس لا يعلمان الطريقة للوصول إلى ذلك.

اقترب إسلام صوب ذاك الرجل ذي الملامح الهادئة عكس بقية المُتنتقلين، فلو هلة الأولى، تظنه رجلاً عاقلاً بأخلاقٍ شعرة البنية المُرتبة وقميصه الأزرق الأنيق، بل وبشرته ناصعة البياض وعيناه الزرقاء البارزة أوهمتهما أن مكانه ليس هنا، ليس وسط هذه العائلة المجنونة.

طالعه إسلام بنظراتٍ مُتشككة أشبه بنظرات القطط وهي تُراقب شيئاً جديداً يأتي منزلها، واصل التحديق بهذا الرجل الذي ابتسم بسمة هادئة مُطمئنة وهو يقول ببعض الارتباك:

-أنا آسف إنني أزعجتكم ... أنا مكنتش اعرف إنكم متنقلين زيي أناااا... بلف
وبدخل أي بيت

كاد يواصل الحديث لكنه توقف أمام نظراتهما الحادة المُترقبة والتي جعلته يتحمم ويُقرر التعريف بنفسه أولاً:

-أنا اسمي رؤوف جويده

ربط إسلام ذراعيه وهو يُطالعه بتشفٍ أنهاه بسؤال:

-وايه اللي بيخليك تلف على البيوت شغال طيار

تدارك رؤوف سُخرية إسلام التي جعلته يزداد توترًا وهو يحاول التفسير:

-لا أنا_

قطع حديثه صوّت رجلٍ يخترق منزلهما دون استئذانٍ وينقض على رؤوف من وراء ظهره وهو يهتف بمرحٍ حمل العديد من طيّات الاشتياق:

-أه يا رؤوفو ... وحشتني يلا ... هو ده البيت إللي هنسهر فيه ؟

كان الرجل الآخر يحمل نفس ملامح رؤوف بحذافيرها، نفس تلك العيون الزرقاء ونفس هذه الخُصلات البنية والبشرة البيضاء باختلاف ثيابه التي كانت مكونة من سُترة صيفية قمحية وبنطالٍ بُني، ولم يكن ينتبه هذا الرجل إلى نظرات داليا الحانقة ونظرات إسلام التي تجعلك تعتقد أنه سيلكم هذين الدخيلين، بل وتلك الطفلة الصغيرة التي كانت تتشبث بالرجل الآخر بابتسامتها البريئة وجديلتها التي جعلتها ملاكًا بريئًا يتربع فوق عرشٍ من الغيوم.

-أهلاً ... إزيك يا تالا عاملة إيه ؟

اتسعت حدقتا إسلام وداليا وهما يُشاهدان تلك الطفلة الصغيرة تُصافح رؤوف وتبتسم له، بل وتُجيب على أسئلته كما لو أنها تراه وتسمعه، إذا هذه الصغيرة أيضًا من المُتقلبين، وهذا الشبيه لرؤوف مثلهم ... أو أن إسلام وداليا بدأ يفقد عقلهما جراء ما يحدث.

تابع إسلام أحاديث تلك العائلة في صمتٍ وداليا بجواره تُريدهم أن ينتهوا حتى تُخبرهم أنهم داخل منزلهما وأنهما يستطيعان رؤيتهما، لكن حتى هذا، لم تستطع قوله بسبب صوّت جابر الذي اخترق مجلسهم وهو يهتف بتذمر:

-بقولكم إيه ... إلی اسمها سُمیة دي جابتلی صداع ...و-

تیبس جسد جابر أمام هؤلاء الغرباء الواثبون داخل منزل إسلام ودالیا، بقي الذهول یُلطخ وجهه ویجعله فی حالة من الصمت حتی أرفد إسلام بسُخریة واستهجان:

-کمل یا جابر کمل ... أصله مبقاش بیت ... بقی فُندق للأرواح ناقص نأجرکم
أوض بدل وقفتکم دي

ازردد جابر ريقه وهو یبرر ثم یشير علی الباب:

-لأ والله أنا مش روح ... أنا لقیة الباب مفتوح عشان كدة عرفت ادخل

انتبه شبیه رؤوف لبقیة الأشخاص حوله والذي أدرك للتو أنهم یستطیعون رؤیتهم، وهذا ما جعله یبادل نظراته ما بینهم و بین رؤوف حتی غمغم بتساؤل:

-هو إنت تعرفهم ولا إيه ؟

ربت رؤوف علی کتف شبیهه ثم استدار نحو دالیا وإسلام لیبرر لهم:

-دا فاروق .. أخویة التوأم ... ودي بنته تالا

أنهى الحدیث وهو یشير علی الطفلة الصغیرة المُتدثرة خلف ظهر والدها خوفًا من أولئك الغرباء، فلطالما كانت الطفلة الخجولة التي لا تعتاد سریعًا علی الآخرين.

تناسی جابر سبب ضيقه وقرر أن یقترب منهم لیری ماهیة هذا الرجل الغریب وعائلته، والعجیب أن تلك الطفلة قد توارثت التنقل كوالدها، وهذه إضافة جدیدة تُضاف إلی الحقائق التي تتکالب علیهم كالأمطار الغزیرة.

-طیب یا رؤوف ... خلیک مع ضیوفک ... وأنا هاخذ تالا ونبقى نتقابل مرة تانیة

قالها فاروق مُستئنذناً وهو يتمسك بيد ابنته ويرحل بهدوءٍ عن المنزل مُخترقاً الجدار أمامهم هو وابنته، ارتكن جابر على الأريكة وكله آذان صاغية لمعرفة هذا الغريب الذي أتى هذا المنزل صدفة دون أن يعلم أنه سيلقى أمثاله، وهم أيضاً لا يزالوا يجهلون سبب تنقله على المنازل وكأنه شريدٌ بلا مأوى.

جذبت داليا أحد المقاعد لتجلس عليها بينما جلس إسلام بجوار رؤوف ولا تزال نظراته المُترقبة تُغرقه وكأنه ارتكب جُرمًا وإسلام على وشك أن يُلقى القبض عليه.

ازداد الخناق على رؤوف حتى شعر بعدم الراحة وهو يُراقب نظراتهم التي تُحيطه كالسور، ازدرد ريقه ليستجمع الكلمات داخل رأسه قبل أن يبدأ الحديث باعتذار:

-أنا آسف كمان مرة على إللي حصل ... أصل أنا قولت لفاروق يقابلني هنا عشان نتكلم وكدة ... أنا كل شوية بختار شقة عشوائي عشان نتقابل فيها

كان مُهذبًا زيادة عن اللزوم حتى أراد إسلام أن يطرده من المنزل دون أن يسبه وأو يتواقح معه، فلا يبدو هذا الرجل من النوع الهمجي المُعقد الذي يقابلونه منذ اكتشفوا تلك اللعنة.

انتصر فضول إسلام بالنهاية وجعله يسأل:

-وليه بتختار شقة عشوائي ... ما تقابل اخوك في شقتك ... وبعدين ليه أصلاً تقابل اخوك وإنت روح ؟

تململ رؤوف بجلسته وقد بات التوتر على وجهه جليًا، لا يعرف حقًا كيف يُفسر لهم حقيقة الأمر، لهذا السبب احتفظ بحالته الصامتة لفترة وجيزة ازدادت معها نظراتهم المُتلهفة حتى قرر أن يفصح عن الحقيقة:

-لأ ما هو أنااا ... أنااا...

نقد صبر داليا وهي تقول:

-إنت إيه ؟

أخذ رؤوف نفساً عميقاً ثم أطلقه وهو يُلقي قُنبلته مرة واحدة:

-أنا ميت

لحظة واحدة ... هل قال للتو أنه ميت !! هل يُخبرها أن الفيلم الذي رآته بالسينما سيتحقق الآن؟! هل ستري روحاً لشخصٍ ميتٍ تُمثل الهدوء والسلام ثم تنقلب عليهم وتلتهمهم واحداً تلو الآخر!!

تباً لك يا إسلام، هذا الفيلم جعلها تخلق العديد من السيناريوهات السيئة داخل رأسها وعلى الأحرى لن تستطيع النوم أبداً هذه الليلة.

-م..م..ميت !!... ميت يعني إيه ؟

قالها جابر بصوتٍ مُرتعد وجسدٍ يبدو عليه الارتجاف، فلا أحد أخبره من قبل أنه يستطيع رؤية الموتى، ولم أول ميتٍ يراه يكون هذا الغريب، أليس من الأفضل أن يرى أحد المشاهير القدامى الذين لقوا حتفهم.

لاحظ رؤوف ارتباكهم فقرر تفسير حديثه أكثر حتى لا تنجرف شكوكهم إلى أشياءٍ أخرى، بل هي بالفعل انجرفت.

-أنا مش قصدي ميت زي ما إنتو فاكرين أنا قصدي ... الناس فكراني ميت ...
لكن أنا لسة عايش

زادت كلماته من حيرتهم حتى انفجر إسلام بوجهه بنفاد صبر وسُخرية:

-ما تخلصنا يا عم كرومبو ... يعني إيه ميت ومش ميت، إنت هتعمل فيها عمرو دياب وهو بيقول أنا عايش ومش عايش

تنهد رؤوف بعمقٍ وهو يستجمع حديثه داخل رأسه ويُقرر أن يفصح عن الحقيقة التي أخفاها طوال حياته، أخفاها لأن تذكرها يُصيبه بالضيق وربما يجعله ميتًا يومًا تلو الآخر، كان العبوس بادٍ على وجهه وهو ينكس رأسه لأسفل وإن كان داخل جسده المادي لانهمرت دموعه وأحدثت بركة كبيرة من الدموع الحارقة.

-السنة إلهي فاتت وأنا سايق العربية-

أخذ نفسًا عميقًا ليمنع حشجة صوته أثناء المواصله:

- عملت حادثة ... حادثة كبيرة ... وكان معايا ... مراتي وابني...

توقف بُرهة عن الصمت ثم واصل بنبرة أليمة تذكر معها حركة السيارة وهي تنقلب به وصوت صغيره الذي يصرخ باستنجد كزوجته العزيزة التي كانت تحاول الالتفات نحو صغيره حتى تستطيع حمايته، لكنها حتى لم تستطيع حماية نفسها، لم تستطيع حماية صغيرهما حتى، تذكر_ وهو يتحدث معهم_ مشهد الدماء والزجاج المُهشم في كل مكان، تذكر دموعه المُنهمة وهو يُحرك جسد زوجته ويكتشف أنها أصبحت جسدًا فانيًا بلا حياة، أخرج نفسه بصعوبة بالغة خارج السيارة متجاهلاً جروحه الغائرة والدماء المُنبثقة في كل مكانٍ حوله، متجاهلاً صوت سيارة الإسعاف والهمسات من حوله والتي كانت عبارة عن حوالة وكلمات متراشقة مُشفقة.

حاول رفع سيارته بجسده الواهن ليتصلب مكانه مرة واحدة وهو يرى صغيرة مليءً بالدماء ورأسه تكاد تنفصل عن جسده، يرى عينيهِ الصغيرة المثقوبة وشفتيهِ الزرقاء التي جعلته يتأكد تمامًا أنه لقي حتفه كوالدته، تذكر صُراخه المُرتفع ومحاولة المُستعفين انقاذه لعله الناجي الوحيد من ذلك الحادث الأليم.

بقي يسأل نفسه أكثر من مرة عن سبب نجاته من تلك الحادثة، لم تُوفيت زوجته الحبيبة وطفله الوحيد بتلك الطريقة؟ وهو السبب في وفاتهما، نعم، هو الذي كان يسير على سرعة مئة ليثبت لزوجته أنه ماهرٌ بالقيادة، وياليتها لم يقد تلك السيارة اللعينة من الأساس، على الأقل كانت ستضحى معه الآن.

عادت ذكرياته إلى الوراء أكثر حينما وجد أنه لن يستطيع العيش بهذا الذنب طوال حياته، لن يستطيع العيش وهو قد تسبب بمقتل أكثر اثنين يهيم بهما، لهذا السبب قرر أن يترك جسده أثناء وضعه داخل سيارة الإسعاف استعدادًا لتلقيه العلاج، قرر أن يهيم الجميع أنه لقي حتفه كبقية أسرته حتى لا يعيش بهذا الذنب طوال حياته.

-ومن ساعتها وأنا كدة ... سيبتهم يدفنو جُثتي وياخدو عزايا ... عشان مش عايز أعيش تاني

أنهى حديثه بتلك الكلمات المكلومة والتي جعلتهم يُطالعونه بإشفاقٍ كادت تُذرف معه الدموع، اقتربت داليا بجذعها حتى تسأله بفضولٍ وشجن:

-وانت هتفضل كدة بقية حياتك ؟

لم يرفع رؤوف رأسه عن الأرض وهو يُحرك رأسه نفيًا أثناء إجابته:

-لأ أنا بقالي شهر بدور على البوابة...

رفع رأسه ليواجههم وهو يواصل الحديث بعلمية:

-أنا أصلًا عالم ... واتخصصت في الروحانيات وعلوم ما وراء الطبيعة بعد ما اكتشفت إلهي اقدر عمله ... عملت دراسات كتير عن التنقل والهيئة النجمية وكمان التثبيت ... بس البوابة ... هي دي الحاجة الوحيدة إلهي لسة مش عارف أوصلها ... ومتأكد إن هي دي الحاجة الوحيدة إلهي هتنقل روعي للعالم الثاني عند مراتي وابني

اتسعت حدقتنا إسلام في ذهول وكذلك داليا التي بادلت حدقاتها معه وهما يُفكران بحديثه، هل قال للتو أنه عالم ؟ هل قال أنه أقام العديد من الدراسات عن تنقل الأرواح والهيئة النجمية ؟ إذا يُمكنه أن...

توقفت أفكار إسلام عند تلك النقطة وهو يتقدم بجذعه هادرًا بلهفة:

- هو إنت قولت إنك عملت أبحاث عن التنقل والهيئة النجمية ؟

طالعه رؤوف بغرابة وهو يوميء برأسه إيجاباً ليوصل إسلام سؤاله بنفس هذه
اللهفة:

-يعني تعرف تخلي حد مش مُتنقل ... يكون مُتنقل تاني ؟

قطب رؤوف حاجبيه والغرابة تزداد أكثر على وجهه، لمَّ يريدان أن يتنقلا وهما
بالأصل مُتنقلين ؟

-أه عارف..

تدخلت داليا لتسأله بلهفة كلهفة الأطفال حينما يُدركون أن اللعبة التي يبحثون عنها
لسنواتٍ أمام أعينهم:

-طب تعرف طريقة للتثبيت ؟

علَّق إسلام على حديثها مُتذكراً ما حدث فيما سبق:

-أصل إحنا لما عملنا التثبيت أول مرة ... الروح فضلت برة الجسم ومعرفتش تدخل
تاني

أضافت داليا على حديثه مُكملة ما حدث:

-وتاني مرة عملنا التثبيت على اتنين لقتاهم اتبدلو

حافظ رؤوف على طريقته العلمية وهو يشرح لهما:

-لو انتو فعلاً جربتو التثبيت ... يبقى لازم تعرفو إن أثناء عملية انتزاع الهيئة
النجمية ... الجسم بيتعرض لذبذبات بتخليه يدخل في مرحلة الاسقاط النجمي

القسري، ودا معناه إن روح الانسان بتخرج من الجسم بدون إرادة الشخص
بس الروح تقدر ترجع للجسم تاني ...بس..

تقدم بجذعه وهو يتكيء على حروف كلماته:

-لازم يرجع بسرعة قبل ما الهيئة النجمية تتشال

آعاد جسده للوراء وهو يواصل التفسير:

-الحالة الأولى ملحقتش ترجع جسمها ... عشان كدة معرفتش ترجع تاني ... أما
الحالتين التانين، فوارد جداً إنهم كانوا يفكرو في بعض أثناء عملية التثبيت ... ودا
إلي خلاهم يتبدلو ... وطبعاً مش هيعرفو يرجعو غير لما تنزرع الهيئة النجمية
تاني

حالت بينهما حالة من الصمت وهما يفكران بحديثه ويربطاه مع ما حدث معهم،
بالطبع هذين العصفورين الغارقين في بحور العشق كانا يفكران ببعضهما أثناء
التنقل، وبالطبع بطة لم تستطع العودة لجسدها لأنها كانت في حالة خدرٍ أثناء
تعرضها للتثبيت.

قطع حديثهم صوت خريير جابر الذي داهمه النوم وهو يجلس على الأريكة، فبالطبع
سيلقاه النوم وهم في هذا الوقت المتأخر من الليل وهذا الذي يتكلم بطريقة علمية
تجعله يُصاب بالنعاس، حقاً، صدق من قال أن المُذاكرة هي أفضل دواءٍ للنوم.

طالعه رؤوف بحيرة لكنه تلفت مجدداً صوب إسلام الذي وثب عن الأريكة متفوّهاً:

-سيبك منه وتعالى معانا ... عايزين نوريك الأجهزة إلي عندنا عشان تشوف نقدر
نعمل هيئة نجمية تاني إزاي

أضافت داليا على حديث إسلام لتزيده أملاً:

-ده غير إننا نقدر نفتح البوابة ... إحنا عملناها قبل كدة

حظت عينا رؤوف بلهفة ما إن ذكرت أمامه أمر البوابة، فهو يبحث عن طريقة لفتحها حتى كاد يُداهمه الاستسلام ويضطر للبكاء على الأطلال والاكتفاء بحياته كروح طائفة حتى يأتيه الفرج.

-بجد !!... إنتو بتعرفو تفتحو البوابة ؟

قالها رؤوف بعدم تصديقٍ ليجيبه إسلام بثقة:

-أيوة بنعرف بس عايزينك الأول تقولنا إزاي نزرع هيئة نجمية ونعمل التثبيت بطريقة صحيحة

ارتسمت بسمة هادئة على شفتي رؤوف وهو يوميء برأسه بموافقة ويتبع إسلام حيث الحُجرة التي وضعت الأجهزة داخلها لتضحي جاهزة لعمليات التثبيت، وطأت أقدام رؤوف هذه الحُجرة وبقي يتجول بين الأجهزة وتلك الأسلاك والمؤشرات، يعتصر عقله حتى يتذكر أبحاثه ويتذكر الأدوات البسيطة التي استخدمها وهو يقوم بزرع هيئة نجمية على عينة تجريبية من القردة لأول مرة، وبما أن التجربة نجحت ولقت نجاحًا باهرًا، فهي بالطبع ستلقى نفس هذا النجاح هنا، وبذلك الأدوات.

-مش هتحتاجو أدوات تانية ... ممكن تزرعو الهيئة النجمية بالأدوات دي ... بس الـ ghost fellow هتستخدموه بطريقة مُختلفة ... وجهاز الدماغ الشوكي هتخلو الردارات لجوة الجسم مش لبرة ... وكمان...

توقف عن الحديث وهو يلتفت نحوهما ويقول بأسف:

-للأسف مش هقدر ادلكم معلومات دقيقة لأن البحث مش فاكِر تفاصيله...

صمت بُرهة عن الحديث أمام خيبة أملهما والتي حوّلها لشعلة من الطمأنينة وهو يواصل:

-بس البحث ده عملتو مع زميلة ليا ... وهي كمان مصرية زيي ... ممكن اقولكم اسمها وانتم تروحو تجيبو البحث منها ... بس...

أخفض رأسه بيأسٍ كاد يزرِف معه خيَبات الأمل وهو يواصل بنبرة منخفضة تشعر بالذنب:

-هتكونو عملتولي جميلة لو خليتوني اتواصل معاها قبل ما تديكم البحث ... أصلها شايلة مني

داهم الفضول وجه داليا وهي تتابع حديثه وتسال:

-وهي مين البنت دي ؟

رفع رؤوف رأسه نحوهما كي يجيبها بصدق:

-اسمها ساندي الملواني

ما إن بصق أمامهما هذا الاسم حتى اتسعت حدقتنا إسلام وداليا اللذان بادلا النظرات في صدمة لمعرفة الثيقة بهذه الفتاة، بل يعلمان أيضاً أين هي، انتهت نظراتهما وهما يقولان بصوتٍ مسموع لا يُصدق هذه الصُدفة:

-ساندي....!!

دائماً ما تأتيك الفرص حينما تتوقف عن البحث عنها....

أشرقَت شمس يومٍ جديدٍ وكانت السماء صافية مُلبدة بالغيوم الكثيفة والنسمات الخريفية العليلة، أنهت داليا ارتداء ثيابها وأضحت جاهزة لترك المنزل والتوجه إلى العمل، لكنها قبل ذلك آرادت أن تنتهي مما تُريده وما يجب عليهما فعله أولاً، خطوة صغيرة فقط هي ما تفصلهما عمَّ يُريدان فعله وتحقيقه طوال هذه الأشهر.

كان إسلام يقف في حُجرة الطُعام يُعد لنفسه شطيرته المُفضلة والتي هي عبارة عن مزيجٍ من المُربي والحلاوة، أخذ قزمة من تلك الشطيرة وهو يُتابع زوجته تدخل

حُجرة الطعام وتستعد لاعداد كوب من الشاي مع الحليب لعلها تحتسيه قبل الذهاب إلى العمل.

وقفت قبالة البراد الكهربائي تنتظر غليان المياه وهي تستمع إلى سؤال إسلام:

-جابر لسة نايم؟

تذكرت داليا جسد جابر المسجي على الأريكة من البارحة وكأنه لم ينم ليومين كاملين، فقد تركاه إسلام وداليا وقررا ألا يوقظانه حتى الصباح، بل أنه لم يستجب لمحاولاتهما من الأساس وبقي نائمًا كالقتيل.

أومات داليا رأسها وهي تُجيبه:

-أه حاولت اصحيه ومعرفتش

همهم إسلام بتفهم ثم سألها:

-كلمتي كوكي وقريبتها؟

أومات داليا مُجددًا وهي تُجيب:

-كلمتهم ... تلاقهم على وصول دلوقتي

ما كادت تُنهي حديثها حتى استمعت إلى صوت الباب يصدح عاليًا؛ استأذن إسلام وهو يترك حُجرة الطعام عازمًا على فتح الباب واستقبال الضيوف ثم ترك المنزل بأكمله حتى لا يتأخر على عمله.

فتح إسلام الباب ليلقى أمامه كوكي ومعها ابنتها الرضيعة تجلس على فراشها المُتحرك، وكانت ساندي جوارها ترسم بسمه هادئة وهي تُرحب بإسلام من بعيد قبل أن يستأذن من كليهما ويترك المنزل، لكنه قبل أن يرحل لمح نظرات رؤوف المُرتابة وأحس بنفحات الندم تنطلق من عينيه ما إن تقابلت نظراته مع ساندي، فقد طلبت منه

داليا أن يبيت معهما على أمل أن يُساعدها على رؤية ساندي وطلب السماح منها حتى وإن كانت لن تسمعه، يكفي فقط أن يتأكد من أنها سامحته عمّ تسبب به سابقًا.

وطأت ساندي المنزل ببسمة مرحة وخلفها كوكي تتعجب من تلك الزيارة المفاجئة والتي أكدت داليا على ضرورتها، عانقت كوكي داليا وهي تُرحب بها كما رحبت داليا بساندي بعناقٍ بسيطٍ قطعته ساندي وهي ترمق جابر المُتسطح على الأريكة ساقطًا في سُبَاتٍ عميقٍ جعلها تتعجب من أمره وتَسأل:

-إيه ده !! ... هو ماله ؟

كان سؤالها قلبيًا لعل مكروهاً أصاب جابر وجعله يسقط كالقتيل على الأريكة، لكن داليا طمأنتها بإجابتها:

-لا متقلقيش ده نايم تلاقي سُمية مش مخلياه عارف ينام

قطبت ساندي حاجبيها وهي تسأل بفضول:

-سُمية !! ... هو متجوز ؟

نفت داليا حديثها بقولها:

-لا مش متجوز بس سُمية قاعدة عنده في البيت لفترة مؤقتة

سقط فك ساندي في ذهول وهي تقول:

-إيه !!... هو ينفع ؟ ... كوكي قالتلي إن هنا مينفعش ولد وبنيت يقعدو لوحدهم في البيت من غير ما يكونو " in a relationship على علاقة"

نمت قهقهة خافتة على وجه داليا وهي تؤكد على حديث ساندي التي عاشت أغلب حياتها في الخارج ولا تعرف الكثير عن قواعد تلك البلدة:

-لأ ما هي سُمية مش بنت ... أو مش بنت أوي يعني ... بوصي هو الموضوع معقد
شوية تبقى كوكي تشرحك بعدين

لم تكن تعرف كيف تُخبرها أن سُمية داخل جسد إحسان والجميع يراها كرجل، فحتى
تصديقها لتلك الحقيقة بات صعبًا عليها، وكان صعبًا على ساندي التي طالعتها
بحيرة ثم تجاهلت الأمر واتجهت صوب الأريكة حينما لمحت جابر يتململ في نومته
وبدا أن مفعول المُخدر بدأ يترك جسده وبدأ يُعيده إلى الحياة مُجددًا.

تثائب جابر وهو يتماطأ ولم يكن يعلم أنه غرق في النوم ليلة البارحة، فقد كان
يتصرف كما لو أنه ينام على مضجعه وفي منزله الصغير.

انتفض جسده فجأة ووأحس بالحرج ينتابه ما إن أدرك أين هو ولمح وجه هذه الفتاة
وخصلات شعرها الصفراء، بل ولمح ابتسامتها الرقيقة وعينيها الزرقاء التي رآهما
سابقًا.

آراد في تلك اللحظة أن تنشق الأرض وتبتلعه، فلا يكفي أنه نام عنوة في منزل
أصدقاءه دون إذنهما، بل وأيضًا يظهر أمام فتاة غريبة جذابة لا يجب أن يظهر
أمامها بأثار النعاس على وجهه وثيابه المُهترئة التي كشفت صدره بعد أن فُتحت
أزرار قميصه.

اعتدل في جلسته فورًا وبات يُهنم ملابس به بارتباكٍ حمد معه ربه على عدم رزقه
بخصلات شعرٍ طويلة كثيفة وإلا كانت تحوّلت إلى إحصارٍ يُعادل أعاصير اليابان.

رسم بسمة بلهاء على ثغره وهو يُرحب بساندي:

-إزاي حضرتك يا أنسة ساندي

كان يعلم اسمها من إسلام عندما أخبره عنها في احتفال كتب الكتاب الذي لم يكتمل،
كم آراد أن يتحدث معها ويتعرف عليها وقتها لكنه لم يكن يعرف الطريقة ولم يكن
يعرف إن كانت ستقبل بتحدثه معها من الأساس.

لَوّحت ساندي بيدها بلُطف وهي تُعرّف نفسها:

-هاي أنا ساندي ... عمّت كوكي .. بس في نفس الوقت خالتها

قطّب جابر حاجبيه بحيرة وهو يسأل:

-ده إللي هو إزاي ده ؟

تملمت ساندي في جلستها قبل أن تستقر على جلسة مناسبة وهي تقصُّ عليه بلهفة:

-بوص يا سيدي ... بابا و...

وهكذا بدأت تسرد له قصة حياتها بشغفٍ ولهفة كما لو أنها تعرفه منذ سنوات، فهي تفعل ذلك مع كل شخصٍ تُقابله بحياتها، وكان جابر يجلس قبالتها يستمع لحديثها بلهفة ولا يُصدق أنها تتحدث معه بتلك الأريحية، فقد ظن أن الحديث مع الفتيات أشبه باكتشاف الذرة.

على جهة أخرى، كانت تقف كوكي داخل حُجرة الطعام تُتابع داليا وهي تعد لهم الفطور وتقوم هي باعداد الحليب لابنتها، كذلك كان رؤوف يقف على بُعد أمتارٍ منهما يراقبهما من بعيد بإشارة من داليا التي أخبرته أن يبتعد عن ساندي خاصة وهي بجوار جابر كي لا يُثير شكوك جابر ويجعله يفصح عنه أمام ساندي.

-هي ساندي بتشتغل إيه ؟

هكذا بدأت داليا الحديث لتجعل كوكي تُطالعها بريبة لكنها في النهاية أجابت:

-هي قالتلي إنها بتشتغل في مكتب أبحاث علمية ... وفي أمريكا كانت بتعمل
..master بس إنت بتسألني ليه ؟

تركت داليا ما تفعله وقررت أن تُخبرها مباشرة عمّ آلت إليه الظروف وكيف استطاعا البحث عن طريقة مناسبة للتثبيت وعن طريق الصدفة، فدائمًا ما يضعون الخطط والمؤامرات وفي النهاية تنتصر الصدف على جميع خططهم ومؤامراتهم.

-أنا عارفة إن الموضوع يمكن يكون غريب شوية ... بس..

وجهت نظرة عابرة صوّب رؤوف الذي لم تراه كوكي بالطبع وظننتها تنظر في منطقة شاردة، أعادت نظرها نحو كوكي لتواصل حديثها:

-أنا وإسلام قابلنا واحد تاني من المُنتقلين والواحد ده طلّع عالم وعامل أبحاث ودراسات عن طرق التثبيت الصحيحة

اتسعت حدقتي كوكي في ذهولٍ ولا تزال هناك بعض الأحجية الناقصة التي جعلتها تسأل:

-كويس .. بس إيه علاقة ده بساندي ؟

واصلت داليا حديثها بنفس تلك النبرة الجادة:

-ما هو المُنتقل ده يبقى اسمه رؤوف جويدة وكان بيعمل الأبحاث دي في أمريكا مع ساندي ... قريبتك

ها قد اكتملت الأحجية داخل رأسها وجعلت صدمتها تزداد أكثر وهي تهتف بغير تصديق وبعض التذكر:

-رؤوف !! ... ساندي قالتلي فعلاً إن في واحد ساعدها في الماستر وكان اسمه رؤوف ... بس قالتلي بردو إنها اتخانقت معاه، وإنه سابها في نص الطريق وخلّاها تضطر تاخذ الأبحاث وترجع مصر

صمتت برهة عن الحديث وهي تواصل التذكر ثم تقول بصدمة:

-يعني رؤوف ده طلع زيكم !! ... دا أنا كُنت فاكرة إن ساندي متعرفش حاجة عن
موضوع التنقل ده

أضافت داليا على حديثها ببعض التهكم:

-طلعت في الآخر عارفة أكثر مننا ... ياريتنا كنا قولنالها من بدري إننا متقلين ...
كان زماننا مش بنلف حوالين نفسنا بالطريقة دي

حالت بينهما بُرهة وجيزة من الصمت قطعنها كوكي بتساؤل:

-طب إنتو هتعملو إيه ؟

أجابتها داليا وهي تأخذ رشفة من شايبها ثم تُعيده على الطاولة:

-هناخد منها الأبحاث ... ورؤوف هيساعدنا في تنفيذها ... وبالنسبة بقي للتثبيت،
فانا وإسلام قررنا نتثبت الأول بعد سُمية وإحسان وبعد كدة جابر هيتثبت بعدنا

كادت تسألها عن سبب تغييرهم للخطة لكن داليا رفعت عنها عبء هذا السؤال وهي
تواصل الحديث:

-أنا وإسلام أصعب ... عشان كدة هنتثبت بعد سُمية وإحسان ... وهنخلي جابر في
الآخر، إحنا كدة كدة هنكون عرفنا الطريقة كويس

لم تنبس كوكي ببنت شفة وقررت أن تستأذن وتأخذ ابنتها إلى منزلها كي تتركهم
يتحدثون بأريحية، بدأت تُحرك بسملة باستخدام عربتها بعد أن أَلقت السلام على داليا.

وكان جابر لا يزال يجلس على الأريكة يستمع إلى قصة حياة ساندي التي لم تتوقف
عن الحديث، لكنها ما إن وجدت كوكي تقترب نحو الباب تستعد للرحيل حتى وثبت
عن مقعدها لُتصافحها فينتهز جابر الفرصة ويُقرر الرحيل هو الآخر، فلا يجب أن
يبقى هنا من الأساس.

رحل كلُّ من جابر وكوكي وبقيت داليا مع ساندي بالمنزل تُرافقهما روح رؤوف الذي لم يُبعد عينيه عن ساندي لعلها ستراه وتتحدث معه، إقتربت داليا صوب الأريكة وطلبت من ساندي أن تجلس ليتحدثا سوياً.

كانت ساندي تشعر بالرغبة في باديء الأمر، خاصة وهي ليست بهذا القرب من داليا، فهي بالكاد تتحدث معها عندما تأتي لزيارة كوكي أو تطلب منها كوكي أن تأتي معها لزيارة رفيقاتها كي لا تبقى وحدها بالمنزل، وما زادها رغبة أيضاً هو ملامح الجدية التي ارتسمت على وجه داليا وكأنها اكتشفت سراً تخفيه ساندي عن الجميع.

حممت داليا ببعض الارتباك وهي تستجمع حديثها ولا تعرف كيف تبدأ، بقيت نظرات ساندي تُطالعها حتى قررت داليا معاركة ارتباكها وبدء الحديث بقولها:

-كوكي قالتلي عن الأبحاث إلي عملتيها في أمريكا قالتلي إنك عارفة عن موضوع تنقل الأرواح

لازالت عوالم الحيرة على وجه ساندي وهي توميء برأسها بهدوءٍ وتستمع إلى كلمات داليا المُترددة:

-وعارفة كمان رؤوف جويدة ... مش كدة ؟

انطفأت عوالم الرغبة عن وجه ساندي وحلَّ محلها عوالم الغضب الذي من شأنه إضمار الحريق في كل مكان، كانت عينها متقدتان بالنيران وهي تقول:

-ه... هو إنتو عارفين رؤوف ؟

كادت الدموع تُذرف من عينيها والألم يبأشر بزيارتها، لكن داليا حاولت التماسك أكثر وهي تُبادل نظراتها نحو رؤوف الذي أوماً رأسه إيجاباً حتى تُخبرها بالحقيقة:

-رؤوف واحد من المُتقلين ... وهو كمان يقدر يتحرر من جسمه

لم يبدو الذهول على وجه ساندي وكأنها تعلم تلك المعلومات جيداً، فهو بالأساس من اختار هذا الموضوع حتى يُجريا عليه دراستهما، وهو من طلب مساعدتها بتلك الدراسة.

-وكمآن رؤوف معانا دلوقتي ... وشايفك وسامعك

اتسع بؤبؤ عينيها وهي تستقبل تلك الصدمة وتتأهب للوثوب عن الأريكة استعداداً للرحيل، فهي لا تُريد الحديث معه ولا تريده أن يراها أبداً، ولا تُصدق أنهم أوقعوا بها بتلك الطريقة:

-وهو إيه إللي جابه؟... وعائز مني إيه ... مش كفاية إللي عمله

خرجت نبرتها صارخة مُحملة بالألم والدموع المكبوتة حتى هدأتها داليا وهي تنتشبت بذراعها وتُعيدها إلى مكانها:

-إهدي يا ساندي ... رؤوف هو إللي قالنا نتكلم معاكي وقالنا إن معاكي الأبحاث بتاعت التثبيت... الأبحاث دي هي الحاجة الوحيدة إللي هتساعدنا نتثبت

لم تفهم ساندي ماهية حديثها وبقي الغضب يُحيطها بل ويمتزج مع حيرتها وقهرتها أيضاً.

-تتثبتو من إيه؟... هو إنتو كمان...

بترت حديثها باستنتاج أكدته داليا وهي توميء برأسها إيجاباً، وكان عليها أن تفهم هذا منذ البداية، فرؤوف أخبرها أن لا أحد يرى روحه المُنتقلة سوى المنتقلين أمثاله.

بعد بُرهة وجيزة من الصمت، سألت ساندي بقهر كبتته لسنوات:

-أنا هديلكم الأبحاث .. أنا أصلاً مش هحتاجها ... بس..

ترددت قليلاً قبل أن توصل حديثها:

-ممكن تقولي لرؤوف هو ليه سابني؟... من خمس سنين كُنا شاغلين على الأبحاث دي سوى ... بس فجأة اختفى، وقالى كملى لوحديك ... بعد ما اتعلقت بيه

أخضت وجهها عنوة لتتقاطر الدموع من عينيها وهي تواصل:

-خلاني اتعلق بيه ... بس هو مشي، وقطع علاقته بيا من غير أي سبب

انهمرت دموعها أكثر حتى انفطر قلب رؤوف وازدادت ضربات قلبه، كم أراد أن تسمعه في تلك اللحظة، تسمعه وهو يتأسف لها عمّ تسببه لقلبها المسكين، حتى أنه لم يقدر على الصمت أكثر وقرر أن يبوح بما يجيش به صدره لعلها تُسامحه قبل أن ينتقل إلى العالم الآخر، فكان حديثه مُحملاً بعذاب الضمير والارتباك وهو يقول:

-كنت مجبور صدقيني اضطريت أسافر عشان والدتي تعبت فجأة ... ومقدرتش ارجع تاني

بالطبع لم تسمعه ساندي لكن داليا استقبلت كل كلمة موجوعة من كلماته ونقلتها لساندي بقولها:

-بيقولك إنه اضطر يرجع عشان مامته ... وإنه ندمان

أضافت آخر كلمة من عقلها لتتلاعب قليلاً بعقل ساندي وتجعلها تُسامحه، لكن كلماتها المُضافة أدت نتيجة عكسية ما إن وثبت ساندي عن الأريكة لتبوح بما لديها بأعين مُشتعلة حمراء:

-ندمان !! ... أنا فضلت أيام أتصل بيك وأدور عليك ... نزلت مصر مخصوص عشان اشوفك ... إنت أول شخص اتعلقت بيه ... وأول شخص ضحك عليا ... إنت عارف أنا بقيت بعمل إيه بسببك ... أنا مبقتش عارفة أحدد مشاعري، مبقتش عارفة اتعلق بحد عشان فاكرة إنه هيمشي ويسيبني

وصل صُراخها لمسامعه ليزيده ندمًا وحسرة، كيف يُخبرها ان مشاعره اتجاهها لم تتعدى كونها مجرد صداقة وحسب، ربما كان يبالغ في رعايتها، لكنه في النهاية لم

يشعر بمشاعر اتجاهها، وليس خطأه أن تُترجم هي مشاعر الأخوة التي كانت بينهما إلى أخرى تتعلق بالحُب والارتباط، فهو كان على علاقة مع غيرها وعاد إلى موطنه حتى يتزوجها، قال فقط أن والدته مريضة حتى لا يجرحها أكثر.

وثب رؤوف عن مقعده لا يعرف كيف يتصرف، يشعر كم أنه حقيرٌ وضيعٌ لا يستحق السماح، مع ذلك حاول جاهداً أن يعتذر حتى تنزاح تلك الضغينة من قلبها:

-أنا... أنا آسف ... إنتِ مكنش ينفع تتعلقي بواحد زيي ... ومكنش قصدي أعلقك بيا ... كنت فاكِر إننا صُحاب، ومكنتش اعرف إن الموضوع هتُرجميه بطريقة ثانية ... أنا بجد آسف ومحتاجك تسامحني قبل ما اتنقل لوجه الكريم

استمعت داليا لكل كلمة يقولها وكم أرادت أن تلمه في تلك اللحظة، لكنها استجمعت قواها وهي تنقل كلماته بطريقتها الخاصة:

-بيقولك إنه ندمان ... وعائزك تسامحيه

حالت بينهم بُرهة أخرى من الصمت حتى وضعت داليا يدها على كتف ساندي لتحاول استمالتها أكثر بصوتها الحنون:

-خلاص يا ساندي سامحيه ... رؤوف أساساً مش هيطوّل والناس كلها فاكراه ميت روحه بس هي اللي موجودة، وحتى دي كمان مش هتطوّل كتير
عشان كدة سامحيه

بقيت ساندي في حالة من الصمت والخُذلان يطغي عليها، بقيت تُفكر فيما تعرضت له من خيانة وخُذلان بسببه، وكم أحست أنه يستهين بمشاعرها حتى جعلها تلهو بالرجال وبالجميع حتى لا يُستهان بمشاعرها مرة أخرى.

عادت من عُمره صمتها لترفع وجهها الأحمر وحدقتيها الجافتان نحو داليا، قررت في تلك اللحظة أن تُغلق صفحات الماضي وتفتح صفحة جديدة بحياة أخرى بعيدة عن التلاعب والخُذلان، فهذه الحياة لا تجعلنا نُمر بتلك التجارب من أجل أن نتحوّل إلى كُتلة من الفساد، هي فقط تُنبهنا إلى فجوة داخلنا علينا ملئها وعدم التسبب بزيادتها.

انتهت من كل تلك الأفكار المتضاربة وهي توميء برأسها بهدوءٍ وتقول قبل أن تترك المنزل بأكمله:

-ماشي ... مسمحاہ والأبحاث هديها لكوكي توصلهاكم...

تلطخت السماء بُعْثمة الليل وديجوره، وكان الجميع داخل تلك الحُجرة التي وُضعت الأجهزة داخلها، يجلس كلاً من سُمية وإحسان على مقاعد مُفترقة بينما يقوم لؤي ومُعتر بتوصيلهما بالأجهزة وفقاً لتعليمات الحسن ومخيمر الذي كان يقرأ الأبحاث ويُحاول تطبيقها على أرض الواقع، وكان إسلام يحاول توجيهم وإضفاء بعض الأوامر التي يتلقاها من رؤوف وينسبها لنفسه بكل تكبرٍ وتبهنس.

تقف داليا برُكنٍ من الأركان تتابع ما يحدث من بعيدٍ والرغبة تعتلي فؤادها، فإن فشلت المحاولة_ للمرة الثانية_ لن يستطيعوا العثور على طريقة أخرى للتثبيت، وربما سيبقوا هكذا حتى يطولهم أذى طلال وتلك المُنظمة اللعينة.

كانت قمر تقف بجوار داليا بينما بقيت كوكي بالمنزل تتولى رعاية صغيرتها على أمل أن تأتي بعد قليل.

-أومل جابر فين؟

سأل مخيمر هذا السؤال بعد أن لاحظ عدم وجود جابر بينهم وهو الذي من المُفترض أن يتم تثبيته معهم.

-جابر بيقول إن عنده كورس تسويق ... إنتو عارفين بقي ... عايز يبقى شخص جديد ومُتعلم وكدة

قالتها داليا التي كانت قد تحدثت مع جابر صباح اليوم حتى تُخبره بأمر التثبيت.

-وأصلاً أنا وداليا هنتثبت الأول ... يعني على بال ما نتثبت هيكون خُص ورجع

كانت هذه كلمات إسلام التي أضافها على حديث داليا حتى يُنبىء الجميع أن الخطة تغيرت.

همهم مخيمر بتفهم وهو لا يزال يتفحص تلك الأبحاث حتى تُوَقَّف أمام جسد إحسان وسُمية مباشرة ليُملي عليهما تعليماته حتى لا يحدث خطأ كالمرة السابقة:

-عايزكم تصفو ذهنكم خالص أوعى حد فيكم يفكر في التاني ... ولم تلاقو روحكم طلعت لو حدها، حاولو ترجعو تاني بسرعة قبل ما يمر ثلاثين ثانية ... وإلا مش هتعرفو ترجعو تاني... وده بالنسبة للتثبيت

أوما كُل من إحسان وسُمية لكن إحسان هتف ببعض التوسل:

-هو مينفعش نستنى حبة كمان أنا لسة سامع أغنية امبارح وعايز أغنيها آخر مرة وأنا في الجسم ده

التفتت سُمية نحوه وإمارات الغضب على وجهها وهي تقول ببعض السُخرية:

-هو إنت دخلت جسم شيرين عبد الوهاب؟! ... أنا عايزة ارجع لجسمي تاني

أوقف مخيمر حديثهما بنبرة صارمة قيادية:

-خلونا في المُهم ... إحنا دلوقتي هنعيد زرع الهيئة النجمية ... هتحسو بشوية وجع بس متقلقوش ... الوجع مش هيطول

أنهى الحديث ثم تراجع بضع خطواتٍ للوراء حتى يُشير إلى الحسن بإصبعه كي يُشغل الأجهزة وتبدأ العديد من الأصوات بالصدوح بطريقة تصم الأذان، تشبثت سُمية بفراشها وهي تُغلق عينيها وتُمني نفسها بأن كُل شيءٍ سيمر مرور الكرام، ضغطت على عينيها بقوة وهي تستقبل تلك المِضخات التي تضرب جسدها وتؤلّمها لدرجة قد تجعلها تبكي وجعًا.

ازدادت حدة الأصوات وازدادت معها عوالم الترقب والخوف وبدأت سُمية تُطلق صرخات مكبوتة وهي داخل جسد إحسان، كما كان إحسان يلتقط أنفاسه بصعوبة ويمنع جسده من الانتفاض قدر الإمكان، ومع كل هذه العوالم، كان الجميع حولهم لا يتوقفون عن الدُعاء بهمسٍ حتى يُساعدهم الخالق بتلك المُعضلة.

بقيت تلك الأصوات تضرب آذانهم حتى انطفأت تدريجياً وانطفأت معها الهزات والأوجاع، خمد جسد سُمية وتراخت عوالم وجهها ليحل محل الوجع هالة من السكون والراحة، رفعت جسدها عن الفراش تتحسس أوضاعها وتجد أنها لا تزال مسجونة داخل جسد إحسان، لكن هذه المرة، كان معها مُفتاح الخروج، لكنها قبل أن تُبادر بأية حركة، لمحت أمامها رؤوف يقف بجوار إسلام، زاد هذا الأمر من حيرتها لأنها لم ترى هذا الرجل قبل بدء التجربة، هذا ما جعلها تُشير بإصبعها عليه متسائلة:

- هو مين ده ؟

اتسعت بسمه داليا هي وإسلام ما إن تأكدا أنها تستطيع رؤية رؤوف، فهذا لا يعنى سوى أن الهيئة النجمية تم زرعها وبنجاح.

-إنتِ شايقة رؤوف ؟

سألته داليا بلهفة وهي تقترب من سُمية لتتأكد من حديثها، أما قمر، فكانت تتابعهم بحيرة وتسأل:

- هو مين رؤوف ده ؟... هو في حد غيرنا في الأوضة ؟

التفتت داليا صوب قمر لتُجيبها بابهام:

- هو فعلياً في ... بس عملياً مفيش ... ولو هي وإحسان شافو رؤوف ... فده معناه إن التجربة نجحت

لم تكذ تُنهي حديثها حتى وجدت سُمية تضغط على جسدها وتحاول استعادة تحكّمها بتلك الطاقة التي افتقدتها لأكثر من شهر، نجحت هذه المرة في التواصل مع طاقتها واستطاعت أخيرًا وبعد عناء، العودة إلى جسدها مرة أخرى.

انتفض جسد سُمية إثر التبدّل لتعود سُمية إلى جسدها وتبدأ باحتضانه كما لو كان صديقًا عزيزًا عاد من الغُربة، ارتسمت البسمة أيضًا على وجه إحسان ما إن عاد إلى جسده الذي افتقده رغم أنه سيفتقد الصوّت العذب، قطع مخيمر لهفتها للعودة إلى أجسادها بكلماته الصارمة حتى لا يُضيعوا المزيد من الوقت:

-دلوّقتي هنبداً التثبيت ... وزى ما قولت، متفكروش في بعض ... وارجعو لجسمكم بسرّعة

تلاشت عوالم اللهفة عن الوجوه وعادت عوالم الصدمة تزورهما وهما يستلقيان مُجددًا على الفراش استعدادًا لتنفيذ الخطوة الأصعب، الخطوة التي بذلوا بها كل جُهدهم حتى يصلوا إليها ويتخلصوا من هذه اللعنة.

أغلقت سُمية عينيها للمرة الثانية وهي تُتمتم بالدعاء في قرارة نفسها كما يفعل إحسان هو الآخر، اضطربت الأنفاس وتصدعت قشرة الصمود وهم يراقبون ما يحدث بجسدٍ يزداد ارتجافه خاصة عندما بادر الحسن بتشغيل الأجهزة للمرة الثانية لتنتطلق هذه الأصوات مُجددًا، لكن هذه المرة، كانت الأصوات أشبه برياح عاتية تابعة لعاصفة هوجاء.

ما هي إلا بضع ثوانٍ حتى بدأ جسد سُمية يرتجف هو وجسد إحسان الذي بدأ يهتز كما لو أن صاعقة كهربائية مسّته، بقيت الاهتزازات تزداد رويدًا والتوتر والخوف يزداد معها حتى ظنوا أن فؤادهم سيتوقف عن العمل.

هدأ الجسدان مرة واحدة ليُعم السكون ويغمر أركان الحُجرة، سكونٌ مميتٌ كاد يزيدهم توترًا وخوفًا خاصة وهم يرمقون جسد سُمية وإحسان الأشبه بالجُثث الخالية من معاني الحياة.

اقتربت داليا صوب أجسدهما ما إن طالت فترة الصمت وكانت خطواتها مُرتجفة وعقلها يُخبرها أن التثبيت لم ينجح للمرة الثالثة، انتقلت تلك الشكوك إلى جميعهم فبدأوا الاقتراب بخطواتٍ بطيئةٍ مُترددة صوب جسد سُمية وإحسان عازمين على إفاقتهما مهما تطلب الأمر، حتى أن الدموع بدأت تنبثق من عينيها من كثرة تلاشي الأمل.

انتفض الجسدين مرة واحدة وعادت عوالم الحياة لكليهما بعد أن كاد هذا الصمت يقتلهم، تلاشت عوالم القلق وحلَّ محلها عوالم السعادة والانتصار وهم يراقبون سُمية تحاول الاعتدال بصُداعٍ جثيم يُداهمها ويجعل رأسها كالفيل الكبير، ملست على رأسها بارهاق لتتحسس بعدها جسدها وتتأكد أنها لا تزال داخل جسدها العزيز، قلدها إحسان بتلك الحركة وبقي يتحسس جسده ويتأكد أنه سليمٌ مُعافى لا يزال على قيد الحياة.

تقدم إسلام نحوهما ليتأكد من تجربة التثبيت عن طريق إشارته على رؤوف متسألًا:

-إحسان ... شايف رؤوف؟

قطب إحسان حاجبيه وهو يرمق أصابع إسلام التي تُشير إلى الفراغ بالنسبة له، كان الجميع يترقب إجابته حتى طمأنهم إحسان عندما بقي يتلفت في كل مكان بحثًا بعينه عن هذا المدعو برؤوف.

-رؤوف مين ... أنا مش شايف حد

كان يقولها ببعض الارتباك والريبة لكن إجابته جعلت بسمة داليا تتسع أكثر حتى وجدت يداها تُصفقان بسعادة بالغة جعلتها تهتف بانتصار:

-التثبيت نجح

ما هي إلا بضع ثوانٍ حتى انتقلت سعادتها إليهم وبدأ الجميع يُصفقون بسعادة ويتقافزون بمرح وانتصار حتى رؤوف الذي كان يُشاركهم هذا الانتصار العظيم ويستقبل نظرات إسلام وداليا الممتنة، احتضنت داليا سُمية وهي تُهنئها كما فعلت قمر

هي الأخرى، وقد قررن أن يحتفلن بهذا الانتصار حالما تثبت داليا وإسلام وجابر، فهما من المفترض أن يتم تثبيتهما في هذا اليوم وهذه الليلة التي لم تنتهي، وبعد أن يتم تثبيت جابر، سيقمون حفلة كبيرة يحتفلون بها عمّ عانوه بتلك الأيام.

بعد فترة من التهنئات والتهنئات الحارة المنتصرة، تلاشت عوالم البهجة وعادت عوالم الجدية عندما ترك إحسان الفراش هو وسُمية حتى يتركا المجال لإسلام وداليا حتى يتم تثبيتهما بعدها، عاد الحسن إلى الأجهزة حتى يُعاود تشغيلها بينما كان مخيمر يُشير على المقاعد متفوّهاً بتقرير:

-يلا عشان تثبتو

كاد إسلام يخطو خطوة نحو الفراش ويُنفذ حُلُمهما لكنه توقف حالما تقابلت عينيه برؤوف الذي ذكره بما يُريده، اقتربت داليا لتقف بجواره إسلام، تأبى الاقتراب نحو المقاعد الآن، لا يزال هناك ما ينقصهما بتلك الرحلة الشاقة، وهذا الذي ينقصهما يتعلق برؤوف، الذي ساعدهم للوصول إلى تلك المرحلة.

-لأ ما هو إحنا ... مش هنتبث دلوقتي...

قالها إسلام بتقريرٍ أصابهم ببعض الحيرة خاصة وهو يُبادل نظراته صُوب داليا ثم يوقفها عند رؤوف ليواصل الحديث بتقرير:

-لسة في حاجة محتاجين نعملها....

خريير الحشائش وأصوات الغربال، خلقوا من تلك الليلة ليلة شجية تبعث القليل من الرهبة والسكون، وفي تلك الحديقة المُكفهرة الخالية من الحشائش والسُكان، كانت داليا تسير بروحها المعنوية وجوارها إسلام يتحرك وهو يجذب ذراع رؤوف كما لو كان طفلاً صغيراً يخشى عليه من الضياع، فما كان وراء تلك الرحلة سوى شيءٍ واحدٍ فقط، آخر شيءٍ يفعلانه قبل أن تنتهي رحلتها إلى الأبد، وتنتهي تلك اللعنة وتلك الكوارث التي لا تنفك تتركهم وشأنهم.

**-متأكد يعني إنك عايز تمشي للأبد ... لسة قدامك فرصة، إحنا ممكن نجيب جُتتك
من القبر وترجعلها تاني**

قالها إسلام ببعض الترجي على أمل أن يقتنع رؤوف ويعزف عن الانتقال للعالم
الأخر، لكن ما لاقاه إسلام هو الرفض واليقين أثناء حديث رؤوف:

**-مبقاش ليه لازمة الكلام ده عيلتي كلها فاكرة إني ميت، مفيش غير أخوية
وبنته بس إلي عارفين الحقيقة وحتى دول كمان قولتلهم إني همشي قريب**

تنهد تنهيدة عميقة تذكر معها العديد من الذكريات في العالم الذي سيفتقده، فهو لا يعلم
ما الذي سيلقاه على الجهة الأخرى، وفي نفس الوقت لن يقدر على مواصلة الحياة في
هذا العالم الذي أضحى فانيًا بالنسبة له، فحياته قد انتهت ما إن انتهت حياة زوجته
وابنه الوحيد، ولا سبيل للعودة مُجددًا، هو فقط مسجون في هذا العالم ويُريد التحرر
بأية طريقة، والأهم من هذا كله، يريد أن يتقابل مع زوجته وابنه مُجددًا.

**-يعني من الآخر كدة أنا رسالتي خلاص خلصت ويمكن ظهوري قدامكم صدفة
كان إشارة ليا إن وقتي انتهى**

أنهى حديثه بتلك الكلمات الراضية على الرغم من عدم اقتناع إسلام، حيث يرى
إسلام أن رؤوف يرفض فرصته للحياة ويُفضل الموت حتى لا يتحمل إحساس الذنب
الذي سيلقاه كلما تذكر أنه من تسبب بوفاة ابنه وزوجته، ومع ذلك فضل الصمت
والموافقة على حديث رؤوف، ففي النهاية، يجب عليه مساعدته كما ساعدهما رؤوف
في البحث عن الطريقة المثلى للتثبيت.

**-براحتك بس حاول تفكر تاني في الموضوع ده ولو غيرت رأيك وقررت
ترجع لجسمك تاني فاحنا هنساعدك وهنفضل في ضهرك**

نفي رؤوف برأسه بهدوءٍ وهو يقول بنبرة قاطعة وواثقة:

**-معتقدش إني هغير رأيي أنا كفاية عليا أوي لحد كدة مراتي وابني
وحشوني**

كانت داليا في عالمٍ آخرٍ تبحث بعينيها عن شعاع القمر ولا تنتبه لأي من أحاديثهما، توقفت عن السير فجأة ليتوقف الجميع على أمل أن تكون قد وجدت مُبتغاهم، لكن ما حدث أن داليا قد اغتابها اليأس وهي تقول:

- هو فين القمر ده؟ ... إزاي مش موجود

قالتها بنفاد صبرٍ ليرد عليها إسلام بتبهنسه المعتاد:

-يا بنتي ما القمر جنبك أهو ... إنتِ مش شايفاني ولا إيه؟

انتبهت داليا لرده الذي جعلها تضغط على أسنانها بغضب، فلا وقت لهذا التبهنس الآن.

أخضت جذعها لتلتقط حباتٍ من الرمال وتقذفها على إسلام متفوّهة:

- هو وقتك إنتِ كمان

ابعد إسلام جسده للوراء تزامناً مع نثر حبات الرمال على وجهه... لحظة واحدة، هل قُلّت حبات الرمال؟ هل اصطدمت حبات الرمال به وهو بجسده المعنوي؟ بل هل استطاعت داليا انتشال حفنة من الرمال بتلك السهولة وهي مجرد روح عابرة لا تستطيع التفاعل مع المواد المادية؟

-إنتِ مسكتي الرملة!!

قالها إسلام بتفاجؤٍ لعله يُرسل إشارة إلى داليا، لكن داليا ببلاحتها أحبطت طموحاته بكلماتها الفخورة:

-وفيها إيه يعني؟ ... إنتِ شايفني ضعيفة ولا إيه؟ ... وبعدين دول شوية رملة يعني مش حاجة

ازدادت حدة إسلام بسبب حماقتها التي جعلته يسبها رغماً عنه:

-يا غبية إنا أرواح مينف عش نمسك حاجة-

اتسعت حدقتا داليا في زهول جعلها ثم عن التفكير في حديث إسلام الصائب، آخر مرة قاما فيها بفتح تلك البوابة، كان عن طريق الرمال الوحيدة التي يستطيعا الاحساس بها، وهذه الرمال هي...

-أيوة صح ... إنا كدة في المكان الصحيح-

قالتها داليا بلهفة وبدأت تتطلع إلى حفنة الرمال التي أمسكتها عن طريق خفض جذعها وتلمسها للأرض إلى إن استشعرت بقعة الرمال مُجدداً، رسمت بسمة عريضة مُنتصرة على وجهها وهي تقول بانتصار:

-لقيتها-

اعتدلت في جلستها على الأرض وبدأت تخط بيدها بعض الطلاسم والكلمات وإسلام يجلس بجوارها يتابعها بتركيز شديد حتى توقفت داليا عن رسم الرموز والطلاسم ووثبتت عن الأرض تستعد لما سيحدث.

ما هي إلا ثوان معدودة حتى بدأت تهتز الأرض وتنطلق الأشعة الواهجة من تلك الطلاسم، تزداد الهزات أكثر فأكثر وتبدأ الرياح العليقة بالهبوب والتي جعلت خصلات شعرهم تتطاير وأجفانهم تُغلق لعدم قدرتهم على تحمل تلك الرياح.

أغلقوا أعينهم أكثر تزامناً مع ظهور هذا الضوء الكثيف الأشبه بالشمس الصغيرة، ضوء يخرج من هالة متوهجة لا تعني سوى شيئاً واحداً ... البوابة...!!

الفصل الرابع والعشرون (أوقعهم العدو)

تذكر أنك ستواصل المحاولة حتى نهاية الطريق، فأفضل المفاجآت آخرها، وأصعب الصدمات لا تأتي سوى قُرب النهاية...

هالة متوهجة جعلتهم يغلقون أعينهم من شدة سطوعها، تراجعت أجسادهم إلى الوراء ليسمحوا لتلك الهالة أن تُغطي على الساحة وتجعلهم يُحدقون بها في ذهول، ليست هذه أول مرة يتسببون بها بفتح البوابة، لكن عوالم الذهول والانبهار ستزال على وجوههم كلما رأوها، وربما هذه آخر مرة يروها بها.

خرج رؤوف من ذهوله ليتقدم بخطواتٍ مُترددة مُرتعشة صُوب هذه الهالة وداخله العديد من المشاعر المُختلفة، قلبه يحثه على المواصله، وعقله يُخبره أن يُراجع قراره مرة أخرى، بقي يُبادل نظراته بين تلك الهالة المتوهجة ونظرات إسلام وداليا التي لم تخلو من الذهول وبعض الخوف، فعلى الرغم من قلة المُدة التي بقيا فيها مع رؤوف، إلى أنهما سيفتقدانه للغاية، لا يعرفان كيف سيشهدا رحيله عن العالم بسببهما، يشعرا وكأنهما يُعطيانه سكينًا كي ينحر به عنقه.

ليتهما لم يدلانه على تلك البوابة حتى لا يشهدا رحيله، لكنهما قطعاً وعدًا عليه حتى يُعطيها الطريقة المُثلى للتثبيت، وحاولا أيضًا اقناعه بالعزوف عن تلك الخطوة، لكنه لم يأبى لهما، يريد أن ينتهي من تلك الحياة عديمة الفائدة بأية طريقة، لا يريد أن يحيا مُتعلقًا ما بين الموت والحياة، وبما أن الجميع يعتبره ميتًا، فلا أحد سينتبه من رحيله كُليًا عن العالم.

إقترب أكثر نحو البوابة ولاتزال تلك الترددات تعبت بعقله، لكنه في النهاية، استجاب لم يمليه عليه قلبه وقرر أن يُهديء من روعه ويتحمل نتيجة اختياراته، قرر أن يُنفذ ما أراد تنفيذه كل هذه الأيام.

التفت نحو إسلام وداليا ليرسم لهما بسمة هادئة مؤدعة قال معها بامتنان:

-شكرًا ... أنا... مش عارف اشكركم ازاي على اللي عملتوه

تنهد تنهيدة عميقة كادت تجعل دموع داليا تنهمر كما لو أنها تعرفه مُنذ سنوات، فهذه أول مرة تشهد وداع أحدهم بهذه الطريقة، تشعر وكأنها تُودع صديقها قبل أن يخوض المعركة والتي على الأحرى سيُقتل بها ولن تراه مُجددًا.

كانت حالة إسلام لا تختلف عن حالتها، بل أراد أن ينقض عليه ويُبعده عن تلك الهالة ويجبر زوجته على محو تلك الطلاسم، لكنه في النهاية لم يقدر على تنفيذ ما يُريده بسبب رغبة رؤوف وعزمه على تنفيذ ما يُريد، فهو يستعد لتلك الخطوة مُنذ أيام عدة، وإذا قاما بمنعه فسوف يفتحها هو على كل حال، فهو قد علم الطريقة منهما.

-أنا بجد مش عارف اقولكم إيه ... بس الشوية اللي قعدتهم معاكم ... كانوا أفضل ساعات قضتهم في حياتي... وأتمنى لو الزمن رجع بيا عشان اقبالكم بحق وحقيقي

أنهى حديثه ببسمة مؤدعة دفعت إسلام للاقتراب منه وأخذته في عناقٍ طويلٍ وتربيتاتٍ عديدة على ظهره ثم ابتعد عنه ليُودعه ببعض الضيق:

-واحنا كمان لينا الشرف اننا عرفنا واحد زيك ... كان نفسي اقولك ياريتك كُنت واحد مننا بس افكرت إن كلنا مجانين، وانت لو بقيت معانا مش بعيد يطلقك عرق ولا نلاقيك بتلف في السرايا الصفرا

أنهى حديثه بمُزاح جعل رؤوف يُقهقه بحرارة ثم يعود مُجددًا إلى بسمته المؤدعة تزامنًا مع كلمات داليا الحزينة:

-هو لازم يعني تروح العالم الثاني ... ما يمكن دورك لسة مخلصش

قالتها ببعض الرجاء لتتلاشى بسمته ويحلُّ محلها الرضا أثناء قوله:

-أنا مقدر إنكم حاسين بالذنب عشان بتساعدوني اعمل كدة ... بس أنا في الحالتين كُنت هعدي من البوابة، حتى لو انتو مظهرتوش قُدامي ... أنا خلاص ... دوري انتهى من ساعة موت مراتي وابني ... أو يمكن انتهى لما قابلتكم

صمت بُرْهة عن الحديث لئبتعد عنهما بخطواتٍ بطيئةٍ تقترب أكثر نحو البوابة حتى بدأ شُعاع تلك الهالة يبرق من وراء ظهره، لم يشأ أن يقترب منه إسلام أو داليا حتى لا يتعثرا وتبتلعهما تلك البوابة، لهذا السبب بقيا متيبسين في أماكنهما يُتابعانه بضيقٍ شديدٍ رغم أنه يبدو سعيداً وهو يلُوح لهما ويُنهى آخر كلماته المُودعة:

-خُدو بالكم من نفسكم ... وسلمولي على ساندي ... و....-

توقف بُرْهة عن الحديث ليقترّب أكثر نحو البوابة ثم يقول برجاء:

-ادعولي ... وافتكروني دائماً ... سلام

ما إن أنهى كلماته حتى تلامست أطرافه بتلك الهالة التي ابتلعتة فوراً أمام نظرات إسلام وداليا، اختفى رؤوف عن الوجود وهذه المرة للأبد، أنهى طريقه رغم أن خالقه أعطاه فُرصةً أخرى، ورغم أن داليا وإسلام لم يكونا مع هذا الأمر أبداً، إلى أنهما قررا أن يتحليا بالصمت ويكتفيا بالدُعاء والصلاة على روحه التي رحلت عن هذا العالم للأبد....

**-ونسِيح جبنة رومي ونشرب انتين شاي ... دا معاكي أنا بنسى همومي جنبك
مفرحش ازاي...-**

يتغنى إحسان بتلك الكلمات بطريقة مرحة أعرب معها عن سعادته البالغة، وكانت سُمية بجواره تُشاركه الغناء تارة وثُقهه تارة أخرى، فقد أخبرها أنه سِيغني أغنية رومانسية لِيُعرب بها عن عشقه الجارف لها، لكنها وجدته يُغني تلك الأغنية ويتفاعل معها كما لو أنها رومانسية.

تطوّر الأمر من مُجرد غناء إلى تصفيقٍ هاديءٍ وتمايل بالرأس إضماراً لهذا الملل، وأثناء غناءهما جاءت قمر واستندت على الأريكة خلفهما لتردف بفضول:

-إيه الأغنية دي ؟-

توقف إحسان عن الغناء لئُجيبها:

-دي أغنية رومانسية لسة سامعها من قريب

قطبت قمر حاجبها وهي تستفسر:

-جبنة رومي ورومانسية!!

تدخلت سُمية لتؤكد حديث إحسان:

-أيوه على فكرة دي رومانسية أوي ... ده لسة فيها بطاطس محمرة وبامية...

وهكذا بدأ الحديث بينهم حتى بدأت قمر تُغني معهما متناسية سُخريتها من تلك الأغنية التي لم يمر عليها سوى القليل.

كان مُخيمر على الجهة الأخرى يفتح الباب لهذا الزائر الذي لم يكن سوى خالد ويُسرى وكذلك كوكي، حيث كان خالد يُعانق مخيمر ليُصافحه ويُربت على كتفه ثم يبتعد عنه ليتلقى مخيمر أسئلة يُسرى المُتلهفة الفضولية:

-عملتو التثبيت ؟

آجاب مخيمر على سؤالها بصدق:

-سُمية وإحسان عملو ونجح ... وداليا وإسلام كانوا المفروض بعدهم بس راحو مشوار

تدخلت كوكي بالحديث لتسأل:

-طب وجابر ؟

آجابها مخيمر مرة أخرى:

-جه من شوية وكان هيعمل لغاية ما إسلام وداليا ييجو بس الحسن راح ينقل دم في العيادة عشان كدة نزل المحل على بال ما الحسن ييجي أو داليا وإسلام يرجعو

أوماو بتفهم ليفسح مخيمر لهم المجال ليدلفوا المنزل ويتسامروا مع البقية حالما يتم التثبيت للمرة الأخرى، فكانت يُسرى تتحدث عن أبناءها الذين تركتهم عند والدتها حتى تأتي هنا، وكذلك تركت كوكي ابنتها عند والدها الذي اشتاق حفيدته وقرر أن يعتني بها حالما تنتهي كوكي من تلك الزيارة.

كان مُعتر على جهة أخرى يتحدث مع لؤي الجالس على طاولة البهو ينصت باهتمام إلى كلمات مُعتر التي بدا عليها الضيق:

-هو خلاص اتحكم عليه ؟

كان يتحدث عن شقيقه الذي حتى هذه اللحظة يُفكر فيه ويرغب بزيارته لولا الصعوبات التي تواجهه في كل مرة، وما كان من لؤي سوى أنه أوما برأسه ببعض اليأس وهو يقول:

-أيوة .. أخذ سنة وغرامة ثلاث تلاف جنيه ... والحمد لله إن مفيش أدلة تثبت إنه كان بيتاجر ... وإلا ساعتها كان زمانه واخذ مؤبد

أسبل مُعتر أجفانه بحسرة، لا يسعه التصديق أن شقيقه انتهى به المطاف خلف جدران الزنزانة، وهو حتى لا يستطيع مساعدته، صحيح أن شقيقه لم يكن ملاكاً بريئاً حتى يكون السجن ظُلماً له، فهو بالفعل يستحق دخول السجن بسبب ما تسبب به وما كان يفعله سابقاً، ومع ذلك لا يزال الضيق على وجه مُعتر وكأنه كان يظن أن شقيقه سيتوب قبل أن تناله تلك العقوبة.

بعد بُرهة من الصمت، ربت لؤي على كتف مُعتر لعله يستطيع مؤازرته بكلماته الهادئة:

**-متقلّش عليه ... أنا مؤصي عليه جامد، وإن شاء الله هيطلع منها على خير
ومين عالم، مش يمكن يتعدل بعدها**

أنهى حديثه ببسمة مُتَمَنِّية بادلته مُعْتَزِ بِمَثِيلَتِهَا وَبَقِيَ فِي حَالَةٍ مِنَ الْهُدُوءِ وَالسَّكِينَةِ
حَتَّى...

انْتَفَضَ جَسَدُ إِسْلَامٍ مَرَّةً وَاحِدَةً يَلِيهِ جَسَدٌ دَالِيَا الَّتِي بَدَأَتْ تَسْتَيْقِظُ مِنْ رَقُودِهَا أَمَامَ
نَظَرَاتِهِمُ الْمُتَرْقِبَةِ وَالْمُتَلَهِّفَةِ لَمْ سَيَحْدِثُ بَعْدَ أَنْ عَادَا إِلَى عَالَمِ الْأَحْيَاءِ...

نَافِذَةٌ سَوْدَاءٌ تَمَّ فَتْحُهَا لِيَطَّلَ مِنْهَا عَيْنَانِ غَلِيظَتَانِ وَنَظَرَاتٍ مُقْتَضِبَةٍ تَتَابَعُ هَذِهِ الْبِنَايَةَ
مِنْ بَعِيدٍ، يَجْلِسُ هَذَا الرَّجُلُ عَلَى مَقْعَدِ الْقِيَادَةِ لَا يَتَوَقَّفُ عَنِ التَّحْدِيقِ بِتِلْكَ الْبِنَايَةِ حَتَّى
أَخْرَجَ هَاتِفَهُ وَأَجْرَى مَكَالِمَةً قَصِيرَةً قَالُ بِهَا بِصَوْتٍ جَافٍ لَا يَقِلُّ غِلَظَةً عَنِ مَلَامِحِ
وَجْهِهِ:

-أَيُّوَّةُ يَا رِيَايَةَ ... لِأَلْسَةِ أَمْرُكَ يَا بَاشَا

أَغْلَقَ الْمُكَالِمَةَ لِيَضَعِ الْهَاتِفَ دَاخِلَ جَعْبَتِهِ ثُمَّ يَلْتَقِتُ بِرَأْسِهِ لِيَرْمُقَ رَفِيقَاهُ وَيُخْبِرُهُمَا
بِصْرَامَةٍ وَهُوَ يُغْطِي وَجْهَهُ بِقِنَاعٍ أَسْوَدٍ:

-اسْتَعْدُوا عِشَانَ هُنْفَذٍ....

تَمَلَّمَتْ دَالِيَا فِي جَلْسَتِهَا وَهِيَ تَعْتَدِلُ مِنْ تِلْكَ النُّومَةِ غَيْرِ الْمُرِيحَةِ، مَسَدَّتْ عَلَى رَقَبَتِهَا
بِقَلِيلٍ مِنَ الْوَجْعِ وَهِيَ تَثْبُثُ عَنِ الْأَرِيكَةِ لِتَنْتَبِهَ مَرَّةً وَاحِدَةً لِلنَّظَرَاتِ الْمُتَرْقِبَةِ مِنْ حَوْلِهَا
وَكَأَنَّهَا ارْتَكَبَتْ جَرِيمَةً وَتَمَّ كَشْفُهَا عَلَى الْمَلَأِ.

كَانَتْ حَالَةُ إِسْلَامٍ لَا تَخْتَلِفُ عَنْ حَالَتِهَا وَهُوَ يَثْبُثُ عَنِ الْأَرِيكَةِ وَعَلَى وَجْهِهِ إِمَارَاتُ
اللَّهْفَةِ أَتْنَاءَ قَوْلِهِ:

-خِلَاصُ الْمَوْضُوعِ خِلَاصٌ ... مَبْقَاشُ فَاضِلِّ حَاجَةِ عِشَانَ نَعْمَلُهَا وَاحِنَا مُتَنْقِلِينَ

تحركت داليا لتقف جواره وضربات قلبها تضرب بخوف، فهي بعد لحظاتٍ قليلة ستغير حياتها وتنتهي من تلك اللعنة إلى الأبد، هذا الخوف الذي غاص داخلها حاولت تغطيته بوشاحٍ من الحماس والتشجيع أثناء قولها:

-أيوة يلا بينا واتصلو بجابر كمان عشان يبجي ويعمل بعدينا علطول

تدخلت قمر لتجيبها:

-جابر تحت في المحل بتاعه ... هنتصل بيه وإن تو بتتثبتو على أساس يبجي يتثبت
علطول

أوماً كل من إسلام وداليا بتفهم وما كاد إسلام يسأل عن سبب عدم تثبيت جابر أثناء رحيلهما حتى اكتشف أن الحسن _ المسؤول عن تشغيل الأجهزة _ لم يكن بالمنزل من الأساس، ولو كان بالبيت لم انتهوا تمامًا من خطوة تثبيت جابر.

-أومل حسن فين ؟

كاد مخيمر يُجيبه ويُخبره أن الحسن ذهب إلى إحدى العيادات ليقوم بنقل الدماء بسبب مرضه، لكنهم وجدوا باب المنزل يتم دفعه لأنه لم يكن مُغلقًا منذ دخلت يُسرى وكوكي وخالد، فعادة ما يتركوه مفتوحًا أثناء هذه التجمعات، فلا أحد غيرهم بالبنية من الأساس.

-اسمي ال..حسن

قالها الحسن ليُصحح حديث إسلام الذي يتعمد إثارة حنقه في كل مرة، فكانت تلك الكلمات دليلاً على عودته واستعداده لبدء التثبيت مرة أخرى.

رسم إسلام بسملة واسعة على ثغره وهو يتجه صوب الحُجرة المرادة مُشيرًا بأصابعه على داليا التي تبعته فورًا ولا يزال قلبها يضرب بحدة وقلقٍ من تلك الخطوة...

أحيانًا تعتقد أنك اقتربت من خط النهاية، لكنك تتفاجيء عندما تجد أنك لا تزال في المنتصف....

هكذا كانت حياتهم، وهكذا كانت هذه اللحظة، لحظة النهاية بالنسبة لهم.

يتمدد إسلام بجسده على الفراش وجواره داليا تحاول التهدئة من روعة جسدها والمحافظة على ثباتها أثناء اقتراب لؤي منها ومساعدتها على ارتداء تلك الأجهزة كما فعل مع إسلام بالضبط.

ابتعد الجميع عن جسد إسلام وداليا وأخذ كلُّ منهم يقف في مكانه لا يتوقف عن تلاوة الآيات القرآنية والأدعية حتى تمر تلك العضلة على خير، وكان مخيمر يقف على مقربة منهما يتلو عليهما بعض أوامره التي ألقاها على سمية وإحسان من خلال تلك الأوراق التي يتفحصها بعينه ثم يلتفت نحو الحسن الجالس أمام الأجهزة مُستعدًا لتشغيلها وفقًا لأوامر مخيمر.

-شغل دلوقتي-

قالها مخيمر بصرامة ليعتدل الحسن في جلسته وتزايد ضربات قلوبهما وارتعاد أجسادهما، يقترب الحسن بأصابعه نحو زر التشغيل وما كاد يضغط عليه حتى....

أظلم المكان مرة واحدة وغمر الحُجرة سوادًا داكنًا لا يشير إلا على شيء واحد، انقطاع الكهرباء، أو ربما سوء حظهم، فما إن استقبلوا هذا الانقطاع المفاجيء حتى تلاشت عوالم اللهفة والقلق وحلَّ محلها السُخط والتذمر حتى أُردف إسلام بتهكم:

-شكرًا يا مصر-

أفأف الجميع بضجرٍ وأخذوا يرحلون واحدًا تلو الآخر عن حُجرة التثبيت على أمل أن تعود الكهرباء مُجددًا ويواصلوا ما بدأوه، فكانت قمر تحاول بثهم بعض الأمل بقولها

:

-متقلقوش يا جماعة هو بيقطع ساعة ولا حاجة وبييجي تاني ... كل يوم بيحصل
كدة

عأقت داليا على حديثها بتذمر وهي تثب عن المقعد:

-يعني الكهرباء شغالة طول اليوم زي الفل ولما نيجي نحتاجها تقطع ...ده إيه الحظ
ده

أنهت الحديث بزفرة متضايقة لتتبع الجميع صوب البهو ليبدأ إسلام بالبحث عن
مصادر أخرى للإضاءة كي يستطيعوا رؤية بعضهم والحديث قليلاً حالما تعود
الكهرباء.

أخرج إسلام كشافاً كبيراً من أسفل الطاولة وقام بتشغيله باستخدام البطاريات بينما
فتحت قمر هاتفها هي وكوكي حتى تصلهن بعض الإضاءة التي لم يستطيع الكشاف
إيصالها.

كانت داليا بالجهة الأخرى تعبت بهاتفها وهي تقترب نحو الباب متفؤة بتقرير:

-أنا هروح لماما ... مش هينفع اسيبها لوحدها في الضلمة

أوماو رؤوسهم إيجاباً على حديثها لأن والدتها تقطن بنفس البناية بالطابق الثاني، ولن
تقدر على البقاء وحدها في الظلام لأن داليا تعلم جيداً كم أن والدتها مرهفة المشاعر
ولن تتوقف عن الالاحح بابنتها حتى تأتي ولا تتركها وحيدة بهذا الظلام، وبالطبع إذا
رفضت داليا، فلا شك أن والدتها ستعتبرها ابنة عاقه ويجدر بها أن تنقلها إلى دار
المُسنين أو تتركها على قارعة الطريق تتسؤل لتحصل على قوت يومها.

لهذا السبب تركت داليا المنزل، وبدأت تصعد السلم بضع مصطباتٍ قطعها ضجيج
هاتفها الذي أظهر اسم والدتها، وهذا ما توقعته داليا بالضبط.

-ألو يا ماما ... انا خلاص طلعالك

قُطبت داليا حاجبها بحيرة ما إن استمعت لحديث والدتها من الجهة الأخرى والذي رددته بقولها:

-كشاف !! .. يا ماما ما تستخدمى الكشاف إلي في الموبيل

أناها صوت والدتها المُعترض وهي تُخبرها أن هاتفها أوشك على نفاد بطاريته وأن الإضاءة من مصدر هاتف داليا وحده لن تكفي لكليهما، فمن سياًخذ الإضاءة حينما تُقرر واحدة منهما الذهاب إلى المرحاض؟ كما أن الإضاءة التي تنبعث من هاتف داليا ليست بهذه القوة ووالدتها تعلم ذلك جيداً.

انهت داليا هذا الجدل مُنفذة رغبات والدتها برضوخ:

-حاضر يا ماما ... في محل تحت هبقى اشوفك عندهم كشاف ولا لا

أغلقت داليا هاتفها لتُغير وجهتها إلى الأسفل لعلها تبحث عن ذاك المتجر وتعود إلى والدتها مُجدداً حتى تعود الكهرباء ويواصلوا ما كانوا يفعلونه...

أوصلتها خطواتها إلى خارج البناية لتتلفت برأسها يميناً ويساراً بحثاً عن ذاك المتجر الذي وجدته فوراً، فهو متجرٌ للأدوات الكهربائية يقبع مباشرةً بالبناية المُلاصقة لبنائيتهم، تحركت باتجاه ذاك المتجر بضع خطواتٍ قطعها جسد أسودٌ لرجلٍ ضخيمٍ لم يظهر منه سوى السواد من شدة الظلام.

انقبضت أوزار داليا ووجدت أقدامها تتقهقر للوراء حتى اصطدم جسدها بجسدٍ آخر أكثر ضخامةً وسواداً، في هذا اللحظة شعرت بأن القادم ليس هيناً، وأنها إن بقيت ساكنة فلن ينتهي بها الأمر على الخير.

حاصرها الرجلين من كل اتجاه ليجعلانها تزداد ارتجافاً وتُفكر بالانتقال إلى جسد إسلام حتى يعلم ما يحدث معها، لكن رهبة الموقف أوقفت تفكيرها وجعلت جسدها يرتعد أكثر حتى كادت تُطلق صرخةً مُستنجدةً لولا هذه اليد الضخمة التي كملت فمها باستخدام منديلاً أبيضاً، بقي يضغط بهذا المنديل على فمها متجاهلاً حركاتها وهي تحاول التملص وصراخها المكتوم الذي لا تستطيع إخراجها، هذه الحركات

والصرخات استكانت مرة واحدة حالما هدا جسدها بالكامل وأغلقت عينيها مُعلنة بذلك انتقالها إلى عالمٍ آخر....

أخرج المُفتاح من مقبض باب المتجر بعد أن أوصده جيداً، كانت السماء داكنة والظلام لم يترك أثراً إلا وأغرقه بالكامل، فكانت الكهرباء مُنقطعة على الحي بأكمله ولم يكن يوجد سوى القمر كمصدر الإضاءة الوحيد.

أغلق جابر متجره بعد أن كان بالداخل يُراجع بعض الحسابات حالما يأتي الحسن ويقوم بالتنشيط هو الآخر، ورغم أنه لم يُرد أن يتم تنشيطه، إلى أنه سيُسلم لهم نفسه ويرضخ لأوامرهم دون معارضة على أمل أن تستقر حياته ويحيا ما تبقى من عُمره في هدوءٍ وسكينة، ففي جميع الأحوال، هو لم يعد بحاجة لتلك الموهبة ولم تعد ذات أهمية قُصوى بالنسبة له، خاصة وهو محاطٌ بالأصدقاء الذين يُمثلون له عائلته التي حُرِم منها.

تحرك بضع خطواتٍ بعيداً عن المتجر اتجاه البناية بعد أن أنته مكالمته من مُعترز أخبره فيها أن إسلام وداليا سيقومان بالتنشيط ويجب عليه المجيء، يعلم أن الكهرباء انقطعت بعد هذه المكالمته مباشرة، لكنه سيُنفذ وعده لهم ويذهب إلى منزل إسلام ليبقى بينهم حالما تعود الكهرباء مُجدداً.

تبيس جسده مرة واحدة إثر هذا المشهد المُتمثل أمامه، يرى العديد من الظلال السوداء تُحيط فتاةً لم تتبين ماهيتها، لكنه استشعر أن هذه الظلال أشبه بالوحوش المُفترسة التي ستنتهك هذه الفتاة المسكينة.

تدفقت الدماء بعروقه وانتفض شعر جسده وهو يقترب بخطواتٍ بطيئة صُوب هذه الظلال على أمل أن يرى جيداً ما يحدث ويحاول قدر الإمكان مساعدة هذه الفتاة المجهولة بالنسبة له، لكنه ما إن إقترب نحوهم مسافة كافية حتى تبدد تردده وخوفه وحلّ محلهم الغضب العارم، فهذه الفتاة لم تكن سوى ... داليا.

تغلغت النيران داخل حصونه لتجعله أشبه بجمرة نارية لتستعد لحرق ما أمامها، ضمَّ قبضته بقوة والجحيم ينطلق من عينيه وهو يهرول بأقصى ما لديه نحو داليا عازماً على تخليصها مهما كلفه الأمر، ففي أقل من ثانية، كان ينقض جابر على واحد من المُلثمين ليرميه بلكمة دامية أجبرته على الابتعاد عن جسد داليا الذي استرخى تماماً دون جراك.

سقط الرجل على ظهره وفوقه جابر يرمقه بنظراتٍ جحيمية ويكيل له اللكمات واحدة تلو الأخرى بعد أن نزع عنه القناع، بدأت الدماء تتبثق من الرجل المسجي أرضاً حتى شعر بتحطم أنفه أسفل قبضة جابر، بل شعر حتى أنه سيفقد الوعي بسبب تلك اللكمات.

تدخل المُلثم الآخر وقبض على ذراعي جابر حتى ينتشله عن زميله، لكن جابر لم يتخلى عن مقاومته وأخذ يدفع المُلثم الآخر ويركله بما لديه من قوة عازماً على ابعادهم عن داليا حتى يستطيع انقاذها.

تكالب المُلثمون حوله وكبّلوا حركته تماماً ومازال جابر يحاول التملص من قبضتهم والصراخ بهم وسبهم بما يعتمره من غضب، كان كالثور الهائج الذي يحاول الرعاة السيطرة على حركته الهائجة.

رفع جابر قدمه ليركلهم بقدمه ويواصل دفعهم بذراعه حتى باغته واحد من المُلثمين بصاعقة كهربائية من وراء ظهره جعلت جسد جابر يتشنج لوهلة ثم يخز راکعاً على ركبتيه ثم فاقدًا للوعي.

تنفس المُلثمون الصُعداء إثر عراكمهم مع ذاك المتمرد، ثم اتجهوا بعدها صوب جسد داليا المسجي ورفعوها عن الأرض صوب السيارة التي تبتعد عن البناية المنشودة ببضعة أمتار، فهذا العراك كان قريباً من البناية الملاصقة لبناية إسلام، حيث هذا المتجر الخاص بالأجهزة الكهربائية.

وضعوا جسد داليا داخل السيارة السوداء وكادوا يرحلون عن تلك البُقعة لولا هذا المُلثم الذي تلقى لكماتاً شوّهت وجهه بسبب ذاك اللعين، أخفض جذعه ليجذب جسد جابر المسجي آملاً أن يُلقنه درساً على ما فعل، لكن زميله اعترضه بقوله:

-بتعمل إيه ... الرايس مقالش نجيبه

لم يكثر له هذا المثلث وواصل رفع جسد جابر عن الأرض وهو يقول بنبرة مُقتضبة
حاقدة:

-إنت عايزني اسيبه بعد إللي عمله ؟ ... وشرف أُمي لازدهاله

واصل الرجل الآخر اعتراضاته مُعللاً:

-بس الرايس قال_

قطعه هذا المثلث وهو يجذب جسد جابر نحو السيارة ويقول بنفس تلك اللكنة المُنتقمة:

-الرايس قال نجيب اتنين من المُتقلين يعني مش هتفرق لو جبنا ده بدل جوز
المدام...

ساعة كاملة كانت كالدهر بالنسبة لهم وهم يجلسون على الأرائك بوجوه متبلمة يحفها
الملل، حيث كانت قمر تستند على باطن كفها وهي تجلس على الأريكة يكاد يُصيبها
النعاس من شدة الظلام، وكانت كوكي تتسامر مع يُسرى فيما يتعلق بالأطفال
ورعايتهم على أمل أن تستمد منها بعض الخبرة، أما عن خالد فلم يكن يتوقف عن
مشاكسة مُعتز لينشب بينهما عراكاً بسيطاً استطاع اسلام إضماره كما يفعل في كل
مرة، وسُمية تتسامر مع إحسان حول مستقبلهما وينتهي بهما الأمر بأغنية لا تعلم من
أين أتى بها إحسان، أما عن مخيمر فلم يكن يتوقف عن الحديث مع الحسن وكذلك
لؤي عازمين على الانتهاء من هذا الأمر بسرعة ومواصلة حياتهم بهدوءٍ وسكينة.

عادت الكهرباء مُجدداً ليتبدد مللهم ويحلّ محله الحماس واللهفة اللذان تركاهم لفترة،
كان الجميع يُضيق عينيه بسبب شدة الإضاءة التي باغتتهم فجأة، وما هي إلا ثوانٍ
قليلة حتى بدأ الجميع يُهمل بسعادة ويتركون مواضعهم على أمل استكمال ما بدأوه.

-أخيراً ... يلا نكمل ... حد يشوف داليا ويقولها تيجي

قالها إسلام بلهفة وهو يثب عن الأريكة عازماً على ولوج حُجرة التثبيت مُجدداً، استجابت قمر لحديثه وأخرجت هاتفها لتعبث به قليلاً لتتصل بداليا، بينما كان مُعترز يُخرج هاتفه هو الآخر متفوّهاً بتقرير:

-أنا هكلم جابر اخليه ييجي

أبعدت قمر الهاتف عن أذنها ما ان انتهت المكالمة التي لم تؤتي ثمارها، فداليا لا تُجيب على هاتفها ولا يبدو أنها تنصت إليه من الأساس، هذا ما جعلها تتصل بوالدة داليا آملة أن تضحى معها بالمنزل.

-ألو ... أيوة يا طنط ... معلى ممكن تقولي لداليا تيجي ... إيه!!

بُهتت ملامحها مرة واحدة وحلّ محلّها الصدمة والوجوم، لا تعلم لمْ أصابها القلق وهي تنصت إلى والدة داليا التي تُخبرها أن داليا لم تأتي إليها من الأساس، وكان صوت والدتها مُحملاً بالقلق وكأنها على وشك البكاء على داليا.

-خ..خلاص يا طنط داليا أهى فى البيت... أه متقلقيش

أنهت المكالمة بكلماتٍ مُرتبكة كذبت بها على والدة داليا حتى لا تُصيبها بالقلق، استمعت كوكي لكذبتها فسألت بقلق:

-فى إيه؟.... ليه قولتى لطنط إن داليا هنا؟

أخفضت قمر هاتفها وهي تقول بخوفٍ وملامح باهتة:

-داليا مراحتش عند طنط بسمة

ما إن بصقت تلك الكلمات حتى اتسعت قزحتي كوكي وأخذ حديثها يزداد قلقاً:

-أومل راحت فين ؟

آجابتها قمر بنفس ذاك القلق والجهل:

-معرفش ... ومش بترد كمان على التليفون

قطع حديثهما صوت مُعترز الذي يبدو أنه سمعهما و أراد أن يُخبرهم ما سيضيف على قلقهم قلَقًا آخَرًا:

-جابر كمان مش بيرد

قالها وهو يخفض الهاتف ويُعيده إلى جيبه لتمرُّ برهة من الصمت الذي جعل القلق بداخلهم يزداد أضعافًا، الجميع يُفكر في صمتٍ ويعتصر عقله بهوادة حتى لا يؤكد لهم أن مكروهاً قد أصابهم، بقيت تلك الأفكار تُعذبهم حتى وثبت كوكي عن الأريكة عازمة على البحث عن طريقة لإيجادهما والاطمئنان عليهما قاطعة بذلك الشك من اليقين:

-إحنا ممكن نشوف كاميرات المراقبة ... ونشوف هُما راحو فين

قطعت قمر حديثها باستفسار:

-وهنشوف كاميرات المراقبة ازاي والنور كان قاطع ؟

تدخل إسلام لُجيبها بعملية:

-الكاميرات مش بتشتغل بالكهربيا ... بتشتغل بالبطارية

أنهى حديثه بضربات قلبٍ تتصاعد جعلته يهرول بُسرة صُوب جهاز الحاسوب ويجتمع الجميع حوله في لهفة وفؤاد يطرق بهوادة، أردف مُعترز بتقريرٍ وهو يشاهد إسلام يفتح الحاسوب:

-أنا هشوف جابر في المحل أو في بيته ... يمكن هو هناك

لم ينتظر الموافقة على حديثه وطفق يهرول خارج المنزل متجهاً صوب المتجر الخاص بجابر، بينما استطاع إسلام فتح الحاسوب والمقطع الذي سجّلته الكاميرا في تلك الساعة التي انقطع بها الكهرباء.

التصقت العين بشاشة الحاسوب يحاولون العثور على أثرٍ لداليا بين هذه الرؤية المشوشة والظلام الدامس، ورغم أن الرؤية لم تكن واضحة استطاعوا رؤية داليا وهي تخرج من البناية تتلفت حولها يميناً ويساراً حتى توقفت رأسها عند اليسار لتتجه بجسدها صوب البناية المجاورة من ناحية اليسار.

بقيت العين تُحدق بإمعانٍ حتى تسلّم جابر ضفة المشهد وظهر بجسده وهو يهرول بسرعة البرق بنفس الاتجاه الذي ذهبت منه داليا، وهذا وإن دلّ على شيءٍ، فهو يدل على أن جابر حاول مساعدة شخصٍ ما، وربما هذا الشخص هو داليا.

-هو يبجري ليه؟

أشارت قمر على صورة جابر وهرولتته السريعة التي جعلت صورته مشوشة عندما أوقفها إسلام.

-أكيد في حاجة ... أنا هنزل أشوف كاميرات العُمارة إلي جنبنا

قالها لؤي بتقريرٍ وصرامة ثم ترك المنزل بسرعة عازماً على معرفة الحقيقة ومعرفة سبب هرولة جابر بهذه الطريقة.

مرّت نصف ساعة من الانتظار الطويل الذي جعلهم يتآكلون أكثر من الخوف.

-أنا قلقانة أوي .. حاسة إن في حاجة

قالتها يُسرى بقلقٍ نبت بداخلها بسبب حدسها وتلك الأدلة الطفيفة التي تُشير إلى وجود مُشكلة ما، رفعت قمر يدها لثُربت على كتف يُسرى تحاول طمأننتها رغم أنها تكاد تغرق في وحلٍ من الهلع:

-إن شاء الله تبقى كويسة هي وجابر-

لم تكذ تُنهي حديثها حتى وجدت مُعترز أمامهم يبدو على ملامحه الذعر وهو يقف على حافة الباب يقول بأنفاسٍ متقطعة ولهيثٍ لطح كلماته:

-يا جدعان جابر مش في المحل ... ولا في البيت بتاعه

ولم تكن تلك الكلمات سوى إضافة جديدة لرهبتهم وقلقهم ومع ذلك لا يزالوا يتعلقون بتلك الشعرة التي تُخبرهم أنه لا يوجد مكروهاً أصابهما، وحتى هذه الشعرة اختفت عن الوجود ما إن صدح الهاتف الخاص بقمر وكان لؤي هو الذي يتصل بها لذلك أجابته بسرعة لعله يُطمئنهم:

-أيوة يا لؤي ... عرفت حاجة ايه!!

اتسعت حدقتيها بصدمة وازداد خوفها أضعافاً وهي تُغلق المكالمة بسرعة لتباغتها كوكي بسؤالٍ قلق:

-في إيه؟ ... لؤي عرف حاجة؟

لازالت عوالم الصدمة تلتهم وجه قمر وهي تُحدق بهم بدموع تكاد تنفلت من عينيها وأنفاسٍ متهدجة حاولت تنظيمها بكُل جُهدٍ وهي تُفجر تلك القنبلة:

-لؤي بيقول إن داليا وجابر اتخطفو....!!

الفصل الخامس والعشرون (جسد بلا روح)

لطالما كُنت المُبتسم في وجه الحياة حتى انفجرت دموعي وخلقت أنهارًا، لطالما كنت هادئًا أكبح آلامي، حتى بت أشكي أوجاعي ليلاً ونهارًا.... فهل لهذه الأيام من نهاية، أم أنها سنلتهمني وتجعلني سرابًا؟ ...

تبيست الأجساد وازداد الوجوم على وجوههم، هذا الخبر كان بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، قصمت ظهر آمالهم وطمأنينتهم، تبدلت حيرتهم إلى خوف وارتباكٍ كفيلاً بفقدهم لصوابهم، ومع ذلك حافظوا على نظرة الوجوم والثبات أثناء استقبالهم لتلك الصدمة التي لا يُريد عقلهم تصديقها، كيف تم اختطافهما؟ ولم في هذا الوقت بالتحديد؟ لم يمنعهم القدر دائمًا من تحقيق ما يرغبون بتحقيقه؟

بقيت الأفكار تحوم حول رأسهم وهم يترتمون على الأرائك لأكثر من ساعتين في حالة من الصمت والانهيال، أتى لؤي من حيث ذهب وكانت عوالمه تنضب بالغضب والصرامة، أخذوا يلحون على إسلام أن يخترق إحداهما لكن محاولات إسلام دائمًا ما تبوء بالفشل، لم يتوقف عن اعتصار عقله أكثر من مرة حتى كاد عقله ينفجر ويجعله ينفجر بوجوههم أمام الحاحاتهم التي لم تتوقف:

-مش عارف ... مش عارف ادخل ولا واحد فيهم

زفر بحرقة بعد حديثه، وكان زفيره أشبه بدخانٍ هاجرٍ يقذفه تنينٍ غاضب، ارتمى إسلام على الأريكة بينما كانت قمر تقول باستنتاج وقلقٍ جثيم:

-كدة معناه إنهم متخدرين ريتا قالتلي إن التخدير والنوم العميق بيمنعو عملية التنقل

أضاف لؤي على حديثها باندفاعٍ حمل حنقه من هذا المُختطف الذي يعلمه جيدًا:

-أكيد لازم يخدروهم ... تلاقيهم عارفين المعلومة دي ... بس أنا وحياء اللي خلقتني ما هسيبهم

قالها بصوتٍ جهوري أخرج إسلام من شروده وجعله يهتف بتهكم:

-هتعمل إيه ؟ هتثبت إزاي إن إلي اسمه طلال ده هو إلي ورا كل حاجة ؟...
ومين أصلاً إلي هيصدقك ؟ مين إلي هيصدق إن طلال بيه الدكتور المشهور...
يهدد ناس زينا...

اشتعلت النيران داخل قزحتيه وهو يواصل الحديث ويقترّب نحو لؤي الذي واجهه هو الآخر بنظراتٍ مُتحدية استمع فيها لكل كلمة متألّمة نابعة من فؤاد إسلام وهو يصرخ بوجوههم:

-هتقولهم إيه ؟... هتقولهم إننا متقلّين ؟ هتقولهم إن علينا لعنة عشان كدة
الحيوان ده بيلاحقنا....

حاول تنظيم أنفاسه وهو يواصل الحديث بندم:

-كنت عارف إن ده إلي هيحصل ... عشان كدة كنت مُصر على التثبيت عشان
هما لو وصلولنا... محدش هيصدقنا، ومحدش هيساعدنا

أنهى حديثه بُصراخ ودموع تكاد تُذرف من عينيه نتيجة الخوف، يعلم جيداً ما ينوي طلال فعله، يعلم أن كل ثانية تمرّ عليهم ستقلّ فرصة نجاة زوجته وصدقهم، وهو بين كل هذا، يعجز عن العثور عليها وإثبات أن ذلك الحقير يتبعهما، فحتى نرمى لم تذكر اسمه ولم يُثبت بعد أنه كان يُحرضها، وأولئك الذين اختطفوا زوجته ورافقها سابقاً بعد أن أفضوا باسم طلال، قامت الشرطة بالقبض على رجلٍ آخر يحمل نفس الاسم وألبسته تلك التهمة، والأغرب أن الرجل اعترف على نفسه وقال أنه من دبرّ حادثة الخطف من أجل المال وانتهاك حرمتهم.

هذا بالطبع مُدبرّ، كل شيءٍ دبرّه هذا الحقير حتى يُبعد الشبهات عنه، حتى هجومه على منزلها لم يستطع أحدٌ إثباته خاصة وهو قد اقتحم المنزل من الباب بصورة طبيعية، هذا الحقير لن يجعل الشرطة تتبعه أبداً، ولن يجعل أي شخصٍ يعتبره مُجرماً طوال حياته، وإسلام يعرف هذا كله، ويعرف أنهم لا يقدرّون على مواجهته لذلك أراد إنهاء الأمر من جذوره، ويبدو أن هذا أيضاً لم ينجح.

ارتدى إسلام على الأريكة باستسلام لترتمي يسرى جواره وتبدأ التربيت على ظهره
لعلها تواسيه قليلاً:

-متقلّش يا إسلام ... ان شاء الله هيرجعو بالسلامة

لم ينبس إسلام ببنت شفة وبقي صامتاً يحبس دموعه قدر الإمكان حتى أحس بطيف
لؤي يقترب نحوه وكلماته الصارمة التي أخلفت وراءها عينان حمران تطلقان
شراراً مع رغبة عارمة بالمواجهة وخوض التحدي:

-ظلال وإلي معاه هيتجاوبو وهتشوفهم بيتعدمو كمان ... حتى لو فيها موتي...

رؤية مشوشة تجعل جسدها يدور بعدم اتزان، حاولت الوثوب عن تلك الأرضية
الصلبة تتحسس جبهتها وكأنها ستستطيع التخفيف من هذا الصُداغ، بدأت الرؤية
تتضح رويداً لتجد نفسها داخل حُجرة صغيرة يحفها اللون الأزرق الباهت والأرضية
الصلبة الباردة، مررت يدها على كاحلها لتتحسس هذه السلاسل الحديدية التي تُعيق
حركتها وتجعلها مُكبلة بالحائط كما يُكبل الخروف من قدميه بجذع الشجرة، لم تكن
ترتدي حذاءها فكانت قدماها حافيتان باردتان وشعرها مُشعثٌ وكأنها كانت في
عراك، عراكٍ لا تتذكر منه شيئاً، تتذكر فقط أنها أرادت الذهاب لمتجر الأجهزة
الكهربائية واعترضها مجموعة من الرجال، ولا تدري ما حدث بعدها، وما سبب
مجيئها إلى تلك الحُجرة الضيقة؟

توقفت أفكارها حينما لمحت جسداً مسجياً جوارها على بُعد أمتارٍ قليلة، حالته لا
تختلف عن حالتها، نفس تلك السلاسل ونفس تلك الحالة المُهترئة، حاولت التحرك
قليلاً لتتبين ماهية هذا الرجل حتى أدركت فوراً أنه جابر:

-جابر ... جابر..

بقيت تنادي عليه ليستيقظ من تلك الغفوة ويبدأ التملل قبل أن يثب عن الأرض
بفقراتٍ تتضارب ببعضها وكأن ظهره على وشك الانفصال عن جسده، فرك عينيه
بأصابعه ليحمي هذا التشوش ويوجه نظراته نحو داليا التي كانت ترمقه بقلق.

-إن.. إنتِ كويسة ؟

سألها بقلقٍ وهو يعتدل في جلسته يرغب فقط بالاطمئنان عليها، فهو يتذكر هؤلاء
الرجال الذين اعترضوا طريقها وأوقعوها في تلك المكيدة، وربما محاولاته لانقاذها
أوقعته معها مرة أخرى، فهو لا يزال يتذكر احتجازهما في تلك الحجرة بالاسكندرية.

أومأت داليا رأسها بهدوءٍ دون أن تنبس ببنت شفة، ليس لأنها لا تقدر على الحديث،
بل لأنها ليست متأكدة إذا كانت بخير أم لا، فمن يُحتجز بحُجرة كهذه ويضحي بخير ؟

-إسلام قالي إن ده ممكن يحصل ... بس متوقعتش يحصل بالسُرعة دي

قالتها داليا بعد فترة من الصمت ليعتدل جابر بجلسته ويستند بظهره على الحائط
يحاول أن يتواصل مع تلك الطاقة وإنبائهم بما يحدث، وحتى هذا لم يقدر على فعله،
يشعر بالشلل يُحيط بأحراشه وصداع جثيم يمنعه من التفكير ويجعله يشعر بالإرهاق
دون أن يتحرك حتى، فلازال أثر المُخدر يغمر جسديهما.

-مش قادر اتواصل مع إسلام

بصق تلك الجملة ببيأس بعد العديد من المحاولات لتُضيف داليا على حديثه بنفس تلك
اللمحة المُستسلمة:

-أنا كمان حاسة إنني مشلولة ... و..وخايفة أوي

أنهت حديثها بنبرة مُرتجفة ودموع بدأت تُذرف من عينيها، حرّك جابر رأسه بإجهاذٍ
ليتقابل مع عينيها العسليتين ويبدأ بمواساتها بصوتٍ هاديءٍ رخيم:

-متخافيش ... كله مقدر ومكتوب، لو اتكتبنا نخرج من هنا نخرج

بدأت تلتقط أنفاسها بصعوبة حاولت معها كبح دموعها المُنهمرة قدر الإمكان وهي تتسأل بخوف:

-...تفكر هيعملو فينا إيه ؟

كان جابر عكسها تمامًا، فلم يكن يذرف من الدموع ولو قطرة واحدة، بل كانت ملامحه هادئة راضية كما كانت بالضبط أثناء اختطافها معه في مخزن جعبري.

-مش مُهم ... بلاش تفكري كتير عشان التفكير مش هيعمل حاجة غير إنه هيجليكي تخافي أكثر

لم تتحرك داليا وبقيت ساكنة تمامًا وهي تستمع إلى حديثه، بل حتى كلماته الهادئة دفعتها للهدوء قليلاً هي الأخرى.

بعد فترة وجيزة من الصمت، بدّل جابر نبرته إلى المرح الطفيف وهو يقول:

-وأنا عيل صُغير، المعلم شفيق كان بيوقفني على التلتوار استرزق وفي كل مرة كنت بنسى إني المفروض أبيع بلالين وافضل أبص على العيال وهي مع أهاليها ... كان نفسي أوي أبقى مكانهم

أنهى حديثه ببعض الألم الذي تلاشاه فوراً وهو يواصل بنفس المرح والاستذكار على أمل أن يُبدد خوفها:

-وفي مرة لقيت عيل صُغير بيلف الكورنيش وعمال يدور على أمه صعب عليا، ومكنتش عايزه يبقى زيي في الآخر... رocht سيبت البلالين إليي بسترزق منها وجريت عشان اساعده يدور على أمه...

اتسعت بسمته وهو يواصل باستذكار:

-وفعلًا لقيت أمه بتدوّر عليه على يمة الشط ... وشكرتني عشان ساعدت ابنها،
عرضت عليا فلوس كمان بس أنا رفضت ... كان بالنسبالي إني أشوف سعادة الولد
وهو بيرجع لأمه أفضل من أي حاجة تانية في الدنيا...

ضرب على فخذة أثناء مواصلة حديثه:

-بس طبعًا المعلم شفيق هزقني عشان ضيعت البضاعة ومجبتش فلوس

تنهد تنهيدة عميقة ليُحدق بعدها في السقف مواصلاً الحديث لداليا التي تغافلت عن تلك
المُعضلة وبدأت تتفرس حديثه وتُفكر فيه أيضًا.

-ياريته كان شافني دلوقتي وأنا معايا محل وساكن في عمارة نضيفة ... مع ولاد
ناس

أنهى حديثه ببسمة هادئة دفعتها للابتسام هي الأخرى لتراه يواصل الحديث بطمأنينة:

-كل حاجة بتعدي ... حتى لو صعبة

أسبلت داليا بأجفانها وهي تُحدق بالأرضية في صمت وتواصل المحاولة للتواصل مع
تلك الطاقة دون أية فائدة، فرغم أن المُخدر بدأ ينتهي مفعوله، إلى أنها لا تقدر أيضًا
على التواصل مع إسلام وإخباره عمّ حدث، تعلم جيدًا أنهم اكتشفوا اختفائهما وبدأوا
البحث عنهما، فالساعة الآن يبدو أنها اقتربت من الرابعة فجرًا، المعاد الذي ينام فيه
الجميع، عداهما...

انفتح باب الحُجرة مرة واحدة لتتنقض أجسادهما تزامنًا مع دخول طلال بلامحه
القاسية عديمة الرحمة ورجاله الأربعة ضخام البنية، تفهقهر جسد داليا للوراء حتى
باتت مُلتصقة بالجدار تحاول إبعاد أنظارها المُرتبكة عن نظراتهم القاسية، بينما كان
جابر لا يزال في حالته الساكنة ونظراته المتحدية التي وجهها نحو طلال مباشرة.

ارتسمت بسمة ماكرة شيطانية على ثغر طلال وكأنه يستلذ برؤيتهما في تلك الحالة.

-أسفين على الطريقة التي جيتو بيها ... بس أنا حذرتكم كثير قبلها، وقولتكم كمان ... يا تيجو بمزاكم ... يا هجيبكم غصب عنكم

أنهى الحديث بكلماتٍ مُهددةٍ دفعت داليا للخروج من صمتها والحديث بلكنة أقرب للصراخ:

-إنت عايز إيه؟ ... إحنا عملنا إيه عشان تعمل كدة؟

تأتأ طلال بصوته دلالة على الاستنكار ليقترّب بعدها بوجهه نحو داليا مُستلذاً برؤية دموعها الجافة وعينيها الحمراء ليطلق على الحديد وهو ساخن بكلماته:

-إيه يا دكتورة ... معقولة نسييتي عملتو إيه زمان؟

زاد ارتجاف داليا وهي تندفع بوجهه بعد أن فهمت المغزى من حديثه، فبالطبع يتحدث عمّ حدث سابقاً:

-إحنا معملناش حاجة ... ضُرْ غام هو إلهي فضل ورانا ... وهو إلهي عمل كدة في نفسه

أوما طلال برأسه باستخفافٍ وهو يبتعد بجذعه عن داليا متفوّهاً:

-هو فعلاً عمل كدة في نفسه قولتله قبل كدة يخلص عليكم علطول ... بس دايمًا مكنش بيسمع مني...

تجوّل أمامهم بضع خطواتٍ قال معها بلؤم:

-يا خسارة ... مات هو ومراته بسبب شوية أغبية زيكم ... وأنا بقى...

توقف عن السير ليرميها بنظراتٍ حادة متوّعدة قال معها:

-مش هكرر نفس غلطته ... بس بدل ما اخلص عليكم ... هجبركم تشتغلو معايا

تصاعدت ضربات قلب داليا وكادت دموعها تنهمر مرة أخرى، بينما تصلب جسد جابر وبقيت نظراته المُستحقرة والحاقدة مُوجّهة صوّب طلال يريد فقط أن تنزاح هذه السلاسل الحديدية لينقض عليه كالثور الهائج.

بعد فترة وجيزة من الصمت إقترب طلال بخطواته نحوهما وعيناه تنضببان بالشرر وهو يقول:

-للأسف مش هقدر اشتغل عليكم انتو الاتنين مرة واحدة ... لكن متخافوش، إللي هيحصل في الأول ... هيحصل في الثاني

زادت كلماته من رهبتها رغم الثبات الذي يجاها حتى يُظهره أمام طلال، فإظهار الخوف يعني الاستسلام، وهما لا يريدان الاستسلام، ولا يُريدان الخضوع لهذا الأرعن.

-فيا ترى بقى نبدأ بمين....

رفع سُبَابته لِيُشهرها نحو جابر باحتقارٍ قال معه:

-الحرامي بتاع اسكندرية..

حرّك إصبعه صوّب داليا ليوصل حديثه:

-ولا_

قطعه جابر بسرعة وصوتٍ واثقٍ مع رغبة عارمة بإيقاف ما ينتوي قوله:

-ابدأو بيا...

التفت جابر نحو داليا ليرميها بنظرة عابرة مُطمئنة زادت من ضربات قلبها وخوفها، آعاد نظراته الواثقة صوّب طلال لِيُعيد قُراره مرة أخرى:

-لو عاوزين تبدأو بحد ... فابدأو بيا أنا

نمت قهقهة شيطانية على ثغر طلال وهو يُربت على فخذ جابر ربتة ماكرة سببت قشعريرة واشمئزًا بجسد جابر، وثب طلال عن الأرض متفوّهاً بتقرير:

-زي ما تحب...

ثم أشار بأصابعه نحو رجاله ليملّي عليهم أوامره:

-خدوه ... وخذروها تاني

ما إن أدلى أوامره حتى انقض الرجال على جابر لينتشلونّه عن الأرض بعد أن باغثوه بصاعقة كهربائية جعلت داليا تحاول التملص من تلك القيود وهي لا تتوقف عن الصُراخ والسب والبكاء، حاولت الذهاب بجسدها إلى أولئك الرجال وهم يرفعون جسد جابر عن الأرض بعد أن فكّوا وثاقه، لكن جسدها الهزيل منعها من تهشيم هذه السلاسل لتنهمر دموعها ويزداد صُراخها وسُبَابها.

تراهم يتركون الحُجرة جاذبين معهم جسد جابر ليجرانه على الأرض ثم أحست برجلين يُكبلان حركتها ويحقنانه بمُخدرٍ جعلها تدور حول نفسها قبل أن تسقط مغشية عليها لا تعلم ما الذي سيفعلونه بجابر....

أضحينا في زمنٍ نطلب فيه المساعدة من العجزة، فالقادرون على المساعدة لا يقومون بها...

كان كالعاجز الذي يتكّيء على عُكازه ويرغب بإنهاء سباقِ والركض لأميال، عاجزًا عن البحث دون أية أدلة، وخائفًا مما سيحدث إن طالت فترة بحثهم، فها هما أسبوعين كاملين يُمُرّان عليهم دون العثور على أي أثرٍ لذاك الحقيير طلال وغريمه الذي عرف من إسلام أن اسمه يبدأ بحرف الدال، فإسلام لا يتذكر هذا الاسم الذي أخبره إياه

حرب، ولا يرغب حتى بمقابلته مُجددًا، ربما بسبب تشوُّش عقله الذي يمنعه من الانتقال، وربما بشعوره بالمسئولية اتجاه ما حدث وكأنه السبب.

أنهى لؤي تفحص الأوراق دون أية فائدة، جميع أوراقه سليمة وكأنه ملاكٌ يسير على الأرض، طبيبٌ ناجحٌ بمشفى عريقة يتكالب عليها غلية القوم، لا أثر لشبهة جنائية وربما لم يطيء مركز الشرطة ولو مرة واحدة، ليس متزوجًا لكنه أرملٌ لسيدة لقيت حتفها بسبب مرضٍ خطيرٍ لا علاج له، ليس لديه أبناء والجميع يشيد بكثرة علاقاته ومعارفه الذين يغرقون البلاد.

ألقي لؤي تلك الأوراق على الأرض بغضبٍ تبدد معه بذرة الأمل، هو متأكدٌ أن هذا الحقير هو من كان يُهدد إسلام وداليا وجابر، لكنه لا يجد ثغرة يثبت بها حديثه، ولا يعرف كيفية العثور على تلك الثغرة.

قطع شروده وانهماكه بالبحث، صوّت الباب الذي فُتح ودلف منه أحد الضباط الأقل رتبة ليخبر لؤي أن اللواء يُريده بمكتبه؛ ترك لؤي ما يفعله ملبياً دعوة النداء واثبًا من مقعده ليتبع هذا الضابط حيث مكتب والده، اللواء عبد الصبور.

توقفت قدماه أمام عبد الصبور بعوالم الوجوم والغضب الطفيف الذي لم يترك أثره عن وجهه، هذا الغضب كان يظهر أضعافًا على وجه عبد الصبور وهو يرمق لؤي بشزر كما لو أن لؤي أحد أعداءه، فما ارتكبه لؤي بتلك الأيام لم يكن هينًا ليُمرره عبد الصبور بهذه البساطة.

- أهلاً يا حضرة الضابط ... ممكن اعرف إيه القوات إللي إنت بعثها تدور ورا الدكتور طلال؟

سأله بحدة وصوتٍ جهوري لم يحدث أثرًا بلامح لؤي الجامدة وهو يُجيب:

- أنا بأدي واجبي يا سيادة اللوا

بدا حديثه مُهذبًا وواثقًا لكن عبد الصبور اندفع بوجهه بغضبٍ عارم:

-شُغِكَ إنك تدور ورا ناس من غير إذن النيابة؟... شُغِكَ إنك تعتدي على
خصوصية الناس بسبب أوهام في دماغك_

قطعه لؤي باندفاع يُمائل اندفاع و غضب والده:

-دي مش أوهام ... إلي اسمه طلال ده هو إلي خطف داليا وجابر

-ومين قالك إن هو إلي خطفهم؟ ... عندك دليل؟

أخض لؤي رأسه وهو يفكر بالإجابة التي لا يعثر عليها من الأساس، فحتى كاميرات
المراقبة التي التقطت تلك الظلال وهي تختطف داليا وجابر لم تُظهر أية أدلة بسبب
الظلام الدامس والجودة القليلة، بقي لؤي في حالة من الصمت حتى عاود عبد
الصبور حديثه على أمل أن يعترف لؤي بخطأه ويكف عن التدخل بحياة طلال وإلا
تضرر عملهم، فطلال لديه العديد من المعارف بالداخلية ويستطيع بسهولة أن يوقف
لؤي عن العمل، وعلى الأحرى، هؤلاء المعارف هم من جعلوا عبد الصبور ينتبه
لأمره ويحاول إيقافه.

-عندك دليل؟؟ ... هل في سبب معين يخلي الدكتور طلال يخطف أصحابك؟

نعم، بالطبع يوجد، لكن هذا السبب لا يمكن الإفصاح عنه، ببساطة، لا أحد سيُصدقه،
وربما يتهمونه بالجنون والهذيان.

تنهد لؤي تنهيدة عميقة قبل أن يرفع رأسه نحو عبد الصبور محاولاً أن يثبت اصراره
بصرامة:

-مفيش ... بس عن قريب هلاقيه

تجاهل عبد الصبور اصراره وأراد إنهاء الأمر بقراره الحاسم:

-وانا مش هستنى لما حضرتك تلاقيه ... إنت هتمضي دلوقتي على تعهد بعدم
التعرض للدكتور طلال ... وإلا تسلّم شاراك وتُخرج من هنا، وهيتم تحويلك
للتحقيق

بصق تلك الكلمات وهو يُخرج ورقة مصيرية ويضعها على مكتبه بجوار القلم، رمقه
لؤي بنظراتٍ حانقة مُعارضة جعلته متيبساً في موضعه لا يسعه التحرك، ولا يسعه
الرفض أيضاً، الصمت فقط هو ما اتخذه أمام نظرات عبد الصبور الحادة والتي
جعلته يُعيد أوامره بصوتٍ جهوري:

-اتفضل امضي يا حضرة الطابط

زادت تلك الكلمات من غضب لؤي واصراره على العثور على ذلك الحقيير وغريمه،
أطبق على شفثيه بحنقٍ ضمّ معه قبضته بقوة ليرمي عبد الصبور بنظراتٍ مليئة
بالاصرار قبل أن يندفع خارج المكتب رافضاً أن يمضي على تلك الورقة اللعينة
وعازماً على مواصلة البحث حتى ولو تسبب بفقدان وظيفته....

فتح عينيه بثقلٍ وجسدٍ مُنهكٍ أصبح كعجوزٍ بالثمانين من عُمره، أبعده إسلام جسده عن
الأريكة ليلعن نفسه للمرة المئة، فهو لا ينام سوى ساعة أو ساعتين باليوم منذ ما
حدث مع زوجته وصديقه، يعتصر عقله طوال اليوم حتى يتواصل معهما ودائماً ما
يُبدد الفشل محاولاته، حتى أنه في ليلة اختفائهما بقي مُتيقظاً طوال اليوم حتى غفى
عنوةً بالثالثة أو الرابعة فجرًا، ولا يتذكر سوى استيقاظه بالثامنة صباحًا يلعن نفسه
لأنه استسلم للنوم العميق وربما كان ليستطيع انقازهما بتلك الساعات التي غفا بها.

ومنذ ذلك اليوم وحياته تسير بالعكس، يبقى مُستيقظاً طوال اليوم حتى برزت هالة من
السواد أسفل عينيه، ناهيك عن عينيه الجاحظة بسبب القهوة التي لم يتوقف عن
شربها، حتى أن طعامه لم يعد يجد الشهية لتناوله وثيابه أضحت مُهترئة من قلة
الاعتناء بنفسه.

للهولة الأولى، تظن أنه فقد فقيداً ويتحسر عليه في تلك الأيام، لكن الحقيقة أصعب من فقدانك لفقيدي، فشعور أنك ستفقد أحدهم إذا لم تقوم بالمساعدة أصعب بكثير من تلقيك صدمة فقدان أعز معارفك.

اعتدل في جلسته لينحني بجذعه ويواري رأسه بين رُكبتيه مُغطياً إياها بكفيهِ الاثنين، يحاول أن ينازح هذا الصُداق الذي يُباغته بسبب قلة النوم والإرهاق النفسي، رفع رأسه لأعلى ليلتقط القليل من الأنفاس ثم يُغلق عينيه ويحاول للمرة المليون أن يتواصل مع هذه الطاقة اللعينة، وكما يحدث كل مرة، بأت المحاولة بالفشل وجعلت غضبه وحنقه يزداد أكثر، ليس فقط ممن خطف زوجته وصديقه، بل من تلك القدرة اللعينة أيضاً.

كانت مُستلقية على ظهرها في تلك الحُجرة الصغيرة الباردة، تصارع من أجل أن ترفع جسدها بضع أمتارٍ عن الأرض قبل أن يباغتها هذا الصداق والإرهاق ويجعلانها تخر مُجدداً وتغيب عن الوعي.

الرؤية مشوشة لا تجعلها قادرة على تمييز محتويات الحُجرة ولا لون جدارها، جسدها أضحى أكثر هزلة بسبب قلة تناولها للطعام، فلا يدخل لها سوى وجبة واحدة طوال اليوم وهي لا تتناول منها شيئاً سوى مرة واحدة كادت فيها تموت جوعاً.

كان الألم ينهش ذراعها المليء بالثقوب جراء هذه الأدوية والمُخدرات التي يحقنونها إياها عنوة حتى تتغيب عن العالم، ومن شدة شعورها بالعزلة والدوار أصبح عقلها يهتمها أن كل ما حولها ما هو سوى كابوسٍ سينتهي عم قريب وستجد نفسها في منزلها مرة أخرى بعد أن أجرت عملية التثبيت وأضحى كل شيءٍ على ما يُرام، بل أنها أحياناً تستيقظ من تلك الغفوة وتستمر بالصُراخ والهذيان حتى يأتي أحد الحُراس ويحقنها مُجدداً لتغفو عن العالم.

هذا اليوم، وبعد مرور أسبوعين كاملين دون أن يُساعدهما أحد، قررت أن تحاول مُجدداً وتجرب التواصل مع هذه الطاقة، ستحاول قدر الإمكان أن تهتم الحُراس أنها لا تزال مُغيبية عن العالم حتى لا يحقنونها بتلك المواد مُجدداً.

أخذت نفساً عميقاً ثم أخرجته قبل أن تضغط على عقلها بما تبقى لها من قوة، بقيت تضغط وتضغط حتى تحوّل وجهها إلى اللون الأحمر، لكنها في النهاية وبعد محاولاتٍ عديدة، استطاعت الخروج بروحها ليسقط جسدها على الأرض كجثة هامة.

رسمت بسمة مُنتصرة على ثغرها قبل أن تتحرك بسرعة عازمة على الخروج من هنا والبحث عن أية أدلة تجعلها تعرف أين هما، وتبحث أيضاً عن جابر لتتفقد أحواله.

تحركت بانسيابية على الرُدهة تتلفت بوجهها يميناً ويساراً حتى وجدت حُجرة مُغلقة قررت أن تدلفها لعل جابر داخلها، لكنها ما إن دلفت هذه الحُجرة حتى وجدتُها مليئة بالأجهزة والمُعدات وبعض الأدوية التي يتم حقنها بها يومياً وطوال الوقت، تركت تلك الحُجرة بيأس لتواصل السير في كل مكانٍ بهذا المبنى العتيق وتقتحم الحُجرات لتجدها خالية مُقنطة بالقذارة وبُقع الدماء.

بعض الحُجرات كانت مليئة بالخرداوات وبعضها كان فارغاً يُشبه تلك الحُجرة التي تقطنها، والبعض الآخر كانت حُجراً صغيرة ضيقة شديدة الظلام لدرجة تجعلها تُصاب بالعمى، هكذا بقيت تنتقل بين الحُجرات والطُرقات بحركاتٍ سريعة وأنفاسٍ مُضطربة، فهي لا تعلم كم العواقب التي ستتالاها حينما يكتشف الحُراس أنها تركت جسدها.

توقفت أقدامها داخل حُجرة تحتوي على مجموعة من الرجال، تحديداً رجلين، كان هذين الرجلين يتناولان الشطائر بنهم ويتسامران بوقاحة عن جاذبية النساء الذين يُعاشروهن، تجاهلت داليا حديثهما الوقح وقررت أن تترك الحُجرة وتتركهما وشأنهما، لكن ما يبئس جسدها هو تلك الحقيبة البلاستيكية الموضوعة على الطاولة، تلك الحقيبة الخاصة بأحد المطاعم المُتخصصة بوجبات الفطور، لا يُهم إن كانت مُتخصصة بطعام الفطور أو غيره، ما يُهم فقط، هو أن هذه الحقيبة تحمل عنوان المتجر الذي ابتاعوا منه الشطائر، أي أن هذا العنوان ربما يضحى طرفاً بمعرفة أصدقاءها عن مكانهما، فهو على الأغلب قريبٌ من تلك البناية وربما كاميرات هذا المطعم تجعلهم يتتبعون واحد من هؤلاء الرجال.

هكذا انتهت أفكارها لتهرول بأقصى ما لديها نحو حُجرتها مُجددًا كي تعود إلى جسدها وتنتقل بسرعة إلى جسد إسلام...

كان على الجهة الأخرى لا يزال غارقًا في بحور يأسه حتى وجد جسده ينتفض مرة واحدة، تغيرت ملامح إسلام إلى أخرى مرتبكة وأصابع مرتجفة أثناء هرولة داليا صوب حُجرة النوم لتُخرج أحد الدفاتر الخاصة بإسلام وتنتشل أحد الأقلام حتى تدون بسرعة وبخطٍ أقرب للركاكة بسبب ارتجافة أصابعها.

-مدينة الفردوس، مركز المدينة التجاري، نور الساعة الثامنة صباحًا...

كتبت وصفًا موجزًا لهذين الشابين اللذان كانا داخل الحُجرة ثم تركت القلم وأخذت الورقة وبقيت تقبض عليها وهي تتمدد على الفراش حتى تعود إلى جسدها مرة أخرى.

انتفض جسده ليثب بسرعة عن فراشه الذي لا يعلم كيف أتى له، كانت الصدمة تُلطخ ملامحه وتجعل وجهه أصفرًا كأكواز الذرة، تناقضت مشاعره لدرجة تجعل صدمته تزداد أضعافًا، فهو لا يعلم إن كان سيسعد لأنه استطاع التواصل مع داليا أخيرًا، أم سيزداد ذعرًا لأنه تأكد أنهما ليسا على ما يُرام، وربما إن تأخروا أكثر لن يستطيعوا العثور عليهما مُجددًا.

لاحظ تلك الورقة بين يديه ليرفعها اتجاه عينيه ويقرأ تلك الكلمات التي ظهر عليها الارتجاف؛ اتسعت حدقتي عينيه وهو يقرأ هذا العنوان ويُدرك فورًا أنه عنوان أحد المطاعم، لكن أوصاف الرجال ربما تبدو خيطًا آخرًا يُساعدهم للعثور على زوجته وجابر.

وثب بسرعة عن الفراش ليهرع نحو الخزانة ويُخرج منها ما تقابله يده من أوعية، ألقى بسُترته الرمادية على الفراش يليها بنطاله الأسود وبدأ بتبديل أوعيته بأقصى ما لديه من سرعة.

انتهى من تبديل أوعيته ليُخرج الهاتف الخاص به مُجريًا لإحدى المكالمات ذات الأهمية القصوى:

-لؤي أنا عرفت طريقة نلاقي بيها داليا وجابر....-

يُصبح الظلام أكثر عُتمة حينما تضحى وحيداً، ولا تعرف طريقة للنجاة...

صوت أزيز الباب اخترق أوزاره وجعله يحاول الاعتدال رغم الجروح التي تتكالب على جسده والدماء الجافة التي تنبثق من أنفه وفمه، يترنح في جلسته وهو يحاول الاعتدال ويُجاهد كي يفتح عينيه، يحاول أيضاً تحريك يديه وأرجله المُكبلين بقسوة بتلك السلاسل الحديدية، بصر أمامه هذين الرجلين الضخمين وهما يقتربان نحوه وينتشلانه عن الأرض.

آراد إبعادهم والصُراخ بهم لكن ألامه تجعله يئن بدلاً من الصُراخ، كان الضوء ثقيلاً على عينيه بسبب بقاءه في تلك الحُجرة المُعتمة لأيامٍ متتالية لم يشهد بهم سوى العذاب، يشعر في كل يومٍ بأحدهم يقوم بضربه وجرحه بالمديّة، بل ويسمع سُبابهم بأذنه وصراخهم به بأن يرضخ لأوامرهم ويتبنى أفكارهم، يتبنى مبادئ تلك المُنظمة اللعينة التي ليس لديها هدفٌ واحدٌ سوى السيطرة وارتكاب الجرائم المروعة، وهو لم يتوقف عن الإنكار والرفض حتى زادت جروحه وحُرم من الطعام لعدة أيام.

يعلم جيداً أنهم سينتهوا منه ويُخضعوه لهم حتى يعيدوا ما فعلوه معه لكن مع داليا، وهي بالطبع لن تتحمل ما واجهه وربما تفقد صوابها عندما يقترب منها أولئك الرُعاء محاولين انتهاك شرفها.

لهذا السبب قرر أن يصبر على صموده ويتحمل ألوان العذاب حتى لا يتركوه ويبدأوا بداليا، فربما سينقذه أحدهم قبل أن يفقد صوابه ويجد نفسه خاضعاً لهم عنوة.

أمسكه الرجلان وأصقا ظهره بالحائط حتى يتوقف عن الجراك وينظر إلى وجه طلال الذي دلف الحُجرة على أمل أن يراه خاضعاً لهم، لكن ما وجدته هو نظرة الإنكار والاشمئزاز التي يتعمد جابر رميها بوجه طلال.

ركع طلال على رُكبتيه ليضحى مواجهًا لعيني جابر حتى يقول له بصوتٍ هاديءٍ
يحمل الشر داخله:

-قولتلهم إنك هتقع من أول قلم...

رسم بسمه مُتهكمة على ثغره وهو يواصل:

-بس شكك كدة هتخلينا نستخدم الأسلوب الثاني

زادت نظرات الاشمزاز على وجه جابر حتى بصق على وجه طلال بصقة جعلت
نثراتٌ من لعابه تستقر على وجنة طلال.

أطبق طلال على فكيه بحنقٍ قبل أن يمحو أثر تلك البصقة بنظراتٍ تنتقض بالشرر،
تأوه جابر بصوتٍ مكتوم بسبب ركلة أحد الرجال التي استقرت على خصره تحديداً
على أحد الجروح الغائرة التي خلفتها آثار التعذيب، أمسكه طلال من ياقة قميصه شبه
الممزقة كي يدفع وجه جابر قبالة وجهه حتى يستمع جيداً إلى وعيده:

**-أنا مش عارف إنت جايب الصمود ده منين ... بس مسيرك هتقع، وهترقع تحت
رجلي تترجاني إنت والحُرمة اللي جات معاك**

دفعه بقوة ليرتطم بالحائط دون ردة فعل، فهو قد تناسى شعور الألم بسبب اعتياده
وحقنه بتلك المُنوعات من أحد الرجال، تلك المُنوعات لا تُصيبه سوى بالدوار
وعدم الاتزان، لكنها لا تمنع شعوره بالألم، بل تزيده أضعافاً.

عانقت رأسه الأرض مع ذاك الدوار الذي أخذ يداهمه، لا تزال الرؤية مشوشة
بالنسبة له، لكنه استطاع أن يرى طلال يجذب عصا خشبية يتفرع منها المسامير
الصغيرة الحادة، أعطى طلال هذه العصا لواحدٍ من رجاله، ثم أشار بعينه على جسد
جابر المسجي قبل أن يترك الحُجرة في صمت، متجاهلاً صوت الركلات والضربات
الموجعة وكذلك صُراخ جابر المكبوت....

بدأت الشمس بإسدال ستارها وكان هذا اليوم حافلاً ببصيص من الأمل والبحث، فما إن أخبرهم إسلام عن طرف الخيط الذي وصل له حينما اتصل بداليا، حتى هرع فوراً صوب المطعم برفقة لؤي الذي أمر المالك بفتح كاميرات المراقبة ورؤية من أتى إلى المطعم بالثامنة صباحاً، وبعد أن التقطت الكاميرات شأباً ضخماً البنية ذا لحية بسيطة مُنمقة وشعرٍ أكرتٍ قصير، أشار إسلام على صورة هذا الرجل مُتذكراً تلك المواصفات التي دُونتها داليا بالتفصيل في تلك الورقة.

أمر لؤي بعض رفاقه بمعرفة هوية هذا الرجل حتى استطاعوا معرفة أين يسكن ومتى يعود إلى منزله، فقد انتظروا العديد من الساعات حتى وجدوه يصعد درجات السلم وهو يُدندن بكلمات أغنية منتهزاً وجوده وحده بتلك البناية، أو هكذا كان يعتقد.

داهمه لؤي بانقضاضه كالثور الهائج على الرجل ودفعه بقوة ليلتصق ظهره بالجدار؛ اتسعت حدقتي الرجل في ذهولٍ وهو يتابع نظرات لؤي المُشتعلة ويجد رجلاً آخرًا خلفه يحمل نفس هذه النظرات ولم يكن سوى إسلام، وكذلك نظرات قمر المُرتبكة لأنها أصرّت على المجيء معهما حتى تستطيع استجواب الرجل.

ضغط لؤي بذراعه على رقبة الرجل وهو يُلصقه بالجدار حتى كاد يُصيبه بالاختناق، أخذ يهتف بوجهه بصوتٍ جهوريٍ مُهدد:

-وديتوهم فين ؟ ... انطق بدل ما اخليك متعرفش تتكلم بعد كدة

لم يتخلّى الرجل عن صموته وثباته أمام نظرات لؤي المُشتعلة وغضبه الجبار الذي أخمدته قمر بوضعها لأناملها بهدوءٍ على كتف لؤي متفوّهة:

-لؤي ... سيبه، أنا هتكلم معاه

هدأت نيران لؤي قليلاً وهو يستجيب إلى قمر بينما أخرج إسلام هاتفه ليُسجل كل لحظة وكل أدلة سيحصلون عليها.

ثبته لؤي على الحائط حتى تستطيع قمر أن تستقر بعينيها على خاصته وترميه بنظراتها الثاقبة التي جعلته يهيم ويتغيب عن العالم مرة واحدة، بقيت عيناه تطوفان في عالمٍ آخرٍ وأمامه قمر تسأله بهدوء:

-لما خطفتمو داليا وجابر ... أخذتموهم على فين ؟

دون أن ينتبه الرجل، بدأ يسرد عليهم عنوانًا تفصيليًا لأحد الأماكن التي يذهب إليها يوميًا، سجّل إسلام حديثه حتى انتهى منه وأغلق الهاتف ليهرول خلف لؤي الذي انسلّ الدرجات بسرعة عازمًا على الذهاب إلى ذاك العنوان وإنقاذ داليا وجابر قبل أن يتم تغيير مؤضعهما....

يدانٍ غليظتان تقبض على ذراعه وتجذبه كالماشية على رُدهة طويلة دون اكتراتٍ لحالته الصحية المتدهورة والدماء التي تتدفق من جسده، كانت الرؤية لا تزال مشوشة أمامه وعقله لا يُسعه ولا يساعده أبدًا على التواصل مع تلك الطاقة، حتى عندما يفيق من تلك المُسكرات لا يستطيع ترك جسده بسبب جروحه التي تمنعه، يستطيع فقط أن ينتقل إلى جسدٍ آخر، لكنه لا يريد ذلك حتى لا يُعرضهم للوجع الذي يتعرض له.

ثبته الرجلان على مقعدٍ ظهره مُسترخ للوراء حتى يستطيع الاستلقاء، قاموا بتوصيد رسغيه جيدًا وكذلك قدميه حتى لا يحاول المقاومة والفرار، تقدم أحد الرجال الذين يرتدون أزياء العُلماء وهم لا يمتلكون ولو ذرة ضمير واحدة، قام هذا الرجل بإيصال بعض الأسلاك والمجسات بجسد جابر تحديدًا عند جبهته، بينما يقوم رجلٌ آخرٌ بحقنه بأحد أنواع الممنوعات التي تجعل رأسه تزن أطنانًا وجسده يخور نسبيًا.

دلف طلال هذه الحُجرة بعد أن أسدلت السماء ستارها تمامًا ولم يبقى سوى عُتمة الليل التي تساعدهم على تأدية ما يأملونه، إقترب طلال نحوه بخطواتٍ رتيبة حتى توقف مباشرة خلف جسد جابر أُيربت على كتفه تربيّاتٍ بدت مُطمئنة لكن حقيقتها أبعد ما يكون عن الاطمئنان.

كان جابر لا يزال يحتفظ بآخر ذرات مقاومته وهو يحاول التحرر ونزع رسغيه عن تلك الأحبال التي تُكبلهما، لكن ربتة طلال جعلت جسده يستكين قليلاً ونظراتِ الحنق تتمثل على وجهه:

-محدث هيجي ... عشان لو كانوا هيجو كانوا جُم من بدري

تعمد طلال أن يعبث بعقله كجزءٍ من خطته في تحطيمه تمامًا حتى يرضخ لهم، لكن جابر لم يتخلّى عن نظراته المقيتة وصمته الذي دفع طلال لمواصلة الحديث بمُكرٍ وهو يتجوّل حول جابر:

**-تعرف يا جابر ... أنا لحد دلوقتي مستغرب إنت ليه مُتمسك بشوية الأغبية دول
.... دا هُما ذات نفسهم عُمرهم ما اعتبروك واحد منهم**

ازداد الحنق على وجه جابر بينما واصل طلال حديثه بعد أن قهقه قهقهة متهكمة:

**-أصل هيعتبروك واحد منهم إزاي دا إذا كان أهلك ذات نفسهم اتخلو عنك
ورموك للحرامية وكلاب السكك**

واصل الدوران حوله وحديثه بدأ يأخذ شكل السموم:

**-إوعى تفتكر إن الشويتين إلي بتعملهم دول عشان تبقى ابن ناس هيجيبو نتيجة
.... عشان لو كُنت فاكِر إن ده إلي هيحصل تُبقى حمار ... وحمار كبير أوي كمان**

أنهى حديثه ببسمة ساخرة ليقترّب بعدها من أذن جابر ويواصل بفحيح أشبه بفحيح الأفعى:

**-العالم عُمره ما هيقدر واحد زيكَ وهفضل طول عُمرِكَ وحيد ... وصحابك دول
مش هيعبروك_**

لم يعد يتحمل جابر المزيد من الأحاديث ووجد نفسه يصرخ بصوتٍ مُرتفع كاد يتحشج معه صوته:

-كفاية بقى ... ابعدي عني ... ابعدي عنا

تصاعد صدره لأعلى وأسفل وهو يحاول التقاط أنفاسه واستعادة ثباته، ابتعد طلال عنه بنظراته الماكرة والتي تحوّلت مرة واحدة إلى الغضب الطفيف، وقف على مقربة من جسد جابر ليردف بوعيد:

-مش هتخرج من هنا غير وانت راع تحت رجلي ... خليك فاكّر الجملة دي كويس

أنهى حديثه بإشارة لأحد الرجال حتى يقوم بالضغط على أحد الزرار ويبدأ جسد جابر بالاهتزاز والانتفاض وصوت انينه يتعالى مع صوت الكهرباء المتذبذبة، حافظ طلال على ثباته متجاهلاً أنينه وهو يواصل الحديث بخُبث:

-قولتك محدش هيعبرك ... إنت بالنسبالهم ولا حاجة

ازداد انتفاض جسده واهتزازه بعشوائية حتى تحوّل وجهه إلى اللون الأحمر من كثرة محالوته لكبح آلامه، أغلق الرجل الجهاز ليستكين جسد جابر ويبدأ العرق بالتصبيب من أعلى جبهته بعد أن تحوّل جسده إلى كتلة من النيران.

حاول جابر التقاط أنفاسه بصعوبة وداخله يُكرر : عليك أن تصمد ... عليك أن تصمد، هكذا ظل يُكرر حتى لا يستمع إلى كلمات طلال السامة والتي يحاول من خلالها بثه عدم الثقة بمن حوله وبأن خضوعه لهم هو الحل الأمثل، وما إن يتأكد طلال أن محاولاته تبوء بالفشل حتى يأمر رجاله بتشغيل الجهاز مجدداً لتعود هذه الزبازات ويعاود جسده بالانتفاض وإصدار صيحاتٍ متألّمة.

وبعد ثلاثة مراتٍ متتالية، بدأ جسده يزداد هزّالة، وقواه تخور تدريجياً، بدأ يلتقط أنفاسه بصعوبة ولا زال يشعر بلسعات الكهرباء حتى بعد غلق الجهاز، انحدرت عيناه لأسفل تلقائياً نتيجة إرهاقه لكنه يُقاوم ويفتحهما مجدداً مُردداً بداخله تلك الكلمات التي لا يتوقف عن ترديدها والتي تحوّلت إلى الدعاء والابتهال الذي لم يتوقف عنه منذ جاء إلى هنا.

إقترب طلال نحوه أكثر وبدأ صبره ينفد من هذا العنيد، رماه بنظراتٍ غاضبة مليئة بالاصرار والتهديد أثناء قوله:

-ها يا جابر عايزنا نكمل؟ ولا هتعمل إللي هنقولك عليه؟

كان الحنق على عيني جابر وهو يطالع طلال ويكتفي بالصمت لعدم مقدرته على الحديث، فالصداع يكاد يُمزق عقله، وغثيانه يزداد حتى شعر أنه بحاجة للتقيؤ، ناهيك عن هذا الشلل الذي يُحيط بجسده حتى لسانه.

ترجم طلال صمته إلى المعارضة وعدم الرضوخ، هذا مع جعل إصراره يزداد أضعافاً وهو يبتعد عن جسد جابر ويُشير بأصابعه نحو أحد الرجال وهو يُوّجه حديثه إلى جابر:

-إنت إللي اختارت

رفع الرجل من درجة الصاعقة بأمرٍ من طلال، ليزداد انتفاض جابر وصراخه الذي لم يستطع كُتمانهُ أكثر من ذلك، حتى أن دموعه لم تستطع الثبات وانهمرت عنوة من عينيه ووجهه الذي تحوّل إلى جمرة من اللهب، تحشرج صوته إثر صراخه ولا يزال طلال يقف أمامه يرمقه يتشفٍ وعدم اكتراث، بقي ينتفض لعشر دقائق حتى اقتحم الحُجرة أحد الرجال دون أن ينال الإذن، فيبدو أن لديه أمرٌ طاريءٌ يجب إيصاله بسرعة:

-طلال بيه ... الشرطه تحت ومحاصرين المكان

ارتعد طلال وأمر الرجل بإغلاق الجهاز بسرعة أثناء قوله:

-إيه !! ... يلا، يلا بسرعة ... لم الرجالة واطلعو من هنا....

ترك الحُجرة وترك جابر داخلها ليهرول بأقصى ما لديه نحو الباب الخلفي وضربات قلبه تصدح في خوف، فإذا تم كشفه في مكانٍ مشبوهٍ كهذا سيكون السجن أقل عقوبة ينالها....

سيأتي اليوم الذي تكتشف فيه أن حياتك السابقة كانت نعيمًا بالمقارنة مع حياتك
الآن....

تُحرك رسغيها ليحتكا ببعضهما بقسوة جعلت الكدمات الزرقاء تُحيط رسغيها
كالسوار، لم تتوقف عن تحريك رسغيها وقدميها بقلب ينبض من الهلع خوفًا من أن
يتم كشفها ويتم حقنها مُجددًا بتلك المواد المُخدرة، تصاعدت ضربات قلبها أكثر كلما
زادت من فرك رسغيها وازداد يأسها بسبب محاولاتها الفاشلة.

كادت قطرات الدموع تنساب على وجنتيها لكنها كبحتهم بكل طاقتها وحاولت
المحافظة على ما تبقى من عزيمتها لتتخلص من هذه القيود اللعينة.

أوقف حركتها صوت اطلاق النار الذي دوى خارج الحُجرة مباشرة، كان من
المُفترض أن ترتعد وتزداد خوفًا، لكن العكس هو ما حدث، حيث كانت تلك الطلقات
كالقشة الي ستعلق بها وتجعلها تنتهي من هذا الكابوس.

ارتخى جسدها مرة واحدة وتوقفت عن محاولاتها التي لا فائدة منها، راقبت الباب
بعينيها آملة أن يقتحم أحدهم الحُجرة ويُخلصها ويُخبرها أن جابر بخير وتم إنقاذه
أيضًا.

تعلقت بهذه الشعرة حتى داهمها صوت الباب وهو يُفتح بقوة كادت تجعله يتهشم لمئة
قطعة، وجدت أحد عناصر الشرطه يُشهر أمامها السلاح لكنه يخفضه ما إن وجد
جسدها مسجي على الأرض بحالة مُهترئة، أفسح الضابط المجال للوي الذي لم يكن
يرتدي زي الشرطه كبقيتهم لكنه كان يحمل سلاحه ويهرع صوب داليا ليحاول أن
يفك وثاقها.

ظهر إسلام هو الآخر وكان يحمل أحد الأسلحة لكنه لم يكن يستخدمه، فقط يحمله من
أجل الحماية ليس إلا، كانت نظرات الخوف على وجهه مما جعل داليا ترمقه بحيرة،
ربما هذه أول مرة ترى الخوف في عينيهِ، وجدته ينحني بجذعه ليُساعد لوي على فك
وثاقها وتحريرها من ذاك المكان.

-إنتِ كويسة ... عملوك حاجة ؟-

سألها إسلام بصوتٍ مُرتعدٍ يحمل الحدة والاندفاع، وما كان من داليا سوى أنها أومأت برأسها وحاولت الوثوب وهي تقول بصوتٍ مُرتجف:

-جابر .. لازم نلحق جابر-

احتدت نظرات لؤي ما إن ذكرت اسم جابر مما جعله يسأل:

-هما عملو فيه إيه ؟-

كادت دموعها تنهمر وهي تُجيبه بجهلٍ وصوتٍ مُرتجف:

-م...معرفةش ... ه..هما أخذوه-

جاهدت أكثر في تلك اللحظة حتى لا تنهمر دموعها وهي تتذكر ما حدث وتباغتها الأفكار السلبية بأن مكروهاً قد أصابه، ساعدها إسلام على الوثوب وكانت تترنح في مشيتها ولا تستطيع التوازن بسبب تلك الممنوعات التي لا يزال أثرها على جسدها، قبض إسلام على ذراعها وبدأ يُحركها بسرعة خارج الحُجرة وراء لؤي الذي يُشهر سلاحه أمامه تجنباً لأية رصاصة تُصيبهم.

أشار لؤي بأصابعه على إسلام وداليا حتى يتبعانه بسرعة قبل أن تبدأ الطلقات النارية بالتبادل، وما إن هرول إسلام جاذباً معه جسد داليا الهزيل حتى اختبأ ثلاثتهم خلف أحد الجُدران يختبئان خلف لؤي الذي بدأ إطلاق الأعيرة النارية على بعض المُجرمين الذين يتعمدون اسقاطهم طرحي، ما إن هدأت الطلقات النارية حتى أشار لؤي بأصابعه مُجدداً ليعاودوا السير في تلك الرُدهة وأعينهم تتلفت في جميع الاتجاهات بحثاً عن جابر.

توقف لؤي أمام إحدى الحُجرات وأطلق رصاصة على قفل الباب جعلته يتهشم وينفتح الباب تلقائياً، ركله بقدمه حتى يستطيع الولوج ويجد أمامه حُجرة صغيرة فارغة مليئة بالأدوات الكهربائية والأسلاك الشائكة، ابتعد عن تلك الحُجرة وواصل السير والبحث

في الرُدْهة التي أضحت خالية بسبب فرار المجرمين، أطلق النيران على بابٍ آخر ليجد حُجرة صغيرة فارغة لا تحتوي على أي شيء.

كاد اليأس يلوظ بهم وهم يواصلون البحث في تلك البناية مُتعددة العُرف، بقوا يتنقلون بين الحُجر الفارغة تارة والمليئة بالخردوات والأجهزة البالية تارة أخرى، واصلوا بحثهم حتى توقفوا أمام حُجرة ذات باب سماوي اللون تُعتبر آخر حُجرة في هذه الرُدْهة.

رفع لؤي سلاحه وأطلق منه رصاصة أصابت الباب وجعلته ينفث كالأبواب السابقة، ركل الباب مُجددًا بقدمه ليتفاجأ بأن تلك الحُجرة لم تكن خالية كالحُجرات السابقة، بل كان هناك جسدٌ مسجى يرقد على مقعدٍ مُسترخ للوراء ورسغاه مُكبلان بالأحبال مع تلك الأجهزة والأسلاك المُتصلة بجمجمته وأصابعه.

أخفض لؤي سلاحه وهول بُسرة صُوب جسد جابر الذي انبثق منه الدماء الجافة والجروح المُتقرحة، تصاعدت ضربات قلوبهم وهم يقتربون نحوه وينزعون تلك الأسلاك ويحلّون وثاقه.

تابعت داليا ما يحدث من بعيد بقلب يكاد يخرج من موضعه، تراه مغرورقًا بالدماء والجروح الغائرة تنتشر بجميع أنحاء جسده، ناهيك عن وجهه الشاحب وشفتيه الزرقاوان كالبحر، لم يتوقف إسلام عن مناداته باسمه وضربه على وجنتيه حتى يفيق، كما فعل لؤي أيضًا.

-جابر .. جابر ... جابر اصحى

لم يتوقف عن مناداته وضربه على وجنته دون أية فائدة، فلا أنفاس تخرج منه ولا معالم للحياة تظهر على وجهه وجسده المُلطخ بالدماء الجافة نسبيًا.

تصاعدت ضربات أفئدتهم وقد تحوّلت ندادتهم إلى صرخاتٍ متوسّلة ودموع مكبوحه، بقي إسلام يُحرك جسده لعله يفيق ويناديه لكنه لا يلقى سوى الصمت المهيب، كذلك انفجرت داليا في تلك اللحظة وبدأت تنهمر دموعها وصرخاتها المتوسّلة على جابر حتى يستمع لها.

توقف إسلام عن تحريكه ما إن لمح بعينه زجاجة خالية كانت تحتوي على نوع من الممنوعات يعرفه جيداً، تحسس ذراع جابر بعينه حتى وجد علامات الحقن تُغرقه، الحقن بهذا النوع من الممنوعات الذي يُصيب بالهزيان وعدم القدرة على الاتزان والتحكم بالعقل، أي عدم القدرة على التنقل!!

ما إن توصل إلى هذا الاستنتاج حتى هُدمت حصونه وخرَّ جسده حتى ارتمى على رُكبتيه، تيبس جسده على الأرض ولم يعد قادراً حتى على نُطق كلمة واحدة، لاحظت داليا تُوَقفه عن المحاولة فأخذت تُحركه وسط شهقاتها وتوَّسلاتها:

-إسلام ... إسلام شوفه ... شوفه عشان خاطري ... إسلام اعمل أي حاجة...-

ارتفع صَوْتُها واختلط بدموعها المُنهمرة وهي تلح على إسلام أن يفحصه كونه طبيباً يستطيع ذلك، لكنها وجدته مُتصلباً مكانه ودمعة مُتمرّدة تسقط على وجنته مع شهقاتٍ يحاول كبحها قدر المُستطاع، كذلك توقف لؤي عن تحريك جابر واستند على مقعده برغبة عارمة بتهشيم هذا المكان ليُخفف من وطأة غضبه وقهرته.

-يا إسلام بقولك شوفه-

صرخت داليا بتلك الكلمات ما إن لمحت اليأس يطغي على وجهيهما، وما كانت كلماتها سوى دفعة لإسلام حتى يخرج من صمته ويُصارحها بالحقيقة المؤلمة:

-خلاص يا داليا جابر مات...!!-

الفصل السادس والعشرون (العين بالعين والسن بالسن)

أضحى العدل من الأوهام، طالما أن الظالم لا يُلام....

تراخت يديها وتهدجت أنفاسها وهي تستمع إلى تلك الكلمة المكونة من ثلاثة أحرفٍ لكن وقعها ثقيلًا على القلب، صعبًا على العقل، لم يحدث هذا دائمًا؟ لماذا كلما أرادوا أن يحيوا حياتًا هادئة تصفعهم الحياة بتلك الطريقة؟

مات !! كيف مات؟ هو قد أخبرها أن تتحمل وأن الفرج قريب، وإسائها حتى تهدأ لتجده في النهاية يلقي حتفه بتلك الطريقة القاسية.

بات عقلها رافضًا لهذا الواقع الأليم ليجعلها تُحرك رأسها نفيًا ولسان حالها لا يُردد سوى كلمة لا، هذا بالطبع مُجرد كابوسٍ وستفيق منه، لن تشهد على موت أحدهم أمامها، هي لم تستعد لتلك اللحظة، لم تعتد بعد على رؤية الموت يتمثل في شخصٍ قريبٍ منهم.

-لا لأ.. لا أ.. أكيد مماتش ..م..ممكن يكون سايب جسمه ... مم..ممكن يرجع تاني
... أكيد هيصحي ... أكيد هيصحي أنا متأكدة..

بقيت تُردد تلك الكلمات بين دموعها المُنهمرة وشهقاتها التي لم تتوقف، كان إسلام لا يزال على ركبتيه لا ينبس ببنت شفة ولا يقدر حتى على الانهيار والصراخ، فقط يُحرق أمامه في صمتٍ ودموعه المكبوتة تنزلق من عينيه.

لم تختلف حالة لؤي عنه فيما عدا دموعه التي انهمرت بكثرة ووجهه الذي أخذ من اللون الأحمر وشاحًا، يحاول بكل الطرق أن يكبح جماح غضبه حتى لا ينفجر ويُحطم هذه الحُجرة بأكملها، لا يريد أن ينفجر أمامها حتى يمدُّها ببعض الطاقة، فدموعه حتى يحاول كبجها قدر الإمكان.

وثب إسلام عن الأرض بثقلٍ وآلية كما لو كان إنسانًا آليًا، كتفاه مُتهدلان ووجهه شاحبٌ كالموتى، لا يستطيع الحديث ولا التعبير عمّ يشعر به وكأن لسانه قرر أن

ينعقد في تلك اللحظة، بينما تقف داليا بوجهها الأحمر الذي لم يتوقف عن البكاء وتحريك جسد إسلام لعله يستجيب لتؤسلاتها ويحاول مساعدته:

-إسلام أبوس إيدك شوفه ... أبوس إيدك اعمل حاجة_

انفجر إسلام بوجهها وهو يقطع حديثها بصراخ جاهد حتى يكبته لكنه انفجر عنوة بسبب استنكارها للواقع:

**-كفاية بقى ... جابر خلاص مات الممنوعات إالي أخدها مش هتخليه يعرف
يسيب جسمه....**

التقط القليل من أنفاسه قبل أن يواصل بنبرة مبسوطة أقرب للبكاء:

-قتلوه ... هما إالي قتلوه...

انهمرت دموعه كشلالاتٍ شديدة التدفق، استسلم لقهرفته ودموعه التي يحاول كبتهها قدر الإمكان، زادت دموع داليا إثر كلماته القاسية التي لا تريد تصديقها، فهي آخر من رآته، وآخر من تحدث معه قبل وفاته.

ضمها إسلام لتستكين على صدره ويبدأ التمسيد على خُصلات شعرها الساخنة وظهرها الذي لم يتوقف عن الارتعاد نتيجة البكاء، كان يُحاول تهدئتها قدر الإمكان رغم أنه يُريد أن ينفجر مرة أخرى.

خرج لؤي من صمته ليعود إلى ذاك الواقع ويتذكر أن عليهم الخروج من هنا بسرعة، فكف دموعه ليتحلى ببعض الصلابة والثبات أثناء قوله:

-يلا ... لازم نمشي من هنا

قالها بتقريرٍ وهو يدثر ذراعيه أسفل ظهر جابر ورُكبتيه حتى يرفعه عن المقعد ويحمله على ظهره، فحتى وإن كان جثة هامدة، لن يتركه في مكانٍ كهذا.

هرول لؤي صوّب الباب ليركله بقدمه ويواصل الهرولة وخلفه إسلام الذي اتبعه في صمت جاذبًا معه ذراع داليا حتى يُساعدها على التحرك بسرعة ومقاومة انهيارها.

انسل لؤي درجات السلم تزامناً مع بدء الطلقات النارية مُجدداً، كانت جُثة جابر خفيفة الوزن فلم تكن تُعيق سيره ومحاولته للهرب من ذاك المكان، بينما كانت داليا تجاهد حتى تسير على نفس وتيرة إسلام حتى اقتربا من باب الخروج.

دوَى صوّت طلقة نارية بجوارهم، لكن هذه الطلقة أصابت قدم داليا وجعلتها تسقط على الأرض والدماء تنهمر من كاحلها، وصوّت أنينها وصراخها يضرب الجدران.

توقف إسلام عن الركض ليركع على رُكبتيه قبالة داليا حتى يرى جرحها لعله يستطيع المساعدة، لكن كيف يُساعدها في مكان كهذا؟ عليهما أن يرحلا بأسرع ما يُمكن حتى يستطيع إسعافها.

-يلا يا داليا ... لازم نمشي بسرعة

لم تستجب داليا لحديثه وواصلت البكاء والأنين وهي تتحسس الدماء المُنبثقة من جرحها وتقول بعجز:

-مش عارفة ... مش عارفة...

ازدادت أصوات الطلقات النارية حولهما حتى كادت تُصيبهما رصاصة أخرى، في تلك اللحظة، توقف إسلام عن الحديث معها وإقترب منها ليحملها عن الأرض ويواصل الركض بها خارج هذه البناية.

استكانت داليا على صدره وحاولت كتم أنينها قدر الإمكان، لكنها في النهاية، لم تتحمل وسقطت مغشياً عليها...

صوت تلاوة القرآن يُغرق المنزل الخاص بمُعتر، كان الجميع يجلس بوجوه متجهمة وأعينٍ بكت حتى الجفاف، حالة من الصمت تلبستهم وهم يستمعون إلى القرآن بعد أن انتهوا من دفن جثة جابر وقرروا تأدية مراسم عزاء ضيقٍ داخل منزل مُعتر.

لم يكن يوجد سواهم في هذا العزاء الصغير بسبب قلة معارف جابر، أو ربما انعدامها، رحل كبار المعازيم منذ ساعة واحدة وبقي فقط كلٌّ من إسلام ومُعتر وكوكي، ويُسرى، وخالد، وكذلك قمر، وريتا ومخيمر وبقيتهم فيما عدا داليا التي تركها إسلام غافية على فراشها بعد أن واجهت صعوبة بالغة في تحمُّل ما حدث، فهي أكثر من تضرر بعد موت جابر.

ساد الصمت لفترة حتى بدأت دموعهم تنهمر قطرة قطرة، ومُعتر يقول بصوت متألم :

-مكنش يستحق موة زي دي ... مكنش يستحق أي حاجة من إالي حصلت

جاهد حتى يخرج صوته مُتزنًا ولا تنهمر دموعه أكثر بسبب الظلم الذي تعرض له جابر، فلا أحد يستحق هذه الميته من الأساس، خاصة جابر الذي كان طوال حياته يُجاهد ليضحى شخصًا جيدًا خالٍ من الذنوب.

تحشرج صوت خالد وهو يُضيف على حديث مُعتر بدموعه الأكثر غزارة، فهو كان الأقرب لجابر والأكثر حُزنًا على وفاته:

-دائمًا ما كنت أنعته بالحماقة ... لكنني كُنت ... كنت أمزح فقط

أنهى حديثه بشعورٍ من الذنب داهمه لأنه كان يسخر من جهله وأحيانًا ينهره عندما يفتعل أشياء حمقاء، أما الآن، يشعر أن الذنب سيلتهمه في كل لحظة يتذكر فيها أنه كان يعامله بتملقٍ وجفاء، هو لم يكن يعرف أنه لن يلقاه مُجددًا، ويقسم أنه كان الأقرب له من بينهم.

ازدادت دموعه بعد هذه الكلمة فاقتربت يسرى نحوه وبدأت تُربت على ظهره وهي تحاول بكل جهدٍ أن تكبح دموعها.

لاحت بينهم بُرهة طويلة من الصمت قطعها إسلام وهو يثب عن الأريكة بوجهه الجامد ودموعه الجافة التي ساعدته ليقول بثبات:

-أنا هنزل اظمن على داليا-

بصق تلك الكلمات بوجههم قبل أن يرحل عن المنزل عازماً على العودة إلى زوجته مُجدداً، يعلم تمام العلم أن حالتها النفسية تدهورت للغاية ويجب أن يقف بجوارها حتى تستعيد طاقتها مُجدداً ويواصل ما ينويانه قبل أن تتدهور الأوضاع أكثر.

يضرب لؤي بقدميه على الأرض بصورة تكرارية أصابتهم بالارتباك، فهو على عكس الجميع، لم يذرف ولو دمعة واحدة، بل كانت عيناه تُطلقان النيران من شدة اشتعالهما، أطبق على شفثيه في غضبٍ عارمٍ لاحظته قمر فوراً خاصة بعدما لمحت معاملته الجافة مع والده وكأنه على وشك أن يلكمه في أية لحظة، وإضافة على كل هذا، علمت أنه تم تحوُّيله للتحقيق وربما يفقد وظيفته خلال أيام.

-لؤي ... خلاص اهدى

قالتها قمر بصوتٍ رقيقٍ وهي تقترب نحو لؤي على أمل أن تهديء من تلك النيران المُتقضة من عينيه، لكن كلماتها كانت كالشعلة التي تم تقريبها من قذيفة نارية حتى انفجرت وغمرت المكان بالنيران والدمار.

وجدته يثب مرة واحدة ولا زالت نظرات الحدة على عينيه وهو يقول بوعيد:

-أقسم بالله ما هسيبه

هتف بتلك الكلمات بوجههم ثم هرول بسرعة خارج المنزل كاعصار عازمٍ على تدمير ما حوله، تبعته قمر فوراً قبل أن يصل إلى المنزل ويبدأ بتحطيم ما تطوله يديه.

وثب خالد هو الآخر وأشار على يُسرى حتى يترك المنزل لأن الوقت أضحي متأخراً ويجب عليهما أن يعودا من أجل أبناءهما، تبعتهما ريتا هي الأخرى وكذلك مخيمر الذي رحل دون أن ينبس ببنت شفة، ودون أن يتحدث منذ تلقى هذا الخبر بالبارحة.

انفض المجلس في أقل من بضعة ثوانٍ ليبقى مُعترز وحده على الأريكة لا يقدر على الحديث ولا حتى الحراك، أحس بطيف كوكي وهي تقترب نحوه وتستند برأسها على كتفه لعله يمدّها ببعض الصمود.

-هو إحنا كمان ممكن يحصلنا كدة؟... الناس دي ممكن يأدونا واحنا بنحاول ننقذ إسلام وداليا؟

أنهت حديثها بخوفٍ وصوتٍ مُتقطع نتيجة الارتعاد، لم ينبس مُعترز ببنت شفة ورفع ذراعه حتى يُحيطها ويبدأ التمسيد على خُصلات شعرها البرتقالية الرطبة نتيجة البكاء.

ما إن لاحظت صمته حتى انهمرت دموعها أكثر وازداد خوفها وهي تُصرح بالحقيقة التي باتت تعيسة بالنسبة لها:

-أنا مش عايزة ابنا التاني بييجي ويلقي حياتنا في خطر ومنعرفش ننقذه ... أنا خايفة أوي، وخايفة أوي على بسملة

جحظت عينا مُعترز في دهشة من حديثها، فعن أي طفلٍ ثانٍ تتحدث؟

-ابننا مين؟... إنت...!

بتر سؤاله وهو ينظر لها ولدموعها المُنهمة والتي قطعنها وهي توميء برأسها وتؤكد استنتاجه:

-أيوة ... أنا حامل تاني ... بس مش عارفة هنحافظ عليه ازاي هو وبسملة...!

تعالى صوتُ شهقاتها ودموعها وهي تتحدث ليضمها مُعترز على صدره أكثر، لا يعلم أيفرح بسبب هذا الخبر أم يحزن بسبب ما حدث، فقط مشاعر متناقضة انتهت بابتسامة باهتة على ثغره وقلبٍ يُرْفرف من السعادة ويتمزق من الضيق في نفس الوقت.

بقي يُربت على كتفها ويقول بثقة ومواساة:

-متقلقيش ... أنا هعمل كل إلهي اقدر عليه عشان احميكي ... إنتِ وولادنا

قالها وهو يُحدق مباشرة بعينيها الزرقاء لعلها تستشف منه الصدق والأمان، ضمها مُجددًا على صدره وبقي يواسيها حتى تخرج من تلك العُمة ولا تخشى من حياتها، فهذا ما يجب على جميعهم أن يفعلوه، حتى ولو كانت حياتهم على مشارف الخطر...

كان كضابطٍ مغوار يُنقض على عصابة آثمة وهو يقتحم منزله بوجهٍ يحمل العديد من إمارات الغضب، حتى أن الباب كاد يتهشم بين يديه وهو يدفعه ويواصل هرولته للداخل ينوي تحطيم المنزل بأكمله للتنفيس عن غضبه.

هرولت قمر خلفه لعلها تحاول تهدئته وإخماد تلك النيران المتدفقة داخله، فهي تعلم جيدًا كيف يبدو لؤي عندما يشعر بالعجز، فهو لا يشعر بالضعف كالبقية، بل يزداد غضبًا حتى يصل به إلى درجة قد تجعله يُدمر بناية بأكملها.

-لؤي ... لؤي_

حاولت مناداته حتى يلتفت لها وتستطيع مواساته، لكنها وجدته يرمقها بأعينٍ مُشتعلة وصراخٍ جحيمي:

-عايزة إيه؟ ... سيبيني لوحدي

اضطرب قلبها وهي تقترب نحوه ببطءٍ خشية من الاحتكاك به وهو في هذه الحالة، حاولت تهدئته بكلماته الرخيمة المبحوحة:

-أنا عارفة إنك متضايق بس والله كلنا_

قطعها مُجددًا وقد ارتفع هدير صوته حتى كاد يُهشم الزجاج:

-أنا كنت عارف إن ده إلي هيحصل ... كنت عارف إنهم هيموتوه كدة...-

أشار على نفسه مع كلماته وكأنه يعاتب ذاته على عدم تحذيرهم، كان يجب أن يُخبرهم أنه وجد حالة تُشبههم لقيت حتفها بنفس الطريقة، كان يجب أن يُحذرهم من الخطر الذي يُحيط بهم قبل أن يحدث ما حدث.

انهمرت الدموع من عينيه وقد تحوّل جسده الصلب إلى مادة رخوة جعلته يرتمي على الأريكة ويواصل الحديث بحسرة وقلّة حيلة:

-معرفتش اساعده ... معرفتش اعمل حاجة

ارتمت قمر على الأريكة بجواره وبدأت تُربت على ظهره بمواساة قالت معها بطريقة كبتت معها قهرتها:

-إنت ملكش ذنب ... إنت عملت إلي عليك وأنقذت داليا

لم ينبس ببنت شفة واستسلم للخذلان والشعور بالخزي، فحتى داليا لم يستطع مساعدتها لولا تدخل إسلام وإمكانيته للتواصل معها، لطالما كان يعتبر نفسه مُنقذهم، يُكرّس حياته من أجل حمايتهم، لكنه الآن، يشعر وكأنه أصابهم بالخذلان، خاصة جابر الذي تخلى عنه وتركه ينال ضروب العذاب حتى لقي حتفه.

عندما أوصلته أفكاره إلى تلك النقطة، وجد الدموع تنهمر أكثر من عينيه مع شهقاته المكبوتة التي بدأت تتعالى وتنتقل إلى قمر التي شاركته البكاء وأحاطته بذراعها وكأنه طفلها الصغير الذي تؤاسيه وتُرطب على جراحه.

-إن شاء الله هيتعاقب ... إن شاء الله مش هنسيب حقه...-

أنهت قمر حديثها بدُعاء وآملٍ في أن العدل سيقتمح المجال ويُحاسب كل ظالمٍ اعتدى عليهم ودمّر حياتهم....

لم تكن هذه الأيام هينة عليهم، فكلما مرَّ الزمن، كلما ازدادت حدة الألم فيما عدا من تسبب لهم بتلك الأوجاع، فها هو يقف بجمودٍ داخل معمله الآخر الذي يُديره داغر، ذاك المعمل مُجهزًا بأحدث الأجهزة والمُعدات وربما يُشبهه معمله السابق الذي أحجرت عليه الشرطه، الفرق الوحيد، هو أنه يخفي جميع الأوراق والمُستندات المهمة والمشبوهة هنا، حتى لا يضحى بارزًا أمام الشرطه حينما يُجري داخله تلك التجارب غير الآدمية.

انطلقت النيران من عينيه كلما ازداد تفكيره وازداد شعوره بالحنق، ليست هذه أول مرة يفشل فيها باختراع المُنتقلين، لكن هذه المرة، كانت خُسارته أضعافًا، خسِر المُنتقلين، وخسِر المعمل الذي يُجري بداخله التجارب.

كان يجلس على مكتبه شارد الذهن يُفكر في طريقة أخرى لإخضاعهم، حتى دلف داغر المكتب وعلى وجهه إمارات الشماتة، ارتمى أمامه على المقعد حتى يُظهر شماتته بكلماته:

-قولتلك مليون مرة طريقتك دي مش نافعة بس نقول إيه

قبض طلال على قلمه الجاف بوعيدٍ أراد معه أن يصفع هذا المُتملق، لكنه حافظ على ثباته وهو يرد عليه:

-على الأقل بحاول ... مش زي ناس، عمالة تتكلم وخلص

رماه داغر بقهقهة ساخرة بقيت لفترة وجيزة حتى قطعها بحديثه المُتبهنس:

-ومين قالك إني محاولتش ... أنا سبقتك من زمان ... بس إنت إلي مش واخد بالك

لاحظت على وجهه عوالم الابهام وهو ينصت إلى حديث داغر العجيب، فعن أية تجربة يتحدث عنها؟ ولم يبدو عليه التبهنس كما لو أنه يفعل هذا وينجح منذ قديم الأذل.

-يعني إيه؟ ... هو إنت_

قطع داغر حديثه وهو يثب عن المقعد متفوّهاً بتقرير:

-أنا لعبتها قبلك من زمان ... وأنا لعبي مُختلف ... يا بكسب، يا مجربش أصلاً

تحرك بأقدامه نحو الباب عازماً على الخروج ووراءه يتحرك طلال ولايزال الفضول على وجهه يُريد أن يفهم حديثه.

-مين إالي جربت عليه؟... وإزاي مقولتليش؟

كانت أسئلة طلال تخرج منه بحدة لم تُحدث أي أثرٍ بداغر الذي واصل سيره بالرُدهة وقدماه تقوداه إلى حُجرة بعينها.

-إنت إالي مسألتش ... مكنتش عايز تسمع غير نفسك ... فإكر إنك هتوصل قبلي...!

توقف عن السير أمام حُجرة ذات بابٍ أبيضٍ عتيق، التفت بنظراته صوب طلال ليوصل حديثه الواصل:

-للأسف مقدرتش تعمل إالي عايزه بس أنا قدرت...!

رسم بسمة مُتشفية تحمل المُكر وهو يواصل حديثه:

-سُخّرت واحد من المُتقلين ... وخليته يعمل إالي أنا عايزه ومن زمان أوي كمان

أنهى جُمَلته وهو يفتح باب الحُجرة ويطنها بقدميه يليه طلال الذي لازالت عوالم الابهام على وجهه وبعض عوالم الغيرة بدأت تلتهم كيانه بسبب هذا المُتغطرس.

كان بالحُجرة، رجلٌ هزيلٌ الجسد يرتدي ملابس بيضاء ويجلس كالصنم على فراشٍ صغيرٍ، عيناه مُتسعتان وهو يرمق ما أمامه في شرود، ووجهه مُتبيسٌ خالٍ من المعالم، حتى أن من يراه للوهلة الأولى، يظن أنه صنمٌ يستطيع التنفس.

اقترب داغر نحو هذا الرجل ولا تزال البسمة على ثغره أثناء إشارته عليه رغبة بتعريفهما على بعض.

-أقدمك وهدان صديق....-

يُقطع القثناء بحرفية اكتسبها خلال هذه الأيام، فهو لم يكن يطيء حُجرة الطعام في السابق، وكان يتوكل على زوجته بإعداد الطعام له وتنظيف المنزل، كونها تؤدي وظيفتها كزوجة، لكن الآن_ وبعد مرور أكثر من أسبوعين على وفاة جابر_ لا تزال زوجته بالحُجرة لا تتحدث مع أحد ولا تترك حُجرتها أبدًا.

يعلم أن ما حدث كان صعبًا على جميعهم، لكن زوجته كانت أكثر المتضررين بهذا، فتلك الممنوعات التي كان يتم حقنها بهم، كادت توشك على التسبب بإدامنها، لكن حمدًا لله أنه استطاع إضمار الأمر ومداواتها قبل فوات الأوان.

انتهى من تقطيع القثناء ليضعها على الصينية البلاستيكية السميقة التي وُضع عليها أيضًا بعض شرائح الجبن البرتقالي الذي تُحبه زوجته، وكذلك شرائح اللحم المُدخن مع الخبز الطازج والقهوة المُثلجة بحليب جوز الهند كما تُحبها بالضبط، أعد كل شيءٍ تُحبه على أمل أن تستجيب مُجددًا وتعاود الحديث معهم.

كان سابقًا ينزعج من ثرثرتها، أما الآن، فهو يفعل أي شيءٍ حتى تعاود الثرثرة معه وإزعاجه مُجددًا.

طرق بضع طرقاتٍ على باب الحُجرة قبل أن يدلفها ويجدها لا تزال على الفراش بوجهٍ باهتٍ خالٍ من المعالم وضمادة تُحيط بقدمها المُصابة، ناهيك عن عينيها المُنتفختين نتيجة البُكاء ليلاً ونهارًا، وكذلك قلة النوم بسبب الكوابيس التي تُداهمها وتُذكرها بهذه الأيام.

تقدم نحوها بخطواتٍ هادئةٍ ليضع الصينية أعلى الفراش ويحاول اجتذاب الحديث معها بنبرة حنونة جاهد حتى يُخرجها من جوفه:

- عملتك الأكل إلي بتحييه

توقف عن الحديث لعله يستمع إليها، لكن طموحاته تذهب مع أسراب الطيور حينما يجدها صامته كالعادة.

- لازم تاكلي عشان الدوا

لم تُجيبه مُجددًا حتى بدأ يفقد الأمل من حديثها ويُقرر الخروج والعودة إليها مُجددًا بعد الانتهاء من عمله.

-أنا هروح الشغل ... مش عايزة حاجة قبل ما امشي ؟

لا زالت كالصنم أمامه، لا تتحرك ولا تنبس ببنت شفة، بل لا تكثر حتى لوجوده؛ أو ما رأسه بهدوءٍ قبل أن يترك الحُجرة يجر أذيال خيبته، فهو على هذه الحالة طوال الأسبوعين ولا يجد فائدة من محاولاته معها.

أوقفه جرس المنزل الذي أخذ يصدح عاليًا فيتجه صوب الباب كي يفتحه ويجد أمامه كلٌ من قمر وكوكي وكذلك يُسرى، رُحِبَ بهن بهدوءٍ قبل أن يفسح لهن المجال بدخول المنزل وسؤاله عن داليا.

-هي كويسة ؟

سألته يُسرى بقلقٍ ولم تجد منه سوى عوالم قلة الحيلة وهو يُجيبها:

-زي ما هي

لاح على وجوههن عوالم الضيق وهن يُفكرن في حالتها المتدهورة وطريقة لإعادة مرحها وجنونها مُجددًا، بينما استأذن إسلام حتى يذهب إلى المشفى ويواصل عمله بصورة طبيعية، فهذا ما يجب أن يفعلوه على كل حال، فلا تتوقف الحياة بفقد أحدهم، بل يجب عليهم المواصلة حتى ولو كانت أنفاسهم تنقطع مع كل خطوة.

ما إن رحل إسلام حتى تحرك ثلاثتهن صُوب الحُجرة التي تقبع فيها داليا على فراشها، كانت لاتزال على تلك الحالة التي تركها عليها إسلام حتى اقتربت يُسرى لتجلس بجوارها على الفراش كما فعلت كوكي التي جلست جوارها من الناحية الأخرى، وقمر التي جلست أمامهن.

أحاطتها يُسرى بذراعها وافتتحت الحديث معها ببعض المرح:

-إيه يا دودو ... هنفصل كدة عطول؟... إحنا كلنا محتاجينك...

تجاهلت داليا كلماتها وبقيت شاردة أمامها وكأنهن ليسوا حولها، تُوّلت قمر ضفة الحديث بقولها:

-على فكرة إحنا مقولناش لطنط بسمة على إللي حصل ... بس لما الموضوع طوّل عرفت لوحدها

صحت يُسرى حديثها باستنكارٍ وبعض السُخرية:

-قصدك لما سألتك.... دا إنتِ فضحتي كل حاجة من أول قلم

عَلّقت كوكي على حديث يُسرى بسُخرية وبعض المرح حتى تُلطف تلك الأجواء:

-دا ياريت كان في قلم ... دي قالت كل حاجة من غير ما طنط تسألها حتى

تدخلت قمر لتُدافع عن نفسها ببعض الاندفاع:

-إنتو هتعملو عليا حفلة دا أنا حتى كُنت بطن طنط بسمة عطول

مرّت بُرهة وجيزة من الصمت قطعتها يُسرى التي ضمّت داليا نحوها أكثر وكأنها تضم طفلتها الصغيرة، بل أن داليا كانت كالطفلة الضائعة الشريفة وهي في تلك الحالة.

-خلاص بقى متوجعش قلبنا أنا عارفة إن الموضوع كان صعب عليكي أكثر
مننا ... خصوصاً إنك آخر واحدة اتكلمتي مع جابر الله يرحمه... بس والله العظيم
إلي حصل ده من عند ربنا وهو مش هيجتاج دلوقتي غير دعائك

انهمرت الدموع من وجنة داليا وهي تتذكر آخر الكلمات التي سمعتها من جابر قبل
أن يتم أخذه من الحُجرة، كان يُخبرها أن تهدأ، يطمئنها أن كل شيء سيمر على ما
يُرام، ولا أحد سيتأذى، يُخبرها أن تصمد حتى يتم مساعدتهما، لكنه الآن رحل، رحل
بعد أن أخبر هؤلاء المجرمون بأن يبدأو به بدلاً عنها، كان يُدافع عنها لآخر نفسٍ
بحياته.

تداخلت الأفكار داخل رأسها وكلها أفكارٍ مؤلمة تجعل الدموع تتكاثر بعينيهما، كل ما
حدث في هذه الأيام يتراشق مجدداً أمامها وكأنه البارحة، وما إن ازدادت الأفكار
برأسها وعصفت بذهنها، وجدت البكاء يغشاها لترتمي على كتف يسرى التي
استقبلتها برحابة صدرٍ وبدأت تُربت على ظهرها الذي أخذ يرتجف مع نواحيها.

لم تتوقف عن البكاء في تلك اللحظة حتى انتقل الحُزن إلى ثلاثتهن وبدأن مواساتها
والتهدئة من روعها كما يفعلن في كل مرة....

لم يكن الأزرق الذي يرتديه رمزاً للصحة أو الغموض، بل كان أزرقاً داكناً مع قُبعة
تحمل اللون نفسه، يرتديها بعد أن حُكم عليه حُكماً باتاً، خرج من الزنزانة للهواء
الطلق حيث الأشجار الخضراء والحشائش القليلة المُختلطة بالرمال، جلس على أحد
الأرائك الخشبية لتتقابل عينيه مع عيني شمس التي التزمت بوعدها وأضحت تأتي
لزيارته مرة كل أسبوع، إلى أنها بالأسبوع الماضي لم تأتي للزيارة بسبب ما حدث،
وعلى الأحرى، لا يعرف ميجو ما حدث وهو يتلقى عقوبته في مكانٍ مُنعزلٍ عن
العالم.

لاحظ ثيابها السوداء التي اتفق جميعهم على ارتدائها حداداً، لاحظ عينيهما الجافتان
ووجهها الباهت الخالي من مُستحضرات التجميل، وعلى عكس كُل مرة، لم تقابله

بابتسامتها الرقيقة ولا لهفتها واشتياقها الذي تُغرقه بهم في كل مرة، النظرات الوحيدة التي كانت على عينيها هي نظراتٌ شاردة مُرتبكة يبدو عليها التوتر.

-إييه...أنا... أسفة عشان مجتش الزيارة إللي فاتت ...بس...

بقيت تُنهته بالحديث غير قادرة على إتمام جملة واحدة، لا تعلم حقًا كيف تُخبره بما حدث، وما سيكون شعوره وهو في تلك الحالة، مسجونًا.

-مالك يا شمس ... هو حد حصله حاجة ؟

سألها بقلقٍ ما إن لاحظ توترها الذي جعل الشكوك تتعارك في ذهنه، أو ربما وقائع لكنه يُفضل أن يضعها في دائرة الشكوك.

ازداد ارتباكها أكثر وهي لا تعرف كيف تؤكد حديثه وتُخبره ما حدث، تعتقد أنه يتوقع أنها ستُخبره أن كل شيءٍ على ما يُرام وأن المُعضلة أبسط مما يتخيل، لكن مع الأسف، ما حدث أكبر من أن يُقال عليه بسيطًا.

-بصراحة ...ف..في ... في حاجة حصلت

أنهت حديثها بصعوبة ليزداد قلقه ويعتدل في جلسته بنظراتٍ مُترقبة وضربات قلبٍ تتصاعد في خوف:

-إيه إللي حصل ؟

سألها ببعض الحدة حتى تتوقف عن ارتباكها وتُخبره الحقيقة مرة واحدة، وجدها تلتقط أنفاسها ثم ترفع رأسها نحوه بعد أن ملئت نفسها ببعض الشجاعة حتى تقول:

-ظلال إللي كان بيلاحق داليا وإسلام...

بترت حديثها وقد أصبح الوضع أكثر صعوبة، فلا شيء أصعب من قول الحقيقة، خاصة ولو كان تأثيرها جثيمًا.

-عمل إيه؟... إخلصي يا شمس دماغي بقيت تؤدي وتجيب....

كان سؤاله غاضبًا تزامن مع ضربات قلبه التي تصاعدت لأعلى درجة، فهو يتذكر عندما أخبرته بالزيارة الأخيرة أن طلال قام باختطاف داليا وجابر وأنهم يبحثون عنهما، زفرت الهواء من فمها وهي تحاول استجماع طاقتها لتبصق الحقيقة مرة واحدة:

-طلال قتل جابر-

لم تستطع التطرق للمزيد من التفاصيل الخاصة بوفاته بسبب ثقل الأحاديث على لسانها، حيث كان وقع هذه الكلمات على أذن ميجو كوقع الأقدام الحافية على أرض مليئة بالزجاج المهشم، تيبس جسده مرة واحدة وتوقفت ضربات قلبه حتى تلاشت عوالم الغضب وحل محلها عوالم الصدمة، الصدمة التي تجعله يكذب ما يُقال له.

-قـ.قتله إزاي؟... يـ... يعني.. جابر مات؟

أومأت رأسها بترور دون أن تنبس ببنت شفة، لاحت بينهما برهة من الصمت لتجده يبتعد بنظراته عنها بأنفاسٍ يلتقطها بصعوبة، داهمه كُتلة من الصداق فجأة جعلته يُغطي رأسه بكفيه حتى لا ينفجر أمامها، ترقرت بعض الدموع على وجنتيه لكنه كان يكبحها قدر الإمكان حتى خارت قواه وانهمرت دموعه أكثر لتجعله يهتف بغضب وهو يضرب الأريكة الخشبية بكفيه:

-حقيـر....

بدأ يلتقط أنفاسه بصعوبة ودموعه تنهمر أكثر، ليس حزنًا على جابر فقط، بل إحساسًا بالذنب بسبب عقله الذي يُخبره أنه السبب فيما حدث، هو من كان يتحالف مع طلال ضدهم وينقل أخبارهم حتى أدرك طلال أن جابر من المتنقلين، بسبب جشعه وحبه للمال أرسل شخصًا بريئًا للتهلكة، هو الذي كان يجب أن يتلقى تلك الميتة وليس جابر.

انهمرت دموعه أكثر حتى انخرط بالبكاء المرير، لم تكن تعلم شمس أن ردة فعله ستكون بهذه الطريقة، فهي تَوَقَّعت أن ترى انفجاره و غضبه لكنها لم تتَوَقَّع أبداً بُكاءه ونحيبه هكذا.

-أنا إلي كان لازم أموت مش هو ... أنا إلي كان لازم أموت

قالها بصُراخ أمام شمس التي ارتبكت ولم تكن تعلم ماذا تفعل، شعرت وكأنها أخطأت حينما أخبرته هذا الخبر، كان يجب أن تنتظر حتى يتم الإفراج عنه حتى تُخبره الحقيقة.

-ليه بتقول كدة؟... إنت مالك أصلاً باللي حصل

حاولت تهدئته بتلك الكلمات لكنه انفجر بوجهها مُخرجًا ما بجعبته من حقائق صادمة :

-أنا إلي اتسببت في موته أنا إلي قولتلهم عليه

صرخ بتلك الكلمات حتى تحشرج صوته وانشرخ حلقه، لاحت الصدمة على وجه شمس وهي تستقبل منه هذه الصدمة وتتصنم أمامه بضربات قلبٍ مُتصاعدة، لا تفهم حديثه بالضبط أو ربما لا تُريد أن تفهم ما يتحدث عنه، فكانت تسأله بنبرة مُتقطعة رغبة بمليء الفراغات بعقلها.

-!..إزاي يعني؟... إنت قولت لمين؟

ازدادت دموعه ميجو وازداد معها شعوره بالذنب، يقسم أن الشعور بالذنب أسوأ من السجن وأسوأ من أي عقوبة يتلقاها الإنسان، أخفض جذعه ليستند بمرقيه على رُكبتيه محاولاً أن يستجمع شتات نفسه ثم يرفع رأسه مُجدداً وهو يقول:

-قولت لطلال ... قولت لطلال على كل حاجة كنت بنقله كل أخبارنا

اتسعت حدقتها وازدادت ضربات قلبها، لاح الاستنكار على وجهها رغم وضوح الحقيقة، فهي لا يجب أن تُصدق هذا الهُراء، لا يجب أن تُصدق أن من سلمته قلبها وروحها يضحى بهذه القذارة.

-... لا ... إنت أكيد معملتش كدة صح ؟! ... أكيد مكنتش خاين _

كانت تُريد أن تتعلق بأخر ذرة أملٍ به لكن جسدها انتفض مرة واحدة ما إن رآته
ينفجر بوجهها:

-لا عملت كدة ... عشان أنا واحد زبالة، وخاين ... أنا ... خونتهم، وخونت الأمانة
إللي ادوهالي عشان خاطر القرش

شعرت بسخونة تجتاح جسدها وهي تستقبل حديثه ولا ترغب بتصديقه، تشعر وكأنها
ستهوي على الأرض من كثرة الصدمة، تشعر وكأن جسدها تيبس على المقعد وأنها
على وشك الانهيار رغم تماسكها، وجدته يُبدل نبرة حديثه الصارخ بابتسامة متألّمة
بدت مُختلة وهو يواصل الحديث:

-قال وأنا إللي كُنت فاكِر إن محدش فيهم فارقلي ... إن عادي ابيعهم واكسب من
ورا هم كُنت بقول فيها إيه يعني لما أنقل شوية معلومات واكسب قرشين حلوين
أكل بيهم عيش طلعت مُغفل، وطلعت واطي

كبتت دموعها قدر الإمكان وهي تقطع حديثه عازمة على التعلق بأخر شعرة في
علاقتها التي باتت شبه مستحيلة، فكل يوم تكتشف أنها لا تعرفه أكثر من اليوم
السابق، حتى وهو داخل الزنزانة.

-لا ... إنت مش مُغفل ... ولا واطي ... إنت أكيد مُكنتش تعرف

لم ينبس ببنت شفة ولم تتغير عوالم وجهه أثناء حديثها، أراد فقط أن يعترضها
ويُخبرها بالرحيل وعدم المجيء مُجددًا لكنها فاجئته بتماسكها ورغبتها بالمواصلة
معه رغم حقارته ووضاعته.

-إحنا مش هنقدر نرّجع الماضي ... بس هنقدر نغيّر المُستقبل وطالما إنت كُنت بتنقل أخبارنا للي اسمه طلال ده ... يبقى أكيد تعرف حاجة ممكن تساعدنا ... عشان خاطري يا ميجو لو إنت عارف حاجة تساعدنا نحبس اللي اسمه طلال ده ... قولنا عشان نقدر نتصرف أو على الأقل عشان متحسّش بالذنب تاني

تسمر جسده بعد كلماتها التي اخترقت حصون قلبه، دائماً ما تُفاجئه بحديثها المُفعم بالأمل رغم أن الحياة تصفعه مئة صفة، فهي على حقّ هذه المرة وفي كل مرة تضحي على الحق، ربما لن نستطيع تغيير الماضي، لكننا نستطيع تغيير المُستقبل، نستطيع أن نعاود المحاولة مرة ثانية وثالثة وحتى مئة، فالنجاح سيأتي أنيّا أو فيما بعد.

تقرّس حديثها أكثر ووجد ذكرياته تعود أشواطاً للوراء، يتذكر تلك المهاتفات التي أجريت بينه وبين طلال والتي سجّل مُعظمها، يتذكر مقابلاتهما سرّاً والأموال التي يجنيها بعد كل معلومة يقوم بإيصالها، يتذكر حتى...

توقفت أفكاره عند تلك النُقطة ليرفع رأسه نحو شمس والثقة تطفو على جنباته أثناء قوله:

-عرفت ... عرفت هنعمل إيه؟

طالعه شمس بإبهامٍ حتى التفت ليُقابلها بجسده ويأمرها باستعجال:

-طلعي موبايلك بسرّعة ... واكتبي العنوان إلي هقولك عليه

قطبت حاجبها بحيرة وهي تسأله:

-عنوان إيه؟

أجابها بثقة ورغبة بالانتقام وهو يتابع يديها وهاتفها الذي قبضت عليه:

-عنوان المكان إلي كُنَّا بنتقابل فيه ... المعمل إلي فيه كل الأوراق والمُستندات
المُهمة....

انتهى اليوم أخيراً، أو هكذا كان يعتقد، فهو قد عاد من النيابة العامة بعد أن تم إيقافه عن العمل نهائياً بثُمة تجاوزه للقوانين المهنية واستغلاله لسُلطته من أجل أغراضه الشخصية، يعلم أن بعض هذه التُهم تم تُلفيقها له خاصة بعد أن ركزُ بحثه على ذاك المدعو بطلال وأضحى يُراقب تحركاته في كل ثانية، وعلى الأحرى، هو من تسبب بطرده من العمل مُستخدماً علاقاته المتعددة مع وزارة الداخلية.

ارتمتى على الأريكة بملامح جامدة خالية من المشاعر، ما حدث معه ليس عادلاً، لكنه لا يقدر على الاعتراض، ولا يقدر حتى على التنفيس عمّ يجول بخاطره، أي أنه سيلوظ بالصمت وسيقبل كونه مطروداً من الخدمة وموقفاً عن العمل للأبد.

لاحظت قمر ضيقه وكانت تعلم من البداية ما حدث، فهو قد أخبرها سابقاً أن هناك دعوة مرفوعة ضده وعلى الأغلب سيخسر وظيفته بعدها، جلست بجواره بملامح مُقتضبة ورغبة جامحة بالتخفيف من ضيقه، تعرف أن وظيفته كانت كل ما يُملك، لكنه لا يستطيع أن يتحدّى القدر ويُقرر انهاء حياته بسبب ما تعرض له من ظلم.

-معلش يا لؤي ... والله العظيم هما الخسرانين ... مش هيلاقو ظابط تاني زيك

تنهد لؤي بحرقة لم يُرد معها إظهار ما يعتمره من ضيق، فكانت كلماته باهتة لا تحمل سوى الجفاء وهو يقول:

-مش متضايق ... كدة كدة عارف إنها سايبة ... وكنت عارف إنهم هيعملو كدة

ضم قبضته بغلٍ لطح كلماته التالية:

-أنا بس اللي مضايقتني إني سيببت الشغل بسبب الحيوان ده

ربتت قمر على ظهره وهي تواسيه وتملئه شجاعة وصبرًا:

-ولا يهملك ... بكرة ربنا هياخد حقك وحقنا

صمتت بُرهة عن الحديث لتُغيّر نبرة صوتها إلي التفاؤل بقولها:

**-بعدين مُعتر محتاج ناس تشتغل معاه في شركته ... أنا ممكن اقول لكوكي وأخليه
ياخدك تشتغل معاه ويفهمك هو الشغل ... إيه رأيك ؟**

لم يُرد أن يُخبرها أن هذه الوظيفة لا تلائمها لكنه اكتشف أنه بدون تلك الوظيفة سيبقى عاطلاً غير قادرٍ على جمع الأموال والانفاق على المنزل، أي لا يوجد أمامه خيارًا سوى القبول بهذه الوظيفة.

أوما برأسه إيجابًا دون أن ينبس بنت شفة وقد ظهر الإجبار والضييق على ملامحه، لكن قمر حاولت امتصاص ضيقه بابتسامتها الهادئة ووثوبها عن الأريكة متفؤهة ببعض المرح:

**-خلاص بقي متضايقش ... وأنا ياسيدي هعملك نسكافيه يخليك تروّق كدة
ومتفكرش في حاجة**

رماها بابتسامه هادئة حتى لا تظنُّ أن الضيق لايزال مُترسبًا بصدرة، وجدها تتنطق صُوب حُجرة الطعام وتبدأ بإعداد المشروبات الساخنة لهما حتى يقضيا بعض الوقت أمام التلفاز ويتناسا ما يُضاهيانه من تلك الحياة.

بقي وحيدًا على الأريكة ينتظرها بلامح الجمود التي عاودت تلبسه والتي كانت ستارًا للغضب والرغبة بتفجير كل ما حوله، أرخى ظهره للوراء لعله يُفكر بطريقة أخرى للإيقاع به وتلقيه درسا، لكنه لا يعرف كيف يفعل ذلك وهو ليس ضابطًا.

قطع تفكيره صُوت الهاتف الذي أخذ يصدح بجيبه فأخرجه ليجده واحدٌ من الضباط الذين كانوا يعملون معه، لم يكن يعرف سبب هذه المكالمة لكنه آجاب عليها على كل حال، لعل هذا الضابط يُريد الاطمئنان عليه.

-أيوه يا عباس...-

اشتعلت عينيه بنيران الجدية وهو يتقدم بجذعه للأمام متسآلاً:

-عرفت إيه؟-

ازدادت عينيه اتساعاً وبدأت النيران تتدفق أكثر بأوردته مع أنفاسه التي تعالت فجأة ووجهه الذي تحوّل إلى اللون الأحمر بسبب هذه الصدمة التي تلقاها...

طرق الباب بضع طرقاتٍ قبل أن يدخل الحُجرة ومعه صندوقاً بلاستيكيًا يحتوي على الأدوات الطبية، اقترب بهدوءٍ نحو الفراش حتى جلس بجوارها واضعًا هذا الصندوق أمامه حتى يفتحه ويُخرج ما به من أدوية.

كانت داليا تجلس بجواره على الفراش تفرد قدميها أعلى الغطاء وتستند بظهرها للوراء وكأنها تتأمل السماء، تحرك بجسده ليقترّب من قدمها ويمسك كاحلها برقة لم يعهدها أبدًا، لكنه يفعل ذلك حتى تُشفى وتعود كما كانت سابقًا.

بدأ ينزع الضمادة بتروٍ عن كاحلها ويبدأ يتعقيم جرحها مُجددًا ودهنه بنوع من الأدوية، كان الجرح قد التئم قليلاً حتى جفت دمائه وبقيت آثار الخياطة، لم تكن بحاجة لتضميد الجرح مُجددًا لذلك اكتفى بإسلام بتمرير الدهان على قدمها وهو يحاول تجاذب معها أطراف الحديث.

-يسرى مش مصدقة إلهي أنا بعمله ده ... دي حتى مصدقتش إني بعمل الأكل وانصف الشقة كل يوم

لم تُجبه كالعادة وبقيت شاردة أمامها كالصنم، انتهى من ترطيب جرحها و أعاد الدهان مكانه داخل الصندوق وهو يواصل الحديث ببعض الرجاء والاستذكار:

-فاكرة يوم ما جيت اتقدملك ومكنتش عارف اقولك كلمتين على بعض ؟ ... كان
ساعتها خالد كاتبلي قصيدة عشان اقولهالك ... بس اول ما وقفت قدامك كل الكلام
طار من دماغي ... روحت رزعت كلمة بحبك كدة من غير مُقدمات

أنهى الحديث بابتسامة مُتذكرة أراد معها تلطيف الأجواء وتهريبها من تلك العزلة،
لكنه لم يجد سوى الصمت والشرود وكأنها لا تستمع له من الأساس.

تلاشت بسمته وحلّ محلها الخزي أثناء قوله بعد فترة وجيزة من الصمت:

-داليا أبوس ايديك اتكلمي ... قولي أي حاجة ... عيطي، صرّخي ... بس متفضليش
ساكتة

رفع كفه ليلتقط كفها البارد رغم أن الطقس لا يزال صيفاً يقترب من الخريف، واصل
حديثه برجاءٍ وهو يُحدق بعينيها الغائرتين اللتان تحملان الكثير من الألم المكبوت.

-خرجي كل إلي جواكي عشان تعرفي تنسي

ترقرقت دمعة من عينيها وقد بان أنها تستمع لحديثه منذ البداية، وعندما تطرق إلى
تلك النقطة قررت أن تُطلق صراح هذه الأحاسيس المكبوتة وحروقها المُدمرة،
انهمرت دموعها أكثر لبرهة من الوقت قطعتها بصوتٍ خافتٍ مُنقطع:

-جابر ... جابر مات عشاني...

ازدادت شهقاتها ودموعها وهي تواصل الحديث بنقطع عازمة على إخراج ما
بجعبتها:

-لما كُنت رايحة أشتري كشاف لماما... في ناس كانوا عايزين يخطفوني ... قعدت
اصرخ ومكنش في حد سامعني بس في الآخر ... سمعت صوت جابر وهو
بيجري عشان .. عشان يساعدي

التفقها إسلام بين أحضانه ليُهديء من روعها وهي تواصل الحديث بين دموعها:

-وهما حابسينا ... قالوهم يبدأو بيه ... كان ممكن يبدأو بيا لولا إن هو اتدخل...-

تعالى صوّت بكاءها وهي على صدر إسلام الذي بدأ الضيق والشعور بالذنب يتسربان إليه، ضمها أكثر إلى صدره وهو يُرَبّت على ظهرها حتى تهدأ ولسانه يقول بندم:

-هو لو كان في حد السبب في موته ... فإنتِ آخر حد هيكون السبب أنا إللي المفروض اتاخذ بذنبه ... أنا إللي فشلت في إني أحميكم ... وغالبًا كدة إللي خطفوه مكانوش قاصدينه ... أكيد كانوا قاصدني أنا

تنهد تنهيدة عميقة مليئة بالحروق ليواصل بعدها بدموع مكبوتة:

-جابر عاش راجل لآخر لحظة ... ودلوقتي مش هيكون عايز غير إننا ندعيه

ابتلعت شهقاتها وقد انفكت عُقدة لسانها أخيرًا وهي تواصل ما بجعبتها:

-وهنعمل إيه في طلال؟ ... أكيد هيعوز يقتلنا تاني

أشعلت تلك الكلمات من نيرانه لئيبعد جسد داليا عنه ويجعل وجهها مقابلًا لوجهه أثناء قوله الواصل المُحتد:

-لأ ... طلال مش هيمس شعرة مننا تاني والتثبيت لازم نعمله عشان مفكرش يعتبّ ناحيتنا

هدأ قليلاً وهو يواصل الحديث بتقرير:

-حياتنا بقت خطر بسبب اللعنة دي ... عشان كدة هتصل بمخيمر وهقوله إننا هنتثبت دلوقتي قبل بُكرة

أنهى الحديث بإصرارٍ ونظراتٍ جاحظة قطعها صوّت الباب الذي طفق يصدح عاليًا؛ ابتعد إسلام عن داليا التي كانت تُجفف دموعها وتستمع له:

-خليكي ... أنا إلي هفتح

وبالفعل، قام إسلام من مكانه مُتجهاً صُوب الباب كي يفتحه ويتفاجأ بوثوب قمر أمامه بوجهٍ مغرورٍ بالدموع، أصبحت بنايتهم لا تخلو من الدموع بالفترة الأخيرة. وجدها تندفع إلى الداخل ولا تزال الدموع على وجهها وهي تنادي على داليا بصوتٍ أقرب للاستنجاد.

اقتحمت الحُجرة ووراءها يثب إسلام بملامح قلقة يُريد أن يفهم سبب حالتها المفاجئة، انتفضت داليا وجلست على حافة الفراش، وقد تناست ضيقها في تلك اللحظة وقررت العودة إلى أرض الواقع لعلها تستطيع مواجهة هذه الحياة.

-داليا ... إسلام ... أبوس ايديكم الحقو لوي

قالتها باستنجادٍ بين شهقاتها ودموعها التي جعلت ضربات قلب داليا تتصاعد وإسلام يغتابه الخوف أثناء سؤاله:

-في إيه؟ ... لوي ماله؟

ازدردت قمر ريقها وهي تواصل الحديث رغم دموعها:

-لوي راح يقتل طلال ... أبوس إيديكم الحقوه

تصاعدت ضربات قلب داليا أكثر حتى اعتدلت في جلستها وكانت على أهبة الاستعداد لترك المنزل.

-يعني إيه؟؟ واشمعنا دلوقتي؟

سألته داليا ببعض الحدة لتتوغل قمر أكثر داخل الحُجرة لعلها تستطيع تفجير هذه القنبلة:

-عشان هو عرف إن طلال يبقى يبقى أبوه الحقيقي....

أرعى ظهره على المكتب داخل قصره الفسيح وهو يرفع خابوره ويُقربه من فمه ليستنشق منه بعض الأدخنة ثم يفرها في الهواء، ذهنه شاردٌ فيما حدث مع شريكه وعقله يرسم العديد من الخطط الماكرة لإقامة جيشٍ من المتنقلين تحت إمرته، فقد أخبره داغر عن الطريقة المناسبة والتي تتضمن التقليل من الصدمات الكهربائية والتركيز أكثر على المواد المذهبة للعقول لعلها ذات تأثيرٍ أكبر، بقي فقط أن يأمر حُرّاسه بمعاودة خطفهم والبحث عن المزيد منهم، فتلك الطاقة التي لديهم، يستطيع استخدامها في العديد من الأمور التي تتعلق بفرض سيطرته على هذا العالم.

قطع استجمامه صوّت واحد من الرجال وهو يقف أمامه مؤلّياً رأسه لأسفل في خشوع ثم يرفعها مُجدداً ليقول بجديّة:

-طلال بيه في واحد برة ومُصر يقابل سعادتك وشكله كدة ... مش ناوي على خير

أنهى الحديث ببعض التردد ليعتدل طلال في جلسته بحاجبين مُقْطبين وهو يلتفت بمقعده صوّب كاميرات المراقبة حتى يرى من هذا الزائر المفاجيء.

تحوّلت نظراته الحائرة إلى ابتسامة خبيثة أعاد معها ظهره للوراء مُستديراً صوّب حارسه حتى يُخبره:

-خليهم يدخلوه

اعترض الحارس على كلمات طلال بسبب شعوره بالخوف حيال هذا الدخيل، فهو قد استشف ملامح الغضب على وجهه جيداً، ولا يعلم سبب هذه الابتسامة التي تُرسم على ثغر طلال.

-أيوة بس سعادتك ده_

قاطعہ طلال بأوامر صارمة:

-قولتك دخله... ومتخلىش حد يتعرضله

أوما الرجل بخشوع قبل أن يترك الحُجرة ليُلبى الأوامر، عادت البسمة الماكرة على ثغر طلال وهو يستنشق الهواء من خابوره مُنتظراً هذا الزائر كي يُشرفه في مكتبه.

-استنيتك كثير يا حضرة الظابط... أه صحيح نسيت... مبقتش ظابط

قالها طلال باستفزازٍ عازماً على إثارة حنق لؤي الذي توغل مكتبه بنظراتٍ مُشتعلة ونيرانٍ تتصاعد من أذنيه، لكنه مع ذلك تظاهر بالثبات وهو يواجهه بنفس الطريقة:

-ولا إنت طلال... ولا إيه يا أستاذ.... داغر

اتكأ على آخر حروفه ليبرهن له أنه كشف حقيقته، حقيقة أنه يعيش طيلة هذه الفترة تحت اسمٍ مُستعارٍ حتى يتهرب من الجرائم التي ارتكبها داغر، أي التي ارتكبها هو فيما سبق.

نمت قهقهة ساخرة على ثغر طلال حتى يُثير حنقه أكثر، استمرت تلك القهقهة لفترة وجيزة قطعها طلال بقوله:

-لأ برافو... كنت عارف إنك هتعرف الحقيقة.... عامل زيي.... أصل بردو بيقولو إن الابن بيطلع لأبوه

كان يعلم الحقيقة منذ البداية، يعلم أن لؤي من صُلبه، لذلك كان يُريد التقرّب منه تحت ستار الانتقام، لكن الحقيقة كانت أبعد ما يكون عن الانتقام.

-إنت مش أبوية

هتف لؤي بتلك الجُملة بغضبٍ جثيمٍ لم يُحرك قيد أنملة بطلال الذي واصل حديثه ببرود:

-والله فكرتني بأملك ... الله يرحمها بقى ... ماتت وهي لسة عيلة 16 سنة

لم يتحمل لؤي أكثر من هذا فوجد نفسه يرفع قبضته لأعلى ويهوي بها بكل ما أوتي من قوة على الطاولة التي كاد زجاجها يتهشم لمئة قطعة:

-إياك تجيب سيرتها

رماه طلال باستخفافٍ قال معه:

-ولو جبت هتعمل إيه ؟

أزاح لؤي شعلة غضبه وبدلها بابتسامة شيطانية قال معها:

-أنا هقولك هعمل إيه ؟

أنهى حديثه وهو يضع يده على خصره وينتشل سلاحه ويقوم بتعميره ثم يصوبه مباشرة أمام طلال الذي لم يتحرك ساكنًا، فقط يستمع ببرود لحديث لؤي المهدد:

-هخليك تتحاسب في الآخرة ... على موت أمي ... وموت جابر

أخذ طلال نفسًا من خابوره ثم أخرجه كأدخنة سامة في الهواء وهو يقول بإعجابٍ يحمل الكثير من الاستهزاء:

-لأ عجبتي ... طلعت شبهي فعلاً ... بس عارف ناقصك إيه ؟...

وثب عن المقعد ليُطيل التحديق بعيني لؤي وذاك السلاح المصوب على رأسه والذي لا يكثر له بُتاتًا:

-ناقصك شوية عقل ... أصلك متعرفش إن إلي بيدخل هنا برجليه ... مش بيخرج منها عايش

أنهى الحديث ببسمة مأكرة ملئت لؤي بالعديد من الشكوك حتى التفت برأسه ليجد العديد من الأسلحة مصوّبة عليه مباشرة وتحاصره من كل جانب حتى لا يستطيع الخروج من الحُجرة، علم للوهلة الأولى أنه لن يخرج حيًّا من هنا، لكنه مع ذلك التفت مجددًا بنظراته صوّب طلال وهو يضغط أكثر على الزناد عازمًا على القضاء عليه والانتقام منه، حتى ولو كانت حياته هي الثمن....

الفصل السابع والعشرون (التثبيت)

سيأتي اليوم الذي ستضطر فيه للجوء إلى الحلول المجنونة، فالمنطق لم يعد يُجدي نفعًا بهذه الحياة....

وضعت الكوب الزجاجي على الطاولة لتملئه بالمياه الساخنة وتُحرك بداخله تلك الملعقة الحديدية حتى يذوب مسحوق القهوة سريعة التحضير، ما إن أنهت صنّع المشروبات حتى وضعتها على الصينية المعدنية استعدادًا لأخذهما والتمتع بهما برفقة زوجها لعلها تُهديء من نيرانه الثائرة وإحساس الظلم الذي يشعر به.

استوقفتها كلمات لؤي الغاضبة وهو يصرخ بالهاتف بكلماتٍ لم تفهما لكنها فهمت تهديده الصريح الذي أظهر من خلاله أنه على وشك أن يقتل أحدهم؛ وضعت الصينية على الطاولة لتقترب من لؤي الذي كان أشبه بالتنين المُحنك وهو في تلك الحالة، حاولت ألا تقترب منه أكثر حتى لا يثور بوجهها لكن قلقها وخوفها عليه جعلها تسأل:

-إنت ... رايح فين؟... وعايز تعمل إيه؟

بقيت الملامح الغاضبة تلوح على وجهه وتجعله كعاصفة رعدية، ودون أن ينتبه لنفسه وجد نفسه يصرخ بها:

-ابعدي من قدامي

زادت كلماته من قلقها وخوفها من تهوُّره، فهي تعلم غضبه جيدًا، وتعلم ما الذي قد يفعله وهو بهذه الحالة، لهذا السبب وقفت أمامه كالحائل وهي تقول بإصرار:

-أنا مش هبعد غير لما تقولي رايح فين

اشتعلت النيران بعينيه وهو يصيح بها دون أن ينتبه إلى ما يقوله، فغضبه الآن هو ما يُحركه:

-قولتك ابعدي من وشي يا قمر بدل ما اتجنن عليكى-

التقطت بعينها سلاحه الموضوع بخصره، تأكدت شكوكها بأنه لا ينتوي خيراً أبداً، فهذا الغضب ما إن يجتمع مع الأعية النارية، لا يُخلف وراءه سوى الدمار وربما يفقد حياته جراه.

-إيه المُسدس ده؟... لؤي وحياتك عندي قولى إنت رايح فين؟

تغيّرت نيرتها إلى التّوسل الأقرب إلى البكاء وهي تلح عليه أن يُطمئنّها بأنه على ما يُرام وأنه لا ينوي على أي شيء، لكن تصرفاته أتت عكس توقّعاتها ما إن وجدته يدفعها بحدة عن طريقه ويواصل سيره بهمجية صوّب الباب عازماً على تدمير ما حوله.

واصلت الهرولة وراءه وهي تُناديه حتى يُجيبها ويتوقف عن السير لكنه لا يستمع لها أبداً، فخطواته تقوده نحو الباب وعقله يقوده نحو التهلكة، لكنها لن تسمح له بالتهوّر وقررت أن تستخدم آخر خياراتها حتى تطمئن عليه وتعلم سبب غضبه بتلك الطريقة.

قطعت طريقه مرة أخرى، لكن هذه المرة أطلقت العنان لنظراتها بأن تخترق نظراته حتى تعرف ما يُخبئه عنها، تعهدت سابقاً بالألا تستخدم التنويم المغناطيسي معه أو مع أي أحدٍ تعرفه، لكن الآن، إن لم تستخدم حيلتها، فلن تستطيع مساعدته قبل فوات الأوان.

حدقت بعينه عنوة حتى جعلته يهيم بها ويسقط في مُستنقع أفكاره وخيالاته، ما إن لاحظت تراخي أعصابه وشروده حتى سألته بنبرة هادئة:

- هو في إيه؟... إيه إالى عرفته وخلاك تتعصب بالشكل ده؟

لم يكن ينظر إليها وهو يُجيبها بشرود:

-عباس عرف الحقيقة... عرف مكان داغر خليل الرفاعي... أبوية

بدأت عوالم الصدمة تزورها وهي تسأله:

-وهو أبوك فين؟

أجابها لؤي وهو لا يزال مُتغيّبًا عن العالم:

-أبوية هو طلال.... وطلال هو داغر... لازم اخلص عليه

احتقن وجهها مرة واحدة من تلك الحقيقة وبدأت أنفاسها تضطرب وهي تسأله عن عنوان القصر الخاص بطلال ويُخبرها لؤي بتغيّبٍ ويبقى في تلك الحالة لفترة حتى أعادته مُجددًا للحياة وأخذت قرارها بإيقافه عمّ ينوي فعله.

عاد لؤي إلى الحياة يشعر وكأن شيئًا غريبًا حدث معه، فهو لا يعلم كيف توقف عن السير وسبب توقّفه هكذا مرة واحدة، ومع ذلك تجاهل الأمر وقرر المضي قُدّمًا والعودة مُجددًا إلى غضبه الجحيمي الذي استوقفته قمر وهي تقبض على ذراعه متفوّهة بإصرار:

-لؤي متروحش أبوس إيدك... طلال ده ممكن يعملك حاجة

انفالت لسانها بسبب خوفها عليه وأخبرته دون أن تدري أنها علمت الحقيقة، توقف لؤي عن السير ليُطالعها بنظراتٍ متوّعة والشكوك بدأت تتجمع برأسه، بل بدأت تتحوّل إلى يقيناتٍ مؤكدة.

-إنتِ عرفتي منين إني رايح لطلال؟

سألها بجمودٍ وغلظة كادت تُذيب عظامها، تغيّر لون وجهها إلى اللون الأصفر وهي تجيبه بارتباك، إذا أخبرته أنها مارست عليه تنومياً مغناطيسياً فرما تنتهي علاقتهما للأبد.

-أن... أنا... سمعتك وإنتِ بتتكلم

اشتم رائحة كذبها فوراً فضيق الخناق عليها بكلماته الحادة:

-أنا مجبتش سيرة طلال وأنا بتكلم

ارتعدت أوصالها أكثر وبدأ العرق يتصبب من جبينها وهي تحاول الكذب بتحجج:

-م..ما أنا...أنااا_

قطعها لؤي بيقينٍ خرج منه بصوتٍ صاخب:

-إنت نيمتيني؟.... رُدي عليا

كانت على وشك البكاء بسبب نظراته المُرعبة وصُراخه بوجهها، بدت كالعصفور الجبان وهي تُحاول التبرير له بارتباك:

-والله كُنت خايفة عليك... مش عايزاك_

قطع حديثها بهجومٍ وهو يدفعها بقسوة عن طريقه صارخاً بوجهها:

-وسعي من قدامي

ارتطم جسدها بقوة بالخزانة الصغيرة المجاورة لباب المنزل، سقطت على الأرض إثر دفعته القوية والتي جعلتها تتأوه ببعض الألم الطفيف الذي مُحي بعد لحظات، وجدته ينطلق كالصاروخ خارج المنزل دون أن يكثرث لدفعته لها ودون أن يكثرث للتهوُّر الذي سيقترفه، لم تستطع إيقافه هذه المرة وبقيت تنادي عليه بدموع مُنهمرة وخوفٍ يضرب حصون قلبها، فهي تعلم أن القادم ليس هيناً... ليس هيناً أبداً...

عادت من ذكرياتها وهي داخل المنزل الخاص بإسلام وداليا تقص عليهما ما حدث، وكيف علّمت بما ينتوي لؤي فعله، أنهت حديثها وهي تستنجد بهما والدموع لا تزال على وجنتيها:

-بالله عليكم اعملو حاجة ... لؤي مش هيقدر يخرج من بيت طلال عايش

صدح جرس المنزل مُجددًا، فهرع إسلام نحو الباب ليفتحه ويجد أمامه شمس شقيقة قمر، لا يبدو على ملامحها أي من العوالم سوى بعض الارتباك الطفيف، توّغلت شمس المنزل وهي تُرحب بهما بهدوءٍ ثم تتعجب من وجود شقيقتها هنا، خاصة بلامحها الباكية، تجاهلت معرفة ما حدث قبل مجيئها وقررت أن تبدأ الحديث مباشرة بقولها:

-أنا كُنت عند ميجو الصُبح ... وهو...

بترت حديثها وهي تُخرج الهاتف الخاصة بها وتعبث به حتى أظهرت عنوانًا لمعملٍ بأحد الأماكن النائية، مدّت الهاتف نحو إسلام حتى يتفقد العنوان وهو يستمع إلى حديثها الجاد المحمل ببعض الخُذلان:

-ميجو طلع بينقل أخبارنا لطلال ... عشان كدة ... عرفو إن جابر الله يرحمه كان مُتنقل

كان الضيق يلوظ بآخر كلماتها لكنها أكملت الحديث بنفس تلك الجدية التي بدأت بها:

-بس هو خلاص تاب ... ومبقاش يشتغل معاه تاني ... وقالي إن المعمل ده ... فيه كل الأوراق والمستندات إلي ممكن تخلينا نوقع طلال وإلي معاه ... وإلي بالمناسبة اسمه داغر عبيد

تفقد إسلام الهاتف لفترة بنظراتٍ مُقتضبة قطعها فورًا لضيق الموقف واضطرارهم لأخذ قراراتٍ سريعة قبل أن يفقدوا عضوًا ثانيًا من فريقهم، أعاد الهاتف إلى شمس ليتجه بسرّعة نحو الخزانة مُنتشلاً معطفه ثم أخرج الصندوق الخشبي الذي يحتوي على الأسلحة التي قرر أن يستخدمها الآن، حانت اللحظة التي ينتظرونها منذ بدأت ملاحظتهم.

-اتصلو بيهم كلهم ... خليهم ييجو على هنا في أسرع ما يُمكن

أمرهم إسلام بصرامة فأخرجت قمر هاتفها بسرعة وبدأت تتصل بكوكي التي سئخبر
مُعتر بدورها بينما انتشلت داليا هاتفها وقررت الاتصال بيُسرى حتى تأتي هي
وخالد، بينما اتصلت شمس بريتا وإسلام سيتصل بإحسان ومخيمر لأنهما بحاجة إلى
أكبر عددٍ ممكنٍ بتلك المهمة.

ما إن أنهوا اتصالاتهم وتأكدوا أن الجميع سيأتي حتى عاود إسلام الحديث بلكنته
القيادية وهو يقول باختصار:

-أنا وداليا ومُعتر وخالد وقمر ويُسرى... هنروح بيت طلال ونلحق لؤي إحسان
ومخيمر وريتا وشمس ... هيروحو المعمل يجيبو كل الأوراق والمستندات المهمة
وكوكي هتساعدهم.... لازم نتحرك بسرعة قبل فوات الأوان....

الخطر أمامك وأنت لا تراه، بل تذهب إليه بقدميك....

عيناه حمراء متقضة بالشرارات المُتلهبة، يدها تقبضان على السلاح الذي يُسلطه على
طلال عازماً على الفتك به، هناك اضطرابٌ بسيطٌ يسري بجسده بسبب تلك الأسلحة
المصوّبة خلفه مباشرة، أي حركة سيقوم بها الآن ربما تضحى آخر حركة يقوم بها
في حياته، ومع ذلك حافظ على ثباته الذي لم يتزعزع ولو لثانية وهو يقابل طلال
بنظراته المُشتعلة ويقترّب نحوه بخطواتٍ بطيئة لا تكثر لمحاولات طلال
لاستفرازه.

أطلق طلال قهقهة مُستخفة من جوفه وهو يواجه لؤي ببرودٍ لعله يستطيع استئثارته،
فكانت عيناه تزيغان في مكانٍ آخر بعيداً عن لؤي مُدعيًا التذكّر أثناء قوله:

-عارف يا لؤي اليوم إلي امك الله يرحمها هربت فيه من بيتي عرفت
بعدها علطول إنها حامل مني

زادت قهقهته وهو يواصل حتى يزيده غضباً:

-بيني وبينك كنت هبعت الرجالة يخلصو عليها ... بس قولت استنى ... استنى
اشوف اللي هيطلع من صُلبي

أطبق لؤي على أنيابه بغلٍ دفينٍ وهو لا يزال يصوّب سلاحه أمام طلال الذي اقترب
بخطواتٍ قليلة جعلته يقف مباشرة أمام لؤي ليُحذق بعينيه بتمعن:

-وأديني شوفت ... ومخيبتش ظني ... طلعت نسخة مني لما كُنت في سنك

لم يتحمل لؤي أكثر من هذا وانقض على طلال انقضاضة الأسد على فريسته، أمسكه
من تلابيبه ودفعه حتى استند ظهره بحافة المكتب، كاد الرجال يطلقون الرصاص
عليه لولا إشارة طلال التي جعلتهم يبقون مكانهم يشاهدون لؤي وهو يقبض على ياقة
القميص الخاص بطلال ويصرخ بوجهه بنيرانٍ تنطلق من كل شبرٍ بجسده:

-إنت مش أبوية وأمي إلی إنت خطفتها واتسببت في موتها هتكون سبب من
الأسباب إلی هتخليني اخلص عليك دلوقتي ... فاهم مش همشي من هنا بعد ما
اخلص عليك

قطع صُراخه صوّت ضجيجٍ وطلقاتٍ نارية تصدح من خارج الحُجرة، اضطربت
قلوب الحُراس والتفتوا نحو هذا الصوّت حتى أمرهم كبيرهم بالخروج من الحُجرة
ومعرفة سبب هذا الضجيج، وبينما كان الجميع مشغولاً بهذا الصوّت إذا ينتهز لؤي
الفرصة ويركل طلال في معدته ركلته أسقطته وسمحت المجال للؤي بالانقضاض
على الحارس الآخر الذي أطلق رصاصة عشوائية أحدثت شقاً في الجدار.

قبض لؤي على ذراع الحارس وأرغمه على إسقاط السلاح على الأرض ثم دفعه
حتى ألصقه بالحائط حتى يُسدد له المزيد من اللكمات، لكن صلابة الحارس وقوّته
جعلت لؤي يجد صعوبة بالغة بالقضاء على ذلك الرجل فتركه ليلتفت صوّب طلال
حتى ينتهي مما أتى من أجله.

أحس لؤي بحركة تأتي من وراء ظهره فعلم فوراً أن طلال يحاول الهرب قبل أن
ينال عقابه؛ دفع الحارس بقوة جعلته يسقط على المكتب ويُبعثر الأوراق والمستندات
بجسده، التفت بسرعة صوّب طلال ليجده واثباً قبالة بعد أن انتشل سلاح الحارس

الذي ألقى على الأرض وقرر أن يستخدمه ليتخلص من لؤي قبل أن يتخلص لؤي منه.

وضع لؤي يده بخصره ليُخرج سلاحه ويصوّبه هو الآخر بطلال ليُصبح كل واحد منهما على استعدادٍ لقتل الآخر، تحرك لؤي بضغ خطواتٍ جعلته يتوقف أمام الباب مباشرة حتى لا يستطيع طلال الهرب، اقترب طلال نحوه خطواتٍ قليلة حتى أضحت المسافة بينهما لا تتعدى بضعة أمتار، بقيا على تلك الحالة لبضع ثوانٍ قطعها لؤي بانقضاضه مرة أخرى على طلال الذي أطلق رصاصة من سلاحه اخترقت الباب الذي أغلقه لؤي بعُنف قبل أن ينقض عليه مباشرة.

كان الجدل أصعب من المرة السابقة وكأن طلال أدرك قوّته وبدأ يستخدمها ليستطيع مجابهة لؤي رغم فارق السن بينهما، لكمه لؤي العديد من اللكمات مما جعلت الدماء تسيل من جوف طلال ولا زالت عوالم الاستخفاف والثبات تلوح على وجهه.

تدخل الحارس الآخر في تلك اللحظة وانقض على لؤي من الخلف ليُحيطه بذراعيه ويجذبه عنوة بعيداً على جسد طلال، تلك الدفعة تسببت بسقوط السلاح الخاص بلؤي وسقوط جسده إثر الركلة التي تلقاها من هذا الحارس والتي أصابت ظهره.

أحنى طلال جذعه بسرعة لينتشل السلاح الخاص بلؤي ويُعطيه للحارس الخاص به، كاد لؤي يثب مُجدداً عن الأرض لولا ركلة الحارس الأخرى التي جعلته يتأوه بصوتٍ مكتومٍ ويبقى مكانه يرمق طلال بنظراتٍ حاقدة.

جفف طلال الدماء المُتدفقة من جوفه وهو يقترب من لؤي ويُشهر السلاح على رأسه بعد أن وثب مجدداً وكاد ينقض على طلال ويطيح به مرة أخرى لولا هذا الحارس الضخم الذي كبل حركته وأرغمه على الوثوب أمام فوهة السلاح التي يُشهرها طلال أثناء قوله الشامت:

-مش قولتلك إنك مُغفل ... فإكر نفسك هتعرف تقتلني هنا

تعالى صوت قهقهته المُستخفة ثم حوّل نبرته إلى أخرى مُرعبة أثناء قوله المُقرر:

-ملحوظة أهو درس واتعلمته ... متنساش بقى تطبقه في ... الآخرة...

قالها وهو يضغط على الزناد ثم....

لم تمنعهم أصوات الغربال ولا صوت الرياح العاتية المحملة ببرودة طفيفة تبعث الرهبة في النفوس، لم تمنعهم السماء الكاحلة والظلام الدامس عن تنفيذ تلك المهمة الخطيرة لإنقاذ صديقهم والانتهاء من تلك المعارك للأبد، كل ثانية تمر عليهم ربما تؤثر بحياة صديقهم وتجعله عرضة للخطر، لهذا السبب لن يضيعوا الوقت مجدداً هذه المرة، ولن يخافوا من المواجهة مرة أخرى.

عافر معتز وهو يتسلق السور ويقفز من الجهة الأخرى ليضحي داخل الحديقة من الجهة الخلفية للقصر، تحرك وراء إسلام الذي يقود المسيرة وخلفه داليا مباشرة ثم قمر ثم يسرى وخالد وأخيراً، معتز، جميعهم يتحركون بخفة وانسيابية ويتلفتون وراءهم في كل ثانية حتى يتأكدوا أن لا أحد التقت مجيئهم، توقفت مسيرتهم عند شجرة صغيرة مليئة بالورود والأوراق الخضراء، أخفضوا جذعهم حتى جلسوا على رُكبتهم يستمعون إلى إسلام الذي كان يقول بصوت خافت:

-أنا وداليا ومعتز ... هنا من الطريق من جوة يسرى وقمر وخالد هيروحو يلحقو لوي ... أمين ؟

أومأوا رؤوسهم بصمت وكانت الأسلحة بأيديهم لأنهم بالطبع سيستخدمونها حتى ولو لم يقتلوا أحداً، رفع إسلام جذعه ليبدأ تنفيذ الخطة واختراق القصر بصدور رجب أوقفه صوت الإنذار الذي يُطلق ما إن يتم التقاط الدُخلاء بكاميرات المراقبة.

ارتفع صوت الإنذار أكثر حتى بدأ يختلط مع صوت الحُراس وهم يُهرولون في الحديقة ويبدأون بإطلاق الرصاصات بصورة عشوائية هدفها الترهيب؛ ارتعدت أوصال إسلام وهو يعود مجدداً إليهم ليهتف بصوتٍ مُرتجف يختلف تماماً عن اللكنة القيادية التي بدأ بها الحديث:

-الخطبة اتغيرت ... أنا وداليا هندخل القصر من قدام عشان ندور على لؤي ... قمر
ويُسرَى هيدخلوا من الباب إللي ورا ويدوروا معنا مُعترز وخالد هيفضلوا هنا
يشنتوا الحراس

توقف عن الحديث بُرهة ليوجه حديثه صوب مُعترز وخالد:

-بتعرفوا تضربوا بالمُسدس ؟

حركا رأسيهما نفيًا فواصل إسلام حديثه:

-قشطة ... يلا نبدا

أشار إسلام بيده صوب داليا حتى تتبعه ويبدأ كلاهما الركض بسرعة صوب الباب
بينما بدأ خالد ومُعترز بإطلاق رصاصات عشوائية استطاع الحراس الانتباه لها
وملاحظتها حتى يستطيع إسلام وداليا الولوج من الباب الرئيسي بعد أن استطاعا فتح
الباب بصعوبة.

كان القصر فسيحًا مليئًا بالتمائيل الباهظة والأثاث الكلاسيكي العتيق، ارتعدت
أنفاسهما وهما يتوغلان القصر أكثر ويتلفتا في كل مكان بحثًا عن لؤي، داهمهما
صوت رصاصة نارية جعلت جسديهما ينخفض تلقائيًا ويبدأ إسلام بالصياح بداليا
حتى تتحرك بسرعة بعيدًا عن أولئك الرجال.

استطاعا صعود السلم ومواصلة الركض عازمين على اختراق الغرف لعل لؤي
داخل واحدة منهم، تسمرا مكانهما مرة واحدة عقب ظهور هذا الرجل أمامهما
بصورة مفاجئة:

-رايحين على فين ؟

سألها هذا الرجل ذو الملامح الجافة والنظرات الغريبة، أحس إسلام بالخطر اتجاهه
فرفع سلاحه قبالته وهو يقول:

-طلال فين ؟ ... قول بدل ما اضربك بالنار

لم تتغير ملامح الرجل وهو يقترب نحوهما مُشيرًا على نفسه أثناء قوله:

-تضربني أنا ؟

بدت كلماته مستهزئة لكنها لم تؤثر بهما أبدًا، حافظا على ثباتهما وهما يرمقانه بنظراتٍ مُحدية وهذا السلاح الذي يُشهره إسلام دون تزعزع.

-طلال فين ؟

سأله إسلام مُجددًا فما كان من ذاك الرجل الغريب سوى أنه قال بإصرار:

-ولو قولتلك إني مش هقولك ... هتعمل إيه ؟

ربط الرجل ذراعيه ببرودٍ مع آخر كلماته بينما أردف إسلام بصوتٍ حادٍ صارم:

-لو مش هتقول هو فين يبقى تبعد من قدامنا وخلينا نعرف بنفسنا

تقدم الرجل نحوه أكثر حتى التصق بفوهة السلاح لعلها إشارة لعناده وعدم خوفه منهما:

-للأسف الاختيار ده كمان مش موجود فياريت تمشو من هنا قبل ما تشوفو حقيقتي

شدد إسلام من قبضته على السلاح وقد شعر بالغضب الطفيف اتجاه هذا الرجل، لكنه مع ذلك لم يُظهر حنقه أبدًا وهو يقول:

-براحتك بس خليك فاكر إني حذرتك

كاد يضغط على السلاح رغم ارتجافة أطرافه، كان ينوي فقط أن يطلق رصاصة على قدمه دون أن يقتله، فقط يريد ابعاده عن طريقهما والسماح لهما بولوج العُرف والبحث عن لؤي، لكن فجأة...

قبل أن يضغط على الزناد وجد جسده ينتفض فجأة ليُطلق شهقة مسموعة أنهاها في مكانٍ غريبٍ وثيابٍ غريبةٍ يعرفها جيداً.

اخترق هذا الرجل الغريب جسد إسلام وأضحى هو من يمسك السلاح ويُشهره على إسلام الذي وجد نفسه داخل جسد هذا الغريب يرمق ابتسامته الشيطانية وكلماته الباردة المُعرفة لذاته:

-نسيت اعرفكم بنفسي ... أنا وهدان ... من المتنقلين....-

أزاحت يُسرى باب النافذة الزجاجي لتستطيع اقتحام المنزل بصُحبة قمر التي دلفت إلى الداخل بهدوءٍ وخطواتٍ متأنية حتى لا يلمحها واحد من الحُراس، فجميع الأصوات تتداخل خلف أذنها وصوت الإنذار لا يزال يطرق برأسها ويُزيدها شعوراً بالخوف والارتعاد، لكن مهما كانت حدة هذا الخوف، لن يُضاهي أبداً خوفها وقلقها على لؤي الذي رُبما حياته في خطرٍ الآن.

تحرك كلاهما بانسيابية إلى الداخل حامدين ربهما بأن لا أحد لمح وجودهما، لكنهما لم يكادا ينتهيا من الحمد حتى داهمتها أصوات أقدامٍ تهول نحوهما وأخرى تأتي من وراءهما في نفس التوقيت.

تهدجت أنفاسهما وأحسا وكأنهما محاصرين بين هذين الحارسين، من شدة توترهما وجدا أقدامهما تمتع عن الجراك وتتصلب مكانها وكأنها تُسلمهما للتهلكة.

وجدا سلاح الرجل مصوباً عليهما ونظراته النارية تخترقهما، لا ينوي قتلها لكنه متأكد من أنه سيقبض عليهما حتى يراها طلال ثم ينتهي منهما بعدها.

داهمهما الرجل الآخر بسلاحه من وراء ظهريهما ولأنهما لا يمتلكان أية أسلحة، فقرر أن يتوقفا عن المحاولة ويرفعا أيديهما في استسلام، هذا الاستسلام لم يدم

طويلاً عندما أشارت قمر بإصبعها صُوب يُسرى التي التقطت إشارتها فوراً
واستعدت لما سيحدث.

ما هي إلا بضع ثوانٍ حتى اخترقت نظرات قمر كيان الحارس الذي يقف أمامهما
والذي وجد عضلاته تتراخى فجأة ويرتمي بجسده الثقيل على الأرض مُحدثاً صوتاً
يُشعر ك وكأنه بنائية شاهقة تم هدمها بسبب زلزالٍ قاتل، في نفس تلك اللحظة أعادت
يُسرى مرفقها للوراء وقبضت على ذراع الرجل الآخر الذي وجد سلاحه يسقط عن
يده عنوة بعد أن أطلق منه رصاصة طائشة، ركلته يُسرى بقدمها أسفل معدته لتجعله
يتقوّص من الألم وتستطيع هي أن تستخدم المزيد من مهاراتها القتالية لتركله مُجدداً
في رقبتة مما أدى إلى فقْدانه الوعي.

حاولت يُسرى تنظيم أنفاسها بعد هذا العراك القصير الذي انتهى بنجاحها، أشارت
بإصبعها للأمام حتى تستمر قمر بالهرولة والبحث عن لُوي، لاحظاً الأرائك الراقية
العتيقة وتلك التماثيل التي تُغرق أركان المنزل الكبير، وما لاحظاه أيضاً هي تلك
الأصوات المألوفة التي تنبعث من إحدى العُرف.

-لُوي ... ده صوت لُوي

قالتها قمر بارتعادٍ وصوتٍ خافتٍ بعد أن استطاعت تمييز صوتَه الذي اختلط مع
صوتٍ طلال المستخف، هرولت قمر بسرعة صُوب الحجرة ووراءها تهرول يُسرى
وتتلفت يميناً ويساراً حتى لا يُفاجئها شخصٌ آخر، لكن فجأة....

تبيست أجسادهما مرة واحدة إثر صوتٍ الطلقة النارية التي انبعثت من داخل الحُجرة
المرادة وجعلت قمر تصرخ بهلع:

-لُوي....

رغم الظلام الحالك وانعدام الرؤية، واصلا اطلاق النيران في مناطق عشوائية حتى
يتشتت بقية الحُراس ولا يُلاحظوا وجود بقيتهم داخل القصر، وجدا مجموعة من
الحُراس يهرولون نحوهما فوثب خالد بُسرعة ووراءه مُعتز حتى يهرولا بعيداً
ويختبأ مُجدداً أسفل شجرة من الأشجار.

تنفس مُعترز بصعوبة والعرق يتصبب على جبينه بسبب الركض، فهما يُطلقان النيران ثم يهرولان منذ دخل بقيتهم هذا المنزل.

-علينا أن نصمد-

قالها خالد بتشجيع وهو يرفع جذعه قليلاً ويُطلق طلقة من سلاحه حتى يُدافع عن نفسه ويواصل تشتيتهم، رفع مُعترز جذعه هو الآخر ليقوم بنفس الشيء لكنه تفاجأ بأن الرصاصات قد نفذت من سلاحه.

تأفأف مُعترز وزمجر وهو يخفض السلاح ويسأل خالد:

-الرصاص خُصص ... معاك خزينة ثانية؟

نفى خالد برأسه وهو يُجيب:

-من أين لي بخزينة أخرى؟

رفع جذعه بعدها ليُطلق رصاصة أخرى وهو يقول بطمأنينة:

-لا تقلق ... سأشتتهم بسلاحي

وقبل أن يُنفذ حديثه اكتشف أن الأعبرة النارية قد نفذت أيضاً من سلاحه، هذا ما جعله يخفض ذراعه بخُذلانٍ وعلامات اليأس والاستسلام تُرسم على وجهه، لاحظ مُعترز تلك الكارثة فسأل ببعض الذعر:

-هنعمل إيه دلوقتي؟

أجابه خالد بقلة حيلة:

-لا يوجد أمانا سوى الاختباء حتى يأتوا من الداخل

أوماً مُعتز بموافقة وبقي مكانه مُنفذاً تعليمات خالد التي قطعها صوّت زنادٍ صدى
طنينه خلفهما مباشرة وجعلهما يلتفتان عنوة بضربات قلبٍ تتصاعد في هلع خاصة
مع كلمات هذا الرجل وهو يُشهر سلاحه عليهما:

-ارمي سلاحك إنت وهو...-

توقفت السيارة التي يقودها مخيمر في منطقة نائية محفوفة بالأشجار الكثيفة والرياح
الهادئة، كان إحسان يجلس بجواره بينما في المقاعد الخلفية، تجلس ريتا بجوار كوكي
ثم شمس الجالسة بجوار النافذة من جهة اليمين، وُضع الحاسوب على فخذ كوكي التي
كانت طوال الطريق تُحدق به بإمعانٍ لعلها تستطيع الوصول إلى مرادها.

كانت النظرات المُترقبة حولها تُغرقها وتنتظر إشارتها حتى يبدأ الخطء، فما هي إلا
بضع دقائق حتى رفعت كوكي عينيها عن الحاسوب كي تهتف بانتصار:

" I did it -فعلتها"

علموا فوراً أنها نجحت باختراق الكاميرات والوصول إلى خريطة لهذا المبنى الذي
يُشبه المعمل في تكوينه على الرغم من الأعمال غير القانونية التي تُجرى بداخله.

ما إن تلقوا الإشارة من كوكي حتى هرعوا من السيارة تاركين كوكي داخلها لعلها
تُراقب ما يحدث حولهم وتُنبههم إذا وجدت خطراً، انقسم أربعتهم إلى فريقين، فكانت
شمس تسير على الحشائش برفقة ريتا بينما تحرك مخيمر مع إحسان الذي كان
يرتدي حقيبة على خصره كما تفعل شمس بالضبط، فتلك الحقائق من المُفترض أن
يوضع داخلها الأوراق المُهمة.

اتجهت ريتا بجرأة صوّب الباب الرئيسي لتتقابل نظراتها الواثقة مع الحارسين اللذين
حدقا بهما في حدة:

-بعد إذنك يا أنسة ... ممنوع الدخول هنا

قالها الحارس بحدة مؤجهاً حديثه صوب ريتا التي لم تكثر له بُتاتاً وهي تقول:

-بس أنا لازم ادخل ... في حاجة مهمة جوة لازم اجيبها

احتدت نظرات الحارس أكثر كما وضع الحارس الآخر يده على خصره استعداداً لإخراج سلاحه وتهديدهما، أدركت ريتا للوهلة الأولى ما ينويان فعله فسلطت نظراتها الثاقبة على الرجل المواجه لها وبقيت تُحدق به بامعانٍ حتى...

تلاشت عوالم الغضب والحدة وحلّ محلّها سعادة ولهفة لا يعلم من أين أتته، وجدته بيتسم ابتسامة واسعة وهو يرضخ لطلباتهما:

-أنا عنيا ليكم يا بهوات ... اتفضلو اتفضلو

قالها وهو يفسح المجال لهما بدلوف المعمل بينما ازدادت نظرات الحيرة على زميله وهو يقول بتوبيخ:

-إيه إلهي بتعمله ده؟ ... دكتور داغر منبه علينا إن محدش يدخل المعمل_

قطعته ريتا وهي تقول بصرامة وثقة:

-وهو دكتور داغر مقالکش أنا مين ولا إيه؟

هي ليست شخصاً مهماً بالنسبة لداغر، فهو بالأحرى لا يعرفها من الأساس، لكنها فقط تقول هذه الكلمات حتى تجعله ينظر لها ويتلقى سهامها التي القتها فور أن تقابلت عينيها مما أدى إلى جمود الرجل لبُرهة من الزمن قبل أن تتحوّل نظراته إلى ابتسامة واسعة ونشوة تعادل نشوة زميله التي لا يعلم من أين أتى بها.

-لا مواخذة يا أنسة ... اتفضلو براحتكم

قالها الحارس بابتسامته الواسعة وهو يسمح لهما بالدخول مما جعل ريتا تتقدم
المسيرة بخطواتٍ واثقة وجوارها شمس بعوالم الحيرة التي ارتسمت على وجهها
وهي تقول:

-واو ... إنتِ إزاي عملتي كدة ؟

رسمت ريتا بسمة فخورة على ثغرها وهي تقول:

-هي قمر مقاتلكيش أنا بعمل إيه ؟

نفت شمس برأسها فواصلت ريتا الحديث بتفسيرٍ يحمل الكثير من التبهنس:

-بتحكم بطاقة اللي قدامي ... يعني بنظرة مني، أقدر أخليه مبسوط متضايق مخنوق
حاسس بالذنب ... إالي أنا عايزاه

رفعت شمس حاجبيها بذهولٍ وهي تواصل السير بجوار ريتا حتى بدأ يتحركان
بسهولة داخل رُدهة المعمل، مرّت بينهما بُرهة من الصمت قطعتها شمس بتساؤلٍ:

-هندور فين ؟

أجابت ريتا وهي تُسرّع قليلاً من خطواتها:

-هنحاول ندخل الأوض الفاضية الأول...

لم تكذ تُنهي حديثها حتى اخترقهما صوّت صياح يُصدر من أحد الحراس الذين بدأوا
بالهرولة نحوهما هاتفين:

-امسكو الاتنين دول بسرعة....

تسلق مخيمر النافذة ببعض الصعوبة بسبب جسده الهزيل قليل المرونة، تبعه إحسان
بتسلق تلك النافذة وساعده مخيمر حتى استطاع كلاهما ولوج المعمل دون أن

يلحظهما أحد، وجدا نفسيهما داخل المرحاض ففتح إحسان حقيبته ليُخرج منها معطفًا أبيضًا يُعطيه لمخيمر الذي ارتداه مُدعيًا بأنه طبيبٌ أتى هنا للعمل، ارتدى إحسان واحدًا مثله ثم خرج كلاهما من المرحاض بعد أن تلفتا يمينًا ويسارًا ليتأكدوا من أن الطريق آمنًا.

فتح مخيمر هاتفه ليرمق تلك الخريطة التي أرسلتها كوكي لتسهيل عليهما البحث، تحرك بعدها داخل الردهة ووراءه إحسان حتى توقف كلاهما أمام حُجرة مُغلقة يعتقد مخيمر أنها حُجرة مهمة.

وضع مخيمر يده على المقبض وبدأ يُحركه ببعض العنف الذي انتهى بخيبة أمله لعدم مقدرته على فتح الباب؛ أزاحه إحسان قليلًا ليُخرج من حقيبته مفكًا صغيرًا كان يضعه بالحقيبة تحسبًا لما يُمكن أن يحدث، فكان يقول بطمأنينة وهو يُدثر نصل المفك داخل فوهة المُفتاح:

-ابوية كان حداد...-

قالها وهو يُحرك المفك بمهارة جعلته ينجح بفتح باب الحُجرة ودخولها برفقة مخيمر، كان بالحجرة العديد من الأرفف والخزانات الصغيرة التي تحتوي على مزيج من الأوراق والعقاقير المجهولة، أغلق إحسان الباب ثم هروا بسرعة نحو الخزائن ليتفقدوا ما بداخلها لعله يجد أوراقًا مهمة، بينما اتجه مخيمر بدوره صوب العقاقير ليتفحصها بدقة كونه عالمًا ومُدرِّسًا جيدًا لهذه العقاقير.

-أفيون دي مادة مُخدرة ومينفعش تبقى مع حد-

قالها مخيمر بثقة بعد أن تفحص العقاقير بدقة ثم أخرج هاتفه وبدأ يلتقط العديد من الصور لتلك العقاقير وهي بجوار بعضها، كما وضع عينة صغيرة منهم داخل جيب معطفه على أمل أن يتفحصها مُجددًا ويتأكد من استنتاجاته.

على جهة أخرى كان إحسان يتفقد الأوراق بتركيزٍ أنهاه بقوله الواثق:

-تقريباً كدة دي صفقات مشبوهة ... عقود استلام شحنة مُخدرات وسلاح
وبيع أعضاء

وثب عن الأرض متفوّهاً:

-إحنا ممكن نسلم دول ونخلص منهم خالص

نفي مخيمر حديثه بتبرير:

-لأ الورق ده مش دليل أكيد ... لسة الدليل الأكيد مش هنلاقيه هنا

قطب إحسان حاجبيه وهو يسأل بحيرة:

-أومل فين ؟

لم يُجيبه مخيمر وانطلق بقدميه خارج الحُجرة ووراءه إحسان الذي لا يعلم إلى أين سيذهب لكنه واثق من أن مخيمر يعرف كيف يدينهم جيداً، توقفاً أمام حُجرة أخرى ليفتحها مخيمر بسهولة لأن بابها لم يكن مؤصداً كالحُجرة السابقة.

كان يوجد مكتباً أنيقاً أمامه مقعدٌ من الجلد الأسود وطاولة صغيرة لا يتعدى طولها مُنتصف الرُكبة، دلف مخيمر هذه الحُجرة التي يعلم جيداً أنها المكتب الخاص بداغر وطلال، فهناك مكتبين بتلك الحُجرة وربما يوجد هنا العديد من الأدلة المؤكدة.

عاودا البحث مُجدداً وهذه المرة كان البحث أكثر تعمقاً واجهاداً مما جعل قطرات العرق تنساب على جبينهما، وجدا خزانة حديدية تقبع أسفل المكتب فخفض مخيمر جذعه ليحاول فتحها دون أية جدوى بسبب احتواءها على الأرقام السرية، حاول مخيمر دفعها للأمام والخلف بحركاتٍ تكرارية زادت من جُهدِه واستسلامه.

ابتعد عنها بعد العديد من المحاولات وهو يقول:

-لازم نلاقي طريقة

وجد إحسان يهزول نحوه ومعه ورقة صغيرة قد وجدها مُتدثرة بين الأغراض الخاصة بطلال، ما كُتب على هذه الورقة من كلماتٍ كان كفيلاً ببثهما ببعض الشك:

-مخيمر بُص كدة

اعطاه إحسان الورقة ليقراً مخيمر هذه الكلمات القليلة التي كانت " لو عايز تفتحها ... يبقى افكر عيد ميلاد حد كان عزيز عليك"

قطب مخيمر حاجبيه بإبهامٍ من تلك الرسالة الغامضة التي بات متأكداً أنها تحتوي على الرقم السري الخاص بالخزنة، ذابت الورقة بين يديه من كثرة إمساكه بها وزيادة مُدة تفكيره حول ما تحويه تلك الورقة.

-تفتكر داغر ده كان مصاحب ؟ ... ولا يمكن قصده على أمه ؟

قالها إحسان بتفكيرٍ لم يرد عليه مخيمر الذي كان في عالمٍ آخرٍ يُعيد تلك الكلمات القليلة على مسامعه، إذا أردت أن تفتحها، تذكر عيد ميلاد شخصٍ كان عزيزاً عليك، ثم أخذ يُكرر بعض الكلمات التي كانت تذكر، عيد ميلاد، كان عزيزاً عليك.

توقفت أفكاره مرة واحدة بعد أن أتاه الحل الذي رُبما يساعدهما على فتح الخزنة؛ خفض جذعه بسُرعة صوّب الخزنة وبدأ يضغط بضعة أرقامٍ يعرفها جيداً ويظن أنها الحل لهذا اللغز.

وكانت ظنونه صائبة حينما وجدا الخزنة يتم فتحها لتبدأ عوالم الانتصار تلوح على وجهيهما وهما يجدان هذا الكم من النقود والمزيد من الأوراق والعقود مع ذاكرة وميضية ستزيد من أدلتهم.

جذب مخيمر تلك الأوراق بسُرعة ليضعها داخل الحقيبة الخاصة بإحسان الذي كان يسأله كيف علم كلمة المرور بهذه البساطة، ومخيمر لا يُريد أن يُجيبه خوفاً من فتح دفاتر الماضي التي جاهد حتى يقوم بطيها.

-هو إنت تعرف مين المقصود بالرسالة دي ؟

سأله إحسان مجدداً رغبة في اضمار فضوله وما كاد يُجيبه مخير حتى اخترقهما صوت الباب وهو يُفتح فجأة ويتزامن مع صوتٍ بدا مُشتاقاً ومهدداً في الوقت ذاته.

-وازاي بقى ميعرفوش ... هو في حد ينسى عيد ميلاد أخوه ؟

رفع مخير نظراته بحدة صوب داغر الذي اخترق الحجرة ومعه حارسين يُشهران أسلحتهما بعد أن تلقيا خبراً بوجود دخلاء في المعمل....

عندما يتعارك الذئب مع سليله، لا يضحى هناك فائدة من قوتهما، فالنظرات الماكرة تُستخدم كالسيوف الحادة...

هكذا كانت نظراته وهو يحاول التملص من قبضة الحارس وأمامه طلال يُشهر سلاحه على رأسه عازماً على التخلص منه لكنه يُريد أن يُذيقه من الألم أطنائاً أولاً حتى يندم على قرار مجيئه إلى هنا.

شدد طلال من قبضته على سلاحه قبل أن يضغط على الزناد و...

انطلقت رصاصة من السلاح صوب رأس لؤي لكنها لم تنجح بتأدية مهمتها عندما استخدم لؤي كل ما لديه من قوة وهو يحني جذعه لتخترق الرصاصة رأس الرجل الذي كان يُحاوطه بذراعيه وينحني بجسده مع لؤي، ولأن الحارس كان أكثر ضخامة، فكانت جُمجمته هي التي تلقت تلك الرصاصة مما أدى إلى انفجار رأسه وتناثر الدماء في كل مكان مع جسده الذي خمدت حركته وروحه التي صعدت إلى السماء.

حرّك لؤي جسده بعيداً عن هذا الحارس الذي لقي حتفه وسقط كجثة خاملة على الأرض، انقض بعدها على طلال وقبض على يده المتشبثة بالسلاح، أطلق طلال العديد من الرصاصات الطائشة وهو يحاول إبعاد لؤي عنه لكن صلابة لؤي وغضبه العارم منعه من الهرب وأرغمه على الاتصاق بحافة المكتب يحاول جاهداً أن يتحرر من قبضة لؤي ونظراته الجحيمية.

-مش كُنت بتقول إني عمري ما هبقى زيك ومش هقدر أقتلك ... أنا بقى هؤريك
إني هقدر اخلص عليك عشان أنا أسوأ منك

ضيق الخناق على طلال الذي شعر وكأن أنفاسه تتقلص بينما قبض لؤي على السلاح
وألصق فؤهته بصدر طلال الذي كان محافظاً على ثباته رغم أنه على وشك أن يتلقى
مصيره النهائي، وموته الشنيعة، بات يُنفذ تلك الأفكار التي اجتاحت عقله وجعلته
يتخيل تلك الرصاصة وهي تخترق صدره من مسافة الصفر وتحدث فجوة في جسده
بعد أن تمر من الجهة الأخرى، كانت تلك التخيلات تطوف في ذهن لؤي هو الآخر
وهو يكاد يضغط على الزناد عازماً على الفتك بذاك الحقير والانتقام لوالدته المسكينة
وجابر الذي لم يستحق تلك الميتة، وما كاد يضغط على الزناد حتى....

-لؤي

دوى هذا الصوت المألوف الأجلش بأذنيه وجعله يلتفت نصف التفاتة ليرى قمر تقف
خلفه مباشرة بأعين حمراء ودموع متوسلة تنساب على وجنتيها وهي تقول:

-لؤي سيبه بالله عليك متضيعش مُستقبلك عشان واحد زي ده

كان يعلم منذ البداية أن ما يفعله ضرب من الجنون، وربما يُحكم عليه بالسجن أو
الإعدام حينما تعرف الشرطة أنه تسبب بقتل طلال_ الرجل البريء في نظر العدالة
خاصة وهو قد اقتحم منزله ومعه سلاحه وهناك العديد من الأدلة التي تثبت وجوده
ووجود جميعهم.

-عشان خاطري سيبه ... لو بتحبني سيبه

لم يُرد أن تؤثر كلماتها على قراره فأخذ يصرخ بها:

-ابعدى يا قمر سيبني أعمل إلكي جيت علشانه

تقدمت قمر نحوه بخطواتٍ مُرتجفة ودموع تنهمر على وجنتيها وهي لا تُريد أن تتخيل مظهره وهو بالثياب الحمراء يتلقى حُكم الإعدام، لا تريد تخيل نفسها تجلس وحدها في المنزل وربما تعود إلى منزل أسرتها بسبب وجوده بالسجن بتهمة القتل.

-لأ مش هسيبك تعمل إلي في دماغك ... مش كل شوية تنفذ إلي إنت عايزه

قالتها بصُراخ ودموع مُنهمرة وهي تقترب نحوه أكثر وتضع أناملها على كتفه لعلها بتلك اللمسة تُهديء القليل من روعه.

**-أنا مش هقدر اعيش من غيرك ... مش هقدر اشوفك وهما بيحكمو عليك بالإعدام
.... أبوس إيدك متعملش كدة ... فكر فيا ... فُكر في طنط ثناء وعمو عبد الصبور ...
فُكر فينا**

انخرطت في البكاء عقب كلماتها مما جعل الانفطار يشق قلبه ويجعل أصابعه تتراخي ولا تزال النيران تتمثل في عينيه، عاد عقله إلى رأسه مجدداً وهو يُفكر في مدى التهور الذي كاد يرتكبه، كاد الغضب يُصيبه بالعمى ويجعله يُنهي مُستقبله ويُعرض حياتهم للحسرة والضيق، يكفيهم وفاة أحد أصدقائهم وتعرضهم للتهديد أكثر من مرة، لن يتحملوا انتهاء حياته هو الآخر بعد أن يتم سجنه ويلتف حبل المشنقة حول عنقه.

بدأت أنفاسه تتهدج وهو يخفض السلاح ولا يزال يقبض على ياقة الملابس الخاصة بطلال، بدت كلماته هادئة مطمئنة وهو يقول بصوتٍ رخيمٍ مُحملٍ بالحرقة التي أخفاها جيداً حتى تهدأ قمر وتكف عن البكاء:

-متخافيش يا قمر مش هعمل حاجة... مش هضيع نفسي عشان واحد زي ده

ما إن أنهى حديثه حتى رماه طلال بضحكة مُتهكمة ساخرة استمرت لفترة حتى قال:

-عال أوي يا حضرة الظابط سابقاً....

تلاشت بسمته مرة واحدة ليحلّ محلها ابتسامة شيطانية وضع معها يده في جيبه
بالخفاء ثم قال:

-بس انا بقى مش فارق معايا ده كله ... ولا إنت فارق معايا

أنهى حديثه بعد أن أخرج مديّة كانت تتدثر بجيبه وأظهرها بالخفاء ليقوم بغرزها
ببطن لؤي الذي صدمته تلك الحركة المفاجئة وجعلته يتأوه في صمتٍ استقبل معه
صُراخ قمر وكلمات طلال وهو يغرز نصل المديّة في أحراش لؤي التي شعر
بتمزقها:

-متساش تودع السنيورة يا ... ظابط سابقًا

أخرج مديّته الملوثة بالدماء من بطن لؤي الذي تقوّص لفترة ثم ارتمى على الأرض
والدماء الغزيرة تنبثق من جسده، انقبض قلب قمر وشعرت وكأنها ستهوي على
الأرض، شعرت وكأن روحها ستتخلّى عن جسدها وهي تُشاهد الدماء المُتدفقة من
جسد زوجها وصوّت تأوّه الصامت الذي يخفّت تدريجيًا وكأن روحه تترك جسده،
حتى أنها لم تلاحظ طلال الذي مرّ بجوارها وترك الحجرة بأقدامٍ تهزول.

هرعت قمر بسرعة صوّب جسد لؤي ودموعها تزداد انهمارًا، وضعت أناملها
المُرتجفة على جسد لؤي وبدأت تناديه لعله يستجيب لها ويُخبرها أنه بخير، كانت
يداه مليئة بدماءه لكنها لم تشعر بالاشمئزاز وهي تتشبث بها وتحاول أن تُشجعه على
الصمود حالما تأتي سيارة الإسعاف.

-لؤي ... لؤي بالله عليك رُد عليا لؤي...

زادت حدة بُكاءها وهي تدعوه للحديث معها وتتشبث بنظرته الجاحظة وكلماته
المنقّطة التي قال معها:

-أنا... آ..آسف

غامت عينيه مرة واحدة وارتخت أصابعه تمامًا مما جعل ضربات قلبها تزداد أكثر خاصة وهي تُراقب أنفاسه التي بدأت تختفي تدريجيًا، انهمرت دموع قمر أكثر وبقيت تُحركه بهستيرية تزامنًا مع مجيء يسرى التي كانت تؤمن الطريق في الخارج وتُشتت بعض الحُراس حتى تنتهي قمر من مُهمتها.

تجمدت يسرى مكانها على حافة الباب وهي تراقب بركة الدماء التي تُلُطخ الحُجرة وكان مذبحه القلعة أُعيدت بها، تصلب جسدها أكثر وهي ترمق قمر تجلس وسط بركة الدماء هذه تتشبث بيد لوي الذي كان ساكنًا تمامًا....

ما إن داهمهما صوّت هذا الحارس حتى شعرا وكان هذه هي النهاية، لا يوجد معهما أية أسلحة، ولا يوجد أحدٌ لإنقاذهما، فالجميع الآن يحتاج لمن يُساعده، لذلك فعلى الجميع أن يتولّى مهمة مُساعدة نفسه.

ازدرد خالد ريقه بهلع وهو يرفع يده باستسلامٍ كما فعل مُعترز هو الآخر، بعد بُرهة من الصمت والتحديق بهذا الحارس، انحنى خالد بجذعه صوّب مُعترز بعد أن أته فكرة ربما تنجدهما مما يُمكن أن يحدث:

-نفذُ ما سأقوله ... لدي خُطة

اقترب خالد أكثر من أذن مُعترز وبدأ يهمس له بصوتٍ خافتٍ بالكاد يُسمع، بينما شدد الحارس قبضته على سلاحه وهو يقول:

-يلا اتلحح انت وهو...

وثب خالد عن الأرض ويليهِ مُعترز الذي أخفض يديه ليقول بارتباكٍ حاول جاهدًا أن يجعله مرحًا:

-إيه يا رياسة معقولة يعني ... هتقبض على زمايلك

قوّص الحارس حاجبيه بإبهامٍ من حديثه غير المفهوم والذي جعله يسأل:

-زمايلي مين ؟

آشار خالد على نفسه ثم على مُعتز وهو يُجيب:

-نحن ... نحن زُملائك

رسم بسمة مُزيفة على ثغره وهو يُنهي الحديث لعله يؤثر على الحارس ويستميله لخدعتهما، لكن الحارس بقي محافظاً على نظراته الصارمة وهو يقول:

-أنا شوفتكم بعنيا وانتو بتضربو علينا

تصيب العرق على جبين مُعتز وهو يبادل نظراته المرتبكة صُوب خالد ثم يُعيدها مجدداً نحو الحارس كي يواصل كذبتهما:

-نضرب على مين بس ... دا إحنا كنااا...

رمق خالد بنظرة عابرة جعلته يخطف بعض الأفكار ثم يُعيد نظراته صُوب الحارس متفوّهاً:

-كنا بنضرب على ناس تانيين ناس كانوا بيحاولو يدخلو الفيلا

بدأت الشكوك تُحيط بالحارس الذي سألهما:

-الناس إللي كانوا معاكم ؟

أوما مُعتز رأسه وهو يُجيب بحماقة:

-أه هُما...

تلقى ضربة على كتفه من خالد الذي نبهه بأنه يكاد يفشي عن أصدقائهما؛ أدرك مُعتز فوراً ما كاد يرتكبه من حماقة مما جعله يُعدّل من نبرته وهو يقول:

-...لأ ... مش هما ... ناس تانيين كانوا بيحاولو يدخلو الفيلا عشان يسرقوها

لاحت بينهم فترة طويلة من الصمت والنظرات المُتشككة التي يقذفها الحارس
اتجاههما إلى أن قال:

-بس أنا أول مرة اشوفكم هنا

تلعثم خالد قليلاً قبل أن يحاول التبرير له:

-هذا لأنها أول مرة لنا في الحراسة

قُطِب الحارس حاجبيه وهو يُشير على خالد مُعلقاً:

-وهو في حارس بيتكلم كدة ؟

تدخل مُعترز بالحديث لِيُحيك كذبتهما:

-أصله حارس مُثقف

أنهى الحديث بابتسامة بلهاء لم تؤثر بذاك الحارس مُتصلب الرأس والذي بدأ يُستمال
لكذبتهما لكن لا تزال هناك بعض الشكوك تساوره وتجعله يعزم على التأكد منها:

-أنا هكلم طلال بيه واسأله عليكم ... مش عايز اسمع صوت

أوما كليهما إيجاباً بضرباتٍ قلبٍ ترتعد من الخوف، فإذا انكشفت كذبتهما، فلن يُمرر
الحارس ما حدث على خير.

وضع الحارس الهاتف على أذنه بعد أن أجرى مكالمة بطلال والتي لم يتلقى منها أية
إجابة، فكيف سيتلقى الإجابة وطلال بالداخل يُحاول الهرب، وعلى الأحرى، ترك
الهاتف الخاص به داخل مكتبه.

أغلق الحارس هاتفه بيأسٍ قال معه بصرامة:

-طلال بيه مش بيرد ... يعني أنا مُضطر احبسكم لغاية ما اعرف إنتو مين

قالها وهو يُشهر سلاحه مجددًا أمامهما مما جعل قلبيهما يزداد اضطرابًا وهلعًا، حتى لُوّح خالد بأصابعه نفيًا وهو يقول:

-لا لا ... أرجوك ... السيد طلال أخبرنا أن نلتقي بواحدٍ من الحُراس اليوم ...
وأخبرنا أنكم ستُخبروننا أين تقع حُجرتنا التي سنبيت فيها

أضاف مُعتز على حديثه مؤكدًا كلماته:

-أيوة فعلاً ... وبالآمارة قالنا إن في حارس كدة عنده دقن وطويل ... هو إللي
هيورينا الأوضة بتاعتنا

تعمّد أن يقول الصفات الخاصة بهذا الحارس الذي أمامهما لعله يرضخ لهما ويُصدق كذبتهما، رغم التوتر البادي على وجهيهما.

أخفض الحارس سلاحه بعد فترة من الصمت والتحديق بهما، بدأ حديثهما يؤثر بعقله الذي يقنعه أنهما أتيا للمساعدة، فلم تُصب رصاصاتهما أيّ من حُراسه حتى، فربما كانا يُطلقان الرصاصات على هؤلاء الدخلاء الذي أضحي الجميع يعرف عنهما ولا يستطيعون مهاتفة الشرطه حتى لا تعرف الأسرار الكامنة والخطيرة المُتدثرة داخل المنزل.

أوما الرجل بهدوءٍ وصلابة وهو يُشير بأصابعه بحدة:

-طيب ... تعالو عشان اوريكم أوضتكم ... بس ... هدومكم فين ؟

توتر خالد قليلاً وهو يُحذق بمُعتز لفترة وجيزة ثم يلتفت مجددًا صوب الرجل راسمًا على وجهه علامات المسكنة وهو يقول:

-نحن لا نملك أية أمتعة ... فنحن مساكين ... ابتعنا تلك الملابس بصعوبة

أضاف مُعترز على حديثه لعله يُثير عاطفة الحارس:

-أه والله ... إحنا غلابة أوي ... دا حتى اللبس ده مستلفينه

همهم الحارس بلامبالاة وأشار لهما مُجددًا أثناء كلماته الجافة:

-تمام ... تعالو ورايا

ما إن التفت الحارس حتى رسم خالد بسمة شيطانية وهو يتحرك خلف الرجل ثم يرفع سلاحه _ الخاوي من الأعيرة _ ويهوي به مباشرة على عُنق الحارس من الخلف.

تأوه الحارس بصوتٍ مكتومٍ قبل أن يرتمي بجسده الضخم على الأرض فاقداً للوعي؛ زادت بسمة خالد الماكرة والمنتصرة وهو يقول:

-أخبرتكَ أننا سننجح

شاركه مُعترز تلك السعادة القصيرة قبل أن يقطعها بجديّة:

-هنعمل إيه دلوقتي؟ لازم نروح نلقدهم

أحنى خالد جذعه لينتشل السلاح من قبضة الحارس ثم يرفع جذعه مُجددًا ليقول
باطمئنان:

-لا تقلق ... أنا أثق بأنهم سينجحون ولن يتضرر أحد

ما كاد يُنهي حديثه حتى وجد هاتفه يهتز بجيبه مما يعني أن هناك مكالمة طارئة يجب عليه أن يجيب عليها، أخرج الهاتف ليجد اسم زوجته يُزين الشاشة؛ أجابها بسرعة لعله يسألها عمّ يحدث معهم بالداخل، ولأنه اشتاق حبيبته أيضًا ويُريد معانقتها خاصة في هذه الظروف.

-نعم حبيبتى...-

تلاشت لهفته مرة واحدة وحلّ محلها الصدمة وهو يستقبل الصياح والدموع من الجهة الأخرى والتي اختلطت مع صوت زوجته المتوَّسل الباكي:

-أيوة يا خالد ... اتصل بالبوليس والإسعاف بسرعة...-

قبض وهدان على السلاح بعد أن اخترق جسد إسلام وجعل صدمتهما تصل عنان السماء، فلم يكونا يتوقعان أن يجداً واحداً آخرًا من المتقلبين، وليس أي أحدٍ هذه المرة، فهذا الرجل يحمل الشر والحقد بعينيه وربما يرتكب جريمة بحقهما دون أن يرف له جفن.

أشار بالسلاح على إسلام الذي اخترق جسد وهدان ولم يكن يعرف ماذا سيفعل، فهو لا يستطيع العودة إلى جسده ولن يستطيع الانتقال إلى جسد داليا حتى لا تتلقى هي تلك الرصاصة التي على وشك ان يُطلقها وهدان.

أطبقت داليا على شفثيها بغضبٍ عارمٍ انتهى بانتفاضة جسدها وانتقالها إلى جسد إسلام لتضحى هي التي تقبض على السلاح وهدان داخل جسدها ينقض عليها حتى ينزع السلاح عنها ويؤدي مهمته، مهمته التي تتلخص بالقضاء عليهما.

تمسكت داليا جيدًا بالسلاح وهي داخل جسد إسلام حتى انتفضت مجددًا ليعود إسلام إلى جسده ويضحى هو الذي يتعارك مع وهدان ويُطلق رصاصاتٍ طائشة بهذا السلاح مما أحدث شقوقًا بالجدار وتهشمٍ لبعض المزهريات والتمائيل.

اقتربت داليا من جسدها الذي اخترقه وهدان وبدأت تحاول إزاحته عن إسلام الذي كان يقبض على رقبتة ويصدم جسده بسور السلم عازمًا على إلقاءه من أعلى، انتفض وهدان وهو بداخل جسد داليا ليجد نفسه يعود مجددًا إلى جسده وينقض على إسلام الذي كان يُشهر سلاحه أمامه على أمل أن يُنهي ذلك العراك بأية طريقة.

كاد وهدان يُلقيه من حافة السور لولا إسلام الذي انتقل إلى جسده في اللحظة الأخيرة ليضحى هو الذي يقبض على رقبة وهدان عازمًا على إلقاءه من السور، لم يكن يُريد

إسلام أن يُسجن داخل هذا الجسد إذا فارق وهدان الحياة وهو يستحوذ على جسده، لهذا السبب حاول الابتعاد عن وهدان حتى يُبعده عن السور ثم يعود إلى جسده مرة أخرى، لكن وهدان كان على استعداد أن يُسجن داخل جسدٍ من جسديهما إذا كان الثمن هو القضاء عليهما للأبد، فهو مُبرمج على ذلك بمعنى أصح.

انقض وهدان على إسلام الذي احتل جسده، جعله يصطدم بالجدار حتى يُسدد له المزيد من اللكمات التي جعلت إسلام يتأوه بألمٍ مع تلك الدماء المنبثقة من جسد وهدان الذي اخترقه، التقت داليا مزهرية كانت توضع على الطاولة وكادت ترفعها لتهوي بها على وهدان لعله يفقد الوعي وينتهي أمره، لكنها ترددت خوفاً من أن يلقي حتفه وهو داخل جسد إسلام، لهذا السبب انتقلت إلى جسد وهدان وأضحت هي من يتلقى اللكمات وإسلام يلتقط المزهرية ويرفعها لأعلى.

انتفض وهدان وهو داخل جسد إسلام ليجد أنه انتقل عنوة إلى جسد داليا وأضحت تلك المزهرية بين يديه، وهذا ما كانا يُريدانه بالضبط.

رسم وهدان بسمة مأكرة على ثغره وهو يرثي هذين الأحمقين من وجهة نظره ويهرع بكل ما أوتي من قوة صوب إسلام عازماً على تهشيمها برأسه، لولا إسلام الذي جذب جسد وهدان الذي اخترقته داليا وجعلها على وشك أن تتلقى تلك الضربة، لكن...

كان هذا ما خططا له في الخفاء، فما إن هوى وهدان بتلك المزهرية على جسده الذي اخترقته داليا، حتى وجد نفسه ينتفض فجأة ويعود إلى جسده الذي كاد يتلقى تلك المزهرية لولا انتفاضته السريعة والتي جعلت أقدامه تتعركل ويلتوي كاحله وهو على حافة السلم.

ارتفع صوت تأوّه وهو يسقط من أعلى الدرجات ويتدحرج عليها أمام نظراتهما المذهولة.

انسئل إسلام درجات السلم بسرعة ووراءه داليا التي كانت تحاول تنظيم أنفاسها وهي تحني جذعها بالقرب من إسلام الذي كان يتحسس نبضه.

-ده مات

قالها إسلام بخيبة أملٍ وهو يرمق داليا التي واجهته بنفس النظرات، فقد ارادا أن يتحدثا معه ويفهما سبب انقلابه عليهما ورغبته بقتلهما، ارادا أن يجتذباها لصفهما بما أنه واحدٌ منهم، لكن يبدو أن القدر جعله يسقط في براثن أخطاءه، وربما كان ضحية لكيانٍ أكبر منه جعله يسعى لارتكاب الجرائم.

رفع إسلام جسده بيأسٍ ليقرر بعدها تجاهل الأمر ومحاولة إنقاذ صديقهما، التفت صوّب داليا ليخبرها:

-يلا نشوف لؤي

لم يكد يتحرك خطوة واحدة حتى داهمها صوّب طلال الذي أوقف مسيرتهما بكلماته المتهكمة:

-يعني معقولة تسيبو صاحب البيت ... وتروحو للؤي

تبيس جسد إسلام مكانه ونمّت بداخله رغبة مّلحة للفتك بطلال وتفجير رأسه، فمنظر جابر الغارق بدماءه لا يترك ذهنه أبداً، ولا يترك ذهن زوجته التي وقفت خلفه تُسدّد نظراتها المقيتة صوّب طلال.

قبض إسلام على سلاحه ليرفعه أمام طلال كي يُهدده:

-لؤي فين ؟

تجاهل طلال سلاحه وتقدم ببرودٍ صوّب إسلام حتى وقف أمامه مباشرة يرميه بقهقهاته الشيطانية السمجة وكلماته المُستفزة:

-متخافش عليه ... هو في مكان أحسن دلوقتي

تصاعدت ضربات قلب داليا وبدأت الدموع تتلألأ بعينيها عندما ترجم عقلها كلماته
المُبهمَة بطريقة كادت تجعل دموعها تُشكل أنهارًا:

-إنت عملت فيه إيه ؟

صرخت داليا بتلك الكلمات ليتجاهل طلال كلماتها مُحافظًا على بروده كالعادة:

-هو إيلي اختار ... وشكلكم كمان هتختارو زيه

اشتعلت نظرات إسلام وهو يُشدد القبض على سلاحه ضاغطًا على الزناد حتى كاد
يُطلق منه الرصاص.

-إنت إنسان زبالة ... وأنا هؤوريك إيلي زيك نهايتهم بتبقى إزاي

أنهى حديثه بضغطة على الزناد بعد أن أخفض ذراعه قليلًا عازمًا على اطلاق
رصاصة تُصيب قدمه حتى لا يتسبب بقتله، فيكفي وهدان الذي قُتل بالخطأ أثناء
شجارهما معه، لم يأتوا هنا من أجل القتل والدمار، كل ما أرادوه هو إنقاذ صديقهما
والعودة إلى حياتهم الهادئة الخالية من المصائب، لكن يبدو أن مصائبهم لن تتركهم
قبل أن تُغرقهم بوحل جرائمها، وتُلطخ هدوئهم وبرائتهم.

لم يُصدر السلاح سوى صوت تكة خافتة لم ينطلق منها أي من الأعيرة؛ لاحت
الصدمة على وجهيهما بعد أن تأكدا أن الأعيرة النارية قد نفذت جراء هذا العراك
الذي نشب بينهما وبين وهدان والذي أرغمهما على إطلاق النيران بكثرة وبصورة
عشوائية، على الأغلب أن هذه العشوائية جعلت أعيرتهم النارية تنفذ.

تعالت قهقهة طلال الماكرة وكأنه يستلذ بصدمتها وقلة حيلتها أمامه، بعد أن تأمل
صدمتها، وضع يده بخصره ليُخرج السلاح الذي انتشله من واحدٍ من الحُرّاس وتأكد
أنه يحتوي على الأعيرة النارية.

رفع السلاح أمامهما وألصقه برأس إسلام الذي تيبس جسده وشعر أن النهاية قريبة
... قريبة للغاية، فكان طلال يقول بمُكرٍ وهو يضع إصبعه على الزناد:

-اتشاهد على روحك يا دكتور....-

بات العالم مجنوناً، وأنا الذي ظننت نفسي عاقلاً، أكتشف أنهم ساقوني معهم إلى هذا الجنون....

تهرول أقدامهما على سفحة الطريق محاولتان ألا يلتفتا وراءهما حتى لا يزداد هلعهما حينما يكتشفا أن الحُراس يُلاحقونهما وربما يُطلقوا عليهما الأعيرة النارية التي من شأنها أن تُطيح بهما.

لم تتوقف ريتا عن الركض وهي في تلك الرُدهة حتى تلاشت الإضاءة وأضحى الممر مُظلمًا وكأن الأرواح تسكنه، جذبت ريتا يد شمس حتى يختبأ في إحدى البقاع يتنفسان الصُعداء مع قطرات العرق المُناسبة عليهما والتي أغرقت وجهيهما تمامًا.

التقص ظهريهما بالحائط ليُحاولا التقاط أنفاسهما لبُرهة من الزمن قطعتها ريتا بُسُرعة وهي تنتشل السلاح من داخل الحقيبة التي ترتديها شمس، وضعت كاتم الصوُت وأحكمت غلقه ثم اقتربت بفوهة السلاح من الباب لتُطلق رصاصة لم يصدح صوُتها لكن مفعولها كان واضحًا حينما وجدا الباب يتم فتحه.

كانت تشعر ريتا منذ البداية أن تلك الحُجرة تحتوي على المزيد من الأدلة بسبب انطواءها في بُقعة مُعتمة هي وبقية هذه العُرف، لكنها اختارت هذه العُرفة بصورة عشوائية.

ما كادت تدلف الحُجرة حتى قطعها اهتزاز الهاتف الخاص بها لتُخرجه فورًا وتجد اسم كوكي يُزين الشاشة، فهي تعلم أن كوكي قد استحوذت على جميع الكاميرات وهي الآن تراقبهم من بعيد.

-أيوة يا كوكي....-

جحظت عينيها في صدمة وهي تقول:

-إيه؟!... طيب طيب أنا هتصرف

أنهت المكالمة بهلعٍ لتلتفت نحو شمس حتى تُخبرها بتقرير:

-مخير وإحسان في مشكلة .. أنا هروح الحقهم... خليكى إنتِ هنا، ولو لقيتي حاجة في الأوضة صوريها وابعثها لكوكي

أومأت شمس بموافقة لتهرول ريتا بعدها حتى تخرج من تلك البُقعة المظلمة عازمة على الهرولة بحذرٍ دون أن ينتبه لها الحراس، فهي تُريد أن تنقذهما قبل فوات الأوان.

دفعت شمس باب الحُجرة ببطءٍ وأطرافٍ مرتجفة، حاولت تهدئة نبضات قلبها وهي تتوغل أكثر داخل الحُجرة وتضغط على أحد الأزرار التي من شأنها أن تبعث الإضاءة الخافتة التي تجعلها قادرة على الرؤية.

لكنها ما إن فتحت الأضواء حتى أطلقت شهقة مدوية كادت تجعلها تبصق قلبها، فما تراه أمامها كفيلاً بجعلها تنتاسي المهمة وتفرُّ بأقصى ما لديها من هذا المكان، ما تراه أمامها قد يجعلها تغيب عن الوعي أو ربما تتقيأ حتى تُفرغ ما بأحراشها.

العديد من بُقع الدماء كانت تُغطي الأرضية والجدران، أما الجدار، فكان مُعلق به خزانة خشبية عتيقة يظهر بداخلها العديد من مقصات التشريح بجوارها منشارٌ للعظم ومبضع " أداة لقطع الجلد " ومطرقة وإزميل، وسكينٌ للتشريح ومدقة وملقط وغيره من الأدوات التي تجعل عينيها جاحظة والصدمة تعتلي جنباتها.

أما بمُنتصف الحُجرة، فكانت هناك طاولة طويلة أشبه بالفراش غير المُريح، لم يخلو هذا الفراش من بُقع الدماء ومسندٌ للرأس لا تعرف ما فائدته لكنها ترى سُترة بيضاء مُعلقة وراء الفراش وكذلك القفازات المطاطية على طاولة معدنية تحتوي أيضاً على نظارة وقائية.

وما جعلها تكاد تتقيأ وتشمئز من ذاتها أكثر هو ما يوجد على تلك الطاولة المعدنية، فهي تستطيع رؤية العديد من الزُجاجات الكبيرة المملوئة بالفورماليد الذي أخذ اللون

الأصفر وظهر بداخله مجموعة من الأعضاء المُنفصلة، كالقلب والعينين والكلية والأذن وغيرهم من الأعضاء التي تم تفريقها بصورة مُنفصلة.

وضعت شمس يدها على صدرها لثُهدِيء من روعتها وهي لا تتوقف عن الولوجة والرغبة العارمة بالبكاء، ازداد ارتباكها وخوفها أكثر وبدأت ترتجف مكانها كلما حاولت مقاومة خوفها ورغبتها المُلحة بالرحيل من هنا.

حاولت استجماع قواها والتقطت أنفاسها بصورة تكرارية حتى بدأ الهدوء يسري بكيانها، طُفقت تُطمئن نفسها داخل رأسها وهي تُخرج هاتفها بسرعة وتلتقط العديد من الصور لما تحويه تلك الغرفة عازمة على تثبيت الصورة قدر الإمكان رغم ارتجافة يدها.

تنفست الصُعداء لآخر مرة بعد أن تأكدت من نجاح مُهمتها خاصة بعد أن أرسلت الصُور إلى كوكي التي بدورها ستقوم بمهاتفة الشرطة وإرسال الأدلة لهم، تقهقرت بضع خطواتٍ للوراء حتى أمسكت المقبض وفتحت الباب بسرعة وكأنها تحاول الهرب من وحشٍ كاسرٍ، لكن ما لا تعلمه أن هروبها من الوحش الكاسر المُزيف، سيجعلها تتقابل مع وحشًا كاسرًا آخرًا، ولكن على أرض الواقع.

أطلقت شهقة مدوية جعلت جسدها يتيبس أمام هذا الظل الضخم وتلك العينان المرعبتان اللتان صاحبتا هذا الحارس الذي استمع إلى حركتها داخل الحُجرة وقرر أن ينتهي منها قبل أن تفضح أمرهم، قام بتعمير سلاحه ووضع إصبعه على الزناد استعدادًا لإطلاق النيران أمام نظرات شمس وقلبها الذي يكاد يهوي من شدة الهلع...

توقف مخيمر عن الجراك ما إن وجد داغر يقف أمامه برفقته اثنين من حُراسه يُشهران أسلحتهما على كلٍ من إحسان ومخيمر الذي أشهر سلاحه هو الآخر ونظراته المتوعدة الصارمة لم تترك وجهه.

بدأ إحسان يتلُفت حوله في هلع ويشعر أن الخطر يحوم حولهما ولن يجعلهما يهربان من هنا على قيد الحياة، لكن مخيمر لم يكن يبدو عليه الخوف وهو يُحدق بداغر ويتشبث بالسلاح جيدًا.

تقدم داغر نحوه بنظراتٍ باردةٍ حدج بها مخيمر وهو يقول مُدعيًا الاستنكار
والاشتياق:

-ضُرْ غام طلع عنده حق طلعت فعلاً زي أبوك ضعيف

اتكأ على آخر كلمة حتى يُثير الغضب داخل مخيمر الذي كبت على أنيابه وهو لا
يزال مُتشبهاً بالسلاح والنيران تتقاذف من عينيه، اقترب داغر نحوه أكثر ليوصل
كلماته بتمنٍ زائف:

**-كان نفسه تبقى زيه... تعرف تاخذ حقك من غير ما تخلي شوية عيال هبلة
يمشوك على كيفهم**

لم يتحمل مخيمر أكثر من هذا خاصة بعد أن بدأ داغر بنعت أصدقاءه الذين أضحوا
عائلته وجميع معارفه، هذا ما جعل النيران تنقض من عينيه وهو يقول:

-أنا محدش بيمشيني على كيفه

-أنا بقى همشيك

باغته داغر بتلك الجملة تزامناً مع انقضاض الحارس على مخيمر من ورائه وضربه
بواسطة سلاحه الثقيل الذي هوى على مؤخرة عُنق مخيمر مما جعله يتأوه من الألم
ويسقط على الأرض عنوة دون أن يفقد وعيه، فالضربة لم تكن بهذه القوة، لكنها
نجحت بجعله يترك السلاح عنوة ويرتمي بجسده على الأرض لينحني الحارس خلفه
ويقوم بتكبير حركته كما فعل الحارس الآخر مع إحسان الذي نادى على مخيمر بقلقي
فور أن وجده يسقط على الأرض وإحساس الألم يُفتك به.

ركع كل من مخيمر وإحسان على الأرض قبالة داغر الذي كان يرمقهما بابتسامة
متشفية لا تخلو من الانتصار، ركع داغر على رُكبتيه ليوجه نظراته صوب مخيمر
حتى يؤكد حديثه ويُشعره بمزيدٍ من العجز لعدم اتخاذه طريق شقيقه المُجرم، كان
يُربت على كتفه تربيئة شامته قال معها:

-أدي أخرت إلي مش بيمشي في الطريق اللي مكتوبه

تعلقت نظرات مخيمر الحاقدة بداغر وهو يراه يرتفع عن الأرضية ليُشير بعينه صُوب رجاله حتى يُنفذوا ما يجب أن يتم تنفيذه، ما إن تلقى الحارسين تلك الإشارة حتى قاما بتعمير أسلحتهما وتوجيهها مباشرة صُوب رأس مخيمر ونظراته الحاقدة، وإحسان الذي أغلق عينيه باستسلام وشفته لا تتوقفان عن الدُعاء والتضرع كما لو كانت هذه نهايته.

ازدادت ضربات قلبيهما وهما يستقبلان هذا القدر المحتوم ويؤمنيان نفسيهما بأن القدر يحمل لهما مفاجئة كُبرى، تلك المفاجئة بدأت فور أن وجدا رصاصة لا يدريا من أين أتت لكنها استقرت بكتفٍ واحدٍ من الحُراس الذي كان واثبًا خلف إحسان يستعد لقتله.

تلك الرصاصة اتضح أن مصدرها هو ريتا التي أتت في اللحظة المناسبة وأطلقت رصاصة اتجاه واحد من الحُراس مُستغلة مهارتها السرية بإطلاق النيران.

اضطربت الأوضاع بعد هذه الرصاصة وانتهز مخيمر الفُرصة ليركل الحارس الواثب خلفه ركلة أطاحت السلاح الذي يتشبث به، بينما وثب إحسان هو الآخر وبدأ يركل الحارس الآخر بقدمه بسهولة ويُسر خاصة وأن هذا الحارس كان يتلَوَّى ألمًا بسبب تلك الرصاصة التي تلقاها.

اشتعل الغضب بعيني داغر وكاد يُخرج سلاحه ويصُوب رصاصاته برأس مخيمر لولا ريتا التي باغتته بحركة مفاجئة من الخلف وأحاطت رقبته بذراعها وسلاحها مصُوب على رأسه مباشرة.

حاول التملص من قبضة ريتا وهو يقول بثباتٍ يُريد من خلاله إثارة حفيظتهم رغم أن الحقيقة أنه يشتعل غضبًا:

-بردو مش هتعرف تعمل حاجة عشان عُمرِك ما هتبقى بقوة ضُرغام

قالها ليُثير حنقه لكن مخيمر فاجئة بثباته وهو ينتشل السلاح عن الأرض ويقوم بتعميره بشُعلاتٍ تنقض من عينيه، اخترق أذنيهم صُوت سيارة الشرطه وهي تقترب

من هذه البناية، تلك الأصوات جعلت روح الحُرية تتغلغل داخل داغر وهو يُعيد مرفقه للوراء كي يركل ريتا ركلة جعلتها تتقوّص من الألم وتبتعد عنه عنوة.

انتهز داغر الفرصة واستل سلاحه مجددًا وكان عازمًا على إطلاق النيران على مخيم والقضاء على ثلاثتهم لولا مخيم الذي سبقه بخطوة وأطلق رصاصة أصابت رُكبة داغر وجعلته يسقط على الأرض مَدْرَجًا بدماءه، بينما يسقط السلاح منه عنوة.

كان داغر لأول مرة يشعر بالعجز وهو يكتم ألمه ويحاول الزحف صُوب السلاح ليتخلص منهما، تقدم مخيم نحوه ليضغط بقدمه على يد داغر حتى كاد يُهشم عظامها، كانت كلمات داغر تتغلغل في رأسه وتختلط مع كلمات شقيقه الذي دائماً ما ينعته بالضعف والسذاجة، تلك الكلمات جعلت الغضب يتقّض أكثر من عينيه وكلماته تخرج من جوفه بغلٍ دفين:

-أنا يمكن مش زي ضُرغام ... بس أنا مش ضعيف

أنهى حديثه بركلة قوية أصابت صدر داغر وجعلت ألمه يزداد أضعافًا، ومع ازدياد صُوت سيارة الشرطه، قامت ريتا بجذب مخيم من يده والهرولة بعيدًا عن تلك الحجرة لعلها تستطيع اللحاق بشمس قبل أن يحدث لها شيئًا....

تحاول التقاط أنفاسها مجددًا وقطرات العرق تتصبب على جبينها بهلع، تقهقرت للوراء بعيدًا عن هذا الحارس حتى التصق ظهرها بالجدار ولم تعد تعلم إلى أين ستذهب، فلا يوجد مفرٌّ من هذا القدر المحتوم، لا يوجد مفرٌّ من هذه الرصاصة التي سترديها صريعة خلال بضع ثوانٍ، توقف عقلها عن التفكير في تلك اللحظة كما توقف جسدها عن الحراك وكأنه يستعد لإلقاء نفسه من الهاوية.

باتت أفكارها تتلخص في حياتها ما بعد الموت، وهل ستموت شهيدة أم أنها أتت للمسرقة ولن تتل الشهادة، باتت تُفكر في عائلتها التي ستفتقدها أم أنهم لن يبكوا عليها سوى بضعة أيامٍ ثم سينسونها مع الوقت.

توقفت أفكارها السلبية عند تلك النقطة، وهي ترى هذا الرجل الضخم يكاد يضغط على الزناد ويُفجر تلك الرصاصة برأسها، تحوّلت أفكارها في أقل من ثانية، من

الرغبة في الموت شهيدة، إلى الرغبة في النجاة مهما تطلب الأمر، وجدت يديها تعبت تلقائياً داخل الحقيبة بأصابع مُرتجفة لعلها تجد ما سويسفها بتلك المُعضلة، لكنها لم تجد سوى الأدلة التي كانت تجمعها وزجاجة تحتوي على شيء ما تعرفه جيداً، فكيف لا تعرف عنكبوتها الفريد من نوعه الذي تعتبره تميمة حظها وتأخذه معها في جميع مشاويرها المهمة.

حدقت بتلك الزُجاجة لأقل من ثانية، ورات أنها حلها الوحيد للنجاة، غمغت بأسف بقرارة نفسها قبل أن تُنفذ خطتها التي تعلم جيداً أنها ستبكي طوال الليل على التضحية بمخلوقها العزيز:

-أنا أسفة يا زغول

قالتها بقرارة نفسها وهي تفتح الزجاجة بسُرعة وتُلقي عنكبوتها الكبير ذو الثمانية أرجل على وجه الحارس الذي انتفض جسده في هلع وأطلق رصاصة طائشة أحدثت ثُقْباً في الجدار، ليستمر بعدها في الصُراخ والتحرك بهستيرية حتى يتخلص من هذا الكائن المُرعب.

حمدت شمس ربها في قرارة نفسها وشعرت بالضيق أيضاً على تضحياتها بصديقها العزيز، لكنها واصلت الهرولة بضربات قلب لا تتوقف عن الطرق بصدرها خاصة بعد أن استمعت لصوت سيارة الشرطة وهي تقترب أكثر من هذه البناية.

أثناء هرولتها، اصطدمت بجسد ريتا التي كانت تهول بالاتجاه العكسي، لكنها ما إن وجدت شمس قبالتها حتى جذبتها بسُرعة وأخذت تهول معهم صوب الباب وسط الطلقات النارية التي بدأت تتبادل بين الشرطة وأفراد هذه العصابة التي على الأحرى تم إلقاء القبض عليهم....

نجحوا أخيراً بالعودة إلى السيارة بجروح طفيفة تكاد تكون معدومة لكنها لا تُقارن بالخوف والهلع الذي عاشه بتلك اللحظات القليلة، ما إن وجدتهم كوكي يستقلون السيارة حتى أخبرتهم بلهفة:

-أول ما بعنو الصُور اتصلت بالبوليس علطول

ربتت ريتا على ظهرها بثناء وشكر بينما كانت شمس في حالة من الصمت
والنظرات الحزينة لا تخلو من وجهها.

-مالك يا شمس ؟

سألتها ريتا بحيرة فوجدت شمس تنفجر بها والدموع تكاد تُغرق وجهها:

-أنا عُمرى ما هسامحكّم أنا بسببكم اضطريت أضحى بزغول

أنهت حديثها بنبرة صارخة ربطت معها ذراعيها بشفتها التي أصبحت ممتدة أمامها
لمترين، أحاطتها كوكي بذراعها حتى تُهديء من روعها بينما كانت تسأل ريتا
بحيرة:

-زغول مين ؟

بقيت عوالم الضيق مُرتسمة على وجه شمس وهي تُجيبها:

-العنكبوت بتاعي

كبتت كوكي ضحكتها حتى لا تبدو كمن يسخر من حديث شمس، لأنها تعلم كم تتعلق
بتلك المخلوقات، لهذا السبب زادت من ضمها وهي تواسيها:

-خلاص متضايقيش ... إن شاء الله تلاقى واحد غيره

قطع حديثهم صوّت السيارة التي بدأت تتحرك بقيادة مخيمر، بينما وردت مكالمة
هاتفية لإحسان الذي وجد مُعترز يتصل به، آجاب على المكالمة فورًا ببعض اللهفة
التي لم تترك وجهه بسبب نجاحهم أخيرًا بهذه المهمة:

-أيوة يا زوز ... إيه مال صوّتك ؟...

اتسعت حدقتيه مرة واحدة وجالت الصدمة في عينيه حتى بدأت تختلق مع الحسرة
أثناء قوله:

لـؤي.....!!!

أتدرك تلك اللحظة التي تضحى فيها مُرغمًا على النهاية، رغم أنك تفعل ما بوسعك
حتى لا تلقى هذه اللحظة، وحتى لا تعرف كيف ستنتهي حياتك هكذا دون أن تستعد
؟؟

كانت هذه حالتها وهما مُتبيسان أمام فوهة السلاح الخاص بطلال يحاولان بكل جُهدٍ
المحافظة على ما بقي لهما من قوة، يعلمان جيدًا أنهما إذا تحركا خطوة واحدة
فسينتهي الأمر وستنطلق تلك الرصاصة لتخرق رأسيهما، ويعلمان أيضًا أنهما إذا
وقفا مكانهما فسوف تُصيبهما الرصاصة أيضًا ولكن ربما يحظيا ببعض الوقت.

بسط إسلام ذراعيه أمام داليا المُتدثرة خلفه تحتمي به من نظرات طلال الشيطانية
التي تُذكرها بأيامٍ تُجاهد حتى تنساها، كانت تُريد الصُراخ بوجهه والانقضاض عليه
كما ينقض الأسد على فريسته، لكنها تجد لسانها مُلتصقٌ بحلقها وقدمها متبيسان
بالأرضية.

التصقت فوهة السلاح برأس إسلام الذي لم يتخلى عن نظرتة الحاقدة وهو يستقبل
كلمات طلال الماكرة وتهديده الصريح بأنه سيقتلها كما قتل صديقها، حاول إسلام
أن يُهديء من روعه وهو يتشبث بقبضة داليا المُثلجة التي ظهر ارتجاجها مليًا ولم
يختلف كثيرًا عن الارتجاج الذي سرى بأوداجه، أخذ نفسًا عميقًا ثم أخرج له لُهديء
من ضربات قلبه ويستبدل خوفه بالدُعاء والابتهاال، فطلال قد تشبث أكثر بالسلاح
وألصق إصبعه بالزناد ليقوم ب.....

انطلقت رصاصة عابرة جعلت الدماء تتفجر ويتناثر على وجه داليا التي صرخت في
رعب، كما انتفض جسد إسلام الذي لم تكن تلك الطلقة من نصيبه لحسن حظه، فتلك

الرصاصة لم تُصب سوى طلال الذي تفاجأ بها تُصيب ذراعه مما أدى لسقوط
سلاحه على الأرض، وارتفاع صَوْت أنينه.

التفت إسلام وراء ظهره كما فعلت داليا حتى ترى من الذي أنقذهما وأطلق تلك
الرصاصة بطريقة ماهرة، رفعا حاجبيهما ما إن وجدا الفاعل الذي كان آخر من
يتوَقَّعاه.

-عزرائيل!!-

نعم، كان هو، عزرائيل، أو حرب، لكنه يُفضل عزرائيل، ملك الموت، وقاتل
اللحظات الحميمة، وكان هذه المرة يقف أمامهم بشحمه ولحمه، لم يكن روحًا عابرة
ككل مرة، بل يقف بشموخ على حافة باب القصر يرميها بنظراته المُختلة ويُطلق
رصاصة أخرى أصابت قدم طلال بمهارة تتبعها بقول:

-مش هما اللي هيتشاهدو على روحهم-

قالها وهو يقترب أكثر صَوْب جسد طلال المسجي على الأرض تزامنًا مع صَوْت
سيارات الشرطه التي بدأت تقتحم المكان وتُلقي القبض على المجرمين بعد حصولهم
على العديد من الأدلة.

لا زالت عوالم الحيرة تلوح على وجه كلٍ من داليا وإسلام اللذان تعجبا من مجيء
حرب في تلك اللحظة وإنقاذهما !! فشخصٌ مثله كان من الممكن أن يقتلها بدلًا من
أن يُساعدهما.

قام حرب بتعمير السلاح وتصويبه على رأس طلال لعله يُنهي ما أتى من أجله، فكان
يرميه بنظراتٍ حاقدة وكلماتٍ تعمد تقليد طلال بها، حتى يُثير حنقه:

-اتشاهد على روحك يا_

قطعه إسلام وهو يجذب ذراعه بعيدًا عن طلال قبل أن يتهوّر ويُفجر رأسه، ففي
جميع الأحوال، لن يستطيع طلال الهرب بسبب إصابته ولن يستطيع حتى قتلهم، أي

أن الشرطه يجب أن تقوم بالقبض عليه ليتم محاكمته بعدالة بدلاً من قتله دون أن يحصلوا على معلوماتٍ منه عن تلك المنظمة.

-بالله عليك لا تسيبه ... هو خلاص هيتقبض عليه

قالها إسلام بتؤسلٍ وهو يقبض على ذراع حرب مانعاً إياه من إطلاق النيران، لكن حرب أصرُّ على قراره وهو يهتف بحدة:

-ابعد عني ... لازم اخلص عليه

لم يبتعد إسلام عنه وبقي مُتشبهاً بذراعه وهو يقول:

-ما كُنت خلصت عليه من بدري ... جاي تفكر تخلص عليه لما البوليس وصل

رماه حرب بنظراتٍ مختلة قال معها:

-منا كان لازم أخليه يتعذب الأول

أنهى الحديث بابتسامة مريضة لم يتعجب إسلام منها أبداً، فهو يكاد يتيقن أن الذي يتشبث بذراعه ما هو إلا مريضٌ نفسيٌّ يجب وضعه بإحدى المصحات، إلى أنه في النهاية، أقنعه بأن الشرطه ستقبض عليه مُتلبساً ولن يستطيع الهرب منها أبداً، لم تؤثر تلك الكلمات على حرب، لكنه رحل مُرغماً ما إن رأى عناصر الشرطه تقترب من جسد طلال وتنزعه عن الأرض ليتم وضعه بإحدى المُستشفيات حتى يتم بعدها مقاضاته.

كانت الأوضاع تسري بصورة طبيعية وكاد يرحل إسلام وداليا عن تلك البقعة ليُعودا البحث عن لؤي لأن هذا ما أتوا من أجله، تصلبت أقدامهما مرة واحدة مع قلبيهما الذي كاد يخترق أضلعهما بسبب هذا المنظر الذي يتمثل أمامهما مباشرة، فهناك سريراً أبيضٌ أضحى مُلطخاً بالدماء بعد أن تسطحت عليه تلك الجثة!!!

يبقى الأمل موجوداً حتى مع انعدام الفرص وانعدام الرغبة في المواصلة، فما هم داخل إحدى المشفيات العريقة يكاد النعاس ينهش أعضائهما بسبب استيقاظهم طوال الليل حتى أشرقت الشمس واقتربت الساعة من التاسعة صباحاً، الجميع يقف بالقرب من حُجرة العمليات ينتظر خروج الطبيب حتى يُطمئنهم على لؤي، فهو في حُجرة العمليات لقراءة الثمان ساعات وقد احتاج للكثير من الدماء والعديد من العمليات الجراحية حتى يعالج ويعود إليهم سالمًا.

كانت تستند كوكي بإرهاقٍ على كتفٍ مُعتز يكاد النوم يغشاها وهي تُغلق عينيها قليلاً وتجاهد نفسها حتى تبقى مُتيقظة حتى تطمئن على زوج صديقتها العزيزة، أحاطها مُعتز بذراعه ليُمسد على خصلاتها البرتقالية بطريقة جعلتها تشعر بالنعاس أكثر، وبعد فترة طويلة من الصمت قررت أن تلهي نفسها وتتحدث مع زوجها في أمورٍ طارئة لربما يُشاركها الحديث ويجعلها تتناسى هذه العُمة.

-أنا روحت للدكتور امبارح وقالتلي الشهر إلي جاي هقدر احدد نوع الـbaby

رسم بسمه هادئة على ثغره وهو يستقبل كلماتها التي تُشعره أن الأمل لا يزال موجوداً بتلك الحياة، على الأقل هناك خبرٌ سعيدٌ بدلاً من تلك الكوارث التي تطرق على رؤوسهم كما تطرق على الطبول، لم ينبس ببنت شفة بعد حديثها ليجدها تقول بلهفة وتقرير:

-أنا عرفت هنسمي البيبي إيه ؟

أنهت حديثها ببسمه مُتلهفة لتعتدل في جلستها وهي تواصل قرارها:

-لو ولد ... هنسميه جابر ... ولو بنت ... هنسميها...

صمتت برهة عن الحديث لتستشف نظراته المُتلهفة والتي جعلتها تواصل:

-هنسميها جيهان ... على اسم مامتك

زادت بسمه مُعتز وهو يضمها مُجدداً لتستكين بصدرة وهو يقول بسُخرية واستذكار:

-قصدك على اسم الكلبة بتاعتك مش كدة ؟

بدأت تلهو بخصلات شعرها وهي تقول ببساطة:

-إيه المشكلة يعني ؟ ... الكلبة هبقى اقولها يا جيجي ... وبنتنا هقولها يا جيهان،
أنا كدة كدة دايمًا ادلع الكلبة بتاعتي

أوما رأسه بموافقة ومسايرة لحديثها الذي يخرج منها بطفولية وبراعة، يتذكر جيدًا كم كانت في حالة من الصدمة حينما اكتشفت بالصدفة أنها أسمت كلبتها نفس الاسم الخاص بوالدة مُعترز التي تعلم جيدًا كم أنها انسانة عظيمة زرعت الكثير من القيم والمباديء بقلب مُعترز الذي يُشبهها تمامًا، لهذا السبب قررت تعويضه وتسمية ابنتها باسم والدته حتى يتذكرها دائمًا وأبدًا.

بعد فترة أخرى من الصمت، رفعت كوكي رأسها لتواصل حديثها حتى لا يُداهمها النوم، فكانت تسأل بفضول:

-هو إنتو عملتو إيه؟... روحتو اتخانقتو معاهم ؟

تذكر مُعترز رصاصاتهم الطائشة وصياحه المذعور هو وخالد الذي ساعده لخداع هذا الحارس وايهامه أنهما أفرادٌ جديدة من الحرس، لم يشأ أن يُخبرها أنه كان كالفرخ المبلول في تلك المعركة لهذا السبب اتبع نصيحة إسلام وهو يقول:

-أه طبعًا اتخانقتنا ... دول كانوا حتى خايفين مننا

رفعت كوكي حاجبيها بتفاجؤٍ قالت معه:

-بجد... !!

اعتدلت أكثر في جلستها حتى تقابل عينيه بنظراتها المتلهفة التي سألت معها:

-طب قولي عملتو إيه ؟

رسمٌ بسمة هادئة على ثغره وهو يُجاريها الحديث بصدق:

-ماشي ... بصي حبيبتى.....-

يجلس مخيم على أحد المقاعد بألمٍ يعتصر معدته ويجعله يعتقد أنها ستتمزق، كان يحاول قدر الإمكان أن يكتم صوت أنينه حتى داهمه طيف ريتا التي أتت بعد أن ابتعات له أحد الأدوية وأعطته إياه بسرعة ومع قنينة من المياه، فهي قد لاحظت شعوره بالألم خاصة بعد تلك المعركة، شعرت بالشفقة اتجاهه فأرادت مساعدته بأية طريقة حتى أخبرها أنه يأخذ إحدى الأدوية التي نسي إحضارها معه.

وضع فُرصًا من الدواء داخل فمه ليتجرع بعدها الكثير من المياه، ويبقى صوت أنينه لفترة حتى أغلق عينيه وحاول تجاهل هذا الألم الذي يعلم أنه سيزول مع بدء مفعول المسكن.

جلست ريتا جواره بنظراتٍ قلقة حتى وجدت حركته تهدأ مما سيسمح لها بسؤاله عن سبب شعوره بهذا الألم.

-مالك؟

تنفس مخيم الصُعداء وهو يُجيبها بصدق ونبرة بدت مُطمئنة:

-عندي قُرحة في المعدة ... بس متقلقيش، هبقى كويس

زادت كلماته من قلقها حتى سألت بفضول:

-وانت عندك المرض ده من زمان؟

نفي مخيم برأسه وهو يُجيبها بتذكرٍ اختلط بألمه:

-من ساعة ما أخوية ضرب عليا نار

جحظت عينيها في صدمة مع تصريحاته الصادمة والتي أوقدت العديد من الشكوك داخل رأسها، فهي لم تنسى ما كان يقوله داغر في ذاك المعمل وكأنه كان يعلم مخيمر سابقًا، ويعرف أحد أقاربه.

-أخوك إالي هو...-

قالتها باستنتاج قطعته مخيمر بتأكيد:

-أيوة ... ضُرغام ... إالي داغر كان بيتكلم عنه

ازدادت صدمتها وبدت وكأنها جاهلة أمام حقيقته تمامًا، فكيف لشقيقه أن يضحى مُجرمًا وهو يجلس بينهم بأريحية، ولا حتى يظهر عليه أنه يستطيع أن يحمل سلاحًا رغم نظراته الحاقدة التي استرقدتها وهو يرمق داغر ولا يشعر بالخوف رغم تكالب الخطر عليهم.

-يعني إنت أخوك كان قتال قُتلة ... طب... طب ومامتك وباباك؟

كان الفضول يُغطي كلماتها لكنه أراد أن يفصح عن حقيقته لعله يُزيح القليل من همومه، فكانت كلماته متألّمة نابغة من فؤاده أثناء قوله:

-ماما سابتنا من زمان اتخلت عننا ... وبابا بقى

تنهد بحرقة وهو يرفع جذعه لأعلى ويواصل:

-ضُرغام أخوية قتله وكان عايز يقتلني أنا كمان

تبيست ملامحها من كثرة الصدمة وشعرت كم أنه يعاني بحياته، فلا يكفي تشوّهاته الجسدية التي تجعله عرضة للتمتر، بل أن شقيقه قاتل مغوار ووالدته خائنة ووالده أقرب الداعمين إليه يلقي حتفه غدراً، حياته لا تخلو من الصعاب ومع ذلك تراه صامدًا شاردًا طوال الوقت يعامل الجميع بهدوءٍ ولُطفٍ رغم النيران المُتقددة بداخله، كم وُبخت نفسها على سوء معاملته سابقًا، فهو لا يستحق تلك الحياة أبدًا.

-عشان كدة قولتلك قبل كدة تحسني علاقتك بأهلك ... عشان ممكن تصحي في يوم متلاقيش حد جنبك... وساعتها هتتمني لو كانوا موجودين حتى وهما بيضايقوكي وبيتحكمو بيكي

أحنت رأسها بخجلٍ ما ان استقبلت كلماته وشعرت بالخزي من حديثه، فهي تنتهز أية فرصة حتى لا تبقى مع عائلتها، تنتهز أية فرصة حتى تُخالف تعليماتهم وتتبع أهواءها الشخصية رغم أنها متأكدة أنهما يسعيان بجهدٍ حتى تحيا حياةً تليق بها.

بعد بُرهة من الصمت، أدرك مخيمر أنه ملئها بالضيق بسبب حديثه الذي لم يأتي في وقته، فهم محاطون بالأوجاع ولا يُريد هو أن يضيف المزيد على أوجاعها، لهذا السبب عدل من نبرته وهو يُغير الحديث ببعض المرح والاستذكار:

-تعرفي بقي ... أنا أصلاً من انجلترا ... وعيشت هناك طفولتي وأول ما جيت مصر مكنتش عارف اتكلم عربي خالص

رفعت حاجبيها بذهولٍ وهي تعتدل في جلستها متفوهة:

-بتهرز !!... طب واتعلمت عربي بقي إزاي؟! ...

تستند بظهرها على الحائط بجوار حُجرة العمليات وبرفقتها إسلام الذي بدا على وجهه الإرهاق ناهيك عن تلك الكدمات التي زينت أسفل عينيه نتيجة عراكه مع وهدان، كانت طوال هذه المدة تحمد ربها أنهم خرجوا من تلك المحنة سالمين وانتهوا أخيراً من طلال وأتباعه، أخيراً ستحظى بحياةً هادئةً لا يُعكرها صفوٌ ولا تشوبها شائبة، لكنها أيضاً كانت تُفكر في حرب الذي أتى فجأةً ولا تعلم سبب إنقاذه لهما.

-تفتكر عزرائيل كان جاي يقتل طلال ولقانا موجودين بالصدفة؟ أصل مفيش حاجة تانية تفسر إلي عمله

قالتها باستنتاجٍ أضاف عليه إسلام بتأكيد:

-وليه؟! ... مش يمكن كان جاي ينقذنا؟

-لأ ... مش أنا إلهي أنقذ حد

قطع حديثه هذا الصوت الجهوري الغليظ الذي جعلهما ينتفضان بفرع ويلتفتان نحو حرب الذي أتى من العدم فجأة، وكان يقترب نحوهما بنظراته الحادة وكلماته المرعبة:

-لولا وجودكم كان زمني خلصت عليه

رفع حدقته لأعلى ليحدق بهما بصورة شيطانية جعلت إسلام يقول بمزاح:

-ومخلصت علينا بالمرّة ليه طالما هي سايبه بالنسبالك

لوى حرب ثغره بتهكم واستخفافٍ قال معه:

-مش بقتل ناس ضعيفة زيكم

اقتربت داليا بأذن إسلام حتى تهمس له ببعض الاطمئنان:

-هو تقريباً بيقل منا ... بس طالما ده السبب إلهي خلاه ميقتلناش ... يبقى الحمد لله إنه بيقول علينا كدة

قطع حرب حديثها بكلماتٍ مُهددة:

-بس عارفين لو اسمي اتجاب في التحقيقات هعمل فيكم إيه ؟

ازدردا ريقهما في هلعٍ وهما يحاولان طمئننته:

-متخافش ... إحنا أصلاً منعرفكش

قالها إسلام بارتباكٍ أضافت عليه داليا بتأكيد:

-أبوة فعلاً إنا أول مرة نشوفك دلوقتي أساساً

بقيت نظراته الثاقبة تُحدق بهما وقدماه تبتعدان عنهما بهدوء تزامناً مع قوله المُهدد:

-تمام ... لو قولتو عكس كدة ... خليكُم فاكرين إني حواليكُم في كل حنة

رفع إصبعيه وأشار بهما نحو عينيه ثم عليهما حتى يُخبرهما أنه يُراقبهما طوال الوقت، فما هي إلا لحظات حتى اختفى مرة واحدة من أمامهما وكان اختفائه كإزاحة صخرة ثقيلة عن صدريهما ليتنفسا بعدها بأريحية تزامنت مع قول إسلام الشبه مُتيقن

:

-علي النعمة شكلة عفريت وعامل فيها بني آدم....

على الرغم من أنها لم تُشارك معهم في تلك المُهمة إلى أنها لم تتأخر حينما أخبرها إحسان أنهم بالمشفى ينتظرون خروج لؤي والاطمئنان عليه، جلست بالمقعد المجاور لإحسان بعد أن لاحظت إرهاقه الشديد ووجهه الشاحب الخالي من الألوان جراء ما رآه في تلك المُهمة، فالخوف الذي أحس به كفيلاً بجعل النوم يغيب عن عينيه لعدة أيام، خاصة وأن هذه أول مرة له يخوض فيها مثل هذه التجارب، لا يعلم أن جميعهم يعتبرون هذه المُهمة صغيرة بالنسبة لما سبقها من مُهمات.

-أنا قولتلك متروحش معاهم ... إفرض يعني كان حصلك حاجة

قالتها سُمية بعتاب لإحسان الجالس بجوارها يشعر بالسعادة البالغة لأنها تخاف عليه، ويرد عليها بتبرير:

-عايزاني اسيبهم يعني وهما محتاجيني دا أنا حتى لازم أردلهم شوية من إالي عملوه معانا

رفع نظره ليرمقها بهيامٍ قال معه بابتسامة هادئة:

-ده كفاية إنهم ساعدونا نرجع لبعض تاني والناس كلها دلوقتي بقيت عارفة
إنك أعقل منهم كلهم

رسمت بسمة خجولة على ثغرها وهي تتذكر كيف ساعدوها وأثبتوا لشقيقتها أنها
ليست مجذوبة، أبعدت نظرها عنه وهي تبتسم تلك الابتسامة لفترة وهي في حالة من
الصمت الذي قطعته بقولها القلق:

-بس أنا بردو كنت خايفة عليك ... مكنتش هستحمل لو جراك جاحة

تراقصت العصافير بصدرة بسبب كلماتها الهائمة التي جعلته يُبادلها نفس هذه
الابتسامة ويقول:

-متخافيش عليا ... أنا كويس ... وهبقى كويس أكثر لما هنبقى مع بعض في بيت
واحد

تلاشت بسمتها مرة واحدة وحلّ محلّها سخونة عارمة وكأنها دلفت أحد الأفران، تلعثم
الحديث داخل جوفها وهي تجاهد لتقول:

-ه...هنبقى ... إنت قصدك إيه ؟

كان ارتباكها وخجلها حافزاً له حتى يبتسم أكثر أثناء قوله:

-بقول إالي هيحصل أنا خلاص طلبت إيديك من مرعي أخوكي ... وحددنا كمان
معاد الخطوبة

سقط فكها في ذهولٍ مع شهقة عالية أطلقتها من فمها وكادت تُصفق معها بصبيانية
وهي تقول بعدم تصديق:

-إن...إنت بجد عملت كدة ؟.... أنا مش مصدقة

رد عليها بنفس لهفتها:

-وايه اللي يخليكي متصدقيش؟.... أنا وعدتك إنا هنتجوز بعد التثبيت علطول ...
ولولا الظروف اللي حصلت كنت اتجوزتك من بدري

تدرج وجهها باللون الأحمر الخجول وهي تقول بصوتٍ خافتٍ لم تكن تُريده أن
يسمعا لكن صَوْتها بدا مسموعًا وواضحًا بالنسبة له:

-أنا بحبك أوي

بدأت نبضات قلبه تتعالى بسعادة وهو يرد عليها بنفس طريقتها:

-وأنا كمان بحبك

اكتفت بالصمت بعد هذه الكلمة البسيطة الكفيلة برفرفتها عاليًا بين الطيور
والفراشات، أحنّت رأسها في خجل واكتفت بالصمت حتى لا تجد نفسها تنقض عليه
وترتمي بصدرة، وجدته محافظًا على صمته لُبْرهة من الوقت حتى قال بلهفة:

-بالمناسبة السعيدة بقي دي هغنيلك أغنية جديدة

كان على وشك الغناء مجددًا وتلوّث سمعها بصَوْته الناشز لكنها قطعتة بسرعة قبل
أن تتقلب اللحظة الحميمية التي كانت بينهما:

-يوه ... دا أنا... أنا نسيت اعمل حاجة ضرورية جدًا

تركت مقعدها بسرعة أمام نظراته الحائرة التي لا تفهم سبب رحيلها بسرعة وبهذه
الطريقة، هل يمكن أنها تتهرب من استماعها لغناءه؟؟

يشعر بنصلٍ رفيع يثقب ذراعه لكن ألمه لم يكن يتساوى مع الألم الذي ينحُرُ جانبه
الأيمن من بطنه، لا يزال ملمس السكين يُصيبه بالألم ويجعله عاجزًا عن الاعتدال
مُستسلمًا للاستلقاء بإعياء على ذاك الفراش.

بدأت الرؤية تتضح بعد فترة وبدأت أذناه تلتقطان صَوْت الصافرات الخافتة التي أصدرتها الأجهزة التي تُظهر مؤشرات الحيوية ومُعدل نبضاته، اختلط هذا الصغير الخافت بصَوْت بكاءها الهاجر ودموعها التي خلقت أنهارًا استطاع أن يستشف من خلالها كم الحزن الذي تعانيه.

عجز عن الاعتدال في جلسته فقرر الاستلقاء، عجز عن طمئننتها بحديثه فقرر أن يُجاهد كي يرفع ذراعه بثقلٍ ويتحسس وجنتها الرطبة برقة جعلتها تتوقف عن البكاء وتلاحظ استيقاظه أخيرًا.

عادت روحها إلى جسدها وهي ترى عينيه المفتوحتين وأنامله التي تتحسس وجنتها بحنان، قبضت على كف يده بلهفة وهي لا تتوقف عن سؤاله عن أحواله ثم تواصل البكاء بقلبي اختلط مع فرحتها العارمة، فهي لا تُصدق أنه عاد إليها بعد أن كادت تنفطر من الألم عليه.

-ششش... متعيطيش أنا كويس

قالها بصوتٍ خافتٍ لا يخلو من الإجهاد عندما وجدها لا تتوقف عن سؤاله عن أحواله، أبعدت يدها عن أنامله لتُكفكف دموعها وهي تردف بحسرة:

-معيطش إيه بس؟.... دا أنا عيطت عليك اكر ما عيطت على موفاسا

رمقها بإبهامٍ بسبب ردة فعلها التي جعلته يسأل:

-موفاسا مين؟

أدركت قمر حماقة حديثها فحاولت دفعه لتجاهل ما قالت:

-متأخدش في بالك ... المهم ... إنت كويس؟

تقدمت بجذعها وهي تسأله بقلبي ليُطلق لؤي زفرة خافتة أعربت عن نفاذ صبره من هذا السؤال الذي أجابه ألف مرة:

-يا حبيبتي منا قولتلك مليون مرة إني كويس

كذبت قمر حديثه وكأنها تعرفه أكثر من نفسه، فهي تراه مُستلقٍ على الفراش بجسدٍ مُنهكٍ وملامحٍ شاحبة، ناهيك عن تلك العملية الجراحية التي أُجريت له والتي كانت صعبة بعض الشيء:

-متضحكش عليا ... الدكتور قال إنهم اضطرو يشيلوك المرارة عشان اتضررت

رسم بسمه هادئة على ثغره وهو يحاول تهدئتها ببعض المرح:

-وايه المُشكلة لما يشيلو المرارة على الأقل مش هتلاقي حاجة تفقعيهالي

اغتاظت من لكنته الساخرة التي جعلتها تضربه ضربة بسيطة على كتفه وهي تنهره:

-إنت بتهزري يا لؤي؟ ... دا أنا كُنت هموت عليك وكنت عمالة افكر في ابنا اللي هيتربى من غير أبوه

تجهم وجهه إثر حديثها الذي جعل الصدمة تجتاح كيانه وتجعله يقول:

-ابننا !! ... ه...هو إنتِ حامل ؟

كانت الفراشات تتراقص بفؤاده بعد التقاطه لهذا الخبر بينما كانت قمر تضرب جبهتها وهي تلعن غباءها متفؤهة:

-أوف ... أنا ازاي قولت الخبر هنا أنا كنت عايزة اعلمهولك مفاجأة لما نرؤح

تغيّرت نبرتها الي التؤسل وهي تقول:

-طب بُص ... انسى إلي قولته ده، واعتبر إني مقولتتش إني حامل ... ماشي

ازداد ألمه وهو يقهقه على حديثها لتُمر بينهما بُرهة من الصمت الذي أعرب من خلاله عن سعادته البالغة بهذا المولود الذي سيأتي ويتوَّج قصتهما الوردية.

تلاشت سعادتها بعد فترة الصمت هذه لتتقدم بجذعها مجدداً حتى تصبغ حديثها بأهمية وهي تقول:

-أنا عارفة إن إنت مبقتش ظابط بس في حاجة مهمة أوي لازم نسلمها عشان نخلص تماماً من طلال وإلي زيه

انتبه إلى لكانتها الجدية والتي بثت الشكوك بداخله وجعلته يُحدجها بنظراتٍ مُترقبة سأل معها:

-في إيه ؟

تنهدت قمر لتستجمع كلماتها ثم أعادت جذعها للوراء بحثاً عن هاتفها المتدثر في حقيبتها، مدت هاتفها بضعة أمتارٍ بالقرب من عيني لؤي حتى تُخبره:

-أنا حققت مع طلال قبل ما يحصله حاجة في السجن ... وخليته يقول مين إالي في المنظمة ومكان اجتماعاتهم فين...

أسدلت السماء ستارها وعاد الجميع إلى تلك الحُجرة التي سينتهي عندها كل شيء، فها هو إسلام يسترخي بظهره للوراء على فراشٍ صلبٍ وجواره داليا تسترخي مثله بعد أن وُضع على رأسها خوزة بحجم الرأس يتفرع منها العديد من الأسلاك.

نبضات قلبيهما تضرب بسرعة وأنفاسهما تتهدج خوفاً، لكن هذا لن يمنعهما من المواصلة، لن يتحملا المزيد من الكوارث، يجب أن يتخلصا من تلك اللعنة إلى الأبد.

وثب مخيمر أمامهما كي يملي عليهما تعليماته التي أملاها عليهما في آخر مرة حاولا التثبيت بها، ما إن انتهى من إلقاء تعليماته حتى التفت داليا برأسها نحو إسلام لتجده يرميها بنظراتٍ مشجعة هدأت القليل من ضربات قلبها.

توقف الزمن في تلك اللحظة، وبدا أن حياتهما ستتغير مئة وثمانون درجة حينما صدح صوتٌ مخيمر الأمر:

-شغل الجهاز....

الفصل الثامن والعشرون (النهاية)

لا توجد نهاية بهذه الحياة، فكل نهاية حتمية، يعقبها بداية لقصة جديدة ومعارك أخرى....

أتت هذه اللحظة أخيراً، اللحظة التي عانوا من أجل الوصول إليها، وخسروا من أجل أن ينالوها، بدأت الهزات تلوظ بجسديهما مع تلك الأصوات الرعدية التي غمرت الحُجرة، أحسا وكأن رويهما تنسل من جسديهما وتذهب بهما إلى عالمٍ آخرٍ أرغما على الذهاب إليه.

سكنت أجسادهما مرة واحدة وبات جسدهما كالجثة الخاملة وهو لا يتوقف عن الاهتزاز حتى تنسحب تلك الهيئة اللعينة عن جسديهما.

وبين هذه الاهتزازات كانت رُوح داليا العابرة تقف لآخر مرة أمام جسدها المادي وجوارها إسلام يتذكر تلك الأيام التي مرّت عليهما، يتذكر أول مرة اكتشف فيها تلك القدرة، أول مرة وجد نفسه داخل جسد داليا لا يعلم ما الذي يحدث معه وكيف يتصرف في تلك الورطة، كانت تلك الذكريات تطوف في ذهن داليا هي الأخرى التي كانت تقول ببعض الضيق:

-خلاص كدة ... القصة خلصت ؟

رسم بسملة هادئة على ثغره وهو يرد عليها بيقين:

-مفيش قصص بتخلص بس يمكن إلي جاي يكون مُختلف

أنهى حديثه وهو يرمقها لآخر مرة بتلك الروح العابرة ويجدها تنظر أمامها باستنكارٍ قالت معه:

-أنا لسة فاكرة أول مرة اتنقلت فيها لجسمك ... لسة فاكرة إزاي اتعرفنا على بعض بسبب اللي عندنا

اتسعت بسمته وهو يتذكر حديثها ويتذكر أيضاً أبحاثهما في المعمل ومحاولاتهما لاستعادة المزهريّة وحتى محاولاتهن لسرقة المعمل وهروبهما من بطة، تذكر انتقالها لجسد جابر وبحثه عنها، ومحاولاتهن لسرقة الجهاز الذي سيُمكنهما من التثبيت، وحتى احتجازهما في مشفى المجاذيب ورحلتها للبحث عن متنقلين آخرين.

كل تلك الذكريات تمثلت مُجدداً أمام عينيه بحنينٍ وشوقٍ لتلك الكوارث التي حلّت على رؤوسهم بسبب تلك القُدرة، لا يعرف كيف ستضحى حياته كشخصٍ عاديٍّ لا يمتلك أيّ من المميزات، أضحت الحياة المليئة بالمصائب تُلائمه ويظن أنه سيفتقدّها لل غاية.

-تفتكري حياتنا هتبقى هادية ومملة واحنا عاديين ؟

أنهى ذكرياته بهذا السؤال ليجدها تنتهد بعُمقٍ ثم تُجيبه بجهل:

-معرفش بس حتى لو كانت مملة ... كفاية إننا مع بعض

رسمت بسمة هادئة على ثغرها مع آخر كلماتها وهي ترمق إسلام الذي بادلها تلك البسمة ليبقيا فترة وجيزة من الصمت قطعها إسلام مُستذكراً:

-طب يلا نرجع قبل ما نتحبس هنا

أومأت رأسها إيجاباً لتبسط ذراعها وتتشبث جيداً بأنامله وهما يعودان إلى جسديهما مجدداً عودة أبدية، فلا مزيد من الانتقال، ولا مزيد من السفر بأرواحهما إلى أي مكان، ودُعا تلك الحياة المميزة التي كانا يعيشانها ليستقبلا حياةً أخرى لا يعرفا ماهيتها، لكنهما سيُجرباها سويًا....

زادت ثرثرتهم وهم خارج الحُجرة ينتظرون إسلام وداليا اللذان كانا بالداخل يُجريان عملية التثبيت، فكان إحسان يتسامر مع سُمية كالعادة وشمس لا تتوقف عن سؤال ريتا عن تلك القدرة التي لديها والتي أصابتها بالذهول، أما يُسرى وخالد، فقررا

الرحيل حتى يبقيا مع أبنائهما، وكوكي تجلس على الأريكة وبسمة على قدميها تقوم بهزها برقة أثناء مداعبتها، أما مُعتر فكان بالداخل يقوم بمساعدة مخيمر والحسن بتركيب الأجهزة لأن لؤي لا يزال يتلقى العلاج بالمشفى.

انحنت قمر على كوكي حتى تسألها:

-بقولك إيه ... أنا حاسة إن نفسي في بطيخ استرالي ... تفتكري أنا بدأت أتوحم

كانت قمر قد أخبرت الجميع أنها حُبلى وتناست تمامًا تلك المفاجأة التي كانت تنوي القيام بها، لم تكفي حتى بإخبار الجميع أنها حُبلى، بل بدأت تقوم بما تقوم بها المرأة التي تحمل جنينًا داخل بطنها، حتى أنها على وشك وضع وسادة داخل بطنها حتى تُظهر للجميع كم أنها تُعاني من هذا الحمل.

-بتتوحمي إزاي؟ ... قمر إنتِ حامل في اسبوعين

قالتها كوكي بحاجبين مُقطبين ذكّرت معهما قمر أنها ستنتظر أكثر من هذا حتى يظهر عليها أعراض الحمل، أما قمر، فما إن أدركت أنها لا تتوحم حتى ضربت فخذها بصبيانيتها قالت معها:

-يووه ... أومل أنا هتوحم إمتي؟

تدخلت ريتا بحديثها حتى تُعلق:

-هو ده إللي فارق معاكي؟ ... مش تفكري الأول في اسم البيبي اللي هيجي

نمت بسمة واسعة على ثغر قمر وهي تُعيد ظهرها للوراء بفخرٍ قالت معه:

-لا ما انا خلاص فكرت ... لو البيبي بنت ... هسميها شروق_

قطعتها شمس بحدة وهي تتقدم بجذعها لتصبغ ملامحها بلامح الجِدال:

-إيه التقليد ده ... أنا إللي قولت إني هسمي بنتي شروق ... عشان أنا اسمي شمس ... والشمس بتشرق، وعشان كدة شروق لايقة على شمس

تقدمت قمر بجذعها لتُقابل نظرات شقيقتها وتسخر من حديثها:

-إنت لسة أصلاً متجوزتيش ... بتفكري في اسم بنتك من دلوقتي

ازدادت حدة شمس وهي تُدافع عن نفسها وتربط ذراعيها بتذمر:

-لا مليش دعوة ... أنا عاملة حسابي أسمي بنتي شروق أو صباح ... ولو ولد هسميه صُبحي عشان يكونو لايقين على شمس

عاندت قمر وبقيت تتجادل مع شقيقتها حتى ارتفعت أصواتهما وكادا يجذبان ملابس بعضهما ويُمزقانهما كما تنتهي مُعظم عراكاتهما، لكن ريتا تدخلت بصوتٍ مرتفع صارم حتى ينصتا إليها:

-بس... بس ... خلاص أنا جاتلي فكرة

هدأ الجميع في تلك اللحظة ليستمعن إلى اقتراح ريتا الذي كان:

-مش انتِ اسمك قمر ؟

قالت هذا وهي تُشير على قمر التي أومأت برأسها إيجاباً حتى أكملت ريتا:

-يبقى تسمي بنتك ليلة ... ولو ولد يبقى بدر ... عشان يليقو مع اسم قمر

اتسعت بسمه قمر وهي توافق على حديثها بصيانية قطعها صوت الباب الذي تم فتحه ليُعْم الصمت والوجوم الذي تلطخ ببعض الفلق على ما يُمكن أن يكون قد حدث لأصدقائهما اللذان أجريا تلك العملية الصعبة، وربما يخرج مخيمر ويُنبئهما بأخبار سيئة، وربما يخرج مُعنز ويخبرهما أن هناك مشكلة قد حدثت ولم يُعد بإمكانهما رؤية إسلام وداليا مُجددًا!!

بقيت تلك الأفكار السوداوية تدور حول رأسهم حتى خرج مخيمر من الغرفة وعلى وجهه الجمود، كما وجدوا الحسن يهرول بأقصى ما لديه بأنفٍ يُقطر دماً، خرج بعدها مُعتر وملامحه هادئة لا تنم عن شيء مما زاد من حيرتهم وخوفهم.

وأخيراً، ظهر إسلام من الداخل ومعه داليا ولا يزال الوجوم على وجهيهما مما أوحى للجميع أن التثبيت قد فشل هذه المرة، فلا تظهر عوالم الانتصار والسعادة على أي شخص خرج من تلك الحُجرة.

اضطربت نبضات قلوبهم وبدأ القلق يسري بأمعائهم حتى سألت قمر بصوتٍ بدا خافتاً:

-إيه يا جماعة؟... إنتو... اثبتو؟

أنهت سؤالها ببعض التردد لتجد إسلام يحني رأسه لأسفل وعلامات اليأس تُرسم على وجهه كما فعلت داليا هي الأخرى حتى ظنوا أنها ستنخرط بالبكاء، أما مخيمر فكان يلتزم الصمت والجمود ومُعتر مثله بخلاف عوالم الخُذلان التي ظهرت جلية على وجهه وجعلتهم يتأكدون أن شيئاً ما حدث.

-في إيه يا جماعة ما تفهمونا إيه إللي حصل؟

قالتها ريتا بنفاد صبرٍ ما إن طالت فترة صمتهم وعوالم وجههم التي أصابتهم بالاضطراب، هذه المرة قرر إسلام أن يقطع صمته وهو يقول بوجهٍ منكسٍ لأسفل، مع نظراتٍ مليئة بخيبة الأمل وهو يقول:

-للأسف إحنا... إحنا...

بتر حديثه عن تلك الجملة التي جعلت قلوبهم تهوي أرضاً والشكوك تزداد حوّل رأسهم، بقيوا يُحدقون بهما بترقبٍ حتى رفع إسلام رأسه حتى يواصل حديثه بتشجّع:

-إحنااا...

أخذ نفساً عميقاً ثم أخرج له ليواصل حديثه:

-اثبتنا...

قالها بصوتٍ مُرتفع مليءٍ بالسعادة والانتصار الذي تبعته داليا بابتسامتها الواسعة وتهليلها هي والجميع بعد أن أدركوا أن ما حدث سابقاً لم يكن سوى مزحة سخيفة قادها إسلام حتى يُفاجئهم.

وثب الجميع من أماكنهم ليباركوا لهما وتتعانق الفتيات في حرارة بينما يقترب إحسان من إسلام ويُربت على كتفه بتهنئة لتنتشر السعادة بينهم أخيراً، فما فعلوه بالأيام السابقة لم يذهب هباءً، ها هي ثمرة النجاح يحصلون عليها أخيراً بعد مرورهم بطريقٍ وعِرٍ اكتسبوا به الكثير وكان فقدهم فيه مريراً، ها هم أخيراً يحتفلون احتفالاً حقيقياً لن يقطعه مصيبة أو كارثة ما لا يعرفون إذا كانوا سيخرجون منها أحياءً أم أشلاء.

بعد فترة وجيزة من التهنئات والمباركات، أصمتت قمر الجميع حتى تُدلي قرارها:

-بالمناسبة السعيدة دي بقى ... إحنا لازم نحتفل بس نستنى الأول لما لؤي يخرج من المستشفى

وافق الجميع على اقتراحها لتردف داليا بعدها:

-ماشى ... بس أنا لازم اقولكم على حاجة الأول

انتبه الجميع لداليا التي أخذت نفساً عميقاً قبل أن تقول ما تُريده بتوتر:

-أنا عارفة إني قولت مش هجيب ولاد إلا بعد سبع سنين جواز بس أنااا ... حامل

شهق الجميع في صدمة من حديثها خاصة إسلام الذي وجد نفسه يحتضنها بحرارة ودموع الفرحه تكاد تنسل من عينيه، تمنوا في تلك اللحظة أن تكتمل فرحتهم بعودة

صديقهم جابر إلى الحياة، لكن هذا لن يحدث، فقد كان ضحية هذه الحياة التي حاولت أكثر من مرة أن تهزمهم وتُحطم عزيمتهم، ومع ذلك عاركوها بكل ما لديهم من قوة حتى تغلبوا عليها وقدّوا على صعابها، ربما ترك صديقهم أثراً بداخلهم وسيبقى هذا الأثر إلى اللانهاية، لكنهم على الأقل انتقموا من أجله، ولم يدعوا مؤثته يذهب هباءً، بقي فقط شيء واحد إذا انتهوا منه، سيتأكدوا أنهم انتقموا لصديقهم انتقاماً كاملاً، انتقاماً يستحقه....

بُقعة مُظلمة تُحيطها الأزلام، ظلام دامس اختلط مع سواد الليل ليُخلق ليلة لا تخلو من الرهبة التي تدفع الشكوك وتتنفي سُبُل الأمان، ووسط هذا الظلام وتلك العُتمة، كان صوْت رجال الشُرطة يتفرّق في المكان بحثاً عن تلك المُنظمة التي حصلوا على عنوانها من صديقهم الذي تخلى عن مهنته كضابط، أو بمعنى أدق، هي التي تخلت عنه بسبب الأنظمة الفاسدة.

ركل الضابط الباب الخشبي بقدمه ركلة قوية أشار بعدها لرفاقه باتباعه حتى يقتحموا هذا القصر العتيق الذي تظن للوهلة الأولى أنه مسكوناً بالأشباح، بدأت تلك العُتمة تتلخخ بأضواء الكشافات المُنبعثه من الضباط الذين تفرّقوا في كل مكانٍ بحثاً عن أعضاء تلك المُنظمة الشيطانية، فلا يحدث أي فساد في العالم إلى وإن كانت وراءه تلك المُنظمة.

امتد البحث لأكثر من نصف ساعة انتهت بولوج الضابط حُجرة عتيقة مليئة بالرسومات الغريبة والعديد من الرموز الماسونية مع طاولة عريضة تنتصف الحُجرة، يبدو أنها تلك الحُجرة التي يُجرى بداخلها الاجتماعات، تجوّل الضابط داخل تلك الحُجرة يُمشط يده في كل مكان بهذا الكشاف الذي يحمله والذي من شأنه المساعدة في الرؤية لعله يسترفد مخبئاً سرياً تختبيء فيه أعضاء هذه المنظمة بعد أن آتاهم خبرٌ بمجيء الشُرطة.

بقي يتفحص المكان بعينه جيداً حتى كاد يفقد نظره من كثرة التحديق، ولا تزال محاولاته بلا فائدة رغم أنه أضحي مُتيقناً أن تلك المُنظمة كانت تجتمع هنا، فتلك الرموز وتلك الأوراق المتناثرة على الأرض والتي كانت تحتوي على بعض الخُطط

الدمرة، أكدت له أن الشياطين كانت تُجري اجتماعاتها هنا، ويجب عليه أن يعثر عليهم.

قطع بحثه صوت ضابطٍ آخرٍ أتى من وراء ظهره بعد أن أصابه اليأس وهو يقول:

-مفیش حد هنا....-

في مكانٍ آخرٍ وفي بقعةٍ معتمةٍ أخرى، كان أعضاء المنظمة يتوغلون هذه الحجرة الجديدة الخالية من رسوماتهم ورموزهم وحتى أوراقهم التي تركوها عنوة ما إن وصل إليهم خبرٌ بمعرفة الشرطة بمكانهم، كان التذمر والغضب يسري بالجميع لأن أسمائهم بدأت تنكشف وهوياتهم المخفية بدأت تظهر للعيان، وكل هذا بسبب واحدٍ انشق عنهم واستطاعت الشرطة الإيقاع به، وربما تلقى حتفه الآن بتلك القبلة المزروعة برأسه.

-تبًا لهذا الحقير طلال ... أخبرتكم أكثر من مرة أنه خائنٌ ولا يجب أن نثق به

قالها ستيفن بتذمرٍ بعد أن ظنَّ أن طلال اعترف عليهم عنوة، فلا أحد منهم يعرف أنه تعرض للتتويم المغناطيسي.

تحرك إيزاك من مقعده ليقف أمام الجميع مُنتهزًا فرصة القبض على طلال حتى يتولى هو الزعامة كما كان يحلم دائمًا، فكان يهتف بجهورية وصوت قيادي مليء بالاحتقار الذي استشفه الجميع:

-كفاكم حديثًا عن ذاك العربي الخائن ... فالزعامة الآن ستنقل إلى الصهاينة ... أي إلي أنا

قالها بفخرٍ وهو يُشير على نفسه كونه يهوديًا يتبع الصهيونية ويؤمن بها، وكان الجميع هذه المرة مؤيدًا له بعد أن طُفح الكيل بهم، فضرغام كان انجليزيًا عربيًا ولم يفعل لهم شيئًا، وطلال كان عربيًا خالصًا وكاد يحبط أعمالهم ويُنهى مسيرتهم للأبد،

وربما يبقى الحلّ معه هذه المرة ويُساعدهم على السيطرة على البلاد، ربما ستبدأ زعامتهم ومُكرهم ما إن يتولّى شخصٌ مثله الحُكم ويُكمل ما يفعلونه دائماً من دمارٍ وفسادٍ ونشر التفرقة بين الطوائف والأديان.

اقترب إيزاك نحوهم لتزداد حركته القيادية وهو يُشَبِّك أصابعه ببعضهما ويقول
بتقرير:

-قبل أن نبدأ اجتماعنا ... علي أن أعرّفكم على عضونا الجديد ... فلا يجب أن يبقى
مكان طلال وداغر فارغاً ... هكذا ستنتهي جماعتنا

لاح الصمت بين الجميع عندما فُتِح باب الحُجرة ليطل منه رجلٌ عريض المنكبين يرتدي ملابس داكنة ونظراته الماكرة لا تخلو من ملامحه مع تلك العُصبة التي تُغطي عيناً من عينيه مما يعني أنه أعورًا.

اقترب هذا الرجل نحوهم يرميهم بنظراتٍ مُختلّة وكلماتٍ مأكرة قال معها:

-صحيح أنني عربي ... لكنني لست كأبي عربي تُقابلونه بحياتكم ... ولا كأبي
شخصٍ تعرفونه وتألّفونه فأنا الذي سأساعدكم على صعود سُلّم المجد ...
سأساعدكم على القضاء على من يقف بطريقنا مهماً كان ... ولكن بطريقتي
الخاصة

أرخی جيفري ظهره للوراء وهو يسأل بتهكّم:

-ومن أنت يا هذا؟ ... لم تُخبرنا حتى باسمك

اتسعت بسمة الرجل بمُكرٍ وهو يقترب نحو الطاولة ليزيح أحد المقاعد ويجلس عليها
بخيلاءٍ قال معه مُجيباً على هذا السؤال ببرودٍ وفخر:

-الأسماء ما هي إلى حروف تُنادي بها الأشخاص حتى نُفرق بينهم ... أما أنا ... فلا
أحتاج لُيفرقتني أحدٌ عن غيري....

أرعى ظهره للوراء وهو يواصل الحديث بنفس تلك اللكنة الواثقة والماكرة:

-لكنكم إذا أردتم منادتي ... فيكفي أن تُنادونني بـ... عزرائيل....

بعد مرور أحد عشر عامًا....

تعالت صيحات الأطفال وغنائهم احتفالاً بشهر رمضان المجيد، كان الحي مُزينًا بالزينة الملونة والألوان المبهجة التي تُحيط بذاك الفانوس الكبير المُتمركز بمدخل البناية، يوجد أطفالٌ صغيرة تحتفل في الطرقات، وأطفالٌ أخرى أُجبرت على البقاء في المنزل حتى تنتهي من دروسها لآعنة كون الدراسة تأتي في هذا الشهر الكريم، فهم بالكاد يُذكرون وهم بكامل صحتهم، كيف سيذكرون وهم صائمون يشعرون بالإرهاق والرغبة في النوم طوال النهار؟

كان سيف، طفلاً بالعاشرة من عُمره يملك عينان عسليتان تُشبه عينا والدته تمامًا، يضع الكاميرا أمامه بعد أن ثبتها على الحامل وقام بتشغيلها ليُهدم من ملبسه وهو يقف أمامها مُقلدًا هيئة المُذيعين الذين يظهرون على التلفاز، فهو منذ أهداه جده سيد هذه الكاميرا في عيد ميلاده وهو لا يتوقف عن تصوير تلك المقاطع كما لو أنه مُذيعًا مشهورًا كما يحلم أن يصير عندما يتقدم به العُمر.

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وأهلاً بيكم في حلقة جديدة من برنامجنا ... معلومة وحدوتة..

تنحج ليُجلي حلقه ويعتدل أكثر في جلسته ليُظهر الهيبة أثناء مواصلته للحديث بصوتٍ رخيم:

-قبل ما نبدأ حلقتنا ... لازم أقولكم على نصيحة مُهمة جدًا ... النصيحة دي ليها علاقة بتربية الأطفال...

أشار على نفسه وهو يواصل الحديث بنُضج:

-إحنا كأطفال ... مينفعش نسمح لأهلنا إنهم يز عقولنا ويهزقونا ... حتى لو عملنا إيه ... يعني أنا مثلاً ... عُمر ما ماما ز عقلي ولا حتى ز عقت لأختي سهام_

-إنتِ يا زفتة ياللي اسمك سهام والله العظيم لو ما جيتي نصفتي أوضتِك ما هخليكي تحضري العزومة

قطع حديثه صُراخ داليا بتلك الكلمات الغاضبة وهي تركض وراء ابنتها سهام ذات الثمان سنوات، فكانت تركض في البهو وترفض تعليمات والدتها بتنظيف الحُجرة، ولأن داليا تتبع نظاماً آخرًا بالتربية، كانت تحاول قدر الإمكان أن تجعلهما يعتمدان على نفسيهما دائماً، تجبرهما على تنظيف مكانهما وأحياناً تُعلمهما إعداد الوجبات الخفيفة لِنفسيهما حتى لا يُداهمها الجوع عندما تضحي بالعمل هي وإسلام، أما هذه العنيدة، فكانت ترفض تنظيف حُجرتها وتتعمد إلقاء ملابسها في كل مكان وكأنها تُريد إثارة حنق داليا.

توقفت سهام عن الركض في مُنتصف البهو لتضع يدها على خصرها مقلدة نبرة والدها العلمية أثناء قولها:

-يا ماما أصلاً في نظرية بتقول ... إن النضافة بتقلل المناعة

قالتها بثقة عارمة جعلت داليا تُقطب حاجبيها متفوّهة بسُخرية:

-لا والله ... والنظرية دي جبتيها من أبوكي مش كدة

أومات سهام ببلاهة زادت من غضب داليا وأضحت تسب إسلام في قرارة نفسها على تربيته المعاكسة لتربيتها، كادت تنتشجر مجدداً مع سهام لولا زمجرة سيف من صوتهما المرتفع الذي قطع عليه التسجيل وجعله يهرول نحوهما بنظراتٍ غاضبة:

-مممكن تسكتو بقى شوية ... مش عارف أصوّر الحلقة

كادت داليا تفقد صوابها وهي تلتف نحوه لتهدر بوجهه:

-حلقة إيه يا أبو حلقة ... أنا مش قولتلك تروح تحل الأسئلة على بال ما آجي

لاح على وجهه التذمر الذي لم يُظهره أمام داليا وفضل اللجوء إلى الصمت والرضوخ والذي قطعه صوت الباب وهو يُفتح ويدلف منه إسلام متفوّهاً بفخر:

-جبتك كل إيلي إنت عايزاه ... بس معرفش إيه بزور البراعم دي فمجبتهاش

لاحظ وصلة جدالهم والنيران الغاضبة المُتدفقة من عيني داليا وهي لا تزال تصرخ بسهام وتأمرها بتنظيف حُجرتها وتلك العنيدة الصغيرة تكاد تُرغمها على ما لا تُريده، تدخل إسلام بينهما ليسأل بتيه:

-في إيه مالكم ؟

انتهزت داليا الفرصة لتُفرغ ما بجعبتها وهي تُشير على سهام وكأنها تشكوها أمام القاضي:

-تعالى شوف تربيتك ... عمالة تقولي مش هنصف الأوضة عشان التنظيف بيقلل
المناعة

قهقه إسلام بسُخرية تذكر معها تلك الكلمات التي كان يقولها لداليا عندما تأمره أن يُنظف خزانتة، وهو لم يكن يُنظفها بسبب كسله ويقنع داليا بتلك النظرية حتى تتوقف عن أمره، لم يكن يعلم أن هذه الصغيرة المشاكسة قد استمعت لحديثه في مرة من المرات وبدأت تسير على نهجه.

أحنى جذعه لأسفل ليحمل سهام على كتفه بدلالٍ قال معه برقة:

-مش عايزة تنظفي أوضتك ليه ؟

سألها برقة ليجدها تُجيبه بطفولية:

-عشان التنظيف بيقلل المناعة وبيخلينا نبقى عيانيين بسرعة

كاد يُصفق لها لأنها قلّدت حديثه كما قاله بالضبط، لكنه حافظ على ابتسامته الواسعة وهو يحادثها بنفس الطريقة التي تتحدث بها لعله يستطيع إقناعه:

- هو فعلاً التنضيف يقلل المناعة ... بس بردو لو منضفناش ممكن العو ييجي بيات معانا في نفس الأوضة

شهقت سهام في صدمة بعد أن صدقت حديث والدها بسداجة:

-جد !! ... يعني العو هيجي أوضتي ؟

أوماً إسلام رأسه وهو يعلم تمامًا أن حديثه محض من الهراء:

-أيوة ... مش أنا قولتك قبل كدة إنه بيستخبا في مكان وحش ومش نضيف

أومات رأسها إيجاباً لينتهاز الفرصة ويواصل خداعها:

-خلاص ... يبقى لازم بقى تنضفي أوضتك عشان ميجيش

أنزلها على الأرض بعد أن وجد الرعب البريء يطغي على ملامحها ويجعلها توافق على حديثه وتنطلق بسرعة صوّب حُجرتها حتى تُرتبها، أما عن داليا فكانت نظرات الغضب تلوح على وجهها وهي تؤبّخه:

-إيه إلهي عملته ده ؟... إنت كدة بتضحك عليها

أصمتها إسلام قبل أن يصل حديثها إلى سهام وتكتشف الحقيقة:

-ششش.... كلها شوية وهتعودّ على التنضيف ومش هتحتاج إننا نكذب عليها تاني

كادت تعترض حديثه وتُخبره أنه يُفسد أبناءهما كما يفعل دائماً لكنه لم يكثر لها وأخبرها أنه سيذهب إلى المرحاض حتى يغتسل ويبدأ معها تجهيز طعام الإفطار.

هدأت داليا من روعها وعادت إلى الأريكة لتجلس عليها قبالة سيف الذي لُبي رغبات والدته وأمسك كراسة ليدون عليها تلك الأجوبة الخاصة بهذه الأسئلة، فما إن جلست داليا أمامه حتى أعطاها كراسته لتقوم بتصحيح تلك الإجابات وتسأله المزيد من الأسئلة حتى تتأكد أنه فهم الدرس جيداً.

-ها يا سيف لو في مزرعة فيها خمس ديوكه ... وخمس فرخات راح الفلاح أخذ من المزرعة دي فرختين يبقى هيتبقى كام ديك ؟

فكر سيف لو هلة قبل أن يجيبها بثقة:

-ثلاثة

تنهدت بنفاد صبرٍ قبل أن تُعيد عليه السؤال مجدداً وتتكيء على حروفها أكثر حتى يعرف الإجابة:

-بقولك خمس ديوكه وخمس فرخات ... والفلاح أخذ فرختين ... يبقى هيتبقى كام ديك ؟

ولثاني مرة يجيبها بثقة وأصابع تمثل حديثه وتُشير إلى الرقم ثلاثة:

-ثلاثة

كبتت شحنة الغضب بداخلها قدر الإمكان لكنها لم تتحمل وانفجرت به:

-بقولك خمس ديوكه وخمس فرخات ... والفرختين هما إالي اتاخدو متخلنيش اتعصب عليك

قطب حاجبيه بمسكنة وهو يُبرر إجابته بنبرة عاطفية:

-يا ماما ما أكيد في اتنين ديوكه مقدروش يستحملو الحياة من غير الفرختين إالي بيحبوهم

كانت إجابته ونبرته العاطفية كفيلة بجعلها ترمقه بنظراتٍ متصلبةٍ انتهت بجذبه بتروٍ من ياقة ثيابه حتى تتأكد من شكوكها:

-تعالى هنا ... إنت بتتفرج على هندي من ورايا ؟

حاول التملص من قبضتها وهو يُفسر بتوَّسل:

-والله شوفته مرة واحدة بس مع تيتا

تركت ياقة ثيابه وهي لا تعلم كيف تُوْبخ والدتها التي ربَّتها وكبَّرتها، فلا يكفي أن زوجها يُغرق صغاره بوحل الكذب، حتى تأتي والدتها وتُغرقهما بالعاطفية المبالغ بها وتُفسد تربيتهما، باتت متيقنة أن التربية الصحيحة مُستحيلة بمنزلٍ كهذا.

-سيبك من الهندي وركز في السؤال ... المزرعة فيها _

قطع حديثها هذه المرة بإلحاح يطوف حوله:

-ينفع آخذ راحة ؟

وضعت داليا الكتاب على الأريكة وهي تعترض حديثه:

-هو إحنا لحقنا نذاكر ؟

ألح عليها مُجددًا بطريقة تُشبه والده:

**-ما هو في نظرية بتقول ... إننا لازم نذاكر خمس دقائق، ونريح نُص ساعة...
عشان المعلومة تثبت في دماغنا**

ما إن أنهى الحديث حتى استنشقت نفساً طويلاً مُعبقاً بالهواء داخل صدرها وأخرجته من جوفها بغمغمة حملت ما تكنيه من نفاذ الصبر:

-مش هخلص من النظريات في البيت ده

لم تعد قادرة على الجدل سواء معه أو مع شقيقته الأكثر عنداً، وجدت نفسها تترك الأريكة وتلبي رغبته عنوة بعد أن تذكرت الطعام الذي تضعه بالفرن الكهربائي.

هل سيف بانتصارٍ وهو يُبعد كُتبه المدرسية وينتشل الكاميرا مُجدداً ليُعيد تسجيل تلك الحلقة داخل برنامجهِ الوهمي، بينما اتجهت داليا بدورها داخل حُجرة الطعام لتجد إسلام أمامها يقوم بتفريغ الأمتعة ووضعها بمكانها، بينما اتجهت هي نحو الفرن لتُخرج وعاءً من الفخار يحتوي على الأرز المُعمر الذي سيتم تناوله على الفطور.

-أنا كلمتهم وقولتهم ييجو على الساعة خمسة....

كان إسلام يُحادثها عن مخططات اليوم بينما كانت داليا تتفحص الأرز وتشم رائحته لعدم قُدرتها على تذوقه، ليس فقط بسبب صيامها، بل لأنها لا تُريد أن تُفسد هيئته.

لم تكثر تحديث إسلام وبقية الأفكار السلبية تطرق رأسها وتجعلها تسأل بعدم ثقة:

-إسلام ... تعالى كدة شوف الرز المعمر ... معرفش ليه حساه مش ظابط زي كل مرة

انتبه إسلام لسؤالها الذي أجاب عليه بمزاحٍ سميح:

-أومل حساه إيه؟ ... عسكري

قهقهه بسماجة بعد دعابته التي جعلت داليا تشطاط غضباً وتدعو بقرارة نفسها أن تُحافظ على صيامها في ذاك البيت الذي يدفعها لسبهم، اكتفت بدفعه خارج حُجرة الطعام حتى لا ترميه بالسباب وتفقد صيامها:

-أهو ثقل دمك ده هو إلي هيخسرنا بعض

لم يستجب إسلام لدفعاتها وبقي واثبًا مكانه عازمًا على مساعدتها حتى ولو لم تطلب منه ذلك، فهذا أول يومٍ في رمضان وأول عزيمة في منزلهم بهذا الشهر الكريم، أي عليه أن يُساعدها لأنها لن تستطيع أن تتولى الأمور وحدها.

قطعها هرولة سهام نحوهما حتى توقفت أمام داليا لتُخبرها بتقرير:

-مامي ... أنا كلمت بدر وفجر وقولت لهم ييجو بدري عشان نلعب قبل الفطار

وجهت داليا نظراتها نحو سهام وكأنها لم تُعد تُدير المنزل وأضحت هذه المشاكسة تتصرف وقفًا لهاها:

-كلمتهم وعزمتهم بدري من غير ما تقولولي!!

لاح التذمر على حديث داليا الذي لم يؤثر أبدًا بتلك الصغيرة وهي تؤكد قرارها ببرود:

-أه...-

لم تتحمل داليا هذه العائلة ووجدت نفسها تندفع بوجه سهام:

-أه إيه ... هو أنا مش قولت متعزميش حد قبل ما تقولولي

دارت سهام بعينيها في كل مكانٍ حتى توقفت بهم أمام داليا لتُجيبها بعاطفية لعلها تستطيع استمالتها:

-ما هو أنا زهقت وعايضة أَلعب مع حد

أغلقت داليا عينيها وقد قررت أن ترضخ لهم ولا تفتح فمها حتى لا يُصيبها الجنون، فليفعلوا ما يحلوا لهم طوال هذا الشهر، هي ليست قادرة حتى على الجدل معهم خاصة وهي صائمة، لهذا السبب تنهدت قبل أن تردف باستسلام:

-طب قالوك هيجو إمتى ؟

رفعت سهام كتفيها بجهلٍ قالت معه:

-معرفش ... قالولي هنخلص إلي بنعمله وهنيجي عطول...

صوت صياحها الغاضب كاد يُشق الجدران وهي تركض في المنزل وراء طفلانٍ بالثامنة من عُمرهما لم يتركا مكانًا إلا وجعلاه خرابًا، حتى والدتهما قمر التي تلطخ وجهها بطيفٍ من الألوان الزاهية اللزجة التي جعلت غضبها يزداد أضعافًا، فهي تتحمم وتتجهز لساعة كاملة من أجل تلك العزيمة حتى أتى هذين المشاغبين وأوقعاها بإحدى مقالبهما التي جعلت وجهها يتلطخ بالألوان.

انبثقت النيران من عينيها وانبجست عروقتها وهي تركض وراء ابناها التوأم المشاغبان، لا تذكر أنها تؤحمت على شقيقها حتى يأتيها اثنين يمتلكان صفاته ويفتعلان مقالبه التي لا تنتهي، حتى أنهما يتخذان خالهما قدوة لهما، وربما هو الذي علمهما مزيدًا من المقالب.

استطاعت قمر الإمساك بياقة واحدٍ من أبناءها وجذبتة نحوها بغضبٍ عارمٍ قالت معها:

-والله لهوريك يا فجر إنت وأخوك

صح الصبي حديثها بمشاكسة:

-أنا مش فجر أنا بدر

تركته لتنتشل ياقة شقيقه وترفعه نحوها حتى تُلقي عليه نظراتها المتوعدة:

-ماشي يا بدر ... هتشوف أنا هعمل فيك إيه

ولثاني مرة يُصحح لها ابنها بنفس تلك النبذة المشاكسة التي تُشبهه نبذة أخيه:

-أنا مش بدر أنا فجر-

استشاطت قمر غضبًا وهي تكاد تنفجر بوجهيهما:

-إنتو عايزين تخلوني افطر عليكم-

انتبهت لابنتها ذات العشرة أعوام وهي تجلس بهدوءٍ على الأريكة، دون اكتراثٍ لم يحدث حولها، فكانت هذه ليلي، أول أبناءها، وكانت ستُطلق عليها اسم ليلة، لكنها علمت بالصدفة أن والده لؤي الحقيقية تُدعى ليلي، لهذا قررت أن تُسميها بنفس الاسم حتى تُعيد ذكرها على لؤي، رغم أن لؤي لم يرى والدته الحقيقية أبدًا.

-ما تقومي تشوفي اخواتك إنتِ كمان-

قالتها قمر بغضبٍ وجهته نحو ليلي التي كانت تُقلم أظافرها وتُجيب والدتها ببرودٍ تعلم قمر جيدًا من أين اكتسبته:

-يا مامي مش هينفع ... التاتو لسة منشفش-

قالتها وهي تبسط ذراعها حتى ترى والدتها تلك الرسمة المطبوعة والتي تحمل شكل وردة أنيقة يُمكن إزالتها بسهولة، زادت كلماتها الباردة من غضب قمر التي كادت تنفجر بوجهها وهي تقول:

-إنتِ لسة هتقوليلي تاتو ... يلا قومي_-

قطع حديثها صيحة متألّمة أطلقتها فور أن تعرّكت بخيطٍ رفيع تم إيصاله بين الطاولة الصغيرة التي تنتصف البهو والأريكة التي كانت تقف عندها، لم يتوقف الأمر عند الحد، بل وجدت وعاءً كبيرًا يحتوي على سائلٍ باللون الأخضر يسقط على رأسها ويُغرقها بهذا اللون ذا الملمس اللزج.

تعرف جيداً من تسبب بهذه المكيدة، فهي تستشعر قهقهاتهما الشيطانية التي ذكّرتها جيداً بشقيقتها الذي لم تتوقف عن سبّه حتى هذه اللحظة، من شدة غضبها وثورانها تحاملت حتى تثب عن الأرض وتنزع نعلها بغلٍ دفينٍ قالت معه بوعيد:

-أقسم بالله لاربيكو من أول وجديد يا حيوان إنت وهو

أنهت حديثها وهي تقذف نعلها باتجاه الباب حيث يقف بدر أو فجر لكنهما يهرولان بسرعة حتى لا يتلقى جسدهما هذا النعل، يكفيهما نظرات والدتهما الحانقة والتي ربما لن تتركهما قبل أن تنتقم.

انفتح باب المنزل ليدلف منه لؤي بعد مجيئه من عمله الجديد الذي حصل عليه بالشركة الخاصة بمُعترز، فبعد أن ترك مهنة الشرطية، كان عليه أن يعثر على عملٍ آخرٍ يستطيع من خلاله أن يجني الأموال ويتولّى شؤون المنزل، ولم يجد أفضل من العمل مع مُعترز الذي علّمه المهنة جيداً وجعله يتولّى أعلى المناصب لشدة ثقته به.

فور أن دلف المنزل حتى تلقى هذا النعل الذي قُذف على وجهه بدلاً من ابنه المشاكسين، لاحظت قمر هذا الخطأ الذي اقترفته فهرولت نحوه وهي تعتذر:

-معلش يا لؤي ... مكنش قصدي

تبيس لؤي مكانه وهو يرمق حالتها المزرية وتلك الألوان التي تُلطخ ثيابها كما لو كانت بمعركة ألوان، اقترب نحوها بضع خطواتٍ ليسألها باستنتاجٍ حمل غضبه:

-هما إلي عملو كدة؟

أومأت قمر بسرعة وكأنها تستنجد به منهما، وجدته يتحرك بخطواته المهيبة حتى انتشل كلًّا من بدر وفجر من ياقة ثيابهما وجذبهما نحوه حتى ينظران جيداً للغضب والصرامة المُتقضة من عيني لؤي:

-هو أنا مش قولت مفيش مقالب تاني؟

قالها بصوتٍ مهيبٍ جعلهما يزدردان ريقهما بهلع ويكتفیان بالإيماء والدعاء حتى لا ينالهما عقاب لؤي، فلؤي ليس كقمر أبدًا، عندما يقول أنه سيُعاقبهما، هذا يعني أنه يعاقبهما بالفعل، وعقابه لا يتمثل بالضرب والسباب، بل يتمثل بحرمانهما من أكثر شيءٍ يتمنيانه ويتعلقان به كلعبة الفيديو أو التلفاز، وربما يمنعهما من رؤية أصدقائهما خاصة سهام ابنة إسلام وداليا.

-طب طالما أنا قوت ... إيه إلهي عملتو ده ؟

حافظا على الصمت لفترة حتى تجرأ بدر ليقول بارتباك:

-إحنا كنا بنلعب

زادت كلماته البريئة من غضب لؤي الذي حرّك كليهما من ياقة ثيابهما حتى يُملي عليهما تعليماته الصارمة:

-اللعب ده في النادي أو في الشارع ... إنما في البيت ... مش عايز اشوف مقلب تاني، وخصوصًا في أمكم ... ويلا اتفضلو اعتذرونها

تركهما مع آخر كلماته لينكسا رأسيهما لأسفل وهما يردفان باعتذار:

-أنا آسف يا ماما

أمرهما لؤي بالعودة إلى حُجرتهما وتبديل أوعيتهما من أجل تلك العزيمة، لم يحتج أن يقول هذه الكلمات لابنته ليلي، لأنها تتجهز منذ أكثر من ساعة كما لو كانت تتجهز من أجل عرسها.

استأذنت قمر لتذهب إلى المرحاض وتزرع تلك الألوان عن وجهها بينما اتجه لؤي بدوره إلى الشرفة ليتأمل السماء النقية مُنتظرًا قمر التي أتت بعد فترة وبعد أن أضحي وجهها نظيفًا.

-عملت إيه في الشغل؟ ... اتأخرت ليه ؟

بدأت الحديث بهذا السؤال الافتتاحي ليسترخي لؤي بظهره على حافة السور وهو يُجيبها بلامبالاة:

-ولا حاجة ... معتر مجاش الشركة انهاردة فطبعًا الحمل كله كان على دماغى ...
بس أهو عدى

أومأت رأسها بتفهم لا يُظهر أنها تعلم جيدًا أنه يشناق لمهنته القديمة ولا يُريد أن يُظهر ذلك أمام الجميع، وهي لا تُريد أن تتنبه عم يكنيه حتى لا تزيد من ضيقه وتجعله يتذكر ما حدث معه سابقًا وجعله يترك مهنته العزيزة ويتجه إلى مهنة أخرى لم يكن يفهم بها شيئًا.

بعد فترة وجيزة من الصمت سألتها لؤي ليُغير ضفة الحديث:

-وانت بقى عملتي إيه مع العيال ؟

سألتها بنبرة مرحة ليجدها تعندل في وقفها وتتنهد تنهيدة عميقة قبل أن تُجيبه بصدق:

-زي ما إنت شايف ... اتنين قرود مغلبنى زي أخوية وواحدة باردة زي جدها... أنا
مش عارفة العيال دي مش شبهنا ليه ؟

بدت نبرتها مليئة بالرضا وهي تواصل حديثها:

-بس تعرف ... رغم المُرستان إللي عايشين فيه ... إلى إني مش هفكر أبدًا أعمل
تنويم مغناطيسي لأي حد من عيالي ... لازم اتعود إني أواجه مشاكل لي لوحدى من
غير قدراتي الذهنية ... وعشان كمان يتقو فيا

رسم بسمه هادئة على ثغره شعر معها بالفخر من زوجته التي قطعت عهدًا على
نفسها بعدم تنويمهم مغناطيسيًا حتى لو كادت تُصاب بالعتة.

وجدها ترتمي على المقعد الخشبي الموضوع بالشرفة لتشعر بشيء ما قد جلست عليه
ولا تعلم ماهيته، وما كادت تُفكر في هذا الشيء حتى سقط رطلٌ من الطحين على

وجعلها جعلها تُطلق شهقة مصدومة أبقّت معها فكها مفتوحًا بعد أن تلطخ جسدها
بالكامل بهذا الطحين وتحوّل لونها إلى الأبيض.

سقط فك لؤي في صدمة وما كاد يرد على ما حدث حتى وجد قمر تثب بحدة من
مقعدها ضاربة بقرارها ووعودها عرض الحائط وهي تهروّل إلى الداخل وتصرخ
بتوعدٍ وغضب:

- بدر فجر ... والله العظيم لانيمكم مغناطيسي لبعء العيد....

**-وليه بس الحلفان ده احنا حتى في رمضان خلاص يا ستي، أنا مصدقك
وعارف إنك كُنتِ عايزة تجبيلي شوكلاتة ونسيتي ... ماشي خلاص سلام بقى**

أغلق جابر ذو العشرة أعوام_ أو جزرة كما يُناديه الجميع_ هاتفه بعد أن أنهى تلك
المكالمة، فهذا الشعر البُرْتقالي المُجعد مع النمش أسفل عينيه والذي اجتمع مع بشرته
البيضاء المماثلة لوالدته، دفع الجميع بمناداته جزرة، وهذا اللقب اختاره هو بنفسه
حتى يكون مميزًا بين أقرانه.

أنهى جزرة مكالمته بنبرة حنونة مليئة بالدلال والرقّة اللذان يستخدمهما مع رفيقاته
الفتيات، عبث بالهاتف قليلاً حتى توقف عند أحد الأسماء ليقوم بإجراء مكالمة أخرى
ووضع الهاتف على أذنيه.

لكنه بدلاً من أن يتلقى الرد من الجهة الأخرى، تلقّى تلك الرسالة النصية التي أخبرته
أن رصيده قد نفذ وأنه لن يستطيع إجراء المزيد من المكالمات؛ زفر الهواء من فمه
بتذمرٍ لأنه لن يستطيع مهاتفة المزيد من أصدقائه، لم يجد أمامه حلاً سوى العثور
على هاتفٍ آخر حتى يُجري به هذه المكالمات التي لا تنتهي، لكن من أين له بهذا
الهاتف؟؟

استخدمت هاتفها كالمراة وهي تضع الكحل بمهارة على عينيها، وبالطبع هذا الكحل قد انتشلته من والدتها دون أن تعلم، فأين لها بمساحيق تجميل كهذه وهي لاتزال بالثانية عشر من عمرها ؟

ضغطت بإصبعها على الهاتف حتى يبدأ التسجيل وتحدث هي بطلاقة أمام جمهورها:

hi guys get ready with me -وأنا رايحة أول عزومة في رمضان

أخرجت سئرة أنيقة من خزانها وأظهرتها أمام الكاميرا وواصلت الحديث مع جمهورها ومتابعيها، كانت تشرح لهم ما الذي سترتيه وتستشيرهم معها وكأنها تعرفهم، وضعت ملابسها على الفراش وأخرجت مساحيق التجميل لتبدأ فقرة أخرى وهي تعليم متابعيها كيف يتم وضع تلك المساحيق بمهارة.

أمسكت بأحمر الشفاه ومررته على فمها أمام الهاتف بانسجام تام قطعه شقيقها بوضعه ليده أمام الهاتف متقوِّهاً:

-أنا هاخذ الموبيل

لم يكن يسألها بالمعنى الأدق، بل كان يُمارس سلطته الذكورية حتى ينتشل هاتفها ويُجري به مكالماته، لكن الغضب تغلغل ببسمة وهي تثب من مكانها وتمد يدها لتُعيد هاتفها العزيز بصياحها:

-بتعمل إيه " can t you see me filming a video ألا تراني أصوّر مقطعا"

تجاهل جزرة حديثها وأصرَّ على أخذ هاتفها حتى نشب بينهما عراكاً تراشقت معه الأحاديث والانقضاض على بعضهما....

كانت كوكي داخل حُجرتها تُداعب صغيرتها نغم ذات العامين بخصلاتها السوداء القصيرة وعينيها الخضراء التي لا تعلم من أين أتت بها، فجميع أبنائهما لديهم عيون زرقاء وسوداء عداها.

تجلس نغم الصغيرة على رُكبة كوكي التي كانت تُحركها وتداعبها ببعض الكلمات الودودة إلى أن وجدت ابتسامة نغم تضرب الجُدران وتجعل البراءة تُلُطخ كل مكان، خرج مُعتز من المرحاض الملاصق للحُجرة وكان الهاتف الخاص به بين يديه وكأنه انتهى من مكالمة مهمة للتو، وهو داخل المرحاض.

اقترب نحوها بعوالم اللفظة التي غطت وجهه أثناء قوله:

**-قررنا نخلي الشركة يبقى فيها جزء للشحن ... يعني بدل ما ننقل بني آدمين بس،
ننقل بضايح كمان**

انتبهت كوكي لحديثه الذي جعلها ترسم بسمة فخورة بزوجها الذي حققت شركته نجاحًا باهرًا في الفترة الأخيرة.

-حلو أوي ... هتعملو كدة من إمتي بقى؟

ارتدى مُعتز جوارها على الفراش متفوهًا:

-لسة بندرس الموضوع...

أرعى ظهره للوراء وهو يواصل الحديث بعدم تصديق:

-تخيلي ... لوي هو إللي قالي الفكرة دي ... ودرس الميزانية كمان

بدأت عوالم عدم التصديق تنتقل إليها ما إن استقبلت حديثه، فقد ظنّت أن لوي لن يتوافق مع هذه المهنة أبدًا، لكن يبدو أنه يُبلي بلاءً حسنًا:

-واو ... شكله اتعود على الشغل

أوما مُعترز رأسه بموافقة قال معها:

-أكيد ... ما هو عشر سنين مش قُليلين بردو-

اعتدل في جلسته بعد فترة وجيزة من الصمت جعلته يُبدل كلماته الجديدة إلى أخرى هائلة غرقت في بحر عينيها الزرقاء وشعرها البرتقالي الذي لا يزال يُسحره حتى هذه اللحظة، بل أن سحرها يزداد يوماً بعد يوم حتى بات كمسلوب الإرادة وهو يُحدق بها ويُمرر أنامله بحنانٍ على خُصلاتها الناعمة التي أزاحها وراء أذنها وهو يقول:

-على فكرة بقي ... أنا جايبيك مفاجأة-

خفق قلبها وهي تستمع إلى حديثه وتقول بذهول:

-بجد!!-

اقترب أكثر نحوها ليُغرقها في بحور عشقه الجارف أثناء قوله:

-أيوة بجد ... مع إني متأكد إن مفيش مفاجأة أفضل من_-

قطع حديثه صوت صياح وضجيج يأتي من الخارج ويجعل ملامح الهيام تُمحي من وجهه وتتبدل بعوالم القلق الذي كان إشارة لعودته للواقع، فما هي إلا لحظات حتى ظهر أمامهما طفلاً بالسادسة من العمر يربط رقبتة بوشاح وردي يتدلى على ظهره من الخلف مع نظارة شمسية حمراء على عينيهِ رغم أنه داخل المنزل.

اقتحم مُنذر_ ابنهم ذو الستة أعوام_ حجرة نوم والديه وهو يصيح ويُحرك لُعبته في الهواء مُقلداً أفلام الرسوم المُتحركة التي لا يستطيع مفارقتها:

-سوف نقضي على الوحوش-

أخرج أصواتاً غريبة من جوفه وبدأ يُبدل نبرته ما بين النبرة الشيطانية الطفولية والنبرة البطولية وهو يتوغل الحُجرة أكثر ويدّعي أنه يختبئ من الوحوش المُدمرة.

وثب مُعترز من مقعده ليشاهد صغيره الذي ما إن رآه حتى تيبس أمامه ليقول له
بتذمر:

-ابتعد يا أبي يجب أن أقضي على الوحوش

أخفض مُعترز جذعه لينتشله عن الأرض مستوقفاً لُعبته التي لا تتناسب مع سنه، فليس
من الجيد أن يضحى القتل والدمار لُعبة للأطفال.

استكان مُنذر بين ذراعي والده الذي أخبره بحنان:

-وحوش مين ... مش إنت عندك مذاكرة ؟

رفع مُنذر سبابته ليُبرر بطفولية:

-لا يا أبي ... أنا لا أريد أن أذاكر ... أريد أن أصبح بطل خارق

أثارت كلماته من غضب مُعترز الذي تذكر فوراً أنه أنجب طفلاً لا يتحدث سوى بنفس
الطريقة التي يتحدث بها عدو دراسته وربما لا يزال عدوه حتى الآن، لكن علاقتهما
باتت أفضل من ذي قبل خاصة بعد الكوارث الأخيرة التي حدثت.

-ولاً... اتعدل بدل ما اظبتك ... هو أنا أخلص من خالد عشان يطلعني خالد الصغير

قالها ببعض الحدة التي جعلت مُنذر يوميء برأسه إيجاباً ويعتدل في حديثه:

-حاضر يا بابي

جلس مُعترز على الفراش وأجلس منذر جواره لعله يستطيع إرشاده ومساعدته في
رسم طريقه:

-وبعدين إيه بطل خارق دي إللي عايز تطلعها...

ربت على صدر ابنه في حنانٍ وهو يواصل الحديث بتشجيع:

-إنت تذاكر كويس ... عشان تدخل كلية الحقوق زي أبوك

أنهى حديثه وهو يُشير على نفسه بفخر ليقطعه مُنذر بسؤالٍ بريء:

-هي كلية الحقوق بتطلع سواقين؟

بدأت السخونة تجتاح جسد مُعتر الذي أصيب بالحرص من هذا السؤال، اغتابته الحيرة أيضاً من صغيره المشاكس الذي لا يعلم كيف يعرف أنه كان سائقاً:

-إنت مين قالك إني كنت سواق؟

سأله مُعتر بفضولٍ فأجابه مُنذر بثقة وابتسامة واسعة بريئة:

-عمو خالد

أطبق مُعتر على شفثيه بحنقٍ وهو قد أيقن أن خالد هو من عبث بعقل صغيره كما يفعل دائماً؛ وجهٌ حديثه هذه المرة نحو كوكي حتى يُحذر ها بأمرٍ:

-بالله عليكي لتبعدي إالي اسمه خالد ده عن عيالي ... بالذات الواد ده

أجابته كوكي ببسمة هادئة وما كادت تُزين تلك البسمة بكلماتها حتى وجدت جيهان _ابنتهما الثالثة ذات الثمانِ أعوام_ تفتحم الحُجرة بخُصلات شعرها البُرْتقالية الملساء وعينيها الزرقاء الشبيهة بوالدتها تماماً، فكانت هي الأكثر شبهاً بوالدتها عكس مُنذر الذي كانت خُصلات شعره داكنة وعينيهِ بُنيّتان وملامحه أقرب لمُعتر.

-مامي مامي...

قالتها جيهان وهي تقترب لتجلس بينهما حتى تُدلي نشرتها الإخبارية التي اعتادوا عليها:

-انظقي يا سوسة .. في إيه ؟

قالها مُعترز بسُخرية طفيفة دفعت جيهان للحديث بلهفة:

-أنا عرفت هما عاملين إيه في العزومة ... طنط داليا، هتعمل رُز معمر وكفتة رُز ومحشي ورق عنب ... وطنط قمر، هتعمل كنافة بالماتجا وقطائف ... وطنط بسمة هتعمل محشي بنتجان وكوسة ... بس في حاجة مُهمة أوي لازم تعرفوها

أنهت الحديث بجدية جعلتهم ينتبهون لحديثها الذي كان:

-بسملة وجزرة بيتخانقو برة وبيز عقو بصوت عالي...-

استمر العِراك بينهما داخل الحُجرة التي انقلبت رأسًا على عقب، فكانت بسملة تقبض على ذراع جزرة وتحاول أن تصل لهااتفها وتقاوم صلابة جسده، بينما يدفعها هو بعيدًا عنه حتى يُحقق مبتغاه، وبين هذا كله، كان صوت الصُراخ يغمر الحُجرة ونظرات الغضب تُلطخ الجُدران.

اقتحم مُعترز الحُجرة هو وكوكي التي طلبت من جيهان ومُنذر أن ينتبها على شقيقتهما حتى ترى هذا الجدل، ما إن وثب مُعترز على حافة الباب حتى أمرهما بصوتٍ جهوري أن يتوقفا عن الجدل ويقفان أمامهما كالقلم.

لبيا الأوامر بخضوعٍ وبقي صُوت الجدل يتبادل من بسملة التي كانت تقول بغضب:

-يا بابي عايز ياخذ الموبيل بتاعي

بينما كان جزرة يُدافع عن نفسه بحدة:

-أنا قولتلها هعمل مكاملة وهرجعه تاني

وهكذا أخذت الكلمات تتراشق بينهما حتى أوقفهما مُعترز بإشارة من يده تبعت كلماته الحادة:

-بس إنت وهي...

لاحظت كوكي مساحيق التجميل التي تُلطخ وجهه بسملة وتجعل شفثيها ملؤنتان بالأحمر القاني وعينيها تُحيطهما خطوطُ سوداء تم رسمها بمهارة، وبواسطة مساحيقها التي أمرتها أكثر من مرة ألا تقترب منهم:

-إيه ده!!

قالتها كوكي بغضبٍ وهي تُشير على بسملة التي لطخ الارتباك وجهها وهي تحاول التهرب من غضب والدتها بتلعثم:

-ده ده ... ده مش الـ make up بتاعك

كانت الثقة الزائفة تُغطي على حديثها الأحق المُرتبك والذي جعل كوكي تُغلق عينيها وتُغمغم بصوتٍ خافتٍ لعنت فيه غباء ابنتها الأشبه بغباء زوجها، لماذا الصِّفات السيئة فقط هي التي تنتقل إلى أبنائهما؟

-أومل ده إيه؟

سألتها كوكي بهدوءٍ حتى تستدرجها لقول الحقيقة، وما كانت كلماتها سوى دافع لبسملة حتى تتلعثم أكثر وهي تقول:

-ده ..ده ألوان

رفعت كوكي حاجبيها بعدم تصديقٍ وهي تُهمهم بتفهمٍ ثم تتجه بنظراتها صوب غُلبة المساحيق المؤسوعة على السراحة بجوار بسملة مباشرة، أشارت على علبة المساحيق وهي تقول بصرامة اكتسبتها بالفترة الأخيرة وهي تُربي أبنائها:

**-رجعي الـ makeup بتاعي يا بسملة ... ومتاخديش حاجة تاني من الأوضة....
وياكي تكدي عليا مرة تانية**

أنهت حديثها بأمرٍ دفع بسملة للتحرك عنوة وانتشال مساحيق التجميل حتى تُعيدها مكانها، بينما كان مُعترز يتحدث مع جزرة على الجهة الأخرى ويقول له بهدوء:

-إنت عايز الموبيل بتاعها ليه؟

أجابه جزرة بتبريرٍ ادعى معه البراءة أثناء قوله:

-عايز أكلم مهلبية وأعيد عليها

قطب مُعترز حاجبيه بحيرة وهو يستفسر:

-مهلبية مين؟

أجابه جزرة بثقة:

-اسمها مرام ... بس أنا بدلعتها وأقولها يا مهلبية

أنهى الحديث ببسمة هادئة دفعت مُعترز للسخرية والاستفسار:

-إنت كدة بتلدعا ولا بتعاكسها؟

لم ينبس جزرة ببنت شفة فعاود مُعترز سؤاله بجدية:

-وبعدين ما تتكلم على الموبيل بتاعك

خرج جزرة عن صمته وهو يُبرر تصرفه:

-الرصيد بتاعي خالص ... وإنت وماما مش بتردو تدوني موبايلاتكم

-رصيدك خالص إزاي؟ ... أنا مش لسة شاحنك أول امبارح؟

تقدم جزرة للأمام قليلاً وهو يقص على والده سبب نفاذ رصيده:

-لأ ما أنا الصبح كلمت رز بلبن وشوكلاتة وزلابية وزبيبة ورمانة و-

كاد يواصل الحديث لولا مُعتر الذي قطعه ببعض السخرية:

-إيه بابا ... بتكلم سي بي سي سفرة ؟

أحس جزرة أن والده لم يفهمه فأخذ يُفسر حديثه:

-لأ ... أنا بناديهم كدة ... رزان بقولها يا رزبلبن، شهد بقولها يا شوكلاتة، وزينب بقولها يا زلابية، وأختها زينة بقولها يا زبيبة، ورينات بقولها يا رمانة ... وكلمت كمان عبير، وسُنْدَس، وريم أحمد، وريم بسيوني، ورقية، وتقوى وسهيلة و-

سقط فك مُعتر بصدمة وكاد قلبه يتوقف بسبب أبنائه، أوقف حديث جزرة بحدة قبل أن يمتد به الأمر ويؤكد له أنه تغافل عن تربية زير النساء هذا:

-هو لسة في تاني؟ كل دول كلمتهم انهاردة ؟

رفع من نبرة صوته مع آخر كلماته ليُجيبه جزرة ببرودٍ كاد يُصيب والده بالشلل الجثماني:

-لأ وكلمت شوية امبارح

كبت مُعتر شحنة الغضب بداخله حتى لا ينفجر بابنه وهو الذي تعهد مع زوجته على عدم الصياح بهم أبداً، بعد أن استجمع شتاته وحاول المحافظة على هدوءه، قرر أن ينصح صغيره حتى يعدل عن هذا الطريق قبل أن يتحوّل إلى نُسخة مُصغرة من والده.

ركع على الأرض ليضحى مقابلاً لجزرة الذي قبض على ياقته حتى يُقرب جسده نحوه ويستمتع إلى كلماته الجادة:

-ولا أهالي البنات دول عارفين إنك بتكلمهم؟

وجد جزرة يوميء برأسه إيجابًا ويصدمه بإجابته:

-أيوة عارفين

تبيس جسد مُعترز وترك جزرة بعد أن ابتلع الصدمة التي جعلته يُغمغم بخيبة أمل:

-أقول إيه طيب ... باظت النصيحة

أخذ نفسًا عميقًا ثم أطلقه حتى يعود إلى نبرته ويثب عن الأمر عازمًا على إنهاء
الجدال بأوامره الصارمة:

-جابر رجّع الموبيل لبسمة ومتاخدش حاجة منها من غير إننها ... وأنا
هبقى اشحنك رصيد

أرغم جزرة على إعادة الهاتف والخروج من حُجرة شقيقته التي تتشاركها مع جيهان،
بينما يتشارك هو الحُجرة مع مُنذر، قبل أن يرحل جزرة عن الحُجرة أردف بتذمر:

-يا بابا متقوليش يا جابر ... قولّي يا جزرة

بصق تلك الكلمات المُذكرة قبل أن يترك الحُجرة ويتحرك ورائه مُعترز حتى دلف
حُجرة الطعام حيث تقف كوكي تُعد طعام الأطفال أنعم، وما إن وجدت زوجها أمامها
حتى تحدثت عن جزرة بحسرة:

-طالع بتاع بنات زي جده

أوما مُعترز رأسه بضيقٍ قال معه:

-للأسف ... بس أنا هعمل إلهي اقدر عليه عشان يتعدل

أنهى الحديث بصرامة لتُمر بينهما بُرهة وجيزة من الصمت الذي قطعه كوكي
بتساؤل:

-بس إيه موضوع إنه ينادي الناس كلها بأسماء أكلات ؟ ... تفكر طالع لمين في
الموضوع ده ؟

لم يكن وجهه مؤليًا لوجهها وهو يُجيبها بجهل:

-والله ما اعرف يا ناجتس....

-لأ... أنا عارفة ... دي دودة القز، ودي اليرعة

قالتها شروق ذات السبعة أعوام وهي تجلس بجوار والدتها شمس التي استطاعت بعد
عناء أن تتجاوز بميجو بعد بضعة أشهر من الإفراج عنه، وما إن تزوجت به حتى
أنجبت شروق بعدها بلحظاتٍ قليلة، وكانت هذه الطفلة ذات الشعر البني المموج
والعينان الخضراوتان الشبيهة بعيني ميجو، كالزهرة التي غمرت حديقتهما الخضراء
وجمّلتها بمزيدٍ من النقاء والبراءة.

تجلس شمس بجوارها ومعها كتابًا صغيرًا يحمل العديد من صور الحشرات بأنواعها
والتي وجدت أن شروق تهيم بها هي الأخرى وتجعل والدتها تُغرقها بتلك المعلومات
الخاصة بهم، أو لنكن أكثر صدقًا، كانت شمس هي التي تُبادر بإلقاء معلوماتها العديدة
عن الحشرات حتى جعلت شروق تتعلق بهم وتدرسهم بمساعدة من شمس التي تجد
المتعة في فعل ذلك.

-برافو ... شطورة...

قالتها شمس بتشجيع جعلته ودودًا وطفوليًا حتى ترى بسمة صغيرتها التي استطاعت
الإجابة على أسئلة والدتها بمهارة.

أغلقت شمس الكتاب ما إن أدركت أن الساعة تقترب من الخامسة وأن عليهم التجهز من أجل تلك العزيمة، فكانت تقول بنبرة حنونة امرأة:

-يلا بقى قومي عشان نلبس-

لُبت شروق تعليماتها تزامناً مع خروج ميجو من المرحاض يُجفف شعره بعد أن أخذ حمامًا ساخناً رطباً من هذه الأجواء الشتوية، تعجبت شمس من بقاءه بالمنزل حتى هذه اللحظة دون أن يذهب إلى العمل لذلك سألته:

-إنت مش رايح المحل؟

في تلك السنوات الماضية، قرر ميجو أن يتولى هو إدارة المتجر الخاص بجابر بعد وفاته خاصة وأنه بعد أن أفرج عنه لم يكن يجد مكاناً مناسباً للعمل به، ولم يكن يجب أن يعود إلى المهوى الليلي لأن هذه الوظيفة لن تسمح له بالزواج والاستقرار، والأهم من هذا كله، نيل الموافقة من والدة شمس التي لا تزال حتى الآن من أكبر المعارضين لهذه الزيجة.

-لا منا أجازة انهاردة عشان أول يوم رمضان بس بعد التراويح ممكن أفتح ساعتين كدة

أومات شمس بتفهم قبل أن تثب عن الأريكة كي تطلب منه ببعض الرجاء:

-طب ممكن تروح تشوف صباح وتقولها تلبس على بال ما البس شروق

صباح هي ابنتها الثانية ذات الستة أعوام والتي أنجبتها شمس بعد أن أنجبت شروق بعامٍ واحدٍ فقط، يعلم ميجو أن صباح هي الأكثر تعلقاً به ليست كشروق التي ترافق والدتها وتقلدها دائماً، لهذا السبب قرر أن يذهب إلى صباح حتى يساعدها بتغيير أوعيتها لتضحى جاهزة من أجل تلك العزيمة.

اقترب من حُجرة بناته عازماً على طرقها وإيقاظها من النوم إن كانت نائمة، لكنه لم يكد يخطو خطوة واحدة حتى داهمه صوُت الغناء الصاخب المُنبهت من تشققات

الجُدران مما جعل قلبه يكاد يهوي أرضاً، فتلك الأغنية يعرفها جيداً، تلك الأغنية لا يُجب أن يسمعها هنا، خاصة في هذا الشهر الكريم.

**-شيك شاك شوك ... شيك شاك شوك ... فين يا حبيبي الراب والروك.... تعالى
نُرقص بلدي...**

اتسعت حدقتيه وكاد قلبه يهوي أرضاً بعد أن فتح باب الحُجرة دون أن يطرق الباب حتى، تيبس جسده على الأرض وظن أنه في كابوسٍ سيءٍ يجب أن يفيق منه قبل أن يفقد صوابه، فابنته المصون، كانت تتمايل بجسدها الصغير أعلى الفراش وتربط قطعة من القماش حول خصرها وأمامها الهاتف الخاص بوالدتها بالطبع _ مفتوح على أحد المقاطع المصاحبة لتلك الأغنية والتي كانت مصاحبة أيضاً لراقصة تتمايل بجذعها وتحاول صباح تقليد حركاتها التي لا تتوافق مع جسدها الصغير.

من شدة الصدمة التي حلت عليه، وجد يده تضرب على صدره مع كلماته التي لم تخلو من الصدمة:

-شيك شاك شوك ... في رمضان!!

هرع بسرعة داخل الحجرة ليجذب الهاتف ويوقف تلك المهزلة مع كلماته الغاضبة:

-إنتِ يا بت يا صباح ... إيه إلهي بتعمليه ده ؟

توقفت صباح عن التمايل مع عوالم الزمجرة البريئة التي لاحت على وجهها وهي تقول:

-إيه يا بابا ... أنا عايزة أكون رقائة زي تيتا

زادت كلماتها من صدمته حتى كاد يُغشى عليه، بات يسب اليوم الذي أخذها فيه عند والدته داخل الملهى في الصباح الباكر بعد أن طلبت منه والدته أن ترى أحفادها، يكاد يتيقن أن ابنته شاهدت مقطعاً مصوراً لوالدته وهي ترقص بمهارة جعلتها تتعلق بها وترغب بتقليدها.

-رقاصة !! ... يعني أنا بدل ما يقولولي يا ابن الرقاصة .. هيقولولي يا أبو
الرقاصة!!

اقترب منها ليحملها من أعلى الفراش ويهبط بها على الأرض متجاهلاً تذمرها
ورغبتها بمواصلة الغناء:

-يا بابا عايزة أرقث بقى

رفع سبابته أمامها وهو يأمرها بهدوءٍ رغم العواصف التي هاجت داخل صدره خوفاً
على مُستقبل تلك المشاغبة التي تصرُّ على أن تُصبح مثل جدتها:

-اسمعي يا شحرورة ... مفيش رقص في البيت ده... ويلا تعالى عشان البسك....

انقشعت غمامات الأزلام، وتصدعت دفقات الحلاف، وبت كفاريس مغوار سلّم رُمحه
واستكان على صخرة حريرية تنتشعب بالسلام والطمأنينة، انتهت المعركة وحلّ
محلها السلام، وما يأتي بعد السلام سوى معارك أخرى أشد دماراً وانحلالاً، لكننا
رغم ذلك، نستبق الخيرات ونتمتع بالذات ولو شحيحة، نُسلّم أرواحنا للسكينة حتى
ولو كانت مؤقتة، فالتفكير بالغد أشد ارهاقاً من التفكير في الساعة الآنية والأدهر
الفانية، ها هي اللحظة التي سيتنحى فيها بأسنا وتتبدل ساعتنا السوداء بأخرى وردية
ملبئة بالأحلام...

قبل أن تدق الساعة الخامسة، بدأت أصوات الزوار تصدح في كل مكان، فتحت داليا
الباب لتستقبل أول الزائرين والتي كانت قمر ومعها صينية زجاجية تحتوي على نوع
من الحلوة الشائعة في رمضان.

كامعتها داليا بحرارة لتأخذ منها أصناف الحلوة وتتجه بها داخل حجرة الطعام، بينما
اتجه لؤي بدوره إلى إسلام حتى يُصافحه بُرحابة صدرٍ ويواصل الحديث حتى قرع
باب المنزل مُجدداً وكانت كوكي هي الزائرة ومعها أولادها وزوجها الذي يسير
خلفها ويحاول التبرير لها حتى لا تضحي غاضبة منه.

تعجب الجميع من نظرات كوكي الغاضبة والتي تحوّلت مرة واحدة إلى نبرة قريبة من فقدان الصواب وهي تقول باستجداء:

-يا داليا الحقيني ... أنا قولت لزيرو إن نفسي في بوكس رمضان راح جابلي البوكس إلي فيه سمنة وسُكر وزيت

أنهت حديثها بغیظٍ لتنفجر داليا بالضحك هي وقمر بينما كان معنز وراءها يُحاول التبرير لها:

-يا حبيبي منا مكنتش اعرف إنك قصدك على واحد تاني

ربطت كوكي ذراعيها وهي تُفسر طلبها بتذمر:

-أنا كان قصدي على البوكس إلي فيه مُصحف ومصلية وأذكار الصباح والمساء ونوتة رمضان

حافظت على نبرتها الغاضبة لفترة حتى ربتت داليا على كتفها لعلها تُهديء القليل من روعها:

-خلاص اهدي يا كوكي دي غلطة بسيطة وبعدين ماله البوكس إلي مُعنز جابه، ما هو مُفيد بردو

أنهت حديثها بسُخرية انفجرت معها بالضحك لفترة وترك الرجال المنزل للمعاونة بتركيب الزينة بالبناية، استمر الحديث بين الفتيات في مرح قطعته داليا بملامح جدية ونظراتٍ تتلفت حولها:

-بقولكم إيه ... مشفتوش عبده وإنتو جايين ... أصل بابا بيقولني إن مامته مش لاقياه ومش عارفين هو فين من صباحية ربنا

لاح القلق على وجه قمر وهي تقول:

-معرّش هو فين ... مشوفنا هوش واحنا جايين ... بس تلاقيه تحت بيركب الزينة
مع الرجالة....

رجلٌ مسكينٍ تنهمر الدموع من عينيه وهو لا يتوقف عن الاستغاثة بصوتٍ مكتومٍ
مُحملٍ بالخوف والرهبة، التصق ظهر هذا الرجل عنوةً بجدار تلك البناية العتيقة
ليستقبل نظرات هذا الأشبه بالباخع.

كانت نظرات عبده تشع غلظةً ومُكرًا وهو يرفع مديته بوجه هذا الرجل المسكين،
اشتد عوده في تلك السنوات وأضحى شابًا عريض المنكبين بمُنْتَصَفِ العشرين من
عُمره وقد تخرج من كلية التجارة بالعام الماضي ولم يعثر على وظيفة حتى الآن،
لأنه ليس بحاجة لها، فالمال يأتيه بطرقه الخاصة.

-ولا ... طلع إلي في جيبك بدل ما اشُقك

استقبل الرجل المسكين نظرات عبده الحادة رغم عدم تناسقها مع خُصلاته البنية
الناعمة وعينه الداكنة المليئة بالشرور، كان يعتقد أن هذه نهايته بين يدي هذا الماكر،
لهذا السبب أخرج ما بجعبته بأصابع مُرتجفة لينتشلها عبده ويضعها في جيبه ثم
يرميه بنظراتٍ حادة كالسهم ويدان تقبضان على قلنسوته حتى يستمع الرجل إلى
تهديده:

-امشي يا ض من قُدامي ... ولو اشتكيت عليا هجيبك ... فاهم ولا تحب افهمك

أوماً الرجل بدموع تكاد تنهمر من عينيه ليدفعه عبده بقسوة فالتأ إياه من قبضته مما
جعل الرجل يهرول بأقصى ما لديه هربًا من ذاك الشيطان المُجرم.

ما إن اختفى طيف الرجل من أمامه حتى غمغم عبده بصوتٍ مسموع:

-عيال بنت و*** ... مبتجيش إلا بالعين الحمرا

وفجأة، انتبه إلى هذا الشهر الكريم الذي يجب أن يتحلّى فيه بالأخلاق الفضيحة وعدم ارتكاب الرزائل، على الأقل حتى لا يُبطل صيامه.

هذا ما جعله يُعاتب نفسه بصوتٍ مسموع:

-يووم ... هيخلوني اشتم في رمضان

ثم رفع يديه لأعلى مُستجدياً الدعاء بصوتٍ مُرتفع:

-اللهم إني صائم....

-أنا الذي ظننت جمالك صعب الامتلاك، لكن الحقيقة أنه يُصيبني بالهلاك.... شاردة
كانت بين أحفانٍ مصدور، وبسمتها ساحرة تنبت بداخلي السرور

خرجت تلك الكلمات بصورة هائلة شاعرية صاحبها صوت نديم الرخيم الهاديء الذي نما على حُب الشعر وكتابة الخواطر وإلقاءها في كل زمانٍ ومكان، وهو الآن بالثامنة عشر من عُمره بأول عامٍ له بكُلية الآداب قسم الفلسفة الذي اختاره عن رضا و يقينٍ تام.

أرجع خُصلات شعره السوداء المُصففة بعناية ليزيحها عن عينيه ويُعدّل من عويناته التي تجعل ملامحه قريبة من ملامح والده، كان يتلو تلك الكلمات على مسامع بسمة التي التقطت له مقطعاً بهاتفها حتى تُري جمهورها عائلتها ومواهبهم الفريدة، فما إن أنهت المقطع حتى بدأت التصفيق بحرارة والسعادة تنطلي على عينيها الزرقاء التي تزيدها جمالاً، بينما ازدادت بسمة نديم الفخورة التي جعلته يرميها بوقارٍ وكأنه الشاعر أحمد شوقي.

-نديم قوم بسرعة

قطع وصلة تبهنسه أمام بسملة صَوَّت شقيقته عُفران التي كانت بنفس عُمره ونفس خُصلات شعره السوداء الطويلة مع عينيها البنية الحادة التي لا تُشبه عينا نديم الهادئة المسالمة.

بقيت عُفران تُحرك شقيقها وتستعجله بكلماتها الغاضبة:

-يلا قوم بسرعة

تضايق نديم من حركتها الهجومية فتقدم القليل من الأمتار بجذعه حتى يستفسر:

-في إيه ؟

لاح الغضب الشديد على وجه عُفران وهي تُجيبه:

-في واحد عاكسني وأنا طالعة

بدأت الدماء تتدفق بعروقه وتُذكره بمرؤته وشهامته ورجولته، كيف يحدث هذا وهم في هذا الشهر الكريم ؟ لا يعرف حقًا، إذا كان الإسلام قد انعدم في القلوب، أم أنه أصبح فقط اسمًا في البطاقة.

وثب نديم عن الأريكة بعروقٍ نافرة قال معها:

-عاكسك إزاي ؟

بقيت نظرات الغضب تلوح على وجه عُفران وهي تُجيبه:

-هيكون عاكسني إزاي يعني بقولك عاكسني، لازم تروح تهزقه

تنهد نديم تنهيدة عميقة ثم أطلقها وهو يتحرك خلف عُفران مُشيرًا بأصابعه أمامه حتى يسأل:

-تعالى وريني هو فين....-

انسئل درجات البناية مع شقيقته وأضحى كلاهما خارج البناية يبحثان عن ذاك الحقير، لكن عُفران كانت تجذب يد شقيقها عند بُقعة بعينها وكأنها تعلم أين هذا الذي توافق معها وهو لا يعلم من هي.

-أهو ... هو ده-

قالتها عُفران بصوتٍ غاضبٍ مُرتفع وهي تُشير نحو رجل يبدو بالعشرين من عُمره يتسطع على الأرض والدماء تنبعث من كل ركنٍ في جسده، ارتفع صوتُ أنينه وهو يتحسس معدته المجروحة ويحاول أن يُخرج صوتَه المتؤسل حتى خرج بخفوتٍ ما إن لمح نديم ينظر نحوه بذهول:

-أنا آسف والله يا أنسة-

اتسعت حدقتي نديم في ذهولٍ وهو يرمق الشاب وحالته الصعبة ثم يُعيد نظراته صوتُ عُفران كي يسألها:

-هو ده إللي عاكسك!!-

أومأت رأسها إيجابًا لتردف بعدها بحدة:

-أه هو ... بس أنا مسبتوش-

زادت الحيرة على وجه نديم وهو يرمق الشاب المُتسطح أرضًا ليهتف بتهكم:

-طب إنت عايزاني ليه طالما اتصرفتي ... عايزاني أقرأ عليه الفاتحة؟-

أنهى حديثه بسخرية زادت من غضب عُفران التي قالت بإصرار:

-لأ عايزاك تز عقله وتعلمه الأدب-

ما إن أنهت حديثها حتى خرج صوت الشاب المتوَّسل والذي اختلط صوته مع دموعه وأنينه:

-أنا آسف يا أنسة والله ما هعمل كدة تاني ... أبوس إيدك يا باشا خليها تسامحني

أشفق عليه نديم من حالته الصعبة رغم أنه يستحق ما حدث معه، فشقيقته صعبة المراس لم تسمح له بتخطي حدوده معها وأدبته بما فيه الكفاية، يكفي أن رياضتها المفضلة هي الفنون القتالية.

مدُّ نديم يده لينتشل هذا الشاب عن الأرض متجاهلاً توَّسلاته ونظراته الخائفة الموجهة نحو عُفران، ربت على كتفه حتى يحاول إرشاده وتهديده قبل أن يرحل:

-إمشي من هنا ... وإياك تهوَّب ناحية العمارة دي تاني

أوماً الشاب إيجاباً وعزم على الهرب بأقصى ما لديه من تلك البناية المجنونة، لكن إصاباته البليغة جعلته يتحرك بصعوبة ويقوِّص ظهره بسبب الآلام التي تُفتك ببطنه.

طاف الغضب على وجه عُفران وهي تتابع رحيل الشاب قبل أن يتلقى المزيد من التوبيخ، فكانت تُشير عليه وتردف بحنق:

-إنت هتسيبه يمشي ... بقولك دا راجل قليل الأدب وعايز يتربِّي

كادت تنقض عليه مجدداً لولا يد نديم التي تشبثت بذراعها حتى يوقفها ويصعد معها مجدداً إلى البناية، كان يحاول التهدئة من روعها بكلماته المُحلمة ببعض السخرية:

-أسيبه يمشي إيه، دا مش هيعرف يمشي بعد إالي عملتيه ... بعدين خلاص هو اتأدب

اغتاظت أكثر من ردة فعل شقيقها التي جعلتها تُدبب على الأرض متفوهة:

-يووه ... إلا ما في راجل عدل في الكوكب ده....

انهمكت الفتيات بتحضير الطعام بينما رحل الرجال عن المنزل لتعليق ما تبقى من الزينة، فكانت داليا تُخرج أواني التقديم وتضعها على الطاولة حتى تضع عليها شطائر اللحم المورق بطريقة أنيقة بينما اتجهت قمر عند المؤقد لتضع كمية مناسبة من الزيت تكفي لقلي الدجاج وبعض المُقبلات، وشمس تساعد والدتها وبقية السيدات بتنظيف المكان بالخارج حتى لا تضحي حُجرة الطعام مُعبئة بالعديد من الأشخاص، وكانت يُسرى على جهة أخرى تساعد داليا بوضع الأطعمة وكوكي لم تكن معهن لأنها تُبدل الحفاضة الخاصة بنغم قبل أن تُطعمها وتساعدوا على النوم.

-رفعت عامل إيه ؟

باشرت داليا الحديث بهذا السؤال البسيط الموجه نحو يُسرى التي أنجبت بالسنوات الماضية طفلاً آخرًا أسمته رفعت تيمناً بشخصية من الشخصيات التي تتعلق بها من الروايات.

أجابتها يُسرى وهي تمرر المحرمة فوق الصحن حتى تُجففه:

-كويس ... الحمد لله هادي ... مش زي اخواته إلهي مغلبي حتى بعد ما كبرو

تدخلت قمر بحديثها بسخرية وحسرة على وضعها:

-أوئل أنا أعمل إيه ... ده فجر وبدر مش بيسيبيو مكان إلا ويخربوه ... والبت ليلي مبقتش عارفة افرقها من النيش مبتعملش أي حاجة، وردودها باردة بتخليني عايزة أهج واسيلهم البيت

ابتسمت داليا على حديثها الساخر وواصلت وضع الأطعمة بالصحن أثناء قولها:

-ربنا يكون في عونك ... دا إنت تحمدي ربنا إن لؤي مش زي إسلام ... والله العظيم سيف وسهام أخلاقهم باظت بسبب أبوهم

قهقهت يسرى لفترة قصيرة قطعتها بتأكيد على حديث داليا الذي تعرفه جيداً:

-إنت هتقولولي ... دا إسلام لازم يبعت على أي حد يعرفه...

صمتت برهة عن الحديث ثم واصلت بتساؤل فضولي:

-إلا صحيح هو إنت ليه سمتيهم سيف وسهام ؟ ... أصلك أول ما خلفتي سيف وإنت قايلة إنك هتسمي سيف أو سهام .. ومش فاهمين لحد دلوقتي السبب

توقفت داليا عما تفعله لتلتفت نحو يسرى وقمر كي تُخبرهما بلهفة:

-أنا هقولك ... أصل وانا حامل ... إسلام قالي إننا لو سمينا ولادنا بأسماء الأسلحة ... هيدافعو عننا لما يكبرو

لاح على وجهيهما البلاهة حتى تدخلت قمر بسخرية:

-دا على أساس إنك كنت حامل في مدافع ؟

بينما اكتفت يسرى بالقهقهة الساخرة على داليا وهي تُغمغم بصوتٍ مسموع مؤجه نحو قمر:

-الواضح إن إسلام لسة بيشتغلك

انتقل الضحك إلى قمر هي الأخرى حتى تلاشت اللهفة عن وجه داليا وأدركت حماقتها أخيراً:

-قصدكم إيه ... يعني إسلام بيضحك عليا!!

ردة فعلها الحمقاء وتصديقها لحديث إسلام جعلهما ينفجران بالضحك أكثر، فقد ظننا أن داليا لن تُصدق هذا الهراء لكن يبدو أن إسلام قد عبث بعقلها من أجل تحقيق أهواءه الشخصية.

- هو إنتِ صدقتيه؟؟

قالتها يُسرى بين قهقهاتها ليستمر الحديث المازح بينهما لفترة انتهت بعودتهن إلى العمل كي يستكتما إعداد الفطور قبل أذان المغرب، مرّت بينهما فترة قصيرة من الصمت قطعنها يُسرى مرة أخرى بهديرٍ من اللهفة والسعادة على وجهها:

- بقولكم إيه أنا عندي مفاجأة

بدأت بتلك الكلمات حتى تلفت انتباههما، فما إن نظرا لها حتى قالت بسعادة:

- الطبعة الأولى من روايتي الجديدة اطبعت ونزلت في السوق

اتسعت حدقتيهما في سعادة بالغة من أجلها متمنيان لها النجاح طوال حياتها وهما يتركان ما يفعلانه حتى يُعانقانها ويُهنئانها، ويسألانها أيضاً عن حفلة التوقيع وما يخص روايتها الجديدة، وكانت تُجيبهما يُسرى في سعادة بالغة حتى قطعتهن كوكي التي أتت من الداخل بكلماتها المتلهفة:

- أنا كمان عندي مفاجأة

التفتت النظرات نحوها وعوالم الحيرة لا تترك وجوههن وهن يستمعن إلى كوكي التي أخذت نفساً عميقاً ثم أطلقتته قبل أن تُفجر قُنبلتها:

- أنا حامل

وكانت كلماتها كقنبلة لم تؤدي إلى انفجار أشلائهم بل جعلتهن يتيبسن أماكنهن في صدمة ويفتحن أجوافهن وكأن مفاجئتها تُرجمت بطريقة خاطئة.

-ح..حامل !! ... إنتِ يا بنتي مش لسة مخلقة السنة إلی فاتت

قالتها داليا بتهكمٍ أضافت عليه قمر بعدم تصديق:

-يعني إنتِ هتجيبی السادس ؟ وزیزو عارف الكلام ده ؟

نفت كوكي برأسها وهي تُجيب ببراءة:

-لأ هعملهاله مفاجأة

واصلت داليا استكمال إعداد الفطور وهي تسخر من حديث كوكي وتشفق على مُعترز الذي سيضطر لمراعاة هذا العدد من الأطفال، تكاد تشك في كَوْن الجينات الخاصة بكوكي تتقارب مع جينات الأرانب:

-مفاجأة !! ... ده شكله هيتجلط ويسيبك تربي الحضانة إلی انتِ جيبهاله

كادت ترد عليها كوكي وتتجرف معها بالأحاديث المعارضة المليئة باللزاجة والهيام اللذان يُصيبان داليا بالتقرز، فقد تُخبرها أن أمنية حياة مُعترز زوجها هي إنجاب العديد من الأطفال وإغراقها ببحور عشقه حتى آخر نفسٍ بحياته، لكن صَوْت شمس التي أنت حُجرة الطعام وبات صَوْت تلويك الطعام يظهر جليًا وهي تقول ببساطة:

-البانية محتاج شوية ملح

قالتها وهي تضع قطعة صغيرة من الدجاج المقلي داخل فمها بعد أن تناست صيامها وانجرفت وراء قطعة الدجاج المُقرمثة.

لطح الصمت وجوههن وهن يفتحن أفواههن بعدم تصديق، فهي لم تقل أنها ليست صائمة.

استيقظت يُسرى من هذا الصمت وهي تُشير بإصبعها صُوب شمس على أمل إنقاذ ما حدث:

-بتعملي إيه ؟

لاحت البلاهة على وجه شمس وهي ترمق قطعة الدجاج بين يديها وتقول:

-إيه ؟ هو مينفعش آخذ واحدة ولا إيه ... أصله كتير يعني محدش هيحس إنني أخذت حاجة

لعنت قمر حماقتها داخل ذهنها قبل أن تنفجر بوجه شمس وتحاول تنبيهها:

-يا بنتي إنتِ مش صايمة

هنا وقد أدركت شمس ما تفعله مما جعلها تسعل في محاولة جاهدة لبصق ما تناولته من طعام بالخطأ، أطلقت شهقة من جوفها وهي تضع قطعة الدجاج_ التي التهمت منها قظمة_ على الطاولة وتهرول إلى المرحاض على أمل أن تنزع أثر الطعام من فمها، فمدفَع الإفطار سيتم إطلاقه بعد أقل من ساعة، وهي لن تكسر صيامها من أول يومٍ برمضان!!

انفجر بقيتهن بالضحك على منظر شمس وهي تهرول إلى المرحاض وأخذ الحديث يدور بينهن مجددًا في مرح وسعادة محاولين بكل جهدٍ مقاومة رائحة الطعام الشهية التي يسيل بسببها اللعاب....

خفتت أصوات العصافير وبقيت شذرات الضياء مُجمعة مع نسماتٍ ربيعيةٍ عليلة لطفت أجوائهم المُحببة، فكان لؤي يقف خارج البناية أمام البوابة يُساعد والده عبد الصبور على إخراج الزينة من الصناديق وتعليقها على حواف الباب، أمسك لؤي بجبال الزينة المُضيئة وما كاد يصعد السلم ليقوم بتعليقها حتى سأله والده بنبرة أبوية حنونة:

-عامل إيه في الشغل ؟

امتلات نبرته الحنونة بإحساسِ الذنب لأنه يشعر وكأنه كان سببًا بفقدان ابنه للوظيفة التي أحبها، وهو لا يعرف إن كان السبب أم لا، فهو في النهاية لا يُنفذ سوى الأوامر التي يملها عليه رؤساءه.

تنهد لؤي قبل أن يصبغ نبرته بالرضا الجبري أثناء قوله:

-الحمد لله-

قالها ببعض الجمود وكاد يواصل ما يفعل لولا صَوْت عبد الصبور الذي بات مُترددًا مرتبًا:

-بُص يا بني أنا... حاولت أتكلم مع حد في الداخلية عشان ترجع الشغل ... بس صدقتي الموضوع طلع أصعب مما اتخيل ... وأنا وكتاب الله ما كنتش عايزك تسبب الخدمة و_

كان يعرف لؤي هذا الحديث الذي يُلقى على مسامعه طوال الأعوام السابقة، فدائمًا ما يُحاول والده أن يُعيده لوظيفته بلا فائدة ويعود في النهاية خائب الرجا، يُلقى إحساسه بالذنب أمام لؤي الذي ضاق ذرعًا وأراد الانتهاء من ذاك الحوار اليومي بقوله الذي قاطع حديث والده:

-بابا ... أنا خلاص مبقاش فارق معايا ... أنا الحمد لله بشتغل وبقدر أصرف على بيتي بعدين أنا خلاص اخدت على الشغل مع مُعتز

صمت بُرهة ليستكمل بعدها الحديث برجاٍ وتهذيب:

-من فضلك خلينا منفتحش في الموضوع ده تاني ... أنا مطلبتش من حضرتك إني أرجع الخدمة

بقيت نظراته الراجية مُعلقة بنظرات والده المليئة بإحساس الذنب حتى تنهد تنهيدة حارقة مُحملة بخيبة الأمل التي جعلته يقول باستسلام:

-ماشي ... زي ما تحب

أبعد عينيه عن لؤي لينتشل الزينة المضيئة عازماً على تعليقها لولا يد لؤي التي انتشلت منه هذه الزينة متفوّهاً بتقريرٍ ورغبة بمدِّ والده بسُبل الراحة:

-سيبها يا حجّ أنا هعلقها ... ادخل جوة بقى عشان متقفش كثير

ربت عبد الصبور على كتفه بامتنانٍ قبل أن يستأذنه ويعود إلى الداخل ليرتاح قليلاً لأنه يعاني من خشونة في الركبة بسبب عُمره، فهو خلال بضعة أشهرٍ قليلة سيتم إحالته على المعاش ولن يُمارس أية وظيفة مرة أخرى....

داخل المدخل الخاص بالبناية، كان يقف خالد ومعه العديد من الأسلاك المعقدة التي يحاول إحلال عُقدتها بمساعدة من مُعترز الذي لم يتوقّف عن الجدل معه منذ أن قرر مساعدته، فكان يمسك خالد بالأسلاك يُريد أن يطمئن إذا كانت تعمل أم لا قبل تعليقها داخل المدخل، أخذ يقول لمُعترز بأمر:

-هيا اضغط

كان يقصد زر التشغيل لكن الصيام قد بدأ يعبث بعقل مُعترز ويجعله تائهاً في صحراءٍ جرداء وهو يضغط على الأسلاك بقوة ظاناً بأنه يُنفذ ما يقوله خالد.

-ما الذي تفعله يا هذا ؟

لاحظ مُعترز حدة السؤال الذي ألقاه خالد بوجهه مما جعله يبادلُه نفس هذه الحِدة:

-إنت مش قولتلي أضغط

-قصدت أن تضغط على زر التشغيل

أصدر مُعترز صوتاً يُشبهه خوار البقرة بعد أن فهم ما يقصده خالد واتجه بدوِّره صوّب الرز الذي يقبع بآخر طرفٍ بالأسلاك.

-أأاه ... ما تقول كدة يا عم من بدري

قالها وهو يتجه صُوب الزر لكنه لم يلحظ الأسلاك التي تحركت مع قدميه حتى تشابكت بقدم خالد وجعلته يتعركل على الأرض ويسقط على ظهره مُطلقًا العديد من النيران الغاضبة من جميع أنحاء جسده:

-أيها الـ... ستجعلني أفقد صيامي بسبب حماقتك

كان صَوْتُهُ مُرتفعًا غاضبًا جعل النيران تنتقل بدورها صُوب مُعترز الذي بدأ يتجادل معه:

-إيه يا عم ما براحة مكنش قصدي إنك تتكعبل

استطاع خالد الوثوب عن الأرض وهو يستمر بالصياح الغاضب بوجه مُعترز:

-ولم لا تفتح عينيك وتستخدمها بدلًا من التسبب بعركلتي ؟

تجهمت ملامح مُعترز وبدا غاضبًا وهو يواجه خالد بنفس تلك النظرات الحادة:

-لا بقولك إيه ... أنا لا فايقلك ولا فايق للخناق

-أنا الذي لا _

كاد ينقض عليه خالد ويُطيحه أرضًا لولا تدخل إسلام باللحظة الأخيرة ليُفرق بينهما ويُذكرهما بهذا الشهر الكريم الذي يسوده المحبة والمودة:

-إيه يا جدعان صلوا على النبي إحنا في رمضان

صليا على النبي في سرهما ما إن تَوَقفا عن الجدل وبقيت نظراتهما الحادة تترامي بينهما إلى أن قال إسلام:

-يلا تعالو نعلق الزينة .. وأنا هساعدكم بس مش عايز حد فيكم يتخايق....

على الجهة الأخرى، يقف لؤي فوق السلم الحديدي يقوم بتركيب الأضواء الملونة وتشغيلها مع بوادر الليل الذي بدأ يحلّ عليهم، وأثناء تحريكه لواحد من المصابيح، إذا ينفجر المصباح بوجهه وتتناثر الشظايا في كل مكان، وكأي شخص عادي، وجد جسده ينتفض تلقائياً مع ذلك الانفجار البسيط الذي جعله ينسلّ درجة من السلم ليتفاجأ بأن السلم مكسورٌ تسبب بسقوطه على الأرض على ظهره لا يستمع سوى لصوت قهقهاتٍ شيطانية يعرفها جيداً....

لم يتوقف شهاب عن القهقهة بعد أن نجحت مزحته السخيفة التي سُتضاف إلى سجل مزحاته التي لم تتوقف طوال الأعوام الماضية حتى بعد أن أضحى شاباً بالخامسة والعشرين من عُمره وتخرج من كُلية الفنون المسرحية.

وثب لؤي عن الأرض بنيرانٍ تنطلق من عينيه خاصة بعد أن رأى ضحكات شهاب التي تضاعف من غضبه، ودون أن ينبس ببنت شفة كالمرات السابقة، التقط صخرة كبيرة ملقاة على الأرض واتجه بها صوب شهاب الذي تلاشت بسمته وحلّ محلها الفلق أثناء قوله:

-إيه يا أبو نسب بس ... أنا كنت بهزر والله...

تقدم لؤي نحوه بخطواتٍ رعدية زادت من خوف شهاب وجعلته يرفع يديه استتجاءً ليقول:

-رمضان كريم يا أبو نسب ... إنت كدة هتكسر صيامك عليا

زاد لؤي من خطواته وهو يقول بوعيد:

-أنا بقى ... عايز اكسر صيامي عليك ... عشان وحياء ربنا لاطع عليك القديم
والجديد يا شهاب

هرؤل شهاب بأقصى ما لديه وهرؤل لؤي وراءه عازمًا على النيل منه هذه المرة حتى يتوقف نهائيًا عن مزحاته السخيفة طوال هذا الشهر الكريم...

أمام البناية تحديدًا بالشارع الرئيسي للبناية، يجتمع أطفال الشوارع مع فجر الذي يترأس هذا الفريق ومعه سهام ورفعت ذو التسعة أعوام، وكذلك صباح واثنين من جيرانهم بالبناية المقابلة، بينما ترأس بدر الفريق الثاني ومعه كلُّ من مُنذر وجيهان وشروق واثنين آخرين من جيرانهم...

يحمل فجر مُسدس المياه كما يحمل بقيتهم استعدادًا لتلك المعركة التي سُنْتقام بين الفريقين، فكان يردف فجر مُقلدًا لأحد القادة الذين يُشاهدهم على التلفاز:

-سهام وصباح ... هيجرو ورا جيهان وشروق ... ورفعت هيروح ورا مُنذر ...
وطه وأسامة ورا حسام وناجي ... وبدر سييهولي ... ولازم عشان نكسب ...
نؤقعهم في الغلط

أنهى الحديث بثقة قطعها رفعت بفصاحة:

-بس قانون مورفي بيقول : سوف تحصل على الفرصة ولكن في الوقت الخطأ

شهقت صباح وهي تقول بذهولٍ من حديث رفعت:

-يعني أنا ممكن أبقى رقائة ... أثل بابا قالي إن الرقت غلط

قطعها فجر بجدية قبل أن ينجرف حديثهما إلى المزيد من الأحاديث البلهاء من وجهة نظره:

-يا جماعة ركزو ... لازم نركز على المعركة

تدخلت سهام بسؤالها:

-يعني نعملهم إيه ؟

لم يكن يعرف فجر الإجابة الصائبة لكنه مع ذلك قال:

-نجري وراهم بسرعة ... وأوعو تخلو أي حد يقفشكم

تدخل رفعت مجددًا بفصاحته المعهودة ولكنته الطفولية المتنكرة بزي الكبر:

-مش هينفع ... عشان قانون مورفي بيقول : إذا توفرت الإمكانية لشيء سيء أن يحدث، فسوف يحدث

تنهد فجر بنفاد صبرٍ من ذاك الذي يقطع حديثه دائمًا ويجعله يهتف بغضبٍ طفيف:

-محدث يقطني

صمت الجميع برهة ليأخذ فجر نفسًا عميقًا ثم يُطلقه حتى يُنهي الحديث بقيادية:

-خلينا في المُهم ... لو حصل أي حاجة، متنسوش كلمة السر ... الخروف .. عطس

أوماً الجميع إيجابًا لينطلقوا بعدها بهرولة وصيحاتٍ مرحة تنطلق من أجوافهم وهم يضغطون على أسلحتهم التي ينطلق منها المياه صوب الفريق الآخر الذي يعاركهم بأسلحتهم البلاستيكية وصيحاتهم المُستمعة بهذه الأجواء التي تجمع ما بين الأصدقاء والجيران وتخلق روابطٍ وذكرياتٍ جميلة بينهم...

بدأت الشمس باسدال ستارها مع اقتراب الأذان، فكان المنزل مُعتجًا بالأشخاص حيث يجلس كلٌ من سيد و عبد الصبور وهلال ومحمود على أرائك البهو يتسامرون بمُختلف المواضيع، كما تساعد نجمة في تجهيز الطاولة بمساعدة من بسمة وثناء وبُثينة وكذلك زوجة محمود التي كانت تُحدثهن بإشاراتٍ يُترجمها عبده دائمًا.

أما بقية الفتيات فكن بحُجرة الطعام ينقلن الأصناف الشهية إلى الطاولة والرجال مُنتشرون في شتى البقاع يُساعدون زوجاتهن تارة ويتحدثون تارة أخرى، أما الأطفال، فكان ضجيجهم يكاد يخترق الجدران وهم لا يتوقفون عن اللهو واللعب فيما عدا جزيرة التي اختلى بنفسه وجلس بجوار ليلي التي تتمتع بهدوءٍ ورزانة تجعلها لا تُشارك باللعب دائماً.

حيث كانت تجلس أمام طاولة صغيرة تعبت بهاتفها وتشاهد مقاطع مُختلفة للفيديوهات القصيرة، أحست بجزرة يقترب نحوها ويجلس بجوارها على الأرض محاولاً أن يبدأ معها الحديث كما يفعل دائماً مع جميع الفتيات.

- هو إنتِ صايمة ؟

سألها هذا السؤال ببراءة زائفة جعلتها تنتبه له وتوميء برأسها إيجاباً لتزداد ابتسامته اتساعاً وهو يُغازلها بنفس طريقة والده:

- صايمة إزاي وإنتِ واكله عقلي ؟

لم تكذ ترد عليه حتى وجدا إسلام يقتحم الجلسة ويجذب جزرة من ياقة سترته من الورا ليرفعه عنوة عن الأرض ولسان حاله يقول:

-أنا قولت من الأول السلالة دي محتاجة تنقرض محدش سيمع كلامي

بقي يدفعه بعيداً عن ليلي التي لم تتوقف عن الضحك بينما كان جزرة يتوسل له:

-استنى بس يا عمو ... والله بابا كان بيقول كدة لماما الصُبح

ابتسم إسلام بتشفٍ وهو يدفع جزرة بعيداً عنه بكلماته:

-إنتِ هتقولي ... يلا امشي من هنا وإنتِ شبه حزلقوم بشعرك ده....

-في كل حة بتمشى ... والناس بسيطة وغرقانة....

لم تتوقف شمس عن الغناء بتلك الأغنية التي لا تعرف إن كانت تُغنيها بطريقة صائبة أم لا، فقد أوهمها عقلها أن هذه هي كلمات تلك الأغنية التي تتردد على أذنها دائماً في هذا الشهر الكريم....

تقف أمام الموقد وهي تُخرج أخر قطعة من المثلثات المحشوة وتضعها على وعاءٍ عليه طبقة من المحارم الكفيلة بامتصاص الزيت، وأثناء ترنيمة هذه الأغنية إذا تقتحم قمر حُجرة الطعام حتى تنقل المزيد من الأصناف، لاحظت قمر غناءها الخاطيء لتلك الأغنية مما جعلها تقطع غناء شمس كي تُصحح لها:

-يا بنتي إيه اللي بتقوليه ده ... اسمها في كل حة يتمشى، والناس بسيطة وشرقانة

قطبت شمس حاجبها بعدم تصديقٍ لحديث قمر الذي قالت بعده بتفسير:

-شرقانة إيه ... لأ طبعاً اسمها غرقانة ... عشان غرقانين في بحر الفقر

احتدت قمر قليلاً وهي تُكذب حديثها:

-ده على أساس إن اللي كتب الأغنية فيلسوف اسمها شرقانة، عشان الناس الطبيعية بتشرق وكدة ... وده بيدل على بساطتهم

كان تبريرها أشبه بتبرير عالم مغوار لنظريته التي تتحدث عن كيفية انزلاق الأقدام بالمرحاض، وهذا ما جعل شمس تتدخل بحديثها بسخرية:

-يا سلام ... ما كل الناس في العالم بتشرق ... وبعدين كاتب الأغنية هيسيب كل حاجة الناس بتعملها ويمسك في إذا كانوا بيشرقو ولا لأ؟

لم تكذ تجادلها قمر حتى قطعها صوت نجمة وهي تقول بأمر:

-يا قمر ... هاتي معاكي الطرشي وإنتِ جاية

تغافلت قمر عن هذا الجدل السخيف كجدالاتهما اليومية، فأكبر جدالٍ حدث بينها وبين شقيقتها كان عندما يناما سوياً بنفس الحُجرة ويتعاركان على من سيغلق الضوء.

فتحت قمر البراد لتُخرج عُلبه صغيرة من الخُضار المُخلل وتقوم بإفراغه بصحنٍ ورقي، كادت تأخذ هذا الصحن إلى الخارج لولا شمس التي أوقفتها وهي تُشير على صحن المُقبلات التي انتهت من قليها:

-خُدي السمبوسك ده معاكي

بدلاً من أن تنتبه قمر لحديثها وجدت نفسها تُجادلها مرة أخرى:

-يا بنتي اسمها سمبوسة

أصرتُ شمس على حديثها بقول:

-لأ بقى اسمها سمبوسك

لكن قمر لم تُعطيها مجالاً للانتصار فأخذت ترد عليها:

-لا سمبوسة

-سمبوسك

-سمبوسة

هكذا استمر الجدل بينهما حتى قطعتهما نجمة بصوتٍ مؤبخ بعد أن استمعت لجدالهما:

-ما تخلصي انتِ وهي متخلونيش افطر عليكم

أوقفت قمر جدالها لتأخذ صحن المقبلات مع صحن الخُضار المخلل وتخرج به من حُجرة الطعام تلبية لأوامر والدتها، لكنها قبل أن ترحل بصقت آخر كلماتها بإصرار:

-اسمها سمبوسة....

اصطفت سيارته الفارهة قُرب البناية المنشودة ليترجل منها مخيمر الذي تمت عزيمته على الفطور رغم أنه ليس مُسلمًا، لكنهم يعتبرونه جزءًا من عائلتهم ويقومون بعزيمته في رمضان دائمًا، خاصة أول يوم.

توقفت سيارة ريتا قبالتها مما ذكره بكل مرة تتوقف فيها أمام المنزل وتأتي معه بنفس التوقيت كما لو كانا قد اتفقا على المجيء سويًا.

ترجأت ريتا من سيارتها لتتقابل عينيها مع مخيمر وترميه بابتسامة متفاجئة قالت معها:

-يا مرحب ... دايماً بنيجي مع بعض

قابلها مخيمر بابتسامة ودودة تذكر معها أول مرة تقابلا فيها وانتهى الأمر بينهما بمشاجرة كبيرة، أما الآن، وبعد مرور أكثر من عشرة أعوام، لا يتذكر أنه تشاجر معها أبدًا، فقد أصبحا صديقين حميمين ويتحدثان سويًا بصورة شبه يومية.

ما إن اقترب مخيمر نحوها حتى هنتته بلهفة:

-مبروك على المعمل الجديد

كانت تعرف أن مخيمر استطاع أخيرًا وبعد عناءٍ أن يفتح معمله الجديد الذي سيتم فيه صناعة واكتشاف العديد من الأدوية ذات الأهمية القُصوى، فطوال هذه السنوات، كان يعمل بجدٍ حتى يجني الأموال ويستطيع افتتاح معمله الخاص.

-شُكْرًا ... وإنتِ كمان مبروك على البيت الجديد

وكما طرأت عليه العديد من التغيرات، طرأت عليها هي أيضًا واستطاعت أن تنتقل إلى منزلٍ آخرٍ ابتاعته لتبتعد عن أوامر عائلتها ولكي تستطيع ممارسة تمارينها بأريحية، لكنها أيضًا لم تقطع علاقتها مع أهلها، بل وأصبحت علاقتها وطيدة بهم بعد أن فهموا تمامًا أنهم لا يجب أن يتدخلوا في حياتها تدخلًا كاملًا.

-ميرسي ... بس متقلقش، أنا وماما وبابا بنتكلم كل يوم ... وبروح ازورهم كل جمعة وحد

ابتسم بسعادة لأجلها لتمرُّ بينهما بُرهة من الصمت وهما يتجهان صُوب البناية ويصعدا المصاطب القليلة، قطعت ريتا هذا الصمت بحديثها المرح:

-بس إيه التغيير ده كله ... الهرمونات عاملة معاك شغل بقيت راجل راجل يعني، ناقصك عروسة حلوة كدة وكله هيبقى مية مية

زادت بسمته وسعادته بسبب اطراءها الذي أكد له أن تشوّهاته الجسدية بدأت بالزوال نسبيًا، لكن ابتسامته تشعبت ببعض الضيق أثناء قوله:

-وهو في عروسة هترضى بواحد مبيخلفش زي

أشار على نفسه مع آخر حديثه ليُذكرها أن المختلطين لا يستطيعون الإنجاب، وهذا ما جعل بسمتها تتلاشى لفترة وجيزة لكنها أعادتها مُجددًا حتى لا تجعله يشعر بالنقص:

-وايه المشكلة يعني ... ما في ستات مش بتعوز تخلف

-وأنا الاقيها فين دي ... إذا كان المسيحيين في مصر بيتلاقو بصعوبة ... عايزاني الاقي واحدة من ديني وكمان مش عايزة تخلف

أصمتتها كلماته الصائبة ولم تُكن تُريد أن تُخبره أنها بالأساس لا تُحب الإنجاب وتُفضل التبني لأن بلدتهم مُعتجة بالسُكان ولا ينقصها فردٌ آخرٌ ربما يُحرم من حقوقه الأساسية أو يسلبها من محتاجٍ آخرٍ أتى على العالم قبله.

لكنها في النهاية حافظت على صمتها حتى لا تُثير شكوكه وبقيت على هذا الوضع حتى قطعها هو:

-وانتِ بقي ... عمالة تقويلي شوفك عروسة وانتِ لحد دلوقتي متجوزتيش

رسمت بسمه واثقة على ثغرها وهي تقول:

-لأ أنا مش عايزة اتجوز ... عايزة اعيش في خُرية، من غير ما حد يقولي إنتِ رايحة فين وجاية منين

كان يعلم تلك الإجابة جيدًا لذلك اكتفى بإيماءة من رأسه ومواصلته السير حتى وصلا أمام المنزل المراد مباشرة، لا ينقصهما فقط سوى الدق على الجرس لكنها توقفت عن تلك الحركة مُتذكرة السؤال الذي لطالما أرادت سؤاله به منذ أن توّغلت حياته وعرفت الكثير من أسرارهِ بِحكم صداقتهما:

-صحيح في سؤال أنا كنت عايزة اسألوهك من زمان جدًا

انتبه لها مخيمر حتى يضحى مُستعدًا للإجابة على سؤالها الذي كان:

-هو إزاي إنتِ بتقولي إنك من إنجلترا ... وانتِ اسمك مخيمر وأخوك اسمه ضُرغام ... هي مش الأسماء دي أسماء عربية؟

كان ينتظر أن تسأله هذا السؤال على الرغم من أن اسمها ريتا، وهذا الاسم ليس عربيًا على الرغم من ترعرعها بمصر مُنذ نعومة أظافرها، وهو الذي وُلد بإنجلترا ووالده إنجليزي مئة بالمئة، يحمل هذا الاسم العربي، لهذا السبب أجابها بصدق:

-ماما كانت من ليبيا ... وهي إيلي سمتني أنا وأخوية...

أصابتها كلماته بالذهول ككل مرة يتلو أمامها أحد أسرارهِ التي لا تنتهي، لكنها لم تنبس ببنت شفة حتى تستمع إلى ما تبقى من حديثه بإمعان:

-ماما لما سابت بابا رجعت على لييبيا ولما بابا بدأ يجيله تهديدات، أخذني أنا وأخوية وكان عايز ياخدنا عندها ... بس وقتها كان في حروب ومشاكل في لييبيا وهو كان خايف علينا ... عشان كدة أخذنا على مصر عشان نكون قريبين منها، وفي نفس الوقت نبعد عن الخطر في إنجلترا

-وانت مفكرتش تسافرلها ؟

سألته باستفسار لتجد عوالم الانكسار على وجهه وهو يقول بنفي:

-لأ هي إللي مفكرتش فينا ... عشان كدة مش لازم أفكر فيها

أومأت بهدوءٍ دون أن تنبس ببنت شفة خوفاً من إغراقه في بحور الذكريات التي تعلم جيداً أنه لا يُريد الغرق بها، فهو بالكاد يقص عليها ماضيه المُعقد المليء بالتعثرات وخيبات الأمل، لهذا السبب، كان من الأفضل أن يطوي تلك الصفحات ولا يفتحها أبداً حتى لا يزداد انكساره.

انتبه مخيمر لتأخرهما على ميعاد الفطور رغم أنهما ليسا صائمين مثل المسلمين، بل صائمين بطريقة أخرى بسبب عيدهما، لكن هذا لا يعني أن يتأخرا، وهذا مما جعله يقول:

-يلا عشان هنتأخر.....

الحياة أقصر من أن تُضيعها في العراك والخلافات، أقصر من أن تحمل الضغينة والتعاسة تجاه الآخر، وهذه الكلمات، تنطبق على الجميع عدا هذه العائلة المجنونة التي لا تخلو من الشجارات السخيفة والأفعال الحمقاء، فها قد أشرف آذان المغرب على البدء ولا يزال الهرج والمرج يُلطخان الجدران ويبعثان العديد من الأصوات

داخل المنزل أعلاهم صَوْتُ عُفْران التي لم تتوقف عن العِراك مع أي رجلٍ تقابله بحياتها، وكان العِراك هذه المرة من نصيب عبده الذي يُعاملها بجفاءٍ وعينانٍ حادتان لا تعرف أنهما عيناها الحقيقيتان وتعتقد أنه يُثير حنقها ذهابًا وإيابًا، فجميع من بالمنزل يتجنب عبده حتى لا يطحبه بمديته التي تلازمه دائمًا.

-على فكرة مفيش رجالة بتهدد ستات

قالتها عُفْران بحدة بعد أن هددها عبده بأنه سيجرحها بالمديّة إن لم تتوقف عن مجادلته، وهذا فقط لأنه يجلس على المقعد الذي تُحب الجلوس عليه أثناء تناول الطعام.

-ده على أساس يعني إنك ست ... ده إنتِ نقصك شنب ودقن وتبقى راجل ... ولا شنب إيه ... هو دقن بس

زادت كلماته الساخرة من حنقها لتثب عن المقعد هادرة بوجهه:

-إنت واحد مش متربي ... وأنا بقى هعرف أربيك كويس

وثب عبده قبالتها ليُقابلها بنظراته النارية المُهددة:

-طب وريني بقى يا حلوة هتعملي إيه ؟

كادت تُهدده هي الأخرى لولا نديم الذي تدخل ليُهدئها ويجذب ذراعها حتى تجلس مُجددًا جواره داخل حُجرة المعيشة لعدم وجود أماكن شاغرة بطاولة البهو، حيث يجلس بهذه الحُجرة جميع الشباب وكبار الأطفال كجزرة ولىلى وسيف وبسملة، فجميعهم يُشاهدون ما سيتم عرضه من مُسلسلاتٍ رمضانية والتي لا يُشاهدها بقية الأطفال لذلك أخذوا رُكنًا لهم بالبهو.

-خلاص يا جماعة استهدو بالله ... يلا يا عُفْران اقعدى ... سيبك منه

كما وثب شهاب هو الآخر ليجذب ذراع عبده ويُجلسه مكانه حتى تهدأ الأوضاع بينهم وتُطلق غُفران زفرة حارقة من فمها وهي تُحاول الاستماع لعقلها الذي يُخبرها ألا تتحدث مع هذا الحقير مرة أخرى، لا تعلم حقًا كيف يبقى مُجرمًا كهذا ببنائيتهم؟ تكاد تكون متيقنة أن مكانه الصحيح خلف جُدران الزنزانة.

-اسمعوا يا جدعان إلي هقوله ده كويس-

قالها شهاب بعد فترة وجيزة من الصمت لينتبه له الجميع أثناء قوله المُقرر:

-من الآخر كدة ... كلكم معزومين على المسرحية بُكرة-

قطب عبده حاجبيه بحيرة من حديث شهاب حتى سأله باستفسار:

-مسرحية إيه يلا ... إنت مش المسرحية بتاعتك الأسبوع الجاي؟

أكد شهاب حديثه بثقة وبعض المُكر:

-مضبوط ... بس المسرحية بتاعت بُكرة دي مش مسرحيتي ... دي مسرحية واحد معرفة كدة وأنا عايز أوجب معاه

تبادلت نظرات الشك بينهم لأن الجميع يعرف هذه النظرات جيدًا، النظرات التي لا يأتي من وراءها سوى الكوارث التي لا تنتهي، وهذا ما جعل نديم يقول:

-كلامك ده بيقول إنك عايز تعمل مصيبة.... بس أوعى تعمل مصيبة في واحد معملكش حاجة

نمت قهقهة خبيثة على ثغر شهاب قبل أن يؤكد حديث نديم ويُطمئنه في الوقت ذاته:

-لا متخافش ... صاحب المسرحية دي كان هيبوظلي المسرحية بتاعتي المرة اللي فاتت ... عشان كدة قولت لازم أوجب معاه في المسرحية بتاعته

تَدْخَلتْ عُفْران لَتَسْتَقْبِر أَكْثَر:

-وَهْتَعْمَل إِيه ؟

رماهم ببسمة شيطانية قبل أن يسترخي بظهره للوراء حتى يُنهي حديثه:

-مفيش بدل ما اخليهاله مسرحية ... هقلبها مهرجان....

فتحت داليا باب المنزل لتستقبل كلاً من ريتا ومخيم اللذان أتيا سوياً كالعادة، عانقت ريتا بحرارة ورُحِّبت بمخيم قبل أن يدلف كلاهما إلى الداخل ويجلسا على طاولة الطعام، وما هي إلا لحظات قليلة حتى دق جرس المنزل مُجدداً مُعلنًا عن مجيء المزيد من الضيوف وكان الضيف هذه المرة هو إحسان وسمية التي أضحت زوجته وأنجبت منه في السنوات الماضية ثلاثة فتيات يتراوح عمرهن ما بين الثامنة والسادسة والرابعة.

تقدم إسلام نحو إحسان ليعانقه عناقاً مشتاقاً بابتسامته الواسعة التي لم تترك ثغره، ابتعد عن إحسان حتى يُصافح بناته بحنانٍ لكنه تذكر أنه تناسى أسمائهن كما يحدث دائماً، فالعدد الكثير من الأطفال يجعله يتناسى هذا الكم من الأسماء خاصة وهو لا يتقابل مع إحسان وأسرته الصغيرة كثيراً.

-إنت قولتلي صحيح بناتك اسمهم إيه عشان نسيت ؟

هكذا سأله إسلام ليجيبه إحسان بؤدٍ وبأصابع تُشير على بناته واحدة تلو الأخرى:

-دي فضة ... ودي ذهب ... والصغيرة دي لؤلؤة

صافحهن إسلام بحنانٍ قبل أن يلتفت مجدداً نحو إحسان ليعلق بسخرية:

-طب ابعدهم بقى عن أبوية احسن يقلبهم ملك خواتم

قهقهه إحسان بسُخرية بعد أن تذكر أن والد إسلام صائغًا يمتهن صناعة الأسوار والخواتم، فهو الذي صنع لهما خواتم زفافهما وصنعها أيضًا لجميع المتزوجين الجُدد من البناية....

دق الجرس بعد فترة أخرى وكان الزائر هذه المرة هو الحسن، فقد أخبرهم مخيمر أنه وحيدٌ بلا عائلة بعد أن توفت عائلته منذ فترة طويلة، لهذا السبب قرروا أن يُرسلوا له عزيمة للإفطار في هذا الشهر الكريم كما يفعلون دائمًا حتى لا يبقى وحده.

عانقه إسلام أولاً وربت على كتفه بمشاكسة:

-إزيك يا حسن

زمجر الحسن للمرة التي لا يعلم عددها من إسلام الذي يتعمد إثارة حنقه ويجعله يهتف بغضب:

-إسمي الـ... حسن

قهقهه إسلام على حديثه ليُحيطه بعدها بذراعه متفوّهاً:

-أنا عارف ... بس إيه التغيير ده؟! ... جاي يعني قبل ما الليل ليل

رفع الحسن من قامته حتى يهتف بتبهنس:

-لا منا خلاص ... بدأت أتعالج ومبقتش أخاف من الشمس

رفع إسلام حاجبيه بذهولٍ وعدم تصديقٍ جعله يقول:

-يا راجل ... ده على كدة بقى العزيمة الجاية تجيلنا من الصُبح بقى

أسبل الحسن بعينه حتى لا يلمح إسلام طفرات خوفه التي جعلته يقول ببعض التردد:

-إييه ... لا لأ .. منا لسة مخلصتش العلاج أوي ... لسة في مرحلة الغروب

أوما إسلام والبسمة لا تزال على وجهه أثناء اصطحابه لالحسن حتى يُجلسه على المقعد الخاص به، فأذان المغرب تبقى عليه دقيقة واحدة فقط....

"مدفع الإفطار ... إضرب"....

انطلق هذا الصوت من المذيع ليعلن أذان المغرب وانتهاء فترة الصيام المُرهقة خاصة في اليوم الأول برمضان، اجتمعوا حول المائدة التي وُضع عليها أصناف عديدة من الأطعمة والمقبلات والعصائر الخاصة برمضان، كسروا صيامهم أولاً بحباتٍ من التمر قام بعدها الرجال والنساء بتأدية صلاة المغرب جماعة قبل أن يعودوا مجدداً حول المائدة ويبدأو بتوزيع الأطعمة في الصحون، حيث كان إسلام يُشير بإصبعه صوب داليا حتى يطلب منها بأدب:

-معش يا داليا حطيلي خرطة من البشاميل اللي بالسُجق ... وهاتيلي كركادية بالسوبيا

أومأت داليا إيجاباً وهي تُنفذ طلبه وتُعطي له قطعة من المعكرونة الغارقة في صلصتها البيضاء وقطع السُجق المُتبلة، تلك الطبخة التي أعدها مُعتز من أجل صديقه لأنه يعلم جيداً كم يُحب تناولها وكم كان يطلبها منه عندما كان يقطن معه بالمنزل.

كانت الأحاديث المرححة تتناقل بينهم وهم يتناولون الطعام ليقطعهم صوت الجرس مُجدداً والذي أعلن عن مجيء زائرٍ آخر جعلهم يتبادلون النظرات في حيرة، فمن هذا الذي يأتي في هذا الوقت ؟

-هو في حد ناقص ولا إييه ؟

قالتها قمر بحيرة وهي تتلفت برأسها حول المعازيم حتى تعرف من هذا الزائر، كما بقي صوت الجرس يصدح عالياً حتى وثب لؤي عن مقعده عازماً على فتح الباب بقوله:

-خليكم ... أنا هشوف مين..

تحرك صُوب الباب ليفتحه ويجد أمامه رجلٌ غريبٌ يبدو بمُنْتَصَفِ الثلاثين، كان نحيل الجسد، أسمر البشرة يعلو وجهه ابتسامة واسعة بدت سمجة بالنسبة للوي الذي رمقه بحيرة سأل معها:

-أيوة ... مين حضرتك؟

رمقه الرجل ببلاهة وهو يسأل:

-معتز الللموم موجود؟ ... أصل أنا سألت البواب قالي إن هو في الدور الرابع، فطلعت الدور الرابع وخبط ملقتهوش موجود، قومت نزلت على الدور الثالث يمكن أنا لغبط في الشقة ولا حاجة ... المهم يعني، فضلت أخبط على الثالث وبردو ملقتش حد ... قولت مبدهاش بقى، لازم أسأل البواب تاني عن عنوان شفته ... روحت نزلت تاني للبواب....

لم يتوقف عن الثرثرة بتفاصيلٍ عديدة جعلت لوي يزداد ضجرًا خاصة وهو يريد أن يتناول من الأصناف الشهية الموضوعة على الطاولة.

-خلاص يا أخينا ... مُعتز الللموم موجود جوة ... بس إنت عايزه ليه؟

اتسعت بسمة الرجل البلهاء وهو يقتحم المنزل ويدفع لوي بعيدًا عن وجهه كما لو أنه يقتحم منزله الخاص، كان لوي على شفة جرفة من الاحتراق بسببه لكنه قرر أن يكبح غضبه من تلك الحركة حتى يعرف من هذا الغريب.

-هو ... معتز الللموم موجود؟

سأل الرجل مرة أخرى ليُعَم الصمت بين الجميع وتلفتت الأنظار نحو هذا الغريب الذي يعرف اسم صديقهم.

سادت حالة من الصمت والحيرة بينهم حتى رفع ميجو يده ليسأل:

-أيوة موجود ... أهو مُعترز الللموم ... وأنا أخوه ... عايز منه إيه بقى ؟

أنهى ميجو الحديث بإشارة على نفسه على أمل أن يرفع البلاء عن شقيقه إذا كان هذا الرجل قد أتى من أجل مُصيبة أو كارثة ما، لكنه تعجب ما إن وجد بسمه الرجل تتسع وهو يُغمغم في قرارة نفسه غممة بدت واضحة ومسموعة بالنسبة للجميع:

-وكمان عنده أخ

لم يتحمل مُعترز الصمت أكثر فرفع من صوته ليسأل ببعض الحدة:

-أيوة يعني إنت عايز إيه ؟... وعارفني منين ؟

أخذ الرجل نفساً عميقاً ثم أطلقه ليتقدم نحوهم عازماً على تفجير قُنبلته بمباشرة دون التدخل في التفاصيل:

-أنا فكري فكري الللموم ... أخوكم

حسناً، كانت هذه الصدمة كفيلة بجعل الطعام يتوقف في حلقهم ويبدأ مُعترز بالسعال بينما يسقط فك ميجو في صدمة شلت أطرافه كما شلت أطراف الجميع.

لاحظ فكري نظرات الصدمة التي تُحيط بهم مما جعل ابتسامته السمجة تتلاشى ويحل محلها الحيرة التي قطعها ميجو بسؤالٍ حاد:

-أخونا إزاي ؟... إنت ابن مين يا جدع إنت ؟

عادت البسمة تُلُطخ وجه فكري الذي قال:

-أنا ابن هياتم ... إلهي كانت بتشتغل في القصر زمان

سقط فك مُعترز مجدداً لتخرج الكلمات من جوفه بطريقة كاد يخرج معها قلبه:

-الشغالة!!-

بصق هذه الكلمة ودخل بعدها في حالة طويلة من الصمت والصدمة التي قطعتها
يُسرَى باستنتاج:

-هو أبوكم عملها ثاني ولا إيه؟

بينما انطلقت قهقهة إسلام وهو يثب عن المقعد ويُربت على كتف فكري متفوّهاً:

-تعالى تعالى ... إفطر معانا...

ثم وجه الحديث نحو مُعترز وميجو الجالسان بجوار بعضهما البعض على أمل أن
يستند واحد منهما على الآخر حينما يسقطا على الأرض مغشياً عليهما، خاصة بعد
كلمات إسلام الشامته:

-مبروك يا رجالة ... جالكم أخ جديد....

تبيست نظرات مُعترز أمامه وهو يقول مُقلداً أحد المسلسلات الرمضانية التي تُذكر
منها هذا المشهد الذي ينطبق عليهما تماماً:

-يا واجعة مربرية

أضاف ميجو على كلماته مُستكملاً هذا المشهد بنظراته المصدومة:

-دا باينه هيبجي مرار ... طافح

ما هي إلا لحظاتٍ حتى قهقه الجميع ثم تداركوا ما حدث وعادوا إلى أماكنهم
يستكملون فطورهم ويتحدثون في العديد من المواضيع الخاصة بالطقوس الرمضانية
والمسلسلات التي يتم عرضها وكذلك ما يحدث في هذه الأيام.

وأثناء حديثهم أتت كوكي من الداخل بعد أن وُضعت الطعام لأبنائها ولاحظت اختفاء أحدهم مما جعلها تقترب من داليا حتى تسألها:

-داليا ... هو سيف فين؟... جابر يبسال عليه

قطبت داليا حاجبيها بحيرة وبعض القلق الذي قطعه باستنتاج بدى مُتيقناً:

-أنا آخر مرة شوفته كان داخل الأوضة وقالتي إنه هيغير لبسه عشان اتبهدل من اللعب ... تلاقيه شوية وهيروح يفطر معاهم....

جسدٌ مسجى على الفراش في حالة سكونٍ تامة دون أنفاسٍ تخرج من جوفه أو نبضات تضرب جسده وتُعيد الحياة إلى كيانه، بل جسدٌ ساكنٌ تماماً كجثة هامة لا حياة بها.

ظهر سيف بجوار هذه الجثة يتحرك بانسيابية وحركاتٍ هادئة لا تُحدث أية جلبة، فلا يجب أن يعرف أحدهم أنه بقي لساعاتٍ يحاول استخراج هذه الطاقة والطوف بروحه المعنوية في كل مكان، لا أحد يجب أن يعرف أن هذا الجسد الذي يتحرك به الآن ليس جسداً مادياً ولا أحد حتى يستطيع رؤيته.

توقفت روحه الطائفة بجوار الباب يُراقب الجميع تارة ثم يعود بنظراته نحو جسده المسجى ليرسم ابتسامة خبيثة مُنتصرة على ثغره، ومع تلك الابتسامة رفع نظراته ليرمق ضيوفاً وهمية ويرفع إصبع السبابة ليرتكز بين شفتيه حتى يُحذر الجميع من الحديث وإخبارهم بما يستطيع فعله ... فلا أحد يجب أن يعرف أنه من ال... أرواح المُتنقلة....

((تمت بحمد الله))

البداية : 2023 / 9 / 30

النهاية : 2024/3/10